المدهش

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

بعناية

عبد الكريم محمد منير نشوان — خلدون عبد العزيز محلوطة

المجلد الأول

دار القلم
دمشق

دار القلم
دمشق

أسّسها
محمد علي دولة
سنة ١٩٦٧م

الطبعة الثانية
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

حُقوق الطَّبع مَحفُوظَة

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
www.alkalem-sy.com

الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

الإِهْدَاءُ

إلى كلِّ مَنْ تجذِبُهُ الفِكرَةُ النَّاضِجَة ..
وتُطرِبُهُ العِبارَةُ الرَّشيقَةُ، والنُّكتَةُ الأنيقَةُ ..
ويحلِّقُ بهِ الرَّمزُ الذَّكيُّ، والمعنَى البِكرُ ..
ويأسِرُهُ الموقِفُ المتميِّزُ الصَّادِقُ ..
ويسمُو بهِمَّتِهِ السُّلوكُ الرَّبَّانيُّ ..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم

فضيلة الشيخ وهبي سليمان غاوجي

قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ يومٍ إلّا والذي بعدَه شرٌّ منه حتى تَلْقَوْا ربَّكُمْ»[1].

(١)

فإذا كان الإمام أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - يقول في (المدهش) مايقول في أغنياء زمانه، وعلمائهم وقادتهم وحكامهم كما نقل الشيخ عبد الكريم في مقدمة (المدهش) - مما سيقرؤه القارئ - فماذا كان يقول - رحمه الله تعالى - لو عاصر زماننا، وقد ظهر فيه الأمر بالمنكر، والنهيُ عن المعروف بألوان من الصور، وضروب من الوسائل، وأضحى أكلُ المال بالباطل مطلباً للعامة، يتبارون على التعامل مع المصارف الربوية أخذاً من مالها، ودفعاً إليها طمعاً في الربا، وأضحى المجون والفجور له نواديه، وله دعاته، وله أبواقه، وأضحى الزنى واللواطة وشرب الخمر مظاهر من مظاهر المدنيَّة، وزاد ظهورُ العقوق، حتى أقيمت مساكن يؤوي إليها كبار السن بأيدي أبنائهم البررة؟!... كما وقع قريباً.

فقد كان رجلٌ يتمشّى مع عائلته بجوار البحر ليلاً، حتى إذا كاد ينتصفُ الليل، رأى الرجلُ امرأةً عجوزاً تقعد وحدها بجوار البحر، ليس معها أحد، فدنا منها، وقال للسيدة: لقد تأخر الوقتُ كما ترين، وما نرى معك أحداً، فهل يمكننا أن نأخذك إلى بيتك؟ فقالت: لا، إنَّ ولدي وضعني في هذا المكان، وترك معي هذه الورقة! أخذ الرجل الورقة فإذا فيها: «من ينظر في هذه الورقة، فيرجى منه أن يأخذ حاملة هذه الورقة إلى دار رعاية العجزة!».

---

(١) رواه الإمام أحمد في (مسنده).

لقد أضحى للباطلِ كلُّ سلاحٍ باطلٍ، ولم يكد للحق مكان يعلن فيه عن نفسه بما شاء، ولئن كان إيثار الهوى والركون إليه بل الاطمئنان إليه ديدنُ بعض الناس، فقد أضحى فيما بعدُ ديدن كثير من القوانين والأحكام، فإنَّ من لا يتَّبع أحكام الله تعالى إنما يتبع الهوى، ولئن كان للأمم فتن يختبرون بها، وفتنة هذه الأمة المال، فقد أضحى الكثير حقّاً لا يبالون من أين جاءهم المال؟ أمن حرام أم من حلال؟ فالحلال عندهم ما حلَّ في اليد، والحرام ما حُرِموا منه!.

ولئن كان فساد النساء والشباب محدوداً في السابق، فقد أضحى شارةَ الوقت، وعلامةَ الزمان، وفتحت المؤتمراتُ المختلفة أبوابَ الفجور، ودلَّت على وسائل الفساد بما لم يكن قبل، وفي الحديث: «ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجالِ من النساءِ»... إلخ.

(٢)

ومع ذلك نقول على يقين: إنه لا يأس مع الحياة، وإن جولةَ الباطلِ إلى زوال، وإننا لنرى تباشير فجر العودة إلى الله تعالى تبدو، وأنوارها تشعُّ على قلوب بعض الناس وحياتهم، وقريباً يملأ الضياءُ القلوبَ الكثيرة، والأرض الكبيرة، فيشمُّ بذلك الناسُ عبير العودة إلى الله، ويعيشون بنور من الله تعالى، ويومئذ يفرح المؤمنون، عجَّل الله تمام ذلك الأمر الصالح وقرَّبه. آمين.

لما تقدم، وأكثر، كانت الحاجة ماسَّة إلى حديث يُوجِّه إلى القلوب فيهزّها بالموعظة، ويطلق من عيونها الدمع والدم عبرة، ثم تستكين إلى رحمة الله تعالى وفضله.

(٣)

كانت الحاجة ماسة إلى من يقف للناس في الطريق المزخرَف المزيَّنِ بالشهوة والباطل، المحفوف بالورد والزهر؛ ليقول للناس: هذه الطريق مَسبعة، مهلكة، حُفَّت النار بالشهوات، فاستقيموا على الجادة تسعدوا.

كانت الحاجة ماسة إلى من يحضر منتدياتِ الناس واجتماعاتهم؛ ليذكّرهم

أنّ هذه المجالس ستصبح قريباً آثاراً! والاجتماعات أخباراً! ثم يكون المآل إلى ما زرع كلُّ زارعٍ في هذه الدار، وإنها لجَنَّةٌ أبداً أو لنارٌ أبداً.

(٤)

لقد كان الإمام ابن الجوزي، ذلك الديدبان الذكي، والحارس الأمين على المحارم، والقائم على مراقبة الناس في أحوالهم وأعمالهم.. فكانت عظاته ناراً تحرق شهوات النفوس، وتقذف الهدى في القلوب.

يقول في وصف وعظه الرحالة ابن جُبير: «... ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت لها النفوس احتراقاً، إلى أن علا الضجيجُ، وتردد بشهقاته النشيجُ، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كلٌّ يلقي بناصيته بيده فيجزّها، ويمسحُ على رأسه داعياً له، ومنهم من يُنشى عليه، فيُرْفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأ النفوسَ إنابةً وندامةً، ويُذكّرها هولَ يوم القيامة.

فلو لم نركب ثبجَ البحرِ، ونعتسفْ مفازاتِ القفرِ إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل؛ لكانت الصفقة الرابحة والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على أنْ مَنَّ بلقاء مَنْ تشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله[1]... إلخ».

وستجد أيها القارئ طلبة النفس الظمأى إلى التذكرة، والقلب اللاحب إلى الريّ، والشوق المحرق إلى الخير.. ستجد في (المدهش) الذي أحسن الشيخان ـ عبد الكريم وخلدون ـ أيما إحسان، إذ قاما بتحقيقه، وتزيينه وتقريبه من حيث التصحيح وتزويق الكلم والسطور، وأسأل الله تعالى أن يثيبهما على ما بذلاه من جهد، وينفع المسلمين بعلميهما.

(٥)

حياة ابن الجوزي ووفاته: قال ابن العماد: كان ابن الجوزي كثير التعبد

---

(١) رحلة ابن جبير، ص ١٩٥ ـ ٢٠٠.

والصلاة، يختم القرآن كلّ أسبوع، ويزهد ويتقلل من الدنيا، ويتحرّى الحلال في مطعمه. يقول سبطه أبو المظفر: كان زاهداً في الدنيا، متقلّلاً منها، وما مازح أحداً قط، ولا لعب مع صبي، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلّها، وما زال على ذلك الأسلوب إلى أن توفاه الله تعالى.

وقيل أيضاً: وكان يختم في كلّ أسبوع ختمة، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة والمجلس.

لم يَسْلَمْ ابنُ الجوزي من طعن الحُسّاد، أو ممن حملت نفوسهم الضغينة والحسد بسبب هجومه وانتقاده له، وقد وصل بهؤلاء الحاقدين أن وَشَوا به إلى الخليفة الناصر، ونجحت الوشايةُ، فجاء من شتمَ ابنَ الجوزي وأهانه، وأقفل داره، وأخذه مقبوضاً عليه، مغلولاً بيديه، ورُحّل بسفينة إلى مدينة واسط، فسجن بها، وظل خمسَ سنين في هذا المحبس، وفي تلك المحنة كان يغسِلُ ثيابه، ويقوم بشؤونه وحدَه، وقد بلغ من الكبر مبلغاً، فكان في ذلك شدة ومحنة نالت منه، وأثرت فيه. . حتى توسّط له ابنُه يوسف، فجاء إلى واسط، فأخرجَ أباه من السجن، وكان الشيخ إذ ذاك ابن ثمانين سنة.

وعاد ابنُ الجوزي إلى بغداد، فاستقبله أهلها فرحين، مستبشرين بقدومه، ولم تحجزه الشيخوخة عن مجالس وعظه، فعاد إليها في يوم السبت سنة سبع وتسعين وخمسمئة هجرية، وجلس عند تربة أم الخليفة عند معروف الكرخي في مجلس، وبينما هو كذلك قطع المجلسَ منشداً يعلنُ أبياتاً، منها قوله:

اللهَ أَسْـــأَلُ أنْ يُطَـــوِّلَ مُـــدَّتِـــي ... لأنَـالَ بِـالإنْعَـامِ مَـا فِـي نِيَّتِـي
لِـيْ هِمَّـةٌ فِـي الْعِلْـمِ مـا إنْ مثلهـا ... وهِيَ الَّتِي جَنَتِ النُّحولَ هيَ الَّتِي

(٦)

وإذا ذُكِرَ الإمامُ ابن الجوزيّ في مواعظه، فحسَنٌ أن يُذكَرَ الإمامُ المربّي (تاج الدين ابن عطاء الله السكندري)، وأنقل هنا عبارات عنه من رسالة (تاج العروس) فيها ما أرجو من الخير والنفع لي ولإخواني المسلمين:

قال في التوبة، ص١٠: «من تاب ظفر، ومن لم يتب خسر، ولا تقطع

يأسك، وتقول: كم أتوب وأنقض؟! فالمريضُ يرجو الحياةَ ما دامت فيه الروحُ».

«إذا تاب العبد فرحت به داره من الجنة، وتفرحُ به السماء والأرض، والرسول ﷺ، فالحقّ سبحانه لم يرضَ أن تكون محبّاً بل محبوباً، وأين المحبوب من المحب؟!».

«أفٌ لعبد يعلمُ إحسانَ المحسنِ فيجترئ على معصيته، ولكن ما عرف إحسانه من آثر عصيانه، وما عرف قدره من لم يراقبه، وما ربح من اشتغل بغيره، وعلم أنَّ النفسَ تدعوه إلى الهلكة فتبعها، وعلم أنَّ القلب يدعوه إلى الرشد فعصاه، وعلم قدر المعصيّ فواجهه بالمعصية.

ولو علم اتصافه بعظمته لما قابله بوجود معصيته، ولو علم قرب مولاه، وأنّه يراه، لسارع لما عنه نهاه، ولو علم أثر الذنب المرتب عليه دنيا وأخرى، وغيباً وشهادة، لاستحيا من ربه. ولو علم أنّه في قبضته لما قابله بمخالفته».

«واعلم أنّ المعصيةَ تتضمن: نقض العهد، وتحليلَ عقد الود، والإيثار على المولى، والطاعة للهوى، وخلع جلباب الحياء، والمبادرة لله بما لا يرضى، والجمود في العين، والكسل في الخدمة، وترك الحفظ للحرمة وظهور كسب الشهوات، وذهاب بهجة الطاعات».

ويقول عن التوبة في موضع آخر: «إنْ تفضّلَ عليك بالتوبة فمن فضله تبتَ إليه، وإنك تذنب سبعين ذنباً فتتوبَ إليه في نَفَسٍ واحد، فيمحو ما عملته في تلك المدة».

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

«فالمؤمن كلّما ذكر ذنبه حزن، وكلّما ذكر طاعته فرح».

ويقول موبخاً للغافل: «ولكن ما أرخصَ نفسَك عليك! لولا هوانها عليك ما عرَّضتها لعذاب الله سبحانه وتعالى، وما أغلاها في طلب الدنيا وجمعها، والعجب كل العجب فيمن يسأل المنجّم عن حاله، ولا يسأل كتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ».

«إذا ضعفتَ عن العبادة، فَرَقِّعْ عبادتَكَ بالبُكَاءِ والتَّضَرُّعِ، إذا قيل لك: من يُبكى عليه؟ فقل: عبدٌ عوفي، فأنفقَ عافيتَه في معصية الله!».

ويقول ناصحاً للمتذكر ضعيف الجسم: «هب أنك تريدُ الجدّ، ولكن لا تساعدك القوى، فاعمل على قدر حالك، ورقّع الباقي بالذكر، فإنّه لا شيءَ أسهلُ منه، يمكنك في حال القيام والقعود، والمرض والاضطجاع، فهذا أسهل العبادات، وهي التي قال فيها رسول الله ﷺ: «وليكنْ لسانُك رطباً بذكرِ الله»، وأيُّ دعاءٍ أو ذكرٍ سهلٌ عليك فواظب عليه، فإنّ مدده من الله عزّ وجلّ، فما ذكرته إلا بهره، وما أعرضت عنه إلا بسطوته وقهره، فاعمل واجتهد، فالغفلة في العمل خير من الغفلة عنه».

وقال: «يا عبد الله تنتخب لنفسك الطيبات، بل تنتخب لدابتك العلف، وتعامل الله بالمجازفة[1]! وربما قلّبت عشرين بطيخة حتى تصلحَ لك واحدةٌ لدهليز مرحاض، وتقع عند الأكل متربعاً، وربما طوّلت في الأكل، وإذا جئت إلى الصلاة نقرتها نقر الديك، والوساوس والخواطر الرديئة تأتيك في صلاتك، مثال من هذه حالتُه كمن نصَّب نفسه للهدف، وقعد والرماح والسهام تقصده من كلّ جانب، أفما هذا أحمق؟! لقد مر رسول الله ﷺ على قوم تحلّقوا حول رجل يضحكون منه، فسأل عن حاله؟ فقالوا: مجنون، قال ﷺ: «قولوا مصابٌ، المجنون من ثابرَ على معصية الله تعالى». والعياذ بالله».

الرجوع إلى الله تعالى: قال مذكّراً بذلك: «كفى بك جهلاً أن تتردد إلى مخلوق وتترك باب الخالق، فقد ارتكبتَ المعاصي من كل جانب، أفلا تكونُ محزوناً على نفسك؟ والعجبُ كلُّ العجبِ من عبدٍ يُقبل على صحبة نفسه، ولا يأتيه الشر إلا منها، ويتركُ صحبةَ الله، ولا يأتيه الخيرُ إلا منه».

فإن قيل: كيف الصحبة لله؟.

فاعلم أن صحبة كلّ شيء على حسبه؛ فصحبته لله سبحانه وتعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وصحبة الملكين بأن يمليهما الحسنات، وصحبة الكتاب والسُّنّة أن يعمل بهما، وصحبتك السماء بالتفكر، وصحبتك الأرض بالاعتبار لما فيها.

---

(١) أي: دون تمحيص.

وليس من لازمِ الصحبة وجودُ الرتبة[1]، فالمعنى في صحبة الله سبحانه وتعالى صحبة أياديه ونعمه، فمن صحب النعم بالشكر، وصحب البلايا بالصبر، وصحب الأوامر بالامتثال، والنواهي بالانزجار، والطاعة بالإخلاص، فقد صحب الله تعالى، فإذا تمكنت الصحبة، صارت خلّة.

(٧)

وأختم هذه النقول الكريمة بمناجاةٍ لعلي رضي الله عنه، جعلنا الله من المتحلّين بها، والمقبلين عليها:

إلهي! ما ألطفك بي مع جهلي، وما أرحمك بي مع قبيح فعلي، وما أقربك مني وما أبعدني عنك، وما أرأفك بي، فما الذي يحجبني عنك؟!.

إلهي! كلَّما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك، وكلَّما أيئستني أوصافي أطمعتني منّتك.

إلهي! مَنْ كانت محاسنُه مساوئ، فكيف لا تكون مساويه مساوئ؟ ومن كانت حقائقُه دعاوى، فكيف لا تكون دعاويه دعاوى؟!.

إلهي! كيف أعزمُ وأنت القاهر، وكيف لا أعزم وأنتَ الآمر؟! ترددي في الآثار يوجِبُ بعدَ المزار، فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك. آمين.

(٨)

خاتمة: لقد أكرم الله تعالى الأستاذ المربي الشيخ (عبد الكريم) والشيخ (خلدون) بخدمة (المدهش) وتحقيقه وتصحيحه، وتقديمه إلى الناس تحفةً علميّةً رائدة إلى الخير، ودالة على جميل السلوك.

لقد أفاضَ الله تعالى بكلماتِ ابن الجوزي الدموعَ من عيون الغافلين والمذنبين فسالت، وسالت حتى غسلت القلوبَ من أدرانها، وفاضتِ المآقي، فزال عنها غبشُ الرؤية، وأوضحت معالم الطريق، وأفاضت على آذانها وأسماعها

---

(١) أي: كون الصاحِبِ بمرتبة المصاحَب

خريرَ أنهار الجنة، وأصوات الحور العين، فسكنت إلى ذلك، واطمأنت به، ووجهت السلوك، ووضعت صور الحق وأعلام النور في الطريق، فَهُدي الضالّ، وأرشد الحائر، وأخذت بيد الناس على لطف وحنان، فانقاد بها إلى الله تعالى.

لقد كان ابنُ الجوزي بحاله وقاله وعلومه الرائدَ الذي لا يكذِبُ أهله، والنذيرَ الذي ينذر قومه، فكم تاب وأناب على يديه من البشر، وساحت دموعهم، وعلا نشيجهم، واشتد شهيقهم بين يديه في مواعظ ودروس!.

لقد كان الحاديَ العاقلَ الحكيمَ، والدليلَ المرشدَ الخبيرَ، كان كأنه يقولُ للناس في كل موعظة، وكل درس، وعند كل عبرة، وعند كل خاطرة:

فحيَّ على جناتِ عَدْنٍ فَإنَّها مَنَازِلُكَ الأُولى وفيها المُخَيَّمُ

فاهنأ أيها القارئ الكريم بهذا الكتاب، واهنأ يا شيخ عبد الكريم ويا شيخ خلدون من الله تعالى بفضل وثواب.

وصلَّى الله على سيدنا محمد النبيّ الأمي، وعلى آله وصحبه وإخوانه ونحن معهم وسائر المسلمين... والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إنَّ الحمد لله الذي منَّ على العباد بنعمتي الإيجاد والإمداد، بل لا يخرج عنهما موجود شمَّ بعد عُدمه رائحة الوجود، وأفاض على قلوب مَنْ شاء من عباده ما شاء من الأنوار والأمداد، ونصبهم على درب الهدى مناراتٍ وأدلةً، وأقامهم مناهلَ يرِدُها كل صاد إلى ما ينقَعُ الغلة، بل جعلهم أوعيةً تموجُ فيها لآلئ المعاني، وتلقي في مجالس الأنس والتذكير أصدافَ المباني، تشنِّفُ الأسماعَ، وتَبلُغُ من القلوب الشغاف.

والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المصطفى المختار، مَنْ حباه المولى بالأنوار، وأعطاه جوامع الكلم؛ فيعبّر بالكلمات القليلة عن المعاني الغزار، وأطلقَ في سماء الدنيا شمساً دونها شمس النهار، إذ هذه تغيب، وهاتيك لا تعرف المغيب، فتح الله به قلوباً غُلفاً، وآذاناً صمّاً، وأعيناً عمياً.

أما بعد: فها هو ذا كتاب (المدهش)، المدهش في بابه، جمع بين دفتيه من المعارف والعلوم شذرات، ومن المعاني والبصائر فيوضاً، نرجو أن ينفَع الله سبحانه وتعالى به القارئ الذي أقبل بالقلب عليه، ونهل ـ مما قُدر له ـ من بين دفتيه، بادئين ـ بعدَ حمد الله سبحانه وتعالى، والصلاة والسلام على نبيه ـ بعباراتٍ تجلِي نظرَة أصحابِها من العلماء إلى ابن الجوزي، كاتبِ هذا الكتاب ومنشيه، وفي مجالس وعظه وتذكيره مملِيه.

ورجاؤنا مِنْ هذا دعوةٌ صالحةٌ يلحقنا نورها إلى عالم البرزخ إن شاء الله تبارك وتعالى.

* * *

قالوا في الإمام ابن الجوزي

«شيخُنا جمالُ الدين، صاحبُ التصانيف في فنون العلوم؛ من: التفسير، والفقه، والحديث، والتواريخ، وغير ذلك، وإليه انتهت معرفةُ الحديثِ وعلومِه، والوقوفُ على صحيحِه من سقيمه، وكان مِنْ أحسنِ الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً».

أبو عبد الله الدُّبيثي

«الشيخ الإمام العلامة، الحافظ المفسّر، شيخُ الإسلام، مفخرُ العراق، جمالُ الدين أبو الفرج ابن الجوزي القرشيّ، التيميّ البكريّ، البغداديّ الحنبليّ، الواعظُ، صاحبُ التصانيف».

الحافظ الذهبي

«كان ابنُ الجوزي لطيفَ الصورةِ، حلوَ الشمائلِ، رخيمَ النغمةِ، موزونَ الحركاتِ والنغمات، لذيذَ المفاكهةِ».

الموفق عبد اللطيف

ويقول ابن الجوزي هو عن نفسه:

«إلهي أيقظتني في الصبا، وأقمتني أدلُّ الخلقَ عليك، ومزجتَ كأسَ نُطقي بعذوبة، وجعلتني في أخباري معروفاً بالأمانة، فركنَ إليَّ أهلُ المعاملة، ولو عرفوا إفلاسي ما عُوملت.

إلهي طالما اجتذبتُ العُصاةَ بعد أن تهافتوا في النار، أفيُصدِرون وأرِد؟! . سيدي إنْ لم أصلحْ للرضا فالعفوَ العفوَ».

المدهش

* * *

ترجمة الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى

لمعرفة أي شخصية من شخصيات التاريخ يُسْلَكُ واحدٌ من مسلكين:

إما أن تُتناول الشخصية مباشرةً، فتُدرسَ الأسرةُ والخصائصُ والتعلّمُ والمكانةُ والثمرات.. إلخ؛ وهذا يدعو إلى البحث في البيئة العامة والخاصة، والتعرف إلى الصفات البارزة النفسية والعقلية، والعوامل الأخرى التي ميّزت تلك الشخصية، أو دفعت بها إلى الظهور فيما ظهرت فيه.

وإما أن يسلك مسلك الاتصال المباشر بالشخصية عبرَ ما أنتجت، أي من خلال الآثارِ التي تركتها، فتلتمس ملامحها العامة، وصفاتها الخاصة من خلالها ما دَبَّجَ يَرَاعُهُ، ويماط اللثام عنها بتحليل الإنتاج، وتتبع أنفاس الكاتب فيه، ومنابع ثقافته، ووجهة نظره فيما تناوله، كذلك تَتَبدَّى معالمُ شخصيته من المواقف الحياتية التي نُقِلَتْ عنه.

ونحن في هذه المقدمة سنعَرِّف بالكاتب صاحب (المدهش)؛ سالكين المسلكين معاً، فنتعرّف إليه من خلال البيئة الخاصة (النشأة والأسرة)، والعامة (العصر وما اتسم به)، ومن خلال (الإنتاج والمواقف)، ثم نختم بمسرد لأهم مؤلفات ابن الجوزي.

أولاً: اسمه ونسبه وشهرته:

هو العلامة الحافظ[1] المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، أبو الفرج

---

(١) انظر مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢١/٣٦٥؛ وفيات الأعيان: ١/٢٧٩، ٢/٣٢١؛ البداية والنهاية: ١٣/٢٨ ـ ٣٠؛ مفتاح السعادة: ١/٢٠٧؛ ذيل الروضتين: ٢١/٢٨؛ ابن الوردي: ٢/١١٨؛ شذرات الذهب: ٤/٣٢٩؛ دائرة المعارف: ١/١٢٥؛ الكامل، لابن الأثير: ١/٢٢٨؛ اليافعي: ٣/٤٨٩ ـ ٤٩٢ =

عبد الرحمن بن علي أبي الحسن بن محمد بن علي بن جعفر الجوزي[1]. وقد لُقِّبَ جعفرٌ بالجوزي نسبة إلى (مشرعة الجوز) على نهر البصرة، أو إلى جوزة (شجرة تثمر الجوز المعروف) كانت في داره، وهو الملقّبُ جمال الدين الحافظ، وهو عربيّ قرشيّ تيميّ بكريّ، يتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعرف بالبغداديّ[2] مولداً وإقامة، وبالحنبليّ مذهباً[3]، وهو علاّمة عصره، وإمام وقته في الحديث، وفي صناعة الوعظ[4]، صاحبُ التصانيف، ولد سنة تسعٍ[5] ـ أو عشر ـ وخمسمئة للهجرة.

ثانياً: نشأته وسيرته التعليمية:

مات والد ابن الجوزي وله ثلاث سنين، وقيّضَ الله له من يساعده على تجاوز اليتم، والوقاية من كثير من مرائر آثارِه، والإهمالُ أمرُها، وكان لعمّته فضلٌ كبير، إذْ هي التي تولّت تربيتَه ورعايتَه، ودفعت به في دروب العلم، وهذا شأن كثير من العلماء النابغين، وحسبك البخاري، ينشؤون يتامى في كنف الكفيل خاصّةً، والأمة بعامة، قال ابن الجوزي: «.. فإن أبي مات وأنا لا أعقل، والأم لم تلتفت إليّ»[6]. حملته عمته صغيراً ابن ثلاث إلى دروس العلم التي كانت تعمرُ بها مساجد بغدادَ، وكان أولُ سماعهِ سنة (٥١٦هـ)، واختارت له مسجد خاله المحدث اللغوي الفقيه الحافظ (محمد بن ناصر الحنبلي)[7]، فاعتنى به عنايةً

= مختصر دول الإسلام: ٩/ ٧٩٢؛ النجوم الزاهرة: ٦/ ١٧٤ ـ ١٧٦؛ تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣١ ـ ١٣٥؛ الأعلام: ٢/ ٣١٦.

(١) لدى ابن خلكان نسبة إلى (فرضة الجوز)، ولدى ابن العماد إلى (محلة الجوز).

(٢) جاء أنه ولد ببغداد في زقاق درب حبيب.

(٣) وأنت ترى أن العلماء السابقين لا يخرجُ واحدٌ منهم عن مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة، ولو بلغ مرتبة الاجتهاد فيه. فلا تجد عالماً دون مذهب التزم به مهما بلغ من العلم، ورقى في مضماره.

(٤) انظر: ابن خلكان: ١/ ٢٧٩.

(٥) لدى ابن العماد أنه ولد سنة (٥١٠هـ) أو قبلها، وتردد ابن خلكان أنه بين سنة ثمان وعشر.

(٦) هناك من قال: توفي والده فرعته أمه وعمته.

(٧) توفي الحافظ محمد بن ناصر سنة (٥٥٠هـ).

فائقة، وكان أول معلّم.

قال ابن الجوزي عن استعداده الفطري وعناية خاله به: «فركز في طبعي حُبّ العلم، وما زال يوقفني على المهم فالمهم، ويحملني إلى مَنْ يحملني على الأصوب، حتى قُوِّمَ أمري».

وبهذا تكون قد أتيحت له نشأة ذكية، واتجاه قويم، فسمع بنفسه الكثير، وعني بالطلب، وحبس نفسه على التحصيل، ولم يلتفت إلى ما يلتفتُ إليه مَنْ كان في مثل سنه، ونظر في جميع الفنون.

حفظ ابن الجوزي في هذه المرحلة المبكرة من عمره القرآن الكريم، وقرأه على جماعة من القراء بالروايات، وسمعَ الحديث الشريف، ولا سيما: (مسند الإمام أحمد) و(جامع الترمذي) و(صحيحي البخاري ومسلم)، وتعلم اللغةَ والأدب، ومرن على الوعظ، وسمع (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي.

كان خاله ابن ناصر أحد شيوخِه الذي أكثرَ الرواية عنه، وقد سمع من علي الدينوري، وابن الحصين، وأبي عبد الله البارع، وأبي الوقت السجزي، وقد وصل عدد شيوخه إلى سبعة وثمانين شيخاً. وكان معظّماً لأبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي، وتابعه في كثير من آرائه، وبهذا يتبين أنَّ ابن الجوزي سمع ـ على غرار العلماء الراسخين ـ من الكثيرين، ولم يكن صحفيّاً يحتطب، ولا ماخراً لعباب العلم جامعاً ما يطيق، من دون أن يتتلمذ على أيدي العلماء، الذين يغذونه بالمعرفة وفق مناهج محددة، ويبصرونه بمواقع المناهل على طريق التحصيل، ويسددون خطاه فكراً وسلوكاً، إنه سمع الحديث، وحفظ القرآن الكريم على الحافظ أبي الفضل محمد بن ناصر (خاله)، ثم درس الوعظ على أبي القاسم الهروي، وبعده صاحَبَ الفقيه ابن الزاغوني الحنبلي، فأخذ عنه من فنون العلم حظّاً وافراً، وبخاصة الحديثُ والفقهُ والوعظ.

وكان المحدّث ابن الطبري الحريري المتوفى سنة (٥٣١هـ) من أساتذته، ثم إنّه قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري، والقاضي أبي يعلى وغيرهما كثير؛ كابن مندة.

إنه لم يرحل في طلب الحديث كسُنّة العلماء الطالبين، لكن كان عنده

(مسند الإمام أحمد)، و(الطبقات) لابن سعد، و(تاريخ الخطيب)، وأشياء عالية، و(الصحيحان)، و(السنن الأربعة)، و(الحلية) لأبي نعيم، وعدة تآليف وأجزاء يخرّج منها[1].

ثالثاً: أهم الصفات التي تميّز بها:

١ ـ الهمة العالية في طلب العلم:

تميَّزَ ابنُ الجوزي ـ رحمه الله ـ بالجَلَدِ، وشدّة الانكباب على الجمع والتصنيف مع التصوّن والتجمّل، وحسن السيرة والشارة ورشاقة العبارة، يقول متحدثاً عن نفسه: «وعينُ همّتي لا تَرى إلا لذّةَ تحصيل العلم، فأثر ذلك عندي».

ثم يصف شغفه وتعلّقه بالعلم فيقول: «إنّي رجل حُبِّبَ إليّ العلم من زمن الطفولة، فتشاغلت به، ثم لم يحبَّبْ إليّ فنٌّ واحدٌ منه، بل فنونه كلها».

ويتحدث عن مدى عواقب علو الهمة على صاحبها قائلاً: «ما ابتلي الإنسانُ قط بأعظم من علوِّ همةٍ، فإن علت همتُه يختار المعالي، وقد لا يساعِدُ الزمان، وقد تضعف الآلة، فيبقى في عذاب، وإني أُعطيت من علوِّ الهمةِ، فأنا به في عذاب»[2].

يقول الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (مشكلات في طريق الحضارة الإسلامية): «ابن الجوزي من علماء القرن السادس الهجري لو رأى المسلمين ـ الآن ـ في عصر الفضاء ينظرون إلى غزاة الجو ببلاهة، لحملَ السَّوْطَ، وجلد به الظهور، ولبرأ الإسلام من هذا الانتماء المخزي».

ويقول: «من الأمارات النضرة في ثقافتنا كلمات لابن الجوزي يدعو فيها إلى علوّ الهمة، ويطلب من المسلم أن يكون طليعة سابقة في كلّ ميدان قال: «ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض!» أسمعتَ مثل هذه الصيحة

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٦٦.

(٢) انظر: صيد الخاطر، ص١٥، ٢٦.

الشمّاء تنضحُ من وحي الإيمان بالحق؟! هذه ثمرة يانعة من خصائص التربية الإسلامية في الشروق المحمدي، شروق قادة رجال أصحاب عزمات شداد، وآمال عراض، فطووا في سباقهم المشارق والمغارب، وعلّموا الإنسان كيف تكون الحياة الكريمة الحقة».

٢ ـ ترجمة العلم عملاً وسلوكاً:

كان ابن الجوزي رحمه الله على منهج السلف في ترجمة العلم إلى عمل؛ دلالة على إخلاص صاحبه، وثمرة طيبة من ثمار تلقي العلم وحفظه، واستمع إليه كيف يعتبر عدم العمل بالعلم متاجرة يُسأل عنها صاحبها يوم القيامة: «من يهمل العمل بعلمه أو يتراخى في جوانب منه، فيكون كالمتاجرين بالعلم عند الحكام والأمراء».

ومما نصح به ولده قوله: «وإياك أن تقف مع صورة العلم دون العمل به».

وبهذا يجلّي العلاقةَ العميقة بين العلم والسلوك، فالعلم شجرةٌ ثمارُها وظلالُها العمل.

قال في كتابه (لفتة الكبد) ص٥٨: «إنّ الداخلين على الأمراء والمقبلين على أهل الدنيا، قد أعرضوا عن العمل بالعلم، فمنعوا البركة والنفع».

ولعل هذا الربط بين العلم والعمل من وراء التأثير بالموعظة، وهذا الفيض من الدقائق والرقائق والحقائق؛ إذ مَنْ عمل بما علم أُورِثَ علم ما لم يعلم، وأوتي من أبكار ما لا تَقْتَضُّها فحول القرائح.

٣ ـ اهتمام الأوقات والمحافظة على اللحظات:

من المعلوم: أنّ السلف الصالح كانوا يغتنمون اللحظات، ويحرصون عليها حرصَ الشحيح على ماله، وكان ابن الجوزي رحمه الله على هذا النهج، إذ ضنّ بساعات عمره أن تضيعَ دون تحصيل فائدة، وإليك نبذة من سيرته لتشهَدَه كيف عرف شرفَ الوقت وقيمتَه، وكيف كان يكسبُ الوقتَ إذا زاره ضيوف، أو نزل به ثقلاء بطالون؟ قال ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (صيد الخاطر)[1]:

---

(١) صيد الخاطر، ص٢١، ٤٦.

«ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيّع منه لحظة في غير قربة، ويقدّم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور، بما لا يعجز عنه البدن من العمل، كما جاء في الحديث الشريف: «نيةُ المرءِ خيرٌ مِنْ عملِهِ»[1]. وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات، فنقل عن عامر بن عبد قيس ـ أحد التابعين العباد الزهاد ـ: أنَّ رجلاً قال له: كلّمني، فقال له عامر: أمسك الشمسَ. وهيهات أن يمسكها فيوقف الزمان!».

ويتابع ابن الجوزي قائلاً: «وقد رأيتُ عمومَ الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً، إن طال الليل فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزل وسمر، وإن طال النهار فبالنوم.. وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد والتهيؤ للرحيل، فالله الله في مواسم العمر، والبدارَ البدارَ قبل الفوات، ونافسوا الزمان. وأعوذ بالله من صحبة البطّالين.

لقد رأيت خلقاً كثيراً يجرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطيلون الجلوس.. فلما رأيتُ أنَّ الزمان أشرف شيء، والواجبُ انتهابه بفعل الخير، كرهتُ ذلك، وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرتُ عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان، فصرت أدافعُ اللقاء جهدي.. ثم أعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغاً، فجعلت من الاستعداد للقائهم قطْعَ الكَاغِدِ ـ أي: قص الورق ـ وبَري الأقلام، وحَزْمَ الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بدَّ منها، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي».

رابعاً: ابن الجوزي واعظاً:

لا بدَّ قبل الكلام عن تألّق ابن الجوزي في الوعظ وسحر البيان أن نكشفَ

---

(١) جزء من حديث ضعيف، أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير): ٦/٢٢٨؛ وأورده الهيثمي في (مجمع الزوائد): ١/٦١؛ والسيوطي في (الجامع الصغير) بشرح المناوي: ٦/٢٩٢.

ملامحَ البيئة التي امتاز بها العصر الذي عاشه ابن الجوزي رحمه الله تعالى، وذلك حتى نكونَ على بصيرة في مدى الحاجة الماسة لأولئك العلماء الذين يقومون بتذكير الأمة، والأخذ بيدها إلى طريق السعادة والصلاح:

١ ـ لمحة موجزة عن طبيعة العصر الذي عاشه ابن الجوزي:

هذه نظرة سريعة على العصر الزاخر الذي وجد فيه ابن الجوزي، فولادته في أوائل القرن السادس الهجري أيام الدولة العباسية ووفاته في آخره سنة (٥٩٧هـ)، فهو عصر مديد ـ كما ترى ـ في حقبة من أهم سماتها التشققات السياسية التي ألمَّت بكيان الدولة، والنزعات الانفصالية الرهيبة التي تبنت توجهات دنيوية بحتة، لا حظ فيها لمباشرة الحقائق الإيمانية شغاف القلوب.

وقد قام السلطان السلجوقي وقتذاك بإدارة شؤون البلاد بتفويض من الخليفة تفويضاً مطلقاً سنة (٤٤٩هـ) بعد أن أوصاه بتقوى الله تعالى، وعمارة البلاد، وإصلاح العباد، ونشر العدل، وكفّ الظلم، وكان السلاجقة على مذهب أهل السنة والجماعة، مما حال دون كثير من ألوان الشقاق والنزاع التي سعت بها فرقٌ تبنت مذاهب أخرى، وعملت على تفتيت وحدة الأمة.

هذا، ولم تخلُ هذه الحقبة من خصومات هيَّجتها الأهواء والمصالح الشخصية[1]، فكانت معارك داخلية زادت الطين بلة، والتصدعات غوراً. ولا ريب أن هذه الأوضاع تركت بصماتها على وجه الحياة الاجتماعية بعامة دون الحركة العلمية.

وقد تناول قلم ابن الجوزي هذا الواقع[2]، وصوّره بقلمه، وبَيَّن ألواناً من الفساد ظهرت وتسرّبت إلى دواخل كثير من النفوس، ولم ينجُ منها سوقٌ ولا قصر، وشغف الكثير بجمع المال، وقامت للدنيا والانهماك فيها سوق رائجة، وزحفت الغفلةُ عن الآخرة، لتحتلَّ النفوسَ، وتأخذَ بمجامع الهمم، وظهر تطفيف المكيال، وتخسير الميزان، وأكل الربا، وهضم الحقوق، وخفتت الأصواتُ

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير: ١٢/ ٧٠ ـ ٧١؛ والكامل، لابن الأثير: ٩/ ٦١٠.

(٢) انظر تصوير ابن الجوزي هذا الواقع في: (صيد الخاطر) مفرقاً في مواضع، منها: ص٢٩٥ ـ ٢٩٦.

الصادقة المخلصة، وفي مجال العبادات باتت الصلاة نقر ديك، وربما جُمع بين الصلاتين الظهر والعصر في آخر وقت الظهر وأول العصر دون عذر، وإنّما التخفف من النهوض إلى الصلاة، والتقليل من اعتياد المساجد، والانفلات من ضبط الصلاة للسلوك، والطامّة ـ هنا ـ التي أخذت تنوء بِكَلْكَلِهَا انتشارُ الجهل في الأرياف، فلا يدري الكثيرُ حتى أحكامَ الطهارة! فمن يتصدّى لهذا الفسادِ الكبير، والشر المستطير، الذي يمهّدُ لتسليط الأعداء؟.

قال ابن الجوزي مصوراً حال العلماء في ذلك العصر: وأما العلماء فالمبتدئون منهم ينقسمون إلى ذي نية خبيثة، يقصد بالعلم المباهاة لا العمل، ويميل إلى الفسق ظنّاً أنّ العلم يدفع عنه، وإنما هو حجة عليه.

وأما المتوسطون والمشهورون فأكثرهم يغشى السلاطين، ويسكت عن إنكار المنكر، وقليل من العلماء تسلمُ له نيته، ويحسن قصده. فإذا كان العلماء ـ وهم المصلحون ـ بهذه المثابة، فكيف بمن هم دونهم؟!.

هذا وقد ذكر الرحالة ابن جبير[1] الأحوال بعامة، ورصد منها مظاهر، ومما قال: «وأما أهلها ـ أي بغداد ـ فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنّع بالتواضع رياءً، ويذهب بنفسه عجباً وكبرياء، يزدرون الغرباء، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء، ويستصغرون عمّن سواهم الأحاديث والأنباء، قد تصور كل منهم في معتقده وخَلَدِهِ أن الوجود كله يصغرُ بالإضافة لبلده.. كأنّهم لا يعتقدون أنَّ لله بلاداً أو عباداً سواهم، يسحبون أذيالهم أشراً وبطراً، ولا يغيّرون في ذات الله منكراً، يتبايعون بينهم بالذهب فرضاً، وما منهم من يحسِنُ فرضاً.. لا تكاد تظفَرُ من خواصّ أهلها بالوَرِع العفيف، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها إلا على من ثبتَ له الويل في سورة التطفيف، ولا يبالون في ذلك بعيب، وكأنّهم من بقايا مَدْين قوم النبيّ شعيب عليه السلام، فسوء معاشرة أبنائها يغلبُ على طبع هوائها ومائها، ويقلل حسن المسموع من أحاديثها وأنبائها، أستغفر الله، إلا فقهاءهم المحدّثين، ووعّاظهم المذكرين». أرأيتَ بعد هذا كله سبب اكتساح التتار لديار المسلمين من المشرق، وهجمات الصليبيين الحاقدة من المغرب؟!.

---

(١) رحلة ابن جبير، ص١٩٤، دار بيروت، ١٣٨٤هـ.

٢ ـ الحاجة الماسة للعلماء الربانيين والوعاظ المذكرين:

من خلال إلقاء نظرة سريعة إلى تاريخنا نجد أنه قُيِّضَ للأمة أئمة أعلام، خدم كل فريق منهم ركناً من أركان هذا الدين العظيم، فمرتبةُ الإسلام قُيِّضَ لها الأئمة الأربعة: الإمام أبو حنيفة (٨٠ ـ ١٥٠هـ)، والإمام مالك (٩٥ ـ ١٧٩هـ)، والإمام الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ)، والإمام أحمد (١٦٤ ـ ٢٤١هـ). وقد نضجت الأحكام الفقهية في العبادات والمعاملات وغيرها أيّما نضج على أيدي هؤلاء الأعلام وتلامذتهم.

وقد تصدى لأمر العقيدة علماءُ التوحيد، ففصلوا فيها، وجَلَّوْهَا بالأدلة والبراهين، وذبُّوا عن حياضها، وهدَّموا بمعاول الحق الشبه التي أثارها مَنْ أوقعهم الشيطان في حبائله.

وكذلك قام علماء التزكية والتربية والسلوك المرشدون المربون بدورهم، وقامت مدارس تسعى كلُّها إلى تحقيق مقام الإحسان، الركن الثالث من أركان الدين، فكان منهم الجُنيد (ت٢٩٧هـ)، والجيلاني (٤٧٠ ـ ٥٦١هـ)، والرفاعي (٥١٢ ـ ٥٧٨هـ).

وقد جمع تراثنا العظيم بين دفتيه حِكَماً وتوجيهات، ولفتات ربانية، شارك فيها الرجالَ النساءُ كذلك، قالت عائشة بنت أبي عثمان: «مَنْ تهاونَ بالعبيدِ فلقلّةِ معرفتِه بالسيِّد، ومَنْ أحبَّ الصانعَ أحبَّ صنعته».

ومن لفتات السيد الرفاعي رحمه الله: «أي أخي! أما تنظر الطفل إذا ولد يبرز إلى الدنيا قابضاً كفّه حرصاً عليها، وإذا خرَجَ يخرجُ باسطاً كفه، معترفاً بفراغ يده من الأمر العارض الذي حرص عليه، كفى بالموت واعظاً».

وعصر ابن الجوزي رحمه الله كان بحاجة ماسة لقيام المذكرين الواعظين بواجب الوعظ والتذكير، ولا ريبَ أنَّ ثمةَ فئة قليلة فاضلة من أهل العلم ـ وهؤلاء لا يخلو منهم زمان ـ كان لهم حضور طيب، أخذوا يدعون إلى الله تعالى بصدق وإخلاص بعد أن انتشر الجهل وعمّ الترف. إلى جانب ذلك نشأت في ذلك العصر مدارس شرعية من أهمها (المدرسة النظامية)، وقد كانت مجالس العلم تعقد فيها

وفي المساجد، وقد تسلّم ابن الجوزي مشيخةَ مدرسةٍ في بغداد كانت من قبلُ داراً لنظام الدين أبي نصر بن جُهير، ثم جعلت مدرسةً، ووقفت على أصحاب الإمام أحمد، فكانت هناك نهضة علمية واسعة لم تتأثر هذه الحركة المباركة بما مسّ نظامَ الحكم والخلاف السياسي من ضعف.

٣ ـ تألق ابن الجوزي في الوعظ وجودة الأداء:

إنّ من المعلوم أنّ الوعظ يقومُ على أسس، منها: جودة المباني وعمق المعاني، وقد استكمل ابن الجوزي هذا، إذ كان يختار لعرائس المعاني نفائس المباني وأزواج الألفاظ الأكفاء، ويعقد بينهما قِراناً، لا يُنْقَضُ بعدم الكفاءة، ولا يجد المطلع عليه، أو السامع له إلا الانفعال، وأخذةَ الانبهار.

لقد نال ابن الجوزي في فن الوعظ قصب السبق، وله فيه الحظ الأسمى، والقدح المعلّى، وإليه فيه المنتهى، قال الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمة ابن الجوزي: «أحبَّ الوعظَ، ولهجَ به وهو مراهق، فوعظ الناس وهو صبي، ثم ما زال نافِقَ السوق، معظّماً، متغالياً فيه، مزدَحَماً عليه، مضروباً برونق وعظه المثل، كماله في ازدياد واشتهار، إلى أن مات رحمه الله وسامحه»[1].

وقال عنه كذلك: «كان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهاً، ويُسهب، ويُعجب، ويُطرب، ويُطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثلُه، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة»[2].

وقال عنه الحافظ ابن كثير رحمه الله: «تفرَّد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه، ولا يلحق شأوه فيه، في طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته، وعذوبة كلامه، وحلاوة ترصيعه، ونفوذ وعظه، وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك؛ بحيث يجمعُ المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة، وقد حضر مجلسَ وعظه الخلفاءُ

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٦٨.

(٢) المرجع السابق نفسه.

والوزراءُ ، والملوكُ والأمراءُ، والعلماءُ والفقراءُ، ومن سائر صنوف بني آدم، وأقل ما يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف، وربما اجتمع فيه مئة ألف أو يزيدون، وربما تكلّم من خاطره على البديهة نظماً ونثراً، وبالجملة كان أستاذاً فرداً في الوعظ وغيره»[1].

٤ ـ لمحات من خصائص وعظ ابن الجوزي:

بالإضافة لما سبق من فصاحته وبلاغته، وعذوبة كلامه، وغوصه على المعاني الفريدة، فإنّ مِنْ عواملِ نجاح ابن الجوزي في وعظه مراعاةُ مقتضى الحال، إذ أتقن التحدُّثَ بالمعاني التي يرى أن المستمعين يحتاجون إليها، وفي هذا يقول: «كلامي ثوبٌ مفصّلٌ على قدر أسماعكم، فهو لا يصلحُ إلا لكم».

ثم بيّن مجالس الآخرين التي خلت من معرفة ما يحتاجُ إليه المستمعون فقال[2]: «إنَّ العاميَّ إذا دخل إلى مجلسهم ـ يقصد مجالس القصاص الذين لا علم لهم ـ وهو لا يحسِنُ الوضوءَ؛ كلّموه بدقائق الجنيد وإشارات الشبلي، فرأى ذلك العاميُّ أنَّ الطريقَ الواضحَ لزوم زاوية، وترك الكسب للعائلة، ومناجاة الحقِّ في خلوة على زعمه، مع كونه لا يعرفُ أركانَ الصلاة، ولا أدّبَه المعلم، ولا قوّمَ أخلاقه شيءٌ من مخالطة العلماء، فلا يستفيدُ من خلوته إلا كما يستفيد الحمار من الإصطبل».

وقال: «في الوعّاظ من يتكلّم على طريق المعرفة والمحبة، فترى الحائكَ والسوقيَّ الذي لا يعرف فرائض الصلاة يمزّقُ أثوابه بدعوى محبة الله»[3].

ويرسم للوعظ حدوداً مع العوام فيقول: «الواعظ مأمورٌ بأن يتعدّى الصوابَ، ولا يتعرّض لما يفسدهم، بل يجذبهم إلى ما يصلح أمورهم بألطف وجه، وهذا يحتاج إلى صناعة، فإنَّ من العوام مَنْ يعجبُه حسن اللفظ، ومنهم من تعجبه الإشارة، ومنهم من ينقاد ببيت الشعر، من هنا كان أحوج الناس إلى البلاغة الواعظ، ليجمعَ مطالبهم، لكنّه ينبغي أن ينظر في اللازم الواجب، وأن يعطيهم

---

(١) البداية والنهاية: ١٣/ ٣١ ـ ٣٢.
(٢) صيد الخاطر، ص١١٨.
(٣) المصدر السابق، ص٩٩.

من المباح في اللفظ قدرَ الملح في الطعام، ثم يجذبهم إلى العزائم، ويعرّفهم طريق الحق».

هذا، ولم يغفل ابن الجوزي ـ وهو بصدد مراعاة مقتضى الحال ـ أن يضعَ معياراً لـوعظ السلطان، حيث يقول[1]: «ينبغي لمن وعظ سلطاناً أن يبالغ في التلطّف، ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم. وإنما ينبغي أن يمزجَ وعظه بذكر شرف الولاية، وحصول الثواب في رعاية الرّعايا، وذكر سير العادلين من أسلافهم، ثم لا بدَّ أن ينظر الواعظ في حال الموعوظ قبل وعظه، وقد جاءنا أنَّ المنصور بن عمار كان يعظ الرشيد وهو يبكي، وأبو حازم وعظ سليمان بن عبد الملك فأبكاه، ومجلس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان عامراً بالتذكرة واستحضار الآخرة».

بالإضافة إلى ذلك كلّه فإنَّ خبرةَ ابن الجوزي بالنفوس وتقلباتها من وراء إتقانه فنّ الوعظ؛ قال مرّة[2]: «قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة، فإذا انفصل عن مجلس الذكر عادت القسوة والغفلة، فتدبرتُ السببَ في ذلك فعرفته: الحالة العامة أنّ القلبَ لا يكونُ على صفة واحدة من اليقظة عندَ سماع الموعظة وبعدها، لسببين:

أحدهما: أن المواعظ كالسياط، والسياط لا تؤلم بعد انقضائها، إيلامها وقت وقوعها.

والثاني: أنَّ حالة سماع المواعظ يكون الإنسان فيها مُزاحَ العلة ـ أي: أزيحت علته ـ قد تخلّى بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا، وأنصت بحضور قلبه، فإذا عاد إلى الشواغل اجتذبته بآفاتها، فكيف يصحُّ مع تلك الجواذب أن يبقى كما كان، وهذه حالة تعمُّ الخلقَ، إلا أن أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر، فمنهم من يعزم بلا تردد، ويمضي بغير التفات، فلو توقف بهم ركب الطبع لضجوا، كما قال حنظلة رضي الله عنه عن نفسه: «نافق حنظلة!».

---

(١) صيد الخاطر، ص٤٠٢.

(٢) المصدر السابق، ص١١.

ومنهم أقوام يميل بهم الطبع إلى الغفلة أحياناً، ويدعوهم ما تقدم من المواعظ إلى العمل أحياناً، فهم كالسنبلة تميلها الرياح.

وأقوام لا يؤثّر فيهم إلا بمقدار سماعه كماء دحرجته على صفوان».

٥ ـ تصوير بديع لأحد مجالس ابن الجوزي في الوعظ:

وإليك ما كتبه الرحالة محمد بن أحمد بن جبير في كتابه: (تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار)[١] حين مرّ ببغداد، واستمع إلى أبي الفرج ابن الجوزي في ثلاثة مجالس، يقول: «لو لم تكن تلك الرحلةُ ـ بعد حج بيت الله ـ إلا لمشاهدةِ مجلسٍ من مجالس ذلك العلامة لكانت صفقةً رابحةً، ووجهةً ناجحةً».

ويقول أيضاً: «ما كنّا نحسبُ أنّ متكلّماً في الدنيا يُعطَى من ملكة النفوس، والتلاعب بها ما أُعطي هذا الرجل، فسبحانَ مَنْ يخصُّ بالكمال من يشاء من عباده».

ثم كتب يصف المجلس الأول: «ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت. .مجلسَ الشيخ الفقيه الإمام الأوحد جمال الدين أبي الفضائل عبد الرحمن بن علي الجوزي بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي، وفي آخره على اتصالٍ من قصور الخليفة. . وهو يجلسُ به كلَّ يوم سبتٍ، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرٍو ولا زيد، وفي جوف الفَرَا كلُّ الصيد، آية الزمان، وقرة عين الإيمان، رئيسُ الحنبلية، والمخصوصُ في العلوم بالرُّتب العلية، إمامُ الجماعة، وفارسُ حلبة هذه الصناعة، والمشهودُ له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، ملكُ أزمّةِ الكلام في النظم والنثر، والغائصُ في بحر فكره على نفائس الدّر، فأما نظمُه فرضيٌّ[٢] الطباع، مهيارِيٌّ[٣] الانطباع، وأما نثرُهُ فيصدع بسحر البيان، ويعطّل المثل بقُسٍّ[٤] وسَحبان[٥]، ومن أعظم آياته، وأكبر معجزاته: أنّه يصعدُ المنبرَ،

---

(١) انظر: (تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار) المشهور برحلة ابن جبير، ص١٩٥ ـ ٢٠٠.

(٢) نسبة إلى الشاعر الشريف الرضي.

(٣) نسبة إلى الشاعر مهيار الديلمي.

(٤) قُس بن ساعدة الإيادي: خطيب جاهلي مشهور.

(٥) سحبان وائل: خطيب إسلامي مشهور.

ويبتدئ القُرَّاء بالقراءة وعددهم نيِّفٌ على العشرين قارئاً، فينزعُ الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسقٍ بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا، تلت طائفةٌ أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آياتٍ من سورٍ مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءةً، وقد أتوا بآيات مشتبهات، لا يكادُ المتقد الخاطر يحصّلُها عدداً، أو يسمّيها نسقاً.

فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريبُ الشأن في إيراد خطبته عَجِلاً مبتدِراً، وأفرغَ في أصداف الأسماع دُرراً، وانتظمَ أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فِقَراً، وأتى بها على نسقِ القراءةِ لها، لا مقدّماً ولا مؤخّراً، ثم أكمل الخطبة على قافيةِ آخرِ آيةٍ منها، فلو أنَّ أبرعَ مَنْ في مجلسِه تكلّف تسميةَ ما قرأ القراءُ به آيةً فآيةً على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً، ويورد الخطبةَ الغرّاء عجلاً ﴿أَتَسْحَرُهُمْ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]. فحدِّث ولا حرجَ عن البحر، وهيهات ليس الخَبرُ عنه كالخُبْر.

ثم إنه أتى بعد أن فرغَ من خطبته برقائق من الوعظ، وآياتٍ بيّناتٍ من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابتْ لها الأنفسُ احتراقاً، إلى أن علا الضجيجُ، وتردّدَ بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كلٌّ يلقي بناصيته بيده فيجزّها، ويمسحُ على رأسه داعياً له، ومنهم من يُغشَى عليه، فيُرفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأ النفوس إنابة وندامة، ويُذكّرها هولَ يوم القيامة، فلو لم تركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر، إلا لمشاهدة مجلسٍ من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقةُ الرابحةُ والوجهةُ المفلحةُ الناجحةُ، والحمد لله على أنْ مَنَّ بلقاء مَنْ تشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله. وفي أثناء ذلك يبتدرون المسائل، وتطير إليه الرقاع، فيجاوب أسرعَ من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضلُ بيد الله يؤتيه من يشاء، لا إله سواه».

خامساً: شهادة العلماء لابن الجوزي:

يقول ابن كثير في (البداية والنهاية): «فهو ـ أي: ابن الجوزي ـ أحدُ أفراد

العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمعَ المصنّفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمئة مصنف، وكتب بيده نحواً من مئتي مجلدة، وله في العلوم كلّها اليد الطولى، والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات ما يضيقُ هذا المكان عن تعدادها وحصر أفرادها»[1].

وقال الموفق عبد اللطيف في تأليف له[2]: «كان ابنُ الجوزي لطيفَ الصورة، حلوَ الشمائل، رخيمَ النغمة، لذيذَ المفاكهة، يحضر مجلسه مئة ألفٍ أو يزيدون، لا يضيّعُ من زمانه شيئاً، يكتبُ في اليوم أربع كراريس، وله في كل علم مشاركة، لكنّه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفّاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كاف، وأما السجع فله فيه ملكة قوية».

قال ابن خِلِّكَان في (وفيات الأعيان)[3]: «كان علاّمةَ عصره، وإمامَ وقته في الحديث وصناعة الوعظ، وصنّف في فنون عديدة».

قال أبو عبد الله الدّبيثي في تاريخه (الذيل، ص١٢٢ ـ ١٢٣): «شيخُنا جمال الدين صاحبُ التصانيف في فنون العلوم من التفسير، والفقه، والحديث، والتواريخ، وغير ذلك، وإليه انتهت معرفةُ الحديث وعلومه والوقوف على صحيحه من سقيمه، وكان من أحسنِ الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً... وأنشدني لنفسه:

يا سَاكِنَ الدُّنْيا تَأَمَّبْ ... وانْتَظِرْ يَوْمَ الفِرَاقِ
وَأَعِدَّ زَاداً لِلرَّحِيْلِ ... فَسَوْفَ يُحْدَى بِالْفِرَاقِ
وابْكِ الذُّنوبَ بِأَدْمُعٍ ... تِنْهَلُّ مِنْ سُحُبِ المآقي
يا مَنْ أَضَاعَ زَمَانَهُ ... أَرَضِيْتَ مَا يَفْنَى بِبَاقِ؟

وترجم له أبو الخير الجَزري في (غاية النهاية) فقال[4]: «الإمام الحافظ

---

(١) البداية والنهاية: ١٣/ ٣١.
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٧١.
(٣) الوفيات: ٣/ ١٤٠.
(٤) غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: ١/ ٣٧٥.

أبو الفرج شيخُ العراق، وإمامُ الآفاق، تلا بالعَشْرِ على أبي بكر محمد بن الحسين المرزوقي».

وفي (طبقات المفسرين)[1] للداوودي نجده يقول: «الإمام العلامة، حافظ العراق، وواعظ الآفاق، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير والفقه والوعظ والزهد والتاريخ والطب وغير ذلك».

وغير هؤلاء من العلماء كثير شهدوا، وإنما اكتفينا بالشعاع عن الشمس.

سادساً: مختارات من غُرَرِ الفاظِ ابن الجوزي[2]:

ـ عقارِبُ المنايا تلسَعُ، وخَدَراتُ جسمِ الآمال يمنعُ، وماءُ الحياةِ في إناءِ العُمْرِ يَرْشَحُ.

ـ يا أميرُ! اذكر عندَ القدرةِ عدلَ الله فيك، وعندَ العقوبةِ قدرةَ اللهِ عليك، ولا تشفِ غيظَك بسقمِ دينك.

ـ ومن أجوبته الحكيمة السديدة: أنَّ رجلاً ـ أيام ظهور الشيعة ـ سأله: أيُّهما أفضل: أبو بكر أو علي؟ فأجاب: «أفضلُهما مَنْ كانت ابنته تحته». والمعروف أنَّ السيدة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما أم المؤمنين وزوجة رسول الله ﷺ، والسيدة فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ وزوجة علي رضي الله عنه، وعلى هذا يفهم الجواب على الوجهين.

ـ وسأله رجلٌ مرةً: أيهما أفضل.. أُسَبِّح أو أستغفر؟ قال: «الثوبُ الوسخُ أحوجُ إلى الصابون من البخور».

ـ واستمع إلى تعليقه على الحديث الشريف: «أعمارُ أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلُّهم من يجوز ذلك»[3]. حيث يقول: «إنّما طالتْ أعمارُ الأوائل لطولِ البادية، فلمَّا شارفَ الركبُ بلدَ الإقامةِ قيل: حثّوا المطي».

---

(١) طبقات المفسرين، للداوودي: ١/ ٢٧٦.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٧١ ـ ٣٧٢.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٥٥) بسند حسن؛ وابن ماجه برقم (٤٢٣٦)؛ والخطيب البغدادي في تاريخه؛ وصححه ابن حبان (٢٤٦٧)؛ والحاكم: ٢/ ٤٢٧ ووافقه الذهبي.

- ومن حكمته في وعظه الكبراء، قوله: «يا أميرَ المؤمنين! إنْ تكلّمتُ خفتُ منك، وإن سكتُ خِفتُ عليك، وأنا أقدّم خوفي عليك على خوفي منك؛ فقولُ النّاصحِ: اتق الله، خيرٌ من قول القائل: أنتم أهل بيت مغفور لكم».

سابعاً: أشهر مؤلفات ابن الجوزي:

قال الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ)[1]: «ما علمتُ أحداً من العلماء صنّف ما صنف هذا الرجل - أي ابن الجوزي - ويكفي فيه ما نقله القفّي في (الكُنى والألقاب)[2]: أن بُراية أقلام ابن الجوزي التي كتب بها الحديثَ جُمعت فحصل منها شيءٌ كثير، وأوصى أن يسخَّنَ بها الماء الذي يُغسّل به بعد موته، ففُعل ذلك، فكفت وفضل منها».

وقال الحافظ ابن رجب في (ذيل طبقات الحنابلة) في ترجمة ابن الجوزي[3]: «لم يترك فنّاً من الفنون إلا وله فيه مصنّف، وسُئل عن عدد تآليفه فقال: زيادة على ثلاثمئة وأربعين مصنفاً، منها ما هو عشرون مجلداً؛ ومنها ما هو كراس واحد».

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: «سمعتُ جَدّي يقول على المنبر في آخر عمره: كتبتُ بأصبعيَّ هاتين ألفَ مجلّد».

وقد ألف الأستاذ عبد الحميد العلوجي كتاباً باسم (مؤلفات ابن الجوزي)، وعدد فيه أسماء مؤلفاته فبلغت (٥١٩) كتاباً، ما بين كبير في أكثر من عشر مجلدات، وصغير في صفحات. ومع ذلك فاته مؤلفات أخرى.. وإليك أخي القارئ تَبْتاً بأهمّ ما ألف صاحب (المدهش) من المطبوع فحسب:

١ - إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث.

٢ - أخبار الحمقى والمغفلين.

---

(١) ٤/١٣٤٤.

(٢) الكنى والألقاب، للقمي: ١/٢٤٢.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة: ١/٤١٢-٤١٣.

٣ ـ أخبار الظراف والمتماجنين.

٤ ـ أخبار النساء.

٥ ـ الأذكياء.

٦ ـ إعلام العالم بعدد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه.

٧ ـ بستان الواعظين.

٨ ـ تاريخ عمر بن الخطاب.

٩ ـ تقويم اللسان.

١٠ ـ تلبيس إبليس.

١١ ـ تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير.

١٢ ـ دفع شبه التشبيه والرد على المجسمة.

١٣ ـ تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث.

١٤ ـ صيد الخاطر.

١٥ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز.

١٦ ـ ذم الهوى.

١٧ ـ الوفا في فضائل المصطفى.

١٨ ـ مناقب عمر بن عبد العزيز.

١٩ ـ مناقب بغداد.

٢٠ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

٢١ ـ صفة الصفوة.

٢٢ ـ زاد المسير في علم التفسير.

٢٣ ـ (المدهش) وهو كتابنا هذا الذي بين يديك.

٢٤ ـ كتاب القرامطة.

ثامناً: وفاته:

لعل شهادة جنازته تقوم وحدها في التدليل على ما ترك في الناس من بصمات، إنّه مرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين، الثالث عشر من رمضان سنة (٥٩٧هـ) في داره بقطُفْتا، وحضر غسله الشيخ ابن سُكينة وقت السحر، وغلّقت الأسواقُ يومها، واجتمع خلق كثير في جنازته، وصلّى عليه ابنه أبو القاسم علي، لأنَّ الأعيان لم يقدروا على الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور، فصلوا عليه.

وكان يوماً مشهوداً، لم تصل الجنازةُ إلى حفرتها بمقبرة الإمام أحمد إلى وقت صلاة الجمعة، وكان رمضان وقتها في تموز ـ وهو شهر حار ـ فأفطر خلق من شدة الظمأ، ورمى كثيرون أنفسهم في الماء طلباً للتبرد، وأُنزل في الحفرة والمؤذن يقول: الله أكبر، وحزن عليه الخلق، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون القرآن، وقد رآه ـ في النوم ـ تلك الليلة المحدّث أحمد سليمان السُّكّر، وهو على منبر من ياقوت، وهو جالس في مقعد صدق، والملائكة بين يديه.

هذا وقد أوصى ابن الجوزي أن يكتب على قبره:

يـــا كثيـــرَ العَفْـــوِ عَمَّـــنْ ... كَثُـــرَ الـــذَّنْـــبُ لَـــدَيْـــهِ
جـاءكَ المُـذْنِبُ يَـرْجـو الصَّـ ... ـفْـحَ عَـنْ جُـرْمٍ يَـدَيْـهِ
أنـــا ضَيْـــفٌ وجَـــزاءُ الضَّـ ... ـيـــفِ إحْســـانٌ إليـــهِ[1]

* * *

(١) سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٧٩ـ ٣٨٠.

تعريفٌ عام بكتاب المدهش

سنبيّنُ تحتَ هذا العنوان الموضوعَ الذي عالجه هذا الكتاب، وتحقيق نسبته إلى مؤلفه ابن الجوزي، وكذلك قيمة الكتاب، وأهميته، وأشهر العلماء الذين نقلوا عن الكتاب دون الإشارة إلى ذلك، مع إبراز بعض العبارات الرائقة الممتعة البليغة في هذا الكتاب.

أولاً: موضوع الكتاب:

الموضوع الذي يعالجه كتاب (المدهش) هو الوعظ والتذكير، وتنشيطُ الهمة للاستعداد للدار الآخرة، واستغلالُ الأوقاتِ والأعمارِ، وعدم الاغترار بالدنيا الفانية.

ولما للموعظةِ من أهمية وأثرٍ، فقد كان النبيُّ ﷺ يتعهّدُ بها أصحابَه بين الفينة والأخرى، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ يتخوّلنا بالموعظةِ في الأيام كراهةَ السآمة علينا[1].

ويشاء الله سبحانه وتعالى أن يقيمَ على كلِّ قلبٍ أسلم له واعظاً يسدّدُ خطواته، إذ قد جاء عنه ﷺ أنه قال: «وعلى رأسِ الصراطِ واعظُ اللهِ في قلبِ كلِّ مسلم»[2].

وواعظُه هنا حججه التي تنهاه عن الدخول فيما منعه الله منه، وحرّمه عليه، كذلك البصائر التي جعلها فيه، وهذه وتلك تحرّكها موعظةُ الواعظين، ويكفي في بيان أثر الموعظة في النفس ما قيل: «السعيدُ من وُعِظَ بغيره، والشقيُّ من اتعظَ به غيرُه».

وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية يتبيَّنُ أنَّ الوعظ والموعظة هما النصح والتذكير بالعواقب، قال (ابن سِيدَهْ) يُحدّدُ معنى الوعظ: «هو تذكيرك الإنسانَ بما

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم (١١)، ودعوات (٦٩)؛ ومسلم في كتاب المنافقين (٨٢)؛ والترمذي في كتاب الأدب (٧٢)؛ والإمام أحمد: ١/ ٣٧٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده؛ والحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي.

يُلَيِّنُ قلبَه من ثوابٍ وعقابٍ».

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. جاء هذا في سياقِ بيان حرمة الربا.

وقالوا: «الوعظُ: زجرٌ مقترنٌ بتخويفٍ».

وقال الخليل: «هو التذكير بالخير فيما يرقُّ له القلب.

والعظةُ مصدر وَعَظَ، والاسم منه الموعظة.

ويلاحظُ أثرُ الموعظة إذا تلقتها النفوس تلقياً صحيحاً في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال سبحانه وتعالى بعدما أمر بالسير في الأرض والتعرّف إلى سنن اجتماعية وعواقب ترتبت على التكذيب: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وقد جاءت المواعظ حشو التوراة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الاعراف: ١٤٥].

على أنَّ مساحةً واسعةً في الكتاب تناول فيها المؤلِّفُ بعضاً من علوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، والسيرة النبوية، واللغة، وغرائبَ من عيون التاريخ، مع تركيزه على الجانب الوعظيِّ فيما عرضَ من قصص.

ثانياً: توثيق نسبة الكتاب لابن الجوزي:

إنَّ نسبةَ الكتاب ثابتةٌ لابن الجوزيِّ رحمه الله، وذلك من خلال الرجوع إلى المصادر المعتمدة التي ذكرت المدهشَ من مؤلفاته، وهناك عِدَّةُ تسميات أطلقت على هذا الكتاب، لكنّها كلُّها اتفقت على كلمة المدهش، واختلفت في بعض الزيادات المضافة إليها. فالعلماء الذين أطلقوا عليه (كتاب المدهش) فقط دون زيادةٍ هم: الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ): ٤/ ١٣٦، و(سير أعلام النبلاء): ٢/ ٣٦٨، وابن رجب البغدادي في كتابه (الذيل على طبقات الحنابلة): ١/ ٤١٧، وسبط ابن الجوزي في كتابه (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان): ٨/ ٤٨٨، وبروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي): ١/ ٦٦١ـ٦٦٦ تحت رقم (١٠٦).

وذُكِرَ أحياناً باسم (المدهش في المحاضرات) كما في (كشف الظنون عن

أسماء الكتب والفنون) لحاجي خليفة: ٢/ ١٦٤٥، وكذا في كتاب (هدية العارفين): ٥/ ٥٢٠. كما ذكر باسم (المدهش في الوقائع العجيبة) وهذا في كتاب (روضات الجنات) للخوارنساري: ٣/ ٤٢٧. وفي أحيانٍ أخرى ذكر باسم (المدهش في المواعظ وغرائب الأخبار)، وهذا في كتاب (الأعلام) للزركلي: ٣/ ٥٢٠.

ثالثاً: أشهر العلماء الذين نقلوا عن (المدهش):

نظراً للمكانةِ المرموقةِ التي احتلّها كتابُ (المدهش)، فقد اعتنى به العلماء المتقدمون عنايةً كبيرةً، وأدلُّ دليلٍ على ذلك النقولاتُ الكثيرةُ التي تضمنتها كتبهم منه، إما نقلاً كاملاً بكلماته وحروفه، أو اقتباساً لبعض كلماته محاكاةً لأسلوبه.

وقبل أن نستعرض بعضَ الكتب التي نقلت عن (المدهش) لابدَّ أن نذكرَ أمراً هو من الأهمية بمكان، وهو أنَّ عادةَ العلماء المتقدمين النقلُ من كتبٍ غيرِ كتبهم، دونَ الإشارةِ إلى المصدر الذي أخذوا عنه، وهذا لا يؤثِّرُ في أمانتهم العلمية، لأنَّ نظامَ الجمع والتأليف يختلِفُ من زمانٍ لآخر، وخاصّةً إذا علمنا أن نقلهم كان عن علماء قد عُرفوا بأسلوبهم المميَّز في الفصاحة والبلاغة، وشهرة أصحاب هذه العبارات تُغني عن ذكر أسمائهم عندما تتمُّ عمليةُ النقل من كتبهم.

ولعلَّ أشهرَ منْ نقلَ عن كتاب (المدهش) ـ حسب علمنا ـ الإمام ابن قيم الجوزية في كتابيه (الفوائد) و(بدائع الفوائد)، وكذلك الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه (لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف).

وإليك عرضاً لأهم المواضع التي ذكرت فيها عباراتٌ منقولةٌ عن كتاب (المدهش):

● في كتاب (بدائع الفوائد): ٣/ ٢٢٣ ـ ٢٣٩ تحت عنوان: (فصل: حكم ومواعظ وعبر)؛ تكاد تكونُ جميع هذه الصفحات مأخوذة بجملتها من كتاب (المدهش) مع تقديم وتأخير، وإليك بعض الأمثلة لما ذكر فيه:

ـ في ص٢٢٣: «ليس العجبُ من أمرِ الخليلِ بذبح الولدِ، وإنَّما العجبُ من مباشرةِ الذبحِ بيدِه»، وهو في نهاية الفصل السابع في قِصّةِ الذبيح بحروفه من (المدهش).

- وفي ص٢٢٤ : «لمّا تمكّنَ الحسدُ من قلوب إخوة يوسف أُري المظلومُ مآلَ الظالم في مرآه : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ [يوسف : ٤]»، وهو مذكورٌ في الفصل العاشر في قصة يوسف عليه السلام.

- وفي ص٢٢٤ : «مَنْ أدلجَ في غياهبِ الليلِ على نجائبِ الصَّبْرِ صبَّحَ مَنزِلَ السرورِ، ومن نامَ على فراشِ الكَسَلِ أصبحَ ملقًى بوادي الأسفِ . .

ما حظيَ الدِّينارُ بنقشِ اسمِ الملكِ فيه، حتى صبرت سبيكتُه على الترادِ إلى النارِ . .»، هكذا بحروفِه في الفصل الخامس من المواعظ.

- وفي ص٢٢٥ : «الحيوانُ البهيمُ يتأمّلُ العواقبَ، وأنت لا ترى إلا الحاضرَ، ما تكادُ تهتمُّ بمؤونة الشتاءِ حتى يقوى البردُ . .»، بحروفِه من الفصل السادس من المواعظ.

- وفي ص٢٢٨ : «حِرْصُ العصفورِ يخنقه، وقنع العنكبوت في زاوية الضعف يسوقُ إليها الذبابَ قوتاً لها، ربَّ ساعٍ لقاعدٍ . .»، بحروفه من الفصل التاسع والثمانين.

- في ص٢٢٩ : «فُقْلُ قليكَ روميّ، ما يقع عليه فَشٌّ، متى خامر من جنود عزمك عليك واحد لم تأمن قلبَ الهزيمةِ عليكَ . .»، بحروفه من الفصل السابع والثمانين.

- في ص٢٣٣ : «فتّش على القلب الضائع قبل الشروع، فحضورُ القلبِ أولُ منزلٍ من منازلِ الصلاةِ، فإذا نزلتَه انتقلتَ إلى بادية المعنى»، من الفصل الحادي والثمانين.

- في ص٢٣٤ : «يا حاضرين معنا بنيّةِ النُّزهةِ لستم معنا، عودوا إلى أوكارِ الكسلِ، فالحربُ طعنٌ وضربٌ، ويا مودعين ارجعوا فقد عبرنا العذيب . .»، من الفصل التاسع والسبعين.

- في ص٢٣٥ : «إذا لم تخلص فلا تتعب، لا تَحْدُ وما لكَ بعيرٌ . . شجرة الصنوبر تثمرُ في ثلاثين سنة، وشجرة الدَّبّاء تصعد في أسبوعين . .»، من الفصل الثالث والسبعين.

● وفي كتاب (الفوائد) من الصفحات (٣٦ إلى ٥١)، وإليك بعض الأمثلة:

ـ في ص٣٦: «هبّت عواصفُ الأقدار في بيداءِ الأكوان، فتقلّبَ الوجودُ وعمَّ الخيرُ، فلما ركدتِ الريحُ إذا أبو طالب غريقٌ في لُجّةِ الهلاك، وسلمانُ على ساحلِ السلامة..»، بحروفه من الفصل التاسع عشر من المواعظ.

ـ وفي ص٤٥: «كان ذو البجادين يتيماً في الصغر، فكفله عمُّه، فنازعتْهُ نفسُه إلى اتباع الرسول ﷺ، فهمّ بالنهوضِ، فإذا بقيةُ المرضِ مانعةٌ..»، كذا بحروفه من الفصل العاشر من المواعظ.

ـ وفي ص٥١: «كن من أبناءِ الآخرة، ولا تكنْ من أبناء الدنيا، فإنَّ الولدَ يتبعُ الأم»، «الدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها، فكيف تعدو خلفها..»، من الفصل الحادي والثلاثين.

● وفي كتاب (لطائف المعارف) لابن رجب، نجد مقتطفات من كتاب المدهش في الصفحات التالية:

(٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٨٧، ٣١٠، ٣٧٦) وإليك بعض الأمثلة:

ـ في ص٢٦١: «سلامُ اللهِ على تلك الأرواح، رحمةُ اللهِ على تلك الأشباح، ما مثلنا ومثلهم..»، من الفصل الثالث والستين.

ـ وفي ص٣٧٦: «التوبةَ التوبةَ قبل أن يصلَ إليكم من الموتِ النوبة، فيحصلِ المفرّط على الندم والخيبة. والإنابةَ الإنابةَ قبل غلْقِ باب الإجابة. والإفاقةَ الإفاقةَ فقد قرب وقت الفاقة»، بحروفه من الفصل الرابع والعشرين من المواعظ.

رابعاً: عرض نماذج لبعض العبارات الرائقة في (المدهش):

وقد اخترنا لك من رائقِ عباراته، وناصعِ أسلوبه، وما يدلُّ على قُدرتِه الفائقة على التعبير البليغ، والتصوير الدقيق الشرود، والغوص الماهر الذكي على

العلاقات الخفية بين المباني والمعاني، والرمز والمرموز إليه، والخبرة الحصيفة بتاريخ الكلمة وتوظيفاتها، اخترنا العبارات الآتية التي لا تشعر معها بفارق الزمن بينك وبين كاتبها، فكأنه بأسلوبه يكتب الآن، وبأرقى ما تكون الكتابة، ولا ننكر أننا وجدنا بعض عباراته قد غلب عليها التصنُّع، مما أفقدها رواءها وتأثيرها، وإن كانت لا تُخرج أسلوبه بعامة عن التأنق والتألق لقلتها وغلبته.

قال: «كلامي نهرٌ يأخذ من بحر الكتاب والسُّنَّة، صافٍ ما تغيّر قط، يسقي قلوبكم سيحاً بلا كلف، وقد قنع من الخراج بالدعاء» يرصد متاهله العذبة وحرصه على صفاء ما يأخذ، لا تشوبه شوائب النفس، ولا تكدره تلوثات الأهواء، ثم لا يبتغي من ذلك أجراً إلا من الله تعالى.

وقال: «هل في مجلسي نقص؟ فيقال: لو أنه. أو عيب؟ فيقال: إلا أنه. أوَرأيتم مثله؟» فيقال: كأنه. آهٍ لو كان من أعجمي، ولكنه أبلغ بلفظي منزل المعنى، وما طال سفر العبارة، المعاني واسعة الفيافي، والألفاظ ضيقة العِراص، وما يقدر على حشو العرصة فوق ما تسع إلا مهندس لآلئ».

ألا ترى فيما قال افتخاراً بالقدرة على التعبير القريب، والمعنى الكبير، وهذا من أهم أدوات الوعظ؛ قال: «إذا مرضت الأفهام السليمة من وباء طعام العبارات الركيكة عملَ لفظي في شفائها، ولا رُقَى الهند، كَلِمٌ تُداوي كلَّ كَلْم، ظلمٌ قياسها بعذوبة الظَّلْم، وجواهر كلها يتيم، توجد مفقودةَ المثال».

ويرى تفوّقه في هذا الميدان فيقول: «تجنب الغائصون عنها عجزاً، وجاشت بحارُها لي».

ويرصد أثر الموعظة الصادقة فيقول: «لوّح للقوم فأجابوا، وكرر الصياح بك وما تلفتَّ، إذا سمعوا موعظةً غرست في قلوبهم نخيل العزائم».

وبيّن أثر سلوك الواعظ في تأثير كلامه فقال: إذا صدر العلمُ من عاملٍ به كان كالعربية ينطق بها البدوي .. جمعتُ بين الكتاب والسُّنَّة ففتحا لي هذه المعاني، فهي تنادي السامعين: «ولدت من نكاح لا من سفاح»[1].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، والطبراني في الأوسط؛ والبيهقي في الدلائل؛ وابن سعد في الطبقات بلفظ: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح».

إن ابن الجوزي كان طِبّاً بالقلوب، خبيراً بالنفوس وحاجاتها يقول: «أنا طبيبٌ لبيبٌ، أمزجُ التحذير بالتشويق للعاملين، وأجعل كأسَ التخويف صِرْفاً للغافلين، وأجتهُد في التلطّف جهدي بالعارفين». كأنه يقول: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠]، والساقي أعظم.

ثم يقول: «وا عجباً لألفاظي وعملها، بطل السحر عندها، كل المذكورين رجّالة وأنا فارس، أخرج إلى المعاني في كمين فأصيدها لا بأحبولة، إذا حضرتُ ملكتُ العيونَ، وإذا غبتُ استرهنتُ القلوبَ».

إنّه يرى مدى تأثير كلامه وحاله في الناس، حيث جعلوا قلوبهم عنده رهائن، إذا غاب ينتظرون منه الإياب، ويذرفون الدموع إذا وعظ، ويعود ليرصدَ آثار الوعظ المخلص فيقول: «إذا هبّتْ رياحُ المواعظ أثارتْ من قلوب المتيقظين غَيْمَ الغمِّ على ما سلف، وساقت إلى بلدِ الطبع المنحرف برعدِ الوعيدِ، وبرقِ الخشيةِ، فترقى دموعُ الأحزان من بحر قعر القلب إلى أوج الرأس، فتسيلُ في ميازيب الشؤون على سطوح الوجناتِ، فإذا أعشبَ السرُّ، اهتزّ فرحاً بالإنابة». . هل سمعت بمثل هذا التغلغل في حركة النفس، وهي تتلقى إشعاعات التوجيه ونبضات الإرشاد، وترفعُ لها مصابيح الدلالة.

ولايغفِلُ ابنُ الجوزي آفاقاً أخرى من التعلق بالله تعالى سوى الإنابة والخشية والرغبة والرهبة فيقول: «قال ذو النون: لقيتُ امرأةً متعبّدةً، فوعظتني فبكيتُ، فقالت: لم تبكي؟ قلتُ لها: أو العارف لا يبكي؟ قالت: إذا بكى استراحَ، ولا راحةَ للمؤمنِ دونَ لقاءِ ربِّه».

* * *

السبب في إعادة طبع الكتاب

طبع كتاب (المدهش) لأول مرة في بغداد بمطبعة الآداب عام (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م) بعنوان (المدهش في علوم القرآن والحديث واللغة والتاريخ والوعظ) بعناية الشيخ محمد السماوي، ثم أعيد تصوير هذه الطبعة في بيروت بالمؤسسة العالمية عام (١٩٧٣م)، ثم طبع مرة ثانية بدار الكتب العلمية حيث ضبطه وصححه وعلّق عليه الدكتور مروان قباني، وقد اعتمد على الطبعة البغدادية.

إلا أن هاتين الطبعتين قد حُشيتا أخطاءً وتحريفاً، مما لا يتناسب مع نفاسة الكتاب وتألُّقه، وطرافة ما زخر به من فوائد. ولو اقتصر الأمرُ على الأخطاء لكان بالإمكان أن يلحق بالكتاب جدولٌ يضمّ إليه، يستطيع القارئ على ضوئه تصويبها، لكنْ ما حلَّ به من تحريف رهيبٍ جعلَ من المستحيل الاستفادة منه على ما هو عليه، إنّه تحريفٌ لا ندري لكثرته ما سببه؟! وكأن الذي تولّى طباعته أبى إلا أن يسلخَ الكتابَ عن صاحبه سلخاً، لم يبق له فيه منه إلا اسمه، تحريف باتت فيه كثير من العبارات طلاسم، لايفهمها أمهرُ القرّاء، وقد ترك هذا التحريفُ بصماتِ الإهمالِ والإعراضِ عن الكتاب، إذ كيف يُقبل القارئ على كتابٍ فيه هذا الكمُّ من الالتواءات في العبارات، وفاضَ من ثنايا سطوره غموضٌ غطّى وجه كثيرٍ من معانيه، فبدا مشوّهاً مهشّماً، كأنما مسّه زلزال، ولم يبق منه إلا ذماء، وبقية روحه.

تلك دعتنا إلى أن نعيدَ طباعته محققاً، ونكشفَ تلك الغُمة عن وجهه الذي لا يزال وضاءً في مخطوطته، فلبينا الدعوة، وشمّرنا له زمناً ليس بالقصير، حتى خرجَ على هذه الصورة التي يراها القارئ الكريم.

إننا حين أقبلنا على قراءة المطبوع، ووجدنا هذا الكمّ الهائل من الأخطاء الصارخة، التي لا نستطيع بسببها الوصول إلى معانيها ولو بتأويلٍ، وشدَّنا موضوع الكتاب بجاذبيةٍ نبضتْ بها معانيه، وتألّقت مبانيه، والتي لمسناها مِنْ عموم الكتاب، واعترضتنا عباراتٌ منه عرجاء عوجاء، وجمل كثيرة استغلقت

على الفهم، حتى كِدْنا نتَّهم المؤلِّفَ على جلالةِ قدره مضطرين، لولا وقوفنا على مخطوطتين للكتاب، فدفعنا ذلك إلى إعادة قراءة الكتاب ومطابقته مع ما جاء في المخطوطتين.

أولاً: منهج التحقيق والخطوات التي سلكناها لإخراج الكتاب:

١ ـ قمنا بمطابقة ما جاء في الكتاب المطبوع ـ في طبعتيه المعروضتين في السوق ـ مع المخطوطتين، فوقفنا على مدى ما في المطبوع من أخطاء ونواقص ومباينات، فتتبعناها حتى بلغنا بالكتاب ما نرجو له من سلامةٍ تليقُ بروعةِ مضمونه، ونفاسةِ معانيه، ودقة تعابيره.

٢ ـ أشرنا للنسخة الأولى ـ وهي الأقدم ـ بالرمز (أ) وجعلناها الأصل والعمدة، والثانية أشرنا لها بالرمز (ب)؛ فأيّ زيادة وجدناها في النسخة الثانية (ب) قمنا بإثباتها في السياق ضمن معكوفتين [ ]، أما الاختلاف بين النسختين فأشرنا له في هامش الكتاب.

٣ ـ بيَّنا موقع الآيات القرآنية من سورها، وذلك ليتمكن القارئ من الرجوع إليها، خاصة وأنَّ من خصائص أسلوب ابن الجوزي في كتابه، التوظيفَ الدقيقَ للآيات، والإشارة إلى المعنى غالباً عبر كلمة من آية ما، وأحياناً أكثر من كلمة، تركيزاً على موطن الشاهد، وإبرازاً للمعنى المشار إليه فيها.

٤ ـ خَرَّجْنا الأحاديث الشريفة بصورة شاملةٍ إلا ما لم نقف له على أصل، وذلك بعد الرجوع إلى كثيرٍ من المصادر والموسوعات الحديثية والفهارس، وقد رصدنا من خلال ذلك بعض أحاديث ضعيفة أوردها ابن الجوزي، وهذا لا يضرُّ بقيمةِ الكتاب ومكانته، ذلك لأن (المدهش) كتابُ وعظٍ وتذكيرٍ، وإيقاظٍ وحفزٍ، ومعلومٌ أنَّ العلماء قد تساهلوا في الوعظ بإيراد أمثالها، ولم يشترطوا فيها أن تكون قد استكملت شروط الصحةِ التي لا بد منها فيما يتعلّق بالحلال والحرام والعقيدة.

٥ ـ قمنا بالتعليق على ما أورده المؤلف من أخبار تتعلّقُ بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مما سمّاه علماؤنا: الإسرائيليات، وبيَّنَّا أنها تتعارض مع العقيدة الراسخة في النبوات وعالم الملائكة، ومثال ذلك: ما أورده في حقِّ

سيدنا داود وأيوب ويوسف عليهم السلام، وكذلك هاروت وماروت.

٦ ـ ضبطنا الأشعار ضبطاً يعينُ القارئ العادي على القراءة السليمة، ورجعنا إلى كثير من الدواوين الشعرية الميسرة، واعتمدنا الموسوعة الشعرية المبرمجة على قرص حاسوبي للتحقق مما ورد من أشعار زخر بها الكتاب، والإشارة إلى مواطنها من تلك الدواوين ما أمكننا ذلك.

٧ ـ لم نكتفِ بضبط الأشعار الواردة في الكتاب، بل قمنا بضبط غالب كلمات الكتاب، وقد وجدنا ذلك ضرورياً، خاصة في كتابٍ يعتبَرُ مُعجماً لغوياً ثرّاً، وخزانةً نصوصٍ شعريةٍ ونثريةٍ، ومناهلَ لمعانٍ لِبست في صورتها الحسية ألواناً من البلاغة، وكان الجناس السِّمةَ البارزةَ فيها، ومعلومٌ أنَّ الضبطَ فيه أمر ضروريٌّ، ليفرِّق القارئ بين المعاني في كلمات اتفقت في أشكال حروفها، واختلفت في معانيها بسبب حركةٍ في حرف من حروفها.

٨ ـ حاولنا إضاءة بعض العبارات بعد أن شرحنا الكلمات الغريبة أو التي ألغز بها المؤلف، وذلك ليكونَ القارئ على بصيرة من مغزاها. وقد أحجمنا عن شرح عبارات جاءت ومضاً فيها إشارات لطيفة تدركها بأدنى ملامسة الروحُ الشفيفة، إذ وجدنا أنَّ أيَّ توضيح لمعناها إغماضٌ، وأيُّ تعليقٍ عليها تحجيمٌ، فاحترمنا قدرةَ القارئ على التفاعل العميق معها، فتركناها تأخذُ سبيلَها إليه دون الحاجة لدهاليز التعليقات.

٩ ـ وضعنا علامات الترقيم التي تساعد القارئ على فهم العبارات والوقوف الصحيح عند نهايات الجمل.

١٠ ـ إنَّ الكتاب قد عبق بأسماء صالحينَ وصالحات، فكانوا مادّةً ثرّةً فيه، ووقعت لفتات بين الحين والآخر، تطلّبت تبصراً بصاحبها وبالموقف، وهذا تطلَّب منا أن نعكفَ على جلِّ الشخصيات التي ورد ذكرُها في الكتاب، وقد قام أخونا (نور الدين البوريني) فجمع تراجمَ الكثيرين منها في موضع واحد، ورتبها ترتيباً ألف بائيّاً، وألحقناها بالكتاب، وذلك لئلا تضيع في ثناياه، وليسهل التعرفُ عليها، ولنقف على مدى ما أحاط به المؤلف من سير الصالحين، فكانت مادة أساسية لوعظه، كيف لا؟ وهو الذي ألّف كتاب (صِفَة الصفوة) بعدما حفظ كتاب

(حلية الأولياء) لأبي نُعيم، وأتقنَ ما فيه، فكان مَنْجَماً لهذه السير، وبحراً لأصداف لآلئه، وقد أبى بإذْلُ هذا الجهد جزاه الله كل خير ـ إلا أن يحلّي ما يتصل بالشخصية المترجَم لها بما له صلة واشجة بالكتاب وعظاً وتبصيراً بالسلوك الراشد الرباني، فتكون التراجم على هذا كتاباً متصلاً منفصلاً يجلّي أنماطاً من السلوك ومناراتٍ على طريق الهدى.

وحرصنا على ضبط الأعلام في الكتاب احتراماً لأسمائهم أن تحرّفَها الألسنةُ، خاصةً أسماء أولئك الذين شهدوا أول معركة فاصلة بين التوحيد والشرك، والإسلام والجاهلية: معركة بدر الكبرى، والذين شهدت لهم النبوّةُ بالجنة وسعادة الأبد.

ثانياً: وصف المخطوطتين:

عندما عزمنا على إعادة طبع هذا الكتاب، حاولنا البحث عن مخطوطة له، فلم نجد سوى مخطوطة واحدة في مركز (جمعة الماجد للثقافة والتراث)، وعندما اطلعنا عليها وجدناها ناقصة في كثير من فصول الكتاب، بالإضافة إلى رداءة خطها، وعدم وضوحه، والاعتراه الكبير الذي أصاب جوانبها، فأثّر في كثير من كلماتها فطمسها، فأعرضنا عنها.

عند ذلك قررنا قراءة الكتاب المطبوع لتصحيح ما أمكن من الأخطاء، وفك التراكيب الغامضة المبهمة فيه، ووضع علامات الترقيم المناسبة بين جمله، وبعد أن فرغنا من قراءته تماماً إذا بنا نفاجأ ببشرى سارة من قبل القائمين على مركز (جمعة الماجد للثقافة والتراث) جزاهم الله كلَّ خير أنهم استطاعوا الحصول على مخطوطتين لكتاب (المدهش)، ثم تكرّموا علينا مأجورين بنسخة مصورة عن كلٍّ مخطوطة.

وإليك أخي القارئ وصف هاتين المخطوطتين اللتين قمنا بالمطابقة عليهما:

١ ـ النسخة الأولى ـ والمرموز لها بالرمز (أ):

نسخة مصوّرة عن أصل محفوظ في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم (٣٣١٥/ أدب ٥٧٠).

بدأت بـ (قال شيخُ الأمة، وعلمُ الأئمة، ناصرُ السنة فخر الإسلام، جمالُ الدين وزينُ الأنام، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي: الحمدُ لله الذي لا منتهى لعطاياه ومِنحِه، حمداً يقوم بالواجبِ من شكره ومِدَحِهِ..

أما بعدُ: فإني قمتُ بحمدِ الله في عِلْمِ الوعظ بأصحه وأملحه..). وختمت بالفصل المنة المنتهي بأبيات من الشعر آخرها:

قُـلْ لـذِي الألْبَـابِ أهْـلِ التُّقَـى قنطـرةُ العَـرْضِ لَكُـمْ مَـوْعِـدُ

وانتهت بقوله: (تم كتاب المدهش بحمد الله وعونه وصلواته على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ، وكان الفراغ من نسخها في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول سنة ٧٤٩هـ). عدد صفحاتها (٤١٧) صفحة، بمعدل (١٩) سطراً في كل صفحة).

ملاحظات حول النسخة:

١ ـ كُتبت النسخةُ بخط نسخي متوسط الجودة.

٢ ـ عليها عددٌ من التملّكات: تملُّكُ باسم عبد السلام بن برهان بن أحمد ابن برهان بن أحمد الحراكي الحسيني الشافعي القادري المعرّي، وآخر باسم عبد الباقي الجزائري الحسني، وباسم أحمد بن حيدر بن محمد الحنفي الحلبي، وباسم البرهان بن البرهان الحسيني.

٣ ـ ومطالعة باسم إبراهيم جاويش.

٤ ـ نسخة جيدة تنقص من الآخر عدةَ ورقات، حيث شمل النقص الفصولَ الثلاثة الأخيرة بعد المنة والخاتمة.

٥ ـ فيها بعض التصحيحات القليلة.

٢ ـ النسخة الثانية ـ المرموز لها بالرمز (ب):

نسخة مصورة عن أصل محفوظ في دار الكتب الظاهرية برقم (٧٠٥٢/ أدب).

كتبت في أواخر شهر ربيع الثاني سنة (١١٤٢هـ)، والناسخ: مصطفى بن

بكتـاش، وفيها زيادة ثلاثة فصول بعد المئة، حيث قال في تمام المئة: «ولما أتممتُ المئة التي ضمّنتُها رأيتُ الثلاثةَ الأُوَل كالخارج عن الوعظيات، لمشابهتها القصص، فعزمت هاهنا ثلاثة عوضها لتخلص مئة وعظية، والله الموفق».

وقال في آخرها: «فرغ منه ناظمه يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وخمسمئة، حامداً الله تعالى ومصلياً على رسوله ﷺ».

ملاحظات حول النسخة:

١ ـ كتبت النسخةُ بخط نسخي جميل وواضح.

٢ ـ نسخة مصححة ومراجعة، مع تعليقات تضمنت لبعض كلماتها.

٣ ـ عدد ورقاتها (١٨٨) ورقة، أي (٣٧٦) صفحة، بمعدل (٢٩) سطراً في كل صفحة.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الامة • وعلم الايمة • ناصر السنة • نجم الاسلام
جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على
ابن حمادى بن الجوزى [illegible] الحمد لله الذى
لامنتهى لعطاياه ومن[illegible] • حمدا نقوم [illegible] الواجب من شكره •
ومدحه • وصلى الله على اشرف نبي وانصحه • وعلى
اصحابه وازواجه ما استن طرف فى مرحم اما بعد
فانى قمت بحمد الله فى علم الوعظ باصحه واملحه •
وآثرت ان انتقى فى هذا الكتاب من ملحه • والله
الموفق فى كل عمل لاصلحه • وقد قسمته خمسة ابواب
الباب ــــ الاول فى ذكر علوم القران العزيز
الباب ــــ الثانى فى تعريف اللغة وموافقة القران لها
الباب ــــ الثالث فى علوم الحديث الباب ــــ
الرابع فى عيون التواريخ الباب ــــ الخامس فى ذكر
الوعظ وهذا الباب ينقسم قسمين قسم نذكر فيه
القصص وقسم نذكر فيه المواعظ مطلقا والله الموفق

واصلحه

الباب

الصفحة الأولى من النسخة (أ) وهي الأصل المعتمد

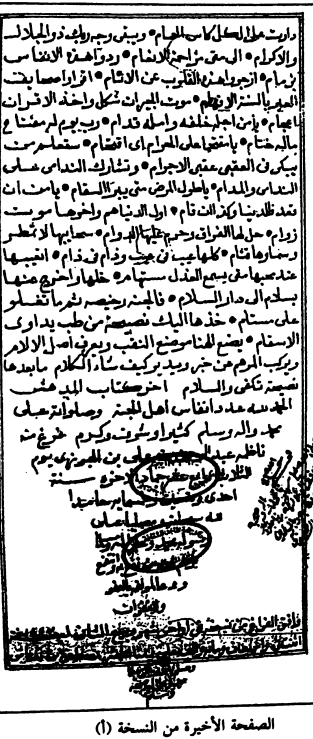

الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

قال شيخ الامة وعلم الائمة ناصر السنة جمال الدين فخر الاسلام زين الانام ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي قدس الله روحه ونور ضريحه: الحمد لله الذي لا تنتهي عطاياه ومنحه حمدا يوفي بالواجب من شكره ومدحه، وصلى الله على اشرف نبي وافصحه وعلى اله واصحابه وازواجه ما استطرف في مرحه، اما بعد فاني قد تبحرت بحمد الله في علم الوعظ بتمحيصه والحجه، وآثرت ان انتقي لهذا الكتاب من ملحه، والله الموفق لكل عمل اصلحه، وقد قسمته خمسة ابواب،

في

الباب الاول

ذكر غ

في علوم القرآن وبيانه،

الباب الثاني

في تفسير اللغة وسوابق القرآن فيها

الباب الثالث

في علوم الحديث

الباب الرابع

في عيون التواريخ

الباب الخامس

في ذكر المواعظ،

وهذا الباب ينقسم قسمين: قسم فيه ذكر القصص، وقسم فيه المواعظ خالصا، والله الموفق.

الصفحة الأولى من النسخة (ب)

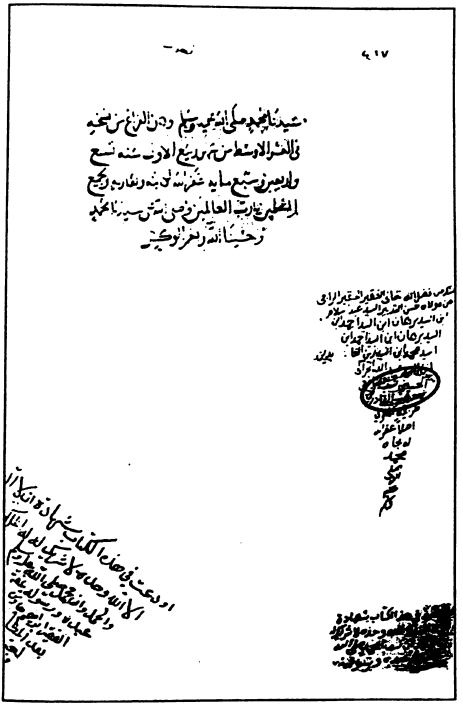

الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

كتاب المدهش
لابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

[ربي يسّر يا كريم][1]

قال شيخ الأمة، وعلمُ الأئمة، ناصرُ السنة، [نجمُ الإسلام][2]، جمال الدين زينُ الأنام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن حمادي ابن الجوزي، رحمه الله تعالى:

الحمدُ للهِ الذي لا منتهى لعطاياه ومِنَحِه، حمداً يقوم بالواجب من شكره ومدحه، وصلى الله على أشرف نبي وأنصحِه، وعلى أصحابه وعلى آله وأزواجِه ما استنَّ[3] طِرْفٌ[4] في مَرَجِه[5].

أما بعدُ: فإني قمتُ بحمدِ الله في عِلْمِ الوعظ بأصحِّه وأملحِه، وآثرت أن أنتقي في هذا الكتاب من مُلَحِه[6]، والله الموفق في كلِّ عمل لأصلحه، وقد قسمته خمسةَ أبواب:

- الباب الأول: في ذكر علوم القرآن العزيز وبيانه[7].
- الباب الثاني: في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها.

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) زيادة من (ب).
(٣) استن: جرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة.
(٤) طرف: بكسر الطاء وسكون الراء: الفرس الكريم الأبوين.
(٥) مرج: كفرح: النشاط.
(٦) مُلَحه: جمع ملحة كسبحة: الأحاديث الحسنة.
(٧) زيادة من (أ).

● الباب الثالث : في علوم الحديث .

● الباب الرابع : في عيون التواريخ .

● الباب الخامس : في ذكر المواعظ . وهذا الباب ينقسم قسمين :

ـ قسمٌ فيه ذكر القصص .

ـ وقسمٌ فيه المواعظ مطلقاً .

والله الموفق .

* * *

الباب الأول

في علوم القرآن وبيانه

فصل
في ذكر أقسام الخطاب في القرآن

● **الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجهاً:**

١ ـ خطاب عام: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ [الروم: ٤٠] .

٢ ـ وخطاب خاص: ﴿ أَكَفَرْتُمْ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] .

٣ ـ وخطاب الجنس: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ [النساء: ١] .

٤ ـ وخطاب النوع: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الأعراف: ٢٦، ٣١] .

٥ ـ وخطاب العين: ﴿ يَا آدَمُ ﴾ [طه: ١١٧] .

٦ ـ وخطاب المدح: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة: ١٠٤] .

٧ ـ وخطاب الذم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [التحريم: ٧] .

٨ ـ وخطاب الكرامة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ [الأحزاب: ٤٥] .

٩ ـ وخطاب الإهانة: ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ [الحجر: ٣٤] .

١٠ ـ وخطاب التودد: ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠] .

١١ ـ وخطاب الجمع بلفظ الواحد: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ ﴾ [الانفطار: ٦] .

١٢ ـ وخطاب الواحد بلفظ الجمع: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ﴾ [النحل: ١٢٦] .

١٣ ـ وخطاب الواحد بلفظ الاثنين: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ [سورة ق: ٢٤] .

١٤ ـ وخطاب الاثنين بلفظ الواحد: ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٤٩] .

١٥ ـ وخطاب العين والمراد به الغير: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ ﴾ [يونس: ٩٤] .

١٦ ـ وخطاب التلون[١]؛ وهو ثلاثة أوجه:

الأول: أن يخاطِبَ ثم يخبرَ:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢].

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

والثاني: أن يخبرَ ثم يخاطب:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦].

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان].

والثالث: أن يخاطب عيناً ثم يصرف الخطاب إلى الغير:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الفتح]. وهذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو، فإنهما قرأا بالياء[٢].

* * *

---

(١) خطاب التلون: الالتفات، وهو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس. (انظر: التعريفات، للجرجاني، ص٩١).

(٢) لعله على غير قراءة ابن كثير، فإن قراءة (لتؤمنوا) فيها خطاب إليهم بعد مخاطبة النبي ﷺ، بخلاف قراءة (ليؤمنوا) فإنها إخبار بالغيبة بعد الخطاب.

فصل
في ذكر أمثال القرآن

● في القرآن اثنان واربعون مثلاً[1]:

١ ـ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] .

٢ ـ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩] .

٣ ـ ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦] .

٤ ـ ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٧١] .

٥ ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

٦ ـ ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ [البقرة: ٢٦٤] .

٧ ـ ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٥] .

٨ ـ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٦] .

٩ ـ ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

١٠ ـ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

١١ ـ ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١١٧] .

١٢ ـ ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الأنعام: ٧١] .

١٣ ـ ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] .

١٤ ـ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٢٤] .

---

(١) من الكتب الجامعة في هذا الموضوع: (الدر واللآل في بدائع الأمثال) لمحمد علي الأنسي، فقد جمع فيه أمثال القرآن والسُّنَّة والكتب السماوية .

١٥ ـ ﴿ ✱ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ [هود: ٢٤] .

١٦ ـ ﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [الرعد: ١٤] .

١٧ ـ ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد: ١٧] .

١٨ ـ ﴿ ✱ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الرعد: ٣٥] .

١٩ ـ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

٢٠ ـ ﴿ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ [إبراهيم: ٢٤] .

٢١ ـ ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦] .

٢٢ ـ ﴿ ✱ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا ﴾ [النحل: ٧٥] .

٢٣ ـ ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ [النحل: ٧٦] .

٢٤ ـ ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ [النحل: ١١٢] .

٢٥ ـ ﴿ ✱ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ [الكهف: ٣٢] .

٢٦ ـ ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٥] .

٢٧ ـ ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الحج: ٣١] .

٢٨ ـ ﴿ ضُرِبَ مَثَلٌ ﴾ [الحج: ٧٣] .

٢٩ ـ ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ [النور: ٣٥] .

٣٠ ـ ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ﴾ [النور: ٣٩] .

٣١ ـ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾ [العنكبوت: ٤١] .

٣٢ ـ ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٨] .

٣٣ ـ ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ﴾ [يس: ٧٨] .

٣٤ ـ ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا ﴾ [الزمر: ٢٩] .

٣٥ ـ ﴿ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [محمد: ٢٠] .

٣٦ ـ ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [محمد: ١٥] .

٣٧ ـ ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

٣٨ ـ ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الحشر: ١٥] .

٣٩ ـ ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٦] .

٤٠ ـ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ [الجمعة: ٥] .

٤١ ـ ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [التحريم: ١٠] .

٤٢ ـ ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [التحريم: ١١] .

● **وكم من كلمة تدور على الألسن مثلاً، جاء القرآن باخصر[1] منها وأحسن، فمن ذلك:**

١ ـ قولهم: «القتل أنفى للقتل» مذكور في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩] .

٢ ـ وقولهم: «ليس المُخْبِرُ كالمعاين» مذكور في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة: ٢٦٠] .

٣ ـ وقولهم: «ما تزرع تحصُد» مذكور في قوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١٢٣] .

٤ ـ وقولهم: «للحيطان آذان» مذكور في قوله تعالى: ﴿ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠] . وقوله: ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧] .

٥ ـ وقولهم: «الحمية رأس الدواء» مذكور في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف: ٣١] .

٦ ـ وقولهم: «احذر شرَّ مَنْ أحسنتَ إليه» مذكور في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٤] .

---

(١) (ب) بالخص.

٧ ـ وقولهم: «من جهل شيئاً عاداه» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

٨ ـ وقولهم: «خير الأمور أوسطها» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

٩ ـ وقولهم: «من أعان ظالماً سلّطه الله عليه» مذكور في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

١٠ ـ وقولهم: «لمّا أنضجَ رمّد»[1] مذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٤].

١١ ـ وقولهم: «لا تلد الحية إلا حيّة» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

* * *

(١) ذكر ابن الأثير في النهاية: شوى أخوك حتى إذا أنضج رمّد، مثلٌ يضرَبُ لمن يصنع المعروف، ثم يفسده بالمنّة أو يقطعه، ومعنى رمّد الشواء: ملّهُ في الجمر.

فصول
في عيون المتشابه

● فصل في الحروف المبدلات:

- في [البقرة: ٢٩] ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾، وفي [حم السجدة: ١٢] ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ ﴾.

- في [البقرة: ٣٥] ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾، وفي [الأعراف: ١٩] ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ ﴾.

- في [البقرة: ٥٧] ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾، وفي [الأعراف: ١٦٠] ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَامَ ﴾.

- في [البقرة: ٦٠] ﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ﴾، وفي [الأعراف: ١٦٠] ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾

- في [البقرة: ١٢٠] ﴿ بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾، وفي [الرعد: ٣٧] ﴿ بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾.

- في [البقرة: ١٢٥] ﴿ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾، وفي [الحج: ٢٦] ﴿ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ ﴾.

- في [البقرة: ١٣٦] ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾، وفي [آل عمران: ٨٤] ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾.

- في [البقرة: ١٧٠] ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا ﴾، وفي [المائدة: ١٠٤] ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾.

- في [آل عمران: ١٥٣] ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾، وفي [الحديد: ٢٣] ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ ﴾.

- في [النساء: ١] ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾، وفي [الأعراف: ١٨٩] ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾.

- في [النساء: ١٤٩] ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا﴾، وفي [الأحزاب: ٥٤] ﴿إِن تُبْدُوا شَيْـًٔا﴾.

- في [الأنعام: ١٥١] ﴿مِّتْ إِمْلَـٰقٍ﴾، وفي [بني إسرائيل: ٣١] ﴿خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾.

- في [الأعراف: ١٠٥] ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وفي [طه: ٤٧] ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

- في [الأعراف: ١١١] ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ﴾، وفي [الشعراء: ٣٦] ﴿وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ﴾.

- في [الأعراف: ١٢٤] ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾، وفي [طه: ٧١] ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾.

- في [التوبة: ٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا﴾، وفي [الصف: ٨] ﴿لِيُطْفِـُٔوا﴾.

- في [يونس: ٩٠] ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾، وفي [طه: ٧٨] ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾.

- في [هود: ٨٢] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾، وفي [الحجر: ٧٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾.

- في [الحجر: ١١] ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾، وفي [الزخرف: ٧] ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

- في [الحجر: ١٢] ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾، وفي [الشعراء: ٢٠٠] ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ﴾.

- في [الكهف: ٣٦] ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾، وفي [حمٓ السجدة: ٥٠] ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّى﴾.

- في [الكهف: ٥٧] ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾، وفي [السجدة: ٢٢] ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾.

- في [طه: ٥٣] ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾، وفي [الزخرف: ١٠] ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾.

- في [الأنبياء: ٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾، وفي [الصافات: ٩٨] ﴿فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

- في [الأنبياء: ٩٣] ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾، وفي [المؤمنون: ٥٣] ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾.

- في [النمل: ٨٧] ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وفي [الزمر: ٦٨] ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

- في [القصص: ٦٠] ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾، وفي [حمٓ عسٓقٓ (الشورى): ٣٦] ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾.

- في [العنكبوت: ٣٥] ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ﴾، وفي [القمر: ١٥] ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾.

- في [حمٓ السجدة: ٥٢] ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾، وفي [الأحقاف: ١٠] ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾.

- في [المدثر: ٥٤] ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾، وفي [عبس: ١١] ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾.

● فصل في الحروف الزوائد[1] والنواقص:

- في [البقرة: ٢٣] ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، وفي [يونس: ٣٨] ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾.

- في [البقرة: ٣٤] ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾، وفي [سورة صٓ: ٧٤] ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾.

- في [البقرة: ٣٨] ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾، وفي [طه: ١٢٣] ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾.

---

(١) ليس في القرآن حرف زائد دون معنى، إنما أراد ابن الجوزي رحمه الله المقارنة بين بعض المواضع في الآيات.

ـ في [البقرة: ٤٩] ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم ﴾، وفي [الأعراف: ١٤١] ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُمْ ﴾.

ـ في [البقرة: ٤٩] ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾، وفي [إبراهيم: ٦] ﴿ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾.

ـ في [البقرة: ٥٨] ﴿ حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾، وفي [الأعراف: ١٦١] ﴿ حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾.

ـ في [البقرة: ٥٨] ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، وفي [الأعراف: ١٦١] ﴿ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

ـ في [البقرة: ٥٩] ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا ﴾، وفي [الأعراف: ١٦٢] ﴿ مِنْهُمْ قَوْلًا ﴾.

ـ في [البقرة: ٨٣] ﴿ وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾، وفي [النساء: ٣٦] ﴿ وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾.

ـ في [البقرة: ١٣٦] ﴿ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ ﴾، وفي [آل عمران: ٨٤] ﴿ وَٱلنَّبِيُّونَ ﴾.

ـ في [البقرة: ١٩٣] ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾، وفي [الأنفال: ٣٩] ﴿ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾.

ـ في [آل عمران: ٩٩] ﴿ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾، وفي [الأعراف: ٨٦] ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا ﴾.

ـ في [آل عمران: ١٢٦] ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾، وفي [الأنفال: ١٠] ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾.

ـ في [النساء: ٢٢] ﴿ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾، وفي [بني إسرائيل: ٣٢] ﴿ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾.

ـ في [الأنعام: ٨١] ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾، وفي [آل عمران: ١٥١، الأعراف: ٣٣، الحج: ٧١] ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾.

- في [الأنعام: ٥٠] ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾، وفي [هود: ٣١] ﴿ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾.

- في [الأعراف: ١١٠] ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾، وفي [الشعراء: ٣٥] ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾.

- في [الأعراف: ١١٤] ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾، وفي [الشعراء: ٤٢] ﴿ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾.

- في [الأعراف: ١١٦] ﴿ قَالَ ٱلْقُوا۟ ﴾، وفي [طه: ٦٦] ﴿ قَالَ بَلْ ٱلْقُوا۟ ﴾.

- في [الأعراف: ١٥٠] ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ ﴾، وفي [طه: ٩٤] ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ ﴾.

- في [التوبة: ٣٩] ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ ﴾، وفي [هود: ٥٧] ﴿ وَلَا تَضُرُّونَهُ ﴾.

- في [هود: ٧٧] ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا ﴾، وفي [العنكبوت: ٣٣] ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ ﴾.

- في [يوسف: ٢٢] ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا ﴾، وفي [القصص: ١٤] ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾.

- في [النحل: ٧٠] ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾، وفي [الحج: ٥] ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ ﴾.

- في [النحل: ٧٢] ﴿ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾، وفي [العنكبوت: ٦٧] ﴿ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾.

- في [النحل: ١٢٧] ﴿ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾، وفي [النمل: ٧٠] ﴿ وَلَا تَكُن ﴾.

- في [الحج: ٢٢] ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾، وفي [الم السجدة: ٢٠] ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾.

- في [الحج: ٦٢] ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾، وفي [لقمان: ٣٠] ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾.

- في [الشعراء: ٧٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، وفي [الصافات: ٨٥] ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

- في [النمل: ٤٠] ﴿وَمَن شَكَرَ﴾، وفي [لقمان: ١٢] ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾.

- في [القصص: ٨٢] ﴿وَيَقْدِرُ﴾، وفي [العنكبوت: ٦٢] ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾.

- في [النازعات: ٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، وفي [الفجر: ٢٣] ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ﴾.

● فصل في المقدَّم والمؤخَّر:

- في [البقرة: ٥٨] ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾، وفي [الأعراف: ١٦١] ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾.

- في [البقرة: ٦٢] ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾، وفي [الحج: ١٧] ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾.

- في [البقرة: ١٢٠، والأنعام: ٧١] ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾، وفي [آل عمران: ٧٣] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾.

- في [البقرة: ١٤٣] ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، وفي [الحج: ٧٨] ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾.

- في [البقرة: ١٧٣] ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾، وفي [المائدة: ٣، الأنعام: ١٤٥، النحل: ١١٥] ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

- في [البقرة: ٢٦٤] ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾، وفي [إبراهيم: ١٨] ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾.

- في [آل عمران: ١٢٦] ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾، وفي [الأنفال: ١٠] ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ﴾.

- في [النساء: ١٣٥] ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾، وفي [المائدة: ٨] ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾.

- في [الأنعام: ١٠٢] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، وفي [حمٓ المؤمن: ٦٢] ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

- في [الأنعام: ١٥١] ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾، وفي [بني إسرائيل: ٣١] ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾.

- في [النحل: ١٤] ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾، وفي [فاطر: ١٢] ﴿ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾.

- في [بني إسرائيل: ٤١] ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾، وفي [الكهف: ٥٤] ﴿ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ ﴾.

- في [بني إسرائيل: ٩٦] ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾، وفي [العنكبوت: ٥٢] ﴿ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾.

- في [المؤمنون: ٨٣] ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ ﴾، وفي [النمل: ٦٨] ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾.

- في [القصص: ٢٠] ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾، وفي [يس: ٢٠] ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾.

* * *

أبواب منتخبة من الوجوه والنظائر

● **باب (او):**

ـ تكون بمعنى التخيير: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

ـ وتكون بمعنى الواو: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

ـ وتكون بمعنى بل: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

ـ وتكون بمعنى الإبهام: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]، ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧].

● **باب (ادنى):**

ـ تكون بمعنى أجدر: ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٣]، ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [المائدة: ١٠٨].

ـ وتكون بمعنى أقرب: ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [السجدة: ٢١]، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

ـ وتكون بمعنى أقل: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ﴾ [المجادلة: ٧].

ـ وتكون بمعنى أدون: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

● **باب (الإنزال):**

ـ تكون بمعنى الحط من علو: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [الشورى: ٢٨].

- وبمعنى الخلق: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ [يونس: ٥٩]، ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ [الزمر: ٦]، ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد: ٢٥].

- وتكون بمعنى القول: ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

- وبمعنى البسط: ﴿ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٢٧].

● باب (الأرض):

- الأرض: تذكر ويراد بها أرض الأردن: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠].

- ويراد بها القبر: ﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ [النساء: ٤٢].

- ويراد بها أرض مكة: ﴿ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النساء: ٩٧].

- ويراد بها أرض المدينة: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً ﴾ [النساء: ٩٧].

- ويراد بها أرض الإسلام: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ [المائدة: ٦٤].

- ويراد بها أرض التيه: ﴿ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٢٦].

- ويراد بها أرض الشام: ﴿ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

- ويراد بها الأرضون السبع: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

- ويراد بها أرض مصر: ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ [يوسف: ٥٥].

- ويراد بها أرض الحِجْر: ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٧٣].

- ويراد بها القلب: ﴿ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧].

- ويراد بها أرض العرب: ﴿ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الكهف: ٩٤].

- ويراد بها الجنة: ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

- ويراد بها أرض الروم: ﴿ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الروم: ٣].

- ويراد بها أرض بني قريظة: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٢٧] .

- ويراد بها أرض فارس: ﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ﴾ [الأحزاب: ٢٧] .

- ويراد بها أرض القيامة: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: ٦٩] .

● **باب (الأمر):**

- الأمر: يُذكر، ويراد به قتل بني قريظة وجلاء النضير: ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٩] .

- ويراد به النصر: ﴿ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] .

- ويراد به استدعاء الفعل: ﴿ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨] .

- ويراد به الخصب: ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ ﴾ [المائدة: ٥٢] .

- ويراد به اللذن: ﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ [المائدة: ٩٥] .

- ويراد به المشورة: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٠] .

- ويراد به قتل كفار مكة: ﴿ لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال: ٤٢] .

- ويراد به فتح مكة: ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [التوبة: ٢٤] .

- ويراد به الحذر: ﴿ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾ [التوبة: ٥٠] .

- ويراد به القضاء: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ [يونس: ٣] .

- ويراد به القول: ﴿ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ [هود: ٤٠] .

- ويراد به الغرق: ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [هود: ٤٣] .

- ويراد به العذاب: ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [هود: ٤٤] .

- ويراد به الشأن: ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هود: ٩٧] .

- ويراد به القيامة: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [النحل: ١] .

● **باب (الإنسان)**[1]:

- **الإنسان**: يذكر ويراد به أبو حُذيفة بن عبد الله: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ ﴾ [يونس: ١٢] .

- ويراد به عُتبة بن ربيعة: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ [هود: ٩] .

- ويراد به النَّضر بن الحارث: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ ﴾ [الإسراء: ١١] .

- ويراد به أُبيّ بن خلف ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [مريم: ٦٧] .

- ويراد به آدم: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٢] .

- ويراد به بديل بن ورقاء: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ [الزخرف: ١٥] .

- ويراد به سعد بن أبي وقاص: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا ﴾ [لقمان: ١٤] .

- ويراد به عيّاش بن أبي ربيعة: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ ﴾ [العنكبوت: ٨] .

- ويراد به أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف: ١٥] .

- ويراد به عُقبة بن أبي معيط: ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٩] .

- ويراد به بنو آدم: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ ﴾ [سورة ق: ١٦] .

- ويراد به بَرْصيصا[2]: ﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾ [الحشر: ١٦] .

---

(١) من المستقر أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإسقاط النصّ على شخص معين لا يعني أنه لا يشمل غيره، بل يعم سائر أفراد الجنس، وما ذكره الشيخ إنّما ذكر أسباب نزول هذه النصوص.

(٢) **برصيصا**: عابدٌ كان من بني إسرائيل، ثم وسوس. ذكره الزبيدي في (تاج العروس). وقال القرطبي (١٨/ ٣٧) عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾ =

- ويراد به الأخنس بن شُريق: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩] .

- ويراد به عديّ بن أبي ربيعة: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ [القيامة: ٣] .

- ويراد به أُمية بن خلف: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ [الفجر: ١٥] .

- ويراد به الحارث بن عمرو: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤] .

- ويراد به الأسود بن عبد الأسد[1]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ [الانشقاق: ٦]

- ويراد به كلدة بن أسيد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦].

- ويراد به الوليد بن المغيرة: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤] .

- ويراد به أبو طالب بن عبد المطلب: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق: ٥].

- ويراد به عتبة بن أبي لهب: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ [عبس: ٢٤] .

- ويراد به قرط بن عبد الله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات: ٦] .

- ويراد به أبو جهل: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦] .

- ويراد به أبو لهب: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر: ٢] .

- ويراد به الكافر: ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ [الزلزلة: ٣] .

● باب (الباء):

- الباء: تذكر بمعنى اللام: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ [البقرة: ٥٠] .

- وبمعنى عند: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧] .

= [الحشر: ١٦]: وقال ابن عباس: كان راهبٌ في الفترة يقال له: برصيصا، قد تعبّدَ في صومعته سبعين سنة، لم يعصِ الله فيها طرفةَ عين، حتى أعيا إبليس، فجمع إبليسُ مردةَ الشياطين، فقال: ألا أجدُ منكم من يكفيني أمر برصيصا؟ فقال واحد منهم: أنا أكفيكه، فانطلق، ولم يزل ببرصيصا حتى أغواه عبر جارية من بنات الملك، فزنى بها، ثم قتلها، ثم أومأ للشيطان ساجداً لينقذه، ثم تبرأ منه بعدما كفر. . انظر قصته كاملة في تفسير القرطبي.

(١) الذي ذكره المفسرون أنه أبو الأشد بن كلدة الجُمحي، وسماه أبو حيان أسيد، فلعلّ الصحيح الأسود أبو الأشد.

- وبمعنى في: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .
- وبمعنى بعد: ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ ﴾ [آل عمران: ١٥٣] .
- وبمعنى على: ﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ [النساء: ٤٢] .
- وتكون صلة: ﴿ فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ ﴾ [النساء: ٤٣] .
- وبمعنى للمصاحبة: ﴿ وَّقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ٦١] .
- وبمعنى إلى: ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا ﴾ [الأعراف: ٨٠] .
- وبمعنى السبب: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ١٠٠] أي من أجله .
- وبمعنى عن: ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩] .
- وبمعنى مع: ﴿ فَنَوَّلَ بِرُكْنِهِۦ ﴾ [الذاريات: ٣٩] أي مع جنده .
- وبمعنى من: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٦] .

● **باب (الحق):**

- الحق: يأتي بمعنى الجرم: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٦١] .
- وبمعنى البيان: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٧١] .
- وبمعنى المال: ﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .
- وبمعنى القرآن: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة قّ: ٥] .
- وبمعنى الصدق: ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٧٣] .
- وبمعنى العدل: ﴿ وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٨٩] .
- وبمعنى الإسلام: ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ [الأنفال: ٨] .
- وبمعنى المنجز: ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ [التوبة: ١١١] .
- وبمعنى الحاجة: ﴿ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ [هود: ٧٩] .
- وبمعنى لا إله إلا الله: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ [الرعد: ١٤] .

- ويراد به الله عزَّ وجلّ : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [المؤمنون: ٧١] .
- وبمعنى التوحيد : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٠] .
- وبمعنى الحظ : ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ [المعارج: ٢٤] .

● **باب (الخير):**

- الخير : يذكر ويراد به القرآن : ﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٥] .
- ويراد به الأنفع : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦] .
- ويراد بها المال : ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ [البقرة: ١٨٠] .
- ويراد بها ضد الشر : ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .
- ويراد بها الإصلاح : ﴿ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .
- ويراد بها الولد الصالح : ﴿ وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩] .
- ويراد به العافية : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ [الأنعام: ١٧] .
- ويكون بمعنى المنافع : ﴿ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .
- وبمعنى الإيمان : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [الأنفال: ٢٣] .
- وبمعنى رخص الأسعار : ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ ﴾ [هود: ٨٤] .
- وبمعنى النوافل : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [الأنبياء: ٧٣] .
- وبمعنى الأجر : ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ [الحج: ٣٦] .
- وبمعنى الأفضل : ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩] .
- وبمعنى العفة : ﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ١٢] .
- وبمعنى الصلاح : ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ٣٣] .
- وبمعنى الطعام : ﴿ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] .
- وبمعنى الظفر : ﴿ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥] .

- وبمعنى الخيل: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ [سورة ص: ٣٢] .

- وبمعنى القوة: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ [الدخان: ٣٧] .

- وبمعنى حسن الأدب: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

- وبمعنى حب الدنيا: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] .

● **باب (الدِّين):**

- الدين: يذكر ويراد به الجزاء: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] .

- ويراد به الإسلام: ﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] .

- ويراد به العدد: ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦] .

- ويراد به الطاعة: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩] .

- ويراد به التوحيد: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩] .

- ويراد به الحكم: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦] .

- ويراد به الحد: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] .

- ويراد به الحساب: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥] .

- ويراد به العبادة: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٦] .

- ويراد به الملة: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] .

● **باب (الذِّكر):**

- الذكر: يذكر ويراد به ذكر اللسان: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠] .

- ويراد به الحفظ: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣] .

- ويراد به الطاعة: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] .

- ويراد به الصلوات الخمس: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٣٩] .

- ويراد به ذكر القلب: ﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا ﴾ [آل عمران: ١٣٥] .

- ويراد به البيان: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ٦٣] .

- ويراد به الخير: ﴿ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣] .

- ويراد به التوحيد: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ [طه: ١٢٤] .

- ويراد به القرآن: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ ﴾ [الأنبياء: ٢] .

- ويراد به الشرف: ﴿ فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ [الأنبياء: ١٠] ، ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ ﴾ [الزخرف: ٤٤] .

- ويراد به العيب: ﴿ أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٣٦] .

- ويراد به صلاة العصر: ﴿ عَن ذِكْرِ رَبِّي ﴾ [سورة ص: ٣٢] .

- ويراد به صلاة الجمعة: ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩] .

● **باب (الروح):**

- **الروح**: يذكر ويراد به الأمر: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١] .

- ويراد به جبريل: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ [مريم: ١٧] .

- ويراد به الريح[1]: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء: ٩١] .

- ويراد به روح الحيوان: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

- ويراد به الحياة: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ [الواقعة: ٨٩] ، على قراءة من ضَمَّ الراء في (رُوح).

● **باب (الصلاة):**

- **الصلاة**: تذكر ويراد بها الصلوات الخمس: ﴿ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ ﴾ [المائدة: ٥٥].

---

(١) تأتي الروح في اللغة بمعنى الريح كما ذكره أبو البقاء الكفوي في (الكليات)، ولكن يستبعد إرادة هذا المعنى في هذه الآية.

- ويراد بها صلاة العصر: ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة: ١٠٦] .

- ويراد بها صلاة الجنازة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ ﴾ [التوبة: ٨٤] .

- ويراد بها الدعاء: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] .

- ويراد بها الدين: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ [هود: ٨٧] .

- ويراد بها القراءة: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ [الإسراء: ١١٠] .

- ويراد بها موضع الصلاة: ﴿ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ﴾ [الحج: ٤٠] .

- ويراد به المغفرة والاستغفار: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، فصلاة الله تعالى المغفرة[1]، وصلاة الملائكة الاستغفار.

- ويراد بها الجمعة: ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ ﴾ [الجمعة: ٩] .

● **باب (عن):**

- ترد صلة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ [الأنفال: ١] .

- وتكون بمعنى الباء: ﴿ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾ [هود: ٥٣] .

- وبمعنى من: ﴿ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [التوبة: ١٠٤] .

- وبمعنى على: ﴿ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [محمد: ٣٨] .

- وبمعنى بعد: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: ١٩] .

● **باب (الفتنة):**

- تذكر ويراد بها الشرك: ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣] .

- ويراد بها القتل: ﴿ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ [النساء: ١٠١] .

- ويراد بها المعذرة: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ [الأنعام: ٢٣] .

---

(١) الصلاة من الله سبحانه وتعالى الرحمة، ومنه على نبيه ﷺ زيادة رحمة، أو الرحمة المقرونة بالتعظيم، أو الرحمة والمغفرة، أو التمجيد والثناء.

- ويراد بها الضلال: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٤١] .
- ويراد بها القضاء: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] .
- ويراد بها الإثم: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩] .
- ويراد بها المرض: ﴿يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ﴾ [التوبة: ١٢٦] .
- ويراد بها العبرة: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ [يونس: ٨٥] .
- ويراد بها العقوبة: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣] .
- ويراد بها الاختبار: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣] .
- ويراد بها العذاب: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ [العنكبوت: ١٠] .
- ويراد بها الإحراق: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] .
- ويراد بها الجنون: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦] .

● **باب (في):**

- تكون بمعنى الظرف: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] .
- وبمعنى نحو: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] .
- وبمعنى الباء: ﴿فِى ظُلَلٍ﴾ [البقرة: ٢١٠] .
- وبمعنى إلى: ﴿فَٱنْهَارُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] .
- وبمعنى مع: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ﴾ [الأعراف: ٣٨] .
- وبمعنى عند: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ [هود: ٩١] .
- وبمعنى عن: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾ [الأعراف: ٧١] .
- وبمعنى على: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] .
- وبمعنى اللام: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨] .
- وبمعنى من: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النمل: ٢٥] .

● **باب (القرية):**

ـ تذكر ويراد بها أريحا[1]: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [البقرة: ٥٨] .

ـ ويراد بها دير هرقل[2]: ﴿ مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] .

ـ ويراد بها أيلة[3]: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] .

ـ ويراد بها مصر: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] .

ـ ويراد بها مكة: ﴿ قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً ﴾ [النحل: ١١٢] .

ـ ويراد بها مكة والطائف: ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] .

ـ ويراد بها جميع القرى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا ﴾ [الإسراء: ٥٨] .

ـ ويراد بها قرية لوط: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [الفرقان: ٤٠] .

ـ ويراد بها أنطاكية: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [يس: ١٣] .

● **باب (كان):**

ـ ترد بمعنى وجد: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] .

ـ وبمعنى الماضي: ﴿ كَانَ حِلًّا ﴾ [آل عمران: ٩٣] .

ـ وبمعنى ينبغي: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

ـ وبمعنى صلة: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٩٦] .

ـ وبمعنى هو: ﴿ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ٢٩] .

ـ وبمعنى صار: ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ [الواقعة: ٦] ، أي: منثوراً.

---

(١) أريحا: بفتح الهمزة وكسر الراء المهملة، وسكون الياء آخر الحروف، ثم الحاء المهملة والألف الممدودة: بلدة بالشام.

(٢) في معجم البلدان: (دير هرقل) دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرّم.

(٣) أيلة: بالفتح؛ مدينة على خليج العقبة.

● **باب (كلا):**

هي في القرآن على وجهين:

ـ أحدهما: أن تكون بمعنى لا، ومنه:

في [مريم]: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ﴾، وفي [مريم]: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونَ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ﴾.

وفي [المؤمنون: ١٠٠]: ﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ﴾.

وفي [الشعراء]: ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ﴾، وفي [الشعراء]: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ﴾.

وفي [سبأ: ٢٧]: ﴿ ٱلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا ﴾.

وفي [المعارج]: ﴿ ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ﴾. وفي [المعارج]: ﴿ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ﴾.

وفي [المدثر]: ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ﴾، وفي [المدثر]: ﴿ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ﴾.

وفي [القيامة]: ﴿ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا ﴾، وفي [القيامة]: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا ﴾.

وفي [المطففين]: ﴿ قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ﴾.

وفي [الفجر]: ﴿ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾.

وفي [الهمزة]: ﴿ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ﴾.

فهذه خمسة عشر موضعاً يَحْسُنُ الوقوف عليها.

ـ والثاني: بمعنى حقّاً، ومنه:

في [المدثر: ٣٢]: ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴾، وفي [المدثر: ٥٤]: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴾.

وفي [القيامة: ٢٠]: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾، وفي [القيامة: ٢٦]: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴾.

وفي [النبأ]: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾.

وفي [عبس: ١١]: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾، وفي [عبس: ٢٣]: ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾.

وفي [الانفطار: ٩]: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾.

وفي [المطففين: ٧]: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ ﴾، وفي [المطففين: ١٥]: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾، وفي [المطففين: ١٨]: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾.

وفي [الفجر: ٢١]: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾.

وفي [العلق: ٦]: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾، وفي [العلق: ١٥]: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾، وفي [العلق: ١٩]: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾.

وفي [التكاثر: ٣]: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾، وفي [التكاثر: ٤]: ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾، وفي [التكاثر: ٥]: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾.

فهذه تسعة عشر موضعاً يَحْسُن الوقف عليها.

وجملةُ ما في القرآن أربعة وثلاثون حرفاً هي هذه، وليس في النصف الأول منها شيء.

وقال ثعلب: لا يوقفُ على ﴿ كَلَّا ﴾ في جميع القرآن.

● **باب (اللام):**

اللام في القرآن على ضربين مفتوحة ومكسورة:

ـ فالمفتوحة ترد بمعنى التوكيد: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ [هود: ٧٥].

وبمعنى القسم: ﴿ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ [هود: ٨].

وزائدة أي للتوكيد: ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾ [النمل: ٧٢].

ـ والمكسورة ترد بمعنى الملك: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وبمعنى أن: ﴿ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وبمعنى إلى: ﴿ هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وبمعنى كي: ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [يونس: ٤].

وبمعنى على: ﴿ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾ [يونس: ١٢].

وصلة: ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٣].

وبمعنى عند: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [طه: ١٠٨].

وبمعنى الأمر: ﴿ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ﴾ [النور: ٥٨].

وبمعنى العاقبة: ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴾ [القصص: ٨].

وبمعنى في: ﴿ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾ [الحشر: ٢].

وبمعنى السبب والعلة: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٩].

● **باب (لولا):**

وهي في القرآن على وجهين:

ـ **أحدهما: امتناع الشيء لوجود غيره، وهو ثلاثون موضعاً:**

في [البقرة: ٦٤]: ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾، وفي [البقرة: ٢٥١]: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾.

وفي [النساء: ٨٣]: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾، وفي [النساء: ١١٣]: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ ﴾.

وفي [الأنفال: ٦٨]: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾.

وفي [يونس: ١٩]، و[هود: ١١٠]، و[طه: ١٢٩]، و[حمّ السجدة: ٤٥]، و[عَسَقَ: ١٤]: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾.

وفي [يوسف: ٢٤]: ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾.

وفي [بني إسرائيل: ٧٤]: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ﴾.

وفي [الحج: ٤٠]: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾.

وفي [النور: ٢٠]: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وفي [النور: ٢١]: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى﴾.

وفي [الفرقان: ٤٢]: ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾، وفي [الفرقان: ٧٧]: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾.

وفي [القصص: ١٠]: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا﴾، و﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ [القصص: ٤٧]، و﴿لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [القصص: ٨٢].

وفي [العنكبوت: ٥٣]: ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.

وفي [سبأ: ٣١]: ﴿لَوْلَا أَنتُمْ﴾.

وفي [الصافات: ٥٧]: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾، و﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣].

وفي [عَسَقَ: ٢١]: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾.

وفي [الزخرف: ٣٣]: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ﴾.

وفي [الفتح: ٢٥]: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾.

وفي [الحشر: ٣]: ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾.

وفي [نٓ: ٤٩]: ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ﴾.

والوجه الثاني: لولا بمعنى هلّا، وهو أربعون موضعاً:

في [البقرة: ١١٨]: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾.

وفي [النساء: ٧٧]: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنَا﴾.

وفي [المائدة: ٦٣]: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾.

وفي [الأنعام: ٨]: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾، وفي [الأنعام: ٣٧]: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةً﴾، وفي [الأنعام: ٤٣]: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا﴾.

وفي [الأعراف: ٢٠٣]: ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾.

وفي [يونس: ٢٠]: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، وفي [يونس: ٩٨]: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾.

وفي [هود: ١٢]: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾، وفي [هود: ١١٦]: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾.

وفي [الرعد: ٧]: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

وفي [الكهف: ١٥]: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾، وفي [الكهف: ٣٩]: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾.

وفي [طه: ١٣٣]: ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾، وفي [طه: ١٣٤]: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾.

وفي [النور: ١٢]: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ﴾.

وفي [الفرقان: ٧]: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾، وفي [الفرقان: ٢١]: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وفي [الفرقان: ٣٢]: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً﴾.

وفي [النمل: ٤٦]: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾.

وفي [القصص: ٤٧]: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ﴾، وفي [القصص: ٤٨]: ﴿لَوْلَآ أُوتِىَ﴾.

وفي [العنكبوت: ٥٠]: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

وفي [سجدة الدومن: ٤٤]: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾.

وفي [الزخرف: ٣١]: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾، وفي [الزخرف: ٥٣]: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ﴾.

وفي [الأحقاف: ٢٨]: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾.

وفي [سورة محمد: ٢٠]: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾.

وفي [الواقعة: ٥٧]: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾، وفي [الواقعة: ٦٢]: ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾، وفي [الواقعة: ٧٠]: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾، وفي [الواقعة: ٨٣]: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾، وفي [الواقعة: ٨٦]: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ﴾.

وفي [المجادلة: ٨]: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾.

وفي [المنافقون: ١٠]: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِى﴾.

وفي [ن: ٢٨]: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

● **باب (من):**

- تكون صلة: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

- وبمعنى التبعيض: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

- وبمعنى عن: ﴿فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٧].

- وبمعنى الباء: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

- ولبيان الجنس: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١].

- وبمعنى على: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٧].

- وبمعنى في: ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠].

● **باب (الواو):**

قال ابن فارس: لا تكون الواو زائدة أولًا[1]، وقد تزاد ثانية[2]، نحو كوثر، وثالثة: نحو جدول، ورابعة: نحو قرنوة[3]، وهو نبت يدبغ به الأديمُ، وخامسة: نحو قَمحدوة[4].

- والواو في القرآن، تكون بمعنى إذ: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

---

(١) أي: في أول الكلمة.

(٢) أي: في الحرف الثاني من الكلمة.

(٣) القرنوة: بالقاف والراء المهملة والنون كتَرْقُوة.

(٤) القَمَحْدُوَة: بفتح القاف، والميم المفتوحة، والحاء المهملة والساكنة، والدال المهملة المضمومة، والواو المفتوحة، والتاء، وهي عظمة بارزة في مؤخر الرأس فوق القفا، أعلى القذال خلف الأذنين.

ـ وبمعنى الجمع: ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣].

ـ وبمعنى القسم: ﴿وَٱقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ [الأنعام: ٢٣].

ـ وتكون مضمرة: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فِيمَآ أَرَىٰكَ﴾ [النوبة: ٩٢]: المعنى أتوك وقلت.

ـ وصلة: ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤].

ـ وبمعنى العطف: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات: ١٧].

● **باب (الهدى):**

ـ يكون بمعنى الإرشاد[1]: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

ـ وبمعنى البيان: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥].

ـ وبمعنى الرسول: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨].

ـ وبمعنى السُّنَّة: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ـ وبمعنى الإصلاح: ﴿لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

ـ وبمعنى الدعاء[2]: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

ـ وبمعنى القرآن: ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٩٤].

ـ وبمعنى الإيمان: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

ـ وبمعنى الإلهام: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

ـ وبمعنى التوحيد: ﴿إِنَّ نَتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ﴾ [القصص: ٥٧].

ـ وبمعنى التوراة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [غافر: ٥٣].

* * *

---

(١) في (ب) الثبات بدل الإرشاد، وتفسير الهداية ـ هنا ـ بالثبات أدق.

(٢) أي: داع يدعوهم إلى الله.

الباب الثاني

في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها

فصل

[في انقسام اللغة إلى قسمين واشتمال القرآن عليهما][1]

لما كانت اللغة تنقسم قسمين:

أحدهما: الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه، ولا يحتمل غير ظاهره.

والثاني: المشتمل على الكنايات والإشارات والتجوزات، كان هذا القسم هو المستحلى عند العرب.

وقد نزل القرآن بالقسمين، ليتحقق عجزُهم عن الإتيان بمثله، فكأنّه قال: عارِضوه بأي القسمين شئتم، ولو نزل كلُّه واضحاً لقالوا: هلاّ نزل بالقسم المستحلى عندنا، ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية أو استعارة أو تعريض أو تشبيه كان أحلى وأحسن.

قال امرؤ القيس:

وما ذرَفتْ عيناكِ إلاّ لِتَضْرِبي بِسَهْمَيْكِ في أعْشارِ قلبٍ مُقتَّلِ[2]

فشبه النظرَ بالسهم، فحلا هذا عندَ السامع.

وقال أيضاً:

فقلتُ لَهُ لمّا تَمَطّى بِصُلْبِهِ وأرْدَفَ أعْجَازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ

فجعل لليل صُلباً وصدراً على جهة التشبيه.

وقال الآخر:

---

(١) زيادة من المحققين.

(٢) سهميك: مثّل عينيها بسهمي الميسر: المعلا: وله سبعة أنصباء، والرقيب: وله ثلاثة أنصباء، فصار جميعُ أعشار قلبه للسهمين، ومثّل قلبه بأعشار الجزور.

مِنْ كُمَيْتٍ[1] أجادَها طابخاها ... لَمْ تَمُتْ كلَّ مَوْتِها في القُدُورِ

أراد بالطابخين الليلَ والنهارَ.

فنزل القرآنُ على عادة العرب في كلامهم.

● فمن عاداتهم التجوّزُ، وفي القرآن: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]. ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧].

● ومن عاداتهم الكناية: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥][2]، ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: ٤٣].

وقد يكنون عن شيء ولم يجرِ له ذكر: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

وقد يصلون الكناية بالشيء وهي لغيره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون].

● ومن عاداتهم الاستعارة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥]، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩].

● ومن عاداتهم الحذف: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣]، ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

● ومن عاداتهم زيادة الكلمة: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢].

ويزيدون الحرف: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

ويقدمون ويؤخرون: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكهف].

ويذكرون عامّاً ويريدون به الخاص: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، يريد نُعيم بن مسعود.

وخاصّاً ويريدون به العام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١].

---

(١) كُميت: بضم الكاف وفتح الميم وسكون الياء: الخمرة، لما فيها من سواد وحُمرة.

(٢) قوله: سرّاً: أي نكاحاً.

وواحداً ويريدون به الجمع: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي ﴾ [الحجر: ٦٨]، ﴿ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾ [غافر: ٦٧].

وجمعاً ويريدون به الواحد: ﴿ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ ﴾ [التوبة: ٦٦].

وينسبون الفعل إلى اثنين، وهو لأحدهما: ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [الكهف: ٦١]، ﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢].

وينسبون الفعل إلى أحد اثنين، وهو لهما: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿ ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ [الجمعة: ١١].

وينسبون الفعل إلى جماعة وهو لواحد: ﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا ﴾ [البقرة: ٧٢].

ويأتون بالفعل بلفظ الماضي وهو مستقبل: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١].

ويأتون بلفظ المستقبل وهو ماض: ﴿ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩١].

ويأتون بلفظ فاعل في معنى مفعول: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ [هود: ٤٣]، ﴿ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴾ [الطارق: ٦]، ﴿ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴾ [القارعة: ٧].

ويأتون بلفظ مفعول بمعنى فاعل: ﴿ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾ [مريم: ٦١]، ﴿ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴾ [الإسراء: ٤٥]، ﴿ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾ [الإسراء: ١٠١].

ويأتون بفعّلت في التكثير: ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ ﴾ [يوسف: ٢٣]، وفي التقليل: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ويضمرون الأسماء: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ [الصافات: ١٦٤]، أي منزلة.

ويضمرون الأفعال: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ ﴾ [البقرة: ٧٣] أي فضربوه.

ويضمرون في الحرف: ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴾ [طه: ٢١].

● ومن عاداتهم: تكرير الكلام، وفي القرآن: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٣].

وقد يريدون تكرير الكلمة، ويكرهـون إعـادة اللفظ، فيغيرون بعض الحروف، وذلك يسمى الإتباع، فيقولون: (أسوان أتوان): أي حزين، وشيء (تافه نافه)، وإنه (لثقف لقف)، و(جايع نايع)، و(جل وبلّ)، و(حيّاك الله وبيّاك)، و(حقير نقير)، و(عين حَدرة بَدرة): أي عظيمة، و(خضر نضر)، و(سمج لمج)، و(سيخ ليخ)، و(شَكِس لكس)، و(شيطان ليطان)، و(تفرقوا شذر مذر)، و(شغر بغر)، و(يوم عكّ لكّ) إذا كان يوماً حارّاً، و(عطشان نطشان) و(عفريت نفريت)، و(كثير بثير)، و(كَزّ لَزّ)، و(كن أن)، و(حار جار بار)، و(قبيح لقيح شقيح)، و(ثِقة بِقة نِقة)، وهو (أشق أمق جبقّ)، للطويل، و(حسن بسن قَسَنْ)، و(فعلت ذلك على رغمه ودغمه وشغمه)، و(مررت بهم أجمعين أكتعين أبصعين)[1].

* * *

(١) وقد أفرد العلماء هذا الباب بالتصنيف، من ذلك: (الإتباع) لأبي الطيب اللغوي، وقد نشره المجمع العلمي بدمشق، بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي؛ و(الإتباع والمزاوجة) لابن فارس، وقد نشرته وزارة الثقافة في سورية. (الناشر)

فصلٌ
ورودُ عبارتين متّصلتين لجهتين مختلفتين

وقد تأتي العرب بكلمة إلى جانب كلمة كأنها معها، وهي غيرُ متصلة بها.

وفي القرآن: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ [الأعراف: ١١٠] هذا قول الملأ. فقال فرعون: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٠].

ومثله: ﴿ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ ﴾ [يوسف: ٥١]، فقال يوسف: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [يوسف: ٥٢].

ومثله: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ [النمل: ٣٤] انتهى قول بلقيس، فقال عزَّ وجلّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٣٤].

ومثله: ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ [يس: ٥٢]. انتهى قول الكفار، فقالت الملائكة: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢].

* * *

فصلٌ
رجوعُ كلّ من المجتمعين إلى ما يليقُ به

وقد تجمعُ العربُ شيئين في كلام واحد، فتَرُدُّ كلَّ واحدٍ منهما إلى ما يليق به.

وفي القرآن: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. والمعنى يقول المؤمنون: متى نصر الله، فيقول الرسول: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

ومثله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]. فالسكون بالليل، وابتغاء الفضل بالنهار.

ومثله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩]. فالتعزير والتوقير للرسول ﷺ، والتسبيح لله عزَّ وجلّ.

* * *

فصلٌ
مجيءُ البيانِ متصلاً بالمبيّنِ ومنفصلاً عنه

وقد يحتاجُ بعضُ الكلام إلى بيانٍ، فيبيِّنُونَهُ متصلاً بالكلام تارةً، ومنفصلاً أخرى.

وجاء القرآن على ذلك:

- فمن المتصل بيانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤].

- وأما المنفصل: فتارة يكون في السورة كقوله في [براءة: ٩٤]: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾، بيانه فيها عند قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [براءة: ٤٧].

وتارة يكون في غير السورة: كقوله في [البقرة: ٤٠]: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾، بيانه في [المائدة: ١٢]: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾.

وفي سورة [النساء: ١٤٢]: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾، بيانه في [الحديد: ١٣]: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾.

وفي [الأعراف: ٣٧]: ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾، بيانه في [تبارك: ٩]: ﴿قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾.

وفي [الأعراف: ٣٧]: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، بيان النصب في [الزمر: ٦٠]: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾.

وفي [الأعراف: ١٣٧]: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾، بيانها في [القصص: ٥]: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾.

وفي [براءة: ١١٤]: ﴿ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ ، بيانها في [مريم: ٤٧]: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴾.

وفي [يونس: ٧١] ﴿ وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ ، بيانها في [نوح: ١٥]: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾.

وفي [يونس: ٦٤]: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ ، بيانه في [حمٓ السجدة: ٣٠]: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾.

وفي [إبراهيم: ٤٤]: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ ، بيانه في [النحل: ٣٨]: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ ﴾.

وفي [إبراهيم: ٤٥]: ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ ، بيانه في [العنكبوت: ٤٠]: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾.

وفي [النحل: ١١٨]: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ ، بيانه في [الحجر: ٤٠]: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾.

وفي [مريم: ٨٣]: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ ، بيانه في [بني إسرائيل: ٦٤]: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم ﴾.

وفي [طه: ٤٤]: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ ، بيانه في [النازعات: ١٨]: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾.

وفي [طه: ٩٤]: ﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ ، بيانه في [الأعراف: ١٤٢]: ﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى ﴾.

وفي [النمل: ٤٥]: ﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ، بيان خصومتهم في [الأعراف: ٧٥]: ﴿ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾.

وفي [الأحزاب: ٢٢]: ﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ ، بيان الوعد في [آل عمران: ١٤٢]: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ ﴾.

وفي [الصافات: ٧٥]: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ ﴾ ، بيانه في [القمر: ١٠]: ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾.

وفي [الصافات: ٣١]: ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ﴾ ، بيانه في [سورة صٓ: ٨٥]: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾.

وفي [الصافات: ١٧١]: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ﴾ ، بيانه في [المجادلة: ٢١]: ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِي ﴾.

وفي [المؤمن: ١١]: ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ ، بيانه في [البقرة: ٢٨]: ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾.

وفي [المؤمن: ٣٢]: ﴿ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ ، بيانه في [الأعراف: ٤٤]: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ، و[الأعراف: ٥٠]: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾.

وفي [المجادلة: ١٨]: ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ ، بيانه في [الأنعام: ٢٣]: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾.

وفي [ن: ٤٨]: ﴿ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ ، بيانه في [الأنبياء: ٨٧]: ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ ﴾.

* * *

فصلٌ

مجيءُ جوابِ الكلامِ مقارناً له، أو بعيداً عنه

وقد تذكر العرب جوابَ الكلام مقارِناً له، وقد تذكره بعيداً عنه.

وعلى هذا ورد القرآن.

ـ فأما المقارن من الجواب؛ كقوله في [البقرة: ١٨٩]: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾، و[البقرة: ٢١٩]: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾.

ـ وأما البعيد فتارة يكون في السورة، كقوله في [الفرقان: ٧]: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾، جوابه فيها [الفرقان: ٢٠]: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾

وتارة يكون في غيرالسورة؛ كقوله سبحانه وتعالى في [الأنفال: ٣١]: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾، جوابه في [بني إسرائيل: ٨٨]: ﴿ لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾.

في [الرعد: ٤٣]: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾، جوابه في [يس: ٣]: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

في [الحجر: ٦]: ﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾، جوابه في [ن: ٢]: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾.

في [بني إسرائيل: ٩٢]: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾، جوابه في [سبأ: ٩]: ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾.

في [الفرقان: ٦٠]: ﴿ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾، جوابه في [الرحمن]: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾.

في [سورة صٓ: ٦]: ﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ ، جوابه في [حمٓ السجدة: ٢٤]: ﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾.

في [المؤمن: ٢٩]: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ ، جوابه في [هود: ٩٧]: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

في [الزخرف: ٣١]: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ، جوابه في [القصص: ٦٨]: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾.

في [الدخان: ١٢]: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾ ، جوابه في [المؤمنون: ٧٥]: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

في [القمر: ٤٤]: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ ، جوابه في [الصافات: ٢٥]: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾.

في [الطور: ٣٣]: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ ، جوابه في [الحاقة: ٤٤]: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾.

* * *

فصلٌ
تصرُّفُ العرب في اللفظ بالحركات، والإعجامِ، والقلْبِ

واعلم أنَّ لغة العربِ واسعةٌ، ولهم التصرُّف الكثيرُ:

ـ فتراهم يتصرّفون في اللفظة الواحدة بالحركات، فيجعلون لكلٍّ حركة معنى كالحِمْل والحَمل[1]، والرُّوح والرَّوْح[2].

ـ وتارة بإعجام: كالنضح والنضخ[3]، والقبضة والقبصة[4]، والمضمضة والمصمصة[5].

ـ وتارة يقلبون حرفاً من كلمة ولا يتغير عندهم معناه، كقولهم: صاعقة وصاقعة، وجَبَذ وجذب، وما أطيبه وأيطبه، وربض ورضب، وأنبَض في القوس وأنضب، ولعمري ورعملي، واضمحل وامضحل، وعميق ومعيق، وسبسب وبسبس، ولبكت الشيء وبلكته، وأسير مكلب ومكبل، وسحاب مكفهر ومكرهف، وناقة ضمرز وضرزم إذا كانت مسنة، وطريق طامس وطاسم، قفا الأثر وقاف الأثر، وقاع البعير الناقة وقعاها، وقوس عطل وعلط (لا وتر عليها)، وجارية قتين وقنيت (قليلة الدر)، وشرخ الشباب وشخره (أوله)، ولحم خنز وخزن، وعاث يعيث وعَثي يَعْثى (إذا أفسد)، وتنح عن لقم الطريق ولمق الطريق،

---

(١) بكسر الحاء في الأول، وفتحها في الثاني.
(٢) بضم الراء في الأول، وفتحها في الثاني.
(٣) النضح بالحاء المهملة أقل من النضخ بالخاء المعجمة.
(٤) القبضة بالضاد المعجمة في الكف، وبالصاد المهملة في الأصابع.
(٥) المضمضة بالمعجمتين ملأ الفم، وبالمهملتين بطرف الشفاه.

وبطيخ وطبيخ، وماء سلسال وسلاس، ومسلسل وملسلس (إذا كان صافياً)، ودقم فاه بالحجر ودمقه (إذا ضربه)، وفثأت القدر وثفأتها (إذا سكَّنْت غليانها)، وكبكبت الشيء وبكبكته (إذا طرحت بعضه على بعض).

* * *

فصلٌ
التصرفُ في إطلاقِ الأسماءِ ودقتها

ومن سَعةِ اللغة وحسنِ تصرُّفها، أنَّ العربَ تضعُ للشيءِ أسماءَ من غيرِ تغيُّرٍ يعتريه، فيقولون: السيف، والمهند، والصارم.

ويغيرون الاسم بتغير يعتريه فيقولون لمن ينزل في الركي[1] يملأ الدلو: مايح، وللمستقي من أعلاها: ماتح، فالتاءُ المعجمة من فوق لمن فوق، والياء المعجمة من تحت لمن تحت.

وتضع العرب للشيء الواحد أسماء تختلف باختلاف محالّه، فيقولون لمن انحسرَ الشَّعرُ عن جانبي جبهته: أنزع، فإذا زادَ قليلاً قالوا: أجلح، فإذا الانحسارُ نصَّفَ رأسه قالوا: أجلى، وأجْلَهُ، فإذا زاد قالوا: أصلع، فإذا ذهبَ الشعرُ كلُّه قالوا: أحص، والصلع عندهم: ذهاب الشعر، والقرع: ذهاب البشرة.

ويقولون: شفةُ الإنسان، ويسمّونها من ذوات الخف: المشفر، ومن ذوات الظُّلف: المِقَمَّة، ومن ذوات الحافر: الجَحْفَلَة، ومن السباع: الخَطْم، ومن ذوات الجناح غير الصائد: المنقار، ومن الصائد: المِنْسَر، ومن الخنزير: الفِنْطيسة.

ويقولون: صدر الإنسان، ويسمونه من البعير: الكركرة، ومن الأسد: الزَّور، ومن الشاة: القَصّ، ومن الطائر: الجُؤجؤ، ومن الجرادة: الجَوْشَن.

والثدي للمرأة، وللرجل: ثَنْدُوَة، وهو من ذوات الخف: الخَلْف، ومن ذوات الظُّلف: الضَّرْعُ، ومن ذوات الحافر والسباع: الطِّبي.

---

(١) الركي: جنس للركية، وهي: البئر.

والظُّفر للإنسان، وهو من ذوات الخف: المِنْسم، ومن ذوات الظُّلف: الظُّلف، ومن ذوات الحافر: الحافر، ومن السباع والصائد من الطير: المِخْلب، ومن الطير غير الصائد والكلاب ونحوها: البُرْثُن، ويجوز البِرْثن في السباع كلها.

والمعدة للإنسان بمنزلة الكَرِش للأنعام، والحَوْصلة للطائر[1].

* * *

(١) انظر في هذا الفصل والذي بعده كتاب: (فقه اللغة سِرُّ العربية) لأبي منصور الثعالبي.

فصلٌ
اختلافُ الأسماءِ باختلاف أحوال المسمّى

وتُفَرِّقُ العربُ في الشهوات، فيقولون: جائع في الخبز، قَرِم إلى اللحم، عطشان إلى الماء، هَيْمان إلى اللبن، قَرِد إلى التمر، جَحِم إلى الفاكهة، شبق إلى النكاح.

ويقولون: البيض للطائر، والمُكْنُ للضِّباب، والمازن للنمل، والسَّرو للجراد، والصؤاب للقمل.

ويفرقون في المنازل، فإن كان من مَدَر، قالوا: بيت، وإن كان من وبر، قالوا: بجاد، وإن كان من صوف، قالوا: خِباء، وإن كان من الشعر، قالوا: فُسْطاط، وإن كان من غَزْل، قالوا: خَيْمة، وإن كان من أدَم، قالوا: قِشْع. مفرده قَشْع[1].

ويفرقون في الأوطان، فيقولون: وطنُ الإنسانِ، وعَطَنُ البعيرِ، وعرينُ الأسدِ، ووِجَارُ الذئب والضَّبُعِ، وكِنَاس الظبي، وعُشُّ الطائر، وقرية النمل، وكُوَر الزنابير، ونافقاء اليَرْبوع.

ويقولون لما يضعه الطائر على الشجر: وَكْر، فإن كان على جبلٍ أو جدارٍ فهو: وَكْن، وإذا كان في كِن فهو: عش، وإذا كان على وجه الأرض فهو: أُفْحوصٌ، والأُدْحيُّ للنعام خاصة.

ويقولون: عَدا الإنسانُ، وأحضرَ الفرس، وأرْقَلَ البعير، وعسَّلَ الذئب، ومَزَعَ الظَّبْيُ، وزَفَّ النعام.

---

(١) قشع: على وزن فَلْس.

ويقولون: طَفَرَ الإنسان، وضَبَرَ الفرس، ووَثَبَ البعير، وقَفَزَ العصفور، وطَمَرَ البرغوثُ.

ويفرقون في أسماء الأولاد، فيقولون لولد كل سَبُع: جَرْوٌ، ولولد كل ذي ريش: فرخٌ، ولولد كل وحشية: طِفْل، ولولد الفرس: مُهْرٌ وفَلُوٌ، ولولد الحمار: جَحْش وعفو، ولولد البقرة: عجل، ولولد الأسد: شبل، ولولد الظبية: خِشْف، ولولد الفيل: دَغْفَل، ولولد الناقة: حُوَار، ولولد الثعلب: هجرس، ولولد الضب: حِسْل، ولولد الأرنب: خِرِنْق، ولولد النعام: رَأْلٌ، ولولد الدُّب: دَيسم، ولولد الخنزير: خنَّوْص[1]، ولولد اليَرْبُوع والفأرة: دِرْصٌ، ولولد الحية: حَرِيش.

ويفرّقون في الضرب، فيقولون للضرب بالراح على مقدم الرأس: صقعٌ، وعلى القفا: صفْعٌ، وعلى الوجه: صكٌّ، وعلى الخد ببسط الكف: لطمٌ، وبقبضها: لَكْمٌ، وبكلتا اليدين: لدْمٌ، وعلى الذقن والحنك: وهْزٌ، وعلى الجنب: وَخْزٌ، وعلى الصدر والبطن بالكف: وَكْزٌ، وبالركبة: زَبْنٌ، وبالرجل: رَكْلٌ، وكل ضارب بمؤخرِه من الحشرات كلها كالعقارب: لسعٌ، وكل ضارب منها بفيه: لدغٌ.

ويفرّقون في الكشفِ عن الشيء من البدن، فيقولون: حسرَ عن رأسه، وسفرَ عن وجهه، وافترَّ عن نابه، وكشَّر عن أسنانه، وأبدى عن ذراعيه، وكشفَ عن ساقيه، وهتك عن عورته.

ويُفرِّقون في الجماعات؛ فيقولون: موكب من الفرسان، وكَبْكَبة من الرجال، وجوْقة من الغلمان، ولمَّةٌ من النساء، ورعيل من الخيل، وصَرْمة من الإبل، وقطيع من الغنم، وسِرْب من الظباء، وعِرْجَلة من السباع، وعِصابة من الطير، ورِجْل من الجراد، وخَشْرمٌ من النحل.

ويفرقون في الامتلاء فيقولون: بحر طام، ونهر طافح، وعين ثرَّة، وإناء مفعَمٌ، ومجلس غاصٌّ بأهله.

---

(١) كجردحل، وجمعه: خنانيص.

ويفرّقون في اسم الشيء اللّين؛ فيقولون: ثوب لَيِّن، ورمح لدْن، ولحم رَخْص، وريح رُخَاء، وفراش وثير، وأرض دَمِثة.

ويفرقون في تغيّر الطعام وغيره، فيقولون: أَزْوَحَ اللحم، وأيسَنَ الماء، وخنِزَ الطعام، وسَنِخَ السمن، وزنِخَ الدهن، وقتِم الجوز، ودَخِن الشراب، وصدِئَ الحديد، ونَغِل الأديم.

ويقولون: يدي من اللحم غمِرة، ومن الشحم زَهِمة، ومن البيض زَهِكَة، ومن الحديد[1] سَهِكة، ومن السمك صَمِرة، ومن اللبن والزبد شثِرة، ومن الثريد مردة، ومن الزيت قتِمة، ومن الدهن زَنِخَة، ومن الخل خَمِطة، ومن العسل لزِقة، ومن الفاكهة لزِجَة، ومن الزعفران ردِغة، ومن الطين وَدِغَة، ومن العجين وَدِخَة، ومن العليب عبِقة، ومن الدم ضَرِجة وسَطِلة وسَلِطة، ومن الوحل لَثِقَة، ومن الماء بلِلّة، ومن الحمْأة ثَبِطة، ومن البَرَد صرِدة، ومن الأسنان قضِضة، ومن المداد وَجِدة، ومن البزر والنفط نَمِشَة ونَثِمَة، ومن البول قَتِمَة، ومن العذرة طَفِسة، ومن الوسخ تَرِنة، ومن العمل مَجِلة.

ويفرقون في الوسخ، فإذا كان في العين قالوا: رَمَصٌ، فإذا جف قالوا: غَمَص، فإذا كان في الأسنان قالوا: حَفَر، فإذا كان في الأذن فهو: أَفٌّ، وإذا كان في الأظفار فهو: ثُفٌّ، وإذا كان في الرأس قالوا: حَزازٌ، وهو في باقي البدن: دَرَن.

ويقولون: في الرياح: فإذا وقعت الريحُ بين ريحين فهي: نَكْباء، فإذا وقعت بين الجنوب والصَّبا فهي: الجِرْبِيّاء، فإذا هَبَّتْ من جهات مختلفة فهي: المتناوِحَة، وإذا جاءت بنَفَس ضعيف فهي: النسيم، فإذا كانت شديدة فهي: العاصف، فإذا قويت حتى قلعتِ الخيامَ فهي: الهَجُوم، فإذا حركت الأشجار تحريكاً شديداً وقلعتها فهي: الزَّعْزَع، فإذا جاءت بالحصباء فهي: الحاصِب، فإذا هبت من الأرض كالعمود نحو السماء فهي: الإعصار، فإذا جاءت بالغبرة فهي: الهَبْوَة، فإذا كانت باردة فهي: الحَرْجَف والصَّرْصَر، فإذا كان مع بردها

---

(١) من الحديد: أي: من صدئه.

ندى فهي: البَلِيل، فإذا كانت حارَّة فهي: السَّمُوم، فإذا لم تُلْفح ولم تحمل مطراً فهي: العقيم.

ويفرّقون في المطر، فأولـه رشٌّ، ثم طشٌّ، ثم طل، ورذاذ، ثم سحٌّ، ثم نضخ، ثم هطل، وتهتان، ثم وابل، وجود.

فإذا أحيا الأرض بعد موتها فهو: الحيا، فإذا جـاء عقيب المحل أو عند الحاجة فهو: الغيث.

وإن كان صغار القطر فهو: القَطْقِط، فإذا دامَ مع سكون فهو: الدّيمة، فإذا كان عامّاً فهو الجَدا، وإذا روّى كلَّ شيء فهو: الجود، فإذا كان كبير القطر فهو: الهطل، والتهتان، فإذا كان ضَخْمَ القطر شديد الوقع فهو: الوَبْل.

ويقولون: هَجْهَجْت بالسباع، وشايعت بالإبل، ونَعَقت بالغنم، وسأسَأت بـالحمار، وهَأهَأت بـالإبل: إذا دعوتها للعلف، وجأجأت بها: إذا دعـوتها للشرب، وأشليت الكلب: دعوته، وأسدته: أرسلته.

ويفرقون في الأصوات فيقولون: رغا البعير وجرْجَر وهدر وقبقب، وأطلت الناقة، وصهل الفرس وحمْحم، ونهم الفيل، ونهَق الحمار وسَحَل، وسَجِع البغل، وخارت البقرة وجأرت، وثاجت النعجة، وثغت الشاة ويَعَرت، وبَغَم الظبي ونَزَب، ووعوع الذئب، وضَبَح الثعلب، وضَغَت الأرنب، وعوى الكلب ونبح، وصَأت السِّنَّوْر، وضَأت الفأرة، وفحَّت الأفعى، ونعق الغراب ونَعَب، وزقا الديك وسقَع، وصَفَر النسر، وهدَر الحمام وهدل، وغرَّد المكّاء، وقبَع الخنزير، ونقَّت العقرب، وأنقضَت الضفادع ونَقّتْ، وخَزَفت الجن.

* * *

فصل
اختلافُ الأوصاف باختلاف الموصوف

وتقولُ العربُ في الأمر: وهْنٌ، وفي الثوب: وهيٌ.

وفي الحساب: غَلَتٌ، وفي غيره: غَلَط.

من الطعام: بَشَمٌ، ومن الماء: بَغَرٌ.

وحلا الشيء في فمي، وحَلِيَ في عيني.

* * *

فصل

اختلافُ الأسماءِ مع اتفاقِ الأحوال

المراهق من الغلمان بمنزلة المُعصِر من الجواري.

والحَزَوَّر من الصبيان بمنزلة الكاعب.

والكهل من الرجال بمنزلة النَّصَف من النساء.

والقارح من الخيل بمنزلة البازل من الإبل.

والعجل من البقر، والشادن من الظباء، كالناهضِ من الفراخ.

والبِكر من الإبل بمنزلة الفتى، والقَلُوص بمنزلة الجارية، والجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة، والبعير بمنزلة الإنسان.

والغِرْز للجمل كالركاب للفرس، والعُدّة للبعير كالطاعون للإنسان، والهالة من القمر كالدّارة من الشمس، والبصيرة في القلب كالبصر في العين، والأسباط في بني إسحاق كالقبائل في بني إسماعيل، وأرداف الملوك في الجاهلية كالوزراء في الإسلام، والأقيال لحِمْير كالبطارق للروم، والقواد للعرب.

* * *

فصل

للعربِ في ألفاظِها عامٌ وخاصٌ

وللعرب خاصٌ وعامٌ:

فالبغض عام، والفَرْك بين الزوجين خاص.

والنظر إلى الأشياء عام، والشَّيْم إلى البرق خاص.

الصُّراخ عام، والواعية على الميت خاص.

الذَنَب للحيوان والبهائم عام، واللُّنايى للفرس خاص.

السير عام، والسُّرى بالليل خاص.

الهرب عام، والإباق للعبيد خاص.

الرائحة عام، والقُتار للشواء خاص.

* * *

فصل
أسماءٌ تطلقُ على مسمّياتها بشروط

ومن جملة المُسلَّم للعرب: أنهم لا يقولون مائدة إلا إذا كان عليها طعام، وإلاّ فهي: خِوَان.

ولا للعظم عِرْق إلا ما دام عليه لحم.

ولا كأس إلا إذا كان فيه شراب، وإلا فهي: زجاجة.

ولا كوز إلا إذا كانت له عُرْوة، وإلا فهو: كوب.

ولا رُضاب إلا إذا كان في الفم، وإلا فهو: بصاق.

ولا أريكة إلا للسرير إذا كان عليه قُبة، فإن لم يكن عليه قبة فهو: سرير.

ولا ريطة إلا إذا كانت لفْقتين، وإلا فهي: مِلاءة.

ولا خِدْر إلا إذا كان فيه امرأة، وإلا فهو: ستر.

ولا للمرأة ظعينة إلا إذا كانت في الهودج.

ولا قلم إلا إذا كان مبرياً، وإلا فهو: أنبوب.

ولا عِهن إلا إذا كان مصبوغاً، وإلا فهو: صوف.

ولا وقود إلا إذا اتقدت فيه النار، وإلا فهو: حطب.

ولا رَكيّة إلا إذا كان فيه ماء، وإلا فهي بئر.

ولا للإبل راوية إلا ما دام عليها الماء.

ولا للدلو سَجْل إلا ما دام فيه الماء.

ولا ذَنوب إلا ما دامت ملأى.

ولا نَفَق إلا إذا كان له منفذ، وإلا فهو: سَرَب.

ولا لسرير نعشٌ إلا ما دام عليه الميت.

ولا للخاتِم خاتِم إلا إذا كان عليه فَصٌّ.

ولا رُمح إلا إذا كان له زَجٌّ وسِنان، وإلا فهو: أنبوب وقناة.

ولا لطيمَة إلا للإبل التي تحمل الطِّيْبَ والبزَّ خاصة.

ولا حمولة إلا للتي تحمل الأمتعة خاصة.

ولا بدنة إلا للتي تُجعل للنحر.

ولا رَكْب إلا لركبان الإبل.

ولا هضبة إلا إذا كانت حمراء.

ولا يقال غيث إلا إذا جاء في إبّانه[1]، وإلا فهو: مطر.

ولا يقال عُشٌّ حتى يكونَ عيداناً مجموعةً، فإذا كان نَقْباً في جَبَلٍ أو حائط فهو: وكر، ووكن.

* * *

(١) إبّانه: أي جاء في وقته.

الباب الثالث

في علوم الحديث

فصل

في ذكر نبينا محمد ﷺ

● ذكر نسبه ﷺ:

هو محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان[1] بن إدّ بن أُدد بن زيد بن يَقدم بن يَقدم بن الهُمَيْسَع بن النَّبْت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالَخ بن أرْفَخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوَشلَخ بن أخنوخ بن يارد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم.

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

● ذكرُ اسمائه ﷺ:

هو محمد ﷺ، وأحمد، والماحي، والحاشر [والعاقب[2]، والمقفّي، ونبيُّ الرحمة، ونبيُّ التوبة، ونبيُّ الملاحم، والشاهد، والبشير، والنذير،

---

(١) حكي عن النبي ﷺ أنه كان إذا انتسب لم يتجاوز عدنان، روى مسلم بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى هاشماً من قريش، واصطفاني من بني هاشم».
وقال ابن كثير في (السيرة): «هذا النسبُ (أي إلى معد بن عدنان) لا خلافَ فيه بين العلماء، وقد حرّره ابنُ إسحاق وابنُ عساكر، كذلك حرر الكلامَ فيه أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه، وجاء بالنافع الجيد» انظر: ١/ ١٨٣.

(٢) هذه الأسماء وردت في صحيح البخاري: ٤/ ١٦٢.

والضَّحوك، والقتّال، والمتوكل، والفاتح، والخاتم، والمصطفى، والرسول، والنبيّ، والأمّيّ، والقُثم].

فالعاقب آخر الأنبياء، والمقفي تبع الأنبياء، والضحوك صفته في التوراة، لأنه كان طيِّبَ النفس فكِهاً، والقُثَم من القَثْم: وهو الإعطاء.

● ذكر عمومته ﷺ:

الحارث، والزُّبير، وأبو طالب، وحمزة، وأبو لهب، والغَيْداق، والمُقَوِّم، وضِرار، والعبَّاس، وقُثم، وحِجْل واسمه المغيرة.

● ذكر عماته ﷺ:

أمُّ حكيم وهي البيضاء، وبَرّة، وعاتكة، وصَفِيَّة، وأروى، وأُميمة. وأسلمت صَفيّة، واختلف في عاتكة وأروى وأميمة.

● ذكر ازواجه ﷺ:

تزوَّج خديجةَ، ثم سَوْدة، ثم عائشة، ثم حَفْصة، ثم أمّ سلمة، ثم جُوَيْرية، ثم زينبَ بنت جحش، ثم زينبَ بنت خُزيمة، ثم أمّ حَبيبة، ثم صَفيّة، ثم ميمونة. فماتت خديجةُ وزينب بنت خُزيمة في حياته، وتوفي عن التسع البواقِ.

● ذكر أولاده ﷺ:

القاسم، وعبدُ الله ـ وهو الطيِّب والطاهر ـ، وإبراهيم، وفاطمة، وزينب، ورُقَيّة، وأُمّ كُلثوم.

● ذكر مواليه ﷺ:

أسْلَم، ويُكنى أبا رافع، أو آخر والد البهي، حُمران، أنسة، أُسامة، أفلح، ثوبان، ذكوان، رافع [رباح][1]، زيد بن حارثة، سلمان، سالم، سليم، سابق، سعيد، شُقران واسمه صالح، ضميرة، عبيد الله، عبيد، فضالة، كيسان، مهران وهو سَفينة، وقيل اسمه: سفينة، وقيل: رومان، وقيل: عبس، مِدْعم،

---

(١) زيادة من (ب).

نافع، نفيع وهو أبو بكرة، نبيه، واقد، وَردان، هشام، يسار، أبو أثيلة، أبو الحمراء، أبو ضميرة، أبو عبيد، أبو مُوَيهبة، أبو واقد، أبو لُبابة، أبو لقيط، أبو هند، سابورا.

● ذكر مؤذّنيه ﷺ:

بلال، وسعد، وابن أم مكتوم، وأبو محذورة.

● ذكر كتّابه ﷺ:

أبو بكر، عمر، عثمان، علي، أُبيّ، زيد، معاوية، حنظلة، خالد بن سعد، أبان بن سعيد، العلاء بن الحضرمي، وكان المداومَ على الكتابة زيدٌ ومعاوية.

● ذكر نقباء الأنصار رضي الله عنهم:

أسعدُ بن زرارة، أُسيد بن حضير، البراء بن مَعْرور، رافع بن مالك، سعد ابن خَيْثمة، سعد بن الربيع، عبد الله بن رواحة، عبد الله بن عمرو بن حرام، عُبادة بن الصامت، سعد بن عُبادة، المنذر بن عمرو، أبو الهيثم بن التيهان، ونَقَّب النبي ﷺ على النقباءِ أسعدَ.

● تسمية من جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله ﷺ:

عثمانُ بن عفان، أُبي، معاذ بن جبل، أبو الدرداء، زيد بن ثابت، أبو زيد الأنصاري، قال ابن سيرين: وتميم الداري، وقال القرطبي: وعُبادة بن الصامت، وأبو أيوب.

● تسمية من كان يفتي على عهد رسول الله ﷺ:

أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وأُبي، ومعاذ، وعمار، وحُذيفة، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وأبو موسى، وسلمان.

● تسمية من تاخر موته من الصحابة رضي الله عنهم:

آخر من مات من أهل العقبة: جابر بن عبد الله بن عمرو، ومن أهل بدر: أبو اليسر، ومن المهاجرين: سعد بن أبي وقاص، وهو آخر العشرة موتاً، وآخر

من مات بمكة من الصحابة: ابن عمر، **وبالمدينة:** سهل بن سعد بن معاذ، **وبالكوفة:** عبد الله بن أبي أوفى، **وبالبصرة:** أنس بن مالك، **وبمصر:** عبد الله بن الحارث بن جُزْء، **وبالشام:** عبدالله بن بُسْر، **وبخراسان:** بُريدة، **وآخر الناظرين إلى رسول الله ﷺ موتاً:** أبو الطفيل عامر بن واثلة.

● **تسمية فقهاء المدينة السبعة رضي الله عنهم:**

سعيد بن المسيِّب، والقاسم، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وخارجة، وعبيد الله بن عبد الله، وعُروة، وسليمان بن يسار.

* * *

منتخب من ذِكْر الأوائل

أوّل ما خلق الله : القلم .

أول جبل وضع في الأرض : أبو قبيس .

أول مسجد وضع في الأرض : المسجد الحرام .

أول ولد آدم : قابيل .

أول من خط وخاط : إدريس .

أول من اختتن وضاف : إبراهيم .

أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية : إسماعيل .

أول من عمل القراطيس : يوسف .

أول من سرد الدروع وقال : أمّا بعد : داود .

أول من صبغ بالسواد : فرعون .

أول من دخل الحمام وعمل الصابون : سليمان .

أول من طبخ الآجر : هامان .

● **فصل أوليّات في الجاهلية:**

أول من سيَّب السوائب : عمرو بن لحي .

أول من سَنَّ الدية مئةً من الإبل : عبد المطلب .

أول من قطع في السرقة في الجاهلية ، وقضى بالقَسامة ، وخلع نعليه عند دخول الكعبة : الوليد بين المغيرة .

أول من قضى في الخُنثى من حيث يبول : عامر بن الظرب .

أول عربي قسم للذكر مثل حظ الأنثيين : عامر بن جُشَم .

● **فصل أوليـات في الإسلام:**

أول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

أول آية نزلت في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩].

أول من أسلم من الرجال: أبو بكر، ومن الصبيان: علي، ومن الموالي: زيد، ومن النساء: خديجة، ومن الأنصار: جابر بن عبد الله بن رباب.

أول من هاجر إلى الحبشة: حاطب بن عمرو، وإلى المدينة: مصعب بن عمير، ومن النساء: أم كلثوم بنت عقبة.

أول من بايع ليلة العقبة: أسعد بن زرارة، أول من بايع بيعة الرضوان: أبو سنان الأسدي.

أول من أذن: بلال.

أول من بنى مسجداً في الإسلام: عمَّار.

أول من سل سيفاً في الإسلام: الزبير.

أول من عدا بفرسه في سبيل الله: عبد الله بن جحش، وهو أول من دُعيَ بأمير المؤمنين.

أول شهيد في الإسلام: سُمَيَّة.

● **فصل أوائل متفرقة:**

أول ظِهار كان في الإسلام: ظهارُ أوس بن الصامت من المجادِلة.

أول خُلْعٍ كان في الإسلام: خُلْع حبيبة بنت سهل من ثابت بن قيس.

أول لِعان كان في الإسلام: لعان هلال بن أمية مع زوجته.

أول مرجوم كان في الإسلام: ماعز.

أول من سَنَّ الصلاة عند القتل: خُبيب.

أول من أوصى بثلث ماله: البراء بن معرور.

أول من دفن بالبقيع: عثمان بن مظعون.

● **فصل أوائل متنوعة:**

أول من جمع القرآن: **أبو بكر**.

أول من قصّ: **تميم**.

أول من وضع النحو: **أبو الأسود**.

أول من نقّط المصحف: **يحيى بن يعمر**.

● **فصل أوليّات مستقبلية:**

أول ما يُرفع من الناس: **الخشوع**.

أول ما تفقدون من دينكم: **الأمانة**.

أوّل الآيات: **طلوعُ الشمس من مغربها**[1].

أول من تنشق عنه الأرض: **نبيّنا محمد ﷺ**. وهو أول من يقرع باب الجنة، وأول شافع، وأول مشفَّع.

أول من يُكسى: **إبراهيم**.

أول ما يحاسب به العبد: **الصلاة**.

أول أُمّةٍ تدخل الجنة: **أمّة نبينا محمد ﷺ**.

* * *

(١) ليس هناك من الأدلة ما يقطع بأن أولّ علامات الساعة طلوع الشمس من مغربها. انظر: (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) للإمام الكشميري، ص١٣٢.

منتخب في ذكر المنسوبين إلى غير آبائهم

ـ فمن المنسوبين إلى أمهاتهم:

بلال بن حمامة، واسم أبيه: رباح.

ابن أم مكتوم، واسم أبيه: عمرو.

بشير بن الخصاصيّة، واسم أبيه معبد.

الحارث بن البرصاء، واسم أبيه مالك.

خُفاف بن ندبة، واسم أبيه عمير.

سعد بن جنبة، واسم أبيه بجير.

شُرحبيل بن حسنة، واسم أبيه عبد الله.

عبد الله بن بحينة، واسم أبيه مالك.

مالك بن نميلة، واسم أبيه ثابت.

معاذ ومعوّذ ابنا عفراء، واسم أبيهما الحارث.

يعلى بن سيابة، واسم أبيه مرة.

يعلى بن مُنيّة، واسم أبيه أمية.

وهؤلاء كلُّهم صحابة.

ـ ومن العلماء بعدهم:

إسماعيل بن عُلية، واسم أبيه: إبراهيم.

منصور بن صفية، واسم أبيه عبد الرحمن.

محمد بن عائشة، واسم أبيه: حفص.

إبراهيم بن هراسة، واسم أبيه: سلمة.

محمد بن عثمة، واسم أبيه: خالد.

* * *

فصل
في ذكر أسماء تساوى فيها الرجال والنساء

فمن ذلك ما تساوى فيه الاسم والنسب:

ـ أميّةُ بن أبي الصلت، قال فيه النبي ﷺ: «كاد أُمية أن يُسلم»[1].

أمية بنت أبي الصلت، روى حديثها ابن إسحاق.

ـ أمية بن عبد الله: حدث عن ابن عمر.

أمية بنت عبد الله: تروي عن عائشة.

ـ عمارة بن حمزة: من ولد عكرمة.

عمارة بنت حمزة: وهي التي اختصم فيها عليٌّ وجعفرُ وزيدٌ.

ـ فضالة بن الفضل: حدّثَ عن أبي بكر بن عياش.

فضالة بنت الفضل: روى عنها عبد الرحمن بن جبلة.

ـ طلحة بن أبي سعيد المصري: روى عن القاسم بن محمد.

طلحة بنت أبي سعيد: روى عنها ابن أبي جبلة أيضاً.

ـ هند بن المهلب: روى عنه محمد بن الزبرقان.

هند بنت المهلب: حدثت عن أبيها.

ـ هبة الله بن أحمد: شيخنا.

هبة الله بنت أحمد: حدّثت عن أحمد بن محمود القاضي.

* * *

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٨٤١)؛ ومسلم وابن ماجه والإمام أحمد.

فصل
التشابه في الخط والاختلاف في اللفظ

ومن ذلك ما تشابه في الخط ويتباين في اللفظ مع تساوي الأب:

ـ بُسْرة بنت صفوان: صحابية.

بُسرة بن صفوان: حدث عن إبراهيم بن سعد.

ـ حمزة بن عبد الله جماعة[1].

جمرة بنت عبد الله: صحابية.

ـ خيثمة بن عبد الرحمن: روى عن ابن عمر.

حَثْمةُ بنت عبد الرحمن: أخت أبي بكر بن عبد الرحمن الفقيه.

* * *

(١) جماعة: أي تسمّى بحمزة جماعةٌ.

فصل
أسماء أُطلقت على الرجال والنساء معاً

ومن الأسماء التي تساوى فيها الرجال والنساء دون أنسابهم:

ـ أسماء بن حارثة، وأسماء بن رباب (صحابيان).

أسماء بنت أبي بكر، وأسماء بنت عُميس (صحابيتان).

ـ بركة أم أيمن (مولاة رسول الله ﷺ)، بركة أم عطاء بن أبي رباح.

ومن الرجال: بركة بن الوليد (روى عن ابن عباس)، وبركة بن نشيط (روى عن عثمان بن أبي شيبة).

ـ بريدة بن الحُصَيْب (صحابي). بريدة بنت بشر (صحابية).

ـ جويرية بن مسهر (يروي عن علي)، جويرية بن بشير (يروي عن الحسن)، جويرية بن أسماء (عن نافع)، جويرية بن الحجاج (شاعر).

ومن النساء جويرية (أم المؤمنين)، جويرية بنت زياد، جويرية بنت علقمة.

ـ ومن الرجال حَمَيضة بن رقيم (صحابي)، حميضة بن الشَّمَرْدل (تابعي)، حميضة بن قيس (شاعر).

ومن النساء: حميضة بنت ياسر، حميضة بنت أبي كثير.

ـ الرباب بنت البراء بن معرور، الرباب [بنت كعب][1] (أم حذيفة)، الرباب بنت النعمان (عمة سعد بن معاذ)، الرباب (زوجة الحسن بن علي).

---

(١) زيادة من (ب)

ومن الرجال: تابعي يقال له: رباب، سمع من ابن عباس.

ـ زيد في الرجال كثير.

وزيد بنت مالك بن عميت.

ـ ومن الرجال: عصيمة (حليف للأنصار من بني أسد)، عصيمة (حليف لهم من أشجع) ـ كلاهما شهدا بدراً.

ومن النساء: عصيمة بنت حبار، عصيمة بنت أبي الأفلح (تابعيتان).

ـ علية بن زيد (صحابي).

ومن النساء علية بنت شريح (أم السائب ابن أخت نمر)، وعلية بنت المهدي.

ـ عميرة بن يثربي (قاضي البصرة لعمر بن الخطاب)، عميرة بن سعد (يروي عن علي رضي الله عنه)، وعميرة بن زياد (عن ابن مسعود).

ومن النساء: عميرة بنت سهل، عميرة بنت ظهير، عميرة بنت ثابت (صحابيات).

* * *

فصل
أسماء وقع فيها إشكال

ومما يقع الإشكال فيه:

- إسحاق الأزرق، وإسحاق بن الأزرق، فالأول مصري روى عنه الليث بن سعد، والثاني يروي عن الثوري.

- عياش بن الأزرق، وعباس الأزرق، فالأول بالشين المعجمة(روى عن جعفر الفرياني)، والثاني بالسين المهملة (روى عنه حماد).

- هاشم بن البريد، وهاشم البريد، فالأول كوفي حدَّث عن أبي إسحاق السَّبيعي، والثاني بصري يروي عن عبد الصمد بن عبد الوارث.

* * *

منتخب من الأسماء المفردة[1]

أجمد بن عجيان، أثال، أثان، أرطيان، أسفع، أيقع، أفلت، أكيل، أخيل، بحبح، يشمين، بلهط، بلج، بيحرة، ثهلان، جاحل، جيب، جحدل، خنفر، خِرباق، ديسم، رعيان، زنيح، ركيح، زبيد، سرق، سياك، شبيب، شتير، شنيف، شُويس، شَبيم، صحار، صمصم، ضريك، طيسلة، عِتريس، عذافر، عرزب، عرعرة، عسعس، عبّاق، فصافص، فنج، قحذم، قريع، كركرة، كهدل، لبي، لبطة، لمازة، مراجم، مشرح، معقس، مقلاص، مليل، هلقام، المنقع، منجل، ياسم، نبتل، نسطاس، نوسجان، وقدان، هبيب، هجنع، هداج، هرماس، هصان، ينحس، يعفر، هيطان.

* * *

(١) أي: الأسماء التي لم يسمَّ بها أحد سوى المذكورين.

منتخب من مشتبه الأسماء

ـ أحمد: كثير، أجمد بن عجيان الذي شهد فتح مصر.

ـ أنس: كثير، وأنش جد محمد بن الحسن بن أنس الصنعاني.

ـ بشر: كثير، وبسر بن أبي أرطأة صحابي، ونشر هو محمد بن نشر الكوفي، روى عن ابن الحنفية، وبسر أبو اليسر هو صحابي، وبسر بن أنس هو متأخر، ونسر هو جد يحيى بن أبي بكير قاضي كرمان.

ـ بيان: كثير، وبنان بن محمد الزاهد، وبنّان بن يعقوب، وبتان هو سعيد بن بتان الأيلي.

ـ يزيد: كثير، وبريد بن أصرم يروي عن علي، وتزيد بن جُشَم في نسب الأنصار، وبرند هو عرعرة بن البرند.

ـ حماد: كثير، وحماد بن أيوب روى عن حماد بن أبي سليمان.

ـ جَرير: كثير، وجُرير[1]: هو عبد الله بن جرير، وحريز بن عثمان، وحرير أم الحرير تروي عن طلحة بن مالك، وجريز بن صدقة الجريز، يروي عن شعبة.

ـ جماز هو الهيثم بن جماز، وحبيب بن حماز، ونعيم بن خمار، وعياض ابن حمار، وحماز يروي عن ابن مسعود.

ـ خباب: صحابي، وحباب بن المنذر صحابي، وجناب بن الخشخاش يروي عن أبي كلدة، وجباب بن صالح، وحتات بن يحيى.

ـ خُبيب: كثير، خَبيب صحابي، وخُبيب[2] صحابي، وجبيب بن النعمان ابن يحيى، وجبيب أخو حمزة الزيات.

---

(١) هذا مصغر، وما قبله مكبر.

(٢) هذا مصغر، وما قبله مكبر.

خنيس بن حذافة صحابي، وهب بن حنيش صحابي، حبيش بن خالد صحابي، حبيس بن عايد مصري.

نعيم: كثير، يغنَم بن سالم يروي عن أنس.

* * *

فصل
من مشتبه النسبة

ـ الحسن البصري، طلحة بن عمرو النصري، الحسين بن الحسن النضري.

ـ سفيان الثوري، محمد الصلت الثَّوْري، محمد بن عمرو البُوري، أبو الحسين الثُّوري.

ـ أبو بكر الخياط، فطر بن خليفة الحنّاط، مسلم الخبّاط، وقد جمع مسلم هذه الصفات الثلاث.

ـ الخزّاز جماعة، وعبد الله بن عون الخراز، وعيسى بن يونس الجزاز، ويحيى بن الجزار.

ـ أبو عمرو الشَّيْباني، أيوب بن سويد السيباني، الفضل بن موسى السِّيْناني.

ـ فرقد السَّبْخي[1]، سليمان بن معبد السِّنْجي، أبو بكر السِّبْحي، بدر الشيحي.

ـ عامر الشَّعْبي، معاوية بن حفص الشَّعْبي، زكريا بن عيسى الشعبي، حذيفة بن اليمان العبسي، عمار بن ياسر العنسي، صعق بن حزم العيسي، وتقع النسبة في المحدثين إلى هذه الألفاظ الثلاثة، قال الحسن بن سفيان الفسوي: كلّما ورد في الحديث عبسي فهو كوفي، وعنسي فهو بصري، وعيسي فهو مصري.

ـ إبراهيم بن يزيد الخوزي، محمد بن يزيد الحوزي، محمد بن يزداد الجوزي، عبد الرحمن بن علي الجوزي[2].

* * *

---

(١) فرقد السبخي: بفتح السين المهملة والباء الموحدة وبخاء معجمة، صدوق عابد، لكنه لين الحديث كثير الخطأ.

(٢) عبد الرحمن: هو مؤلف كتاب (المدهش) الذي تقرؤه.

بيان أحاديث أهمل فيها تبيين الأسماء المشتبهة

● **حديث:**

روى أبو قُلابة عن أنس عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ الله تعالى وضَعَ عن المسافر شَطْرَ الصَّلاةِ، وعنِ الحاملِ والمُرْضِعِ يعني الصيام»[1]، أنسٌ هذا هو ابن مالك القُشيري.

● **أحاديث:**

روى عطاء عن أبي هريرة قال: «في كلِّ صلاةٍ يُقرأ، فما أسمعنا رسول الله ﷺ أسمعناكم، وما أخْفَى عنا أخفينا عنكم»[2].

وروى عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعُ حُبُّ هؤلاءِ الأربعة في قلبِ منافقٍ: أبو بكر، وعمرُ، وعثمانُ، وعليّ»[3].

وروى عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمتِ الصلاةُ فلا صلاةَ إلا المكتوبة»[4].

وروى عطاء عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ ﷺ سجد في: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[5].

وروى عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مضى ثُلثُ الليل

---

(١) ولفظه: «.. والصوم عن المسافر وعن المرضع والحبلى»، رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب القراءة في الفجر، رقم (٧٧٢).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وابن عساكر، انظر: كنز العمال، رقم (٣٣١٠٣).

(٤) رواه مسلم والأربعة.

(٥) ولفظه: «سجدنا مع رسول الله ﷺ في: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾» رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي شيبة.

يقولُ اللهُ: ألا داعٍ يجابُ»[1].

عطاء الأول: هو ابنُ أبي رباح، والثاني: الخراساني، والثالث: ابن يسار، والرابع: ابن ميناء، والخامس: مولى أم صُبية.

● **أحاديث:**

روت عَمْرةُ عن عائشةَ قالت: لو أنّ رسولَ الله ﷺ رأى ما أحدثَ النساءُ بعدَه لمنعهنّ مِنَ المساجدِ كما مُنع نساءُ بني إسرائيل[2].

وروت عَمْرةُ أنها دخلت مع أمها على عائشةَ فسألتها: ما سمعتِ من رسولِ الله ﷺ يقول في الفرار من الطاعونِ؟ قالت: سمعته يقول: «كالفرار من الزحف»[3].

وروت عَمْرةُ قالت: خرجتُ مع عائشةَ سنةَ قُتِل عثمانُ إلى مكةَ، فمررنا بالمدينة، ورأينا المصحفَ الذي قُتل وهو في حِجْرِه، فكانتْ أولُ قطرةٍ قَطرَتْ على هذه الآية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] قالت: فما مات منهم رجل سويّاً[4].

وروت عَمرةُ عن عائشةَ قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ ينهى عن الوِصَال[5].

---

(١) رواه ابن جرير، انظر: كنز العمال، رقم (٣٣٩١).

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والدارمي والإمام أحمد.

(٣) رواه ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها ـ بلفظ: «الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف» ورمز السيوطيُّ لصحته. وفي مسند الإمام بلفظ: «الفار من الطاعون كالفار من الزحف» المسند: ٦/ ٢٥٥ بإسنادٍ جيدٍ، وابن عبد البر في التمهيد.

(٤) انظر: البداية والنهاية: ٧/ ١٨٨، ثم قال: ولما بلغ سعدُ بن أبي وقاص قتلَ عثمان استغفر له وترحّم عليه، وتلا في حق الذين قتلوه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣]، ثم قال: اللهم ندمهم ثم خذهم. وقد أقسم بعض السلف بالله أنه ما مات أحدٌ من قتلة عثمان إلا مقتولاً. رواه ابن جرير. قال ابن كثير: وهكذا ينبغي أن يكون، لوجوه منها: دعوة سعد المستجابة، كما ثبت في الحديث الصحيح. وقال بعضهم: ما مات أحدٌ منهم حتى جُنّ.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

عمرة الأولى: هي بنت عبد الرحمن الأنصارية، والثانية: بنت قيس العدوية، والثالثة: بنت أرطأة، والرابعة: يقال لها: الطاخية.

● **أحاديث:**

روى حمَّادٌ عن ثابت عن أنس: أنَّ النبيَّ ﷺ سمع في النخل صوتاً فقال: «ما هذا؟» قالوا: يؤبِّرُ النخلُ، فذكر الحديث[1].

وروى حماد عن ثابت عن أنس قال: رأى رسولُ الله ﷺ على عبد الرحمن صُفرَة، فقال: «ما هذا؟» قال: تزوجتُ، قال: «أَوْلِم»[2].

روى حماد عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أمتي مثلُ المطرِ»[3].

حماد الأول: هو ابن سلمة، والثاني: ابن زيد، والثالث: الأبح.

واعلم أنّ مثل هذه الأسماء المشتبهة إذا لمْ يصرّحْ في الحديثِ ببيانها لم يفرّق [بينها] إلا الناقدُ المجوّدُ.

وفي الفرق بينها فائدةٌ عظيمةٌ، وهي أنَّ بعضَ الرواة ثقة، ومشابهه في الاسم يكون ضعيفاً، فيُطلب الفرقُ لذلك.

مثاله: أن يروي قتادةُ عن عكرمةَ، وهو يروي عن عكرمة مولى ابن عباس، وذاك ثقة، وعن عكرمة بن خالد، وهو ضعيف.

وكذا قول وكيع: حدثنا النضر عن عكرمة، وهو يروي عن النضر بن عربي وهو ثقة، وعن النضر بن عبد الرحمن وهو ضعيف.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله ﷺ تشريعاً؛ وابن ماجه والبزار والطبراني والإمام أحمد، و(التأبير): هو تلقيح النخل.

(٢) وتمامه: «أولم ولو بشاة» رواه البخاري والنسائي وأحمد وغيرهم. والصُّفرة: هي لونٌ لنوعٍ من الطيب يُتَّخَذُ من الزَّعفران، وعبد الرحمن: هنا هو ابنُ عوف رضي الله عنه. والوليمة: هي طعامُ العرس.

(٣) وتمامه: «لا يُدْرَى أولُه خيرٌ أم آخرُه» رواه أحمد والترمذي عن أنس؛ وفي الجامع الصغير برقم (٨١٦١)، وصححه السيوطي.

ومثله قول حفص بن غياث: عن أشعث عن الحسن، وهو يروي عن أشعث بن عبد الملك وهو ثقة، وعن أشعث بن سوار وهو ضعيف.

* * *

منتخب من المُتّفق والمُفترق

ـ أنس بن مالك خمسة: اثنان من الصحابة: أبو حمزة الأنصاريّ، وأبو أميةَ الكَعْبيّ، والثالث أبو مالك الفقيه، والرابع كوفيّ، والخامس حمصيّ.

ـ أسامةُ بن زيد ستة: أحدهم مولى النبيّ ﷺ، والثاني تنوخيّ، والثالث ليثيّ، والرابع كلبيّ، والخامس شيرازيّ، والسادس مولى لعمرَ.

ـ أحمد بن جعفر بن حمدانَ أربعة في طبقة واحدة: أحدهم دِيْنَوريّ، والثاني طَرْسَوسيّ، والثالث قطيعيّ، والرابع سقطيّ.

ـ جابر بن عبد الله سبعة: أحدهم ابن عمرو، والثاني ابن رباب صحابيان، والثالث سلميٌّ، والرابع محاربيّ، والخامس غطفانيّ، والسادس مصريّ، والسابع بصريّ.

ـ الخليل بن أحمد خمسة: ثلاثة بصريون، والرابع أصفهانيّ، والخامس سجزيّ.

ـ سعيد بن المسيّب ثلاثة: أحدهم مَدَنيّ، والثاني بَلَويّ، والثالث شيرازيّ.

ـ عبد الله بن المبارك ستة: أحدهم مروزيّ، والثاني خراسانيّ، والثالث بخاريّ، والرابع جوهري، والباقيان من أهل بغداد.

ـ عمر بن الخطاب سبعة:: أحدُهم أمير المؤمنين، والثاني كوفيّ، والثالث بصريّ، والرابع إسكندرانيّ، والخامس سجِسْتانيّ، والسادس راسبيّ، والسابع عنبريّ.

ـ عثمان بن عفان اثنان: أحدهما أمير المؤمنين رضي الله عنه، والثاني سجزيّ.

ـ علي بن أبي طالب ثمانية: أحدهم أمير المؤمنين رضي الله عنه، والثاني

بصريّ، والثالث جُرْجانيّ، والرابع استراباذيّ، والخامس تَنُوخيّ، والسادس بكراباذيّ، والسابع بغداديّ، والثامن يقال له: الدّهان.

ـ عُمران بن حصين أربعة: أحدهم صحابيّ، والثاني ضبي نَيْسابوريّ، والثالث بصريّ، والرابع أصبهانيّ.

ـ فضيل بن عياض اثنان: أحدهما مصريّ، والثاني مكيّ.

ـ يحيى بن معاذ ثلاثة: أحدهم نيسابوري، والثاني رازي، والثالث تُسْتريّ.

ـ يوسفُ بن أَسْباط ثلاثة: أحدهم كوفيّ، والثاني حمصيّ، والثالث سُلَميّ.

* * *

الباب الرابع
في ذكر عيون التاريخ

الباب الرابع

في ذكر عيون التاريخ

روى أبو هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «خلقَ اللهُ تعالى التربةَ يوم السَّبتِ، وخلقَ الجبالَ فيها يومَ الأحدِ، وخلقَ الشَّجَرَ فيها يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النورَ يوم الأربعاء، وبثَّ فيها الدوابَّ يومَ الخميس، وخلقَ آدمَ يومَ الجمعة بعد العصر»[1].

قال علماءُ التاريخ: الأرضُ كلُّها على صخرة. الصخرة على مَنْكِبَيْ مَلَك، والمَلَك على الحوت، والحوت على الماء، والماء على متن الريح[2].

● **فصل في أقاليم الأرض:**

أقاليمُ الأرضِ سبعةٌ: فالإقليم الأول الهند، والثاني إقليم الحجاز، والثالث إقليم مصر، والرابع إقليم بابل، والخامس إقليم الروم والشام، والسادس إقليم بلاد الترك، والسابع إقليم بلاد الصين.

وأوسط الأقاليم: إقليم بابل، وهو أعمرها، وفيه جزيرة العرب، وفيه العراق الذي هو سُرّةُ الدنيا[3] وبغداد في أوسط هذا الإقليم، فلاعتدالِه اعتدلت ألوانُ أهله، فسَلِموا من شُقرةِ الروم، وسواد الحَبَش، وغِلَظ الترك، وجفاءِ أهلِ الجبال، ودمامة أهل الصين، وكما اعتدلوا في الخِلقة لطُفوا في الفِطنة.

---

(١) رواه مسلم والإمام أحمد بن حنبل: ٢/ ٣٢٧، واللفظ للإمام أحمد. وقد تكلَّمَ في هذا الحديث ابن المديني، والبخاري، وابن كثير في تفسيره، وغيرهم من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب الأحبار. انظر: فيض القدير: ٣/ ٤٤٨.

(٢) لا أصل لهذا القول لا في الشرع ولا في الواقع.

(٣) هذا الكلام مخالِفٌ لما ثبتَ من كون الكعبة المشرفة هي سرّةُ الأرض.

● فصل في الجبال:

قال علماء التواريخ: جميع ما عُرِفَ في الأرض من الجبال مئة وثمانية وتسعون جبلاً، ومن أعجبها جبل سرنديب[1]، وطوله مئتان ونيف وستون ميلاً، وفيه أثرُ قدم آدم حين أُهبط، وعليه سنا البرقِ لا ينقطع شتاءً ولا صيفاً، وحوله حجارة ياقوت، وفي واديه حجر الماس الذي يقطع به الصخور، ويثقب اللؤلؤ، وفيه العود والفلفل، ودابة المسك، ودابة الزَّباد[2].

وجبل الردم الذي فيه السد، طوله سبعمئة فرسخ، وينتهي إلى البحر المظلم.

● فصل معادن الأرض:

قالوا: في الأرض سبعمئة معدن، ولا ينعقدُ الملح إلا في السَّبَخ[3]، ولا الجصّ إلا في الرمل والحصى، والبحر الأعظم محيطٌ بالدنيا، وجميعُ البحار تستمد منه[4].

● فصل آدم ونوح عليهما السلام وأولادهما:

قالوا: وعاش آدم ألفَ سنة، وولدت له حواءُ أربعين بطناً، في كلِّ بطنٍ ذكر وأنثى، قالوا: فأول أولاده قابيل، وتوءمته أقليميا، ولم يمت آدم حتى رأى من أولاده وأولاد أولاده أربعين ألفاً، وانقرض نسلُهم، غير نسل شيث.

ثم انقرض النسل، وبقي أولاد نوحٍ وهم: سام، وحام، ويافث؛ فسام أبو العرب، وحام أبو الزِّنج، ويافث أبو الروم والترك، ويأجوج ومأجوج بنو عم الترك.

---

(١) جبل في جزيرة سيلان، وهي تقع في المحيط الهندي جنوب شبه القارة الهندية.

(٢) دابة الزَّباد: الزَّباد: مثل السنور الصغير، يجلب من نواحي الهند، وقد يأنس فيقتنى، ويحتلب شيئاً شبيهاً بالزُّبد يظهر على حَلْمته بالعصر مثل ما يظهر على أنوف الغلمان المراهقين، وله رائحة طيبة.

(٣) السَّبخ: السَّبخة واحدة السِّباخ، يقال: أرض سبخة ذات ملح ونزّ.

(٤) ما ذكره الشيخ في هذا الفصل استناداً إلى ما كان شائعاً في عصره من العلوم الجغرافية.

● **فصل في تسمية الحواريين:**

شمعون الصفا، وشمعون القناني، ويعقوب بن زندي، ويعقوب بن حلقي، وقولوس، ومارقوس، وأندراوس، وبرثملا، ويوحنا، ولوقا، وتوما، ومتى.

● **فصل من ملوك فارس:**

كان أول ملوك الفرس: دارا، ملكَ نحواً من مئتي سنة، ثم ملك بعده خمسة وعشرون؛ منهم امرأتان، وكان آخر القوم يزدجرد، هلك في زمان عثمان، وكان مُلْكُهم خمسمئة سنة وكسراً.

وكان أظرفهم ولايةً ذو الأكتاف، فإنه لا يُعْرَف مَنْ مَلَك وهو في بطن أمه غيرُه، لأن أباه كان قد مات ولا ولد له، وإنّما كان هذا حَمْلاً، فقال المنجِّمون: هذا الحَمْل يملك الأرض، فوُضِعَ التاجُ على بطنِ الأمِّ، وكتب منه إلى الآفاق، وهو جنين، وسمي سابورَ، وإنَّما لُقِّبَ بذي الأكتاف، لأنه حين ملك كان ينزع أكتاف مخالفيه، وهو الذي بنى الإيوان، وبنى نيسابور وسجِسْتان والسوس.

وما زال الملكُ ينتقل بعده فيهم إلى أن ملك أنوشروان، وكان أحزمَهم، وكان له اثنا عشر ألف امرأة وجارية، وخمسون ألف دابة، وألفُ فيلٍ إلا واحداً، وفي زمانه ولد نبيُّنا محمد ﷺ، ومات لثمان سنين مضت من مولد نبينا ﷺ، ولما دخل المسلمون المدائن، أحرقوا ستر باب الإيوان، فأخرجوا منه ألفَ ألفِ مثقالٍ ذهباً.

● **فصل في عجائب الأقرباء نسباً وحالاً:**

أربعةٌ تناسلوا، رأوا رسولَ الله ﷺ: أبو قحافة، وابنه أبو بكر، وابنه عبد الرحمن، وابنه محمد، ويكنى أبا عتيق.

أربعة إخوة كان بين كلِّ واحد منهم وواحد عشرُ سنين: أولادُ أبي طالب: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي، فكان طالبُ أسنَّ من عقيل بعشر سنين، وعقيل أسنَّ من جعفر بعشر سنين، وجعفر أسنَّ من علي بعشر سنين.

ولا يعرف أخوان تباعدا في السنّ مثل موسى بن عبيدةَ الرّبذي وأخيه عبيد الله بن عبيدة، فإنَّ عبد الله أسنُّ من موسى بثمانين سنة.

ومن العجائب: ثلاث إخوة ولدوا في سنة واحدة، وقتلوا في سنة واحدة، ولهم من العمر ثمان وأربعون سنة: يزيد، وزياد، ومدرك بنو المهلّب بن أبي صُفرة.

ومن العجائب: أربعة أنفس رزق كل واحد منهم مئة ولد: أنس بن مالك، وعبد الله بن عمير الليثي، وخليفة السعدي، وجعفر بن سليمان الهاشمي.

ومن العجائب: ثلاثةٌ بنو أعمام، كلُّهم كانوا في زمان واحد، كل واحد منهم اسمه علي، ولهم ثلاثة أولاد، كل واحد منهم اسمه محمد. الآباء والأبناء علماء أشراف، وهم: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعلي بن عبدالله ابن العباس، وعلي بن عبد الله بن جعفر.

ومن العجائب: أنه في ليلة السبت لأربعَ عشْرَةَ بقين من ربيع الأول سنة تسعين ومئة، مات الهادي، واستُخْلِف الرشيدُ، ووُلد المأمون.

ومن العجائب: أنّه سلَّم على الرشيد بالخلافة عمُّه سليمانُ بن المنصور، وعم أبيه المهدي وهو العباس بن محمد، وعم جَدِّه المنصور، وهو عبد الصمد ابن علي، وقال له عبد الصمد يوماً: يا أميرَ المؤمنين هذا مجلسٌ فيه أمير المؤمنين وعم أمير المؤمنين وعمُّ عمِّ أمير المؤمنين وعمّ عمِّ عمّه، وذلك أنّ سليمان بن أبي جعفر عمُّ الرشيد، والعباس عمُّ سليمان، وعبد الصمد عمُّ العباس.

ومن العجائب: أنَّ عبد الصمد حجَّ بالناس سنة خمسين ومئة، وقد حجَّ قبلـه يزيد بن معاوية سنة خمسين: وهما في النسب إلى عبد مناف سواء، لأن يزيـد هو ابن معاويةَ بنِ صخر بن حـرب بن أميةَ بن عبد شمس بن عبد مناف، وعبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

ومن العجائب: وقد سلَّم على المتوكل بالخلافة ثمانية، كلهم ابن خليفة: المنتصر ابنه، ومحمد بن الواثق، وأحمد بن المعتصم، وموسى بن المأمون،

وعبد الله بن الأمين، وأبو أحمد بن الرشيد، وأبو العباس بن الهادي، والمنصور ابن المهدي.

ومن العجائب: قد ولي الخلافة: أخوان، وثلاثة، وأربعة.

فأما الأخوان: فالسفاح والمنصور، والهادي والرشيد، والواثق والمتوكل ابنا المعتصم، والمسترشد والمقتفي.

وأما الثلاثة: فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد، والمستكفي والمقتدر والقادر بنو المعتضد، والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر.

وأما الأربعة فلم يكونوا إلا بني عبد الملك[1].

ـ ومن العجائب المختصة بالنساء:

من ذلك أن امرأة شهد لها بدراً سبعة بنين مسلمين وهي: عفراء بنت عبيد، تزوجها الحارث بن رفاعة، فولدت له معاذاً ومعوّذاً، ثم تزوجها بُكير فولدت له إياساً وخالداً، وعاقلاً وعامراً، ثم رجعت إلى الحارث، فولدت له عَوْفاً، فشهدوا كلُّهم بدراً، ويخرج من هذا جواب السائل هل تعرفون أربعة إخوة لأب وأم شهدوا بدراً مسلمين؟

ومن هذا الجنس: امرأة كان لها أربعة إخوة وعَمَّان شهدوا بدراً، فأخوان وعمٌّ مع رسول الله ﷺ، وأخوان وعمٌّ مع المشركين، وهي هند بنت عتبة بن ربيعة، فالأخوان المسلمان: أبو حذيفةَ بن عتبة ومصعب بن عمير، والعم المسلم: معمر ابن الحارث، والأخوان المشركان: الوليد بن عتبة وأبو عزيز، والعم المشرك شيبةُ بن ربيعة.

ومن العجائب: أن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان كان له أربع بنات: عبدة، وعائشة، وأم سعيد، ورقية، تزوجهن أربعة من الخلفاء: تزوج عبدةَ الوليد بن عبد الملك، وعائشة سليمان، وأم سعيد يزيد بن عبد الملك، ورقية هشام.

---

(١) وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام.

وكان لهذا الرجل، أعني عبد الله بن عمرو، ولدٌ اسمه محمد كان يقال له: الديباج لحسنه، وكان لمحمد بنتٌ اسمها حفصةُ لا يُعرف امرأة ولّدها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير والحسين وابن عمر سواها.

أما ولادة رسول الله ﷺ لها، فإن أمّ أبيها محمدٍ فاطمةُ بنت الحسين بن علي، وأم الحسين فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

ومن طريق الحسين بن علي ولادته لها، وولادة علي لها.

وأما ولادة أبي بكر لها، فإنَّ أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير، وأم عروة أسماء بنت أبي بكر الصديق، ومن طريق عروةَ ولدها الزبير.

وأما ولادة عمر لها، فإنّ أم جدّها عبدِ الله زينب بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، فمن هذه الطريق ولادة عمر لها.

وأما ولادة عثمان لها، فمن طريق أبيها.

وأما ولادة طلحة فإنّ جدتها من قِبَلِ أبيها هي أم إسحاقَ بنتُ طلحةَ بنِ عبيد الله.

ومن العجائب: امرأة ولدت خليفتين، وهنّ ثلاث:

الأولى: ولادة بنت العباس العبسية: تزوّجها عبد الملك بن مروان، فولدت له: الوليدَ وسليمان فَوليا الخلافة.

والثانية: شاهْفِرِنْد بنت فيروز بن يزدجرد: تزوجها الوليد بن عبد الملك، فولدت له: يزيدَ وإبراهيم، فوليا الخلافة.

والثالثة: الخَيْزُران: ولدت للمهدي الهاديَ والرشيدَ.

● فصلٌ في الجدوب وعموم الموت:

أجدبت الأرض (في سنة ثماني عشرة) فكانت الريحُ تسفي تراباً كالرماد، فسمي عامَ الرمادة، وجعلت الوحوشُ تأوي إلى الإنس، فآلى عمرُ ألا يذوقَ سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا الناسُ، واستسقى الناسُ بالعباسِ فسُقوا.

وفيها كان **طاعونُ عَمْواس**، مات فيه أبو عبيدة، ومعاذ، وأنس.

وفي سنة أربع وستين وقع **طاعونٌ** بالبصرة ومات أم أميرهم، فما وجدوا مَنْ يحملها.

وفي سنة ست وتسعين كان **طاعون الجارف**، هلك في ثلاثة أيام سبعون ألفاً، ومات فيه لأنس ثمانون ولداً، وكان يموتُ أهلُ الدار، فَيُطَيَّنُ الباب عليهم.

وفي سنة إحدى وثلاثين ومئة مات أولَ يوم في **الطاعون** سبعون ألفاً، وفي الثاني نيفٌ وسبعون ألفاً، وفي اليوم الثالث خمد الناس.

وفي سنة تسعَ عشرةَ وثلاثمئة **كثر الموت**، وكان يُدفَنُ في القبرِ الواحدِ جماعة.

وفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة ذُبحَ الأطفال، وأُكِلَتِ الجيفُ، وبيع العقارُ برغيفَيْن، واشتري لمُعزٍّ الدولة كُوٌ[1] دقيقٍ بعشرين ألف درهم.

وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمئة **عمت الأمراض البلاد**، فكان يموتُ أهلُ الدار كلهم.

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة أصاب أهل البصرة حرٌّ، فكانوا يتساقطون موتى في الطرقات.

وفي سنة ثمان وأربعين وأربعمئة **عم القحطُ**، فأُكلتِ الميتةُ، وبلغ المكُّوك[2] من بزر البقلة سبعة دنانير، والرُّمَّانةُ بدينار، والسفرجلة بدينار، والخيارة واللينوفرة بدينار.

وورد الخبرُ من مصر بأنَّ ثلاثةً من اللصوص نقبوا داراً فوُجِدُوا عند الصباح موتى، أحدهم على باب النقب، والثاني على رأس الدرجة، والثالث على الثياب المكوَّرة.

---

(١) **الكُرّ**: مكيال يعادل (٢٨٨٠) كغ من القمح. انظر: (المكاييل والموازين) من منشورات الجامعة الأردنية.

(٢) **المكّوك**: مكيال يعادل (٦) كغ من القمح. المرجع السابق.

وفي السنة التي تليها وقع وباءٌ، فكان تحفر زُبْيَة[1] لعشرين وثلاثين فيُلقَوْن فيها، وتاب الناس كلُّهم، وأراقوا الخمور، ولزموا المساجد.

وفي سنة ست وخمسين وأربعمئة **وقع الوباءُ**، وبلغ الرطل من التمر الهندي أربعة دنانير.

وفي سنة اثنين وستين وأربعمئة **اشتد الجوع والوباءُ بمصرَ**، حتى أكل الناسُ بعضهم بعضاً، وبِيْعَ اللوز والسكر بوزن الدراهم، والبيضةُ بعشرة قراريطَ، وخرج وزير صاحب مصر إليه فنزل عن بغلته، فأخذها ثلاثة فأكلوها، فضُلبوا، فأصبح الناس لا يرون إلا عظامهم تحت خشبهم، وقد أُكلوا.

وفي سنة أربع وستين وأربعمئة **وقع الموتان**[2] **في الدواب**، حتى إنَّ راعياً قام إلى الغنم وقت الصباح ليسوقها فوجدها كلَّها موتى.

● فصل في الزلازل والآيات:

زلزلت الأرض على عهد عمرَ في سنة عشرين.

ودامتِ الزلازل في سنة أربع وتسعين: أربعين يوماً، وقعت الأبنيةُ الشاهقةُ، وتهدَّمت أنطاكية.

وفي سنة أربع وعشرين ومئتين **زلزلت فِرْغانة**، فمات فيها خمسةَ عشرَ ألفاً.

وفي السنة التي تليها **رجفت الأهواز**، وتصدّعتِ الجبال، وهرب أهلُ البلد إلى البحر والسفن، ودامت ستة عشر يوماً.

وفي السنة التي تليها **مُطر أهل تيماء**[3]، مطراً وبَرَداً كالبيض، فقتل بها ثلاثمئة وسبعون إنساناً، وسُمع في ذلك صوت يقول: ارحمْ عبادك، اعفُ عن

---

(١) **الزبية**: بالضم حفيرة الأسد.

(٢) **الموتان**: ضد الحيوان، والموتُ والموتان: كله الموت، يقع في المال والماشية، قال الفرّاء: وقع في المال مَوْتان: هو الموت، وفي الحديث: «يكون في الناس موتان كقُعاص الغنم» والموتان: الموت الكثير الوقوع.

(٣) بالفتح والمد: بليدة في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام.

عبادك، ونظروا إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع، وعرضها شبران، والخطوة إلى الخطوة خمسةُ أذرعٍ أو ست، فاتبعوا الصوتَ فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً.

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومئتين رجفت دمشق رجفةً حتى انقضَّتْ منها البيوت، وسقطت على مَنْ فيها، فمات خلقٌ كثير، وانكفأت قريةٌ في الغوطة على أهلها، فلم ينجُ منهم إلا رجلٌ واحد، وزلزلت أنطاكية فمات منها عشرون ألفاً.

وفي السنة التي تليها هبت ريحٌ شديدة لم يُعهد مثلُها، فاتصلت نيفاً وخمسين يوماً، وشملت بغدادَ والبصرة والكوفة وواسط وعَبَادان والأهواز، ثم ذهبت إلى همذان، فأحرقتِ الزرع، ثم ذهبت إلى الموصل، فمنعتِ الناسَ من السعي، فتعطلت الأسواق. وزُلزلتْ هراةُ فوقعت الدور.

وفي سنة ثمان وثلاثين [ومئتين][1] وجَّه طاهر بن عبد الله إلى المتوكل حجراً سقط بناحية طبرستان، وزنه ثمانمئة وأربعون درهماً، أبيض، فيه صدع، وذكروا أنّه سُمِعَ لسقوطه هدَّة أربع فراسخ في مثلها، وأنه ساخَ في الأرض خمسة أذرع.

وفي سنة أربعين ومئتين خرجت ريحٌ من بلاد الترك، فمرت بمرو فقتلت خلقاً كثيراً بالزكام، ثم صارت إلى نيسابور، وإلى الري، ثم إلى همذان وحلوان، ثم إلى العراق، فأصاب أهلَ بغداد وسرَّ مَنْ رأى حُمَّى وسُعال وزكام.

وجاءت كتب من المغرب أن ثلاث عشرة قرية من قرى القَيروان خُسِفَ بها، فلم ينجُ من أهلها إلا اثنان وأربعون رجلاً سودُ الوجوهِ، فأتوا القيروان فأخرجهم أهلها، وقالوا: أنتم مسخوطٌ عليكم، فبنى لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوها.

وفي سنة إحدى وأربعين [ومئتين][2] ماجت النجوم في السماء، وجعلت تتطاير شرقاً وغرباً كالجراد، من قبل غروب الشمس إلى الفجر، ولم يكن مثلُ

---

(١) زيادة من المحققين للتوضيح.

(٢) زيادة من المحققين للتوضيح.

هذا إلا عند ظهور رسول الله ﷺ.

وفي السنة التي تليها رُجمت قرية يقال لها: السويداء ناحية مصر بخمسة أحجار، فوقع حجر منها على خيمة أعرابي فاحترقت، ووزن منها حجرٌ فكان فيه عشرة أرطال.

وزلزلت الرَّي وجرجان وطبرستان ونيسابور وأصبهان وقم وقاشان كلها في وقت واحد، وزلزلت الدامغان فهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفاً، وتقطعت جبال، ودنا بعضها من بعض، وسمع للسماء والأرض أصوات عالية، فهلك من أهلها [خمس وأربعون ألفاً][1].

وسار جبل باليمن، عليه مزارع، حتى أتى مزارع قوم آخرين.

ووقع طائر أبيض دون الرخمة وفوق الغراب على دُلبة[2] بحلب، لسبع مضيْنَ من رمضان، فصاح: يا معشر الناس، اتقوا الله، اللهَ، اللهَ، حتى صاحَ أربعين صوتاً ثم طار، وجاء من الغد فصاح أربعين صوتاً ثم طار، فكتب صاحبُ البريد بذلك، وأشهد خمسمئة إنسان سمعوه.

ومات رجل في بعض كور الأهواز فسقط طائر أبيض على جنازته، فصاح بالفارسية والحوزية: إنَّ الله قد غفر لهذا الميت ولمن شهده.

وفي سنة خمس وأربعين ومئتين زلزلت أنطاكية فسقط منها ألف وخمسمئة دار، ووقع من سورها نيف وتسعون برجاً، وسمع أهلها أصواتاً هائلة، من كُوى المنازل.

وسمع أهل تنيس صيحة هائلة دامت فمات منها خلق كثير.

وذهبت جيلة[3] بأهلها.

وفي سنة خمس وثمانين ومئتين مطرت قريةٌ حجارةً بيضاء وسوداء.

---

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم: ١١/ ٢٩٤، للمؤلف.
(٢) دُلبة: شجرة.
(٣) حصن باليمن.

وفي سنة ثمانٍ ومئتين زلزلت دُنْبُل[1] في الليل، فأصبحوا، ولم يبق من المدينة إلا اليسير، فأخرج من تحت الهدم خمسون ومئة ألف ميت.

وفي سنة تسعَ عشرة وثلاثمئة عَدَلَ الحاجُّ عن الجادة خوفاً من العرب، فرأوا في البرية صورَ ناسٍ من حجارة، ورأوا امرأة قائمة على التنور وهي من حجارة، والخبز الذي في التنور من حجارة.

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة هبت ريحٌ بفم الصلح[2]، شبهت بالتنين، جرفت دجلة، حتى ذكر أنّه بانت أرضها، وأهلكت خلقاً كثيراً، واحتملت زورقاً منحدراً، وفيه دواب، فطرحته في أرض جوخى[3].

وفي سنة عشرين وأربعمئة جاء بَرَد هائل، ووقعت بردة حُزِرت بمئة وخمسين رطلاً، فكانت كالثور النائم[4].

وفي سنة أربع وثلاثين [وأربعمئة][5] زلزلت تبريز، فهدم سورها وقلعتها، وهلك تحتَ الهدم خمسون ألفاً.

وفي سنة أربع وأربعين وأربعمئة كانت بأذربيجان زلازل، انقلعت منها الحيطان، فحكى من يعتمَدُ على قوله أنّه كان قاعداً في إيوان داره، فانفرج سقفه حتى رأى السماء من وسطه ثم عاد.

وفي سنة ستين وأربعمئة كانت زلزلة بفلسطينَ، هلك فيها خمسة عشر ألفاً، وانشقت صخرة بيت المقدس، ثم عادت فالتأمتْ، وغاضَ البحر مسيرةَ يوم، فساخ في الأرض، فدخل الناس يلتقطون، فرجع عليهم فأهلك خلقاً كثيراً منهم.

وفي سنة اثنتين وستين [وأربعمئة][6] خُسف بأيلة[7].

---

(١) دُنْبُل: كقنفذ؛ أكراد حول الموصل، فأراد موضعهم.

(٢) فم الصلح: نهر عند واسط.

(٣) جوخى: بالجيم والواو فالحاء المهملة والألف المقصورة، قرية من عمل بغداد.

(٤) في خ ل: القائم.

(٥) زيادة من المحققين للتوضيح.

(٦) زيادة من المحققين للتوضيح.

(٧) أيلة: مدينة على ساحل خليج العقبة.

وفي سنة ست وخمسمئة سُمع ببغداد هدةٌ عظيمةٌ في أقطار بغداد في الجانبين، قال شيخنا أبو بكر بن عبد الباقي: أنا سمعتها، فظننتُ حائطاً قد وقع، ولم يُعلم ما ذاك، ولم يكن في السماء غيم، فيقال: رعدٌ.

وفي السنة التي تليها وقعت زلزلة بناحية الشام، فوقع من سور الرها[1] ثلاثة عشر برجاً.

وخُسف بسميساط[2] وقلب بنصف القلعة.

وفي سنة إحدى عشرة وخمسمئة زلزلت الأرض ببغداد يوم عرفة، فكانت الحيطان تمرُّ وتجيء.

وفي سنة خمسَ عشرةَ وقع الثلج ببغداد، فامتلأت منه الشوارعُ والدروب، ولم يُسمع قبله بمثله.

وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة كانت زلزلة بجَنْزة[3]، أتت على مئتي ألف وثلاثين ألفاً فأهلكتهم، وكانت في مقدار عشرة فراسخَ في مثلها.

وفي السنة التي تليها خُسف بجَنْزة، وصار مكان البلد ماء أسود، وقدم التجار من أهلها فلزموا المقابر يبكون على أهليهم.

وزلزلت حلوان فتقطع الجبل، وهلك خلق كثير.

وفي سنة اثنين وخمسين وخمسمئة كانت زلازل بالشام في ثلاثة عشر بلداً من بلاد الإسلام، فمنها ما هلك كله، ومنها ما هلك بعضه.

* * *

(١) الرها: بلد بنواحي الشام.

(٢) سميساط: بلد على الفرات.

(٣) جنزة: بفتح الجيم وسكون النون والراء المعجمة بلدة عظيمة بإيران.

الباب الخامس

في ذكر المواعظ

وهذا الباب ينقسم قسمين:

القسم الأول: يختص بذكر القصص.

والقسم الثاني: فيه المواعظ والإشارات مطلقاً.

* * *

القسم الأول

المختص بذكر القصص

وهو ستة وعشرون قصة

الفصل الأول

في قصة آدم عليه السلام

اعلموا أنَّ الله تعالى خلق آدم عليه السلام آخر الخلق، لأنّه مهَّدَ الدارَ قبلَ الساكنِ، وأقامَ عُذْرَه قبلَ الزَّلل، بقوله تعالى: ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾، فظنَّتِ الملائكةُ أنَّ تفضيلَه بنفسِه، فضنَّتْ بالفضلِ عليه، فقالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٣٠] فقولوا بلفظ: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ ﴾ [البقرة: ٣٠].

فلما صوَّره، ألقاه كاللُّقا[1]، فلمّا عاين إبليسُ تلكَ الصورةَ، باتَ مِنَ الهمِّ في صَوْرة[2]، فلمّا نُفِخَ فيه الروحُ باتَ الحاسِدُ ينوحُ.

ثم نودي في نادي الملائكة: ﴿ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾ [البقرة: ٣٤]، فتطهروا من غديرِ ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ [البقرة: ٣٢].

وغودر الغادِرُ نَجِساً بكبرياء ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ ﴾ [ص: ٧٦]. ثم حام العدوُّ حولَ حمى المحمي، فلولا سابِقُ القدر، ما قَدِرَ على آدم.

فلمَّا نـزلَ إلى الأرض، خـدَّ خدَّ[3] الفَرَحِ بمدمعِ التَّرَح[4]، حتى أقلقَ الوجودَ، فجاء جبريلُ، فقال: ما هذا الجهدُ؟ فصاحَ لسانُ الوَجدِ:

(للخفاجي):

ما رحلتِ العيسُ عن أرضِكُم ... فرأتْ عينايَ شيئاً حَسَنا
هل لنا نحوكم مِنْ عَوْدَةٍ ... ومِنَ التَّعليلِ قولي: هَلْ لنا

---

(١) كاللقا: كالعصا: الشيء الملقى المطروح كاللقطة.
(٢) صورة: يقال: إني لأجد في رأسي صَورة، أي: شبه الحكّة يجدها الإنسان في رأسه حتى يشتهي أنه يُمَلّى.
(٣) خدّ الأولى: حفر، خدّ الثانية: خدّ الوجه.
(٤) الترحُ: الحزنُ.

يا آدمُ! لا تجزعْ مِنْ كأسٍ خطأً كانَ سببَ كَبَبِكَ، فلقد استَخرجَ منك داءَ العُجْبِ، وألْبَسَكَ رداءَ النَّسكِ، «لو لم تُذْنِبُوا لذهبَ اللهُ بكم، وجاءَ بقومٍ»[1]

(للمتنبي):

لعلَّ عَتْبَكَ محمودٌ عواقبُه ... وربَّما صَحَّتِ الأجسامُ بالعِلَلِ

لا تحزنْ لقولي لك: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٣]، فلك خلَقْتُها، ولكنِ اخرُجْ منها إلى مزرعةِ المجاهدةِ، وسُقْ من دمعِك ساقيةَ ساقيةٍ[2] لشجرةِ ندمِك، فإذا عادَ العُوْدُ خَضِراً فعُد.

(للبحتري):

إنْ جَرَى بيننا وبينكِ عتبٌ ... أو تناءَتْ منا ومنكِ الدِّيارُ

فالغليلُ[3] الذي عهِدْتِ مقيمٌ ... والدموعُ التي شَهِدْتِ غِزَارُ

ما زالتْ زَلَّةُ الأكلة تعاوِدُه[4]، حتى استولى داؤه على أولادِه، فنمت هينمةُ[5] الملائكة، بعبارةِ نظرِ العاقبة، فنشروا مطويَّ ﴿أَتَجْعَلُ﴾ [البقرة: ٣٠].

قرعوا بعصيِّ الدعاوي ظهورَ العُصاة، فقيل لهم: لو كنتم بين أفاعي الهوى وعقارب اللذات، لباتَ سليمُكم سليماً[6]، فأبوا للجرأة إلا جرَّ جرير[7] الدعاوي، وحدّثوا أنفسهم بالتُّقى والتقاوي[8]، فقيل: نقّبوا عن خيارِ نقبائكم، وانتقُوا مَلَك الملكوت، فما رأوا لمثلها مثلَ هاروت وماروت[9]، فآبا لسفر البِلا

---

(١) رواه الإمام أحمد في (المسند) بلفظ: «لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم».

(٢) ساقية الأولى: اسم فاعل من سقى، وساقية الثانية: مجرى ماء.

(٣) الغليلُ: شدّة العطش.

(٤) تعاوده: لعلها تعاوده، أي: تأتيه ذكراها مرة بعد مرة.

(٥) الصوت الخفي.

(٦) سليمكم سليماً: سليم الأولى بمعنى المعافى، سليم الثانية بمعنى: الملدوغ.

(٧) جرير: كأمير؛ الحبل.

(٨) التقاوي: إظهار القوة.

(٩) أخرج القصة الإمام أحمد في (المسند)، وابن ماجه، والطبري في (التفسير)؛ والحاكم=

بالبلية، فما نزلا مِنْ مقام العصمة، فنزلا منزل الدعوى، فَركبا مركب البشرية، فمرّت على المرأين[1] امرأةٌ يقال لها: الزُّهرة، بيدها مِزهرُ زهرةِ الشهوة، ففنّت الغانيةُ بغنّة أغنّ[2]، فرنت قيانُ الهوى، فهوى الصوتُ في صوبِ قلبِ قَلْبيهما، فقلبَهما عن تقوى التقويم، فانهارَ بناءُ عزمِ هاروت، ومارَ همُّ حزمِ ماروت، فأراداها على الردى فراوداها، وما قتل الهوى نفساً فوداها[3]، فبسطت نِطْع التنطّع على تخت التخيير، إما أن تُشركا، وإما أن تَقْتلا، وإما أن تشربا، فظنّا سهولة الأمر في الخمر، وما فطنا، فلمّا امتد ساعِدُ الخلاف، فسقى فِسْقاً[4]، فدخلا سككَ السُّكر، فزلا في مزالقِ الزنى، فرآهما مع الشخصية شخصٌ، فشَخصا إليه فقتلاه، ففشت فتنتُهما في فئة الملائكة، فاتخذوا لتلك الواردة وِرْداً من تضرع: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥].

* * *

= في (المستدرك). وقد أعلّها غيرُ واحد من العلماء، وعدها من خرافات بني إسرائيل التي لا يعوّل عليها، ورفعُها للنبي ﷺ خطأ ووهم. انظر: كتاب التوابين، لابن قدامة، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ص١٤.

(١) المرأين: المقصود: هاروت وماروت حين ظهرا بصورة رجلين.

(٢) غنة أغن: الغنة: صوت في الخيشوم، والأغن: الذي يتكلّم من قبل خياشيمه.

(٣) فوداها: أي دفع ديتها.

(٤) فسقًا: أي خمراً.

الفصل الثاني

في بناء الكعبة

لما علا كعبُ الكعبةِ على سائرِ البقاعِ بقاعِ العلم، أبرزتْها كفُّ الإيجادِ كالكاعِبِ[1] قبلَ وجودِ الأرضِ، وكانَ آدمُ أولَ من ساسَ الأساسَ، ثم بَيَتَ للبيتِ البياتُ[2] طوافَ الطُّوفانِ، فحلَّ ماحِلَ[3] أزرارِ حُللِ الخليلِ.

فلمّا هاجرَ الخليلُ بهاجر وابنها، أوضعَ[4] بهما، فوضعهما هنالك، وتولّى راضياً بمَنْ تولاه يومَ ﴿ حَرَقُوهُ ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فقالت هاجر: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، فرجعت متوكئة على مِنْسأة[5] التوكل على من لا ينسى، فجعلت تشربُ ما معها من ماء، وتُرضِعُ لبنَها ابنَها، فلما نفدا، جعل إسماعيلُ يتلوّى على رَمَضِ[6] رمضانِ الصوم، فانطلقت لتبذل المجهودَ في مأمور ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك: ١٥]، فصعدتْ بأقدام الصَّفا على الصَّفا[7]، فلمّا أطلت الطَّلَةَ[8] على الطَّلَلِ[9]، تـوكّفت[10] طَـلَّ[11] روحٍ ينقَع الغُلَّـة[12]، ثم جَـرَتْ فجدَّتِ

---

(١) كالكاعب: الفتاة التي نهد ثدياها.

(٢) البيات: هو أن يُقصد المبيَّتُ في الليل من غير أن يعلم فيؤخذ بغتة.

(٣) ماحِلَ الأرض: الجدب القفر.

(٤) أوضع: أسرعَ.

(٥) المنسأة: العصا.

(٦) رَمَض: شدة الحر.

(٧) بأقدام الصفا على الصفا: الصفا الأولى من الصفاء، والثانية هي جُبيلٌ صغيرٌ يبدأ منه الحاج أو المعتمر أشواطَ السعي حاكياً ما فعلته هاجر رضي الله عنها.

(٨) الطلة: المرأة؛ أي: هاجر.

(٩) الطلل: هو الموضع المرتفعُ من المكان، ويقصد به الصفا.

(١٠) توكّفت: توكّف الأثر: تتبّعه، والخبر: توقعه.

(١١) طل: الطل: المطر الصغار القطر الدائم، وهو أرسخ المطر ندى.

(١٢) ينقع: يروي. الغلة: شدة العطش وحرارته.

الجُدَدَ[1] بالجِدِّ هابطةً، فلما طَرِفَ طَرَفُ[2] الوادي، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِها، ثم سَّعت خُطاها، وسَعَتْ للجَهد بجُهدِ[3] ذَرْعِها[4]، ثم أتت المرأةُ المروةَ، وعادت إلى الصفا سبعاً، فلذلك أُمِرَ المكلَّفُ أن يسعى، لأنه أثرُ قدمِ مقدام لتُصيبَ الأقدامُ نصيباً من مواطئ ﴿فَيَهْدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فسمعت صوتاً مِنْ صوبٍ[5]، فنزل الملكُ ليزيلَ النازلةَ، فهيأ نُزُلَ النزيلِ النزيهِ، فزمزمَ[6] ماءُ زمزمَ، ونزا نَزَواً[7]، لا نزٌ[8] نزّاً، فَحَصْحَصَ[9] الماءُ في صَحْصَحٍ[10] الحصى، فامتدَّ كفُّ الحِرْصِ فلفَقَت[11] كالحوضِ، فقيل لها: ليس هذا الماءُ من كيْسِ كسبكِ، فما هذا المذقُ[12] من حرصِ فعلكِ، ولو تركتِ زمزم لكانت عيناً معيناً[13].

فمرّت رِفقةٌ من جُرْهمٍ[14]، فجرّهم[15] سؤالُ ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فأقاموا.

واشتاق الخليلُ إلى ابنِه، فاستاقَ راحلةَ الرحيل، فاشترطَ لسانُ غَيْرةٍ

---

(١) الجدد: الأرض المستوية، وجدّت: قطعت.

(٢) طَرِف: كفرح أي: تطرف وبعدُ، وطَرَف: بفتح الطاء والراء: الجانب.

(٣) الجُهد: بضم الجيم الوسع والطاقة، والجَهد: بفتح الجيم: كلُّ نشاطٍ يبذلُه الكائن الحي الواعي جسمياً وعقلياً ويهدف لغاية.

(٤) يقال: ذرع الطريق: قطعه بسرعة كأنه يقيسه.

(٥) صوب: ناحية.

(٦) زمزم: أي صوت متتابع، كناية عن تمتمجره بركضة جبريل عليه السلام. يقال: زمزمَ الحصانُ: طرّب في صوته.

(٧) نزا نزواً: وثب، فار فوراناً.

(٨) نزّ: نزّ الماء تحلّب من الأرض.

(٩) صحصح: بان وظهر.

(١٠) صحصح: الأرض المستوية الواسعة.

(١١) لفقت: ضمت الماء، يقال: لفق الثوبَ؛ ضمَّ إحدى شقيه إلى الأخرى وخاطهما.

(١٢) المذق: المزيجُ والخلطُ، يقال: مذقَ اللبن بالماء: مزجه وخلطه. يشير إلى أنّه لا ينبغي أن تخلطَ ما وهبها الله من الماء بما يدفع عليه الحرص.

(١٣) معيناً: سهلاً سائلاً.

(١٤) جُرهم: قبيلة من قبائل العرب.

(١٥) فجرّهم: فأتى بهم ودفعهم.

سارةَ، ألا تنْزل، فلم يَزُل عن مكانِه، لئلا ينزلَ عن مكانة ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]، فقدَّمت زوجةُ إسماعيلَ إليه المقامَ فقام، فقَدَّتْ[1] فيه قدمُه، وغابت رِجلُ الرُّجُلِ، فحولته إلى يساره، فسرَتْ فيه اليُسرى[2]، فهذه دليلُ الإرشادِ بالمقاصدين: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

فلمَّا أُمِرَ الخليلُ ببناءِ البيتِ، حارَ مَنْ لا يعلمُ مرادَ الآمر، فإذا سحابةٌ تسحبُ ذيلَ الدليلِ، قد قدّها المهندسُ القديرُ على قدر البيت، فوقفتْ فنادتْ: يا إبراهيم: عَلَمٌ على ظِلّي، فلما عَلَّمَ عُلِّم، هبّتْ، فذهبتْ، فسرَّ بما فسّر له من مُشكِلِ الشَّكْلِ، فذلك سِرُّ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٢٦]، فكان استراحة البنَّاء المُعْنَّى ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧]، فلمَّا فرَغا، وفغرا فمَ السؤال، يرتشفان ضرعَ الضراعة: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨].

فلمَّا شرفتِ الكعبةُ بإضافةِ ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ [الحج: ٢٦] قصدها فوجُ الفيلِ فَنَيْل[3] مرادَهم، لمّا باتوا على ما بيتوا، أقبلَ الطيرُ الذي رمَى كالغمام، فكانت قطراتُه للحَصَادِ لا للبَذْرِ، فأصبحَ لزرعِ الأجسادِ كالمِنْجَلِ الهاشِم، ليكونَ معجزةً لظهورِ ابنِ هاشمٍ، فأصبحَ في بيدر الدِّراس[4] ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ٥].

* * *

---

(١) قدّت: شقت وغاصت.

(٢) يفهم من العبارة: أنَّ الحَجَرَ الذي غاصت فيه قدمُ الخليل هو الذي قدمته له زوجة إسماعيل عليه السلام، والتحقيقُ أنّه الحجر الذي ارتفعَ عليه إبراهيم عليه السلام حين ضعفَ عن رفع الحجارة التي كان إسماعيل يناوله إياها في بناء البيت، وغرقت قدماه فيه، وهذا في البخاري، وقال أنس رضي الله عنه: رأيتُ في المقام أثرَ أصابعه وعقبه وأخمص قدميه، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم (حكاه القشيري)، وقال السُّدّي: المقام الحجر الذي وضعته زوجةُ إسماعيل تحت قدم إبراهيم عليه السلام حين غسلت رأسه، وهناك من قال: الحج كله مقام، ومن خصص كمطاء فقال: عرفة ومزدلفة والجمار، وقال مجاهد: الحرم كلُّه مقام إبراهيم. وقد قال القرطبي في (تفسيره): والصحيح في المقام القول الأول، حسب ما ثبت في (الصحيح). قاله بعدما ساق الأقوال كلها، انظر: ٢/ ١١٣.

(٣) يقال: فيل رأيه: ضعفه وخطّأه.

(٤) الدراس: الدياس؛ وطءُ الحصيد ليخرجَ منه الحَبُّ.

الفصل الثالث

في قصة نوح عليه السلام

لمّا عمَّ أهلَ الأرضِ العمى عمَّا خُلقوا له، بُعِثَ نوحٌ لجلاءِ أبصارِ البصائرِ، فمكثَ يداويهم ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، فكلُّهم أبْصرَ، ولكنْ عن المحجَّةِ يتعامى، فلاحَ للأحي[1] عدمُ فلاحهم، فولاهم الصّلا[2] إياساً من صلاحهم، وبعثَ شكايةَ الأذى في مسطور ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [نوح: ٢١]، فأذَّن مؤذِّنُ الطرْدِ، على باب دارِ إهدارِ دمائهم: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] فقام نوحٌ في محراب ﴿لَا تَذَرْ﴾ [نوح: ٢٦]، فأتته رسالة ﴿أَنِ ٱصْنَعِ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، ونادى بريدُ الإعلام بالغضب: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي﴾ [هود: ٣٧]، فلمّا انهار كثيبُ الإمهالِ، وانقطع سِلْكُ التأخير، غربتْ شمسُ الانتظار، فادلهمّتْ عُقابُ[3] العِقابِ، فلمّا انسدلت الظُّلمةُ، وفاتَ[4] النور ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠]، فقيل: يا نوح! قد حان حِينُ الحين[5]، فاحمل ﴿فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠]، فتخلَّف خَلَفٌ[6] من ولدِه، فمدَّ يدَ الحُنُوِّ ليأخذه بيده: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢]، فأجاب عن ضمير خائض في المساوي: ﴿سَـَٔاوِيٓ﴾ [هود: ٤٣]، فرد عليه لسان الوعيد: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ [هود: ٤٣].

فلمّا انتقمَ من العصاةِ بما يكفي، كفَّ كفُّ النجاةِ كفَّةَ الأرضِ بقشر

---

(١) اللاحي: اللائم العاذل.
(٢) الصلا: وسط الظهر؛ أي: أعرض عنهم.
(٣) عقاب: الحرب (تاج العروس، مادة: عقب).
(٤) فات: ذهبَ.
(٥) الحين: الهلاك.
(٦) خَلْفٌ: بسكون اللام، الولد الذميم.

﴿ابْلَعِي﴾ [هود: ٤٤] ، وقلعَ جِذْعَ جَزَعِ[1] السَّما في وَكْفِ[2] دَمْعِهَا بِطُفْرِ ﴿أَقْلِعِي﴾ [هود: ٤٤] ، ونوديتْ نجوةُ الجودي جودي، بإنجاءِ غرقى السير، وزُوِّدَ الهالكون في سَفَرِ الطَّرد زادَ ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ [هود: ٤٤] .

* * *

(١) جذع: ساق النخلة. جَزَع: نقيض الصبر.
(٢) وكف دمعها: سيلانه.

الفصل الرابع

في قصة عاد[1]

لما تجبَّرَ قومُ عادٍ في ظِل ظُلل ضلالهم حين أَملى[2] الأملُ وطولُ البقاء، وزُوِيَ ذِكرُ زوالهم، ومرُّوا في مشارع[3] عِذابِ الملاهي، ناسين مُرَّ عَذَابها، رافلينَ[4] في حُلَلِ الغفلةِ بالأمنية عن المَنيَّة، وإذا بها أقبلَ هودٌ يهديهم، ويناديهم في ناديهم: ﴿ أَعْبُدُواْ اللَّهَ ﴾ [الأعراف: ٦٥]، فبرزوا في عتوٍّ ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥]، فسحبَ سَحابُ العذاب ذيلَ الإدبار، بإقباله إلى قُبالتهم، فظنّوه لمّا اعترى عارِضَ مَطَرٍ، فتهادَوْا تباشيرَ البشارة بتهادي ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، فصاحَ بُلبلُ البَلبال[5] فبلبل[6]: ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، فكان كلّما دنا وترامى، ترى ما كان كأن لم يكن، فمحظلت شجراتُ مشاجرتهم هوداً، فجنى مَنْ جَنى[7] مِنْ جَنْيِ ما جنى[8] في مغنى ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، فراحتْ ريح الدَّبور، لكي تَسِمَ الأدبار بكيِّ الإدبار، فعجّوا منها عجيجَ الأدبر[9]، فلم تزل تكوي تكوينَهم، بمِيْسَم العُدم، وتلوي تلوينَهم إلى حياض دمِ الندم، وتكفأ عليهم الرمالَ، فتكفي تكفينهم،

---

(١) لم تذكر قصة عاد في الكتب السماوية سوى في القرآن الكريم، والآيات الواردة في هذا الفصل من السور التالية: الأعراف وفصلت والأحقاف والحاقة والقمر.

(٢) أملى: انفسح.

(٣) المشارع: الفرض التي تشرع فيها الواردة، أي: مآخذ الماء.

(٤) رافلين: متبخترين.

(٥) البلبال: شِدّة الهم والوسواس.

(٦) بلبل: فرّق وبدّد.

(٧) فجنى: من جني الثمر.

(٨) جنى: من الجناية.

(٩) الأدبر: لقب حِجْر بن عدي، نُبز به، لأنّ السّلاحَ أدبر ظهره، أو لأنّه طُعِنَ مولياً.

وتبرزُهم إلى البَراز[1] عن صون حصونٍ كِرٍّ يقيناً يقيهم[2]، فإذا أصبحتُ أخذتْ تنزع في قوس ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ [القمر: ٢٠]، وإذا أمستْ أوقعت عَريضهم[3] في مُرْض[4] ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ [الحاقة: ٧]، فما برحتْ بارِحُهم[5] عن بَرَاحهم[6]، حتى بزّحت[7] بهم، ولا أقلعتْ حتى قلعتْ قُلوعَ[8] قلاعِهم، فدامتْ عليهم آفةً وداءً، لا تقبل فداءً ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]، فَحُسُوا[9] ما أذاقهم من سوء ما حاسوا[10]، ونُسفوا من قَفْرٍ ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ [هود: ٦٠]، إلى يمّ ﴿وَأُتْبِعُوا﴾ [هود: ٦٠].

فلو عبرتَ بمعبر الاعتبار، لِتَرى ما آل إليه مآلهم، لرأيت الثَّوى[11] كيف التوى عليهم، وكفَّ الثَّرى، كيف نوى الدّنوّ إليهم، فانظر إلى عواقب الخلاف، فإنه شافٍ كافٍ.

* * *

---

(١) البراز: الفضاء الواسع.

(٢) يقيهم: يمنعهم.

(٣) عريضهم: أقواهم جسماً وأغلظهم.

(٤) مُرْض: ناحية.

(٥) بارحهم: الريح الباردة.

(٦) براحهم: ساحتهم.

(٧) بزّحت: أجهدتهم.

(٨) قُلوعَ: جمع قِلْع، وهو شراع السفينة.

(٩) حُسوا: جُرعوا، والحسوة: ملءُ الفم مما يُحسى.

(١٠) ما حاسوا: ما أفسدوا، يقال: حاست المرأة ذيلها: إذا سحبته ووطئته كأنها تفسده بالابتذال، وكذلك يقولون: هم يحوسون ثيابهم، إذا كانوا يفسدونها بالابتذال.

(١١) الثوى: الهلاك.

الفصل الخامس

في قصة ثمود[1]

لما أعرضتْ ثمودُ عن كلِّ فعلٍ صالحٍ، بُعث إليهم للإصلاح صالح، فتَعَشَّتْ عليه ناقةُ أهوائهم بطلب ناقةٍ، فخرجتْ من صخرةٍ صمّاء تُقَبْقِب[2]، ثم فَصَل عنها فصيلٌ يرغو، فارتعت[3] حول نَهْيٍ نهيهم عنها في حمى حماية ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾ [الشعراء: ١٥٦]، فاحتاجتْ إلى الماءِ، وهو قليلٌ عندهم، فقال حاكِمُ الوحي: ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، وكانت يومَ وردِها، تقضي دينَ الماءِ بماءِ دَرِّها.

فاجتمعوا في حِلَّة[4] الجِبْلَةِ، على شاطئ غديرِ الغَدْرِ، فدارَ قُدار[5] حولَ عَطَن[6] ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ [القمر: ٢٩]، فصبَّ عليه صَبَبَ صابٍ[7]، صاعُ صاعقةِ العذابِ الهُوْنِ، فحين دنا ودندَنَ، دمغهم دمارُ ﴿فَدَمْدَمَ﴾ [الشمس: ١٤]، فأصبحتِ المنازلُ لهولِ ذلك النازل ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

* * *

---

(١) انظر: سورة الأعراف والشعراء وهود.

(٢) تقبقب: تصوّت.

(٣) ارتعت: من الراعي؛ أي: أخذت في الرعي.

(٤) حلة: الحلة: منزل القوم وجماعة البيوت.

(٥) قدار: اسم عاقر الناقة.

(٦) عطن: مناخ.

(٧) صبب صابٍ: مطر مرّ لا خير فيه.

الفصل السادس

في قصة الخليل عليه السلام

كان الكهنةُ قد حذَّرت نُمرُودَ وجودَ مُحارِب غالب، ففرَّقَ بين الرِّجالِ والنساءِ، فحُمِلَ به على رغم أنفِ اجتهاده، فلمَّا خاضَ المخاضُ في خِضَمِّ أمِّ إبراهيم، وجَعَلت بين خَيْفِ[1] الخوفِ وحَيْرِ التَّحَيُّرِ تَهيم، فوضعته في نهرٍ قد يَبِس، وسترته بالحَلْفاءِ[2] لِيَلْتَبِس، فكانت تختلِفُ[3] لرضاعه، وقد سبقها رَضاعُ ﴿ ❖ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١] .

فلمَّا بلغَ سبعَ سنين، رأى قومَه في هَزْلٍ ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ [الزخرف: ٢٢] ، فجادلهم[4] فجدَلهم[5] وأبرز نورَ الهدى في حجة ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فقابله نمرود، بسُهى السهو في ظلام ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فألقاه كاللَّقى[6]، على عجُزِ العجز، بآية ﴿ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَبُهِتَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ثم دخل دار الفراغ[7] ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الصافات: ٩٣] ، فجرَّدوه مِنْ بُرودِ[8] بَرْدِ[9] العذاب، إلى حَرّ ﴿ حَرِّقُوهُ﴾ [الأنبياء: ٦٨] ، فنبوا بسفح[10] دمه بنياناً إلى

---

(١) الخَيْف: ما انحدر من غِلَظِ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، وذلك كناية عن عدم الاستقرار.

(٢) الحَلفاء: نبت في الماء.

(٣) تختلف: تتردد.

(٤) فجادلهم: من المجادلة.

(٥) فجدلهم: غلبهم في الجدل.

(٦) اللَّقى: المُلقى لهوانه.

(٧) الفراغ: المعبد الذي فيه الأصنام، وسمي بذلك لخروج قومهم إلى عيدهم.

(٨) بُرد: الثوب.

(٩) بَرْد: خلاف الحر.

(١٠) سفح: إراقة الدم.

سفح جبل، فاحتطبوا له على عَجَل العَجَل، فوضعوه في كفَّةِ المنجنيق، فاعترضَه جبريلُ في الطريق[1]، فناداه وهو يهوي في ذلك الفلا[2]: ألك حاجةٌ؟ قال: أما إليك فلا، فسبقَ بريدُ الوحي إلى النارِ بلسان التَّفهيم: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

* * *

(١) في (ب) زيادة «في عرض».
(٢) الفلا: الفضاء.

الفصل السابع

في قصة الذبيح عليه السلام

لمّا ابتُلي الخليلُ بنمرودٍ فسَلِم[1]، وبالنار فَسُلِّم[2]، امتدَّ ساعدُ البلاء إلى الولدِ المساعدِ، فظهرتْ عندَ المشاورةِ نجابةُ ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات: ١٠٢] وآبَ[3] يوصي الأبَ: اشدد رباطي ليمتنع ظاهري من التزلزل، كما سَكَن قلبي مسكن السكون، واكفف ثيابك عن دمي لا يصبغها عندمي[4]، فتحزنَ لرؤيته أمي، واقرأ السلامَ عليها منّي، فقال: نِعْمَ العونُ أنت يا بُنيَّ.

ثم أَمَرَّ السكين على مريء[5] المَرْءِ فما مرَّت، غيرَ أن حسراتِ الفراق للعيش أمَرَّت[6]، فطعنَ بها في الحلقِ مرّاتٍ فـنَبَتْ[7]، لكنّ حُبَّ حَبِّ الرضا في حبة القلب نبت.

يا إبراهيمُ! مِنْ عادةِ السكينِ أنْ تَقْطَعَ، ومن عادةِ الصبيِّ أن يَجْزَعَ، فلمّا نسخَ الذبيحُ نُسخةَ الصَّبْرِ، ومحا سطورَ الجزعِ، قلبنا عادةَ الحديد، فما مرَّ ولا قطعَ، وليسَ المرادُ (من الابتلاء) أنْ نُعذِّب، ولكنّا نبتلي لنُهذِّب.

أين المعتبرون بقصتهما في غُصَّتهما؟ لقد حَصْحصَ[8] الأجرُ في حِصَّتهما، لمّا جعلا الطاعةَ إلى الرِّضا سُلَّماً[9]، فسُلَّ ما يؤذي فَسُلِّمَا، وكلَّما كَلَّما حاجبَ

---

(١) فسلِمَ: من السلامة.
(٢) فَسُلِّمَ: من التسليم.
(٣) آب: رجع.
(٤) عندمي: العندم هو الدم.
(٥) مريء: مجرى الطعام.
(٦) أمرّت: أي جعلت العيش مُرّاً.
(٧) فنَبَتْ: كلّت ولم تقطع.
(٨) حصحص: بان وظهر.
(٩) سُلَّماً: مرقى.

كَلْمٍ[1]، كلٌّ ما به يَذْبَحَانِ، فَصُدَّ ما به صُدِما.

بَيْنا هُما على تلٍّ ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣]، جاء بشيرُ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٥]، فارتدّ أعمى الحزن بصيراً بقميص ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٧].

ليس العجبُ أمرَ الخليل بذبحِ ولدِه، وإنّما العجَبُ مباشرةُ الذبحِ بيدِه، ولولا استغراقُ حُبِّ الأمرِ لما هانَ مثلُ هذا المأمور.

* * *

(١) كلم: جرح.

الفصل الثامن

في قصة ذي القرنين

قطعَ [ذو][1] القرنين الأرضَ وأُقطعَها[2]، ومرَّ سالكاً مسلكاً ما فَتَ[3] سببُه[4] في ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥]، فشمّرَ مُشمّراً. ما تَلفَتَ، حتى لَفَّتْ شملةُ جمعِ شَمْلِه بالشمس في عينِ حَمِئَة، فلمّا أفرغَ غَرْبَ الغَرْبِ على غاربِ[5] الغُربةِ مشى نحوَ المشارقِ.

فلم يزلْ يحوزُ الكنوزَ، ويجوزُ[6] إلى قتلِ مَنْ يجوزُ[7]، إلى أنْ طلعتْ طلائعُ الطَّلْعَة[8] على مَطلَعِ الشَّمْسِ، فأبرزَ نيِّرَ عدله المُشْرِقِ في المَشْرِقِ، ثم رأى باقي عَرْضِهِ في ذمَّةِ مقدارِ مَقْدرتِه كالدَّينِ، فسلكَ ما بين السّدينِ، فلمّا حشى حَشَا الجبلينِ بالزُّبَرِ، وَلَجَ المفسدون قَسْرَ[9] قبرِهم على مضضٍ ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوا۟﴾ [الكهف: ٩٧].

عجباً لـه كم اقتنى مَن أصقُعٍ[10] وأقنف[11]، وكم أسعف[12] بأغشى[13]

---

(١) في (أ): (ذي القرنين) وهو تصحيف.
(٢) أقطعها: أي ملّكه الله إياها.
(٣) فتَ: قطع.
(٤) سببه: السبب: المفازة.
(٥) الغارب: ما بين سنام الناقة إلى عنقها.
(٦) يجوز: يمضي.
(٧) يجوز: يحل.
(٨) الطلعة: كهمزة، المتطلعة كثيراً.
(٩) قسر: القهر على كره.
(١٠) الأصقع: الفرس ناصيتها بيضاء.
(١١) الأقنف: الأبيض القفا من الخيل.
(١٢) أسعف: ساعد.
(١٣) الأغشى من الخيل: الذي غشيت غرتُه وجهَه واتّسعت.

وأسْعَف[1]، وكم لطى له[2] من لطيم[3] وأخْيَف[4]، وكم سعى به من أكسع[5]، وقفز به من أقفز، ومشى به في مَحَجَّةِ المشرقِ مُحَجَّل، وطرقَ به طريقَ المَغْرب مُغرب، كم صحبَه من سايفٍ ونابلٍ وسالح[6]، كم تَبِعه من مدجّج ورام ورامح[7]، كم تقدَّم في مقدّمته من مُقَنَّعٍ مُقَنَّع[8]، كم تَبِعه مَنْ في السِّلاح كافر[9]، غيرُ شاكٍّ في الإصلاح ولا كافرٍ، فما ردَّ عنه الأذى المُودي به مودٍ[10]، ولا دارى عن دارِه الدوائرَ دارِعٌ، ولا ردَّ ذا عنه وَرْدٌ[11] ولا كُمَيْتٌ[12]، ولا قَرَبه من منيته سابقٌ ولا سُكَيْت[13]، فكأنّه إذا ماتَ ما تحرّكَ على حارِكِ فرس، ولا شاك شاكَلَتَه[14] شوكةُ عقب، بل مرّ كأنّهُ لم يكن، وذل للموتِ، وقبلها لم يَهُنْ.

فتلمّحْ آخرَ الدنيا إن كنتَ تدري، وانظر في أيِّ بحرٍ إلى الهلاك تجري، وأَصِخْ لخطابِ الخُطوب وافهم ما يجري، وكن على أُهبةٍ، فهذي الركابُ تسري.

(للشريف الرضي)[15]:

---

(١) الأسعف من الخيل: الأشيب الناصية.
(٢) لطى له: يقال: تلطى على العدو: كان له طَلِبةً فأخذ من مالهم شيئاً فسبق به.
(٣) لطيم: فرس لطيم: الأبيض موضع اللطمة من الخد.
(٤) فرس أخيف: إذا كان بيّن الخيف، وذلك إذا كانت إحدى عينيه سوداء كحلاء، والأخرى زرقاء.
(٥) أكسع: فرس يكون البياض من طرف الثُّنة في الرِّجْل.
(٦) سايف: ذو سيف. نابل: الذي يرمي بالنبل. سالح: صاحب سلاح.
(٧) رامح: ذو رمح.
(٨) مُقَنَّع: مغطى بسلاح. مُقَنَّع: ضارب بالسيف.
(٩) كافر: مغطى بالسلاح.
(١٠) مودٍ: دافع الدية.
(١١) وَرْد: يطلق على الأسد والفرس الذي بين الكُمَيْت والأشقر.
(١٢) الكُميت: من الخيل ما كان بين الأسود والأحمر.
(١٣) السكيت: المتأخر من الخيل.
(١٤) شاكلته: خاصرته.
(١٥) قاله يرثي المظفر أبا الحسن عبيد الله بن محمد عام (٣٨٧هـ)، وكان بينهما صداقة. انظر: ديوانه: ١/ ٤٩٤-٤٩٧.

أوَ مَا رأيتَ وقائعَ الدهرِ ... أفلا تُسيءُ الظنَّ بالعُمْرِ

بَيْنا الفتى كالطودِ تكنفُه ... هَضَباتُه والعَضْبُ ذي الأثرِ

يأبى الدَنِيّةَ في عشيرتِهِ ... ويجاذِبُ الأيدي على الفَخْرِ

وإذا أشارَ إلى قبائلِه ... حَشَدَتْ إليه بأوْجهٍ غُرِّ

زلّ الزمانُ بوطء أخمصه ... ومواطئ الأزمانِ للعَثْرِ

نَزِعَ الإباءُ وكان شملتَهُ ... وأقرّ إقراراً على صُغرِ

صدْعُ الرَّدى أعيى تلاحمَه ... مَنْ ألحمَ الصَّدَفين[1] بالقطرِ

جَرّ الجيادَ على الوجى[2] ومضى ... أَمَماً يَدُقُّ السهلَ بالوعرِ

حتّى التقى بالشمسِ مغمدُهُ ... في قعرِ منقطعٍ من البحرِ

ثم انثنت كفُّ المنونِ به ... كالضَّغثِ[3] بين النابِ والظُّفرِ

لم تشتجرْ عنه الرماحُ ولا ... ردَّ القضاءَ بمالِه الدَّثرِ

جمعَ الجنودَ ورَاءَهُ فكأنّما ... لاقتْه وهو مُضيّعُ الظّهرِ

وبنى الحصونَ تمنُّعاً فكأنّما ... أمسى بمضيعةٍ ولا يدري

وبرى المَعابِلَ[4] للعدى فكأنّما ... لجمامِه كانَ الذي يَبْري

أودَى[5] وما أودَتْ منا قبُه ... ومِنَ الرّجالِ معَمَّر الذكرِ

إنّ التوقيَ فضلُ معجزةٍ ... فدع القضاءَ يَقُدُّ أو يَفري

نحمي المطاعمَ للبقاءِ وذي[6] ... الآجالُ ملءُ فروجِها[7] تجري

---

(١) الصدف: كل شيء مرتفع من جدار ونحوه، والصدفين هنا هما الجبلان المتلازمان بيننا وبين يأجوج ومأجوج.

(٢) الوجي: رقة الحافر من كثرة المشي.

(٣) الضغث: القبضة من الحشيش مختلطة الرطب واليابس.

(٤) المعابل: جمع معبلة، وهي النصل الطويل العريض.

(٥) أودى: هلك.

(٦) ذي: اسم إشارة، المشار إليه الآجال.

(٧) ملءُ فروجها: يريد أنها تنطلق بسرعة فائقة، يقال: ملأ فلان فروج فرسه، إذا حمله على أشد الحضر، وقال أبو ذؤيب يصف الثور: «فانصاع من فزع وسد فروجه» ففروجه ما بين قوائمه، وسدها: أي ملأ قوائمه عدْواً، كأن العَدْوَ سدَّ فروجه وملأها.

لـو كـان حِفْـظُ النفـسِ ينفَعُنـا كـانَ الطبيـبُ أحـقَّ بـالعُمْـرِ
المـــوتُ داءٌ لا دواءَ لـــه سيانَ مـا يُوبي[1] ومـا يَمـري[2]

* * *

(١) ما يوبي: من الوباء.
(٢) يمري: ما يسوغ ويلذ.

الفصل التاسع

في قصة قوم لوطٍ عليه السلام

لمّا تهاوى قوم لوط في هوّة أهوائهم، وتنادَوْا في جهات جهلهم: ﴿أَخْرِجُوٓا ءَالَ لُوطٍ﴾ [النمل: ٥٦]، بُعثتِ الأملاكُ لانتزاع أملاكِ الحياة من أيديهم، فنزلوا مِنْ منزل لوطٍ منزل النزيل، فهم في أفسح بيت [نبي][1] من الكرم، غيرَ أنّ حارسَ جذْرِهِ يناديِ: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: ٧٧]، فخاف من قومه أذاهم، فإذا هُم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ [هود: ٧٨]، فأخذ يدافع مرّةً بمشورة: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ [هود: ٧٨]، وتارةً بتقاةٍ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [هود: ٧٨]، وتارةً بسؤالٍ: ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ [هود: ٧٨]، وتارةً بتوبيخ: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ﴾ [هود: ٧٨].

فلمّا كَلَّ كُلُّ سِلاحه، وأعيتهُ جهاتُ جهاده، أنَّ[2] بِرَمْزٍ ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾ [هود: ٨٠]، فحجبهم جبريلُ بحجاب ﴿فَطَمَسْنَآ﴾ [القمر: ٣٧]، ونتشه[3] من أسر الغمّ بلفظ: ﴿فَأَسْرِ﴾ [هود: ٨١]، فلمّا علم أن الملاَ ملائكةٌ، تشوّقَ إلى تعجيل التعذيب، فنادت عواطفُ الحِلم: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]، فسار بأهله على أعجازِ نجائبِ النجاة، إلا عجوزَ العَجْز عن عِرفان المُعْجز، فإنّها لحقتْ بالعَجَزة، فلمّا لاحَ بِصْباحُ الصّباح احتملَ جبريلُ قُرى[4] مَنْ جَنى[5] على قَرا[6] جناحه، فلم ينكسِرْ في وقتِ رفعهم إناه، ولم يُرَقْ في صُعود صَعودهم[7] ماء، فلمّا سمعَ أهلُ السماءِ نُباحَ كلابهم، أسرعت كفُّ القلى[8] بهم في انقلابهم.

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).
(٢) أنّ: من الأنين توجّعاً.
(٣) نتشه: أخرجه.
(٤) قرى: جمع قرية.
(٥) جنى: من الجناية.
(٦) قرا: ظهر.
(٧) الصعود: العقبةُ الشاقة.
(٨) القلى: البغض والكراهية.

فَتَفَكَّرْ بالقلب، كيف جُوُزُوا على قلبِ[1] الحكمةِ بالقَلْب، ثم بُعثَ إليهم سحابُ ﴿ وَأَمْطَرْنَا ﴾ [هود: ٨٢]، فاستعقل لهم سدٌّ جِرْمُه الأفقَ على وفق جُرْمهم، فشمصا[2] بالشمصائص[3]، واحزألّ[4] ثم ألّ[5] إليهم، واكفهرّت[6] بالغضب أرجاؤه، واحمَوَمَّتْ[7] بالسُّخط أرجاؤه، وابذعرّت[8] فعرّت بوارقه، وارتَنَقَتْ[9] في جوِّ الجَوى[10] جُوَبُه[11]، واستقلّتْ[12] على قُلل[13] قلاقلِ[14] الرَّدَى أردافُه[15]، وارتجزَ بأرجوزةِ الرَّجَزِ قبل أن يهمي فَهَمْهم، ثم دوَّى بالأدواءِ في دَوِّ[16] دورانهِ فأظْلَمَ، وركد كيدُه فلم يكد قُلوعُه تُقْلِع حتى قلعَهم حَيْنُه[17]، حين انجمّ[18]، فما أركَّ[19]، ولا دَثَّ[20]، ولا بغَشَ[21]، بل قطقط[22]

---

(١) قلب الحكمة: إشارة إلى فاحشة اللواط.

(٢) فشصا: ارتفع.

(٣) شمصائص: جمع شمصوص: وهو الناقة القليلة اللبن، والسنة المجدبة.

(٤) احزألّ: علا وارتفع وتجمع.

(٥) ألّ: أسرع.

(٦) اكفهرّت: عبست.

(٧) احمومت: اشتدت وحميت.

(٨) ابذعرّتْ: تفرقت.

(٩) ارتنقت: التأمت.

(١٠) الجوى: الحرقة.

(١١) الجُوَب: جمع جوبة وهي الفُرجَةُ بين السحاب.

(١٢) استقلّت: ارتفعت.

(١٣) قُلل: جمع قلة، قمة الشيء وأعلاه.

(١٤) قلاقل: جمع قلقال، يقال: قلقله فتقلقل؛ أي: حركه فتحرك واضطرب.

(١٥) أردافه: جمع ردف وهو الكَفَل والعَجُز.

(١٦) دوّ: الدوّ: الفلاة الواسعة.

(١٧) حينه: من الحين وهو الهلاك.

(١٨) انجمّ: يقال: أنجمت السماء: أسرع مطرها ودام.

(١٩) أركّت السماء: أمطرت مطراً خفيفاً.

(٢٠) الدثّ: المطر الضعيف.

(٢١) البغش: أضعف المطر.

(٢٢) قطقط: أي أمطر مطراً عظيماً فتتابع.

فـأفْرط، وعمَّ عميمُه حين أغمطَ[1]، فتقاطرَ على قُطرهم من قَطْرِه قطرُ الحجارة، وبغتهم في غِرَّة غِرَّتهم بالغُرور بشرُّ الغارة، تالله لقد ضكضك[2] العذابُ، فَضَغْضَعَهم فتضعضعوا، وانقضَّ بقضِّه وقضيضه فقضقض عظامَ عظايهم، وقطعها فتقطَّعوا، وسارَ بهم في طرْفسان[3] عِقاب العِقاب، إلى عوطب[4] العطب فاهْرَمَّعوا[5]، وكانوا في كِنِّ صافي الصِّفات، فمرّوا إلى مُرِّ الزَّنَقِ[6] فافرنقعوا[7]، وهمس[8] هُمَيْسِهُم[9]، وهلْ لمثلهم إلا الوَهَلُ والـوهـي[10]، ولاتَ حِيْـنَ منـاصٍ، وادْرنقـعـوا[11]، وبَـرْقَـطَ[12] المُخْـرَنْشَـمِ[13] بعـد أن بهنـس[14] وبلهـص[15] فبلطـح[16] وحـزن المُبَرْنَشِقُ[17] بعد أنْ زَهْزَقَ[18]، فبلسم[19] وكلَحَ[20]، فأُجيل[21] على الجيل

---

(١) أغمط: دام ولازم.
(٢) ضكضك: أسرع وضغط.
(٣) الطَّرْفسان: بكسر الطاء، السماءُ المظلمةُ بالسحاب.
(٤) عوطب: الداهية.
(٥) اهْرَمَّعُوا: بتشديد الميم: خفّوا عاجلين.
(٦) الزنق: الكدر.
(٧) افرنقعوا: تنحوا وانكشفوا.
(٨) همس: سار بالليل.
(٩) هُميسهم: القوي منهم.
(١٠) الوهل: الفزع. والوهي: التخرق والشق.
(١١) ادرنقعوا: أسرعوا وفروا.
(١٢) برقط: خطا متقارباً.
(١٣) المخرنشم: المتعاظم، المتكبر في نفسه.
(١٤) بهنس: تثاقل وضخم.
(١٥) بلهص: عدا من الفزع.
(١٦) بلطح: ضرب نفسه بالأرض.
(١٧) المبرنشق: الفَرِح المسرور.
(١٨) زهزق: ضحك.
(١٩) بلسم: سكت عن فزع.
(٢٠) كلح: أي عبس.
(٢١) أجيل: أدير.

سَجِّلُ[1] السِّجِّيل[2]، فما برحَ حتى برَّح[3]، ودار هاتِفُ العبرةِ على دارسِ دارِهم يناديَ: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً ﴾ [العنكبوت: ٣٥].

فليحذرِ العازمون على طروقِ طريقهم مِنْ وعيد ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٣]، قبل غُصَصِ الجَرَض[4] وألمِ الحَرَض[5]، عندَ حلول المرض، حين يُعتقَلُ اللسان، ويتحيَّر الإنسان، وتسيلُ الأجفان، ويزول العرفان، وتُنشَرُ الأكفان، فيا عجباً! كيف ألفى لذة العيش الفاني الفاني[6]، وقد مرَّ [فأمرَّ كل ما كان][7]، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦].

* * *

---

(١) سجل: الدلو الكبير.

(٢) السِّجِّيل: الطين المتحجر.

(٣) برَّح: أتعب.

(٤) الجَرَض: الريق.

(٥) الحرض: الفساد في البدن والعقل.

(٦) الفاني الفاني: الأولى: صفة للعيش، والثانية: صفة للإنسان، وهنا فاعل للفعل (ألفى).

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

الفصل العاشر

في قصة يوسف عليه السلام

لمَّا تمكَّنَ الحسدُ من قلوبِ إخوةِ يوسفَ، أُرِيَ المظلومُ مآلَ الظالم في مرآة ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤]، فتلطّفوا بخداع ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ [يوسف: ١١]، وشوّقوا يوسف إلى رياض «نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ»(١).

فلمّا أصحروا أظهروا المقتَ له، ورامُوا [بسهم العدوان](٢) مقتلَه، فنسخَ نهارُ رِفقهم به ليلَ انتهارهم له، فصاحَ يهودا في بقايا شَفَق الشَّفَقة، و[أغباثِر غيابةِ(٣) الجب](٤): ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠]، فلمّا ألقَوْه وقالوا: قد هَلك، جاء مِنْ عند مَنْ يُملكُه ملكٌ ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ [يوسف: ١٥]، فعادوا عمن عادَوْا كالأعشى ﴿عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]، ولطّخوا قميصَه الصحيحَ ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]، فلاحتْ [علامةُ](٥) سلامَةِ القميصِ كي يظهرَ كيدُهم، فقالَ حاكم الفِراسة: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ [يوسف: ١٨].

فلمّا وَرَد واردُ السيّارةِ، باعوا الصدَفةَ، ولم يتلمّحوا الدُّرّة، واعجباً لقمرٍ قومرَ به، فلمّا وصلَ إلى مصرَ تفرّس فيه العزيزُ، فأجلسه على إعزاز ﴿أَكْرِمِي﴾ [يوسف: ٢١]، فشغف حبُّه قلبَ سيدته، وفَرَى ﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾ [يوسف: ٢٣]، فسارَ بأقدام الطّبْع في فلاة غفلات(٦) ﴿هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا﴾ [يوسف: ٢٤]

---

(١) وهذا على قراءة أهل البصرة بالرفع، وغيرهم بالجزم (يرتعْ ويلعبْ).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٣) الغيابة: قعر البئر.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٦) الأنبياء معصومون عن الفواحش قبلَ النبوة وبعدها، وهذا الكلام لا يتناسب مع مقام العصمة، والآية دلت على وقوع الهمّ منها دونه، فيوسفُ عليه السلام لم يهم، لأنه رأى برهان ربه، والتقدير في الآية: «لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها» أي: لولا وجودُ البرهان لوقه الهمُّ.

فانْقَدّ قوى الفرار وما استبقى ﴿وَٱسْتَبَقَا﴾ [يوسف: ٢٥]، فانبسطتْ يدُ العدوانِ، وامتدت ﴿وَقَدَّتْ﴾ [يوسف ٢٥]، فلمّا بانت حجتُه في إتان ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ [يوسف: ٢٦]، أخذت تربي مُصَرّاة[1] الإصرار بيمين يمين ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ﴾ [يوسف: ٣٢] فاختارت دُرّة فهمِه صدَفَ الحبس لجهل الناقد ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣]، فلما ضاق قفص الحصّ، على بُلبلِ الطبع، ترنّم بصوت ﴿أَذْكُرُونِي﴾ [يوسف: ٤٢]، فعوقِبَ بإيثاق باب ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ٤٢]، فلمّا آنَ أوانُ الفرج، خرجَ إلى الملك.

هذا ويعقوبُ مفترشٌ فراشَ الأسى على حَزْن[2] الحُزْنِ، لا يستلذّ نوماً ولا سِنةً، ثمانين سنة[3]، حتى نَحَل البدنُ، وذهبَ البصر[4]:

لم يبقَ لي بعدكُمْ رسمٌ ولاطلـلُ ... إلاّ وللشّوْقِ في أرجائِهِ عَمَلُ
إذا شَمَمْتُ نسيماً مِنْ دياركُم[5] ... فقَدْتُ عَقْلي كأنّي شَارِبٌ ثَمِلُ[6]

فلمّا عمّ عامُ القحطِ أرضَ كنعانَ، خرجَ إخوتُهُ لطلبِ المِيْرَةِ[7]، فدخلوا عليه في ظلام ظُلْمِهم، فرآهم المظلومُ بعين ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ [يوسف: ١٥]، وخَفّى عليهم نَعْمَةَ ﴿أَتَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩]، فأقبلَ عليهم سائلاً، وأقبلَ الدمعُ سائلاً، وتقلقَلَ تقلقُلَ الواجدِ، ليسمعَ أخبارَ الوالدِ:

إنّ الحديثَ عَنْ الأحبابِ أَسْمَارُ ... إليهِ أحاديثُ نَعْمَانٍ وساكنِهِ

---

(١) المصراة: الشاة المحفلة أو الناقة أو البقرة يصرى اللبن في ضرعها: أي يجمع ويحبس، وقد فسّر الشافعيُّ رضي الله عنه المصراة بأنها التي تُصرُّ أخلافُها، ولاتحلبُ أياماً، حتى يجتمع اللبن في ضرعها، فإذا حلبها المشتري استغزرها.

(٢) الحزْن: خلاف السهل، وما غلظ من الأرض.

(٣) ثمانين سنة: هذا الرقم مبالغ فيه، ويحتاج لمراجعة، ولو كان مع مدة السجن بضع سنين والخروج منه ثمانيةً وعشرين سنة مثلاً لكان أقرب.

(٤) ذهب البصر: ابيضاضُ عيني يعقوب من الحزن على يوسف كان عارضاً، إذ ما لبث أن انقشع بقميص يوسف عليه السلام.

(٥) في (ب): بلادكم.

(٦) الثَّمِلُ: السكران، لأنه عبّ ما في الكأس حتى الشمالة؛ أي: بقية ما فيها.

(٧) الميرة: جلب الطعام، مار على عياله ميراً وامتار لهم: جلب لهم الطعام.

أُفُشُّ الرِّيحَ عَنْكُمْ كلّما نَفَحَتْ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمُ نَكْبَاءُ مِعْطَارُ

فقالوا: جئنا من أرض كنعانَ، ولنا شيخٌ يقال له: يعقوبُ، وهو يقرأُ عليك السلامَ، فلمّا سمعَ رسالةَ أبيه، انتفض طائرُ الوجدِ لذكرِ الحبيبِ، فهيّجَ أحزانَ الفؤادِ وما يدري:

وداعٍ دعا إذْ نحنُ بالخَيْفِ مِنْ منًى فهيّجَ أحزانَ الفؤادِ وَمَا يَدْرِي[1]

فردّ السلامَ قلبُه قبلَ لسانِهِ، وشَغَلَهُ وَكْفُ[2] شانه[3] عن شأنه، وقال مقولَ إبدائِه بعبارةِ صُعَدائِه:

خُذي نَفْسِيَ يا ريحُ مِنْ جانِبِ الحِمَى فلاقي بها لَيْلاً نَسِيْمَ رُبَى نَجْدِ
فإنَّ بذاكَ الحيِّ جِبّاً عَهِدْتُهُ وبالرَّغْمِ مِنِّي أنْ يَطُوْلَ بِهِ عَهْدِي

ثم إنه طلب منهم أخاه، فاحتالوا بحيلة[4] ﴿ مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ ﴾ [يوسف: ٦٣]، فلمّا حَمَلوه حال بينهم وبينه بحيلة ﴿ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ ﴾ [يوسف: ٧٠]، فلمّا دخلَ وقتُ التُّهمة ﴿ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾ [يوسف: ٧٠]، فعادوا إلى أبيهم بشَجًى[5] على شجَن، وقَرْحٍ على جرحٍ، وعَقْرٍ على عَقْرٍ[6]، فقام وقد تقوّس، وعسى على باب ﴿ عَسَى ﴾ ثم بعثه لطفُ ﴿ لَا تَقْنَطُواْ ﴾ [الزمر: ٥٣][7]، على أن بعثهم برسالة ﴿ فَتَحَسَّسُواْ ﴾ [يوسف: ٨٧]، فلمّا رجعوا دخلوا من قفر الفقر، فاستلقَوْا في ساحة الضُّرِّ، ينادون عن غليل الذل ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ [يوسف: ٨٨].

تاللهِ لقد جوزِيَت أيدٍ مدّها تغشرمُ[8] ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ [يوسف: ٢٠] أن مُدّت في

---

(١) هذا البيت غير موجود في (أ).
(٢) الوكف: القطر.
(٣) شانه: مدمع العين.
(٤) في (ب): بحجة.
(٥) شجى: ما اعترض في الحلق ونشب فيه من عظم ونحوه، ويطلق على الحزن والهم.
(٦) عَقْرٍ على عَقْرٍ: جرح على جرح، أن: بنيامين بعد يوسف، وفي (ب): في عقر.
(٧) والذي في سورة يوسف ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ ﴾ [٨٧].
(٨) التغشرم: الجرأة.

طريق ذل ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨] ، فلمّا عرفوه اعترفوا، فحمى ما اقترفوا بِكَفٍّ ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ [يوسف: ٩٢] ، ورفع من موائدِ تلك الفوائد نصيبَ الوالد ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ [يوسف: ٩٣] ، فهبتْ نسيمُ الفرح، فتوغّلتْ في خياشيمِ مريضٍ كالفَرْخ. من فُرَج[1] الفَرَجِ، فخرّ رُكامُ الأكام عن مِنْخَرِ الضُّرّ، فنادى مُدنفُ[2] الوجدِ: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ﴾ [يوسف: ٩٤] :

نَشَدْتُكَ اللهَ يا نَسِيمُ ... ما فَعَلتْ بَعْدَنا الرُّسُومُ
هَل استهلَّتْ[3] بِهَا الغَوادِي[4] ... وَنَمْقَتْ رَوْضَهَا الغُيُومُ
وهلْ بِها مَنْ عَهِدتُ فِيها ... بعدُ على حَالِهِ مُقِيمُ
عَلِّلْ بروحِ الوِصَالِ صَبّاً ... أنفاسُه للجَوَى[5] سَمومُ[6]
عُدْ فَسَلِّم على أُناسٍ ... ما أنا مِنْ بعدِهِمْ سَلِيمُ
واشْرَحْ لهُمْ حَالَ مُسْتَهَامٍ[7] ... أنتَ بأسْوَاقِهِ عليمُ
وقُلْ غريبٌ ثَوَى بأرضٍ ... في غيرِهَا قلبُه مُقيمُ
يكابِدُ الشَّوقَ حينَ يُمسِي ... وتعتَري قلبَه الهُمُومُ
أحبابَنا تنقضِي اللّيالِي ... وما انقَضَتْ تِلكُمُ الكُلومُ[8]
ذاكَ اللّديغُ الّذي عَهِدتم ... بَعْدُ على حَالِهِ سَقِيمُ
أصبحَ مِنْ بعدِكُمْ وَحِيداً ... فلا خَلِيلٌ وَلا حَمِيمُ
لَمْ يَجْرِ ذِكْرُ الفِرَاقِ إلاّ ... حَنَّ كَمَا حَنَّتِ الرَّؤُومُ[9]

---

(١) فُرج: جمع فرجة، وهي الشق بين الشيئين.
(٢) المدنف: من ثَقُل مرضُه، والدنف: المرض الملازم.
(٣) استهلت: انهلت وهطلت.
(٤) الغوادي: السحب تأتي غدْوة، والمفرد: غادية.
(٥) الجوى: الهوى الباطن، وشدة الوجد.
(٦) سموم: ريح حارة.
(٧) مستهام: شديد الحب، هيمان.
(٨) الكلوم: جمع كَلْم، وهو الجرح.
(٩) الرؤوم: الناقة التي حنت لولدها.

فلمّا كشف يعقوبُ فِدام[1] الوجْد، بكفّ ﴿إِنِّي لَأَجِدُ﴾ [يوسف: ١٩٤]؛ أحدقت به عواذلُ ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا﴾ [يوسف: ٨٥]، تالله لو وجدوا ما وجد ما أنكروا ما عرف.

(لمهيار)[2]:

هَـلْ لَكُمَـا عِلْـمٌ ... بِـالطَّـارِقِ المُلْتَـمّْ
سَرَى على الدَّيـاجِـي ... سُـرَى أخيـه النَّجْـمِ
يَشُـقُّ نَجْـداً عَـرْضـاً ... مِـنْ شخْصِـهِ بسَهـمِ
فَنَـوَّرَ الليـلَ وَلَيْسَـتْ ... مِـنَ ليـالـي الثَّـمّْ
خُـذْ يـا نسيـمُ عَنّـي ... تحيّتـي وَلَثْمِـي[3]
وهَنّهُـم بـوُجْـدِهـم ... مِـنَ الكَـرَى وعُـدْمـي
قـالـوا: هَجَـرْتَ أرضَهـم ... أهجُـرُهَـا بـرُغْمِـي
قَـدْ وَصَلَـتْ إلـى الحَفَـا ... رُسُلُكُـمُ بـالـثُّقْـمِ
فَلَـمْ تَـدَعْ واسِطـةً ... بَيْـنَ دَمِـي وَلَحْمِـي
عُـجْ[4] تَـرَنَّـا رُسُـوْمـاً ... ثـلاثـةً[5] فـي رَسْـمِ
سَـوَّى[6] النّحُـولُ بيننـا ... تَعْـرِفُنـا بـالـوَهْـمِ
خـطُّ هـلالِ ليلـةِ ... وَدَارُهُـمْ وجِسْمِـي[7]

* * *

(١) الفِدام: غطاء القارورة ونحوها.

(٢) قاله يمدح سعد الملك أبا الحسين صاحب النعمان في المهرجان. انظر: ديوانه: ٢/٢٦٩.

(٣) قوله: (لثمي) في الديوان (ضمي).

(٤) عُجْ: فعل أمر، والماضي عاج على كذا أو بكذا: نزل وأقام، وعطف إليه، ومال، ومرّ عليه.

(٥) رسوماً ثلاثة: يقصد بالثلاثة: خطّ هلال أيكي، ودار الأحباب، وجسم الشاعر.

(٦) سوّى: جعلنا سواه.

(٧) في الديوان: (خيط هلالِ أيكي ودارها وجسمي).

الفصل الحادي عشر

في قصة أيوب عليه السلام[1]

جُمع لأيوبَ بينَ كثرةِ المالِ وحُسْنِ الأعمال، فَمَلأ مدحُه بالوفاق الآفاق، فأثارتْ تلكَ الآثارُ حسداً من إبليسَ قد تقادمَ منذ آدم، فقال: يا ربِّ إنْ سلطتني عليه ألقيتُه في الفتنة، فألقَيْتَه في الفتنِ المفتونين.

فقيل له: قد سلّطناكَ على ما لَهُ مِنْ مالٍ، فمالَ إلى جَمْعِ عقاريته، ففرّقهم في تمزيقِ ماله، وتولى هُوَ بنفسِه بنيه، ثم أتى في صورةِ معلّمِهم يُعْلِمُه، فرأى ذلك لايُؤْلِمُهُ، أنصتَ العدوُّ ليسمعَ عربدةَ السُّكرِ، فإذا أيوبُ يتلو آياتِ الشُّكْرِ، فصاح بلسانِ حَسدِهِ، فسُلِّطَ[2]، وقد سبقَهُ الصَّبْرُ، فتقطّعَ الجسمُ وَدَادَ[3]، وما تقطَّعَ رسمُ الوداد.

فأخرجَهُ أهلُ قريتِه، لِقُروحٍ قَرْحَةٍ إلى قروحٍ[4] كُناسةٍ[5]، فَرَمَوْهُ كَبيْراً كالْكِسْرةِ، وكِساءُ كَسادِهِ عندهُمْ أغلى عندنا من أعلى كِسْوةِ كِسْرى، فلم يزل ما نزلَ به، حتى بدا حِجَابُ بطنِه، فكان يُبْصِرُ عظامَه ويرى مِعَاه معاً[6].

(لمهيار):

ما اختَصَّ منّي السّقامُ جَارحةً ... كلُّ جِهَاتيَ أغراضُ[7] مُنتَبِلِ[8]

---

(١) اقرأ قصته في [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤]، [صٓ: ٤١ ـ ٤٤].

(٢) في (ب): فسلطه.

(٣) داد: أي ظهر منه الدود، وهذا باطل مكذوب على سيدنا أيوب عليه السلام، وهو مما جاءت به الإسرائيليات لتشويه صورة الأنبياء عليهم السلام، كذلك رميه على الكُناسة وبدوُّ عظامه وأمعائه، فكلها من الأباطيل المردودة.

(٤) قروح: الأرضُ لاماء بها ولاشجر.

(٥) كُناسة: بضم الكاف؛ القمامة.

(٦) هذا من الإسرائيليات الباطلة.

(٧) أغراض: جمع غرض: وهو الدريئة التي يصوّب عليها.

(٨) منتبل: رامي النبل.

إذَا لحـاظِـي لِجِسْمِـيَ امتَعَضَـتْ مِـنَ الضَّنـا قـالَ قلبـي احتمِـلِ

فدام هذا البلاءُ عليه سنين، وفدام[1] الصمتِ عن الشكوى على فيهِ يُبين[2]، ولم يَبْقَ غيرُ اللسانِ للذِّكرِ، والقلبِ للفكرِ، فلو أصغَى إلى نطقِ حالِهِ سمعُ فهمٍ. أو سأله عن وجدِه ربُّ قلبٍ، لسمعَ من الذِّمَاءِ[3] الذَّما يناجَى به الحق.

(للشريف الرضي)[4]:

مَحَا بَعْدَكُم تلكَ العُيُونَ بُكاؤها وغـالَ بكُم تلكَ الأضالـعَ غُولُها
فمِـنْ نـاظـرٍ لـم يَبْـقَ إلا دُمُوعُـهُ ومـنْ مُهجـةٍ لـم يَبْـقَ إلا عَليلُهـا
دَعُـوا لـي قلبـاً بـالغـرامِ أُذيبُـهُ عليكُـمْ، وعَيْنـاً في الطُّلولِ أُجِيْلُها

فلمّا كعّ[5] إبليسُ، لقي زوجته في صورةِ متطبِّبٍ، فقال: عندي دواؤه، بشرط أن يقول بشَفَتَيْه شَفَيْتَني، فجاءت تَدِبُّ، وقد أنساها طولُ البلاء تدبُّرَ المعنى، فأخبرتْ مَنْ قدْ خَبَرَ عَدْوَ العدوّ، فغضبَ المؤدِّبُ على تلميذٍ ما يقومُ بطول الصحبةِ، فحلفَ لئن شُفي ليجلدنَّها مئةً.

فبينـا المرءُ يكابدُ المُرَّ، مرَّ به صديقانِ له، فقالا: لو علمَ اللهُ مِنْ هذا خيراً ما بلغَ به الأمرُ، فما شَدَّ على سمعهِ أشدّ مِنْ ذلك، فخرَّ على عتبة ﴿فَلَا تُشْمِتْ﴾ [الأعـراف: ١٥٠]، واستغـاثَ بلفـظ ﴿مَسَّنِيَ﴾ [ص: ٤١]، وصـاحَ بـإدلال «لـو أقسم»[6]، فجاء جبريل برسالة ﴿ارْكُضْ﴾ [ص: ٤٢].

وليس العجب لو ركضَ جبريل، إنّما العجبُ أن يركضَ العليل، فركضت

---

(١) الفدام: ما يوضع على فم الإبريق، ورَجُل فَدِمٌ: عيي في الكلام في ثقل.
(٢) يبين: يبعد.
(٣) الذماء: بقية النفس.
(٤) من قصيدة قالها لمّا وقف على منازله سنة (٤٠٤هـ). انظر: الديوان: ٢/ ١٨٣ ـ ١٨٦.
(٥) كعّ: جبن وضعف.
(٦) «لو قسم»: جزء من حديث: «رُبَّ أشعثَ أغبَرَ ذي طِمْرَيْنِ تنبو عنه أعينُ النّاسِ، لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّهُ» الحديث، في الجامع الصغير برقم (٤٤٠١) و(٢٨٥٢). قال الحاكم: صحيح الإسناد.

خيلُ النِّعَم عند ركضتِهِ فَرُدَّت[1]، وما غارَ الماءُ ما أُغِيرَ عليه من نعمتِه، فنسيَ بنسيم العافية ما ألمَّ من ألمٍ، وردَّتْ يدُ المنّة كلَّ ما مرَّ منه وذهب، وكان نثارُ الرِّضَا على واديه بعد أن جرى وادي جُرادى[2] من ذهب[3] وأقبلت زوجتُه، وعليه يمينُ ضربِها، وما كان يَحسنُ في مقابلته صبرَها، فأقبلَ لسان الوحي يتلو فَتوى الرحمةِ، ويراعي ما سبقَ مِنْ مراعاةِ رحمة[4] ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [صَ: ٤٤].

تاللهِ ما ضرَّهُ ما أكلَ من جسدِه الدود[5] لما اختالَ في ثوبِ مودود، وأصبَح مُضْطَبِحاً شرابَ السرورِ من جودِ الجودِ، فرنَّتْ قيانُ الفرح إذ غنَّتْ ألسنةُ المدحِ لا بِعُود[6]، وفاحَ عبيرُ الثَّناءِ فزادَ نشرُه على كلِّ عُوْدِه[7] ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ﴾ [صَ: ٤٤].

* * *

---

(١) فردت: أي ردت نعمه.
(٢) جرادى: كفرادى: موضع.
(٣) من ذهب: كأنه يشير إلى وقوع الجراد من ذهب على سيدنا أيوبَ أثناء اغتساله. انظر: (صحيح البخاري) كتاب الغسل (من اغتسل وحده عُرْيانًا).
(٤) رحمة: زوجة أيوب عليه السلام.
(٥) هذا من الأباطيل التي لاتليق بنبوة أيوب عليه السلام.
(٦) بعود: آلة موسيقية ذات أوتار.
(٧) عُود: ضرب من الطِّيب يتبخر به.

الفصل الثاني عشر

في قصة شعيب عليه السلام

لمّا رأى شعيبٌ شُعَبَ شِعابِ قومه قد امتلأتْ بالجَوْر، صعِدَ منبرَ التذكيرِ بالإنعام، ولكن بَيْن الأنعامِ[1]، يخوّفُهم من قَحْمِ قَحْلٍ[2] القَحْطِ إشارة ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [هود: ٨٤]، فتلقّوه باستهزاءٍ ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧]، ومَدُّوا نحوه باعَ النخوة ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ﴾ [الأعراف: ٨٨]، وتَعَلَّلوا بحجةٍ ﴿مَا نَفْقَهُ﴾ [هود: ٩١]، وانتَهَوْا إلى عتوٍّ ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا﴾ [الشعراء: ١٨٧]، فلمّا اسمهرَّ[3] ظلامُ ظلمِهم، اسْحَنْكَكَ[4] ليلُ إدبارهم، واسلنطح[5] نهارُ هلاكهم، فحقحق[6] إليهم ما حُقَّ عليهم من محقهم، فأظلَّ على ظُلَل ضلالهم ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩]، فارتجّت أرجاءُ بيوتهم برجِّ الزَّحْفةِ، وشدّت عليهم شدةُ الحرّ، فهربوا إلى البَرِّ لا البَرْ[7]، فإذا سحابةٌ تَسْحبُ ذيلَ بُرْدِ البَرْدِ، فتنادَوْا هلمّوا إلى راحةِ الرُّوح، فلمّا تمَّ اجتماعهم في قَصْرِ الحَصْرِ، وظنُّوا أنّها من حَرّ وَقَتْمِهم[8]، نزلتْ نارٌ من السماء فأحرقتهم، فساروا إلى جهنَّم في أسْرِ إدبارهم، وسارَ بَعْد بعدِهم في أدبارِهم نذيرُ التحذيرِ من تبذيرِهم، وعابهم في عقاب

---

(١) شبّه قومه بالأنعام والدواب.

(٢) قحم: اقتحام. قحل: يقال: يبس الجلدُ على العظم، فهو قَحِل.

(٣) اسمهرّ: تراكم واشتد.

(٤) اسحنكك: اشتد ظلاماً.

(٥) اسلنطح: وقع على وجهه.

(٦) حقحق: جد في السير.

(٧) إلى البرّ لا البَرْ: الأولى بمعنى: ما انبسط من سطح الأرض، ولم يُغْطِهِ الماء، جمعه برور. والثانية: اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى، وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

(٨) في (ب): زيادة (وقتهم).

عقابهم ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ [هود: ٩٥].

فليحذرِ العصاة مثل أفعى أفعالهم، وليتّقِ أعمى البصيرةِ شبيهَ أعمالهم، ولْيَخَفِ المطفّفون من أخذِ الطَّفيفِ[1] في مكيالهم، ولْيَسْمعوا نذيرَ العبرةِ، فقد أوحى إليهم بشرحِ أعمالِهم.

* * *

(١) الطفيف: القليل.

الفصل الثالث عشرين

في ذكر بداية موسى عليه السلام

كانت الكهنةُ قد أخبرت فرعونَ بوجودِ موسى، فأطلق الموسى[1] في ذبح الأطفال، فلمّا أُتهمتْ أمُّ موسى بالوَضْعِ، أوْضَع[2] الحرسُ إلى بيتها بالطَّلَبِ، فأدركها عند العِلْمِ الدَّهَشُ، فألقته في التنور إلقاءَ الحَطب، فلمّا عادت فرأته قد سَلِم شاهدت في ضِمْنِ ما صنعت أثر ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾ [طه: ٤١]، فكانت سلامتهُ من النار نقداً [لأجل][3] احْتُمل لأجْلِهِ وعداً لنجاة يوم اليَمّ.

فلمّا سعتْ بتابوته إلى البحر ارتعشت يدُ التسليم فأمسكها، فصاحَ شُجاعٌ بملءِ فيه: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ [طه: ٣٩]، [فيه][4] فصدرتْ بعد إلقائه بصَدْرٍ قد لوى به لواعجُ الاشتياق، لا يعلم قدر ما به إلا مَنْ قد رُمي به، فتلقاها بالبِشر بشيرُ ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ﴾ [القصص: ٧]، فلم تزل أمواج اليَمّ تُيَمّمُ به مسالك القَدَرِ، إلى أن خَبَتْ[5] به خيل النيل فشعرت في تناوله مَشْرعةُ[6] دار فرعون، فألقته في بريةِ ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ﴾ [القصص: ٨]، فلمّا فتحوا التابوتَ أسفر عن مسافرٍ نجيب[7] النجابة، قد جُعلَ زادُه في مزود ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ [طه: ٣٩]، وَوُشِح قلادةَ الحُبِّ قد رصّعَتْ بدُرِّ ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ [طه: ٣٩]، فقامَ فرعون على أقدام الإقدام على قتله، فخرجت آسيةُ من كمين أتباعه تنطِقُ عن لسان ﴿سَبَقَتْ لَهُمُ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وتنادي في مَخدع خديعة الحرب ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص: ٩]، وتجمَعُ في كلامها ما هو فردٌ في لغةِ القَدَرِ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [القصص: ٩]، فلم يزل فرعون في أغباشِ[8] غرورِ

---

(١) **الموسى**: السكين الحادة.

(٢) **أوضع**: أسرع.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٥) **خبّت**: يقال: خبت الفرس: نقل أيامنه وأياسره جميعاً في العدو.

(٦) **مَشرعةُ**: موردُ الشاربة.

(٧) **النجيب من الإبل**: عتاقها التي يُسابَقُ عليها. والنجابة: الكرم.

(٨) **الأغباش**: جمع الغَبَش، وهو بقية الليل أو ظلمة آخره.

يذبحُ إلى أنْ طلعَ [غرر][1] صبح ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ ﴾ [القصص: ٥] .

فلمّا قصّ شوْقُ أُمّه جناحَ صبرها، قالت لأخته ﴿ فَصِيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ ﴾ [القصص: ١١] ، في حريم ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا ﴾ [القصص: ١٢] ، فدنت فدندنت[2] حلة الحِيْلَةِ بحول ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ ﴾ [القصص: ١٢] ، فلمّا حفظت باب المَكْرِ بحارسِ ﴿ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ ﴾ [القصص: ١٢] ، دخل طفيليُّ الوُجد من باب ﴿ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴾ [القصص: ١٢] ، فجاءت بأُمها يؤمُّهُا الليل الطرب، فكادَتْ إذْ حضرتْ تحضرُ في ميدان ﴿ لِتَبْدِى بِهِۦ ﴾ [القصص: ١٠] ، فكبحَها لجامُ ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا ﴾ [القصص: ١٠] ، فخافتْ[3] لسانُ جهرِها لما خافتْ، فَسُلَّ من أيديهم إلى سُلَّمِ تسليمِها، فقرَّ في حِجْرِ ﴿ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ [القصص: ١٣] ، وترنَّمت بلابلُ الوِصَال، فأخرست بلابلَ الفراق.

فَرُبِّيَ موسى في رُبى[4] فرعون، ونَمى بين نمارقِه، إلى أن آن أوان مهاجرَتِه، فجرى القَدَرُ بقتل القِبطيِّ ليكونَ سبباً في سِرِّ سَيْرِ ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ ﴾ [القصص: ٢٢] ، فسعى على أرجاء رجاءِ ﴿ عَسَىٰ رَبِّىٓ ﴾ [القصص: ٢٢] ، فتزوّد من مزوّد ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ ﴾ [القصص: ٢٣] ، فتجمع الصُّهْرُ بواسطة ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ ﴾ [القصص: ٢٥] ، فبقي ضمان الوفاء إلى أمانة ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ [القصص: ٢٩] ، فتلمّح معنى ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ ﴾ [القصص: ٢٩] ، فبيد في بادية الحيرة أنيسُ ﴿ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ ﴾ [القصص: ٢٩] ، فتراءى كفُّ الطَّمع إلى مرامي ﴿ لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم ﴾ [القصص: ٢٩] ، فأطل على طُلل الطلب أقدامُ ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا ﴾ [القصص: ٣٠] ، فتلقّطَ ثمارَ التكليم من غَيْرِ كُلْفة ﴿ وَهُزِّىٓ ﴾ [مريم: ٢٥] ، تساقط من جَنى جناتِ [التجلّي][5] ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [القصص: ٣٠] .

* * *

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٢) دندنت: تكلّمت بصوت ضعيف.

(٣) خافَتْ: خفضت صوتها.

(٤) رُبى: جمع ربوة، وهي المكان المرتفع.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

الفَصْلُ الرَّابِعُ عَشَرَ

في تكليم (الله عزّ وجلّ) موسى عليه السلام

لمّا خرجَ موسى بأهله مِنْ مدينةِ مَدْيَن، انطلقَ طَلَقُ الطلقِ بزوجتِه، فما زال يكابِدُ المقادحَ[1] فلمْ تُورِ[2]، لأنَّ عروسَ نارِ الطورِ لمّا هَمَّتْ بالتجلّي، نوديت النيرانُ بلسانِ الغَيْرَةِ من المشاركة: غُضّي، فقام على أقدام التحيُّر، فهتفَ به أنيسُ ﴿ءَانَسَ﴾ [القصص: ٢٩]، فأنس:

يـا حـارِ[3] إنَّ الـرَّكـبَ قـد حَـارُوا ... فـاذهـبْ تَحَسَّسْ لِمَنِ النـارُ
تَبْـدُو وتَخْبُـو، إنْ خَبَتْ وَقَفُـوا ... وإنْ أضـاءَتْ لهـم سَـارُوا

فشمّر موسى عن ساقِ القَصْدِ وساق، فلمّا أتى النادي ﴿نُودِيَ﴾ [طه: ١١]، فحين ذاق لـذةَ التكليم، جرح قلبَه نصلُ الشوقِ، فلم يداوِه إلا طبيبُ ﴿ وَوَعَدْنَاهُ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

لَيَـالِيَنَـا بِـذِي الأثْـلاتِ[4] عُـوْدِي ... لِيُـوْرِقَ فـي رُبـى الأثْـلاتِ عُـوْدِي
فـإنَّ نَسِيْـمَ ذاكَ الشِّـيحِ أزكَـى ... لَـدَيَّ مـن انتِشَـاقِي نَشْـرَ[6] عُـودِ
وإنَّ حَـدِيثَكُـمْ فـي القَلْـبِ أحْلَـى ... وأطْيَـبُ نَغْمَـةً مِـنْ صَـوْتِ عُـوْدِ

---

(١) المقادح: جمع المقدح: الحجارة التي يقدح بها لإشعال النار.

(٢) فلم تُورِ: فلم تُشْعِل.

(٣) يا حار: ترخيم حارث: وهذا في النداء، وهو للرباعي فما فوقه خاصة.

(٤) الأثلات: جمع أثلة: شجرة.

(٥) عودي الأولى من العَوْد بمعنى: الرجوع، والثانية من العود بمعنى: الغصن، ويكنى به عن ذاته وقلبه.

(٦) نشر عود: النَّشْر: الرائحة الطيبة، والعود: نوع من الخشب طيب الرائحة يتبخر به.

فبُعِثَ في حربِ فرعون، فلم يزل مشغولاً بالجهادِ إلى أن قُبر القتيلُ في لَحْدِ اليمِّ، فطلبَ قومُه كتاباً يضبطُ شاردهم، ويَرُدُّ نادَّهم[1]، فأمره اللهُ أن يصومَ ثلاثين ليلةً نهارَه وليلَه، فأمسكَ على مَسْكِ[2] الإمساكِ بكفِّ الكفِّ في الوصالِ، فَدَامَ[3] فِدامُ[4] فِيْهِ[5] عن مَطْمَحِ المَطْعَمِ، فقيدَ فقيدُ قوتِ الوقتِ فصار في فيءِ ذكرِ الوعد.

فما انقضتِ الليالي حتى أنقَضَت[6] ظَهْرَ الصبر، فقام لتراثي هلالِ الوفاءِ بالأمرِ، فَلاَحَ في مطلعِ فلاحِ القصدِ، فبادر يسعى على أقدامِ الحُبِّ إلى زيارةِ رَبْعِ الحِبِّ[7]، فكاد يقتُلُهُ قَلَقُ[8] الوجدِ، فوجدَ الهواءَ متغيِّرَ الريح في عَرْضةِ[9] الفم، فصاحَ به فصيحُ لسانِ الحَزْمِ من وراءِ رأيِ العزمِ: يا موسى غيِّرْ أثراً لأَزْمِ[10]، فتناولَ مضغةً من النبات فمضغَها.

فقيل له: أيُّها الصائِمُ عن أمرِنا، لم أفطرتَ برأيك؟.

فقال: وجدتُ لفمي خلُوفاً، وما أردتُ بفعلي خلافاً.

فقيل: أما علمتَ أنّ فَوْرَ فورةِ الخلوف من قدْرِ الإمساكِ أطيبُ عندنا من فارةِ فأرةِ المسك[11]، إنّا لننظرُ إلى قصد الفاعلِ لا إلى صورةِ الفعل، الدَّمُ نجسٌ

---

(١) النَّاد: النافر الذاهب على وجهه شارداً.

(٢) مسك: جلد.

(٣) دَدام: من الدوام والاستمرار.

(٤) فِدام: بكسر الفاء ما يوضع على الفم غطاء له.

(٥) فيه: فمه.

(٦) أنقض: أثقل.

(٧) الحِبّ: المحبوب والحبيب.

(٨) في (ب): (يكاد يقلقه قلقه).

(٩) عَرْضة: رائحة الفم.

(١٠) الأزم: تغير ريح الفم بالصوم أو طول السكوت.

(١١) فأرة المسك: النافجة، قال الجاحظ: سألتُ عطاراً عن فأرة المسك، فقال: ليس بالفأرة وهو بالوَشْك أشبه (والوَشْك: ولد الغزال)، وفأرة المسك يعصب الصياد=

مجتَنَبٌ، لكنّه في حنّ الشهيدِ شهيٌّ «زَمّلُوهم بكُلومهم ودمائهم»[1].

فرجعَ موسى عاكفاً على معتكَفِ كَفْكَفِه[2] ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وأُحضِر حتى حضرَ حظيرةَ القدسِ، فنسيَ الإنسَ بما آنَسَ من الأُنس:

فكلُّ شيءٍ رآه ظنَّهُ قَدَحاً ... وكلُّ شَخْصٍ رآه ظَنَّهُ السّاقِي

فلمّا دارتْ في دائرةِ دارِالحِبِّ كؤوسُ القُرْبِ، وسَمع النداءَ وسْط النادي بلا واسطةٍ، وسِيْطَ[3] له من وَسِيْطِ أقداحِ المُنى في المناجاة بلا وسيطٍ، طابَ له شرابُ الوصالِ من أوطاب[4] الخطابِ، في أواني سَمَاعِ الكلامِ، فناداه تَوَقُ[5] شوقِهِ:

(للشريف الرضي):

أوانٍ[6] أنــتَ فــي هــذا الأوانِ ... عنِ الرَّاحِ[7] المُرَوَّقِ[8] في الأوَاني؟

رأى عن الغَوْر وميضاً فاشتاق، ما أَجْلَبَ البرقَ لدمعِ الآماق، فصاح لسانُ الوجدِ: ﴿أَرِنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فرُدَّ شاردُ شَحْذَانِ[9] الشوق على الطَّوى[10]

= سرتها بعد صيدها بعصاب شديد، وسرتها مدلاة، فيجتمع فيها دمها ثم تذبح، فإذا سكنت قوّر السرة ثم دفنها في الشعير، حتى يستحيل الدم الجامد مسكاً نقيّاً بعدما كان دماً لا يرام نتناً.

(١) قاله ﷺ في شهداء أحد، رواه النسائي في كتاب الجنائز والجهاد؛ والإمام أحمد في (المسند).

(٢) كفكفه: الكفكف: الصرف، وهذا إشارة إلى منع نفسه عن الطعام والشراب.

(٣) سيط: مزج.

(٤) أوطاب: جمع وطب، وهو السقاء.

(٥) التَّوَق: الشوق إلى الشيء والنزوع إليه.

(٦) أوانٍ: وانٍ: اسم فاعل من ونى، أي: ضعف وفتر وكَلّ، والهمزة للاستفهام.

(٧) الراح: الخمرة.

(٨) المُرَوَّق: الصافي.

(٩) شحذان: بالتحريك: الجائع.

(١٠) الطوى: الجوع.

بطوق ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، إلا أنّ جَزَع الفِطام سكّن شُعْلَهُ[١] بِتَعِلَّةٍ[٢] ﴿ وَلَٰكِنِ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، فلمّا تجلى جلّ جلاله للجبل مَرّ[٣]، فخرّ موسى في بحر الصَّعْق فرقاً، فَرَقَى فَرَقُه[٤] ذروةَ ﴿ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، وما انبسط موسى بقول: ﴿ أَرِنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣] إلا ببسط: «سلني ولو مِلْحَ عجينك»[٥] لو تركه مع رعيه الغنم في شِعْب شُعيب[٦] ما جال في ظنّه سؤال الرؤية[٧]، ولكنّه استدعاه بالنداء، وآنسه بالتقريب، وباسطه بالتكليم.

فلمّا عاينَ الجِيرةَ حادِي جملي حارا[٨]

كان موسى يطوفُ في بني إسرائيل، ويقولُ: من يحمّلني رسالةً إلى ربي؟ ما كان مرادُه إلا أن يطوّلَ الحديثَ مع الحبيب:

فقلتُ له قُصَّ[٩] الحديثَ الذي انقضى وذكراكَ مِنْ ذاكَ الحديثِ أُرِيْدُ
يُجَدِّدُ تِذكارُ الحديثِ مَوَدَّتي فذِكْرُكَ عِندي والحَديثُ جَدِيْدُ
أُناشِدُه إلاَّ أعادَ حَدِيثَهُ كأنّي بَطِيءُ الفَهْمِ حينَ يُعيدُ

---

(١) شعله: شُعَل جمع شعلة.

(٢) تعلة: من التعلل، وهي الشربة الثانية بعد النهل.

(٣) مرّ: أي ذهب وانطمس في الأرض، وكأنه يشير إلى (الدك) من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

(٤) فَرَقُهُ: خوفه.

(٥) رواه الديلمي في (مسند الفردوس) وقال عنه ابن عراق في (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة: ٢/ ٣٣٧): رواه الديلمي عن صحابي مبهم، وفيه راوٍ لا أعرفه.

(٦) المؤلف من أصحاب الرأي المشهور القائل بأن الشيخ الكبير المذكور في سورة القصص آية (٢٣) هو شعيب عليه السلام، وهذا أمر مشكوك فيه، فشعيب كان قبل موسى عليه السلام بزمن بعيد، وقد قال لقومه: ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٩] ، ولوط كان في زمن إبراهيم عليه السلام، ومن المعروف أنّ بين إبراهيم وموسى ـ عليهما السلام ـ زمناً طويلاً يزيد على أربعمئة عام، كما قاله غيرُ واحدٍ. فلينظر.

(٧) في (ب): (ذلك الطمع).

(٨) حار: بمعنى وقع في الحيْرة والتردد والارتباك، والألف للإطلاق.

(٩) قُصَّ: فعل أمر من يقص؛ أي: تتبع وتبيّن.

مات موسى قتيلَ شوقٍ ﴿أَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلمّا جاز عليه نبينا ﷺ ليلة المعراج، ردّه في الصلوات، ليسعد برؤيةِ مَنْ قد رأى:

وإنّـي لآتـي أرضَكُـمْ لالحـاجـةٍ ... لعلّـي أراكُـم أو أرَى مَـنْ يـراكُـمُ

* * *

إنْ تَشْقَ عَيْني بِهِـمْ فَقَـد سَعِـدَتْ ... عَيْـنُ رَسُـولـي وفـازَ بـالنَّظـرِ
وكلّمـا جـاءنـي الـرَّسـولُ لهـمْ ... رَدَدْتُ شَـوقـاً فـي طَـرْفِـه نَظَـري
تَظهَـرُ فـي طَـرْفِـهِ[1] مَحَـاسِنُهُـمْ ... قَـدْ أكْـرثُ فيـه أحَسَـنَ الأثـرِ
خُذْ في مُقْلَتي[2] يا رَسُوْلي عارية[3] ... فَانظُـر بِهَا واختَكِـمْ على بَصَـري

* * *

(١) طرفه: عينه.
(٢) مقلتي: عيني.
(٣) عارية: قرضاً، ومنسوبه إلى العارة، وهو اسم من الإعارة، والعارية كأنها منسوبة إلى العار، لأن طلبها عار.

الفصل الخامس عشر

في قصة الخضر عليه السلام[1]

لما علا شرفُ الكليم بالتكليم على كلِّ شرفٍ، قال له قومُه: أيُّ الناسِ أعلم؟ فقال: أنا، ولم يقل فيما أعلمُ، فابتليَ فيما أخبر به وأعلم، فقام بين يدي الخضر، كما يقوم بين يدي السليمِ الأعلمُ[2]، فابتدأ بسؤال ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ [الكهف: ٦٦]، فتلقّاه بردّ ﴿لَن﴾ [الكهف: ٦٧]، وكم أنَّ[3] موسى من ﴿لَن﴾؛ أمر قومه بالإيمان فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٥٥]، وقعوا في التِّيه فقالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ﴾ [البقرة: ٦١]، نُدبوا إلى الجهاد، فصاحوا: ﴿لَن نَّدْخُلَهَا﴾ [المائدة: ٢٢]، طرق باب ﴿أَرِنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فردّه حاجب ﴿لَن﴾، دنا إلى الخضر للتعلم فلَفظه بلفظ ﴿لَن﴾، ثم زاده من زاد الردّ بكف ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ [الكهف: ٦٨]، فلمَّا سامحه على نوبةِ السفينة، وواجهه بالعتاب في كَرْةِ الغُلامِ، أراق ماء الصُّحْبةِ في جدالِ الجدارِ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨].

ثم فسَّر له سِرَّ المُشْكِلِ، فجعل يشرحُ القَصَصَ فصلاً فصلاً، بمِقْوَل[4] قائلٍ يقول فصلاً، وكلَّما ذكَّره أصلاً أصلى[5]، لم يبق لموسى عينٌ تراه أصلاً، وكلَّما سَلَّ من حَرّ للعتاب نَصْلاً، صاحَ لسانُ حالِ موسى: كم نُصْلَى؟ فألقى تفسيرَ الأمورِ على الكليم وأَمْلَى، والقَدَرُ يقول: أهو أعلم أم لا؟.

فعلمَ موسى ويوشَعُ أيَّ عبدٍ أمّا[6]، منذ ابتدأ بالشَّرحِ بأمّا، ثم أخذ لسانُ

---

(١) انظر: سورة الكهف، الآيات: ٦٠ ـ ٨٢.

(٢) السليم: أي سليم النطق. والأعلم: من كان مشقوق الشفة العليا.

(٣) أنّ: من الأنين، وهو صوت المتوجع.

(٤) المقول: اللسان.

(٥) أصلى: أحرق.

(٦) أمّا: قصدا.

العتاب يُذَكِّرُ مَنْسِيَّ موسى، أتُنكِرُ خرقَ سفينة لظاهر إفسادٍ تَضَمَّنَ ضِمْنَه صلاحُ ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩]؟! أوتُنكِرُ إتلاف شخصٍ دنيءٍ لإبقاء دينِ سَخْصَيْن؟! أوَكَرِهتَ إقامة الجدار لشُحِّ أهلِ القريةِ بالقِرى[1]، أفأردت مِنَ الأصفياءِ معاملةَ البخلاءِ بالبخل؟! أما تلمَّحتَ سر «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ»[2]؟!.

لقد أنكرتَ ما جرى لك مثلُه، حذِرتَ يومَ السفينة من الغرق فصحتَ بإنكار ﴿ أَغْرَقْتَهَا ﴾ [الكهف: ٧١]، أنسيت يوم ﴿ فَٱلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [القصص: ٧]؟! أنكرتَ قَتْلَ نَفْسٍ بغيرِ نَفْس، أنسيتَ يوم ﴿ فَوَكَزَهُ ﴾ [القصص: ١٥]؟! نهيتَ عن عمل بلا أجر، أنسيت يومَ ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ [القصص: ٢٤]؟! فلمَّا بانَ البيانُ، خرج الخَضِرُ من [باب][3] دارِ الدعوى، وأخرجَ يده من مِلْكِ التصرُّفِ، وأحالَ الحالَ على الغيرِ: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف: ٨٢].

وهذه القِصَّةُ قد حرَّضَتْ على جمع رحلِ الرَّحِيل في طلب العلم، وعلَّمَتْ كيفيَّةَ الأدب في كفِّ الاعتراض على العلم، وصاح فصيحُ نصيحها بذي اللبّ: دع دعواك، فعلى دعوى الكليم لِيْم[4]، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦].

* * *

---

(١) القِرى: ما يقدم للضيف.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: ٤/١٤٨.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٤) ليم: من اللوم.

الفصل السادس عشر

في قصة بَلْعَام وموسى

أيُّها المتعبِّدُ! خَفْ من الفتن ولا تَأْمَنْ، فكم قد أُخِذَ آمِنٌ مِنْ مَأْمَنٍ، إنَّه لم ينجُ من غَطَامِطِ[1] بَحْرِ الفِتَنِ الأعظم حافظُ الاسمِ الأعظمِ، بل عالم[2] بَلْعَامُ، وفَلَ في حُلل النِّعم كالنَّعَم، غافلاً بِتعامي عن النِّعَم، وكانت بنيةُ نِيَّةِ تَعَبِ تعبُّدِهِ على رمل الرِّيَا[3]، فجرت تحتها أنهارُ التجربة، فانهارَ بُنيانُها فَتَخرَّبَ.

كان على دينارِ دينِه ورقةُ رِقَّةٍ، فأَعْجَبَ نَضْرُه[4] نواظرَ الناظرين، فلمَّا حَكَّه المُنْتَقِدُ على حَجَرِ الحِجْرِ افْتُضِحَ بين أهل الحِجَى[5]، وكان ظاهِرُه لَـقَفاً[6] بالتُّقَى، وباطِنُه باطيَةً[7] لِخَمْرِ الهوى، فلقد خبَّأَ الخبايَا في طيِّ الطيباتِ[8]، فلمَّا أرادَ المقدَّرُ تنبيهَ جارِه على جَـوْرِه، تقدَّمَ إلى القَدَرِ بِهَتْكِ سَـتْرِه، فأتاهُ وهو في عُقْرِ[9] عَقارِ[10] الهَوَى، يعاقرُ عُقارَ[11] الريا، وقَدْ رَفَعَتْ له عقيرته[12]

---

(١) بحر غطامط: عظيم الأمواج.
(٢) عام: سبح.
(٣) الريا: مقصور الرياء.
(٤) النَّضر: الحُسْنُ.
(٥) الحِجى: العقول.
(٦) لقفاً: من اللقف: وهو الندى.
(٧) باطية: وعاء الخمر.
(٨) في (ب): الطويات.
(٩) عُقْر: وسط المكان.
(١٠) العَقار: الضيعة والنخل والأرض ونحو ذلك.
(١١) عُقار: خمر.
(١٢) عقيرته: صوته.

عَاقِرُ الفهمِ[1] إلى أن عُقِرَ[2] بعَقْرٍ[3] قلبه فعاد عقيراً، فدعَّه القدرُ إلى صفِّ صَفْصَفِ الدعوى، وأرسل عليه لإصراره صَرْصَرَ العُجب، فمزَّقت جلبابَ التعبُّد، فصيَّره عصفُها عصفاً[4]، فانكشفت عُوارُ[5] عورتِه فَغَوى، فإذا به كَلْبٌ عقورٌ.

وقِصَّةُ إفْصائِه أنَّ القَدَرَ ساقَ الكَلِيْمَ إلى محاربةِ فُسَّاقِ بَلْدَتِه، فقالوا له: اشحذ موسى[6] الدعاء على موسى، فَمَجَّ فوه مجمجةَ[7] التمتُّع، فخرُقُوه بنحت خشبة، فخشَّته[8] خشيةُ الخَلْق، فخرجَ حتى أتى على أتانٍ[9]، فلمَّا قفا وقفَتْ ليقفَ سيرُ عزمِه، فضرى[10] بضربها حتى أضرَّ بها، فقامت في المحجَّةِ تتكلَّمُ بالحُجَّةِ عليه: لِمَ تَضْرِبُني؟ وهذه نارٌ تمنعُ الماشيةَ المشيَ، فرجع إلى مَلِكِهم فأخبره خَبَرَه، وما نقل العتبَ المقصودَ ولا خَبَرَهُ، فألجأ الملكُ صُلبَ عَزْمِه إلى أمرِ صُلْبٍ: إمَّا الدعاءُ عليهم، وإمَّا الصَّلْبُ، فخرجَ، فأتبعه الشيطان، فما كان إلا أن بلغ المكان ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

تالله ما عدا عليه العدوُّ، إلا بعد أن تولَّى عنه المولى، فلا تَظُنَّنَّ أن الشيطانَ غَلَبَ، وإنما العاصِمُ أعرَض، وإن شككتَ فاسمع هاتفَ القَدَرِ، مخبراً عن عزة القادر ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٦].

* * *

---

(١) عاقر الفهم: يقال: عَقَرَ الرجل عقراً: بقي مكانه، لم يتقدم ولم يتأخر لفزع أصابه، كأنه مقطوعُ الرجل، والعاقر من الرمل: ما لا يُنْبِتُ.

(٢) عقر: أهلك، يقال: لبعقرنّه الله: أي ليهلكنّه.

(٣) عقر: بفتح العين وضمها: أصلُ كلِّ شيء.

(٤) عصفاً: زرعاً أُكِلَ حبه، وبقي تبنه.

(٥) عوار: بفتح العين وضمها: خرق في الثوب، أو مطلق العيب فيه. وقال ابن الأثير: بفتح العين العيب، وقد يُضم.

(٦) اشحذ موسى: سُنَّ السكين.

(٧) مجمجة: مجمج فلان في خبره: لم يبينه، والمجماج: المسترخي الرهل.

(٨) خشته: أي خشت فيه: دخلت فيه ونفذت.

(٩) الأتان: أنثى الحمار.

(١٠) ضرى: أغرى ولازم.

الفصل السابع عشر

في قصة قارون

كان قارونُ غايةً في فقهه وفهمه، وكان في النَّسَبِ إلى موسى ابن عَمِّه، فلمّا فاضت الدنيا عليه، فاضت[1] نفسُ علمِه، وكانت مقاليدُ خزائن خزاياه وَقْرَ ستين بغلاً، غير أنَّ الذي فاته بما ناله أعلى وأغلى، سحب ذيل ﴿فَبَغَىٰ﴾ [القصص: ٧٦]، فقام قومه بزجر ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ [القصص: ٧٦]، وألقَوْا إليه نصائح ﴿وَٱبْتَغِ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿وَلَا تَنسَ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿وَأَحْسِن﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿وَلَا تَبْغِ﴾ [القصص: ٧٧].

فركبَ يوماً في وقتِ اقتداره في أربعة آلاف مقاتلٍ، وسُمُّ الهوى يعمَلُ في المقاتِلِ، وركبَ معه في معمعتِه[2] ثلاثمئة جارية، وقد أنساه سفَهُ الأملِ أنَّ سفينةَ الأجلِ جاريةٌ، فلمّا غلا وعلا، حُطَّ إلى حطيط ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾ [القصص: ٨١]، فقالَ الجاهلون: إنما بادرَ[3] موسى بادرته[4]، لأخذ بَدْرَةِ[5] بيدارِهِ[6].

فقال حاكمُ الغيبِ لإزالة الرَّيْب: ﴿وَبِدَارِهِۦ﴾ [القصص: ٨١]، فقال موسى: يا أرضُ خُذيه، فاسْتَخْذَتْ[7] لأمرِهِ، فَسَرَتْ بسَريرِهِ، فناشده قارونُ بالرَّحمِ فما رُحِمَ، فأخذته لِتَقَدُّمِهِ حتى غَيَّبَتْ قدميه، فما زالَ يردِّدُ القولَ حتى غاب الغَبِيُّ

---

(١) فاضت نفسُ علمِه: كناية عن نفاد العلم، إذ فَيْضُ النفس يعني الموت.

(٢) معمعته: الجلبة والتحزب.

(٣) بادر: سارع.

(٤) بادرته: البادرة: الجدَّة.

(٥) بدرة: مقدار من المال.

(٦) بيداره: مكان الكنوز.

(٧) فاستخذلت: استرخت.

الغنيُّ، وإنه ليخسف بهِ كلَّ يومٍ قَدْرَ قامَةٍ، فلا تظنَّن الجزاءَ قدرَ قامَةٍ.

إنَّ الدُّنيا إذا طَلَعَتْ على الطُّعام[1] تُطغي، وإذا بُغي نكاحُها على العفافِ تبغي[2]، ثم إنّها تقصدُ مُلكَ مُجبِّها وتبغي[3]، وكم عُذِلَتْ في فتكها بالفتى الفَتِيِّ وتَلْغي[4]، ما درَّ دوُّها فغرَّت؟[5] فلمَّا فَرَغَتْ[6] فَغَرَتْ[7] فاهاً فَرَغَتْ[8] للظَّغْنِ.

أما سَحَبَتْ قُرونَ قارون مع أقرانه؟ إلى القرار في قَرْنٍ[9]؟.

أما كفكفتْ بِكَفِّها كفَّ مكفوفٍ مُجبِّها فأرَتْكَ فَنَّ ما يكونُ فيكَ في كَفَنٍ؟.

تاللهِ لقد لَقِيَ الغَيُّ الغنيُّ غِبَّ[10] غَبَواتِهِ[11]، فلمَّا انجلى غَيْهَبُ[12] عينيه رأى الغَبْنَ والغَبَن[13]، نعوذُ باللهِ من الخذلان.

* * *

---

(١) الطعام: أوغاد الناس.

(٢) تبغي: من البغاء، أي: الزنى.

(٣) تبغي: أي تريد.

(٤) تَلْغي: من لغى يلغى بالأمر: أولع به، ولزمه فلم يفارقه.

(٥) فغرّت: من غرّه: أي خدعه وأطمعه بالباطل: فهي غَرورٌ، وهو مغرورٌ.

(٦) فَرَغت: يقال: فرغَ من الشيء: أتمّه.

(٧) فَغَرَتْ: فتحت.

(٨) فرغَت: من الرغاء، أي: صاحت للرحيل.

(٩) القَرن: الحبل.

(١٠) غِب: عاقبة.

(١١) غبواته: جمع غباء.

(١٢) غيهب: ظلام.

(١٣) الغَبْن: بفتح الغَيْن وتسكين الباء: يكون في البيع، بمعنى الوكس والخديعة، وبفتح الغين والباء معاً يكون في الرأي بمعنى النقص والضعف.

الفصل الثامن عشر

في قصة داود عليه السلام

لما حُلِّيَ داودُ جِليةَ النُّبوَّة، ولُقِّنَ فصلَ الخطابِ، أطربَ شَدْوُ[1] شكرِه سمعَ القُبولِ، فمنحَهُ إقطاعَ ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠]، فأعجبته سلامةُ العصمة، فتجهَّزَ للإجهازِ على جَرْحَى الزَّلَل، فرماهم بسهم «لا تغفر للخطائين» والقدرُ قد أَتْرَعَ له مما سيعضُّ عليه الأنامل ملءَ الإناء، فابْتُلِيَ بالذَّنْبِ حتى نكَّسَ رأسَ الرئاسةِ على عتبة الذُّلِّ [ودبَّ إلى داود داءُ المعاصي دبيبَ الدَّبَا[2] من حيث ما دبر][3]، رماهُ سَهْمُ ليالي القضاءِ في درعِ ليالي الفِتَنِ، فقضى عليه، فما قدر الدارعُ على ردِّه بدرع ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١]:

وإذا رَامِي المقاديرِ رَمَى ... فدُرُوعُ المَرْءِ أعْوَانُ النِّصَالِ

ظنَّ لقوَّةِ عِصمتِه لقاءَ قِرْنِ الهوى، فلاحَتْ له في حِمَى دعواهُ حَمَامةٌ من ذَهَبٍ، فذهَبَ يَصِيدُها، فوقع في شَرَكِ عينه[4].

(لمهيار)[5]:

ظنَّ غداةَ الخِيْفِ أنْ قَدْ سَلِمَا ... لمَّا رَمَى سَهْماً وَمَا أَجْرَى دَمَا

فَعَادَ يَسْتَقْرِي حَشَاهُ فإذا ... فؤادُه مِنْ بينهما قد عُدِمَا

---

(١) الشدو: الغناء.

(٢) الدبا: كل شيء يدب على الأرض.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٤) ما يذكر من رؤية سيدنا داود لزوجة قائده، وما تبعها من أحداث، هي من الإسرائيليات الباطلة، التي تتنافى مع عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٥) مطلع قصيدة كتبها إلى ابن عبد الرحيم في المهرجان. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٢٥٣.

لَـمْ يَـذْرِ مِـنْ أيـنَ أُصيـبَ قلبُـه وإنَّمـا الـرَّامـي دَرَى كَيْـفَ رَمَـى

طافَ على بابِهِ طبيبُ الألطافِ، فأرادَ استِخْراجَ النَّصْلِ مِنْ باطنِ الشَّغافِ[1]، فجَنَا على عَتَبةِ عِتَابِه بأعتوبة ﴿خَصْمَانِ﴾ [ص: ٢٢]، فقضى على نفسِه في صريحِ ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ [ص: ٢٤]، فبينا هو يلاحِظُ لفظَ القَضيَّة المعا[2] معاً معانيَ المعاصي، ففَطِنَ فَفُكَّ في الفاتنِ فتنُ دُنْيَاه ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ [ص: ٢٤]، فنزَلَ عن مركبِ العِزِّ إلى متنِ مسجدِ الذُّلِّ، وافترشَ فراشَ مَنْ قَدْ أساءَ في دارِ الأسَى، وخلعَ خِلَعَ الفَرَحِ لجلبابِ الحُزْنِ، وزَرَّ رزمانَقَةَ[3] الخوف على شِعَارِ القَلَقِ، فأمسكتِ الحَمائمُ بنَوْحِه، وشغلَها عن صَدْحِها بصوتِه، فبالغَ حريقُ الندمِ في سويداء قلبه، وأقلقَ الأفئدةَ بشجنِي[4] شجنِهِ[5]، ومات خلق كثير من الخلق بترنُّم شجوه[6] [وصوته][7] وشرب عِرْقُ العشب من ماء عين عينه، وحشى سبعة فُرُشٍ رماداً، ثم رمى داء الحَمَّا، بعد أن فرَشَها فرَشُها، وكان يقول في مناجاته:

«إلهي! خرجْتُ أسألُ أطباءَ عبادِك أن يداووا لي جُرحَ خطيئتي، فكلُّهم عليك يدلني.

إلهي! امدُدْ عيني بالدموع، وضعفي بالقوة، حتى أبلغَ رضاك عني».

(...):

يـا مَـنْ تجنُّبُـه صبـري فـي تجنُّبِـه هبْ لي من الدمع ما أبكي عليكَ به
حتَّى متى زَفَراتي في تصاعُدِها إلى الممـاتِ، ودمعي في تصوُّبِه
ولـي فـؤادٌ إذا لـجَّ الغـرامُ بـهِ هـامَ اشتيـاقـاً إلـى لقيـا معـذِّبِـه

---

(١) شَغاف: غلاف القلب، أو سويداؤه وحَبَّته.
(٢) ألمعَ: لمح، وألمعَ إلى: أشار.
(٣) زُرمانقة: بضم الراء: جبة من صوف.
(٤) شجى: الشجى ما اعترض في الحلق، من عظم ونحوه.
(٥) شجن: همّ وحَزَن.
(٦) شجوه: حزنه.
(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

ما زالَ يغسل العين من عين[1] العَيْنِ، ولسانُ العِتَاب يقولُ: يا بُعدَ اللقا، وكلَّما رفعَ قِصَّة غُصَّتِه، جاء الجوابُ بزيادةِ الجَوَى، وهو يستغيثُ وينادِي، حتى أقلق الحاضر والبادي:

إنَّ شَفيعـــي إليـــكَ مِنِّـــي دُمُـــوعُ عَيْنِـــي وَحُسْـــنُ ظَنِّـــي
فبـــالَّـــذِي قَـــادَنِـــي ذَلِيْـــلاً إلَيْـــكَ إلاَّ عَفَـــوْتَ عنِّـــي

* * *

(١) عين العين: العين الباصرة، وعينها ما وقع على بؤبؤها من صُوَر.

الفصل التاسع عشر

في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس[1]

ركبَ سليمانُ يوماً مَرْكَبَ الرِّيح، فراحَتْ بواديه على وادي النَّمْلِ، فنَدَّتْ نملةٌ، فنادت أخواتِها بنداء ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ [النمل: ١٨] ثم قامت، فأقامتْ لعدلِهِ عُذْرٍ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] فحملتْهُ أريحيَّةُ[2] الشكرِ على طَرَبٍ ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩] ؛ لأنها تلفَّظت: ﴿يا﴾ نادت، ﴿أَيُّهَا﴾ نبَّهت، ﴿النَّمْلُ﴾ عيَّنت، ﴿ادْخُلُوا﴾ أمرت، ﴿مَسَاكِنَكُمْ﴾ نصَّت، ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ حذَّرت، ﴿سُلَيْمَانُ﴾ خصَّت، ﴿وَجُنُودُهُ﴾ عمَّت، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ عذرت.

فلمَّا فصلَ طالوتُ مُلكه بالجنودِ عن وادي النمل، وقعَ في مفازةٍ، لا يرى فيها على ماءٍ عَلَماً، فجاشَ[3] جَأْشُ[4] الجيشِ لفقرِهم في القَفْرِ إلى الماءِ ألماً، وكان الهُدْهُدُ يدلُّهم على الماء فغابَ، فتوعَّده بلفظٍ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾ [النمل: ٢١]، فجاءَ ببهتِ[5] ذكيٍّ ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: ٢٢]، فحمَّلَهُ كتاباً، فألقاهُ مِنْ قارةٍ[6] بمنقاره، فرأت اليقظى[7] بيقظانِ فَهْمِهَا، كتاباً مختوماً، وأمراً

---

(١) انظر هذه القصة في: سورة النمل، الآيات: ٢٠ـ٤٤.

(٢) الأريحية: الكرم والجود، وأخذته الأريحية: ارتاح للندى، وهزته: دفعته إلى السخاء.

(٣) جاش: جاش البحرُ: اضطرب وهاج، والعين: فاضت.

(٤) الجأش: القلب والصدر.

(٥) بهت: من بهت الخصم: إذا استولت عليه الحُجَّةُ، ودُهش بها.

(٦) قارة: أكمة.

(٧) اليقظى: الملكة بلقيس.

محتوماً، وكلاماً عجيباً، وحاملاً غريباً، فصادّها[1] العقل والفهم فصادّاها[2]، فاستشارتْ قومَها، فأومَوْا[3] إلى الحَرْبِ بلفظ ﴿نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ﴾ [النمل: ٣٣]، فعلمتْ أنَّ مَنْ جندُه الطيرُ لا يُحارَبُ، وبَعَثَتْ ما يُمَزِّقُ بين الدعوة والدعوى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ [النمل: ٣٥].

واعجباً! الذهبُ إذا ذهبَ سهمُه لا يخطئ، والرشا[4] إذا رشّت مزالقَ أقدام العقول لا تبطئ.

(...)

لا يغـــرَّنَّـــكَ مِـــنَ المَـ ـــرْءِ رِداءٌ رَقَعَـــهْ
وَقَمِيـــصٌ فـــوقَ كَعْـــبٍ السَّـــاقِ مِنْـــهُ رَفَعَـــهْ
وَجَبِيـــنٌ لاحَ فيـــهِ أثَـــرٌ بِسُـــجُـــودٍ خَلَعَـــهْ
أَرِهِ الـــدِّرْهَـــمَ تعـــرِفْ غَيَّـــهُ أو وَرَعَـــهْ

فلمّا بَدَتْ هوادي هديّتها، صاحَ سليمانُ بعزّ ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل: ٣٦]، فلمّا صحّ عندها ما يدعو إليه وثَبَت، وَثَبَتْ على أقدام الطَّلَبِ، وهيّأتْ مراكبَ القَصْدِ، ورَحَلَتْ في هَجيرِ شمسِ الهُدَى على نجائبِ الهِجْرَةِ، فلمّا سمعَ سليمانُ برحيلِها، أرادَ تقوية دليلِها، فنادى في نادي عفاريتِه، مستعرِضاً جندَ بطشِها: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ [النمل: ٣٨]، فلمّا جيءَ به[5] ﴿سَنَرَهُ بقِرام[6] ﴿نَكِّرُوا﴾ [النمل: ٤١]، ثم ابتلاها ليرى ذكاها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢]، ثم صرّحَ بلفظ ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ [النمل: ٤٤] فشُبِّهَ لها لضعفِها عن لطافةِ [كأسِ ساقيتها][7]،

---

(١) فصادّها: من الصدّ: أي الاعتراض.
(٢) فصاداها: من الصيد.
(٣) فأومَوْا: من الإيماء، أي: أشاروا.
(٤) الرشا: جمع رشوة.
(٥) إن الذي جاء بالعرش رجل كان عنده علم من الكتاب، كان في مجلس سليمان عليه السلام.
(٦) القرام: بكسر القاف، الستر الرقيق.
(٧) في(ب): كأس ساقيها.

فكشفت عن ساقيها، فلمَّا وصلت وسلَّمت، أسلمتْ فسَلِمتْ، وحلَّت قبل أنْ حلَّتْ نطاقَ النُّطْقِ، فنثرَتْ خرزاتِ نظامِه، على نظمِ العُذْرِ: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

* * *

الفصل العشرون

في قصة مريم وعيسى عليهما السلام[1]

كانت أمُّ مريمَ حنَّةُ قد حَنَّتْ إلى ولدٍ، فكبُر عَليها امتناعُه، واستولى الكِبَرُ، فرأتْ يَوماً طائراً يَغْذُو فَرْخاً فَرِحاً، فَرَجَى أملُها اليوسُ فَرَجاً فرجا[2]، فسألتْ عندَ هذهِ القضيّةِ وَلَدَيها[3] ولداً، فلمَّا عَلمتْ بالحملِ أكمَنَها السرورُ وَلَهاً، فوهبتْهُ بلسانِ النَّذْرِ لمن وهبَه لها، فقالَ القَدَرُ: يا مَلكُ التصويرِ صَوِّرِ الحَمْلَ أُنثى، لـنُـبَـيِّـنَ أَثَرَ الكرَمِ في قبولِ الناقصِ[4].

فلمَّا وضَعَتها وضَعتها[5] بأنامِلِ الانكسارِ عن سريرِ السرورِ، فإنَّ لسانَ التلهُّفِ لمَّا أَلقى على الفائتِ[6] ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فجبرَ كسرَها جابرُ ﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾ [آل عمران: ٣٧]، وساقَ عِنانَ اللُّطفِ إلى ساقِ زَرْعِهَا، فربا في رُبى ﴿وَأَنۢبَتَهَا﴾ [آل عمران: ٣٧]، فانطلقتْ بها الأمُّ تأمُّ بيتَ المقدسِ، فلبسَ القومُ لأمَهُم[7] في حَرْبِ ﴿يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ﴾ [آل عمران: ٤٤]، فثبتَ قلمُ زكريا إذ وثبتِ الأقلامُ، فَكَفَلَها[8] وكفلَها، فأراها المُسبِّب غناها عن السببِ بآية ﴿وَجَدَ

---

(١) انظر: سورة آل عمران، وسورة مريم، وأواخر سورة المائدة.

(٢) الأولى من الفرج، والثانية من الرجاء.

(٣) ولديها: من لدى، أي عند رؤية الطائر الذي يغذو فرخه.

(٤) الناقص: كناية عن الأنثى المولودة، ولا يقصد بنقصها تنقيصاً، إذ المقصود نقص الموهوب التي هي السيدة مريم عن القيام بمهام النذر المتمثلة بخدمة المعبد.

(٥) وضعتها الأولى: ولدتها، ووضعتها الثانية: حطّت من قدرها ومنزلتها.

(٦) الفائت: أي ما فاتها من رجاء أن يكون المولود ذكراً.

(٧) لأمهم: جمع لأمة: وهي الدرع.

(٨) فكفلها: ضمها.

عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، فربَّها مَن ربَّها[1]، فنشأت لا ترى إلا ربها.

فانتبذت يوماً من أهلها، فأقبلَ نحو ذلك البَرِّيِّ البَرِيِّ[2] بريدُ ﴿فَأَرْسَلْنَآ﴾ [مريم: ١٧]، فتحصَّنَتِ الحَصان[3] بحِصْن ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ﴾ [مريم: ١٨]، فانزوى إلى زاوية ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩]، وأخبرَها بالتُّحفَةِ في لفظ ﴿لِأَهَبَ﴾ [مريم: ١٩][4]، فأقبلتْ في مَهَبِّ ريح الرُّوح، فتنفَّستِ الكلمةُ مِنْ كَمينِ الأمرِ، ففخَ جبريلُ في جَنْبِ جيب الدِّرْعِ[5]، فمرَّت المرأةُ حاملاً في الوقتِ، فلمَّا علمتْ المَثَّ بما حملَ عليها الحملُ، فأخرجَها الحَياءُ الحيُّ[6] عن الحيِّ.

فلمَّا فاجأها وقتُ الوضع، فأجاءها[7] المخاضُ إلى الجذعِ، تحيَّرت من وجودِ ولد، وما فَجَرَتْ[8]، فجَرَتْ عَينُ الدَّمعِ، فصاحَ لسانُ الحَفَرِ[9] بلفظ النَّدب: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ [مريم: ٢٣]، فأجابَها المَلَكُ عَن أمْرِ مَنْ مَلَكَ: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ [مريم: ٢٤]، وأُجري لها في أوانِي الأوانِ سَرِيّ[10]، كما وهبَ لها من الغِلمان سَرِيّ[11]، فسَرّى[12] عَن سِرِّها وجودُ الطَّهور، وأُنسُ الطاهر[13]، فسُرَّا[14]، وأُرِيَتْ آيةٌ تدلُّ على قَدْرِ القُدْرَةِ في مقام

---

(١) ربها من ربها: الأولى: وليها وتعهدها بما يغذيها وينميها، والثانية: حفظها.

(٢) البَرِّي البَرِيّ: نسبة إلى البَرّ، والبريّ: نسبة إلى البراءة.

(٣) الحَصان: المرأة العفيفة، جمعها: حُصُن.

(٤) في الأصل: ليهب.

(٥) جَيْبُ الدرع: فتحةُ الثوب من جانب العُنُق، ويدخل فيه الرأس.

(٦) الحي: مِنَ الحياةِ ضدُّ الموت، أي: حياء نابض بالحياة، والحيُّ: المحلة التي يقطن بها الإنسان.

(٧) أجاءها: ألجأها.

(٨) ما فجَرَت: ما زَنَتْ وما بغت.

(٩) الحَفَر: الحياء.

(١٠) سَري: نهر.

(١١) سري: ذو مروءة ووجاهة.

(١٢) سرّى: بالتشديد، كشف ما بها من همّ.

(١٣) الطهور: أي الماء الذي أجراه الله لها. الطاهر: أي عيسى عليه السلام.

(١٤) سُرّا: من السرور، أي: ابتهجا، يعني: مريم وابنها.

﴿وَهُزِّيٓ﴾ [مريم: ٢٥] ، فهزَّت جِذْعَ جذعٍ مائلٍ مثلَ الحطبِ، فتساقطَ عليها في الحالِ رَطْبُ الرُّطَبِ، فأخذها الجَوَى[١] في إعدادِ الجوابِ، فقيل لها: ﴿كُلِي﴾ [النحل: ٦٩] كِلي[٢] الكُلُّ إلى من له الكُلُّ، كنتِ بمعزلٍ من وجودِ الولد، فكوني بمعزلٍ من إقامةِ العُذْر، فالذي تولَّى إيجادَهُ يقيمُ عُذرَ العَذْرَا، لا تَعجبي مِنْ وجودِ حملٍ سَافَرَ عن أرضِ القُدْرَة، فلم يصلحْ أنْ ينزلَ إلا بمنزلٍ، أركانُه على عَمَدٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ﴾ [آل عمران: ٤٢] ، فلمَّا سكتتْ وسكنتْ، بعدَ أن قعدتْ وقامتْ، أقامتْ أيامَ النفاسِ، فانقضتْ وفاتتْ ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ [مريم: ٢٧] ، فنادَوا من أنديةِ التوبيخِ، إذ ما شاهدوا قطُّ أختَها[٣]: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] فَاضْجَروا مَريضاً قد ضنى[٤] من أنين ﴿أَنَّىٰ﴾ [مريم: ٢٠] على فراش ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ﴾ [مريم: ٢٣] ، فلمَّا شارَتْ[٥] أزيَ[٦] الرأي، أشارتْ إليه، فأخذتْهُ السنةُ تَعَجُّبِهم تمُجُّ بهم ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ﴾ [مريم: ٢٩] ، [فكأنَّها قالت لهم: أنا طريقٌ، وهذا مرَّ بي، والمسافر يُسألُ عن الطريق، لا الطريقُ عن المسافر][٧]، فقام عيسى يمخَضُ أوطابَ[٨] الخِطابِ على مِنْبرِ الخطابة، فأبرزَ بالمخضِ[٩] مَحضَ[١٠] إبريزِ[١١] الإقرارِ: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] ، وأومأ إلى وجوده من غيرِ أبٍ في إشارةِ ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ [مريم: ٣٢] ، وكانت واسطةُ عقده ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ﴾ [الصف: ٦] .

---

(١) الجوى: ضيق الصدر.

(٢) كلي: فعل أمر من يكل، ومعناه: أسندي وردّي.

(٣) أختها: أي مثلها.

(٤) ضنى: تعب.

(٥) شارت: اجتنت.

(٦) أري: عسل.

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٨) أوطاب: جمع وطب، وهو سقاء اللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه.

(٩) بالمخض: المخض: تقليب الرأي، وتدبّر عواقبه، حتى يظهر للمقلّب وجهه.

(١٠) المحض: الخالص: الذي لا يخالطه غيره.

(١١) إبريز: الذهب الخالص.

فلمَّا تمَّ لهُ سِنُّ الشَّبابِ، جلسَ على بابِ المُعجزَة، يُعطي العافيةَ العافية[1]، ويبرئُ الأكمهَ والأبرصَ، فربَّما ألفى ببابِهِ خمسينَ ألفاً يؤمِّنونَه في كلِّ يوم، ولقد تركَ الدنيا فطلَّقها أيَّ تطليق، وأبغضَها ولا كبُغضِ الرَّافضي الصدِّيق، فغَزاها بجندِ الزهدِ بين مُسرَجٍ ومُلجَم[2]، وفتكَ بها كما فتكَ بالتقيِّ[3] ابنُ مُلجم، ما التفتَ إليها قطُّ وجهُ عزمِه، ولا صافحَها يوماً كفُّ قلبه، ولا غَازلَها ساعةً لسانُ فكرِه، فلم يعرفْ حقيقةَ ما حَوَى سوى الحَوارِيين، فشمَّروا عَن [ساق][4] العَزائم، في سَوْقِ بُدْنِ الأبدانِ إلى مِنى المُنى تحثُّ بلفظ ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وكَتَبُوا في عقد العقائدِ: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٣]، فعدَلُوا بها إلى عَدْل ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

ثم إنَّ اليهودَ اجتمعُوا في بيتٍ ﴿وَمَكَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٤]، فزلزلَ عليهم بيدِ ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، فدخلَ عيسى خُوخَةً[5]، فدَخلَ خلفَه ذو دَخَل[6] فـألْقيَ عليه شِبْهُهُ، فحاقَ بالمرءِ مرُّ مُرادِه، وصاحَ فيهِ حاكمُ القَدَرِ: جَوِّدْ مراقيها[7].

* * *

---

(١) العافية الأولى: الصحة، والعافية الثانية: اسم فاعل من الفعل (عفا) جمعه عفاة، وهو طالب المعروف.

(٢) المُسْرَج: الخيل التي وضع عليها السرج. الملجَم: الخيل التي ألجمت.

(٣) التقي: يعني به سيدنا عليّاً رضي الله عنه.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٥) خوخة: كوة.

(٦) دَخَل: غدر.

(٧) جوِّد مراقيها: جوّد: حسّن، والمراقي من الدرج: عتباته، أو من السماء: أسبابها، وكل مرقاة من الدرج عتبة، ويشير إما إلى رفع المسيح عليه السلام إلى السماء، أو صلب اليهود لمن ألقيَ عليه شبهُه..

الفصل الحادي والعشرون

في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام[1]

لمّا قام زكريا عليه السلام بإقامةِ الإقامةِ لمريم، رأى وكيلَ الغَيْبِ يسبقُه بالإنفاذِ على يدِ القدرِ في كِنّ[2] كُنْ، وكان إذا خرجَ، ثم جاءَ، فاجأه ثمر الثمار قد نمتْ، فكم قد ألفى الفاكهةَ الفائقةَ لا في حينها، فتلمَّحَ بعينِ زرقاءِ[3] الفَهْمِ، فرأى نفقةَ الجاريةِ جاريةً، وكيسُ الأسباب على خَتمِه، فصاحَ لسانُ الدَّهَشِ: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧] ، فأحالتِ الحالُ على المسبِّبِ: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧] .

فنبَّهَتْ هذه الآيةُ راقدَ طمعِه[4]، بعدَ أن طالَ وَسَنُه[5] سبعينَ سنةً، فسَنَّ على سُنَّتِه[6] وجهه ماء رجاءٍ[7] ماء آسنٍ[8]، مما لم يتَسنَّه[9]، وقام الدِّرْدَح[10] بعدَ أن تقعوَسَ[11] وتَسَعْسَعَ[12]، وعسا على باب عسى في محراب ﴿وَعَازَكَرِيَّا

---

(١) انظر قصته في: سورة آل عمران، ومريم، والأنبياء.

(٢) كِن: الكِنّ: ما يتخذ سترة ليقي من الحر والبرد.

(٣) إشارة إلى زرقاء اليمامة، وهي امرأة اشتُهرت بحدة البصر، فكانت ترى على مدى مسيرة ثلاثة أيام.

(٤) طمعه: كنايةٌ عن طمعه في الولد.

(٥) الوسن: النعاس والغفلة.

(٦) سنَّ على سُنة: صبَّ على خدِّ وجهه، أي: الجزء الظاهر من الوجه.

(٧) الرجاء: ضد اليأس.

(٨) يشير إلى رغبته في الولد، ورجائه في أن يُرزقه من أملٍ بعيد، لكنه لم يفسد. والآسن: إشارة إلى عمق الرجاء، ومكثه الطويل.

(٩) لم يتسنّه: لم يتغير.

(١٠) الدردح: الشيخ الهرم.

(١١) تقعوس: كبر.

(١٢) تسمع: هرم وفني.

رَبِّ﴾ [آل عمران: ٣٨] ، فَسَرى بسرِّه سراً، لئلا يدبَّ على فن من أفنِ[١]، فكَتَبَ قِصَّةَ ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩] ، وشكا ما شِيْبَكَ[٢] به مما حَلَّ[٣] من حَلِّ[٤] التركيبِ وشيكاً[٥]، في كلماتٍ هُنَّ ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ [مريم: ٤] ، فلمّا أوردَ في قصته ما يريدُ، حَمَّلها بريدَ الرَّجاءِ، إلى مَنْ عَوَّدَ العُوْدَ[٦] العَوْد[٧]، فكُشف الجوى في الجواب[٨].

لله دَرُّهُ! خَدَم حتّى شابَ، ثم طلبَ ناثِياً على البابِ، فأصبحَ ميتُ أهلِه بوجودِ يحيى يحيا[٩]، فمَشَى لمشاهدةِ وَجْهِ القَدَرِ، وقد حالَ بينهما سفرُ العادات، إلى أن آنَ تلفظُ ﴿أَنَّىٰ﴾ [مريم: ٢٠] ، وهتفَ به هاتفُ ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٢١] ، فسألَ عَلَماً على ما يُعلَمُ به وجودُ الحمل، ليحمِلَ نفسَه على الشكرِ، فوُعِدَ بِسَجْنِ اللسانِ، مع سلامةِ الإنسانِ، إلا عن ذكر الرحمن، ليكونَ سَجْعُ نطقِه مُفْرِداً.

فلمَّا وُلد له يحيى، لم يبلُغ مبلغَ يافعٍ، إلا وهو ولد نافعٌ، كان صَبا الصِّبا تميلُ بالصبيان ولا تهوِّه، فإذا قالوا له: هَلمَّ بنا فلنلعبْ، قال: إنَّما خُلقنا لِلْغَبِ[١٠] لا للعب، فقَطَّ[١١] له القَدَرُ قِطّاً[١٢] من عِصامِ العصمةِ ما قَطَّهُ قَطُّ لأحدٍ، فما خَطا إلى خطإٍ ولا همَّ، ولقد رمى الدنيا على يدِ التمسُّكِ، وعلا عن

---

(١) أفن: دخل في الأفن، وهو الخرف.
(٢) ما شيك به: ما آلمه.
(٣) حلّ: وقع.
(٤) حلّ التركيب: انحلال الجسم وضعفه.
(٥) وشيكاً: سريعاً.
(٦) العُود: بضم العين، العود اليابس.
(٧) العَوْد: بفتح العين، رجوع الخضرة إلى العود.
(٨) إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ [مريم: ٧] . والجوى: حبه للولد.
(٩) يحيى: بألف مقصورة، اسم ولده الموهوب. يحيا: بألف ممدودة، من الحياة ضد الموت.
(١٠) في (ب): (للتعب)، واللغب والتعب: بمعنًى واحد.
(١١) قَطَّ: قطع.
(١٢) قِطّاً: نصيباً.

فضولها عن قُلَلِ[1] التقلُّلِ، فكانَ عيشُ عَيْشِهِ[2] العُشبَ، واقتنع بمُسُوكِ[3] الحيوان عن السِّبِّ[4]، والشَّفِ[5]، والمُشَبَّرَق[6]، وشغله عن رَقْشِ[7] نَقْشِ القَشِيبِ[8] والدِّمَقْسِ[9] ما لفَّ مما لَفَقَ[10].

ولقد دوَى[11] في دوِّ[12] فؤادِه غيمُ الغَمِّ، فغدا الغَدَقُ[13] يَدِقُّ[14]، إلى أن فاضَ قليبُ قلبِه، فانقلبتْ عيناه بقُلُبِ[15] كالعيون حتَّى فَرَتْ[16]، فحرثتْ في أخدودِ الخدودِ مجرًى، ولم يزل يمْرُوَلُ دمعِهِ يحفُرُ رَكِيَّتَه[17] خَدَّه، حتى بدتْ فيه أضراسُ فيهِ، يا عجباً من بكاءِ مَنْ ما عَصَى ولا هَمَّ، وضَحِكِ مَنْ كتابُه بالذُّنوبِ قد ادلهمَّ[18]، فلمّا قاربَ الوفاةَ، وفاتَ العدوَّ سَلِمَ من آفاتِ النقل في المواطن المخصوصة بوحش الوحشة، فتخلَّصَ فيها من أَسَدِ البلاء، كما حُمِيَ من ذِئبِ الذَّنْبِ ﴿يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥].

* * *

---

(١) القُلل: جمع قُلة: وهي أعلى الجبل، أي: أعلى درجات الزهد.
(٢) عيشه: حياته.
(٣) مسوك: جمع مسك، وهو الجلد.
(٤) السبّ: العمامة (د).
(٥) الشفّ: الثوب الرقيق.
(٦) المشبرق: الثوب الكتان.
(٧) رقش: نقش.
(٨) القشيب: الثوب الجديد.
(٩) الدمقس: كهزبر، هو الإبريسم والقز والكتان.
(١٠) لفّق: يقال: لفق الشيء: أصابه وأخذه.
(١١) دَوَى: لازم فلم يبرح.
(١٢) دو: الدو: الفلاة الواسعة.
(١٣) الغدق: الكثير المنهمر.
(١٤) يَدِقُّ: يعطي.
(١٥) قُلُب: جمع قليب، وهو البئر قبل أن تطوى، أي: تبنى بالحجارة ونحوها.
(١٦) فرت: شقت وقطعت.
(١٧) ركية: البئر التي لم تُطوَ.
(١٨) ادلهمّ: اشتد ظلامه.

الفصل الثاني والعشرون

في قصة أهل الكهف[1]

كان رَقْمُ ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢] واغلاً[2] كهفَ قلوبِ أهلِ الكهفِ، فلمَّا نصبَ مَلِكُهم شَرَكَ الشِّرْكِ، بانَ لهم خَبْطُ الفَخِّ فنفرُوا، وخَرَجُوا من ضِيْقِ حَصْرِ الحَبْسِ إلى الفضاءِ فضَاءَ [لهم][3]، فما راعهم في الطريقِ إلا راعٍ وافقهم، فرافقهم كلبُه، فأخذوا في ضربِه، لكونهم ليسوا مِنْ ضَرِيبِه[4]، فصاحَ لسانُ حالِهِ: لا تطردوني لمباينتي جنسَكُم، فإنَّ معبودَكم ليس من جنسِكُم، أنا في قبضةِ إشارتِكُم أسيرٌ[5]، أسيرُ إن سِرْتُم، وأحرسُ إن نمتم.

فلمَّا دخلوا دارَ ضيافةِ العُزلةِ، اضطجعوا في راحةِ[6] الراحةِ من أربابِ الكُفْرِ، فغلبَ النومُ القومَ ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، وكانت الشمسُ تحولُ عن حِلَّتِهم[7] لحراسة حُلَّتِهم[8] من بلاءِ بلى[9]، وأعينُهم مفتوحةٌ لئلا تذوبَ بأطواقِ الإطباقِ، ويدُ الألطافِ تقلِّبُ أجسادَهم لتسلمَ من أَفَنٍ[10] عَفَنٍ، وجرت الحالُ في كليهِمْ على ما جَرَتْ بهم، فكأنَّه في شركِ نَومِهِمْ

---

(١) انظر القصة في: سورة الكهف.
(٢) في (ب): علا على.
(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).
(٤) ضريبه: من جنسه.
(٥) أسير: مأسور.
(٦) راحة: كف.
(٧) حِلَّتهم: بكسر الحاء، منزلهم ومحلتهم التي حلّوا بها، وهي الكهف.
(٨) حُلتهم: بضم الحاء، جسومهم وثيابهم.
(٩) بلى: فناء.
(١٠) أفن: فساد ونتن.

قد صِيدَ ﴿ بِٱلْوَصِيدِ[1] ﴾ [الكهف: ١٨] .

فخرجَ الملكُ بجمعِ جمعِه في طِلابهم، فإذا بهم، فسَدَّ البابَ، فما وعى على وِعاء مِسْكٍ، فمَا ضاعَ حتى هلكَ المَلِكُ في بِيدِ الهُلْكِ، فانسابَ راعٍ إلى سَبَسَبِهِم[2] ففتحَ بابَ الكهفِ ليحوزَ الغَنَمَ، فهبَّ الهواءُ فهبَّ الراقدُ، فترنَّمَ أحدُهم بلفظ: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ [الكهف: ١٩] ؟ فأجابَه الآخر: ﴿ يَوْمًا ﴾ [الكهف: ١٩] ، ثم رأى بقيةَ الشَّمسِ نقيةً فاتقى بالورعِ وَرَوَاتِ الكذب، فعادَ يتّبعُ ﴿ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ [الكهف: ١٩] .

فلمَّا قفلوا من سفرِ النومِ إلى ديارِ العادةِ، زادَ تقاضي الطبعِ بالزادِ، فخرَجَ رئيسُهم في ثوبِ متنكِّرٍ، فضلَّتْ معرفتُه بالمعاهدِ، فأقبلَ يتَّهم اليقظةَ، فَمَدَّ إلى بائعِ الطعامِ باعَه فما باعَه، وظَنَّ أنَّه قَدْ وَجَدَ كنزاً، ولقد وَجَدَ كنزَ ﴿ وَرِقِكُمْ هَٰذِهِ ﴾ [الكهف: ١٣] ، فحملَهُ القومُ إلى الوالي، فقال: إنه لَمالي، [فما لكم وما لي]؟[3] كنَّا فتيةً أُكْرِهْنا على فتنةٍ، فخرجنا عشيةَ أمس، فنمنا في باطنِ كهفٍ، فلما انتبهنا خرجتُ أبتاعُ للأتباعِ قوتَ الوقتِ.

فسارَ القومُ معه في عسكرِ التعجُّبِ، فسمعَ إخوانُه جَلَبَةَ الخيلِ، في حَلْبةِ الطَّلبِ، فتجاوبوا بأصواتِ التوديعِ، وقاموا إلى صلاةِ مُوَدِّعٍ، فدخلَ تمليخا[4]، فقصَّ عليهم نبأهم، فعادوا إلى مواضعِ المضاجعِ فوافتهم الوفاةُ، وفاتَ لقاؤهم، وَسَدَلَت عليهم حجابَ الرعبِ كفٌّ ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الكهف: ١٨] .

إخواني! ليس العجبُ من نائمٍ لم يعرفْ قدرَ ما مرَّ من يومِه، وإنَّما العجبُ من نائمٍ في يقظةِ عمره.

(. . .):

أَمَـا واللهِ لَـوْ عَلِـمَ الأَنَـامُ ... لِمَـا خُلقوا لَمـا غَفَلوا ونـامُوا

---

(١) الوصيد: عتبة الباب.

(٢) سبسبهم: السبب الأرض الواسعة.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٤) تمليخا: اسم الذي خرج من أهل الكهف.

لقد خُلِقوا لِمَا لو أَبْصَرَتْه عيونُ قلوبِهم ساحُوْا وهاموا
مماتٌ ثُمَّ قبرٌ ثم حَشْرٌ وتوبيخٌ وأهوالٌ عِظامُ
ليومِ الحشرِ قد عَمِلتْ رِجالٌ فَصَلّوا مِنْ مَخافَتِهِ وَصَاموا
ونحنُ إذَا أُمِرْنا أو نُهينَا كَأهلِ الكَهْفِ أيقَاظٌ نِيامُ

* * *

الفصل الثالث والعشرون

في بداية أمر نبينا ﷺ ورضاعه

خُلِقَ نبيُّنا ﷺ مِنْ أرضى الأرضِ أرضاً، وأصفى الأوصافِ وصفاً، وصِيْنَ آباؤه مِنْ زَلَلِ الزِّنى، إلى أنْ صُدِّفَتْ بتلك الدُّرة صدَفةُ آمنة، فوثبتْ لرضاعهِ ثُوَيبةُ، ثم قَضَتْ باقي الدَّينِ حليمةُ، فقامَ نباتُه [مستعجلاً][1] على سوقِه[2]، مستعجلاً قيامَ سوقه[3]، فنشأ في حِجْرِ الكمالِ كما يشاءُ، فشأى[4] مَنْ شأى منشأ[5].

أقبلتْ حليمةُ والجَدْبُ عامٌ في العام، فعُرِضَ على المرضعاتِ، فَأبينَ[6] لِلْيُتْمِ، فراحتْ به حليمةُ إلى حِلّتها، فثابَ لبنُها ولبنُ راحلتِها، فباتوا لبركةِ رُواءِه[7] رِوَاءَ[8]، وهبَّ على مَبارِكهم نسيمُ نَسْمَةٍ مُباركة، فلمَّا ظعنتِ الظعائنُ، أتت أتانُها تؤمُّ أمام الركب، فلمّا حَلُّوا حِللهم، كانت الرعاءُ تسرحُ فَيَعْقِرُها سَرْحانُ[9] الجَدْبِ، وراعي حليمةَ يعيدُ الغَنَمَ بالغُنْمِ.

---

(١) مستعجلاً: غليظاً، وهي زيادة من (ب).
(٢) سوقه: أعواده.
(٣) السوق: ما يباع فيها ويشترى فيها، وهو كناية عن قيامه بوظيفة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.
(٤) فشأى: كمل وبلغ الغاية.
(٥) شأي منشأ: كمال المنشأ ورفعته.
(٦) فأبين: أبيد.
(٧) رُواه: بضم الراء: الجمال والحسن.
(٨) رِواء: بكسر الراء: مرتوين.
(٩) سرحان: الذئب.

فبينا الصبيُّ مع الصبيانِ، هبَّتْ صَبا الجبرِ[1] بجبريلَ، فجاءَه فجأةً، فشقَّ عن القلبِ، ثم شقَّه وما شقَّ عليه[2]، فعَلِقَ بيده من باطنِيّةِ[3] باطنِه علقة[4]، فقال: هذا حظُّ الشيطانِ، وقد قطعنا عُلقة[5] منه، ثم أعادَ قَلْبَهُ بعد أنْ قَلَبَهُ، وما بِهِ قَلَبة[6]، فبقيَ أثرُ المَخيطِ في صدرِه باقيَ عمرِه، لإظهارِ سورةِ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾.

فلمَّا بلغ ستَّ سنين، ألوى الموتُ بالوالدة، فجدَّ في كفالتِه الجَدُّ، ثم طلبَ الموتُ عبدَ المطلب، فما أبى الطالب، ولا اشتغلَ بأوصابه[7]، حتى أوصى به أبا طالب، فخرجَ به، وقد زانه كالتَّاجِ تاجراً، فتيمَّمَ باليتيمِ منزلَ تيماء، فرآه بحيرا[8] ببحيرته[9] فقرأ سِماتِ النُّبوَّةِ مِنْ شَمائلِ ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فشَامَ[10] برقُ فضلِه، فلاحَ من شيمة شامتِه، فقال لعمِّه: احفظ هذه الشامةَ مِنْ شامتٍ.

وما زال نشرُهُ يضوعُ[11] ولا يضيعُ، إلى أن تمخَّضتْ حاملُ النبوَّةِ في إبَّانِ التَّمام، وآثرَ الطلوقُ طلاقَ الخلقِ، فتحرَّى غارَ حِراه[12] للفراغِ، فراغَ[13] إليه المَلَكُ، فأغارَ[14] حبلَ الوصالِ في ذلك الغار، فأفاضَ عليه حُلة

---

(١) الجبر: الإغناء من فقر.

(٢) ما شقّ: ما صعب.

(٣) الباطية: إناء الخمر.

(٤) علقة: كشجرة، القطعة من الدم الجامد.

(٥) عُلْقَة: كقدرة، العلاقة التي يتعلق بها.

(٦) قَلَبَة: كشجرة، داء، يقال: ما به قَلَبة.

(٧) الأوصاب: المرض والتعب.

(٨) بحيرا: اسم الراهب الذي لقي النبي ﷺ مرة واحدة حين كان مع عمه أبي طالب في سفرة إلى الشام.

(٩) البحرة: البلد.

(١٠) فشام: نظر.

(١١) يضوع: يفوح.

(١٢) حِراء: غار بمكة كان النبي ﷺ يتعبد به قبل البعثة.

(١٣) فراغ: مال إليه سرّاً.

(١٤) أغار: أحكم الفتل.

﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١] ، فأفاض إلى حُلَّة «زملوني» فسكَّنت خديجة غُلَّتَهُ، بعلَّة «إنك لتصلُ الرَّحِمَ»[١].

ثم انطلقتْ به إلى وَرَقة[٢]، فقرأ من ورقَةِ سيماء نَقْشَ فضيله، فتيقَّظَ لفهم أمرِه إذا ناموا، فقال: «هذا الناموسُ الذي نزل على موسى»[٣].

ولقد عرفهُ الأحبار في الكنائس، والرهبان في الصوامع، وأنذَرَ به الرَّئِيُّ[٤]، وأخبَرَ به التابعُ[٥].

فكانت تسلِّمُ عليه قبلَ النبوَّةِ الأحجارُ[٦]، وتبشِّره بما أولاه مولاه الأشجارُ، وكان خاتمُ النبوَّةِ بين كتفيه، وسرايا الرُّعْبِ تترك كسرى كالكِسرة بين يديه[٧]، أُلْبِسَ إهابَ الهَيْبَةِ، وتُوِّجَ تاجَ السيادة، وضُمِّخَ بأذكى خَلوقٍ أزكى الأخلاق، وأُحِلَّ دارَ المُدارةِ[٨]، وأُجْلِسَ على صفحة الصَّفْحِ، ولُقِّمَ لُقَمَ لقمانَ الحكيمِ، ووُضِعَتْ له أكوابُ التواضعِ، وأُديرتْ عليه كؤوسُ الكَيْسِ متضمنةً حلاوةَ [الحِلْمِ][٩]، ختامها مسكُ النُّسكِ.

وأُعطِيَ لقطعِ مفازةِ الدنيا جوادَ الجَوْدِ، ونُوِّلَ قلمَ العِزِّ، فوقَّع على

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، رقم (٣)، ومناقب الأنصار (٤٥)؛ ومسلم في كتاب الإيمان، برقم (٢٥٢) باب بدء الوحي.

(٢) ورقة بن نوفل: من أهل مكة، نبذ عبادة الأصنام، وتنصَّر، وقرأ بعضاً من كتب أهل الكتاب.

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، رقم (٣)؛ ومسلم في كتاب الإيمان، برقم (٢٥٢)؛ والإمام أحمد: ٦/ ٣٢٣.

(٤) الرئي: الجني الذي يرى ويعرض للإنسان.

(٥) التابع: الجني الذي يتبع الإنسان.

(٦) رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي بلفظ: «إني لأعرفُ حجراً كان يسلِّمُ عليَّ قبل أن أبعث».

(٧) «نصرت بالرعب» رواه البخاري في التيمم (١)، والصلاة (٥٦)؛ ومسلم في المسجد (٣)؛ والترمذي سير (٥)؛ والنسائي (٢٦)؛ والإمام أحمد: ١/ ٣٠١، ٢/ ٢٢٢.

(٨) المدارة: أي المداراة: التألف والإيناس.

(٩) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

صحائفَ الكَدّ، «كلّ عملٍ ليسَ عليهِ أمرُنا فهو رَدٌّ»[1].

كان يعودُ المريضَ، ويجيبُ دعوةَ المملوكِ، ويجلسُ على الأرضِ، ويلبسُ الخشنَ، ويأكلُ البشعَ[2]، ويبيتُ الليالي طاوياً، يتقلّبُ في قعرِ الفقرِ، ولسانُ الحالِ يناديه: يا محمدُ! نحنُ نَضَنُّ بك عنِ الدنيا لا بِهَا عنك.

ولقد شاركَ الأنبياءَ في فضائلهم وزادَ، أينَ سطوةُ ﴿لَأَنذَرَ﴾ [نوح: ٢٦] من حلم «اهد قومي»؟! أين انشقاقُ البحرِ من انشقاق القمر؟! أين انفجارُ الحجرِ، من نبعِ الماء من بين الأصابع؟ أينَ التكليمُ عند الطورِ من قابَ قوسين؟! أين تَسبيحُ الجبالِ في أماكنها من تقديسِ الحَصى في الكَفّ؟! أين علوُّ سليمان بالريح من ليلة المعراج؟! أينَ إحياءُ عيسى الأمواتَ من تكليمِ الذِّراع؟!.

كلُّ الأنبياءِ ذهبتْ مُعجزاتهم بموتِهم، ومعجزةُ نبيِّنا الأكبر قائمة على منار ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، تنادي: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، ولقد أعربَ عن تقدّمه مَنْ تقدَّمَهُ، «آدم ومن دونه تحت لوائي»[3]، «لو كان موسى وعيسى حيَّين ما وسعهما إلا اتِّباعي»[4]، فإذا نزلَ عيسى صلَّ مأموماً[5]،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام، برقم (٢٠)؛ ومسلم في الاعتصام، برقم (٨)؛ وابن ماجه في المقدمة؛ والإمام أحمد في المسند.

(٢) البشع: الطعام الجَشِب، وهو ما غلظ بلا أُدم.

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه.

(٤) النص يتعارض مع الاعتقاد بحياة المسيح عليه السلام، ونزوله ليحكم بالقرآن والسُّنّة تابعاً لهذا النبي العظيم علامة من علامات الساعة الكبرى، وفي مسند الإمام أحمد وابن ماجه وأبي يعلى، واللفظ في المسند: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبيُّ (أي: قُرئ له) فغضب فقال: «أمتهوّكون فيها يا بن الخطاب؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني».

(٥) رواه البخاري: ٦/٣٥٨؛ ومسلم: ٢/١٩٣؛ وأحمد: ٢/٣٣٦؛ انظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، ص٩٧.

لئلا يدنّس بغبارِ الشبهةِ وَجْهَ «لا نبيَّ بعدي»[1].

فهو أولُ الناسِ خروجاً إذا بُعثوا، وخطيبُ الخلائقِ إذا وفدوا، ومبَشِّرُ القومِ إذا يئسوا، الأنبياءُ قد سكتوا لنطقِه، والأملاكُ قد اعترفوا بحقِّه، والجنةُ والنارُ تحت أمرِه، والخُزّان داخلونَ في دائرةِ حكمِه، وكلامُ غيرِه قبلَ قولِه لا ينفع، وجوابُ الحبيب له: «قل يُسمع»[2]، فسبحانَ من فَضّلَ له مِنَ الفضلِ ما فضّلَه، وكساهُ من حُللِ الفخرِ الجمِّ ما جمّلَه، جمعَ اللهُ بيننا وبينه في جنّته، وأحيانا على كتابه وسنّتِه.

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب ما يذكر في الذات، برقم: ١٤٩/٩؛ ومسلم في كتاب الإيمان، برقم (٣١٩)؛ والترمذي وابن ماجه وأحمد والبيهقي، ويكشف الحديث عن الشفاعة العظمى للرسول ﷺ حين يسأل الله سبحانه وتعالى بدء الحساب.

الفَصْلُ الرَّابِعُ والعِشْرُونَ

قِصَّةُ الغار والصدّيق رضي الله عنه

لمّا أغارت قريشٌ خيلَ الحِيَلِ على الرَّسول ﷺ، خرجَ إلى غارٍ لو دخلَه غيرُه كان غَرَاراً[1].

فغَرِيَتْ قريشٌ بالطَّلبِ، فنبتَتْ شجرةٌ لم تكنْ قبلُ قِبَلَ البابِ، فأظلَّتِ المطلوبَ، وأضلَّت الطالبَ، وجاءتْ عنكبوتٌ فجلَّلتْ وَجْهَ المكانِ وحاكت ثَوْبَ نَسْجِهَا، فحاكَتْ[2] سِتراً، ثمّ حَمى اللّطف الحِمَى بحَمَامَتَيْنِ، فما كانَ إلاّ أنْ سكتنا من الغار فماً، فما بانَ المستَتِرُ، فاتخذتا عُشّاً، فعشّى ما غشّى من غشاءِ العَشا على أبصارِ المقتَفِين، فصارُوا كالأعشى، فراغَ الأعداءُ نحو تلك الناحيةِ، فرأَوا دليلَ فراغِ الغارِ الغارُ[3]، فعادوا عن مَنْ عادَوْا عَوْداً بحثاً بلا بختٍ[4].

فقال الصدّيقُ عن حَرِّ الوجدِ: «لو أنَّ أحدَهُم نظرَ إلى قَدَمَيْه لأبصرَنا».

فقال ﷺ: «ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثهما»[5].

فلمّا رَحَلا لحقهما سُراقةُ، فَسَرَقَتِ الأرضُ قوائمَ فرسِه، فلمّا رأى أَرْضاً صَلْداً قد فرَسَتِ الفَرَسَ، فَرَسَتْ[6] إلى بطنِها ببطنِها، أشربت نفسُه علمَ اليقين بظنّها، فأخذَ يعرِضُ المالَ على مَنْ قَدْ ردَّ مفاتيحَ الكنوزِ، ويقدُمُ الزادَ إلى شبعانَ

---

(١) الغَرَرُ: التعرض للهلاك.

(٢) حاكت الأولى: نسجت، والثانية: شابهت.

(٣) الغار الأولى: الموضع، الغار الثانية: الخادع.

(٤) البخت: الحظ.

(٥) البخاري (٣٦٥٣)؛ ومسلم (٢٣٨١)؛ والترمذي (٣٠٩٥).

(٦) فرست الأولى: افترست، والثانية: رسبت ونزلت من الرسوّ.

«أبيتُ عند ربي»[1]، فجازَ على خيمةِ أُمِّ مَعْبدٍ، فَأَصَحَّتْ[2] شاتُها، وأصبحتْ تشهَدُ، فوصلا إلى يثربَ على نجائبِ السّلامةِ، وفاتَ الخيرُ مكةَ، وفاءتِ المدينةُ بالكرامةِ.

* * *

(١) أخرجه البخاري في الصوم باب الوصال؛ ومسلم، برقم (١١٠٣) في الصيام، باب النهي عن الوصال.

(٢) أصحّت: يقال: أصحّ الرجل ، أي: زال ما كان به أو بما يتصل به من عاهةٍ أو عيبٍ، والمقصود: اختلابُ الشاة العجفاء الهزيلة، وكأنها صحيحة البدن.

الفَصْلُ الخامِسُ والعِشْرُونَ

في قصة أهل بدر

لمّا بادرَ بدرٌ الشريعةِ بالخروجِ إلى بدر، رأى في الصّحابة قُلّةً فارتقى قِلّةً[1] ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فقامَ المقدادُ[2] عن قومه قومةً، لحقَّ متابعة المبايعة، فقال: «لو سرتَ إلى بَرْكِ الغِماد لتابعناك»[3]، فما لبثَ الرّسولُ ﷺ أن صارَ يطلبُ بالخطابِ الأنصارَ، ففطِنَ لسعادتِهِ سعدُ بن معاذ، فقال: «لو خُضْتَ البحرَ لَخُضْنَا».

فرأى المصطفى ﷺ في الأعداء العَدَدَ والعُدَد، والتفتَ إلى المسلمينَ فوجدَ إذْ ما وجدَ، فاستقبلَ قبلةَ الطّلَب، واقتضى[4] كريماً ما ماطلَ[5]، فانتدبَ مددَ العَوْن بلا عونٍ، فأقبلتْ سحابةٌ تسحبُ ذيلَ النّصرِ، فسمعَ المشركونَ منها حَمْحَمةَ[6] الخيلِ فحُمّوا[7]، وانقلبتْ قلوبُهم مِنْ يَحْمُومِها حُمَماً[8]، فنزلتِ الملائكةُ مع الإلْفَيْنِ[9]، جبريلُ في ألفين، وميكائيلُ في ألفين، وأسرى إسرافيلُ في ألفٍ مُرْدِفين، فعدلوا كالغمائم، قد سدلوا العمائم، وأرسلَتْ قريشٌ رائداً، فعادَ بتأثير ﴿سَأُلْقِي﴾ [الأنفال: ١٢]، فحذَّرَ القومَ العُزْلَ سهامَ العزائمِ، فأثّر عُتْبةُ في عُتْبِهِ، وكادَ يشيبُ خوفاً شيبةُ، وأحكمَ حزامَ الحزمِ حكيمُ بن حزامٍ،

---

(١) قلة: قلةُ كل شيء: أعلاه.

(٢) المقداد بن الأسود.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند.

(٤) اقتضى: الأصل في الاقتضاء: طلب ما بذمته من دينٍ، ويشير هنا إلى سؤاله ربه أن ينجز له ما وعده.

(٥) ما ماطل: المطل: تأخيرُ سدادِ ما في الذمة من الدين.

(٦) الحمحمة: صوت الخيل.

(٧) حُمّوا: أصابتهم الحمّى.

(٨) حمماً: كصُرَد، فحماً.

(٩) الإلفين: مثنى الإلف، ويشير إلى الألفة المستحكمة بين الملكين جبريل وميكائيل.

وأبى للجهلِ أبو جهلٍ:

فلـزَّهـمُ الطَّـرادُ إلـى قتـالٍ أَحَـدُّ سـلاحِهـم فيـه الفِـرَارُ
مَضَـوْا متسـابقـي الأعضـاءِ فيْـهِ لأَرْجُلِهِـمْ بـأَرْؤسِهـم عِثـارُ

فلمّا قُلبوا إلى القليب، قامَ الرسولُ ﷺ على رأسِ الرَّس[1] ينادي الرؤساء حين رُسّوا[2] بلسان ﴿ فَأَنَفَقْنَا ﴾ [الأعراف: ١٣٦]: عن جواب ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا ﴾ [الأنفال: ١٩] ، لتصديق ﴿ وَنَصْرَكَ أَنَّهُ ﴾ [الفتح: ٣] ، في مضمون ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ ﴾ [المطففين: ٣٦]: يا فلانُ! ويا فلان! «هل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً؟»[3].

● ذكر من شهد بدراً على الحروف[4]:

حرف الألف

أبي بن كعب، أبي بن ثابت، أوس بن ثابت، أوس بن خولي، أوس بن الصامت، أسعد بن زيد، أنس بن معاذ، الأرقم بن أبي الأرقم، أربد، أسير بن عمرو، أنسة الحبشي مولى رسول الله ﷺ، إياس بن البكير.

حرف الباء

بشر بن البراء، بشير بن سعد، بلال، بُجَيْر، بُحاث بن ثعلبة، بَسْبَس بن عمرو.

حرف التاء

تميم بن يُعار، تميم مولى خِراش، تميم مولى بني غَنْم.

حرف الثاء

ثابت بن أقرم، ثابت بن ثعلبة، ثابت بن خالد، ثابت بن عمرو، ثابت بن

---

(١) الرَّس: القليب.

(٢) رسوه ودسوه ودفنوه واحد.

(٣) حديث: «هل وجدتم» أخرجه الإمام مسلم والنسائي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) انظر: السيرة النبوية، لابن كثير: ٢/ ٤٩٠؛ والسيرة الشامية: ٤/ ١٣٧.

هَزّال، ثَعْلبة بن حاطب، ثعلبة بن عمرو، ثعلبة بن عَنَمة، ثَقِف[1].

حرف الجيم

جابر بن خالد، جابر بن عبد الله بن رئاب، جبّار بن صخر، جُبَيْر بن إياس، جبر بن عتيك.

حرف الحاء

الحارث بن أنس، الحارث بن أوس، الحارث بن خَزَمة، الحارث بن ظالم، الحارث بن قيس، الحارث بن النعمان، حارثة بن الجِعْير، حارثة بن سراقة، حارثة بن النعمان بن رافع، حارثة بن النعمان بن نفيع[2]، حاطب بن أبي بَلْتَعة، حاطب بن عمرو، الحباب[3]، حبيب[4]، حرام[5]، حُرَيْثُ بن زيد[6]، الحُصَيْن بن الحارث، حمزة بن عبد المطلب.

حرف الخاء

خالد بن البَكَيْر، خالد بن زيد[7]، خالد بن قيس، خلّاد بن رافع، خلّاد ابن سويد، خلّاد بن عمرو، خُلَيد بن قيس[8]، خَبّاب بن الأرت، خباب مولى عُتبة، خُبَيْب بن إساف، خارجة بن الجِعْيَر، خليفة بن عدي، خُنَيْس بن حُذافة، خَوْليّ[9].

---

(١) قال الواقدي: ثِقاف: ثمامة بن عدي القرشي، ذكر الطبري أنه شهد بدراً.

(٢) بخط الأمين في الاستيعاب: «. . بن نَفْع» وكتب تجاهه بالفاء قيّده طاهر بن عبد العزيز.

(٣) الحباب: هو ابن المنذر بن الجموح.

(٤) حبيب: هو ابن أسلم الأنصاري، قال ابن أبي حاتم: بدوي.

(٥) حرام: هو ابن ملحان، واسمه مالك بن خالد الأنصاري.

(٦) هو أخو عبد الله بن زيد الذي رأى في منامه مَن علّمه الأذان، فقصها على الرسول ﷺ.

(٧) هو أبو أيوب الأنصاري من أكرمه الرسول ﷺ بالنزول في بيته لما قدم المدينة المنورة مهاجراً، ودفن تحت أسوار القسطنطينية.

(٨) خُلَيد أو خُلَيدة بن قيس بن النعمان الأنصاري الخزرجي.

(٩) خَوْليّ بن خوليّ بن عمرو بن زهير الجُمَعي.

حرف الدال

ليس فيه أحد.

حرف الذال

ذَكْوان بن عبد قيس، ذو الشِّمالين بن عبد بن عمرو[1].

حرف الراء

رافع بن الحارث، رافع بن عُنْجُدة[2]، رافع بن المُعَلَّى، رفاعة بن رافع، رفاعة بن عبد المنذر، رفاعة بن عمرو، الربيع بن إياس، ربيعةُ بن أكثم، رِبْعي[3] بن رافع، رُجَيْلة[4].

حرف الزاي

زيد بن أسلم، زيد بن حارثة، زيد بن الخطاب، زيد بن سهل، زيد بن وديعة، زياد بن كعب، زياد بن لَبِيد، الزبير بن العوّام.

حرف السين

سعد بن خَوْلة، سعد بن الربيع، سعد بن سهل[5]، سعد بن عثمان، سعد ابن مالك[6]، سعد بن معاذ، سعد القاري[7]، سعيد بن قيس، سهل بن حُنَيْف،

---

(١) هل ذو الشمالين هو ذو اليدين؟ فيه القولان، هو هو، والآخر: ذو اليدين عمير بن عبد عمرو.

(٢) عُنْجُدة: أم رافع، واسم أبيه الحارث.

(٣) ربعي بن أبي ربعي بن رافع.

(٤) قال ابن هشام: هو (رُحَيلة) بالحاء، قال ابن إسحاق: بالجيم، والصواب بالحاء، وقيّده الدارقطني وغيره بالخاء.

(٥) هو سعد بن زيد بن مالك الأنصاري كما في (البداية والنهاية: ٣/٣١٩)؛ وعند الواقدي: سعد بن زيد بن الفاكه، وقيل: سعيد بن سهل.

(٦) هذا سعد بن سعد بن مالك، تجهز لبدر فمات، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره.

(٧) هو سعد بن عُبيد، ويقال: عمير بن النعمان، أبو زيد القاري، وفي (الواقدي: ١/١٥٩): (سعد بن عبيد بن النعمان).

سُهَيْل بن رافع، سهيل بن عَتِيك، سهل بن عدي، سهل بن قيس، سُهَيل بن البيضاء[1]، سُلَيم بن الحارث، سليم بن عمرو، سليم بن قيس، سليم بن مِلْحان، سليم أبو كَبْشَة[2]، سَلَمَة بن أسلم، سلمة بن ثابت، سلمة بن سلامة، سالم بن عُمير، سالم مولى أبي حُذيفة، سُراقة بن عمرو، سراقة بن كعب، سِماكُ بن خَرَشَة، سَماك بن سعد، سِنان بن صَيْفي، سنان بن أبي سنان، سُوَيْط ابن سعد، سَواد بن رزين، سواد بن غَزية، السائب بن عثمان، سُبَيع بن قيس، سُفيان بن بشر، سَلِيط أبو سليمان[3].

حرف الشين

شُجاع بن وهب، شَمّاس بن عُثمان.

حرف الصاد

صالح بن سنان، صفوان بن وهيب[4].

حرف الضاد

ضَمْرة بن عمرو، الضحّاك بن حارثة.

حرف الطاء

الطُّفَيْل بن الحارث، الطفيل بن مالك، الطفيل بن النعمان.

حرف الظاء

ليس فيه أحد[5].

---

(١) البيضاء: أم سهيل، واسمها دعد، واسم أبيه: وهب بن ربيعة.

(٢) أبو كبشة: مولى رسول الله ﷺ.

(٣) سَلِيط بن قيس بن عمرو بن عبد الله الأنصاري.

(٤) صفوان بن وهيب: ويقال: أُهَيْب، ويقال: سهل بن ربيعة، وهو ابن بيضاء، أخو سهل وسهيل، استشهد ببدر كما في (السيرة الشامية: ٤/ ١٦٠)؛ وفي (سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٤٢): (وهب) بدل (وهيب).

(٥) وجد في الإصابة الصحابي (طُهَيْر بن رافع) ممن شهد بدراً، وذكره البخاري، وانظر: السيرة الشامية: ٤/ ١٦٣.

عبد الله أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب، عبد الله ابن مسعود، عبد الله أبو سَلَمة، عبد الله بن أُنيس، عبد الله بن ثعلبة، عبد الله بن جُبَير، عبد الله بن جحش، عبد الله بن الجد، عبد الله بن الربيع، عبد الله بن رواحة، عبد الله بن زيد، عبد الله بن سُراقة، عبد الله بن سلمة، عبد الله بن سهل، عبد الله بن سهيل، عبد الله بن طارق، عبد الله بن عبيد الله بن أبي عبد الله بن عبد مناف، عبد الله بن عبس، عبد الله بن عرفطة، عبد الله بن عمرو، عبد الله بن عمير، عبد الله بن قيس بن خلدة، عبد الله بن قيس بن صخر، عبد الله بن مَخْرمة، عبد الله بن مظعون، عبد الله بن النعمان، عبد الرحمن بن جبر، عبد الرحمن بن عبد الله، عبد الرحمن بن عوف، عبيد بن أوس، عبيد بن زيد، عبيد بن أبي عبيد، عبيدة بن الحارث، عبّاد بن بشر، عبّاد بن قيس، عباد بن الخشخاش، عبد ربه [بن حق][1]، عتبة بن أبي ربيعة، عتبة بن زيد، عتبة بن غزوان، عتبة بن عبد الله، عقبة بن عامر، عقبة بن وهب بن ربيعة، عقبة بن وهب بن كَلَدة، عمر بن إياس، عمرو بن ثعلبة، عمرو بن سراقة، عمرو بن طَلْق، عمر بن معاذ، عمر بن أبي سرح، عمير بن الحارث، عُمَيْر بن الحمام، عُمَير بن عامر، عمير بن عوف، عمير بن مالك، عمير بن مَعْبد، عمار بن ياسر، عُمارة بن حَزْم، عامر بن أمية، عامر بن البُكَير، عامر بن الجراح، عامر بن ربيعة، عامر بن سلمة، عامر بن فُهَيْرة، عامر بن مخلَّد، عاصم بن ثابت، عاصم ابن العُكَيْر، عامر بن قيس، عُصَيْمة الأشجعي، عُصَيْمة الأنصاري، عوف بن أثاثة، عوف بن عفراء، عاقل بن البكير، عائذ بن ماعص، عبس[2]، عَدي بن أبي الزغباء، عنترة[3] مولى بني سُليم، عُوَيم[4]، عياض[5]، عثمان بن مظعون.

---

(١) زيادة من ابن هشام: ١/٦٩٦؛ وفي (السيرة الشامية: ٤/١٦٦): عبد الرحمن بن حق، وليس عبد ربه.

(٢) عبس بن عامر بن عَدي الأنصاري الخزرجي.

(٣) عنترة بن عمرو.

(٤) عويم بن ساعدة بن عايش.

(٥) عياض بن زهير القرشي الفِهْري.

حرف الغين

غنّام بن أوس.

حرف الفاء

الفاكه بن بِشر، فَرْوة بن عمرو.

حرف القاف

قيس بن أبي صعصعة، قيس بن عمرو، قيس بن مِحْصَن، قيس بن مخلَّد، قتادة بن النعمان، قُدامة بن مظعون، قُطْبة بن عامر.

حرف الكاف

كعب بن جَماز، كعب بن زيد، كعب بن عمرو، كَنّاز بن حُصَيْن.

حرف اللام

ليس فيه أحد[1].

حرف الميم

مالك بن التَّيِّهان، مالك بن ثابت، مالك بن الدُّخْشُم، مالك بن ربيعة، مالك بن عمرو، مالك بن عمرو أخو نَقْف بن عمرو، مالك بن عمرو بن خُثَيْمة، مالك بن قدامة، مالك بن مسعود، مسعود بن خَلْدة، مسعود بن الربيع، مسعود بن سعد الحارثي، مسعود بن سعد الزُّرَقي، معاذ بن جبل، مُعاذ بن عفراء، معاذ بن ماعص، المنذر بن عمرو، المنذر بن قدامة، المنذر بن محمد، مُعَتِّب بن حمراء، معتب بن عبدة، معتب بن قشير، معبد بن عبادة، معبد بن قيس، محرز بن عامر، محرز بن نضلة، مُعوّذ بن عفراء، معوّذ بن عمرو، مبشر، المجذر بن زياد، محمد بن مسلمة، مِدْلاج بن عمرو، مَرْثَد بن أبي مرثد، مصعب بن عمير، معقل بن منذر، معمر بن الحارث، معن بن عدي، المقداد بن الأسود، مُلَيْل بن وبرة، مِهجَع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) في (السيرة الشامية: ٤/ ١٧٧): لَبدة بن قيس، ذكره ابن الكلبي، والواقدي: ١/ ١٧٠.

حرف النون

النعمان بن ثابت، النعمان بن سنان، النعمان بن عمرو، النعمان بن عبد عمرو، النعمان بن عصر، النعمان بن مالك، النعمان بن أبي خزمة[1]، نصر بن الحارث، نوفل بن عبيد الله[2].

حرف الواو

وهب بن سعد، وهب بن مِخْصَن، واقد بن عبيد الله، وَدِيعة بن عمرو، ورقة[3] بن إياس.

حرف الهاء

هانئ بن نِيَار، هشام بن عتبة بن ربيعة، هلال بن أمية.

حرف الياء

يزيد بن الحارث، يزيد بن رُقَيْش، يزيد بن عامر، يزيد بن أخنس، يزيد بن المنذر.

وممن يُعرف بكُنيته ولا يعرف باسمه[4]:

أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة، أبو خزيمة بن أوس بن أصْرم، أبو سَبْرة مولى أبي رغم، أبو مليل بن الأزعر، أبو حبة بن عمرو بن ثابت.

وامتنع من شهود بدر ثمانيةٌ لأعذار، فضرب لهم رسولُ الله ﷺ سهامهم وأجورَهم، فكانوا كمن شهدها؛ وهم: عثمانُ، وطلحةُ، وسعيد، والحارث بن حاطب، والحارث بن الصِّمَّة، وخوّات، وعاصم بن عدي، وأبو لبابة.

فهؤلاء البدريون بجملتهم، حشرنا الله في زمرتهم.

* * *

---

(١) في (السيرة الشامية: ٤/ ١٨٢): النعمان بن أبي خزيمة الأنصاري.

(٢) في (السيرة الشامية: ٤/ ١٨٥): نوفل بن عبد الله بن نضلة.

(٣) ورقة: اختلف في ضبطه؛ فقيل: بالفاء (وَرَفة)، وقيل: بالقاف، والأكثر أنه بالدال المهملة (ودقة).

(٤) انظر: السيرة النبوية، لابن كثير: ٢/ ٥٠٧.

الفصل السادس والعشرون

في تزويج علي بفاطمة رضي الله عنهما

كانَ للنبيِّ ﷺ بناتٌ فَضَلَتْهُنَّ فاطمةُ رضيَ الله عنها، وزوجاتٌ سَبَقَتْهُنَّ عائشةُ رضي الله عنها، وذلك أن اختيارَ القَدَرِ لا يحابي في التساوي، تُسقَى بماءٍ واحد ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤].

لمَّا نهض عليٌّ لخِطبتها، طرقَ بأناملِ رجائهِ أرجاءَ بابِ الخِطبةِ، فمشى إليه الآذنُ بالإذنِ على عَجَلِ العَجَل، فنَقَدَ صِدْقَ الرغبةِ قبل نَقْدِ الصَّداق، فعُقدَ العقدُ على درعٍ لِينبّه على جهادِ الهوى، وجُهِّزَتْ بالإجهازِ على عدوِّ الزُّهْد، ولم يرضَ لها جِهازَ الدُّنيا، لموافقةِ البَضْعة[1] التي هي منه، فحلاّها الرسولُ ﷺ بحِلْية «فاطمةُ بَضْعةٌ مني»[2]، وعَقَدَ لها عِقداً خَرَزاتُ نظامِه «إنَّ الله يَغْضَبُ لِغَضَبك، ويرضى لرضاك»[3]، وبعثَ بين يديها وصائف «غُضُّوا أبصاركم»[4]،

---

(١) البَضْعة: بالفتح، القطعة من اللحم.

(٢) الحديث متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة، في البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة الرسول ﷺ ومنقبة فاطمة رضي الله عنها (٣٥١٠)؛ وفي مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٤٩)؛ وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد في (المسند) والبيهقي.

(٣) رواه الطبراني والحاكم وابن النجار، وقال عنه الحافظ الهيثمي: «إسنادُه حسن». انظر: مجمع الزوائد (١٤٥٢٣). وذكره ابن الأثير في ترجمة السيدة فاطمة بإسناده، انظر: أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ٧/ ٢٢٤.

(٤) ولفظه: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجاب: يا أهل الجمع! غُضّوا أبصاركم هن فاطمة بنت محمد حتى تمر» رواه الحاكم في (المستدرك) وصحّحه على شرط مسلم، وقال الذهبي: لا والله بل موضوع، والعباس بن الوليد راويه قال الدارقطني عنه: كذاب، وحكم ابنُ الجوزي بوضعه، إلا أن السيوطي ذكر له شاهداً من=

ونصب لها سُدَّةَ «ألا تَرْضَيْنَ أنْ تكوني سيدةَ نساءِ هذه الأمّة»[1]، وأدخلها على الزوجِ في حُلَلِ الحالية، عليها قناعُ القَناعةِ، تسعى في فضاءِ الفضائل إلى خَلوة الخُلْوَة، حتى أجْلِسَت على مِنَصّة النَّصّ[2]، فأمر الله تعالى[3] ليلةَ عُرسِها شجرَ الجِنّان، فَحَمَلَتْ حُلَلاً وحلياً فنثرته على الملائكةِ، وليسَ المراد بذلك المُلك، ولكن ليُعلم رضا المَلِك.

يا عجباً! نثرت الحُلل لأجل مَنْ فراشُه جِلْدُ كَبْشٍ، هلا حَلَّت له منها حُلَّة.

كلا! مركبُ المَلِكِ أحلى مِنْ أن يُحلّى، فدخل عليها الرسول ﷺ، فاستدعى بإناء من ماءٍ، فدعا فيه بالبركةِ[4]، ثم رشَّ على حبيبينِ بلا غِشٍّ، فلمَّا طابَ لعلي ذلك الوقتُ، سأل الرسولَ ﷺ سؤال سَكْرَان من شَرَابِ الوِصال: يا رسول الله! أنا أحبُّ إليكَ أم هي؟.

فَفَصَلَ الحاكِمُ بين خصومِ الحُبّ، فقال: هي أحبُّ إليَّ منك، وأنت أعزُّ عَليَّ منها[5].

فلمَّا جازَتْ بما حازَتْ قناطرَ الفَضْلِ، صِيْنَ وجهُ الجمالِ بخالِ الخَللِ في العيش، فأقوى[6] على الأقوى قَفْرُ الفقرِ، فَصِيحَ بفصيحِ خِطابِ الشَّرْع: يا عليُّ! قُمْ لِكَسْبِ قُوتِ الوَقْتِ، فخرَجَ يسعى على أرضِ الرِّضا، بينَ أعلامِ الصبرِ، فباتَ يسقي نخلاً إلى الفجرِ، بشيءٍ من الشعيرِ على وجهِ الأجرِ، فلمَّا جاءَ به، وأُصلحَ للأكلِ، قامَ سائلٌ على بابِ البذلِ، فنادى: يا أهل نادي الندى والفَضْلِ! أطعِمُونا

= رواية أبي بكر في الغيلانيات. انظر: الجامع الصغير: ١/ ٤٢٩؛ وذكره ابن الأثير في أُسد الغابة: ٧/ ٢٢٥.

(١) رواه مسلم. انظر: شرح مسلم، للنووي: ١٦/ ٢.

(٢) النص: أصل معناه: أقصى الشيء وغايته.

(٣) إثبات هذا النص يحتاج للتوثيق، وهذا مما لم نجده، وأغلب الظن أنه من صنع الشيعة، والسيدة فاطمة لا تحتاج منزلتها لمثل هذا.

(٤) رواه النسائي.

(٥) ذكره ابن الأثير في أُسد الغابة: ٧/ ٢٢٤.

(٦) أقوى على الأقوى: صار ذا قوة وتحمّل للجوع ونفاد الزاد.

أطعمَكم اللهُ منَ الفضلِ، فثارَتْ رياحُ الارتياح للإيثارِ، فأثارتْ سَحاباً يقطرُ من قطرتِه قطرُ جودِ الجواد، فسالَ سَيْلُه بقَدْرِ وادي الوُدِّ، فلمَّا تروَّتْ بالماءِ أشجارُ الأنس، صدحتْ على ورَقِها وُرُقُ القُدْس، وأغنى عن غرائبِ صَدْحِ المدحِ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨]، ثمَّ أخبر الحقُّ عن مضمونِ القصدِ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، فلو رأيتَ القومَ يومَ القيامةِ في ظِلِّ ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ١١][1]، وقد اكتستْ أجسادٌ وكُسيتْ بكُسا الضَّنك[2] غضارةٌ[3] العيشِ على حُلَل[4] الخَفْض[5]، واستراحتْ أيدٍ تفرّق أيدُها[6] من طحنِ الرّحا، ونزع الدلو براحةِ ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ [الإنسان: ٣١]، هذا من حصادِ بذرِ النذر.

ولقد عَجِبَ العلماءُ من شرح هذا الأجر، واستظرفوا عدم ذكر الحُور في هذا الذكر[7]، فبَقُوا متحيّرين في حِيَرِ الفكر[8]، فنُودوا من بُطْنانِ[9] وادي الفهم، بأنَّ ذلكَ لِفَضْلِ فَضْل زهراءِ الإنس، غَيْرَةً عليها من ذكر الغِيَر[10]، وإنما آثرا[11]

---

(١) أخرج القصة ابن مردويه عن ابن عباس: أنه قال في قوله سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ﴾ [الإنسان: ٨] نزلت في علي كرم الله وجهه ـ وفاطمة رضي الله عنها ـ والخبر مشهور بين الناس، وذكره الواحدي في كتاب (البسيط) ونُصِّب بأنه خبر موضوع مفتعل، كما ذكره الترمذي وابن الجوزي، وآثار الوضع ظاهرةٌ عليه لفظاً ومعنى. انظر: تفسير الألوسي: ١٩/ ١٥٧؛ و(المحرر) لابن عطية؛ و(جامع الأحكام) للقرطبي عند تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾: ١٩/ ١٣٤.

(٢) الضنك: الضيق.

(٣) غضارة: طراوة.

(٤) حلل: جمع حلة.

(٥) الخفض: الدّعة.

(٦) أيدها: قوتها.

(٧) أي: الآيات المذكورة في سورة الإنسان؛ لم تتناول فيما عرضت من نعيم الجنة الحور العين.

(٨) المقصود (بِحِيَرِ الفكر): البحث عن سر عدم ذكر الحور في هذه السورة المباركة.

(٩) بُطنان: وسط، وبطنان كل شيء: وسطه.

(١٠) أي: الضرة.

(١١) آثرا: أي آثر سيدنا علي وفاطمة الفقيرَ بالطعام على الحسن والحسين.

على الطفلين[1]، لأنهما غُصنان من شجرة «أبيتُ يُطعمني ربي»[2]، وبعضٌ من جملة «هي بَضْعةٌ مني»[3]، وفرخُ البَطِّ سابح، و«ذكاءُ الجنين ذكاءُ أمه»[4].

* * *

(١) أي: الطفلين الحسن والحسين.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، وكتاب النكاح؛ ومسلم في فضائل الصحابة؛ وأبو داود في النكاح؛ والترمذي في كتاب المناقب؛ وابن ماجه في كتاب النكاح؛ والإمام أحمد: ٤/ ٣٢٦.

(٤) رواه أبو داود وأحمد والترمذي. انظر: كنز العمال، ص٢٦٢.

القسم الثاني

في المواعظ

وهو المشتمل على المواعظ والإرشادات مطلقًا

وهو ستة فصل

الفَصْلُ الأوَّلُ

في قوله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]

نذكر فيه التوحيد

أوَّلٌ ليسَ لهُ مبدأٌ، آخِرٌ جَلَّ عن منتهًى، ظاهرٌ بالدَّليلِ، باطنٌ بالحِجَابِ، يُشْبِهُهُ العقلُ، ولا يُدركُه الحِسُّ، كلُّ مخلوقٍ محصورٌ بِحَدٍّ، مأسورٌ في سُوْرِ قطرٍ، والخالقُ بائنٌ مُبايِنٌ[1]، يُعرَفُ بعدمِ مألوفِ التعريفِ، ارتفعَتْ لعدمِ الشَّبَهِ الشُّبَهُ.

إنَّما يقع الإشكالُ في وَصْفِ مَنْ له أشْكالٌ، وإنَّما تُضْرَبُ الأمثالُ لمن له أمثالٌ، فأمَّا مَنْ لَم يَزَلْ ولا يزالُ فما للحسِّ معه مجالٌ، عظَمتُه عَظُمَتْ عن نيلِ كَفِّ الخيالِ، كيف يقال له: كيف؟ والكَيْفُ في حَقِّه مُحالٌ.

أنَّى تتخيلُه الأوهامُ وهي صُنْعُه؟!.

كيف تحدُّه العقول وهي فعلُه؟!.

كيف تحويه الأماكنُ وهي وضعه؟!.

انقطع سير الفِكَرِ، ووقف سلوكُ الذهن، بطَلَتْ إشارةُ الوَهْمِ، عَجَزَ لطفُ الوَصْفِ، عَشِيَتْ عينُ العقلِ، خَرِسَ لسانُ الحِسِّ، لا طَوْرَ للقَدَمِ[2] في طُور القِدَمِ، عزَّ المرقى فيمَن المرتقي، بحرٌ لا يَتَمكَّنُ منه غائِصٌ، ليلٌ لا يَبِيْنُ للعينِ فيه كوكبٌ:

مَـرَامٌ شَـطَّ مَـرْمَـى العَقْـلِ فِيْـهِ ... فَـدُوْنَ مَـدَاهُ بِيْـدٌ لا تَبِيْـدُ

---

(١) البائنُ: المتفرِّدُ بذاتِه وصفاتِه، فلا شيءَ من مخلوقاتِه يُشْبِهُه، ولا هو يُشْبِهُ شيئاً من مخلوقاتِه، لا في الذَّاتِ ولا في الصِّفاتِ. كما لا يحلُّ في شيءٍ من مخلوقاته، لا يحل فيه شيءٌ من مخلوقاتِه، فهو المتفرِّدُ ذاتاً وصفاتٍ وأسماءً.

(٢) لا مجال لتوغُّلِ العقلِ في الإحاطة بمعاني ذات الله وصفاته.

جادةُ التسليمِ سليمةٌ، وادي النقل بلا نقعٍ[1]، انزلْ عنْ عتوٍّ غُلوٌّ التشبيه، ولا تَغْلُ قِلَلَ[2] أباطيلِ التعطيلِ، فالوادي بينَ جبلينِ، المشبِّهُ متلوثٌ بفَرْثِ التجسيمِ، والمعطِّلُ نَجِسٌ بدمِ الجحودِ، ونصيبُ المُحِقِّ لبنٌ خالصٌ هو التنزيهُ.

تخمَّرَ في نفوس [الكفارِ][3] حُبُّ الأصنامِ، فجاءَ محمَّدٌ ﷺ فمحا ذلك بالتوحيدِ، وتخمّر في قلوبِ المُشبِّهَةِ حُبُّ صورةٍ وشكلٍ، فجئتَ فمحوتَها بالتنزيهِ «والعلماءُ ورثةُ الأنبياءِ»[4]، ما عَرَفَهُ مَنْ كيَّفه، ولا وحَّدَه مَنْ مثَّله، ولا عبَدَه من شبَّهه، المشبِّهُ أعْشى، والمعطِّلُ أعمى.

مما ننزِّهُ عنهُ (مِمَّ)؟ وفيما يجبُ نفيه (بِمَّ)، جلَّ وجوبُ وجودِه عن رَجْم (لعلَّ)، سبقَ الزَّمانَ فلا يقال (كانَ إذْ)، تَمَجَّدَ في حدانيتِه عن زِحام (مع)، تَفرَّدَ بالإنشاء، فلا يستفهَمُ عن الصانع (بِمَنْ)؟ أبرزَ عرائسَ الموجوداتِ[5] مِنْ كِنِّ (كُنْ)، بثَّ الحِكمةَ فلم يعارَضْ (بِلِمَ)؟ تعالى عن بعضيَّةِ (مِنْ)، وتقدَّسَ عن ظرفيَّةِ (في)، وتنزَّهَ عن شَبَهِ (كأنَّ)، وتَعَظَّم عن نقصِ (لو أنَّ)، وعزَّ عن عَيْبِ (إلا أنَّ)، وسَما كمالُه عن تدارك (لكنَّ).

إنْ وقفَ ذِهْنٌ بِوَصْفِه صاحَ العِزُّ: جُزْ، إنْ سارَ فكرٌ نحوَهُ قالت الهَيْبَةُ: عُدْ، إنْ قَعَدَ القلبُ عن ذكره قال القدار[6]: قُمْ، إن تجبَّرَ متكبرٌ قال القهرُ: شِمْ[7]، إن سألَ محتاجٌ قال الإنعام: رِشْ[8]، إن تعرَّض فقيرٌ قال الوفرُ: فِرْ[9]، إن سكتَ

---

(١) أي: الإيمان بما جاء من نصوص الكتاب والسُّنَّة من صفاتِ الله، والتسليم بها مع التنزيه على مراد الله سبحانه وتعالى.

(٢) قلل: قمم.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) رواه أبو داود والدارمي وابن ماجه والإمام أحمد.

(٥) في (ب): المخلوقات.

(٦) في ب: (إن قعد اللسان عن ذكره قال القلب).

(٧) شِمْ: من شام يشيم، أي: تقهقر وتوارى وتراجع.

(٨) رش: فعل أمر من راش يريش، اغتنى واستغنى يغتني ويستغني، وراش فلاناً: أصلح حاله. والرياش: المال والخصب والمعاش.

(٩) فر: من الوفرة والكثرة.

مُذْنِبٌ حَيَاءً قال الحلم : قُل ، إن بَعُدَ ذو خطأ نادى اللطف : أُبْ ، نثر عجائِبَ النِّعَمِ وقال للكل : خُذْ .

من بيانِ عظمتِهِ ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾ [غافر : ١٥] ، من أثرِ قَسْرِهِ ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّبْعُ ﴾ [الإسراء : ٤٤] ، توقيعُ أمرِهِ ﴿ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النحل : ٩٠] ، واقعُ زجرِهِ ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [النحل : ٩٠] ، يُنادَى على بابِ عِزَّتِهِ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ، يُصاحُ على مَحَجَّةِ حُجَّتِهِ ﴿ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ [المؤمنون : ٨٤] ، يُنْذِرُ جاسوسُ[1] علمِهِ ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المجادلة : ٧] ، يقول جِهْبِذُ طَوَلِهِ : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] ، يترنَّمُ مُنْشِدُ فضلِهِ : ﴿ لَا تَقْنَطُواْ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

سبحانَ من أقامَ مِنْ كلِّ موجودٍ دليلاً على عِزَّتِهِ ، ونَصَبَ عَلَمَ الهُدَى على بابِ محجَّتِهِ ، الأكوانُ كلُّها تنطقُ بالدليلِ على وحدانيتِهِ ، وكلُّ مخالِفٍ وموافِقٍ يمشي تحتَ مشيئتِهِ .

إنْ رَفَعْتَ بصرَ التفكُّرِ ترى دائرةَ الفَلَكِ في قبضتِهِ ، وتُبْصِرُ شمسَ النهارِ وبدرَ الدُّجَى يجريانِ في بحرِ قدرتِهِ ، والكواكبُ قَدِ اصطُفَّتْ كالمواكبِ على مناكبِ تسخيرِ سَطْوتِهِ ، فمنها رُجومٌ للشياطينِ ترميهم فترميهم[2] عن حمى حمايتِهِ ، ومنها سطورٌ في المهامِهِ[3] يقرؤها المسافرُ في سِفْرِ سَفْرتِهِ .

وإن خفضتَ البصرَ رأيتَ الأرضَ مُمْسِكَةً بحَكَمَةِ[4] حكمتِهِ ، كلُّ قِطْرٍ منها مخروسٌ بأطوادِهِ[5] عن حركتِهِ ، وإذا ضَجَّتْ عطاشُها ثار السَّحابُ من بِرْكَتِهِ[6] بركتِهِ ، ونفخَ في صُورِ الرَّعْدِ لإحياءِ صُوَرِ النَّباتِ من حفرتِهِ[7] ، فيبدو نورُ النَّوْرِ

---

(١) جاسوس علمه : أي : شاهد علمه .

(٢) ترميهم الأولى : ترجمهم . ترميهم الثانية : تقصيهم وتبعدهم .

(٣) المهامه : جمع مهمهة ، أي : الفلاة والصحراء .

(٤) حَكَمة : حديدة توضع في فم الفرس متصلة باللجام ، والمعنى : في قبضة حكمته .

(٥) أي : كلُّ مكانٍ من الأرض مستقر بالجبال التي أرساها في الأرض حتى لا تميد وتضطرب .

(٦) بِرْكة : البحر .

(٧) حفرته : أرضه .

يهتزُّ طرباً بِخُزامى[1] رحمتِه، فإذا استوى على سُوْقِه، زادت في سَوْقِه نَعامَى نعمتِه، وتُفَتِّقُ يدُ الإيجادِ بأناملِ القدرةِ أكمامَ النَّباتِ عن صنعةِ صِبغته، فيرفُلُ في حُلى حُللِ الحالةِ إلى معبرِ عبرته، وتصدَحُ الوُرْقُ[2] على الوَرَقِ كلٌّ بتبليغ لغتِه، والأشجارُ معتنِقةٌ ومفترقةٌ على مقدارِ إرادته، ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤] هذا بعض صنعتِه][3]، ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣].

نَظَرَ بعينِ الاختيارِ إلى آدمَ فحظيَ بسجودِ ملائكته، وإلى ابنِه شيثَ فأقامَه في منزلتِه، وإلى إدريسَ فاحتالَ بإلهامِه على جنَّته، وإلى نوحٍ فنجا من الغرقِ بسفينته، وإلى هودٍ فعادَ[4] على عادٍ شؤمُ مخالفته، وإلى صالحٍ فتمخَّضَتْ صخرةٌ بناقتِه، وإلى إبراهيمَ فتبخترَ في حُلَّةِ خُلته، وإلى إسماعيلَ فأعانَ الخليلَ في بناءِ كعبته، وإلى إسحاقَ فافتُكه[5] بالفداء من ضجعته، وإلى لوط فنجَّاه وأهله من عشيرته، وإلى شعيب فأعطاه الفصاحةَ في خُطبته، وإلى يعقوب فردَّ حبيبه مع حبيبته[6]، وإلى يوسف فأراه البرهانَ في هَمَّتِه[7]، وإلى موسى فخَطَرَ في ثوبِ مكالمتِه، وإلى إلياسَ فاليأسُ للنَّاسِ من حالته، وإلى داودَ فألانَ الحديدَ له على جِدِّتِه، وإلى سليمانَ فراحَتْ الريحُ في مملكته، وإلى أيوبَ فيا طوبى لِرَكْضَتِهِ[8]، وإلى يونسَ فَسَمِعَ نِداءَه في ظُلْمتِه، وإلى زكريا فَقَرَنَ سؤالَه بِبِشارَتِه، وإلى يحيى فتلمَّحَ حصر الحَصُورِ على سُدة سيادته، وإلى عيسى فكم أقامَ ميتاً من حُفرته، وإلى محمَّدٍ ﷺ فخصَّه ليلةَ المعراج برؤيته.

---

(١) خُزامى: نبات طيب الرائحة.

(٢) الوُرْق: جمع ورقاء: وهي الحمام التي في لونها بياض إلى سواد.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) عاد الأولى: رجع. وعاد الثانية: اسم قبيلة، وهم قوم هود عليه السلام.

(٥) القول بأن إسحاق عليه السلام هو الذبيح رأي ضعيف، والمعتمد أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام لقوله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين» رواه الحاكم في المستدرك وصححه، وأيَّده الذهبي، ورواه ابن جرير وابن مردويه والثعلبي في تفاسيرهم.

(٦) حبيبه مع حبيبته: حبيبه ولده يوسف عليه السلام، وحبيبته عينه التي ابيضَّت حزناً.

(٧) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤].

(٨) لركضته: إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

وأعْرَضَ عن إبليسَ فخَزِيَ ببعده ولعنته، وعن قابيل فقلب قلبه إلى معصيته، وعن نمرودَ فقال: أنا أحيي الموتى ببلاهته، وعن فرعونَ فادَّعى الربوبيةَ على جرأته، وعن هامانَ فأينَ رأيه يوم اليمِّ في وِزارته؟! وعن قارونَ فخرجَ على قومِه في زينته، وعن بلعامَ[1] فَهَلَكَ بلْ عَامَ في بحر شِقوته، وعن برصيصا[2] فلم تنفعْهُ سابقُ عبادتِه، وعن أبي جهلٍ فشَقِي مَعَ سعادةِ أُمِّهِ وابيه وابنته، هكذا جرى تقديرُه من يوم «لا أبالي»[3] في قسمته، ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٣].

* * *

(١) بلعام: هو بلعام بن باعوراء أحد علماء بني إسرائيل. انظر: ص٢٠٣ من هذا الكتاب.

(٢) برصيصا: أحد عباد بني إسرائيل. انظر: ص٧٥ من هذا الكتاب.

(٣) يشير إلى قوله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي» رواه الإمام أحمد في: المسند: ٥/ ٢٣٩.

الفَصْلُ الثَّانِي

في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الصف: ٩]

نذكر فيه فضل نبينا محمد ﷺ

لم يزل ذكرُ نبينا ﷺ مشهوراً[1] وهو في طَيِّ العدم، توسَّلَ به آدم[2]، وأُخِذَ له ميثاقُ الأنبياءِ على تصديقِهِ، في بعضِ دَرْسِهِ عِلْمُ إدريس، في ضِمْنِ وُجْدِهِ حزنُ يعقوبَ، في سرِّ جِدِّهِ صبر أيوب، في طيِّ خوفِهِ بكاءُ داودَ، بعض غنى نفسِهِ يزيدُ على ملك سليمان، عَبَرَ بعدَ خُلْ خِلال الخُلَّة للخَليل، ونال تكليم موسى، واسترجعَ له النظر عندَ قابَ قوسين، فهو جُملةُ الجمالِ، وكلُّ الكمال، وواسطةُ العِقْد، وزينةُ الدهر، يزيدُ على الأنبياء زيادةُ الشمسِ على البدر، والبحرِ على القَطْرِ، فهو صدرُهم وبدرُهم، وعليه مدارُ[3] أمرهم، قُطْبُ فَلَكِهم، وعينُ كتيبتهم، وواسطة قلادتهم، نَقْشُ فَصِّهم، بيتُ قصيدتهم، حاتِمُهم، خاتِمُهم:

شَمْسُ ضُحَاهَا هِلالُ لَيْلَتِهَا ... دُرُّ مَقَاصِيرِهَا زَبَرْجَدُهَا

لَمَّا رأى تخليطَ قريش في دعوى الشرك فَرَّ في بادية الهرب، فتحرَّى غارَ حِراء في الفِرار للفراغ، فراغٌ إليه فجاءَ مُراجِمُ (اقرأ): يا راهبَ الصَّمْتِ تكلَّمْ،

---

(١) في (ب): منشوراً.

(٢) حديث توسل آدم بالنبي ﷺ أخرجه الحاكم في المستدرك، وصححه: ٢/ ٦٥١؛ والسيوطي في الخصائص، وصححه؛ والبيهقي في دلائل النبوة، وصححه؛ والقسطلاني والزرقاني في شرح المواهب اللدنية: ٢/ ٦٢؛ والسبكي في شفاء الأسقام؛ ورواه الطبراني في الأوسط، كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ٢٥٣؛ وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى: ٢/ ١٥٠.

(٣) في (ب): يدور.

قال لسانُ العجزِ البشريِّ: «لستُ بقارئ»[1]، فحُمَّ لما حُمَّ[2] فزمزَمَ بلفظ «زمِّلوني» فصاح الملك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١].

يا أطيبَ ثمار (كُن)! يا محمولاً عليه ثقلَ ﴿قُمْ﴾ [المزمل: ٢].

لما بَعَثَ المَلِكُ المَلَكَ إلى نبيِّنا برسالة ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: ١] فترَّ الوحيُ بعدَها مدَّةً، مَدَّ قوسُ الشوق، فرَمَتِ الكِبداءُ[3] الكَبِدَ بكَبَدٍ[4] أعجزَ المكابدَة، فكانَ يَهُمُّ لِمَا يلقى بإلقاءِ نفسِه من ذروةِ الجبلِ[5]، فإذا بدا له جبريلُ بَدَا له[6].

ثم رُميت الشياطينُ عند مبعثِه بأسهمِ الشُّهُبِ عن قوس ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨]، فمروا إلى المغاربِ، ومَشَوْا إلى المشارق، ليقطعوا سببَ السبب، فجرتِ ريحُ التوفيقِ، بمراكبِ بعضهم إلى تهامة، فصادفوه في الصلاة، فصادَ فُوه[7] قلوبَ القوم، فصاحت ألسنة الوُجْد: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

تحرَّكَتْ لتعظيمِه السواكنُ[8]، فحنَّ إليه الجذعُ[9]، وسبَّحَ

---

(١) رواه البخاري في بدء الوحي، وتفسير سورة العلق (١)، في باب الإيمان، ص٤٢٥٢ والإمام أحمد: ٦/ ٢٢٣ بلفظ «ما أنا بقارئ».

(٢) فحُمَّ لمَّا حُمَّ: فحم: أصابته الحمى، حُمَّ: أي أما قُدر نزول جبريل عليه السلام.

(٣) الكبداء: القوس يملأ الكفَّ مَقْبِضُها، وقيل: قوس شديدة.

(٤) كبَد: المشقة والمعاناة.

(٥) رواه البخاري في كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به الرسول ﷺ من الوحي الرؤية الصالحة، وهو من بلاغات الزهري، وليس موصولاً، انظر كتاب: محمد رسول الله، لمحمد صادق العرجون: ١/ ٤٤٦ ـ ٤٨٥، ففيه تفصيل وافو حول هذه الحادثة.

(٦) بدا الأولى: ظهر، بدا الثانية: من البداء أي عنَّ له أمر آخر.

(٧) فوه: فمه، أي: ما كان يتلوه من القرآن.

(٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فدنا منه أعرابيٌّ، فقال له: «يا أعرابي! أين تريد؟» قال: إلى أهلي، قال: «هل لك إلى أهلٍ خيرٍ من أهلك؟» قال: وما هو؟ قال: «تشهد أنْ لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه» قال: من يشهد على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة السَّمُرَة» أو «هذه السَّلَمة» وهي بشاطئ الوادي، فأقبلتْ تخدُّ الأرضَ حتى قامتْ بين يديه.

(٩) في الصحيحين: عن جماعة من الصحابة قالوا: «كان المسجدُ مسقوفاً على جذوع من=

الحصى[1]، وتزلزلَ الجبلُ[2]، وتكلَّم الذِّئبُ[3]، «كلٌّ كَنَّى عن شوقه بلغته» فَعَرِضَتْ قريشٌ بداءِ الحَسَدِ، فقالوا: مجنونٌ.

يـا محمدُ! هذا نَقْـشُ يَـرَقانِهم[4] لا لـونُ وجهِك، لما أخَـذَ في سـفرِ

= نخل، وكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم على جذعٍ منها، فلمَّا صُنِعَ المنبر، وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار - من الإبل - حتى جاء النبيُّ ﷺ فوضع يده فسكنَ، وفي روايةٍ أنس: «حتى ارتجَّ المسجدُ لشدَّة خُواره» وفي روايةٍ سهل بن سعد: «وكثر بكاءُ الناس» وفي رواية المطَّلب بن أبي وداعة: «حتى انشقَّ الجذعُ». فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ هذا بكى لِمَا فُقِدَ من ذِكْرِ الله تعالى» ثم أمر به النبي ﷺ فدفنَ تحت المنبر، والخبر في صحيح البخاري: ٤/ ٢٣٧، (٦١) كتاب المناقب، (٢٥) علامات النبوة؛ وفي سنن الترمذي: ٥/ ٢٥٤، أبواب المناقب (٢٨)، الحديث (٣٧٠٦)؛ ودلائل النبوة، للأصبهاني، ص١٤٢-١٤٣، والخصائص، للسيوطي: ٢/ ٧٥-٧٦.

(١) عن الحسن: أنَّ أنس قال: «تناول النبيُّ من الأرض سبعَ حصياتٍ، فسبحنَ في يده، ثم ناولهنَّ أبا بكر فسبحنَ كما سبحنَ في يد النبيِّ ﷺ، ثم ناولهنَّ عمرَ فسبحنَ في يده كما سبحنَ في يد أبي بكر، ثم ناولهنَّ عثمانَ فسبحنَ في يده كما سبحنَ في يد أبي بكر وعمرَ». أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ٢٩٨ باب تسبيح الحصى، وقال بعد أن أورد أحاديث: رواه البزَّار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات.

(٢) عن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ صعد أُحُداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجفَ بهم، فقال رسول الله ﷺ: «اثبتْ أُحُدُ، فإنَّما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان» رواه البخاري (٣٦٩٩)؛ ورواه الترمذي في المناقب: ٥/ ٣٧١٠ وقال: حسن صحيح.

(٣) الحديث في: دلائل النبوة، للأصبهاني: ١/ ١٣٢؛ والشفا: ١/ ٢٠٤؛ وشمائل الرسول، لابن كثير، ص٢٧٣؛ وفي الخصائص: ٢/ ٦١، وقد جاء بروايات؛ منها: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما راع يرعى غنماً له، إذ عرض الذئبُ لشاةٍ منها، فأخذها، فأدركه الراعي، فاستنقذها منه، فأقعى الذئبُ، وقال للراعي: ألا تتقي الله تعالى، حُلْتَ بيني وبين رزقي! قال الراعي: عجبٌ للذئب يتكلَّم (بكلام إنسان)! فقال الذئبُ: أنتَ أعجبُ مني واقفاً على غنمك، وتركتَ نبيّاً لم يبعثْ الله نبيّاً قط أعظمَ منه قَدْراً عنده، قد فُتحَتْ له أبوابُ الجنَّة، وأشرفَ الحورُ العينُ على أصحابه ينظرون قتالهم، وما بينك وبينهم إلا هذا الشِّعْبُ، فتصير من جنود الله تعالى (وكان ذلك يوم أحد) قال الراعي: فمن لي بغنمي؟ قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع. فمضى الرجل ووجد النبيَّ ﷺ يقاتل، فأسلمَ، وأخبره الخبرَ، فقال النبيُّ ﷺ: «قم فحدِّثهم» ثم قال له: «عُدْ إلى غنمك تَجِدْها بوفورها» فرجع فوجدها كذلك، فذبح للذئب شاةً منها».

(٤) هذا مثل يُضرب للذي يرمي غيره بمرض نفسه، فكأنه يقول: إن وجوههم الصُّفْرَ مِنْ =

﴿أَسْرَىٰ﴾ [الاسراء: ١] فانتقل إلى المسجد الأقصى، بَرَزَ إليه عبّادُ الأنبياء من صوامعهم، فاقتدَوْا بصلاةِ راهبِ الوجودِ، ثم خَرَجَ فعَرَجَ، فعُرِضَتْ عليه الجنةُ والنارُ، حتى عَرَفَ الطيبُ عقاقيرَ الأدويةِ، قبلَ تركيبِ الأدويةِ، يا لها من ليلةٍ، فَلَّ عُرُفَ[1] حَدَّ سيفٍ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، ظَنَّتِ الملائكةُ أنَّ الآياتِ تخصُّ السماءَ[2]، فإذا آيةُ الأرضِ قد عَلت.

أقبلتْ رؤساءُ الأملاكِ، تحيّي الرئيسَ الأكبرَ، فرأى في القومِ مَلَكاً، نصفُه من ثلجٍ، ونصفُه من نارٍ[3]؛ فَعَجِبَ لاجتماعِ الضدَّينِ، قيل: لا تعجبْ، فعندك أعجبُ منه، لَوْ وُزِنَ خَوْفُ المؤمنِ ورجاؤُه لاعتدلا.

كان جبريلُ دليلَ البادية، فلمّا وصلَ إلى مفازةٍ ليس فيها عَلَمٌ يعرفُه[4]،

= مرضِ اليرقان انطبعت بمرآة وجهك الصافي. فانهموا وجهك بالصفرة، وإنما تلك صفرةُ وجوهِهم، يعني هم المجانين لا أنت.

(١) عُرف: ما علا وارتفع.

(٢) في (ب): تختص بالسماء.

(٣) روى الديلمي عن ابن عباس: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ لله تعالى ملكاً نصفُ جسده الأعلى ثلجٌ، ونصفُه الأسفلُ نارٌ، ينادي بصوت رفيع له: سبحان الله الذي كفَّ حرَّ النارِ، فلا تذيبُ هذا الثلجَ، وكفَّ هذا الثلجَ فما يطفئُ حرَّ هذه النار، اللهم يا مؤلِّفَ بين الثلج والنار ألِّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك». انظر: كنز العمال (١٥١٧٤).

(٤) عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «فتر الوحي عنّي فترة، فبينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعتُ بصري قِبَلَ السماء، فإذا أنا بالملك الذي أتاني في غارِ حِراء على سرير بين السماء والأرض، فجِئتُ منه فرقاً، حتى هويتُ إلى الأرض، فأتيتُ خديجةَ فقلت: دثِّروني دثِّروني، فدثَّرتُ، فجاء جبريل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر]». وروى البخاري في كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي ما يتعلّق بمجيء جبريل عليه السلام، وقول السيدة خديجة للرسول ﷺ حين خاف على نفسه، وذهابه إلى وَرَقة بصحبة خديجة، ثم ختمه بقوله: «ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحيُ». وجاء في كتاب بدء الخلق: باب إذا قال أحدكم آمين. برقم (٣٠٦٦): عن جابر بن عبد الله: أنه سمع الرسول ﷺ يقول: «ثم فتر عني الوحيُ فترة، فبينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعت بصري قِبَلَ السماء، فإذا الملكُ الذي جاءني بحراء، قاعدٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فجئتُ منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني؛ فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. وجئتُ: رُعبت. =

عَلِمَ ابنُ أجودَ[1] أنَّ الصِّدْقَ أجودُ، فقال: ها أنت وربك. فإذا قامتِ القيامةُ؛ فموسى صاحبُه، وعيسى حاجبُه، والخليلُ في عَسْكرِه، وآدمُ ينادي بلسان حاله: يا ولدَ صورتي، ويا والدَ معناي، ما صَعِدَ من بحورِ الأكوانِ أشرفُ مِن دُرَّةِ نبيِّنا ﷺ، طُرَّةُ[2] غرتِه أحسنُ من جمال يوسفَ، لعابُ فِيهِ[3] أشفَى من البَرْءِ، شمسُ شرعِه لا يدركُها كسوفٌ ناسخٌ، قمرُ دينِه لا يدخُل في مَحاقٍ.

كلُّ الأنبياءِ تقولُ في يوم القيامة: نفسي نفسي، وهو يقول: أمتي أمتي، فإذا سَجَدَ، قيل: «ارفعْ رأسَك، وقلْ تُسْمَعْ»[4].

كم بَيْن ذلٍّ محبٍّ وإذلال محبوبٍ، الحيواناتُ تَذِلُّ في طلَبِ القوتِ، والفيلُ يُملَّكُ حتى يأكلَ.

يا مَنْ هو في جملةِ جنودِ هذا الشجاعِ[5]، أيَحْسُنُ بِكَ كلَّ يوم هزيمة؟! لولا

= ورواه مسلم في الإيمان، بدء الوحي، برقم (١٦٠)؛ والإمام أحمد في: المسند، واللفظ المثبت أعلاه وردفي: زيادة الجامع الصغير، للسيوطي، برقم (٢٢٢٨)؛ والطيالسي.

(١) ابن أجود: الدليل؛ وأراد بابن أجودَ هنا جبريل.

(٢) طرة: جانب.

(٣) فيه: فمه.

(٤) ورد من حديث أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة، ماجَ الناسُ في بعضٍ، فيأتون آدمَ فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيمَ، فإنه خليلُ الرحمن، فيأتون إبراهيم عليه السلام...» وذكر تنقل الناس بين الأنبياء حتى أتوا رسول الله ﷺ فيقول: «أنا لها، فأستأذنُ على ربي، فيؤذَنُ لي، ويلهمني محامد أحمده بها بمحامد لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخرُّ له ساجداً، فيقول: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يُسمعْ لك، وسل تعطَ، واشْفَعْ تُشفَّع، فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي، فيقال: انطلق، فأخرجْ منها مَنْ كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان» الحديث بطوله بروايات أنس، أخرجه البخاري في التوحيد، باب كلام الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، وباب قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وباب قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وفي تفسير سورة البقرة، باب قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار؛ وأخرجه مسلم في الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٤)؛ وانظره مع شرحه في: فتح الباري: ١١/ ٤١٧ـ٤١٨ و١٣/ ٤٢٢.

(٥) يخاطب المؤمن الذي هو جندٌ من جنود هذا النبي الكريم الشجاع، فلا يليقُ به أن ينهزمَ=

جدُّ أصحابِه في جهادِهم، وشجاعتُهم في صفوفِ قتالِهم، لافتُضحَ المتأخرون، فالحمدُ لله على البَزِّلِ[1]، كانوا بالليلِ رهباناً، وبالنهارِ فرساناً، قطعَ الرسولُ ﷺ طَمَعَ مَنْ طَمِعَ في لَحاقهم بحُسام «ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ»[2]، وكيف تُنالُ مرتبةُ الصِّدِّيقِ لشيءٍ وقرَ في صدره؟! أو منقبة المهيبِ[3] والعدوُّ يَفْرَقُ مِنْ ظله؟! أو مقام الوقور[4] فالملائكة تَسْتَحْيي منه؟ أو فضيلة مزاحمِ[5] الروح[6] في منزلةِ كهارون من موسى[7].

يسَنّ والله الكُهولُ من مقارنةِ سَيِّدَيْ[8] كُهولِ أهلِ الجنةِ، كما لم تطمعِ الشبابُ في مُزاحمة سيِّدَي[9] شباب أهلِ الجنَّةِ، متى التهبَتْ في صحابةِ الأنبياءِ عزيمةٌ كحُمْرَةِ جمرةِ حمزة؟! أو علا على العُلا كعُلى علي؟! لقد فازَ بلقبِ الصدقِ طلحةُ الجود، كما سَعِدَ بالفَضْلِ «حَواريُّ» الزبيرُ، وسما بصلاة النبيِّ ﷺ خلفَه ابنُ عوف، كما قرَّت بلفظِ «فداكَ أبي وأمي»[10] عينُ سعدٍ، ونجا بالشهادةِ له بالجنَّة سعيدٌ، كما عزَّ ابنُ الجرَّاحِ بلقبِ الأمين، ولم يُذكر في القرآن باسمه غيرُ زيدٍ، وأينَ في الموالي مثل سالمٍ مولى أبي حذيفة وسلمان؟! ومَنْ في الرُّمَّادُ كمصعبٍ وابن مظعون؟! وإنه لَمَسْعودٌ عبدُ الله بنُ مسعود، وطوبى ثم طوبى لخَبَّاب وصُهَيْبٍ، ويا شرفَ المؤذنين بصوت بلالٍ، ويكفي فخراً «كوني برداً

= أمامَ شهوتِهِ وعدوِّه.

(١) البَزّل: مفرده بازل: الرجل الذي كملت تجربته. ويقصد الصحابة.

(٢) متفق عليه.

(٣) المهيب: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والعدو ههنا هو الشيطان.

(٤) الوقور: عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٥) مزاحم الروح: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٦) في (ب): النفس.

(٧) يشير إلى الحديث الذي قاله النبي ﷺ يوم خرج إلى تبوك وخلَّفَ علياً على المدينة: «أنتَ منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي» وهو في الصحيحين.

(٨) أراد حمزة والعباس.

(٩) أراد الحسن والحسين.

(١٠) قالها لسعد بن أبي وقاص في حديث رواه الترمذي، كما قالها للزبير بن العوام كما في: البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير (١٢)؛ وفي مسلم، برقم (٢٤١٦).

لعمارة[1]، وأيُّ بيتٍ يشبهُ بيتَ أبي أيوب، ومَنْ زَيْنُ القراء إلا أُبيُّ بن كَعْب؟! ومَنْ في النقباءِ كابن زُرارةَ وابن الرَّبيع؟! وأنَّى للفقهاء مثلُ معاذ؟! ومَنْ له زُهْدُ كَزُهْدِ أبي ذَرٍّ؟! والفخر لبني هاشم بالعباس، وكَفَى للبُصَراءِ قائداً ابنُ أم مكتوم، وإنَّه لقدوةُ المُؤْثرين أبو الدحداح، ومَنْ في قُوَّام الليل مثل تميم؟! ومن صَبَرَ على القتلِ صَبْرَ خُبيب؟! كلُّهم أخيار، وجميعهم أبرار، ولا مثل صاحبِ الغارِ[2]، وأينَ نظيرُ فُتَّاح الأمصار[3]؟! ومن يُشْبِهُ قَتيلَ الدارِ[4]؟! ولقد افتقروا إلى المجاهدِ بذي الفقار[5]، بحب هؤلاء تُرجى الجنَّةُ، وتُتَّقى النارُ.

إنَّ الله تعالى لما حلَّى محمداً ﷺ حِلْيَةَ النبوَّة، خلعَ عليه خِلْعَةً هي الإسلام، وأعطاه منشوراً هو القرآن، ولواءً هو النصرُ، فأبو بكر صَدَّق النبوة، وعمر أظهر الرسالة، وعثمان جمعَ المنشور، وعليٌّ حمل السيف.

لما جلَّى الرسول ﷺ عروسَ الإسلام، ولم يكن بدٌّ من نثار، نثر عُمَرُ نصفَ ماله، فرمى أبو بكر الكُلَّ، فقام عثمانُ يُجهِّزُ جيشَ العُسْرةِ بوليمة العُرْس، فعلمَ عليٌّ حال الغَيْرة، فبتَّ طلاق الضُّرَّة، ثم رأى بعضَ جَهازِ الدنيا المطلَّقة عنده. وهو الخاتم. فسلَّم[6] وما سلَّم:

خَطُّوا وأقلامُهم خَطِيَّةٌ سُلُبُ ... فهمُ على الخَيْلِ أُمِّيُّونَ كُتَّابُ
إنْ أَحْسَنوا كَلِماً واخْلَوْلَقُوا ذِمَماً ... واخْشَوْشَنُوْا شِيَماً فالقومُ أَعْرَابُ

* * *

---

(١) رواه ابن عساكر وتكملته: «كما كنت على إبراهيم، تقتلك الفئة الباغية». انظر: كنز العمال (٣٣٥٦١).

(٢) أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٥) علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٦) يعني سلم الخاتم للسائل في ركوعه، ولم يسلّم في صلاته. وهي القصة التي نزلت بها: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وهي قصة مكذوبة. انظر: روح المعاني، للآلوسي، عند تفسير هذه الآية.

الفصل الثالث

في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ [الحج: ٢٧]

لمَّا تكاملَ بناءُ البيتِ أرسلَ الله تعالى إلى خليله: أَدِّ(١) رسالةَ ﴿ وَأَذِّن ﴾ [الحج: ٢٧]، فَعَلا على أبي قُبَيْس(٢)، ونادى في جميع الوجوهِ(٣): إنَّ ربَّكم قد بنى لكم بيتاً فحُجُّوه، فأجابَ مَنْ جرى القدرُ بِحَجِّه: «لبيك اللهم لبيك» فكانَ ذلك اليومُ أخاً ليومِ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]:

لمَّـا رأيـتُ مُنـادِيهِـم ألـمَّ بِنَـا   شَـدَدْتُ مِئْـزَرَ إِحْـرَامِـي وَلَبَّيْـتُ
وَقُلْتُ للنَّفْسِ: جُدِّي الآنَ واجْتَهِدِي   وسـاعِـدِينـي فهـذا مـا تَمَنَّيْـتُ
لو جئتُكُم قاصِداً(٤) أسعَى على بَصَرِي   لَـمْ أَقْـضِ حَقّـاً، وأيَّ الحـقِّ أدَّيْـتُ؟

قَطَعَ القومُ بِيدَ السفر ﴿ بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾ [النحل: ٧] ، فوافقتهم الركابُ ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧]:

دَعِ المَطَـايـا تَنْسُـمُ الجَنـوبـا   إنَّ لهـا لنَبَـأً عَجِيبـا
حَنِينُهـا وَمَـا اشتكَـتْ لُغـوبـا   يشْهَـدُ أنْ قـدْ فـارَقـت حَبِيبـا
مـا حَمَلَـتْ إلا فَتَـى كئيبـا   يسِـرُّ مِمَّـا أعلنَـتْ نَصِيبـا
لـو غـادرَ الشَّـوْقُ لنـا قلُـوبـا   إذنْ لآثـرنـا بهـنَّ النِّيبـا(٥)
إنَّ الغـريـبَ يُسْعِـدُ(٦) الغَـرِيبـا

---

(١) في (أ): أذن.
(٢) أبو قبيس: جبل بمكة.
(٣) في (ب): الوجود.
(٤) في (ب): زائراً.
(٥) النيبا: النوق المسنة.
(٦) يُسعد: الإسعاد في المناحات، هو أن تقومَ المرأةُ فتقومَ معها أخرى من جاراتها، =

واعجباً مِنْ حنينِ الوُقِ، كأنَّها قَدْ علمَتْ وَجْدَ الرُّكَّابِ، تارةً تَجُدُّ في السَّيرِ، [وتارَةً تتوقَّفُ][1]، وتارةً تَذِل وتُطاوِعُ الأعناقَ، وتارةً تَمْرَحُ، كأنَّها قد استعارَتْ أحوالَ العارفين:

ذَكَّراها في سُراها ما عَرَاهَا ... فَغَدَتْ تَنْفُحُ شَوْقاً في بُراها[2]
تقطعُ البرَّ وتَنْسَى ما جَنَى ... سَيْرُها والسَّيْرُ أمْرٌ قَدْ بَراها
كلَّما قالتْ[3] بِنَى قَدْ قَرُبَتْ ... وَتَدَانَتْ دارُها طارَ كَراها[4]
أَسْعِدَاها يا خَليليَّ عَلَى ... ما دَعَاها في الهَوى أو دَعاها
كَرْبُها ما زَالَ مِنْ عَهْدِ الصِّبَا ... خَلْيَاهَا والصَّبا[5] فهُوَ رضاها
غَنِّها يا أيُّها الحادِي لَهَا ... بالجَمَى أو بالنَّقا وانْظرْ سُرَاهَا[6]
نَحَّ عنها السَّوْطَ يَكْفِي شَوْقُها ... قَدْ رأَتْ في نَفْسِها ما قَدْ كَفَاها
يا عَهَا الوجْدُ بِكُثْبانِ النَّقَا ... عَجَباً إذ باعَهَا كيفَ اشْتَرَاهَا
أَتُراها عَلِمَتْ مَنْ حَمَلَتْ ... لَيْتَهَا قَدْ عَرفتْ مَنْ في ذُراها
أنتَ إنْ لاحَتْ لك الأعلامُ قِفْ ... فهيَ المطلوب[7] لا شَيْءٌ سِواها
يا رفيقيَّ أهذي[8] دارهم ... ودِّعاني ودَعاني وَذَراها
أنا مَقْتولٌ بِسَهْمٍ غَرِبٍ ... قَوْمُه خَيْفُ بِنَى أو مَأْزِماها[9]
حُرِّمَ الصَّيْدُ على مَنْ حَجَّه ... فانظرا في مُهجتي مَنْ قَدْ رَمَاهَا
أُكْتُبَا في لَوْحِ قَبْرِي عِشْتُما ... مُهْجَةٌ ماتَتْ وما نالتْ مُناها

= فتساعدها على النياحة، وعموماً هو الإعانة والإنجاد والمؤازرة.

(١) زيادة من (ب).

(٢) البرى: جمع بُرَة: حلقة توضع في أنف البعير يقاد منها، فإذا جهده السير نفح فيها. القاموس (برو).

(٣) في (ب): ظلت.

(٤) كراها: نومها.

(٥) الصبا الأولى: الحداثة، والثانية: الشوق.

(٦) سراها: سيرها ليلاً.

(٧) في (ب): المقصود.

(٨) في (ب): اهديباني.

(٩) مأزِماها: مثنى: مأزم، وهو موضع بين المشعر الحرام في مزدلفة وعرفات.

أُمِرَ المُحْرِمون بالتعرّي، ليدخلوا بِزيّ الفقراء، فيبين أثر ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ: ٣٧]:

مَنْ أعلمَ السائقَ العنيفَ بِهِمْ ... بأنَّ رُوْحِي تُسَاقُ مَعَ إِبِلِهْ
وَأنَّ دَمْعِي يَرْوِي رَكَائِبَهم ... لولا دَمٌ في انسكابِ مُنْهَمِلِه

تَاللهِ لقد جمعوا الخيرَ ليلةَ جَمْعٍ[1]، ونالُوا المُنَى إذا دخلوا مِنًى:

للهِ دَرُّ مِنًى وما جَمَعَتْ ... وَبُكَا الأحبَّةِ لَيْلَةَ النَّفْرِ
ثم اغتَدَوْا فِرَقاً هنا وهنا ... يتلاحَظُوْنَ بأعينٍ دُكْرِ
ما للمضاجِعِ لا تُلائِمُني ... كأنَّ قلبي ليسَ في صَدْرِي

حجَّ جعفرُ الصادقُ، فأرادَ أن يلبِّيَ فتغيَّرَ وجهُهُ، فقيل له: ما لكَ يا بنَ رسول الله؟ فقال: أريدُ أن ألبِّيَ فأخافُ أنْ أسْمعَ غيرَ الجواب[2].

وقف بِعرفات[3] وبكرٌ[4] بالموقف، فقال مطرف: اللهمَّ لا تَرُدَّهم مِنْ أجلي.

وقال بَكرٌ: ما أشْرَفَه مِنْ مقامٍ لولا أنِّي فيهم.

وقام الفضيلُ بن عياض بعرفة، فشغلَه البكاءُ عن الدعاء، فلمَّا كادَتِ الشمسُ تغرُبُ قال: واسَوْأتاه مِنْكَ وإنْ عَفوتَ.

وقفَ بعضُ الخائفين على قَدَمِ الإطراق والحياءِ، فقيلَ له: لم لا تدعو؟ فقال: ثَمَّ[5] وحشةٌ.

قيل: هذا يوم العفو عن الذنوب.

فبسطَ يدَه فوقعَ ميتاً.

---

(١) ليلة جَمع: ليلة مزدلفة.
(٢) يشير إلى من يقال له: لا لبيك ولا سعديك.
(٣) مطرف بن عبد الله.
(٤) بكر المزني.
(٥) ثمّ: هناك.

وانـزلِ الـوادي[1] بـأيمنِـهِ إنَّـه بـالـدَّمـعِ مَـلآنُ
وارمِ بـالطـرفِ العقيـقَ[2] فلـي ثَـمَّ أوطـارٌ وأوطـانُ
وانشُـدِ القلـبَ المَشُـوْقَ عسَـى يُـرْجِـعُ المفقـودَ نُشـدانُ
وابْـكِ عنِّـي مـا استطعـتَ إذا مـا بَـدَا للطَّـرْفِ نَعْمـانُ[3]
واقْـرِه عنـي السـلامَ فسكـا نُ قلبـي فيـهِ سكـانُ
لا تـزدنـي يـا عـذولُ جَـوًى أنـا بـالأشـواقِ سكـرانُ

حَجَّ الشبْليُّ، فلمَّا رأى مكَّةَ قال:

أبطحـاءَ مكَّـةَ هـذا الَّـذي أراهُ عِيـانـاً وهـذا أنـا

ثم غُشِيَ عليه، فلما أفاقَ قال:

هـذهِ دارُهُـمْ وأنـتَ مُحِـبٌّ مـا بقـاءُ الـدُّمـوعِ فـي الآمـاقِ

حجَّ قومٌ من العُبَّادِ فيهم عابدةٌ، فجعلتْ تقولُ: أينَ بَيْتُ ربِّي؟ أينَ بَيْتُ ربي؟ فيقولون: الآن تريْنَه:

إذا دَنَـتِ المنـازِلُ زادَ شَـوْقِـي ولا سيمـا إذا دَنَـتِ الخِيـامُ

فلمَّا لاحَ البيتُ، قالوا لها: هذا بَيتُ ربِّكِ، فخرجتْ تشتدُّ وتقول: بيتُ ربي، بيتُ ربي، حتى وضعت جبهتها[4] على البيت، فما رُفِعَتْ إلا ميتةً.

هـاتيـكَ دارُهُـمُ وهـذا مـاؤهُـمْ فاشْرَبْ وزِدْ[5] وَشَرِقْتَ[6] إن لم تَسْقِني

---

(١) الوادي: وادي مكة.
(٢) العقيق: وادي بالقرب من المدينة مشهور بمائه.
(٣) نَعمان: جبل في عرفة.
(٤) في (أ): جبينها. والجبهة: ما بين الجبينين.
(٥) في (ب): فاحسِ ورد.
(٦) وشرقت: الجملة دعاء عليه أن يشرق، والشَّرَق: الغصة بالريق أو الماء، فلا يقدر على إساغته وابتلاعه.

أودعتُ إقرارَك يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الحجرَ الأسودَ، وأمرْتُك بالحج لتستحيي بالتذكر[١] من نقضِ العهدِ.

الحجَرُ صُندوقُ أسرارِ المواثيقِ، مُشْتَمِل لما أملى المُعاهِدُ، مُشْتَمِلٌ على حِفْظِ العهدِ، فاستِلامُ المُسْتَلَمِ المشتمل لِيُعْلَمَ أنَّ إقرارَك لا عَنْ إكراهٍ، لا تَنْسَ عهدي فإنِّي لا أنساكَ:

فلا تحْسَبُوا أنِّي نسيتُ وِدَادَكُم ... فإنِّي وإنْ طالَ المَدَى لستُ أنساكُمْ
حَفِظْنَا وَضَيَّعْتُم وِداداً وحُرْمَةً ... فلا كانَ مَنْ في الهَجْرِ[٢] ذا اليومَ أَغْراكُم

كم شخصٍ أشْخَصَه[٣] الوجْدُ إلى الحجِّ، فكادَت تَشابهُ المواثيقِ قَبْلَ تقبيلِه تقتلُه فلما قضى التاسِكُ المناسِكَ، ورجع؛ بقي سهمُ الشوق إليه في قلب مِنى [المُنى][٤]:

يكادُ يُمْسِكُه عِرفانَ راحتِه ... ركنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِمُ

إخواني: ذِكْرُ تلكَ الأماكنِ يعمَلُ في القلبِ قبلَ السَّمْعِ، لأنَّها قد خُلِقَتْ من طينِ الطَّبْعِ. لِسَلَعٍ[٥] سَلْعٍ ليس لعَسَلِ لُعْسٍ[٦].

(لمهيار)[٧]:

هل مجابٌ بدعو مبدَّدَ أوطا ... ري بِجَمْعٍ يَرُدُّ أيامَ جَمْعِ[٨]
أو أميـنُ القُـوى أحمِّلُه همّـاً ... ثقيـلاً يحطُّـه دُونَ سَلْـعِ

---

(١) في (ب): بالتذكير.
(٢) في (ب): في هجرنا.
(٣) أشخصه: أجاءه وسيّره في ارتفاع وأزعجه.
(٤) زيادة من (ب).
(٥) سلع الأولى بتحريك اللام: شجر مرّ له شوك، والثانية بسكونها: جبل في المدينة.
(٦) لُعس: جمع لعساء، واللعَسُ: سوادٌ يعلو شفة المرأة البيضاء.
(٧) من قصيدة كتب بها إلى أبي منصور بن المزرع. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٧.
(٨) أيام جمع: أيام منًى.

فافرُجا لي عن نَفْحَةٍ مِنْ صَبَاهُ ... طالَ مدّى لها الصليفُ[1] وَرَفْعِ
إنَّ ذاكَ النسيمَ يجري على أرضٍ ... ثراها في الرَّيْحِ رُفْيَةُ لَسْعِ
كَمْ زفيرٍ عَلِمْتَ منه حمامُ ... الدَّوْحِ ما كانَ مِنْ حنينٍ وسَجْعِ

وا حلل[2] المتخلِّفِ، وا أسفِ المسوِّف، أينَ حسراتُ التعبّدِ؟![3] أينَ لذعاتُ الوَجْدِ؟!.

(للخفاجي):

أتطلقُ الوُرْقَ[4] في الأيْكِ[5] تُغْنِّي ... إنَّها تَضْمِرُ حُزْناً مِثْلَ حُزْنِي
لا أراكَ اللهُ نَجْداً بعدَها ... أيُّها الحادي بنا إنْ لمْ تُجِبْنِي
هل تُباريني إلى بَثِّ الجَوى ... في ديارِ الحيِّ نَشْوَى ذاتُ غُصْنِ
هَبْ لها السبقَ، ولكنْ زادُنا ... أنَّنا نبكي عليها وتُغَنِّي
يا زمانَ الخَيْفِ هل مِنْ عودةٍ ... يسمحُ الدَّهْرُ بها مِنْ بعدِ ضَنِّ
أرضينا بَثَنِيَّاتِ اللِّوى ... عن زَرُودٍ يا لها صفقةَ غَبْنِ
سَلْ أراكَ[6] الجِزْعِ هل مرَّتْ بِهِ ... مُزْنةٌ[7] رَوَّتْ ثراهُ غير جَفْنِي
وأحاديثَ الغَضا هل علمتْ ... أنَّها تملكُ قَلْبِي قبلَ أُذْنِي

وا عجباً لمن يقطع المفاوز ليرى البيتَ، فيشاهدَ آثارَ الأنبياءِ، كيفَ لا يقطعُ نَفْسَهُ عن هواها؟ ليصلَ إلى قلبِه فيرى آثار[8] «ويسعني»[9].

---

(١) الصليف: صفحة العنق.
(٢) في (ب): واخجل.
(٣) في (ب): البعد.
(٤) الورق: جمع ورقاء: الحمام، مفردها: حمامة.
(٥) الأيك: الشجر الملتفّ الكثير.
(٦) الأراك: شجر الحمض يستاك به، فيه طول وخضرةٌ ونعومةٌ وكثرةُ أوراقٍ وأغصانٍ، خوّار العود، يتخذ منه المساويك، واحدةُ الأراكِ: أراكةٌ.
(٧) مزنة: سحابة.
(٨) في (ب): آثاره يَسْتَغْني.
(٩) يشير إلى الأثر الإلهي: «ما وسعني سمائي ولا أرضي، ولكن وسعني قلبُ عبديَ =

(لمحمد بن أحمد الشيرازي):

إليكَ قَصَدِيَ لا لِلْبَيْتِ والأَثَرِ ... ولا طوافيَ بأركانٍ ولا حَجَرِ
صفاءُ دَمْعِي الصَّفا لِيْ حينَ أَعْبُرُه ... وزَمْزمي دَمْعَةٌ تجري مِنَ البَصَرِ
عِرْفانُكُمْ عَرَفاتِي إذ مِنًى مِنَنٌ ... وموقفي وِقفةٌ في الخوفِ والحَذَرِ
وفيكَ سَعْيِي وتعميري ومُزْدَلَفي ... والهَدْيُ جِسْمِيَ الذي يُعْني عن الجُزُرِ
ومَسْجِدُ الخَيْفِ خَوفي مِنْ تباعُدِكُمْ ... ومَشْعَري ومَقامي دونَكم خَطَري
زادي رجائي لكم والشوقُ راحِلَتي ... والماءُ من عَبَراتي والهَوَى سَفَرِي

* * *

= المؤمن» في كشف الخفاء: ٢/ ٢٧٣ ، قال العراقي في تخريج الإحياء: لم أرَ له أصلاً ، وقال ابن تيمية: مذكورٌ في الإسرائيليات ، وليس له سند معروف عن النبي ﷺ ، وانظر ما يوضح معناه في كتاب: الفوائد ، لابن القيم ، ص ٤٠ .

الفصل الرابع

إخواني، قد نمَّ إليكم أمرُ مَنْ قد نَمَى، وسامى[1] الوصالَ لوسام[2] وسما[3]، وافتخرَ بالنَّسبِ النسيبُ[4] وانتمى، كيف بارزَه من أبرزَه[5] عن الحِمى، فباتَ بعد الريِّ يشكو الظما، وقد رأيتم ما جرى، فانظروا مثل ما.

(لابن المعتز):

يا نفسُ ويحكِ طالما ... أبصرتِ موعظةً، وما
نفعتْكِ فاخشَيْ وانتهي ... وعليكِ بالتقوى، كما
فعلَ الأنامُ[6] الصالحون ... وبادري، فلربَّما
سَلِمَ العبادِرُ، واحذري ... يا نفسُ مِنْ سَوءٍ، فما
خُدِعَ الشقيُّ بمثلها ... إياكِ منها، كلَّما
ناجَتْ مكايدُها ضميرَ ... كِ إنَّما هي، إنَّما
خَطَرتْ وكم قتلتْ ... وأهلكتِ النفوسَ، وقلَّما
تُغني أمانيها إذا ... حَضَرَ الرَّدى، فكأنَّما
لمْ يَجْنِ[7] مَنْ لاقَى منيـ ... ـتَه فيا عجباً أما
في ذاكَ معْتَبَرٌ ولا ... شافٍ يُبَصِّرُ مِن عَمَى
يا ذا المُنى يا ذا المُنى ... عِشْ ما بدا لك ثم ما

---

(١) سامى: عالى وبارى.
(٢) في (ب): وصال الوسام.
(٣) سما: علا وارتفع وتطاول.
(٤) النسيب: الرجل الشريف المعروف نسبه وأصله.
(٥) يشير إلى وسوسة إبليس في إخراج آدم عليه السلام من الجنة.
(٦) في (ب): الإناس.
(٧) في (ب): يحي.

يا سكرانَ الهوى أما آن الصَّحْوُ؟! يا ساطراً[1] قبحَ الخلاف أما حان المحو؟!.

أين الراحلون؟! كانوا بالأمس، صحّت حُجَّةُ الموتِ فبطلَتْ حركةُ[2] النفس، واعتقلهم حاكمُ البلى على دَيْنِ الرّمس، [وكفَّ أَكُفُّ الجسّ بعدَ تصرُّف آلة الخمس][3]، واستوعر عليهم الحصرُ، واستطالَ الحبسُ، وأصبحَتْ منازلُهم ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

يا قليل اللُّبث خَلِّ العَبَثَ، كم حدَّث جَدثٌ في حَدَثٍ[4]؟! يا مُوْقِناً بالرحيل وما اكترث، اقبلْ نُصحي ولُمَّ الشَّعَث.

إذا نلتَ من دنياكَ خيراً ففُزْ بِهِ ... فإنَّ لجمعِ الدَّهْرِ من صَرفه شتا
فكمْ مِنْ مُشَتٍّ لم يُصيِّفْ بأهله ... وآخرَ لم يدركهُ صَيْفٌ إذا شَتى

انتهبْ يَتَارَ الخيرِ في مكان الإمكان، قبل أن تدخلَ في خبر كان، قبل معاينة الهولِ المَخُوفِ الفظيع، وتَلَهُّفِ المجدبِ على زمان الربيع.

إنَّما أهلُ هذه الدارِ سَفْرٌ، لا يحلُّون عُقَدَ الرِّكابِ إلا في غيرها، فاعجبوا لدارٍ[5] قد أدبرت، والنفوس عليها والهةٌ، والأخرى قد أقبلتْ، والقلوبُ عنها غافلةٌ.

والله لو كانتِ الدُّنيا بأجمَعِها ... تبقى علينا، ويأتي رزقُها رَغَدَا
ما كان مِنْ حَقِّ حُرٍّ أن يَذِلَّ لها ... فكيفَ وَهْي متاعٌ يَضْمَحِلُّ غَدَا

يا مُكرَّماً بحليّة الإيمان بعد حليةِ[6] الإيجاد، وهو يُخْلِقُها[7] في مخالفة

---

(١) يا ساطراً: أي يا كاتباً.
(٢) في (ب): حجة.
(٣) الأصابع الخمس، وما بين قوسين زيادة من (ب).
(٤) حدّث جدث في حدث: أي حدَّث القبر بلسان الحال عن أحداث من قُبر فيه.
(٥) لدار: أي لدار الدنيا.
(٦) في (ب): حلة.
(٧) يخلقها: يبليها.

الخالق، كم من نَعْمةِ نِعْمة[1] في تَرَفِ تَرِفٍ[2]، وما يخفُّ عليكَ ذِكْرُ شكرٍ.

يا عبدَ السُّوءِ! ما تُساوي قدرَ قُوتِك، لا كانتْ دابةٌ لا تَعْملُ بَعَلَفِها، إلى متى يَخْدَعُكَ المُنى؟! ويغرّكَ الأملُ؟!.

ويْحَكَ! افْتحْ عينَكَ، متى رأيتَ العقلَ يؤثِرُ الفاني على الباقي، فاعلم أنَّه قد مُسِخَ.

ما زالتِ الدُّنيا مُرَّةً في فمِ[3] الغير، ولكن قد مرضَ ذوقُك.

لسانُ قلبك في عُقلةٍ[4] غفلةٍ، وسَمْعُ فَهْمِكَ مسدودٌ عنِ الفِطْنَةِ بِقُطْنَةٍ، وبَصَرُ بصيرَتكَ محجوبٌ بعَماء[5] عَمًى، ومزاجُ تقواكَ منحرفٌ عن الصحةِ، وأما نبضُ الهوى فشديدُ الخفقان.

سارت أخلاطُ الأملِ في أعضاءِ الكسل فَتَثَبطتْ عن البِدارِ، وقد صارت المفاصلُ في منافذِ الفهوم سُدَداً، وما يسهلُ عليك شُربُ مُسهِل.

ويحك اجتنب حلواء الشَّرَهِ فإنَّها سبب الحُمَّى الروح[6]، خَلِّ خَلَّ البُخلِ، فإنَّه يؤذي عصبَ المروءة.

إنْ عوجِلْتَ أمراضُك فعولجتْ، وإلا مَلَكتْ فأهلكتْ، لو احتميتَ عن الخطى[7] لم تحتج إلى طبيب.

من ركبَ ظهرَ التفريط نزل به دارَ الندامة، ألم تسمع أنَّ داودَ كان قد أُعطِيَ نِعْمةً نَغْمة [كان يقف لها الماء والطيرُ][8]، فامتدَّت يدُ الغفلةِ، فقدَّت قميصَ

---

(١) نَعمة نِعْمة: بكسر النون: ما أنعم به من رزقٍ ومالٍ، وبفتحها: الرفاهة وطيب العيش.
(٢) تَرَف تِرِف: تَرَف: مصدر تَرِف أي تنعَّم، تِرِف: كحذر صيغة مبالغة من تَرِف.
(٣) في (الأولى): حرف جر، وفي (الثانية): الفم.
(٤) عُقلة: ما يُعْقَل به كالقيد.
(٥) في (ب): بعشا.
(٦) في (ب): حمى الروح.
(٧) في (ب): أخلاط الخطايا.
(٨) في هامش (ب): كان يقف لها الماء فلا يسير، والطير وقوف الأسير.

العصمةِ، فأَثَّرَ زَلَلُهُ حتى في التلاوةِ.

أعرضَ المعمارُ عن المراعاةِ، فتشعَّبَ منزلُ الصَّفا، وانقطعت جامكيةُ[1] العسكرِ، فتفرَّقتْ جنود ﴿أَرِمَ﴾ [سبأ: ١٠]، كان يؤتى بالإناء ناقصاً، فيتمُّه بالدموعِ[2].

(لمهيار)[3]:

ما لي شَرِقْتُ بماءِ ذي الأثَلِ ... هل كدَّرَهُ الوُرَّادُ مِنْ قَبلي؟
أمْ بانَ سَكَّانٌ فأملحَ لي ... ما كنتُ قبلَ البينِ أستَحْلِي؟
ما ابيضَّ لي في الدَّارِ بَعْدَهُمُ ... يومٌ وَعَلْ دارٌ بلا أهْلِ؟
رحلوا بأيامي الرقاقِ على ... آثارِهم وبعيشيَ السَّهلِ

كان عيشُ عيشه خَضِراً، فأحالتِ الحالُ سَنةَ الهجرِ، فكأنَّ أيامَ الوصلِ[4] كانت سِنَةً، فكاد يقطع باليأس، لولا التقاءُ الخَضِر بإلياس.

أَرَقي قد رَقَّ لي مِن أَرَقي ... وَرَثَى لي قلقي من قلقي
وبكائي مِن بكائي قد بكا ... وتَشكَّت حُرَقي من حُرقي

كان داودُ إذا أراد النياحةَ، نادى مناديه في أنديةِ المحزونينَ، فيجتمعونَ في مأتم النَّدْبِ، فتزدادُ الحُرَقُ بالتعاونِ.

(للعباس بن الأحنف)[5]:

يا بعيدَ الدَّارِ عن وَطَنِه ... مُفْرَداً يبكي على شَجَنِه
كلَّما جَدَّ النحيبُ به ... زادتِ[6] الأسقامُ في بدنه

---

(١) جامكية: مرتب خدام الدولة من العسكر والموظفين.
(٢) المتَّفق عليه عصمة الأنبياء، وما جاء مما يخدش العصمة فهو مردود من الإسرائيليات الباطلة.
(٣) مطلعُ قصيدةٍ يهنِّئ بها الوزير ابن ماكولا بالنيروز. انظر: ديوان شعره: ٢٠٦/٣.
(٤) في (ب): الوصال.
(٥) انظر: ديوان شعره، ص٢٧٨.
(٦) في الديوان: (ديت).

ولقد زادَ الفؤادَ جوًى[1] هائِفٌ يبكي على فَنَنِهْ[2]
شاقَهُ ما شاقني[3] فبكى كلُّنا يبكي على سكَنِهْ

يا مذنبين! مصيبُنا واحدٌ:
وكل غريبٍ للغريب نسيبُ

يا متوافقين في سفر الطرد! انزلوا للنياحة في ساحة، اندبوا طيب أوطان الوصل، واستغيثوا من هجيرِ الهَجْرِ، لعلَّ الغمَّ ينقلبُ غمامةً تُظِلُّ مِنْ لفحِ الكَرْبِ.

(المنصف):

أينَ فؤادي أذابَهُ البُعْدُ وأينَ قلبي أما صَحَا بَعْدُ؟
حَدَا[4] بذكرِ العقيقِ سائِقُهُ فطارَ شوقاً بلُبِّهِ الوجدُ
جسمٌ يبغدادَ ليس يصحبُه روحٌ، وروحٌ يضمُّها نجدُ
يا لفؤادٍ ما يستريحُ مِنَ الكر بِ له كلَّ لحظةٍ وَقْدُ[5]
آهِ لعيشٍ قد كنتُ أصحبُه لو كانَ يوماً لفائتٍ رَدُّ
أروحُ في حبِّكم فَرَا قلقي وهكذا أشتكي إذا أغدو
كلُّ زماني جَزْرٌ عن الوصل أشكو هُ فهلاَّ تنابَ المَدُّ
يا سعدُ زدني جوًى بذكرهمُ يا سعدُ قل لي قُديتَ يا سعدُ
بلِّغهمُ ما أُجِنُّ[6] من حُرَقٍ[7] قلْ وحدِّثْ ببعضِ ما يبدو
وقلْ رأيتُ الأسيرَ في قلقٍ وقال: لي حرمةٌ، ولي عهدُ
ثمَّةَ فسلِّمْ والأمرُ أمرُهمُ يقولُ مولًى، ويفعلُ[8] العبدُ

* * *

(١) في (ب): شجّى.
(٢) فنته: الفنن: الغصن.
(٣) في الديوان: (شقه ما شَقَّني).
(٤) حدا الإبل: زجرها وساقها وغنّى لها لتسير.
(٥) وَقْدٌ: اشتعال.
(٦) أُجن: أخفي وأحبس.
(٧) حرق: جمع حرقة: وهي ما يجد الإنسان من لذعة الحب أو الحزن.
(٨) في (ب): يصمت.

الفَصْلُ الخامِسُ

أيَّتها النفسُ! تدبَّري أمرَكِ وتأمَّلي، ومَثِّلي بين ما يبقى وما يفنى ولا تَعْجَلي، لقد ضللتِ طريقَ الهُدَى، فَقِفي واسألي، وآثرتِ وَهْناً يورث وهناً[1] لا تفعلي، يا غمرةً من الشقا ما أراها تنجلي! أتَّبعُ الهوى؛ والهوى عليّ ليس لي، أريدُ حياةَ نفسي، ونفسي تريدُ مقتلي، يا جسداً قد بَلِي، بما قد بُلِي:

نَخْطُو ومَا خَطْوُنَا إلاّ إلى الأجلِ ... ونَنْقَضِي وكَأنَّ العمرَ لم يَطُلِ
والعيشُ يؤذِنُنَا بالموتِ أوَّلُه ... ونحنُ نرغبُ في الأيامِ والدُّوَلِ
يأتي الجمامُ فَيُنْسِي المرءَ مَنْيَتَهُ ... وأعضلُ الداءِ ما يلهي عن الأملِ
لا تحسبِ العيشَ ذا طُولٍ فتتبَعُه ... يا قُرْبَ ما بين عُنْقِ المرءِ والكَفَلِ[2]
ترخِي النوائبُ عن أعمارِنا طرفاً ... فتستقِرُّ وقد أمسكنَ بالطِّوَلِ[3]
سَلِي عن العيشِ أنَّا لا نَدومُ له ... وعَزَّ الموتَ ما نلقَى من العلَلِ
لنا بما ينقضي من عمْرِنا شُغُلٌ ... وكلُّنا عَلِقُ الأحشاءِ بالغَزَلِ
ونَسْتلِذُّ الأمانِي وهي مُرْدِيةٌ ... كشاربِ السُّمِّ ممزوجاً مع العَسَلِ

إخواني! أوقدوا أذهان[4] الأذهان في ليل الفكر تُبْصِروا، وصابروا سِنِيَّ الجدب لعامِ الخِصْبِ تَعْصِروا[5]، فَمَنْ أدلجَ[6] في غياهبِ ليلِ العُلى على نجائبِ الصَّبْرِ، صَيَّحَ منزلَ السرورِ في السَّرْ[7]، ومن نام على فراشِ الكسل، سال

---

(١) وهناً الأولى: الضعف في العمل والرأي والبدن. وهناً الثانية: الألم.
(٢) الكفل: العَجُز من الإنسان.
(٣) الطِّوَل: الحبل يُمدُّ للدابة لترعى، وطرفه مثبت.
(٤) أذهان: جمع دهن، زيت يوقد به المصباح.
(٥) تعصروا: يقال: عصرَ يعصِر، أي: استخرج ما في المعصور من دهن أو ماء ونحوه.
(٦) أدلج: سار أول الليل.
(٧) السر: الأرض الطيبة الكريمة.

به سيلُ التمادي إلى وادي الأسف.

الرجوليةُ قوةٌ معجونةٌ في طينِ الطَّبْعِ، والأنوثيّةُ رَخاوة.

ولدُ السبُع عزيزُ الهمّة، وابنُ الذئبِ غَدّارٌ، وكلٌّ إلى طبعِهِ عائدٌ.

الجدُّ كلُّه حركة، والكسَلُ كلُّه سكون.

إذا أردتَ أن تعرفَ الديكَ من الدجاجةِ حين يَخْرجُ من البيضة، فعلِّقه بِمنقارِه، فإن تحرَّك فَديكٌ، وإلا فَدَجاجة.

فُتُورُكَ عن السعي في طلب الفضائل دليلٌ على تأنيث العَزْم.

يا منْ قد بلغ أربعين سنة، وكلُّ عُمرِه نومٌ وسِنَة، يا مُتعِباً في جمعِ المال بَدَنَه، ثم لا يدري لمن قد خَزَنَه، أعلِمْ هذه النفسَ الممتحنَةَ، أنَّها بكسبِها مرتهنةٌ، ألا يعتبِرُ المغرورُ بِمَنْ قد دفنه؟! كم رأى جباراً فارقَ مسكنَه، ثم سكنَ مسكَنَ مسكنة[1].

يا راحلين بالإقامة، يا هالكين بالسلامة، أين مَنْ أخذَ صفوَ ما أنتم في كدره؟! أما وعظكم في سَيْرِه بسيرِه[2]؟! بلى قد حملَ بريدُ الإنذارِ أخبارَهم، وأراكم تصفُّحُ الآثارِ آثارَهم.

وحدِّثْكَ الليالي أنَّ شيعتَها ... تفريقُ ما جَمَعَتْهُ فاسمعِ الخَبَرا

فكنْ على حَذرٍ منها فَقَدْ نَصَحَتْ ... وانظر إليها ترَ الآياتِ والعِبَرا

فهل رأيتَ جديداً لم يَعُدْ خَلَقاً ... وهل سمعتَ بصفوٍ لم يَصِرْ كَدَرا

حبّ[3] الدنيا خيالٌ، تَمْرُّ الغِرَّ، المتمسك بها يلعب بلُعابِ الشمس.

الدُّنيا كامرأةٍ فاجرةٍ[4] لا تثبت مع زوج، فلذلك عِيْبَ طُلّابُها...

---

(١) المسكنة: المذلّة.

(٢) أي: ألا تتعظون بسيره إلى قبره بحاله التي كان عليها في الدنيا.

(٣) في (ب): حبال.

(٤) في (ب): كالمرأة الفاجرة.

مَيَّزتُ بَيْـنَ جمـالِهـا وفِعـالِهـا ... فـإذَا المـلاحَـةُ بالخيـانـةِ لا تَفِـي
حَلَفَـتْ لنـا أنْ لا تخـونَ عهـودَهـا ... فكـأنَّمـا حَلَفَـتْ لنـا أنْ لا تَفِـي

محبَّةُ الدنيا محنةٌ، عيونُها بابليَّةٌ[1]، كم تفتح بابَ بليّة، ولا حيلةَ كحيلةٍ مِنْ عَيْنٍ كَحيلة[2].

كم أفْرَدتْ[3] مَنْ أرفَدت[4]، كم أخْمَدَتْ من أخدَمتْ، كم قلَّلت[5] مَنْ ألَّفت، كم أفقرتْ من أرفقتْ، كم فارقتْ من رافقتْ، كم قطعت من أقطعَتْ[6].

فعلها في التكدير كلُّه كذا، فإن آثَرتَ الصفا فما في الزهد أذى، وإن أردتَ القذى، فألْقِ ذا.

(لمهيار)[7]:

تَعْجَبُ مِـنْ صبـري على ألـوانِهـا ... فـي وَصْلِهـا طَـوْراً وفـي هِجْـرانِهـا
وَرْهـاءُ[8] مـن كلِّهـا وثيقـة ... كلِّهـا مـا ليـس مـن أديـانِهـا
تُسلِّـطُ البلـوى علـى عُشَّـاقِهـا ... تَسلُّـطَ الجِنِّ علـى أيْمـانِهـا
الـودُّ فـي القلـبِ ودعـوى وُدِّهـا ... لا يتعـدَّى طَـرَفَـيْ لسـانِهـا
فكلَّمـا أعطتْـكَ مِـنْ محبَّـةٍ ... زيـادةً فـاقطـعْ علـى نقصـانِهـا
وقفـتُ أستـرجـعُ يـومَ بَيْنِهـا ... قلباً شعـاعـاً طـاعَ فـي أظعـانِهـا
ولـم تكـن منِّـيَ إلا صَلَّـةٌ ... نِشـدانُ شـيءٍ وهـو فـي ضمـانِهـا

---

(١) بابلية: نسبة إلى بابل، موضع بالعراق، ينسب إليه السحر والخمر.
(٢) كحيلة: يقال: في عينيه كَحَل: أي سوادٌ في أجفانِ العين خلقةً، والرجلُ أكحلُ وكحيل.
(٣) أفردت: نحّتْ وعزلت.
(٤) أرفدت: أعطت وأمدّت.
(٥) قلّلت: فرّقت. ألّفت: جمعت.
(٦) أقطعت: أعطت.
(٧) مطلعُ قصيدةٍ يعاتب فيها العميدَ أبا الحسن بن المزرّع. انظر: ديوانه: ٤/ ١٦٥ـ١٦٨.
(٨) ورهاء: خرقاء: المرأة الحمقاء.

يا من إذا أصبحَ طلبَ بالمعاشِ الشهواتِ، وإذا أمسى انقلبَ إلى فراشِ الغفلاتِ، أين أنتَ من أقوامٍ نَصَبوا الآخرة بين أعينهم فَنَصَبوا[1]، فوفَّرَ النَّصَبُ نصيبهم ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ [ص: ٤٦] .

قال بعضُ السلفِ: لَقَيْتُ رجلاً في بَرِّيَّةٍ، فقلتُ: مِنْ أين؟ فقال: مِنْ عندِ قومٍ ﴿ رِّجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٣٧] ، قلت: وإلى أين؟ قال: إلى قومٍ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦] .

بنفسي مَنْ غداةَ نأيْتُ عنهم ... تركتُ القلبَ عِنْدَهُمُ رَهينا
أما لكَ أيُّها القلبُ اعتبارٌ ... بما فَعَلَ الهَوَى بالعاشِقِينَا

ملؤوا مراكبَ القلوبِ متاعاً لا يَنْفُقُ[2] إلا على الملك، فلمَّا هبَّتْ رياحُ الدُّجى دَفَعَتِ المراكبَ.

(لأبي إسحاق الغزي):

إذا الصَّبَا سحبَت أذيالَها سَحَراً ... على العَقِيْقِ وقَرَّتْ في رُبَى إضَمِ[3]
وحرَّشَتْ بين بانِ الجَزْعِ ظالمةً ... و شِيحِه[4] وَجَرَتْ في الضَّالِ[5] والسَّلَمِ[6]
تنفَّسَ الوجْدُ وارتاحَ المشوقُ لها ... وعاشَ بالرُّوحِ بعدَ الأخذِ بالكَظَمِ

يا سوقَ الأكل أين أربابُ الصيامِ؟ يا فُرُشَ النَّوْمِ أينَ حرَّاسُ الظلام؟ درَسَتْ والله المعالِمُ، ووقعتِ الخيامُ، قفْ بنا على الأطلالِ، نَخطُّها بالسلام.

(لمهيار)[7]:

---

(١) نصبوا: جدّوا واجتهدوا.
(٢) ينفق: يروّج.
(٣) إضم: اسم جبل في الحجاز.
(٤) شيحه: الشيح: نبت له رائحة طيبة، وطعم مر.
(٥) الضال: الواحدة ضالة، شجر من فصيلة السيقيات.
(٦) السلم: الواحدة سَلِمة، جنس شجر شائك من فصيلة القطانيات، ينبتُ في البلدان الحارة ثمره أصفر.
(٧) من قصيدة قالها يمدحُ الوزير زعيم الدين في النيروز. انظر: ديوانه: ٣/ ٣٢٧.

أيـنَ سكَّـانُـكِ؟ لا أيـنَ هُـمُ أجـازاً سَلَكُـوا[1] أمْ شـآمـا
قَـدْ وقفنـا بعـدَهُـمْ فـي رَبْعِهِـم فَنَهَبْنـاه استـلامـاً والتـزامـا

أتُرى أيَّ طريقٍ سلكوا؟ أتُرى أيَّ شِعْبٍ أخذوا؟.

حمـامـةَ الـوادييـن مـا الخبـرُ عـرَّجـوا بـالفـراتِ أم عَبَـرُوا

ما وصلَ القومُ إلى المنزِل إلا بعدَ طُولِ السُّرى، ما نالوا لذَّةَ الراحةِ إلا بعدَ مرارةِ التعبِ.

(لصُرَّدُرّ)[2]:

لـو قَـرُبَ الـدُّرُّ علـى جُـلَّابِـه مـا لجَّجَ الغـائـصُ فـي طِـلابِـهِ
ولـو أقـامَ لازمـاً أصـدافَـه لـم تكـنِ التِّيجَـانُ فـي حِسَـابِـهِ
مـا لـؤلـؤُ البَحْـرِ ولا مَـرجَـانُـه إلا وراءَ الهَـوْلِ فـي عُبـابِـه
مَـنْ يَعْشَـقِ العليـاءَ يلـقَ عِنْـدَهـا مـا لَقِـيَ المحبوبُ[3] مِـنْ أحبـابِـهِ

ما خَطِيَ الدينارُ بنقْشِ اسمِ الملِكِ، حتى صبَرتْ سبيكتُه على التردد إلى النار، فنفتْ عنه كلَّ كدَر، ثم صبَرتْ على تقطيعها دنانيرَ، ثم صبرت على ضربها على السكَّة، فحينئذٍ ظهرَ عليها رقمُ النَّقْشِ ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

كـم أحمـلُ فـي هـواكَ ذُلاً وعَنَـا كـم أصبرُ فيكَ تحت سقمٍ وضَنا
لا تَطْـرُدَنّـي فليـس لـي عنـكَ غِنا خـذ روحـيَ إذا أنـتَ أردتَ الثَّمنـا

مَنْ طلبَ الأنفَسَ هجرَ الألذَّ، من اهتمَّ بالجوهرِ نسيَ العَرَض، «يا صفراءُ

---

(١) في الديوان: (اقبلوها).
(٢) صُرَّدُرّ: هو علي بن الحسين، بغدادي، شاعر مجيد، له ديوان شعر مطبوع في دار الكتب المصرية (١٩٣٤م)، توفي (٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م) والأبيات من قصيدةٍ يمدحُ فيها الوزير ابن جهير بعد عودته إلى الوزارة. انظر: الديوان، ص٦٣ـ٦٦.
(٣) في (ب): المحبّ.

يا بيضاءُ غُرِّي غيري»[1].

مِنْ أجْلِ هواكمْ هويتُ العِشْقا ... قلبي كَلِفٌ ودمعتي لا تَرْقا[2]
في حُبِّكم يهونُ ما قَدْ ألقى ... ما يَبْعَدُ بالنَّعيمِ مَنْ لا يشْقَى

يا معاشرَ التائبينَ ﴿اَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، مكابدةُ البادية تهونُ عند ذكر منًى، المُضحي في بوادي الجوعِ والمُعْشِي في بَوادي[3] السهر إلى أن تلوحَ بِوادي[4] القبول، إن ونَتْ في السيرِ ركائبُكم. فأتيموا حداةَ العزْمِ تُدْلِجُ[5].

البَيْنَ يا أهلَ المطابا البينا ... لا يشتكي سوطُك البُطينا
يا حادِيَيْها مِنْ نُميرٍ عامرٍ[6] ... خُذا بها عَنْ حاجرٍ[7] يَمينا
حُلاَّ على وادي الغضا[8] نُسوعَها[9] ... وأرخيا بِرَامَةَ[10] الوضينا[11]
رِدا[12] بها ماءَ العُذَيبِ[13] عَلَّها ... تُشفى وتُطفِي داءَها الدَّفِينَا
واستخبرا بالجَزْعِ[14] أنفاسَ الصَّبا ... أينَ استقلَّ[15] الجيرةُ الغادونا

---

(١) الصفراء: الذهب. البيضاء: الفضة. وهذا من قول سيدنا علي رضي الله عنه حين وُزِّع ما في بيت المال على المسلمين، ولم يُبْقِ فيه شيئاً. رواه أحمد، وانظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي: ١/ ٣١٥.

(٢) لا ترقأ: لا تنقطع دموعها.

(٣) بَوادي: جمع بادية، من بَدا يبدو إذا ظهر، وهي الظاهرة.

(٤) بوادي: أي في وادي.

(٥) تدلج: تسير أول الليل.

(٦) نُمير وعامر: اسما قبيلتين من مضر.

(٧) حاجر: منزل للحجاج بالبادية.

(٨) وادي الغضا: وادٍ بنجد.

(٩) النسع: سيرٌ ينسج عريضاً على هيئة أعنّة النعال تشدُّ به الرحال.

(١٠) رامة: موضع بالبادية.

(١١) الوضين: بطانٌ عريضٌ منسوجٌ من سيور أو شَعَر.

(١٢) ردا: فعل أمر من الفعل يرد، وورود الماء: أشرف عليه، دخله أم لم يدخله.

(١٣) العذيب: وادٍ شمال المدينة.

(١٤) قرية عن يمين الطائف، وأخرى عن شمالها.

(١٥) استقل: ركب، امتطى، سافر.

يا مطروداً عن صحبة الصالحين، امشِ في أعراضِ الركب، وناشدْ حادي القوم، لعلَّه يتوقَّف لك.

يـا حـاديَ العيـسِ أصِـخْ لِمُـذْنَـفٍ ... مُتَيَّـمٍ لَـجَّ بـه الغَـرَامُ
إذا وقفـتَ فـي ثَنِيَّـاتِ اللِّـوى[1] ... ولاحـتِ الـدِّيـارُ والخيـامُ
وافترَّتِ الـريـاضُ عـن أزهـارهـا ... عُقَيْـبَ مـا قـد رحَـلَ الغَمَـامُ
وهَبَّـتِ الـريـحُ فهـبَّ شيحُهـا ... وانتبـهَ الحَـوْذانُ[2] والثمـامُ[3]
فقـفْ قليـلاً نَتَـزوَّدْ نظـرةً ... نَحْيَـى بهـا الأرواحُ والأجـسامُ

* * *

(١) اسم مكان.
(٢) الحَوذان: نبات عشبي من ذوات الفَلْقتين.
(٣) الثمام: نبت ضعيف، له خوص.

الفصل السادس

إخواني! انتبهوا من رَقَداتِ الأغمارِ[1]، وانتهبوا لحظات الأعمارِ، وقاطعوا الكسل، فقد قَطَّعَ الأعذارَ الإعذارُ[2]، واسمعوا زواجرَ الزَّمنِ، فما داجَى[3] الدُّجى ولقد بَهَرَ[4] النهار، وخذوا بالحَزم فقد شقيَ وتَلِفَ مَنْ رضيَ بشفا جُرفِ هارِ.

(للشريف الرضي)[5]:

تفـوزُ بنـا المَنـونُ وتَسْتَبِـدُّ ... ويـأخـذُنـا الـزَّمـانُ ولا نُـرَدُّ
وأنظُـرُ مـاضِـياً فـي إثـرِ[6] مـاضٍ ... لقـد أيقنـتُ أنَّ الأمـرَ جِـدُّ
رويـداً بـالفِـرارِ مِـنَ المنـايـا ... فليـسَ يفـوتُهـا الـسـارِي المُجِـدُّ
فـأيـنَ ملـوكُنـا الـماضـونَ قِـدْمـاً ... أعَـدُّوا للنـوائِـبِ واستعـدُّوا
أعـارَهُـمُ الـزمـانُ نعيـمَ عَيْـشٍ ... فيـا سُـرعـانَ مـا نُـزِعُـوا[7] ورُدُّوا
هُـمُ فَـرَطٌ لنـا فـي كـلِّ يـومٍ ... نمـدُّهُـمُ وإنْ لـم يَسْتَمِـدُّوا

العمرُ يسير وهو يسير[8]، فأقصِروا عن التقصير في القصير، دَرَاكِ دَراكِ[9]

---

(١) الأغمار: جمع غُمر - بالضم -، وهو الجاهل الغِرّ الذي لم يجرّب الأمور.

(٢) الأعذار: بفتح الهمزة، جمع عذر: الحجة التي يُعتلَّ به، والإعذار: بكسر الهمزة، علمٌ إبقاءِ موضع للاعتذار.

(٣) داجى: من المداجاة: المداراة والمجاملة.

(٤) بهر: أضاء.

(٥) قاله يرثي أبا طاهر بن ناصر الدولة وكان صديقاً له. انظر: ديوانه: ١/ ٣٦٦.

(٦) في الديوان: عقب.

(٧) في المطبوع: استلوا.

(٨) يسير الأولى: قليل، والثانية: يمشي.

(٩) دراكِ: اسم فعل أمر بمعنى أدرك.

قبل امتناعِ الفَكاكِ، حَذارِ حَذارِ[1] قبل عدم الفرار.

أما يحرّك سوقُ الرَّهَب سوقَ الهَرَب؟ أما يحثُّ التعليمُ على الدَّأَب مع الأدب؟ أليسَ الزمانُ يُميرُ ثم يُثيرُ؟ وهبْ أنَّه وَهَبَ[2]، أما ضرب[3] الدَّهرُ؟ فاستحالَ الضَّربُ[4]، مرَّ العُمرُ والغُمْرُ[5] مشغولٌ عمَّا ذهبَ بالذَّهبِ، كم فارقَ مَنْ رافقَ، فسَلا مَنْ سَلا بالسَّلَب[6]، أينَ الفَهِمُ؟ فَقَدَ المُعنَّى[7] المعنى، وعجَّ[8] العجبُ، أين الثمرةُ أيتها الشجرة؟ خابَ الرّغِب في الغَرَب[9].

حالَتْ غمائمُ الهوى بينكم وبين شمس الهدى، وغدا ما في يومكم يُنسيكم غداً، حتى كأنَّ الرحيلَ حديثُ خُرافةَ[10]، أو كأنَّ الزادَ يفضلُ عن المسافة.

أيها الشيوخ: آنَ الحصادُ، أيها الكهول: قَرُبَ الجَذاذ[11]، أيها الشباب: كم جرَّد الزرعَ جرادٌ.

يـا بـنَ آدم لا تغـرُرْكَ عـافيـةٌ عليـكَ شـاملـةٌ فـالعُمْـرُ معـدودُ

---

(١) حذار: اسم فعل أمر بمعنى: احذر.

(٢) وهب الأولى: بمعنى افترض. وهب الثانية: أعطى دون مقابل.

(٣) ضرب الدهر: أهلك وأمات.

(٤) استحال الضربُ: امتنعَ السيرُ في الأرض ابتغاء الرزق.

(٥) الغُمْرُ: بضم الغين: غير المجرب، من لا خير فيه، ولا غناء عنده في عقل ولا رأي ولا عمل.

(٦) سلا الأولى: نسي وطابت نفسه بعد الفراق. سلا الثانية: التسلّي والانشغال. السلب: ما يسلب من متاع الدنيا.

(٧) المعنّى: المتعب.

(٨) عجَّ: ضجَّ.

(٩) الرغب: شديد الرغبة. الغَرَب: الدلو العظيمة المملوءة.

(١٠) روت عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «أتدرون ما خرافة؟ إنَّ خرافة كان رجلاً من عُذْرة، أسرته الجِنُّ في الجاهلية، ومكث فيهم دهراً، ثم رفُوه إلى الإنس، فكان يحدِّث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس: حديث خرافة» رواه الترمذي وأبو يعلى وأحمد. انظر: كشف الخفا: ١/ ٤٥٢، رقم (١٢٠٧). وقال ابن الأثير في النهاية: أجروه ـ أي العوام ـ على كلِّ ما يكذِّبونه من الأحاديث، وعلى كلِّ ما يُستملَح ويتعجَّبُ منه.

(١١) الجَذاذ: بفتح الجيم، القطاف.

ما أنتَ إلا كزرعٍ عندَ خُضْرَتِهِ ... بكلِّ شيءٍ من الآفاتِ مقصودُ

فإنْ سلِمتَ من الآفاتِ أجمعِها ... فأنتَ عند كمالِ الأمرِ محصودُ

واعجباً! يتأمَّلُ الحيوانُ البهيمُ العواقبَ، وأنتَ لا ترى إلا الحاضرَ، ما تكادُ تهتمُّ بمُؤْنَةِ الشتاء حتى يقوى البردُ، ولا بمؤنةِ الصيفِ حتى يشتدَّ الحرُّ، ومَنْ هذه صفتُه في أمورِ الدنيا ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

هذا الطائرُ إذا عَلِم أنَّ الأنثى قد حَمَلَتْ، أخذَ ينقلُ العيدانَ لبناءِ العُشِّ قبلَ الوضعِ، أفتَرَاكَ ما علمتَ قربَ رحيلك إلى القبرِ؟ فهلاَّ بعثتَ لك فراشَ تقوى ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

هذا اليربُوع لا يتَّخِذُ بيتاً إلا في موضعِ صُلبٍ مرتفع، ليَسْلَمَ من سيلٍ أو حافرٍ[1]، ثم لا يجعلُه إلا عندَ أكمَةٍ أو صخرةٍ، لئلا يضلَّ عنهُ إذا عادَ إليه، ثم يجعلُ له أبواباً، ويرقِّقُ بعضها، فإذا أُتِيَ من بابٍ دفعَ برأسِهِ ما أرقَّ وخَرجَ.

اسمع يا مَنْ قد ضَيَّقَ على نفسه الخناق في فعل المعاصي، فما أبقى لعُذرٍ موضعاً، يا مقهوراً بغَلَبَةِ النَّفْسِ صُلْ[2] عليها بسَوْطِ العزمِ، فإنَّها إن عرفَتْ جِدَّكَ استأسرتْ لكَ، امتعها ملذوذَ مُباحِهَا ليقعَ الصلحُ على تركِ الحرام، فإذا احتجْتَ لطلبِ المباح ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

الدنيا والشيطان خارجيان[3] خارجان عليك، خارجان عنك، والنفس عدوٌّ مباطِن، ومن آداب الجهاد ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [التوبة: ١٢٣].

ليس من بارزَ بالمحاربةِ كمَنْ كَمَنَ[4]، ما دامت النفس حيَّةً تسعى، فهي

---

(١) الحافر: واحد حوافر الدابة، ويراد به هنا الدابة، وسمي حافراً لأنه يحفر الأرض بشدَّة دوسه.

(٢) صُلْ: فعل أمر من يصول، وصال على وزنه صولاً: سطا واستطال فهو صؤول.

(٣) خارجيان: مثنى: خارجيّ، والخوارج: فرقة كانت مع سيدنا علي رضي الله عنه، ثم خرجت عنه بحجة أنه قَبِل التحكيم، وقاتلهم في معركة النهروان، ولهم آراء خالفوا فيها أهل السنة والجماعة، وقد انقسموا فرقاً فيما بينهم.

(٤) كَمَنَ: تستر، ويقصد بها النفس، والمبارز: الشيطان.

حيةٌ تسعى[1]، أقلُّ فعلٍ لها تمزيقُ العمرِ بكفِّ التبذيرِ، كالخَرْقاء[2] وجدتْ صوفاً.

اخلُ بها في بيتِ الفكرِ ساعةً، وانظر: هل هي معك أو عليك؟.

نادِها بلسانِ التذكرةِ: يا نفسُ ذَهَبَ عرشُ بلقيس، وبَلِيَ جمال شيرين، وتمزَّقَ فَرْشُ بوران، وبقي نسكُ رابعة.

يا نفسُ! صابري عطشَ الهجير بحصُلِ الصوم، وتحزَّمي تحزُّمَ الأجيرِ، فإنَّما هو يوم:

جُدَّ[3] في الجِدِّ قد تولَّى العمْرُ كم ذا التفريطُ قد تدانى الأمْرُ
أقبلْ فعسى يُقبَلُ مِنْكَ العُذْرُ كم تبني كم تنقضُ كم ذا الغَدْرُ

يا هذا! ذرَّاتُ الوجودِ تستدعيكَ إلى الموجِدِ، ورسائلُ العِتابِ على انقطاعِكَ متصلةٌ، فما هذا التوقُّفُ؟.

كم كم ذا الهجرُ وافتراقُ الأحباب؟ هل بعدَ البُعْدِ للذي غابَ إياب؟
كم قد خطَّتْ إليكُمُ الكفُّ كتاب؟ خلوا ذا العتبَ ثم ما جاء جواب

يا هذا! دبِّرْ دينَك كما تدبِّر[4] دُنياك، لو علِقَ بثوبكَ مسمارٌ رجعتَ إلى وراءَ لتخلّصه، هذا مسمارُ الإصرارِ قد نشب[5] بقلبِكَ، فلو عُدْتَ إلى الندمِ خطوتين تخلَّصتَ.

هيهات صبيُّ الغفلةِ كلَّما حُرِّكَ نام.

يا مجنونَ الهوى إنَّما مارستانُ العُزْلةِ، وقَيْدُ الحِمْيَة، ومعالجةُ سلاسِلِ

---

(١) حية الأولى: من الحياة، حية الثانية: أفعى.
(٢) كالخرقاء: يشير إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].
(٣) في (ب): خذي.
(٤) في (ب): دبرت.
(٥) في (ب): تثبث.

التقوى، ومرافقةُ بِشْرٍ ومعروفٍ[1]، وإلا فمارستانُ جهنَّمَ، في أنكالِ العقوبة، وصُحبةُ إبليسَ.

لا بدَّ من جزمٍ وعَزْمٍ يؤخَذُ فيه بالحزمِ، لينتصرَ مِنْ عائثِ الشَّرَهِ[2] سلطانُ الأزمِ[3].

من رقَّ لبكاءِ الطفلِ لم يقدِرْ على فِطامِه.

كلُّ يومٍ تحضُرُ المجلسَ يقف لك الشيطانُ على الباب، فإذا خرجْتَ كما دخلْتَ قال: فَدَيْتُ مَنْ لا يُفْلِحُ.

وا أسفي كم تطلبُ الخَضِرَ وما ترى إلا الياس، ويحكَ اعرفْ قَدْرَ ما ضاعَ منك، وابكِ بكاءَ من يدري قيمةَ الفائتِ، وصِحْ في وقتِ السحر:

إنْ كانَ عهودُ وَصْلِكُمْ قد دَرَسَتْ[4] فالروحُ إلى سواكم ما أَنِسَتْ
أعضاءُ هواكمُ بقلبي غُرِسَتْ مُذُ وا بلقائكم وإلا يَبِسَتْ

لو استنشقتَ ريحَ الأسحارِ لأفاقَ قلبُكَ المخمورُ، لو تخايلْتَ قربَ الأحبابِ أقمتَ المآتمَ على بُعدِكَ.

ما أشوقني إلى نسيمِ الرَّنْدِ[5] يشفي كمدي إذا أتى مِنْ نَجْدِ
والشِّيحِ[6] فإنَّه مُثيرُ الوَجْدِ شوقي له، ووجدي وجدي

كان بعضُ السلفِ يقول في مناجاته: إلهي! إنَّما أبكي لأنَّكَ لمَّا قسمتَ الأقسامَ، جعلتَ التفريطَ حظِّي، فأنا أبكي على بَخْتي[7].

---

(١) أراد بشر الحافي ومعروف الكرخي الزاهدين المعروفين.
(٢) عائث الشره: فساد غلبة الحرص.
(٣) الأزم: الحمية.
(٤) درست: انمحت وزالت.
(٥) الرند: شجر طيب الرائحة.
(٦) الشيح: نبت صحراوي طيب الرائحة.
(٧) بختي: حظي.

قـدْ كنـتُ مِـنْ قَبْـلِ النَّـوى ... ممَّـا أُلاقـي جَـزِعـا
تـركتمـونـي بعـدَكُـم ... أَشْـرَبُ دَمْعِـي جَـرَعـا[1]

إخواني! تعالَوْا نُرِقْ دمعَ تَأَسُّفِنَا على قُبْحِ تَخلُّفِنا، ونبعثْ مع قاصدي الحبيب رسالةَ مُحْصَرٍ[2]، لعلَّنا نفوزُ بأجرِ المُصاب.

إنْ لم يرجعِ المفقودُ، يا أربابَ القلوبِ الضائعةِ ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٧].

هـذي معـالِمُهُـمْ وَمَـا ... لـي منـذ بـان[3] القـومُ عَهْـدُ
واهـاً لعيشـي بـالحِمَـى ... لـو كـانَ لـي يـومـاً يُـرَدُّ
ويلـي أحظُّـي كلُّـهُ ... مِـنْ حُبِّكُـمْ هَجْـرٌ وَصَـدُّ؟

* * *

(١) جرع: جرع الماء: بلعه، والتجرُّع: شرب في عجل.
(٢) مُحْصَر: ممنوع من السفر.
(٣) بان: انقطع وغاب.

الفصل السابع

إخواني! ذهبت الأيامُ، وكُتِبَتْ الآثامُ، وإنَّما ينفعُ العلامُ متيقِّظاً والسلام.

وعَظَتْنا بِمَرِّها الأيامُ ... وَأَرَتْنَا مَصِيْرَنا الأَرْجَامُ[1]

وَدَعَتْنا[2] المَنُوْنُ في سِنَةِ الغفلةِ ... هُبُّوا فاستيقظوا يا نيامُ

ليتَ شعري ما يَتَّقي المرءُ، والرامي ... له الموتُ، والخطوبُ سِهَامُ

منهلٌ واحدٌ شرائعه شتَّى ... عليه للواردينَ ازدحامُ

نتحاماه ما استطعنا، وتحدو ... نا إليه الشهورُ والأعوامُ

وإذا راعنا فقيدٌ تَسَنَّاهُ ... تناسَى ما راعهنَّ الشُّوامُ

أوقوفاً على غرورٍ، وقد زَلَّتْ ... بِمَنْ قبلَنا الأقدامُ؟

ووراءَ المصيرِ في هذه الأجدا ... ثِ دارٌ، يكونُ فيها المُقامُ

يا مَنْ صحيفتُه بالذنوبِ قد خُفَّتْ، وموازينُه لكثرةِ العيوبِ قد خَفَّتْ، يا مستوطناً والمزعجاتُ قد ذَفَّتْ[3]، لا تَعتَزَّ بأغصانِ المُنَى، وإن أورقتْ وَرَقَّتْ، فكأنَّك بها قد صوَّحَتْ[4] وجفَّتْ، أما رأيتَ أكُفّاً[5] عن مطالبها كُفَّتْ[6]؟ أما شاهدتَ عرائسَ أجسادٍ[7] إلى الألحادِ[8] زُفَّتْ؟ أما عاينتَ سطورَ الأجسامِ في كتابِ الأرجامِ قد أُدرِجَتْ ولُفَّتْ؟ أما أبصرتَ بُنُوْدَ العُمُرِ[9] في رقاعِ بقاعِ القاعِ قد

---

(١) الأرجام: جمع رِحم، وهو القبر.

(٢) دعتنا: أي نادتنا وطلبتنا.

(٣) ذفت: أسرعت وأجهزت.

(٤) صوّحت: يبست.

(٥) أكفّاً: جمع كف. وكُفَّت: مُنعَتْ.

(٦) في (ب): الأجساد.

(٧) الألحاد: جمع لحد، وهو الشق في القبر.

(٨) في (ب): قبور القوم.

صُفَّتْ؟ مَنْ عرفَ تصرُّفَ الأيامِ لم يُغفِلِ الاستعدادَ، إنَّ قربَ المنيَّةِ لَيُضحِكُ من بُعْدِ الأُمنية، ما جرى عبدٌ في عِنانِ أملِه إلا عثرَ في الطريقِ بأجله.

إخواني! خلقنا نتقلَّبُ في ستة أسفار، إلى أن يستقرَّ بنا المنزل:

السَّفَرُ الأول: سفرُ السُّلالةِ من الطين.

والثاني: سفرُ النُّطْفَةِ من الصُّلْبِ.

والثالث: من البطونِ إلى الدنيا.

والرابع: من الدُّنيا إلى القبور.

والخامس: من القبورِ إلى العَرْضِ.

والسادس: إلى منزلِ الإقامة.

وقد قطعنا نصفَ الطريقِ، وما بعدُ أصعب.

إخواني! السنونُ مراحل، والشهور فراسخُ، والأيامُ أميالٌ، والأنفاسُ خطواتٌ، والطاعاتُ رؤوسُ أموالٍ، والمعاصي قطّاعُ الطريقِ، والربحُ الجنةُ، والخسرانُ النار، لهذا الخطبِ شمَّرَ المتَّقونَ عن سُوق[1] الجِدِّ في سُوقِ المعاملةِ، كلَّما رأَوا مراكبَ الحياةِ تَخْطَفُ[2] في بحرِ العمرِ، شغلَهم هولُ ما هم فيهِ عن التنزُّهِ في عجائبِ البحر، فما كان إلا القليل حتى قَدِمُوا من السَّفرِ، فاعتنقتهم الراحةُ في طريقِ التلقِّي، فدخلوا بلدَ الوصل وقد حازوا ربحَ الآخرة[3].

(لمهيار)[4]:

زمُّوا المطايا فدمعٌ مطلقٌ أيمنَ ... العدوى ودمعٌ وراءَ الخَوفِ مأسورُ
فلم تهبهب بأولي الزجرِ سائقهم ... حتى تشابه مهتوكٌ ومستورُ

---

(١) سوق: جمع ساق يشير إلى مضمار المسابقة بالأعمال الصالحة في الدنيا.

(٢) تخطف: استلب. والخطف: الأخذ في سرعة.

(٣) في (ب): الدهر.

(٤) من قصيدة كتبها إلى الأمير شهاب الدولة منصور بن الحسين بن دبيس. انظر: ديوانه: ٢/١٠٣.

فغلَّسوا من زُرودٍ[1] وجةَ يومِهِمُ وحَطَّهُم لظلالِ البانِ تهجيرُ
وضمنوا الليلَ سَلعاً إذ رأوه وقد غنَّت على فَنَنَيْ سَلعِ العصافيرُ

أهلُهم أقصر من فِتْر، منازلهم أفقرُ من قبر، نومهم أعزُّ من الوفاء، السهر عندهم أحلى من رقدة الفجر، أخبارُهم أرقُّ من نسيم السحر، آماقهم بالدموع الدائمة ذائبة[2]، والهموم على الجوانح جوانح[3]، لأنفاسهم[4] أنفاسٌ مِنْ مِثْلها يهيجُ البهيج، روضُ رياضِهم[5] مطلولُ الخمائِل، يُحَدِّثُ ريّاً ريُهم عنهم، فالرائحةُ رائحة[6] بالخبرِ.

(لمهيار)[7]:

يا سائقَ الأظعانِ إنَّ مَعَ الصَّبا خبراً لو أنَّكَ للصَّبا تتوقَّفُ
هبَّت بعارفةٍ تسوقُ مِنَ الحِمَى[8] أَرَجاً بريّا أهلُه يَتَعرَّفُ

خُذْ حديثَ القوم جملةً واقنعْ بالعنوان، كواكبُ هممهم في بروجِ عزائِمهم سيارة، ليس فيها زُحَل، ناموا في الدجى على مهادِ القلق، فلما جُنَّ الليل جُنَّ الحَذِرُ، فاستيقظتْ عينٌ ما تهنَّأتْ بطعمِ الرُّقادِ.

كفى سائقاً بالشَّوقِ بين الأضالعِ [لهبُ اشتياقٍ ثُمَّ فيضُ مدامعِ][9]

ركبوا عيسَ[10] القَصْد، وركبوا الجادَّة، فلمَّا غَنَّتِ الحُداةُ، رنَّت الفلاةُ،

---

(١) زرود: موضع في الحجاز يتنزَّل به المحبُون، والبان: شجر.
(٢) في (ب): دائمة.
(٣) الجوانح: الأضلاع، جمع جانحة.
(٤) في (ب): لأنفسهم.
(٥) في (ب): رياضتهم.
(٦) رائحة: ذاهبة وماضية، وتأتي بمعنى: راجعة، كقوله ﷺ: «تغدو خماصاً وتروح بطاناً».
(٧) من قصيدة كتبها إلى الكافي أبي عبد الله القاني في المهرجان. انظر: ديوانه: ٢/ ٢٦٨.
(٨) في الديوان: الصبا.
(٩) زيادة من (ب).
(١٠) العيس: الإبل.

فأعربت أبياتُ الشِّعْرِ، عن أبيات الشَّعْرِ، فعَصَفت رياحُ الزفراتِ من قلبِ المشوقِ فانقطعَ[1] سِكرُ الدَّمع، فلو رأيتَ وَكْفَ شؤونهم[2] قلتَ: قد انقطعَ شِريان الغمام، هذا يعاتِبُ نفسَه على التقصير، وهذا يتفكَّرُ في هول المصير، وهذا يخافُ من ناقد بصير، منازلُ تعبُّدِهم متناوحةٌ[3]، في كلِّ بيتٍ منهم نائحة، تائهُم أبكى مِنْ متمّم[4]، ومحبُّهم أيتَمُ من مرقِّش[5]، ومشتاقهم أقلقُ من قيسٍ[6]، وكلُّهم قد باتَ بليلِ النابغةِ[7]، التائبُ يقول: أنا المقرُّ على نفسي بالجنايةِ، أنا الشاهدُ عليها بالخيانةِ.

أُعنفُ عنّي وأقِلْني عثرتي ... يا غِياثي لمُلمّاتِ الزَّمنْ
لا تُعاقبْني فقد عاقَبَني ... ندمٌ أقلقَ روحي في البَدَنْ
لا تُطَيِّرْ وَسَناً عن مقلتي ... أنتَ أهديتَ لها طِيبَ[8] الوَسَنْ
يا حبيبي بلسانِ العربي ... ولسانِ الفارسي (يا دُوْست مَنْ)[9]

---

(١) في (ب): فانقلع.
(٢) شؤونهم: مجاري الدمع من العين، مفردها: شأن.
(٣) متناوحة: متقابلة.
(٤) متمم: هو متمم بن نويرة، رثى أخاه مالكاً، وبكى عليه حتى دمعت عينُه العوراء. انظر: أسد الغابة: ٥/ ٥٨.
(٥) مرقش: هو عوف بن سعد، شاعر جاهلي من المتيمين الشجعان، عشق أسماء ابنة عمّه، فتزوجت غيره، فمرض، ثم قصدها، فمات في حيها. انظر: الأعلام: ٥/ ٩٥.
(٦) يشير إلى قول قيس بن المُلوَّح الشاعر الغزلي المتيّم بليلى، والملقب بالمجنون لهيامه بحبها:

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغْدَى ... بليلى العامريةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزَّها شَرَكٌ فباتَتْ ... تُجاذِبُهُ وقد طلعَ الصَّباحُ

الأعلام: ٥/ ٢٠٨.
(٧) ليل النابغة: يشير إلى قول النابغة:

فبتُّ كأنَّ العائداتِ فَرَشْنَ لي ... هراساً به يُعلى فراشي ويُقشَبُ

قيل: ليلة نابغية؛ أي: لا يُنام فيها.
(٨) في (ب): حلو. والوسن: النعاس.
(٩) (دوست من): حبيبي بالفارسية.

والمتعبِّدُ يبكي على القبورِ بكاءَ ثكلى بين القبور، ويندُبُ على زمانِ الوصالِ، ويتأسَّفُ على تغيُّرِ الحال.

قد كانَ لي مَشْرَبٌ يصفو برؤيتكم ... فكدَّرتْـهُ يـدُ الأيـامِ حيـنَ صَفـا

والخائفُ ينادي: ليتَ شعري ما الذي أسقطني من عينك؟ أَقُلْتَ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨].

لأيَّـــةِ عِلَّـــةٍ ولأيِّ حـــالٍ ... صَرَمْتَ حبالَ وصلكَ عَنْ حبالي
وعـوَّضـتَ البِعَـادَ مـن التـداني ... ومُـرَّ الهَجْـرِ مِـنْ حُلـوِ الـوِصـالِ
فـإنْ أكُ قـد جنيـتُ عليـكَ ذنبـاً ... ولـم أشعـرْ بقـولٍ أو فعـالِ
فعـاقبْنـي عليـه بـأيِّ شـيءٍ ... أردتَ سـوى الصـدودِ فما أبـالي

وصريعُ المحبَّةِ يستغيثُ وينادي، حتى أقلقَ الحاضرَ [والبادي][1].

تحمَّلَ أصحابي ولم يجدوا وَجْدي ... وللناسِ أشجانٌ ولي شَجَنٌ وحدي
أُحِبُّكُـمُ مـا دُمْـتُ حيّـاً وإنْ أمُـتْ ... فـواكبـدي فمَـنْ يُحِبُّكُـمْ بعـدي

وقتيلُ الشوقِ يَعلَّلُ بما يرى، ويتشبَّثُ بما يَسْمعُ، يرتاحُ إلى السحر، ومقصودُه غيرُه، وإلى الشجرِ ومُغنيته طيره.

(المهيار)[2]:

أيـا بـانـةَ الغَـوْرِ عَطْفـاً سُقيـتِ ... وإن كنـتُ أعنـي وأكنـي سـواكِ
أُحِبُّـكِ مـن أجـلِ مَـنْ تعلمينَ ... لـو انـي أراهُ كمـا قَـدْ أراكِ
ذكَـرتُ ويـا لهفـي هـل نَسِيْـتِ ... ليـالٍ أسهـرُهـا فـي ذَراكِ[3]
كفى الوجْـدُ أني إذا ما استرحتُ ... إلـى اسمـكِ عتّبْـتُ بـالأراكِ
إذا الصـدُّ أرضـاكِ فهـو الـوصـالُ ... فـأنّـى فعلـتِ فـأهـلاً بـذاكِ

* * *

(١) زيادة من (ب).
(٢) انظر: ديوانه: ٢/٣٦٦ـ٣٦٧.
(٣) الذرا: الكنف.

الفصل الثامن

الشهواتُ تغرُّ وتَغُرُّ[1]، وتُمِرُّ عيشَ العواقب وتَمُرُّ[2]، وتُبكي عينَ الندمِ أضعافَ ما تُسِرُّ، ألا يقظٌ؟ ألا حَذِرٌ؟ ألا حرٌّ؟.

هل الدهرُ إلا ما عَرَفْنا وأدركنا ... فجائِعُهُ[3] تبقى، ولذاتُه تفنى

إذا أمكنتْ فيه مسرَّةُ ساعةٍ ... تولَّتْ كمرِّ الطرفِ واستخلَفتْ حُزنا

إلى تبعاتٍ في المعادِ ومَوْقِفٍ ... نوقُ لديه أننا لم نكنْ كُنَّا

حصلنا على همٍّ وإثمٍ وحسرةٍ ... وفاتَ الذي كُنَّا نَلُذُّ به عَنَّا

كأنَّ الذي كُنَّا نُسَرُّ ببعضه[4] ... إذا حققته النفسُ لفظٌ بلا معنى

إنَّ المواعظَ قد أفصحتْ وأعربتْ، غير أنَّ الزخارفَ للواحظ قد أدهشتْ وأعجبتْ، وإنَّما تُقْطعُ مراحِلُ الجِدِّ بالعزْمِ والصبْرِ، ونظرُ اللبيبِ المُجدِّ إلى آخرِ الأمرِ، أو ليسَ الصحيحُ يَعرِضُ له عارضُ الأسقامِ والأوصاب؟ أوَمَا المسرورُ بالعَرَضِ[5] كالغَرَضِ[6] لسهامِ المُصاب؟ أوَما يكفي من الزواجرِ كفُّ كفِّ الأحداثِ[7] مبسوطةً الأملِ؟ أما يشفي من البيانِ عِيانُ الأعيانِ[8] في الأجداثِ خالين بالعملِ؟ أينَ مَنْ فاقَ قِمَمَ الشرفِ فَعَزَل وولَّى؟ أما ذاقَ ألمَ المنصرَفِ فنزلَ

---

(١) تَغرّ: بالغين المعجمة من الغرور. وتَغُرُّ: بالمهملة من الغرّ، وهو الإصابة بمكروه يلطخ بالعار.

(٢) تمر الأولى: من المرارة. والثانية: من المرور.

(٣) فجائعه: جمع فجيعة، وهي المصيبة.

(٤) في (ب): بكونه.

(٥) العَرَض: العَرَض: المتاع.

(٦) كالغَرَض: الغرض: الهدف والدريئة.

(٧) كف الأحداث: راحة النوازل والمصائب.

(٨) عِيان الأعيانِ: رؤية أشراف الناس.

وولَّى[1]؟ أين من نشأ في عُلا ونُهى وندى[2]؟ سُلب ولم يشأ حُلّى[3] ولُهَى[4] وجدى[5]، أين المسرورُ بشهواتِ أمسِه؟ حَزِنَ، أين المغرور بلذاتِ نفسِه؟ غُبِنَ:

فيا آملاً أن يخلُدَ الدهرَ كلُّه ... سَلِ الدَّهرَ عن عادٍ وعن أُخْتِها إرَمْ
إذا ما رأيتَ الشيءَ يُبليه عمرُهُ ... ويُفنيه أنْ يبقَى ففي دائه عقمْ
يروحُ ويغدو وهو من مَوْتِ غِبطةٍ[6] ... ومَوْتِ فناءٍ بين فكين من جَلَمْ[7]
تُحدُّ لنا أيدي الزمانِ شِفارَه[8] ... ونَزْتعُ في أكلائِه[9] رَتْعَةَ النَّعَمْ[10]
نُراعُ إذا ما الموتُ صاحَ فنرعوي[11] ... وإنْ لم يَصِحْ يوماً براتعنا خَضَمْ[12]
ألا إنَّ بالأبصارِ عن عِبرةٍ عَمًى ... ألا إنَّ بالأسماعِ عن عِظَةٍ صَمَمْ
سيُكشَفُ عن قَلْبِ الغبيِّ غِطاؤه ... إذا حفَّه يوماً على صدرِه جَثَمْ

يا معتقداً دار القُلَّعة قَلْعة[13]، أما تراها تميد بسكانها، والشاهد ما يشاهد

---

(١) ولَّى الأولى: من التولية والتنصيب، الثانية: من الانصراف والذهاب.

(٢) عُلا ونُهى وندى: سمو وعقل وكرم.

(٣) حلى: الحَلْي: اسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة، والجمع: حُلِي، وجمع الحلية: جلى كلحية ولحى. وتفم الحاء حُلى، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا ﴾ [الأعراف: ٤٧]، وقال: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ ﴾ [الزخرف: ١٨].

(٤) لهى: جمع لهوة وهي العطية، وقيل: أفضل العطاء وأجزل (النهاية في غريب الحديث).

(٥) الجدا والجدوى: العطية. والجدى: الأعطيات.

(٦) موت غبطة: يكنى به عن المصائب والآلام التي تميت السرور في الإنسان، فالإنسان بين موت السرور وموت الحياة.

(٧) الجلَم: المقص وما يُجزُّ به، وهما جَلَمان.

(٨) شفاره: جمع شفرة: وهي السكين العظيم، وما عُرِّض من الحديد وحدِّده، وجانب النصل، وحدّ السيف.

(٩) أكلاه: جمع كلأ، وهو العشب، ويشير به إلى النَّعَم.

(١٠) النَّعَم: الأنعام من الإبل والبقر والغنم.

(١١) نرعوي: نزدجر.

(١٢) خَضَم: أكل بجميع فمه.

(١٣) القُلْعة: بضم القاف، التي يقلع عنها. وقَلعة: بفتحها، الحصن.

عواصفَ الحوادثِ تنسف جبال المقتني، ومعاولُ الزمان تهدمُ مَشيدَ المبتني، وكلَّما ارتفعَ كثيبُ أملٍ وهالَ[1] انهال[2]، يا مهلكاً نفسه التي لا قيمة لها لأجل دنيا لا وقع[3] لها، إلى كم هذا الحرصُ وما تنالُ غيرَ المقدور؟ أما رأيتَ مرزوقاً لا يَتْعَبُ ومتعَباً لم يُرزقْ؟ هذا موسى في تقلقل ﴿أَرِنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وما أُري، ومحمد ﷺ يُزْعَجُ عن منامه[4] وما طَلَبَ، «وقضاها لغيري وابتلاني بحبها»[5] واعجباً يَطلب موسى التجلِّي، [فيُمنع][6] ويُرزقُ الجبل!.

أراكَ[7] الحِمَى قُلْ لي بأيِّ وسيلةٍ تـوسلـتَ حتى قَبَّلَتْكَ[8] ثغورُها

لقد أنضى[9] الحِرْصُ مطيَّةَ عُمْرِك، وما وصلتَ بلد الأمل، لو قنعتِ الذبابةُ بطَرَفِ ظَرْفِ العسل ما تَلِفَت، لو عرفَتْ قيمةَ نفسها رخَصت أوْ غَلَتْ ما أَوْغَلَتْ[10]، شقائقُ اللذَّةِ تُرَوِّقُ بصر الحسّ، وبينَ العواقب تَضحَكُ من المغرور.

يا دنيءَ الهمَّةِ أعجبتكَ خُضْرةٌ على مزبلة، فكيف لو رأيتَ فردوس المَلِكِ؟ قَنِعْتَ بخسائس[11] الحشائش والرياضُ معشبةٌ بين يديك، تَقَدَّمْ بالرياضة خطواً وقد وصلت.

الغـورَ يـا ركـابنـا الغـورَ إذن إنْ صـدَق الرائـدُ فـي هـذا الخبر
وإن حننـتَ للحمـى وروضِـه فبـالغضـا مـاءٌ وروضـاتٌ أُخَـر

---

(١) هال: صار هائلاً جسيماً معجباً، يقال: هالت المرأة الناظر بحسنها: أعجبته.

(٢) انهال: مطاوع أهاله جرى وانصب، وهال الرمل: دفعه وأرسله دون أن يرفع عنه يده.

(٣) في المطبوع: دفع.

(٤) يزعج عن منامه: يشير إلى مجيء جبريل إليه في ليلة الإسراء والمعراج، حيث كان في الحجر بين النائم واليقظان.

(٥) هذا صدر بيت لمجنون ليلى، عجزه: فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا.

(٦) زيادة من (ب).

(٧) أراك: جمع أراكة، شجرة تستعمل عيدانها مساويك ينظف بها الفم كالفرشاة.

(٨) في (أ): (صافحتك) وليس بشيء.

(٩) أنضى: أهزل وأبلى.

(١٠) أوغلت: من الإيغال: وهو التمادي والسير السريع والإمعان فيه.

(١١) خسائس: جمع خسيسة مؤنث خسيس وهو الدنيء الحقير، وهنا بمعنى: أخسّ الحشائش. وفي (أ): بخشاش.

الهممُ تتفاوتُ في جميع الحيوانات:

العنكبوتُ من حين يولد ينسجُ لنفسِه بيتاً، ولا يقبلُ مِنَّةَ الأم، والحيَّةُ تطلبُ ما حفره غيرُها، إذ طبعُها الظلم.

الغُرابُ يَتَّبِعُ الجيف، والأسدُ لا يأكل إلا في الغاب[1].

الكلبُ يُنَضنِضُ[2] لثرمى له لقمةٌ، والفيلُ يُتَمَلَّقُ حتى يأكل.

للصيد كلابٌ، وللمَدْبغة كلابٌ.

أين الأنفة؟ النحلُ يغضَبُ ويُتَرَضَّى من لجاج، والخنفساءُ تطرد فتعود.

الاختبارُ يُظهِرُ جواهرَ الرجالِ، بعثت بلقيس إلى سليمان هديةً لتَسْبُرَ بها قدر همَّتِه، فإن رأتها قاصرة، علمتْ أنَّه لا يصلح للمعاشرة، وإن رأتها عاليةً تطلبُ ما هو أعلى، تيقَّنتْ أنه يصلُح.

يا هذا! الدنيا هديةُ بلقيس، فهل تقبلُها أو تطلبُ ما هو أنفس؟.

ويحك! أحسنُ ما في الدنيا قبيحٌ، لأنه يشغَلُ عمَّا هو أحسن منه.

أترى لو ابتليناك بتركِ عظيم كيف كنت تفعل؟ إنَّما رددناك عن دنَس، ومنعناك من كَدَر، ثم ما علمتَ أنَّ الثواب على قَدْرِ المشقَّةِ.

ويحك! إنَّ الأرياحَ الكثيرةَ في الأسفارِ البعيدة.

الصبر والهوى ضرتان، فاختر أحسنَ الضَّرَّتين، فما يمكن الجمع.

مَنْ دامَ به الخُمار[3] في ديار الهوى، لم يفتح عينَه إلا في منازلِ البِلى.

مَنْ غَرِقَ بنهر المعلى قفا تحت البلد، وا عجباً! أَعُدِمَ نظرُ العقلِ بِمَرَّة؟ أو بعينه رمد؟.

---

(١) في (ب): البانت.

(٢) نضنض: حرَّك لسانه.

(٣) الخُمار: بقية السكر.

لو قيل لك: ارمِ ثوبكَ على هدفٍ مرمى لم تفعل إشفاقاً عليه، وهذا دينُك في عَرَضٍ عَرَضِكَ قد تمزَّقَ من نَبل الهوى.

لو قيل: زِدْ في النفقة خِفْتَ على المال، وقد حِفْتَ[1] في إنفاقِ العُمْرِ على معشوقِ البطالة.

رمّيْتَ يوسفَ قلبك في جُبِّ الهوى، وجئْتَ على قميصِ الأمانةِ بِدَمٍ كَذِبٍ.

ويحك! كلَّما أوغَلْتَ في الهوى زادَ التعرقلُ.

ويحك! ما يساوي النصابُ المسروقُ قطعَ اليد؟.

مجلسُنا بَحرٌ، والفكرُ غوّاصٌ يستخرجُ الدُّرَّ، ومراكبُ القلوبِ تسيرُ إلى بلدِ الوَصْلِ، وأنتَ تقفُ على الساحلِ ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤].

إنَّ قعرَ جهنَّمَ لبعيد، ولكنَّ هِمَّتَكَ أسفلُ منه، خَنَقَنا دخانُ التخويف، افتحوا للرواح:

إلى كَمْ عِتابٌ يسدُّ الفَضَا ... سلامٌ عليكم مَضَى ما مَضَى

* * *

(١) حفت: من الحيف، وهو الجور والظلم، وفي (أ): زدت.

الفصل التاسع

الزمانُ أنصحُ المؤدِّبينَ، وأفصحُ المؤذِّنين، فانتبهوا بإيقاظِهِ، واعتبروا بإنقاضه[1].

فكمْ هذا التصامُمُ والتعامي ... وكَمْ هذا التواكل[2] والتَّواني
لَو انَّا[3] فهمنا عن خرابِ ... الديارِ مقالَها لم يَبْنِ بانِ
ويجني العيشُ كلَّ أذى ويُهْوى ... فيا للعيشِ يُعْشَقُ وهو جانِ
فللهِ الأُلى دَرَجوا جميعاً ... وزادُهُمُ النجاةُ مِنَ الهَوانِ
وما علقوا من الدنيا بشيءٍ ... سوى بُلْغٍ بأطرافِ البنانِ
ولمَّا أنْ رَضُوا شُعَثَ النَّواصي ... تقًى، وَهَبُوا التصُّحَ للغواني

لله دَرُّ العارفينَ بزمانهم! إذ باعوا ما شانَهُمْ[4] بإصلاحِ شأنِهِمْ، ما أقلَّ ما تعبوا! وما أيسرَ ما نصبوا! وما زالوا حتى نالوا ما طلبوه، شمَّروا عن سُوْقِ الجِدِّ في سُوْقِ العزائم، ورأوا مطلوبهم دونَ غيره ضريبةَ لازم، وجادوا مخلصين، وربحوا إذ خسر حاتم[5]، وصيَّحوا منزلَ النجاةِ وأنتَ في اللهوِ نائم، متى تسلكُ طريقَهم يا ذا المآثم؟ متى تَنْدُبُ الذنوبَ ندبَ المآتم؟ يا رجالاً! ما بانَتْ رجولتُهم إلا بالعمائم! يا إخوانَ الأمل قد بقي القليلُ، وتَفَنَّى المواسم، أين أنتم من القوم؟ ما قاعدٌ كقائم.

(لمهيار)[6]:

---

(١) والإنقاض: نقض البناء وتفكيكه، وفي (ب): بإنقاصه.
(٢) في (ب): التغافل.
(٣) في (ب): أنْ قد.
(٤) شانهم: عابهم.
(٥) حاتم: يشير إلى حاتم الطائي حيث اشتهر بالكرم، وخسارته من حيث إنه لم يَجُدْ به.
(٦) من قصيدة قالها في صديق يتألَّم لفقد جماعةٍ من إخوانه. انظر: ديوانه: ١/٤٠٦ ـ ٤١١.

صَحِبَ اللهُ راكبيـنَ إلـى العـزِّ طـريقـاً مِـنَ المخـافـةِ وَعْـرا
شربوا الموتَ في الكريهةِ حُلواً خوفَ أنْ يشربوا مِنَ الضَّيْمِ مُرّا

أنفَ القومُ من مزاحمة الخلق في سوق الهوى، وقَوِيَ كربُ شوقهم فلم يحتملوا حصرَ الدنيا، فخرجوا إلى فضاء العزِّ في صحراء التقوى، وضربوا مخيَّمَ الجِدِّ في ساحةِ الهدى، وتخيَّروا شواطئَ أنهارِ الصِّدْقِ فشَرَعُوا فيها مشارعَ الهِكَا، وانفردوا بقَلْقِهم فساعدهم ريم الفلا، وترنَّمتْ بلابلُ بَلْبالِهم[1] في ظلام الدُّجى، فلو رأيتَ حزينهم يطلب[2] الرضا على جَمْرِ الغَضا[3]، فيا محبوساً عنهم في سِجْنِ الحِرْصِ والمُنى، إن خرجتَ يوماً من سجنكَ لترويح شَجَنك من غمِّ البلوى فعرِّجْ بذلكَ الوادي.

للشريف الرضي[4]:

عـارِضَـا بـي ركـبَ الحجـازِ أسـائلُـهُ متـى عهـدُهُ بسكـانِ سَلـعِ
واستمِلاً حديثَ مَنْ سَكَنَ الخَيْفَ ولا تكتبـاهُ إلا بِـدَمْعِـي
فـاتنـي أنْ أرى الـديـارَ بطـرْفـي فلعلّـي أرى الـديـارَ بِسَمْعـي
كلَّمـا سُـلَّ مِـنْ فـؤاديَ سهـمٌ عـادَ سهـمٌ لكم مضيضَ[5] الوَقـعِ
مَـنْ معيـدٌ أيـامَ جَمْـعٍ علـى مـا كـانَ منهـا، وأيـنَ أيـامُ جَمْـعِ؟
طـالـبٌ بـالعـراقِ ينشـدُ ميهـات زمـانـاً أضلّـهُ بـالحِـزَعِ

يا مُعوِّقاً بكثرة القواطع، خَلِّصِ الماء من ضيق الأنابيب، وانظر كيف يسرح؟ إلى متى تألفُ غُثَّ الصِّبا، سافرْ مع الرجال؟ لو عبرتَ بطنَ النَّجَفِ لاستنشقتَ ريحَ الحجازِ، حدِّثْ نفسَكَ بأرضٍ نجدٍ يَهُنْ عليها عبور العقبة، ذَكِّرْها قُرْبَ مِنًى وقد درَجْتَ المدرج.

---

(١) بلبالهم: البلبال: الهم ووسواس الصدر، يشير إلى همّ الآخرة، والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى.
(٢) في (ب): لطلب.
(٣) الغضا: شجرٌ وقوده من أجود الوقود عند العرب.
(٤) من قصيدة قالها عام (٣٩٥هـ). انظر: ديوانه: ٢/ ٦٥٧.
(٥) مضيض: مؤلم.

(لمهيار)[1]:

مَـنْ بمنًـى وأيـنَ أيـامُ مِنًـى[2] كـانـت ثـلاثـاً لا تكـون أربعـا
سَلَبْتمـونـي كَبِـداً صحيحـةً أمـس فـرُدُّوهـا عليَّ قِطَعـا
عَـدمْتُ صبري فجزِعْتُ بَعدَكُمْ ثُـمَّ ذُهِلْـتُ فَعَـدِمْـتُ الجَـزعـا
ارتجِعـوا لـي ليلـةً بحـاجـرٍ إنْ تـمَّ فـي الفـاتِ أن يُـرتَجَعـا
وغفلـةٍ سـرقتُهـا مـن زمنـي بِلَعْلَـعٍ سقـى الغَمـامُ لَعْلَعـا

يا صبيانَ التوبة، هلالُكم خَفِي، فدُوموا على المعاملةِ يَصِرْ بدراً، لا بدَّ مِنْ ضِيْقٍ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٥].

الطبعُ يَجنُّ إلى المألوفِ، والولدُ يطلب ما يشتهي، والزوجةُ تروم سَعَةَ النفقة، والورعُ يختم كيس التصوُّفِ ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١].

أيدي صبيان التوبة في أفواههم بعدَ طَعْمِ الرضاع، بينا ليل زللهم قد عسعس، إذا صُبْحُ توبتِهم قد تَنفَّسَ، فكلَّما احترقت قلوبُهم بالخوف، تعرضوا بنَسَماتِ الرجاء للعفو.

لا عـدا الـروح مـن تهـامـة أنفـا سـاً إذا استـروحـتْ تَمَيَّمْتُ نجـدا

يا صبيانَ التوبةِ طبيبُكُم متلطِّفٌ، تارةً بالتشويقِ، وتارةً بالتخويف.

هذه الطيرُ إذا انشقَّ بيضُها عن الفِراخِ، علمَ الأبُ والأمُ أنَّ حوصلةَ الفرخِ لا تحتملُ الغِذاءَ، فينفخانِ الريحَ في حلقِه لتَّسِعَ الحوصلةُ، ثمَّ يَعْلمانِ أنَّ الحوصلةَ تفتقِرُ إلى دبغٍ وتقويةٍ، فيأكلانِ من صاروجِ الحيطان[3] ثمَّ يزقَّانِه إيَّاه، فإذا اشتدت الحَوْصَلةُ زَقَّيَاه الحَبَّ، فإذا علما أنَّه قد أطاقَ اللَّقْطَ منعاه بعضَ المنعِ، فإذا جاعَ لَقَطَ، فإذا رأياه قد استقلَّ باللقطِ ضرباه بالأجنحةِ إذا سألهما الزَّقَّ.

---

(١) من قصيدة كتبها إلى العميد أبي الحسين محمد بن علي العزرع. انظر: ديوانه: ٢/ ٢١٢.
(٢) أيام منى: أيام التشريق الثلاثة.
(٣) الصاروج: هو شيء فيه ملوحة كالسيخ.

فتأمّلوا تدبيري لكم في المواعظِ، الطفْلُ لا يصبرُ عن الرضاع ساعةً، فإذا صارَ رجلاً صَبَرَ عن الطعام يومين، إنّما تقعُ الكُلْفَةُ بقدر الطاقة، لمَّا كان الطاؤُ يحتـاجُ أن يـزقَّ فرخَه، لم يُحملْ عليه إلا تدبير بيضتين، ولما كانت الدجاجـةُ تحضنُ ولا تَزُقّ كان بيضُها أكثر! ولما كانت الضَّبَّةُ[1] لا تحضن ولا تزقّ صارتْ تبيضُ ستين بيضة، وتسدُّ الباب عليهنَّ، وتعدُّ الأيام فيخرجن[2].

كلَّما قويَ الحامل زِيْدَ في الحمل، في أول مقام يقول: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وفي أوسطه: «بعيني ما يتحمَّلُ المتحمِّلون»[3]، وفي المقام الأعلى: «كذبَ من ادعى محبَّتي، وإذا جَنَّهُ الليلُ نامَ عنّي»[4].

كان (أبو سليمان الداراني) يَبكي حتى يَنْفَدَ الدمعُ من عينيه، وكان (عطاءُ السلمي) يبكي حتى لا يَقْدِرَ أنْ يبكي.

يـا مُنْفِـداً مـاءَ الجفـونِ وكنـتُ أُنفِقُـه عليـهِ
إنْ لـم تكـنْ عينـي فـأنـتَ أعـزُّ مَـنْ نظـرتْ إليـهِ

كانوا إذا ضيَّقَ الخوفُ عليهم الخناقَ نفَّسوه بالرجاءِ، فكان (أبو سليمان) يقـول: إلـهي إنْ طالبتني بذنبي[5] طالبتـكَ بكَرَمِـك، وإن أسكنتني النـار بين أعدائِكَ، لأخبرنَّهم أني كنتُ أُحِبُّك.

وكان (يحيى بن معاذ) يقول: إن قال لي يومَ القيامةِ: عبدي ما غرَّكَ بي؟ قلت: إلـهي برُّكَ بي.

---

(١) الضبة: أنثى الضب.

(٢) في (ب): وتحفر لهن وتترك الباب عليهن وبعد أيام تنبشهنّ.

(٣) قـال العزُّ بن عبد السلام في كتابه (قواعد الأحكام، ص٣٢): جاء في بعض الكتب الإلهية: «بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي».
ذكره في حلية الأولياء: ٤/ ٦٠؛ وصفة الصفوة: ٤/ ٣٦٦، ونسبه لوهب بن منبه عن بعض الكتب الإلهية.

(٤) نقله الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٤٢٤، ونسبه إلى الفضيل بن عياض، قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: كذب من ادَّعى محبتي فإذا جنَّه الليل نام عني».

(٥) في (ب): بذنوبي.

تجاسَرْتُ فكاشفْتُكَ لما غُلِبَ الصبرُ
وإنْ عنَّفني الناسُ ففي وجهِكَ لي عُذْرُ
[لأنَّ البدرَ محتاجٌ إلى وجهِكَ يا بدرُ][1]

* * *

(١) زيادة من (ب).

الفصل العاشر

إخواني! الدنيا غرّارةٌ غدّارةٌ، [خدّاعةٌ][1] مَكّارةٌ، تُظِلُّ مقيمةً وهي سيّارة، ومصالِحةً وقد شنّت الغارة.

نـحُ عـن نفسِـكَ القبيـحَ وصُنهـا ... وتَـوَقَّ الـدُّنيـا ولا تـأمَنَنّهـا
لا تثِقْ بالدنيء فما أبقتِ الدنيا ... لحـيٍّ وديعـةً لـم تخُنْهـا
إنّمـا جثّتُهـا لتستقبـلَ المـوتَ ... وأُسْكِنَتُهـا لتخـرجَ عنهـا
سَتُخلّـي الـدنيـا ومـا لـك إلا ... مـا تَبَلَّغْـتَ أو تـزوَّدتَ منهـا
وسيبقـى الحـديثُ بعـدك فـانظر ... خيـرَ أُحـدوثـةٍ تكـونُ فَكُنهـا

كأنّكَ بالموتِ وقد خَطَفَ، ثم عادَ إلى الباقي وعطف، تنبّهْ لنفسِكَ يا بنَ الخَطَفِ، فقد حاذى الرامي الهدفَ، إلى كم تسيرُ في سَرَفٍ؟ ليتَ هذا العزمَ وقف، تؤخِّرُ الصلاةَ ثم تُنْشِئها كالبرقِ إذا خَطَفَ! أتجمعُ سوءَ كيلةٍ مع خَسَفٍ[2]؟ الجسدُ أتى والقلبُ انصرفَ، يامَنْ باعَ الدُّرَّ واشترى الخزف، أبُسُط بساطَ الحُزْنِ على رمادِ الأسف.

عليك حافِظٌ وضابطٌ، ليسَ بناسٍ ولا غالِطٌ، [يكتبُ الألفاظَ السواقط، وأنتَ في ليلِ الظلام خابط! يا مَنْ شابَ إلى كم تغالِط؟][3] ابْكِ ما مضى ويكفي الفارط.

ما للعيونِ قد أخلقت أنوارُها؟ وكَثُرَ نظرُها إلى الحرامِ فقلّ بكاؤها، ما للقلوبِ المريضةِ قد عزَّ شفاؤها؟ سأكتبُ ضمانَ الآمالِ وأين وفاؤها؟

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) سوء كيلة: الوزن الخاسر، الحشف: أردأ التمر، يشير إلى المثل المشهور: «أَحْشَفاً وسوء كيلة» يضرب فيمن جمع بين أمرين سيئين.

(٣) زيادة من (ب).

آهٍ لأمراضِ نفوسٍ قد يَئِسَ طبيبُها، ولأصواتِ مواعظَ قد خَرِسَ مُجيبها.

هيَّبْتُ واللهِ دَبورُ[1] الذنوبِ، فتركتِ الأجسامَ بلا قلوب!.

أينَ الفهمُ والتأمل؟ [إنْ لم يكن جميلٌ فليكن تجمُّلٌ][2].

إخواني! قد دنا الرحيل[3] لابدَّ وشيكاً من التحوُّل، رقيبُكم - يا غافلين - لا يغفل، أتذكرونَ الذنوبَ بلا تململ؟! يا مَنْ يَعِدُ بالتوبةِ كم تَمْطُل؟ يا ملازماً للهوى كم تَعْدِل[4]؟ المعاصي سُمٌّ واليسير[5] منه يقتلُ!.

يا هذا! الدنيا وراءَكَ، والأخرى أمامَك، والطلب لما وراءَكَ هزيمة، إنَّما يعجب الدنيا[6] مَنْ لا فهمَ له، كما أنَّ أضغاثَ الأحلامِ بشرى[7] النائم.

لُعَبُ الخيالِ يحسبُها الطفلُ حقيقةً، وأمَّا العاقِلُ فيعلمُ ما وراءَ الستر.

[رأيتُ خيالَ الظِّلِّ أكبرَ عِبرةً ... لِمَنْ هو في عِلْمِ الحقيقةِ راقِ
شُخوصٌ وأشْباحٌ تمرُّ وتنقضي ... جميعاً وتَفْنَى والمحرِّكُ باقِ][8]

كم أتلفتِ الدنيا بِيَدِ حِبها في بيداء طلبها؟! كم ساعٍ سعى إليها سعي الرُّخ[9] ردته معكوساً رَدَّ الفرازين[10]، الدنيا نهرُ طالوت، والفضائلُ تنادي ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فإذا قامتِ الفاقةُ مقامَ ابن أم مكتوم[11]

---

(١) دبور: ريح تقابل الصبا.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ب): الترحُّل.
(٤) تعدل: تجور وتميل.
(٥) في (ب): القليل، وهما بمعنى واحد.
(٦) في (ب): يعجب بالدنيا.
(٧) في (ب): تسرّ.
(٨) البيتان من المطبوع.
(٩) الرُّخ: حجر من أحجار الشطرنج، يسمّى القلعة، ومكانه أركان الرقعة.
(١٠) الفرازين: جمع فرزان، وهو الشطرنج معرب فرزين، وهو بمنزلة الوزير للسلطان. انظر: تاج العروس: ٢/ ٣٠٠.
(١١) يعني مقام الأعمى؛ أي: ألجأته الضرورة.

أبيحت لها رُخصة ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]؛ فأمَّا أهل الغفلةِ فارتوَوْا، فلمَّا قامت حرب الهوى، ثبَّطتهم البِطْنة، فنادَوْا بألسنة العجز ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وأقبلَ مُصْمَئِرُ الجدِّ فحازَ قَصَبَ السَّبْقِ.

كلُّ الشرِّ في الشَّرَه، واللَّذةُ خِناق مِنْ عَسَل، ومَنْ تبصَّر تصبر.

الحزْمُ مَطِيَّةُ النُّجْح، الطمعُ مَرْكَبُ التَّلَف، التواني أبو الفقر، البطالةُ أمُّ الخسران، التفريطُ أخو الندم، الكسلُ ابنُ عمِّ الحسرة، وما يحصلُ بردُ العيش إلا بحرِّ التعب، ما العزُّ إلا تحت ثوبِ الكدِّ، على قَدْرِ الاجتهادِ تعلو الرُّتب.

لمَّا صابرَ النَّضو[1] مشقَّةَ السيرِ مُعْرِضاً عن أعراض المطاعم، زُيِّنَ بالجلال يومَ العيد، ولمَّا تكاسلتِ البَخاتي[2] مَيْلاً إلى كثرة العلفِ وقعَ ببختها[3] الذبحُ.

سابقُ الطير مكرَّمٌ، والديكُ الحاذِقُ بالصياحِ ناطق[4].

إذا صُبَّ في القنديلِ زيتٌ، ثمَّ صُبَّ عليه ماءٌ، صعِدَ الزيتُ فوقَ الماء، فيقولُ الماء: أنا ربَّيْتُ شجرتَكَ فأينَ الأدب؟! لِمَ تَرْتفع عليَّ؟!.

فيقول الزيتُ: أنتَ في رَضْراضٍ[5] الأنهارِ تجري على طريق السلامة، وأنا صبرتُ على طَحْنِ الرحا والعصر، وبالصبرِ يرتفعُ القَدْرُ.

فيقول الماء: إلا أني أنا الأصلُ.

فيقول الزيتُ: أُستر عيبَك، فإنكَ لو وليتَ[6] المصباحَ انطفأ.

يا بعيداً عن المجاهدةِ! قد اقتسمَ الرعيلُ الأوَّلُ النَّقل[7]، أما ترى أسلابَ الهوى كيف بيعُها أربابها في سوقِ الافتخار بالنضِّ[8] ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢].

---

(١) النضو: البعير المهزول، ويشير إلى الصائم المجاهد نفسه.

(٢) البخاتي: جمع بُختيّ: الإبل الخراسانية ذات السنامين.

(٣) ببختها: حظها.

(٤) في (ب): مطلق.

(٥) رضراض: ما دق من الحصى.

(٦) في (ب): قاربت.

(٧) النقل: الغنيمة.

(٨) النض: القليل.

يا من قد انحرفَ عن جادَّتِهم، كم أُحركك بِسَوْطِ الشوقِ في شَوْطِ السوق، سَهْم عَزْمِك بلا ريش، إنَّما يقع [وقتَ][1] الرمي بين يديك.

يا مُخَنَّث العزيمة! أقل[2] ما في الرقعة البيدقُ، فلمَّا نهضَ تفرزنَ[3].

رأى بعضُ الحكماءِ برذوناً يُسْتَقى عليه، فقال: لو هَمْلَجَ[4] هذا لرُكِبَ.

متى همَّت أقدامُ العزمِ بالسلوكِ اندفعَ مِنْ بين يديها ما يَسدُّ القواطعَ، ومتى هابَ الغائصُ موجَ البحر لم يُطْمَعْ له في نيلِ الدُّرِّ، يا مَنْ عَقَدَ عزمه بأنشوطة[5] والهوى يُمدُّها للحلّ، إنْ عرفْتَ من عزيمتكَ الثبوت في صفِّ المجاهدة، وإلا فاحذرْ هتكةَ الهزيمة.

كان (ذو البجادين)[6] يتيماً، فلمَّا عمَّه الفقرُ كفله عمُّه، فنازعته النفسُ إلى الإسلام، فهمَّ بالنهوض، فإذا بقيَّةُ المرضِ مانعةٌ، فقَعَدَ على انتظارِ العمِّ، فانتهى المرضُ، فصارتِ الهمَّةُ عزيمةً، فنفدَ الصبرُ، فناداه صدقُ الوجدِ.

(لمهيار)[7]:

إلى كَمْ حبسُها تشكو المضيقا ... أَيَشْرَها رُبَّما وجدتْ طريقا
أَجِلْها تطلبُ القُصوى ودَعْها ... سُدَى يرمي الغُروبُ بها الشُّروقا
أتعقِلُها وتقنعُ بالهُوينا ... تكونُ إذن بِذِلَّتها خليقا
ولم يُشفِقْ على حَسَبٍ غلامٌ ... يكون على ركائبه شفيقا

فقال: يا عمِّ كيف أنتظرُ سلامتك بإسلامِك، وما أرى زمِنَ[8] زمنِكَ ينشط؟!.

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) في (ب): زيادة (ما بقي).
(٣) يعني: إذا انفرد البيدق في رقعة الشطرنج وارتقى يكون فرزاناً.
(٤) هملجت الدابة: سارت سيراً حسناً في سرعة.
(٥) أنشوطة: عقدةٌ يسهل انحلالها.
(٦) ذو البجادين: هو عبد الله المزني الصحابي.
(٧) مطلع قصيدة كتبها إلى كمال الملك أبي المعالي في النيروز. انظر: ديوانه: ٢/ ٣٥٣.
(٨) زَمِن: مريض.

فقال: والله لئنْ أسلمتَ لأنتزعنَّ كلَّ ما أعطيتُك.

فصاح لسانُ الشوق: نظرةٌ من محمد ﷺ أحبُّ إليَّ من الدُّنيا وما فيها، هذا مذهب المحبِّين، إجماعاً من غير خلاف.

ولو قيلَ للمجنونِ: ليلى وَوَصْلَها ... تريدُ أم الدُّنيا وما في خباياها
لقال: ترابٌ من غبارِ نعالها ... ألذُّ إلى نفسي وأشفَى لبلواها

فلمَّا تجرَّدَ لطلب الثواب، جرَّده العمُّ من الثياب، فناولته الأمُّ بجاداً[1]، فقطَّعه لِسَفَرِ الوصل، فائتَزَرَ وارتدى، وغدا في هيئة «ربٍّ أشْعَثَ أغبرَ»[2].

سنةُ الأحبابِ واحدةٌ ... فإذا أحببتَ فاستَبِنِ

فنادى صائحُ الجهادِ في جَيْشِ العُسْرةِ، فتبع ساقةَ الأحبابِ على ساقٍ، والمحبُّ لا يَرى طولَ الطريق، إنَّما يتلمَّحُ المقصِدَ.

ألا بَلِّغَ اللهُ الحِمَى مَنْ يريدُه ... وبَلِّغ أكنافَ الحِمَى مَنْ يريدُها

فحمل جلدةً فوقَ الجلدِ، إلى أنْ نَزَلَ منزلَ الثَّلَفِ، فنزلَ الرسولُ ﷺ في حُفرتِه، يُمهِّدُ له اللَّحْدَ لِمَأمورٍ «إذا رأيت لي طالباً فكنْ له خادماً» وجعلَ يقول: «اللهمَّ إني أمسيتُ راضياً عنه فارْضَ عنه».

فصاح ابنُ مسعود: ليتني كنتُ صاحبَ الحُفْرة[3].

كذلك الفخرُ يا همَمَ الرِّجالِ ... تعالَيْ فانظري كيفَ الفعالِ[4]

* * *

---

(١) يجاد: الكساء الغليظ الجافي.
(٢) رواه مسلم، وتمامه: «لو أقسم على الله لأبرَّه».
(٣) انظر قصته في: سيرة ابن هشام: ٢/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨.
(٤) في (ب): التعالي.

الفصل الحادي عشر

أيتها النفس أقلعي عن الجُناح[1] وتوبي، وارجعي إلى الصَّلاحِ وأُوبي[2]، أيتها النَّفْسُ! قد شان شأني[3] عيوبي، أيتها الجاهلةُ تكفيني ذنوبي.

يا ويحَ نفسي مِنْ تتابعِ حُوَبي[4] ... لو قدْ دعاني للحسابِ حَسيبي
فاستيقظي يا نفسُ ويحَكِ واحذري ... حذراً يُهيجُ عَبْرتي ونحيبي
واستدركي ما فاتَ مِنْكِ وسابقي ... سَطَواتِ موتٍ للنفوسِ طَلوبِ
وابكي بكاءَ المستغيثِ وأعْولي ... إعوالَ عانٍ[5] في الوَثاقِ غريبِ
هذا الشبابُ قد اعتللتُ بلَهْوِهِ ... أفليسَ ذا يا نفسُ حينَ مشيبي؟
هذا الزمانُ يَكِرُّ ويْحَك دائباً ... يجري بِصَرْفٍ حوادثٍ وخطوبِ
هذا رقيبٌ ليسَ عني غافلاً ... يُحصي ـ عليَّ ولو غَفَلتُ ـ ذنوبي
أفليسَ مِنْ جهلٍ بأني نائمٌ ... نومَ السفيهِ وما ينامُ رقيبي

آهٍ لنفسٍ تركتْ يقينَها، وتبعَتْ آمالها! ما لها جهلتْ ما عليها وما لها؟ أما ضُرِبَتِ العِبَرُ بأخذِ أمثالِها أمثالَها؟ مَنْ لها إذا نازلَها الموتُ فعالها؟ وأخذَ منها ما أنالها وقد أنَى[6] لها، ليتها تفقَّدتْ أمورَها، أو شاهدتْ حالها، تحضر المجلس بنيَّة فإذا قامت بدا[7] لها، ويحها لو ترى جزاءَ مِنْ ما لَها لهالها[8].

(لابن المعتز):

---

(١) الجناح: الإثم والمعصية.
(٢) الأوب: الرجوع. والأوّاب: كثير الرجوع إلى الله عزّ وجلّ.
(٣) شان: عاب. شأني: أي حالي.
(٤) حوبي: جمع حوبة: الإثم.
(٥) عانٍ: أسير. والإعوال: رفع الصوت بالبكاء.
(٦) أنى: كَرَمى، بمعنى حان وأدرك، يشير إلى قرب الأجل.
(٧) بدا لها: ظهر لها خلاف ما عزمت عليه.
(٨) أي: لو رأتْ بعض ما أعد لها من العذاب لأرعبها.

وكـم دَهَـى المـرءَ مـن نفيـه ... فـلا يـوكَلـنْ بـأنيابهـا
وإنْ أمكنَـتْ فـرصـةٌ فـي العـدوِّ ... فـلا تُبـدِ فِعلـك إلا بهـا

قال (أبو يزيد): رأيتُ الحقَّ جلَّ جلاله في المنام، فقلتُ: يا ربِّ! كيف أجدُكَ؟ قال: فارقْ نَفْسَكَ وتعالَ.

جاء رجلٌ إلى (أبي عليٍّ الدقاق)، فقال: قد قطعْتُ إليكَ مسافةً، فقال: ليس هذا الأمر بقطعِ المسافاتِ، فارقْ نفسَك بخَطْوة وقد حصلَ مقصودُك، لو عَرَفتْ نفسُك التحقيقَ لسارتْ معك في أصعبِ مَضيق، لكنَّها أَلِفَت التفَاتَك، فلمَّا طلبت قهرها فاتَكَ[1].

هلَّا شددت الحيازم[2]، وقمتَ قيامَ حازم [وفعلتَ فعلَ عازم، وقطعْتَ على أمرٍ جازم][3] تقصِدُ الخيرَ، ولكن ما تلازم.

ويَعْـرِفُ أخـلاقَ الجَبـانِ جـوادُه ... فيُجْهِـدُهُ كَـرّاً وَيُـرْهِقُـهُ دُعْـرا
ومَنْ يَخلُ تِطلابُ المعالي بصدرِه ... يجد حُلوَ ما يُعطاهُ من غيرِها مُرّا

حريمُ العزمِ الصادق حرامٌ على المتردِّد، متى تحزَّم العزمُ هَزَم، لو رأيتَ صاحبَ العزم وقد سرى حين رقدت السراحين[4]، بهمَّة تحلُّ فوق الفرقد[5]، فلنفسِه نفاسَةٌ، ولأنفِه أنفَةٌ، سهم الشهم مُفَوَّق[6] فوق عُرْضَةِ الغرض[7].

كان (الفضيلُ) ميتاً بالذنوب، و(ابنُ أدهمَ) مقتولاً بالكبر، و(السَّبْتيُّ) هالكاً بالملك، و(الجنيدُ) مِن جَيْد الجند، فَنَفَخَ في صُورِ المواعظ، فدبَّتْ أرواحُ الهدى في موتى الهوى، فانشقَّتْ عنهم قبورُ الغفلةِ، وصاحَ إسرافيلُ الاعتبارِ:

---

(١) فاتك: تجاوزك ومضى عنك؛ أي: المقصود.
(٢) الحيازم: جمع حيزوم: الصدر وما يُضم عليه الحزام.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) السراحين: جمع سرحان، وهو الذئب.
(٥) الفرقد: نجم قريب من القطب وهما فرقدان.
(٦) فاق السهم: وضع فُوقَهُ في الوتر ليرمي به.
(٧) الغرض: الهدف والدريئة.

﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة: ٧٣] .

إنَّما سمعَ (الفضيلُ) آيةً، فذلَّتْ نفسُه لها واستكانتْ، وهي كانت.

إنَّما زُجِرَ (ابنُ أدهمَ) بكلمةٍ كَلَمت[1] قلبَه، فانقلبَ هاتفٌ عاتَبه ولام، أخرجه من بَلْخ إلى الشام.

كانت عقدةُ قلوبهم بأنشوطة، ومَسَدُ[2] قليك كلُّه عُقَد.

لاحت للقومِ جادَّة السلوك فـ: ﴿ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ [فصلت ٣٠] .

هبهات منك غبارُ ذاك الموكبِ، ركبوا سُفُنَ العَزْمِ، فهبَّتْ لهم رياحُ العَوْنِ، فقطعوا بالعلم لُجَجَ الجهلِ، فوصَلُوا إلى إقليمِ أرضِ الفهْمِ، فأرْسَوْا على ساحلِ بلد الوصل.

إذا استصلحَ القَدرُ أرضَ قلبٍ قَلَبها بمحراثِ الخوف، وبَذَرَ فيها حَبَّ المحبَّةِ، وأدار لها دُولابَ العين، وأقامَ ناطورَ المراقبةِ، فتربى زرعُ التقى على سوقه.

أصفهم لِمَنْ؟ أذكرهم عِنْدَ مَنْ؟ أنثرُ الدُّرَّ على دمن[3]؟!.

بَلِّغْ سلامي بالغُويرِ[4] جِيْرةً ... قلبي - وإن حَالُوا - إليهم تائِقُ
فارقتُهم كُرهاً وليتَ أنَّني ... للرُّوحِ مِنْ بعدهمُ مفارِقُ
ولستُ أنساهُمُ وإنْ تَقَطَّعتْ ... بالبُعدِ فيما بيننا علائِقُ

يا نفسُ، عندَ ذِكْرِ الصالحينَ تبكينَ، وعندَ شرحِ جِدِّهم تتنِّينَ[5]، وإذا تصوَّرتِ طيبَ عيشهم تحنِّينَ، فإذا عَرفْتِ قيامَهم بالخدمةِ تنكبين[6].

---

(١) كلمت: جرحت.
(٢) مسد: حبل من ليف.
(٣) دمن: جمع دمنة، وهي المزبلة.
(٤) الغوير: كزبير؛ ماء لبني كلب.
(٥) تتنين: من الأنين، وهو صوت بتوجع.
(٦) تنكبين: تعدلين وتنصرفين.

(المهيار)[1]:

أَمِنْ خفوقِ البَرْقِ تَرْزُمِينا[2] حِنّي فما يُنْفَعُكِ الحَنِينَا
سِيري يميناً وسُراكِ شامةٌ فَضِلَّةٌ ما تتلفَّتينا
نعم تُشاقينَ وأشتاقُ له ونُعْلِنُ الوَجْدَ ونكتُمينا
فأينَ منا اليومَ أو منكِ الهوى وأينَ نجدٌ والمغوَّرينا[3]

لما اشتغلَ القومُ بإصلاح قلوبهم أعرضوا عن إصلاح أبدانهم، عَرِيَ (أويسٌ)[4] حتى جلس في قوصرةٍ[5]، وقدم (بشرٌ)[6] من عبّادان[7] وهو مُتَشِيحٌ[8] بحَصير.

(للسموءل):

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللؤمِ عِرْضُه فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ
وإنْ هو لم يَحْمِلْ على النفسِ ضيمَها فليسَ إلى حُسْنِ الثناءِ سبيلُ

كان (أويسٌ) يلتقط النوى فيبيعُه بما يفطِرُ عليه، فإذا أصابَ خَشَفَةً ادَّخرها لإفطاره، ويجمعُ الخِرَقَ من المزابل، فيغسلها في الفراتِ، ويُرقِّعها ليستر عورته، ويفرُّ من الناس فلا يجالسهم، فقالوا: مجنون.

لا تصغُ المحبَّةُ حتى يُمحى الاسم المعروف باسمٍ متجدِّد، فإنَّ اسم قيس نُسِيَ وعرف بالمجنون.

---

(١) من قصيدة كتب بها إلى الرئيس أبي طالب في المهرجان. انظر: ديوانه: ٤/ ١٣٧.
(٢) ترزمين: تحنين.
(٣) المغور: الذاهب في الغور، ومنه غور تهامة. والغور: ما انخفض من الأرض، بخلاف النجد.
(٤) أويس: القرني.
(٥) قوصرة: وعاء التمر.
(٦) بشر بن الحارث الحافي.
(٧) مدينة على شط العرب من الجهة الشرقية تقع في بلاد فارس.
(٨) من الوشاح: ثوب يوضع على العاتق ويخالف بين طرفيه.

لـــولا جنـــونـــي فيـكِ مـــا قعـدَ العـواذِلُ لـي وقـامـوا
أوَلـــي يلـــومُ العـــاذلـــونَ ولـيـــسَ لـــي قلـــبٌ يـــلامُ

بنى أهلُ أوسٍ له بيتاً على باب دارهم، فكانت تأتي عليه السنون لا يَرَوْنَ له وجهاً، وكان إذا خرجَ يمشي تَضْرِبُ الصبيانُ عَقِبيه بالحجارة حتى تَدْمى، وهو ساكتٌ، ولسانُ حاله يقول:

ولقِيتُ فـي حُبِّكَ مـا لـم يلقَـه فـي حُـبِّ ليلـى قيسُهـا المجنـونُ
لكنـنـي لـم أتَّبِـعْ وحـشَ الفـلا كغِـزالِ قَيـسٍ والجنـونُ فنـونُ

لقي بعضُ الجند (إبراهيم بن أدهم) في البرية، فقالَ له: أين العمران؟ فأومأ بيده إلى المقابر، فضربَه فشجَّ رأسَه، فقيل له: هذا ابنُ أدهم، فرجعَ يعتذِرُ إليه، فقال له إبراهيم: الرأسُ الذي يحتاجُ إلى اعتذارِكَ تركته بيَلْخ.

يا قومُ رضيتُ بالهوى سفكَ دمي عِـزِّيَ ذُلِّـي وصحتـي فـي سقمـي
مَنْ باتَ على مواعيدِ اللِّقا لم ينَمِ عُـذَّالـيَ كُفُّـوا فـي مَـلامـي المـي

مرَّ رجلٌ بابن أدهم وهو ينظر كَرْماً[1]، فقال: ناولني من هذا العنب، فقال: ما أذن لي صاحبُه، فقلبَ السَّوْط وضرب رأسه، فجعل يطأطئ رأسَه، ويقول: اضرب رأساً طالما عصى الله.

مِنْ أجلكَ قد جعلتُ خَدِّيَ أرضا للشامـتِ والحسـودِ حتـى تـرضـى
مـولايَ إلـى متـى بهـذا أحظـى عمـريَ يفنـى وحـاجتـي مـا تُقضـى
لـو قطَّعنـي الغـرامُ إرْبـاً إرْبـا مـا ازْدِدْتُ علـى المُـلامِ إلا حُبَّـا
مـازلْـتُ بكـم أسيـرَ وَجْـدٍ صبّـا حتـى أقضـي علـى هـواكُـم نَحبـا

كان ابن أدهم يستغيثُ من كرْب وجدِه، ويبولُ الدمَ من شدَّة[2] خوفه، فطلبَ يوماً سكوناً مِنْ قَلَقِه! فقال: يا ربِّ! إن كنتَ وهبْتَ لأحدٍ من المحبِّين لك

---

(١) أي: يحرس أشجار عنب. يقال: ينطر وينظر.
(٢) في (ب): كثرة.

ما يستريحُ به، فهبْ لي، فقيل له في نومه: وهل يَسْكُنُ محبٌّ بغيرِ حبيبِهِ؟.

الجسمُ يُذيبُه الأسَى والسُّهْدُ ... والقلبُ ينوبُه الجوى والكَمَدُ
قد وُجدوا وهكذا ما وَجدوا ... ما جُنَّ بهم مثلَ جنوني أحدُ
شوقٌ وجوًى ونارُ وجدٍ تَقِدُ ... ما ليَ جَلَدٌ ضَعُفْتُ ما ليَ جَلَدُ

* * *

الفصل الثاني عشر

عجباً لذاكرِ الموتِ كيف يلهو، ولخائف الفوت كيف[1] يسهو، ولمتيقنِ حلولِ البِلَى ويزهو، وإذا ذُكِّرَتْ له الآخرةُ مَرَّ يلغو!.

(لأبي العتاهية)[2]:

إنّـي أُرِقُّـتُ وذكـرُ المـوتِ أَرَّقنـي ... فقلتُ للدمعِ: أَسْعِدْني[3] فأَسعَدَني

إنْ لـم أَبكِ لنفسـي مُشْعِـراً حَـزَنـاً ... قبـلَ الممـاتِ ولـم آسـفْ لهـا فَمَـنِ

يـا مَـنْ يمـوتُ فلـم تُحْـزِنْـهُ مِيْتَتُـهُ ... ومَـنْ يمـوتُ فَمَـا أولاهُ بـالحَـزَنِ

لمـن أَنْمُـرُ أمـوالـي وأَجْمَعُهـا ... لِمَنْ أروحُ؟ لِمَنْ أَغْدُو؟ لِمَنْ؟ لِمَنِ؟

لمـن سَيَعْمُـرُ لـي لَحْـدِي ويثرُكني ... في حُفْرَتـي تَـرِبَ الخَدَّيْنِ والـذَّقَنِ

يا غافلاً عن الموت وقد لَدَغَه، أخذَ قرينَه فقتلَه ودمغَه، تأمّلْ صنعَ الدّهرِ بالرأسِ إذْ صبغَه، بأيِّ حديثٍ ترعوي أو بأي لغة؟.

كم رأيتَ مغروراً قبلك؟ كم شاهدتَ منقولاً مثلك؟.

مَنْ أباد أقرانك؟ ومن أهلَكَ أهلك؟.

لقد نادى الموتُ وقال: ما أنا بالذي إذا سُئِلَ أقالَ[4]، أنا الذي إذا مالَ على القويِّ أمالَ، أخذتم أماني[5]! يا أهل الأماني[6] والآمال.

---

(١) في (ب): وهو.

(٢) وجدت بعض هذه الأبيات في ديوانه، بتحقيق د. شكري فيصل رحمه الله، ص٣٩٧.

(٣) أسعدني: عاوني في البكاء.

(٤) أقال: فسخ البيع، أي: إذا سئل الرجعة لم يستجب.

(٥) أماني: حمايتي، من الأمان.

(٦) الأماني: جمع أمنية: وهي ما تريده وترغب فيه وتودّه في المستقبل مما ليس بيدك حاضراً.

أينَ من كان في رَوْحٍ وسَعَة؟ نقلتُه إلى مكانٍ ما وَسِعَه! أينَ مَنْ كان يُخافُ لِبَاسِه؟![1] انظروا ماذا عَوَّضَتْه من لِباسِه!.

أين مَنْ كان على نسائه شديدَ الغَيْرَة؟ أما رحل عنهنّ فاخترنَ غَيْرَه؟!.

أين مَنْ كان يسري آمناً في سِرْبِه[2]؟ أما قيل للتلف: خُذْه، وسِرْ به؟!.

أمَا عاقبةُ الأُلفةِ فُرقةٌ؟ أما آخِرُ جرعةِ اللَّذةِ شَرْقةٌ[3]؟ أما خِتامُ الفرحِ قلقٌ وحُرقةٌ؟ أما زادُ ذي المالِ إلى القبرِ خِرْقةٌ؟!.

أعِزْ سمعك الأصوات، فهل تسمعُ إلا فلاناً مات؟ أجِلْ[4] بصرَك في الفلوات فهل ترى إلا القبورَ الدارسات؟!.

قَرَّضَ الموتُ طَرْدَ عِزهمُ الشا ... مخَ قَسْراً والدَّهرُ ذو حدَثانِ
واستَرَدَّ الذي أعارَ ولله ... أيَّامِ ظهْرَ حُسْنونةٍ وليانِ
وإذا صاحَ صائحُ الموتِ بقو ... مٍ غَدوْا كلُّ واحدٍ في مكانِ

يا ساكناً مسكنَ مَنْ قد أُزْعِج! يا شارياً فضلة من شَرِق، تصحو في المجلسِ ساعةً من خُمارِ الهوى، ثم تَسليكَ حُميا الكأس[5].

هيهات ليس في البرق اللامع مُستَمَتَّعٌ لِمنْ يخوضُ الظلمةَ، كم أعطِفُ عِطْفَكَ[6] بلجامِ العِظةِ إلى عَطْفةِ اليَقْظةِ، فإذا انقضى المجلس عاد الطبع ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾ [الحج: ٩]. «وتأبى الطباعُ على الناقِلِ»[7].

---

(١) لباسه: أي لِبأسه: شدته في الحرب.
(٢) سِرْبه: الشرب هو الطريق، أي: في منقلبه ومنصرفه.
(٣) شرقة: غصة.
(٤) أجِلْ: انظر وتأمل.
(٥) حُميا الكأس: أوّل سورتها وشدتها.
(٦) أعطف: أُميل. عطفك: العطف الجانب من لدن الرأس إلى الوِرْك، عطفة: اسمُ مرّة من عَطَف: أي مال.
(٧) عجز بيت صدره: يرادُ من القلب نسيانكم وهو للمتنبي من قصيدة مطلعها:
إلامَ طواعيةُ العاذل ... ولا أرى في الحب للعاقل

يا من قد لَجَّ في لُجَّةِ بحر الهوى! قارِب الساحلَ في قاربٍ[1]، دنا رحيلُ الفُرقةِ، وما اشتريتَ للمسيرِ قوتَ ليلةٍ!.

كلَّما جدَّ اللعبُ فَتَرَ النشاطُ في الجدِّ.

صَحِّحْ نَقْدَهُ[2] عملِكَ فقدِ انقرضَتْ أيامُ الأسبوعِ.

جوِّد غَزْلَكَ[3]، فلربَّما لم تُسامَحْ وقتَ الوزنِ.

صابر غَبَشَ العيشِ فقد دنا فجرُ الأجرِ.

انتبه لاغتنامِ عُمُرِك، فكم يعيشُ الحيوان؟!.

مَدَّ بحرُ القدرة، فجرى بمراكبِ الصورِ، فَرَسَتْ على ساحلٍ إقليمِ الدنيا، فعاملَتْ في موسمِ الحياة مُدَّةَ الجَزْرِ، ثم عادَ المدُّ، فرَدَّ إلى برزخِ الترب، فقذفَ محاسنَ الأبنيةِ إلى حُفَرِ اللُّحودِ، وسيأتي طوفانُ البعثِ عن قربٍ، فاحذر أن تُدفَعَ دونَكَ سفينةُ النجاةِ، فَتَسْتَغيثَ وقتَ الفوتِ ولا عاصمَ، كأنَّك بكَ في قبرِكَ، على فراشِ النَّدَمِ، وإنّه [والله][4] لأخشنُ مِنَ الجندلِ[5].

فازْرعْ في ربيعِ حياتِكَ قبلَ جُدوبِ أرضِ شَخْصِكَ، وادّخِرْ من وقتِ قُدْرَتِكَ لزمانِ عَجْزِك، واعتبرْ رَحْلَكَ قبلَ رحيلِكَ، مَخافةَ الفقرِ في القَفْرِ إلى لازِمِ الأخذِ[6] ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ [الزمر: ٥٦].

يا هذا! مثّل لنفسِكَ صرعةَ الموتِ، وما قد عزمْتَ أن تفعلَ حينئذٍ وقتَ الأسرِ؛ فافعله وقتَ الإطلاق.

(لقيس بن ذريح):

أتبكي على لُبْنَى وأنتَ تركتَها ... فكنتَ كآتٍ حتفَهُ وهو طائعُ

فيا قلبُ خَبِّرْني إذا شَطَّتِ النوى ... بِلُبْنَى، وبانَتْ عنكَ، ما أنتَ صانعُ؟

---

(١) قارب الأولى: من المقاربة والمحاذاة. وقارب الثانية: الزورق.

(٢) نقده: أي جوهر وحقيقة عملك.

(٣) في (ب): غزل عزمك.

(٤) زيادة من ب.

(٥) الجندل: الصخر العظيم.

(٦) لازم الأخذ: ما يلزمُ أخذه من زاد السفر إلى الآخرة.

كأنك بحرب التَّلَف[1] قد قامت على ساق، فانهزمتْ جيوشُ الأملِ، وإذا بملك الموتِ قد بارزَ الروحَ، يجتذِبُها بخطَاطِيفِ الشدائدِ من تيارِ أَوْتَارِ العروقِ، وقد أُوثِقَ كتافُ الذبيح، وحارَ البصرُ لشدّةِ الهولِ، وملائكةُ الرحمةِ عن اليمينِ، قد فتحوا أبوابَ الجنةِ، وملائكةُ العذابِ عن الشمالِ، قد فتحوا أبواب النيرانِ، وجميعُ المخلوقاتِ تستوكِفُ[2] الخبر، والكونُ كلُّه قد قامَ على صيحة؛ إما أن يقال: سَعِد فلانٌ، أو شقِيَ فلانٌ، فحينئذٍ تتجلَّى أبصارُ ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى﴾ [الكهف: ١٠١]، ويحك تهيأ لتلك الساعة، حَصِّل زاداً قبلَ العَوَزِ.

(للصمّةِ القُشيري):

تَمَتَّـعْ مِـنْ شَمِيـمِ عَـرَارِ نَجْـدٍ فمـا بَعْـدَ العَشِيَّـةِ مِـنْ عَـرَارِ

وا أسفاه من حياةٍ على غرورٍ، وموتٍ على غفلةٍ، ومنقلَبٍ إلى حَسْرةٍ، ووقوفٍ يومَ الحسابِ بلا حُجةٍ.

يا هذا! مثِّل نفسَك في زاويةٍ من زوايا جهنم، وأنت تبكي أبداً، وأبوابُها مُغْلَقَةٌ، وسقوفُها مُطْبَقَةٌ، وهي سوداءُ مظلمةٌ، ولا رفيقَ تأنَسُ به، ولا صديقَ تشكو إليه، ولا نومَ يُرِيحُ، ولا نَفَسَ به تستريحُ.

قال كعب[3]: إنَّ أهلَ النار ليأكلونَ أيديهم إلى المناكب من الندامةِ على تفريطهم، وما يشعرون بذلك.

يا مطروداً عن الباب! يا مضروباً بِسَوْط الحجاب! لو وَقَّيْتَ بعهودنا ما رميناك بصدودنا، لو كاتبتنا[4] بدمع الأسف لعفونا عن كلِّ ما قد سلف.

---

(١) حرب التلف: يشير إلى الموت.

(٢) توكّف الخبر: توقع الخبر وسأل عنه.

(٣) ما رواه كعب الأحبار هذا لم نجده في أي مصدر مُيسَّر بأيدينا، وهو مما يتعلق بغيب لا يُدرى إلا عن طريق النبوة، فلا نثبته إلا إذا تأكد بحديث عن الرسول ﷺ.

(٤) كاتبتنا: من المكاتبة، وهي أن يدفع العبد لسيده المال الذي اتفقا عليه أقساطاً وبعدها يصبح العبد حرّاً. والأقساط ـ هنا ـ دمع الأسف على ما سلف.

ولو أنّهم عند كشْفِ القِناع ... وحَلّ العقودِ ونَقْضِ العهودِ
وخَلْعِهمُ لِعِذارِ الحياءِ ... ولُبْسهمُ لبرودِ الصدودِ
أناخوا بأبوابنا ساعةً ... وأجْرَوْا مَدَامِعَهُمْ في الخُدُودِ
لعُدنا سراعاً إلى وصلهم ... وقُلْنا: قلوبَ المحبين[1] عودي

* * *

(١) قلوب المحبين: هذا نداء بإسقاط أداة النداء (يا).

الفصل الثالث عشرين

كم أخرجَ الموتُ نفساً من دارها لم يُدارِها[1]، وكم أنزل أجساداً بجارها لم يجارِها، وكم نقلَ ذاتاً ذات خَطَا بأوزارِها، وكم أجرى عيوناً كالغيوث[2] بَعْدَ بُعْدِ مزارها.

يا مُغْرَماً بوصالِ عيشٍ ناعمٍ ... سَتُصَدُّ عنه طائعاً أو كارها
إنَّ المنيةَ تُزْعِجُ الأحرارَ عَنْ ... أوطانِهم والطيرَ عن أوكارِها

إخواني! قد حامَ الحِمام[3] حول حِمَاكُم، وصاحَ بكم إذا خلا النادي وناداكم، وأوْلاكم من النصح حقَّكم، فما أحقكم بالتدبر وأوْلاكم، وهو عازِمٌ على اقتناصِكم، وما المقصودُ سواكم.

كم أخلى الموتُ داراً داراً؟ أم استلبَ كسرى بن دارا؟ [أدَارَى][4] لما أخذ دارا؟ أما ترك العامرَ قفاراً؟ أما أذاق الغصصَ المُرَّ مِراراً؟ لقد جال يميناً ويساراً، فما حابى فقراً ولا يساراً.

يا هذا! مطايا العمر قد أعْنَقَتْ[5]، وأنتَ في مسامرةِ الأمل، معاولُ الساعاتِ تَهْدِمُ حائطَ الأجل، فرائسُ المُهَجِ في مَضَابِتِ[6] أَسَدِ المنايا، أَسِنَّةُ القنا مُشْرَعَةٌ ولا دِرْعَ، عقاربُ الخِدَعِ دائمةُ اللَّسْعِ، غير أنَّ خَدَران الغفلة يمنع الإحساس بسريان السُّم، آه من مُثاقفٍ[7] ما ينتهي عن المقتل.

---

(١) يدارها: من المداراة.
(٢) في (ب): كالعيون.
(٣) الحِمام: الموت.
(٤) زيادة من (ب).
(٥) أعنقت: من العَنَق: وهو السير السريع.
(٦) مضابث: كمخالب وزناً ومعنًى.
(٧) مثاقف: الرمح المُسَوّى.

الناسُ في الدنيا ككيزانِ الدّولابِ[1]، فالشاب مثل الممتلي، والكهل قد فرغ بعضه، والشيخ لم يبقَ فيه شيءٌ.

الشاب المتقي في مقام ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، والكهل المنحط في مرتبة ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، والشيخ في حيز «تَجِدُنِي عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهم»[2].

يا من قد انطوى بُرُدُ شبابه، وخُبِّئَتْ خِلَعُ تَلَفه، وبلغت سفينتُه ساحلَ سفره، قف على ثنيّةِ الوداع، «فلم تبقَ إلا نظرةٌ تُغْتَنَمُ»، لو فتحتَ عين اليقظة لرأيت حيطانَ العمرِ قد تهدّمت، فبكيتَ على خرابِ دارِ الأجل.

صاح ديكُ الإيقاظِ في سَحَرِ ليلِ العِبَر فما تَيَقَّظْتَ! فستنتبه إذا نعق غرابُ البَيْن[3] بينَ البينِ[4]:

ومُشَتَّتِ العَزَماتِ يُنْفِقُ عمرَه حيرانَ لا ظَفَرٌ ولا إخفاقُ

لا في الشبابِ وافقتَ، ولا في الكهولة رافقتَ، ولا في الشيبِ أفقْتَ، ولا من العتابِ أشفقتَ، وكأنّك ما آمنتَ بالمعاد ولا صدّقتَ!.

يا مقيماً على الهوى وليس بمقيم! يا مُبَذِّراً في بضاعة العمر، متى يُؤْنَسُ منكَ رُشْدٌ؟!.

يا أكمه البصرِ! لا حيلةَ فيه لعيسى، يا طويلَ الرقاد ولا نومَ أهل الكهف، كيفَ يُفلح من هو والكسل كندماني جذيمة[5]؟!.

---

(١) كيزان الدولاب: أوعية الناعورة: وهي دولاب ذو دلاء، يدور بدفع الماء فيخرج الماء من النهر.

(٢) قال السخاوي في المقاصد الحسنة: ذكره الغزالي في البداية، ولا أصل له في المرفوع إلى النبي ﷺ. كشف الخفا: ١/ ٢٣٤.

(٣) نعق غراب البين: صاح بالفراق، وبان: باين وفارق.

(٤) البين: الوصل.

(٥) كان جذيمة ملك الحيرة قد جمع غلماناً من أبناء الملوك يخدمونه، منهم عديّ بن نصر، وكان لعديٍّ هذا حظٌّ من الجمال فعشقته زَقاش أخت جذيمة، فقالت له: إذا سقيتَ الملك فذكّرِ فاخطبني إليه، وكان ما طلبت، ولما صحا جذيمة من سُكره ودرى ما فعل=

الدّنيا مضمارُ سباقٍ، وليل سُرّى، وطالبُ الراحة يخيبُ.

فلا تَحْسَبُوا أنَّ المَعَالِي رَخِيْصَةٌ ولا أنَّ إدْرَاكَ العُلى هَيِّنٌ سَهْلُ
فَمَا كُلُّ مَنْ يَسْعَى إلى المَجْدِ نَالَهُ ولا كلُّ مَنْ يَهْوَى العُلا نَفْسُهُ تَعْلُو

من تذكَّرَ حلاوةَ العاقبةِ نَسِيَ مرارةَ الصبرِ، الرجوليةُ بالهمّةِ لا بالصورة، همة الكسّاحِ[1] حِطة في بئر الأنجاس.

قِنديلُ الفِكْرِ في محرابِ قلبِكِ مُظلِمٌ، فاطلب له زيتَ خَلْوة، وفتيلة عَزْمٍ.

بينك وبين المتقين جبلُ الهوى، نزلوا بين يديه ونزلت خلفه، فاطوِ فضلَ منزلٍ تلحقُ، لو علوتَ نَشْزَ[2] الجَدِّ، بانتْ بانةُ الوادي.

(لمهيار)[3]:

إن كنت ممّنْ يطلعُ الوادي فسلْ بين البيوتِ عن فؤادي ما فعلْ
عزَّ هواكِ فأذلَّ جَلَدِي والحبُّ ما رقَّ له الجَلْدُ[4] وذَلْ
أينَ ليالينا على الخَيْفِ، وهلْ يردُّ عيشاً فاتتاً قولُك: هَلْ

يا مُقَيِّداً بقيود الطرد ألقِ نفسَك في الدجى على باب الذل؟ وقل: إلهي! كم لك سواي، وما لي سواك، فبفقري إليك وغِنَاك عني، إلا عفوتَ عني.

= ضرب وجهه بالتراب، وهاج، فخاف عدي على نفسه فهرب منه، ولحق بقومه، وولدت رقاش مولوداً من عدي سمّاه جذيمة عمراً، وأحبه حبّاً شديداً، ثم كان أن ضرب عمرو في الآفاق، وفُقد زماناً حتى قيّض له رجلان هما مالك وعقيل ابنا فارج كانا متوجهين إلى الملك بهدايا، فعرفا أنّه ابنُ أخت الملك وحملاه إليه، فضمّه جذيمة إليه، وقال للرجلين مكافئاً: حكّمتكما، فسألاه مُنادمته، فلم يزالا نديميه حتى فرّق الموت بينهم، وفيهما قال متمّم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً:

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

من مجمع الأمثال، للميداني، باختصار برقم (٣٠١٧/ ٢/ ١٣٧).

(١) الكسّاح: كسح البيت: كنسه، والكسّاح: الكنّاس.

(٢) النَّشْزُ: المرتفع من الأرض.

(٣) في قصيدة يذكر بها مناقب علي بن أبي طالب. انظر: ديوان شعره: ٣/ ١٠٩ـ١١٦.

(٤) الجَلْد: القوي الشديد.

أَبَـا مُنعِمـاً لـم يَـزَلْ مُحْسِنـاً ... بَـرَى جَسَـدِي سُخْطُـكَ الـدَّائِـمُ
إلـى النَّحـرِ مِنِّـي مضمـومـةٌ ... يـدايَ كمـا يَفْعَـلُ النـادِمُ
يَـزِلُّ الحَنِيْـنُ، ويكبـو الفـؤاد ... وينبـو عـن الضَّـرْبَـةِ الصَّـارِمُ

يا هذا! ليس في المياهِ ما يقلعُ آثار الذنبِ من ثوبِ القلبِ إلا الدموعُ، فإنْ نَضَبَتْ ولم يزلِ الأثرُ فعليك بالاعترافِ من بحرِ الاعتراف.

ودَّعـتُ قلبـي يـومَ ودَّعتُهـم ... وقلتُ: يـا قلبي! عليـك السـلامُ
وصِحْتُ بـالنـوم: انصـرفْ راشـداً ... فـإنّ عينـي مـن بعـدِهـم لا تنـامُ

احضر نادي المتهجّدين ونادهم: طوبى لكم، وجدتم قلوبكم، فارحموا مَنْ لا يجدُ:

إذا وصلتم إلى وادي العقيقِ سلوا ... عـن حـالِ مُنقطـعٍ أَوْدَى بـه السهـرُ
وفتّشـوا عـن فـؤادٍ هـائـمٍ قلـقٍ ... قـد ضـاعَ منـي فـلا عَيْـنٌ ولا أثـرُ

أنجعُ الوسائلِ الذلُّ، وأبلغُ الأسبابِ في العفو البكاءُ، والعِيُّ عن ترتيب العذر بلاغةُ المنكَسِر.

يـا مَـنْ أشكـو إليـه مـا يعلمُـه ... والـدَّمْـعُ يُـذيـعُ كـلَّ مـا أكتمُـه
هـذا المُسَيْكِـنُ مَـنْ تَـرى يرحَمُـه؟! ... قـد هـان عليـك كـلُّ مـا يـؤلمـه
بالجسمِ مِن السقامِ ما يُحرضه[1] ... والقلبُ يذوبُ من جوًى يُمرضه
مـا قـد حكـم الإلـٰـه مَـنْ يَقْضُـه؟ ... قـد أعـوزني الصبـرُ فمن يُقرضه؟

* * *

(١) يحرضه: يهلكه.

الفصل الرابع عشر

قد خوّفَنا الموتُ بمَنْ أَخَذَ منا، ونعلمُ هجومه علينا وقد أمِنّا، أما أذْكَرَتْنا المواعظُ مآلَنا فما لنا ما لِنَّا؟!.

لا تَـرْقُـدَنَّ لعينـك السهـرُ ... وانظـر إلـى مـا تَصْنَـعُ العبـرُ

انظـر إلـى غِيَـرٍ مُصـرِّفـة ... مـا دامَ يمكـنُ طـرفَـك النظـرُ

فـإذا جهلـتَ ولـم تجـدْ أحـداً ... فسـل الـزمـانَ فعنـدَه الخبـرُ

فـإذا نظـرتَ تـريـدُ معتَبَـراً ... فـانظـر إليـك، ففيـك معتَبَـرُ

أنـتَ الـذي تنعـاه خِلْقَتُـه ... ينعـاه منـه الشَّعْـرُ والبَشَـرُ[1]

يـا مـن يُـؤمّـلُ أنـت منتَظِـرٌ ... أمـلاً يطـولُ، ولَسْـتَ تُنتَظَـرُ

مـاذا تقـول وأنـت فـي غَصَـصٍ؟ ... مـاذا تقـول وفـوقَـك المَـدَرُ[2]؟

مـاذا تقـول وقـد لحقـتَ بمـا ... يجـري عليـه الـريـحُ والمَطَـرُ؟

كـم قـد عَفَـتْ عينٌ لهـا أثـرٌ ... درسَـتْ ويـدرُس بعـدهـا الأثـرُ

يا من يُشَيِّعُ ببدنه المَيْت، فأمّا قلبه ففي البيت، أتُخَلِّي بين الودود والدود، وتعود إلى المعاصي حين تعودُ؟! هلاّ أَجَلْتَ[3] بالبالِ ذكر البالي؟ وقلتَ للنفس الجاهلة: هذا لي.

مَنْ زار القبورَ والقلبُ غافل، وسعى بين الأجداثِ والفكرُ ذاهل، وشغلَهُ عن الاعتبارِ لَهْوٌ شاغل، فهو قتيلٌ قد أسكره القاتلُ:

وما أعطى الصبابةَ ما استحقَّت ... عليـه، ولا قضـى حـقَّ المنـازل

مُـلاحَظُهـا بعيـنِ غيـرِ عبـرى[4] ... وزائـرهـا بجسـمٍ غيـرِ نـاحـل

---

(١) البَشَر: الجلد.

(٢) المَدَر: قطع الطين اليابس (القاموس المحيط). أو الطين المتماسك (لسان العرب).

(٣) أجَلْتَ: أدَرْتَ.

(٤) عبرى: باكية، تسح عَبْرتها.

شيّع الحسنُ جنازَةً فوقفَ[1] على شفيرِ القبرِ فقال: إنَّ أمراً هذا آخره لحقيقٌ أن يُزْهدَ في أوله، وإنَّ أمراً هذا أوله، لحقيقٌ أن يخافَ آخره.

إخواني! كيفَ الأمنُ وهذا الفاروق يقول: لو أنَّ لي طِلاعَ[2] الأرض ذهباً وفضةً لافتديت بها من هولِ ما أمامي قبل أن أعلمَ ما الخبر؟.

لما طُعِنَ عمرُ رضي الله عنه قال لابنه: ضع خدي على التراب. فوضعه، فبكى حتى لصقَ الطينُ بعينيه، وجعل يقول: ويلي وويلَ أمي إن لم يرحمني ربي.

ودخل عليه كعب، وكان قد قال له: إنَّكَ ميتٌ إلى ثلاثة أيام، فلمَّا رآه عمر رضي الله عنه أنشد:

وواعدني كعبٌ ثلاثاً يَعُدُّها ... ولا شكَّ أنَّ القولَ ما قاله كعبُ
وما بي حذارَ الموتِ إنّي لميتٌ ... ولكن حَذارَ الذنبِ يتبعُه الذنبُ

وا عجباً من خوف عمر مع كمالِه، وأَمْنك مع نقصانِك.

قيل لابن عباس: أيُّ رجل كان عمرُ؟ فقال: كان كالطائر الحذِر، الذي كأنَّ له بكلِّ طريقٍ شَرَكاً[3].

يا مسدودَ الفهمِ بكثرةِ الشواغلِ! أَحْضر قلبَك لحظةً للعظة.

يا جامداً على وضعِ طَبْعه! تحرّكْ إلى قُطْرٍ[4] التذكرة.

يا عبدَ الطمعِ! طالعْ ديارَ الأحرارِ.

ما أطولَ غَشْيةَ غَفْلتِكَ فلِمَن تُحَدِّث؟ قلبُك في غلافِ غفلة، وفطنتك في غشاوة غباوة، وحبلُ عزمك الجديد جذيذ[5].

لو خَرَجَ عقلُك من سلطانِ هواك، عادَتِ الدولةُ عادلةً.

---

(١) في (ب): فجلس.
(٢) طلاع الأرض: ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل. النهاية في غريب الحديث.
(٣) الشرك: الفخ.
(٤) قُطر: بلد وناحية.
(٥) جذيذ: مقطوع.

لو صحَّ مزاجُ فطرتِك حَلا طعمُ النُّصح في فمك، المفروض عندك مرفوض، وكلام النصيح صوتُ الريح.

يا تلميذَ الهوى! أُخرج من وصفِ التبعيّة، يا مقيّدَ الوجود في فِناء[1] الفَناء! قامت قيامةُ المَلامةِ[2] وما تسمع، لقد ضَحَل[3] صوتُ النصيح، ولكنَّ صَلْخَ[4] صِماخِ[5] السمع مانعٌ.

يا هذا! لو وقفَ مرضُك رجونا لك البرءَ، ولكنَّ المرضَ يزيدُ، وقوةُ العزمِ تضعفُ:

متى يلتقي الأُلّافُ والعيسُ كلّما تَصَعّدْنَ من وادٍ هبطنَ إلى وادِ

يا مقبلاً على المعاصي أَدْبِرْ، ويحك! إذا أُخرجْتَ من يدك[6] فمن يُخَصِّل؟ كم تَجِدُ بالتوبة ولا تفي؟ ويحك إنَّ العقوبة باللذة لا تفي، ضمانُك عَقيم، ورِعْدُكَ عاقِرٌ، إذا أقمتَ بناءَ توبة اكتريتَ[7] ألفَ نَقّاض، ويحك! لا تفعل، فإنّه ما سحبَ أحدٌ ذيلَ الهوى إلا وتعثّر، أُكتب قصةَ الندمِ بمداد الدمع، وفي الحال تصلُ:

سألتُ ودمعُ العينِ سايل ودَعَتْ وداعي البينِ شاغل
فأجابَ دمعي وهو في صفةِ الأسى سَحْبانُ[8] وائل
أعرضتُ عنكَ فمَنْ تروم وبِنْتُ منك فمَنْ تُواصِل
لم يبقَ من سُنن الهوى إلا الوقوفُ على المنازل

---

(١) فِناء: باحة وساحة.
(٢) العلامة: المحاسبة واللوم.
(٣) ضحل: بُخّ.
(٤) صلخ: صمم.
(٥) صماخ: خَرق الأذن، وقيل: هو الأذن نفسها.
(٦) أخرجت من يدك: كناية عن انتهاء الحياة، وانقطاع العمل، وانتهاء فرصته.
(٧) اكتريت: استأجرت.
(٨) سَحْبان وائل: يضرب به المثل في البلاغة، فيقال: أفصح من سحبان: لَيْناً بليغاً، خطيب العرب غير مدافع، كان في خطبته يسيل سيلاً، المعروف أنه جاهلي، وفي الإصابة: أنه ممن أدرك النبي ﷺ ولم يره. انظر: رقم (٣٦٦٦) من مجمع الأمثال، للميداني.

يا مشرّداً عن الأوطان! إلى متى ترضى بالتمردك[1]؟! للقطا أُفحُوص[2]، ولابن آوى[3] مأوى.

منذ خمسين سنة تجدِّف[4] في العبور إلى ساحل التوبة وما تلحظُ الشطَّ، قوةُ الأمل عُقْدةٌ في وجه منشار الجدّ، الرياءُ عيب في رتة الإيمان، يَسُل[5] المرضَ إلى السل، شدةُ الحرصِ على الفاني سَدَّة في كبد اليقين، ومن صبر على مرارة الدواء عوفي:

الصُّقمُ على الجسمِ له تَرْدادُ والصبرُ يقلُّ والهوى يزدادُ
ما أبعدَ شُقتي وما ليَ زادُ ما أكثرَ بَهْرَجي[6] ولي نَقّادُ

يا أربابَ الدَّنَس! يا أوساخَ الذنوب! ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢]، لا تقنعوا بصب ماء التوبة على الظاهر، بُلُّوا الشَّعْر، وأنقوا البَشَرة، ما لم تَسْبَحْ بدمع عينيك لم تأتِ بسُنَّةِ الغُسل:

فَلَوْ دَاوَاكَ كُلُّ طَبِيبِ دَاءٍ بِغَيْرِ كَلامِ لَيْلَى مَا شَفَاكَا

أَبْلغُ المراهم لجراح الذنوب الندمُ، وأوطأُ فراشِ المعتذِرِ القلقُ، وأسرعُ الأوقاتِ إجابةً السحرُ، فاطرُدْ عن عينيك لذّةَ النوم، ونادِ في نادي الأسى مع القوم:

يا مَنْ بسهامِهِ لقلبي جَرَحا صِلْ مُشْتاقاً بغَيْرِكُمْ ما فَرِحا
ما نَاحَ له مُطَوَّقٌ[7] أو صدَحا إلاَّ شَرِبَ الدَّمْعَ وعَافَ القَدَحا

---

(١) التمردك: التصاغر مأخوذ من (مردك) العجمية، أي: رجل صغير، وفي لسان العرب: غلام رودك: ناعم، وجارية رودكة: حسناء في عنفوان الشباب، ويشير إلى الطراوة والتنعم.

(٢) أُفحوص: بوزن عصفور، مَجْثَم القَطاة، لأنها تفحصه.

(٣) ابن آوى: حيوان، جمعه بنات آوى، وهو من الفصيلة الكلبية، أصغر حجماً من الذئب.

(٤) تجدف: تجديف الطائر: تحريكه جناحيه إلى خلفه أثناء الطيران، وجدف الملاح السفينة: دفعها بالمجدف.

(٥) يسل: أي يوصله إلى السلال، وهو المرض المعروف بالسل.

(٦) البهرج: الزيف.

(٧) المطوّق: الحمام له طوق كالقمري.

يا نائماً طول الليل أما تُحِسُّ ببَرْدِ السَّحَر؟! لقد نَمَّ النسيمُ على الزَّهْر، ودلّتْ أغاريدُ الحمام على دنو الفجر، صاحَ الديكُ فلم تنتبه، وأعادَ فلم تُفِقْ، [فَقَوْى][1] ضربَ الجناحين لطماً على غفلتك، صفق إما ارتياحه لسنا[2] الفجر، وإما على الدُّجَى[3] أسَفاً.

يـا مَطُـولاً[4] بـالقيـام ... مستلـذّاً بـالمنـام
قُـمْ فقـد فـاتـكَ يـا ... مغبـونُ[5] أربـاح الكـرام
وَخَلَـوْا دونَـكَ بـالمَـوْ ... لـى وفـازوا بـالمـرام
وكـذا تسبقُـك القَـوْ ... مُ إلـى دارِ السَّـلام

* * *

(١) زيادة من (ب).
(٢) سنا: نور.
(٣) الدُّجى: الظلام.
(٤) مطولاً: مماطلاً، لا يفي ما التزم به.
(٥) المغبون: المخدوع وضعيف الرأي.

الفصل الخامس عشر

إخواني! الدنيا دارُ الآفاتِ، الإثمُ بقيَ والالتذاذُ فات، بينا نرى فيها الغصنَ خَضِراً متمايلاً أصبحَ ذابلاً ذا بلى[1].

يا أيُّها الذي قد غرَّهُ الأملُ ... ودونَ ما يأملُ التنغيصُ والأجلُ

ألا ترى أنما الدُّنيا وزينتُها ... كمنزِلِ الركبِ حَلّوا ثُمَّتَ[2] ارتحلوا

حتوفُها رَصَدٌ، وعيشُها نَكَدٌ ... وصفوُها كَدَرٌ، ومُلكُها خَلَلُ

تظلُّ تُفزِعُ بالرَّوْعاتِ ساكنَها ... فما يسوغُ له عيشٌ ولا جَذَلُ[3]

كأنّه للمنايا والرّدى غَرَضٌ[4] ... تظلُّ فيه سهامُ الدَّهرِ تَنتَضِلُ[5]

والنفسُ هاربةٌ والموتُ يتبعُها ... وكلُّ عثرةِ رِجلٍ عندَها جَلَلُ

والمرءُ يسعى بما يسعى لوارثِه ... والقبرُ وارثُ ما يَنْمَى له الرَّجُلُ

إخواني! انْبُسُوا للدنيا جُثَّةَ الهَجْرِ، واسمعوا فيها مِنْ واعظ الزَّجْرِ، واحسبوها يوماً صُمْتُوه للأجرِ، وصابروا ليلَ البلى، فما أسرعَ إتيانَ الفجر! ولا تبيعوا اليقينَ بالظنِّ، فحرامٌ بيعُ المَجْر[6].

لقد أبصرتْ عيونُ الفِطَن في نهارِ المشيبِ سبيلَ الرحيلِ، وسمعتْ آذانُ الفكرِ بقَعْقَعةِ الصلب[7] الصلب أذان التحويل.

لله دُرُّ أقوامٍ بادروا أيامَهم، وحاذروا آثامهم، جعلوا الصومَ طعامَهم،

---

(١) بلى: فناء.

(٢) في (أ): ثم ارتحل.

(٣) جذل: سرور.

(٤) غرض: ما ينصب لترمى إليه السهام.

(٥) تنتضل: انتضل القوم: رمَوْا للسبق.

(٦) المجر: أن يشتري ما في بطن الناقة من حمل، وقد نهي عن بيع المجر.

(٧) الصَّلب: فَقار الظهر. والقعقعة: حكاية صوت السلاح. الصَّلب: الشديد القوي.

والصمْتَ كلامَهم، فالأبدانُ بين أهلِ الدّنيا تسعى، والقلوبُ في رياضِ الملكوت تَرعى، قاموا لخوفِ القيامة بالأوامرِ، ووقفوا أنفسَهم على الخيرِ، ما توقفوا كالمؤامر[1]. هجروا بالصيام لذيذَ الهوى في الهواجرِ، وصَمَتَ اللسان كأنه مقطوع في الحناجر بالخناجر، وجرى الدمع واصباً[2] حتى قد محا المحاجِرَ.

متى تَطْرُقُ طريقَهم[3] قبل طُروقِ الطوارق؟ هذا ذِئبُ السَّقامِ قد عوى للعوائق، يا مَن أعماله فيما خلا رِيّا[4] للخلائق، كم داواك الطبيبُ؟ وكم رقى[5] بالرقائق؟ أين مَن ربا[6] في الربا، ونما بين النمارِق[7]، وأنْذَرَهُم حادي الموتِ لما حدا من الحدائق، وأمال مستقيمَهم فالتوى، فهل من هذا التوى[8] أنت واثق؟!.

ويحك! إنَّ الدنيا سراب مُخلِّف، فإن وُجدَ شرابٌ أعطَش، إزدهت فدهت[9]، على أنها تُذَمُّ وتُضَمُّ، كم عقَدت لمحبها عقد عهد، فلمّا حَلَّتْ عنده حَلَّت[10]، إنها لعجوز وهي في عينك كالقمر، وقد قَمَرَ[11] هواها قلبَك، فما أبقى منه إلا قلبَ قَمَر[12].

(للشريف الرضي)[13]:

---

(١) المؤامر: المتردد المضطرب.
(٢) واصباً: دائماً.
(٣) تطرق طريقهم: تسير سيرهم، وتقتدي بهم قبل طروق المنايا.
(٤) ريا: أي رياء.
(٥) رقى: من الرقية.
(٦) ربا: نما.
(٧) النمارق: جمع نمرقة: الوسادة الصغيرة أو الطنفسة.
(٨) التوى: الهلاك.
(٩) دهت: أصابت.
(١٠) حلت عنده حلت: حلت الأولى: بمعنى نزلت عنده، وحَلَّت الثانية: نقضت العهد وذهبت.
(١١) قمر: قمرت فلانة قلبه، أي: شغفته حبّاً.
(١٢) قلب قَمَرٌ: أي رمق، وهي البقية القليلة، وهذا مقلوب عن كلمة قمر.
(١٣) انظر: الديوان: ٢/ ٤٧١.

شَـرَتِ الفـؤادَ رخيصـةً أعـلاقُـهُ[1] ومضـى يَمَـضُّ بَنَـانَـهُ المغْبُـونُ

أفَنَيْتَ عمرك في طلبها، وما حصل بيدك منها إلا ما حصل بيد قيسٍ من ليلى.

صحا كلُّ عُمْدريٍّ الغرامِ عن الهوى وأنـتَ علـى حُكْـمِ الصَّبـابـةِ نـازلُ

ولُّ الدنيا ظهرَكَ تنضُّ[2] الآخرةُ لك نقابَها، تَعَرَّ عن الدنيا تُعزّ، وخُذْ قَدْرَ البُلغَةِ[3] وجُزْ تَفُزْ.

إلى متى زِنْبيلُ[4] حرصك على كاهل همتك، وأنتَ تسعى في مزابل طمَعك، تَحُشُّ[5] وقودَ الحُطام لنارِ هواك، وقد أقمتَ موقداً من الشَّرِ لا يفترُ، أما علمتَ أنَّه كلَّما تَرقَّى دخانُ أتُونِ[6] الهوى في برايخِ[7] الحسِّ سوَّد وجهَ القلبِ.

أنتَ في جمع الحطامِ نظيرُ الزَّبّال، وفي فِعْلِ الخيرِ غلامُ الحبّال[8]، عللِ الهمم مختلفة[9] الأجناسِ، هذا الشفنين[10] لا يقربُ غيرَ زوجته أبداً، فإنْ ماتت لم يتزوَّجْ أبداً، وكذلك الأنثى والدجاجة مع أيِّ ديك كان.

---

(١) أعلاقه: جمع عِلْق؛ وهو الشيء النفيس.

(٢) تنضّ: ترفع.

(٣) البُلْغَة: ما يتبلغ به من العيش.

(٤) زنبيل: وعاء يصنع من الخوص يسع خمسة عشر صاعاً كالسلة والفقة.

(٥) تحش: تجمع على النار وقوداً.

(٦) أتون: موقد.

(٧) برايخ: جمع بريخ، وهو منفذ الماء ومجراه، والمقصود به الجوارح، لأنها منافذ القلب.

(٨) غلام الحبال: كناية عن بطء الحركة وقلة النتاج، وفي نسخة: (غلام الخيال) أي: الفساد.

(٩) في (ب): عالم الهمم مختلف.

(١٠) الشفنين: اليمام، ومفردها يمامة، وهي الحمامة الوحشية، وهذه الخاصة ذكرها الدميري في (حياة الحيوان).

كلامي يدور حول ستور سمعك، وموانعُ الهوى تحجبُه أن يصلَ إلى القلبِ، فلو قد وصلَ إلى القلبِ أثَّرَ.

عضتْ رجلاً حيةٌ، فلم يعلم أنّها حية، فلم يتغير، فلما أُخبِرَ أنّها حية مات، لأنه حين أُخبر انفتحت مسامُّه، فوصل السمُّ إلى القلب.

يا أطروشَ الهوى! صاحِبْ مَنْ يسمع، يا عميَّ البصيرة امشِ مع من يبْصر، تشبّه بالصالحين تُعَدَّ في الجملة، هذا الطاووس يحبُّ البساتين، فهو يوافِقُ الأشجار، إذا أُلقت ورقها ألقى ريشه، فإذا اكتست اكتسى، لو سِرْتَ في حزب المتقين خطواتٍ، لعرفوا لك حقَّ الصحبةِ، يا مَنْ كانَ لهم رفيقاً فأصبحَ لا يعرف لهم طريقاً، أطلبِ اليومَ أخبارهم، واتبع في السلوك آثارهم، فإن وقعت ببعضهم حملك إلى أرضهم.

(للمصنّف):

في شُغْلٍ عن الرقادِ شاغلُ ... مَن هاجَهُ البرقُ بسفحِ عاقلِ
يا صاحبي هذي رياحُ أرضِهِمْ ... قد أخبرَتْ شمائلَ الشمائلِ
نسيمُهم سُحَيْريُّ الريحِ فما ... تُشْبِهُهُ روائحُ الأصائلِ
ما للصَّبا مُولعةٌ بذي الصَّبا ... أو الصَّبا فوقَ الغرامِ القاتلِ
ما للهوى العذريِّ في ديارنا ... أينَ العُذَيْبُ[1] من قُصورِ بابلِ
لا تطلبوا ثاراً بنا يا قومَنا ... دماؤنا في أذرعِ الرواحلِ
لله دَرُّ العيشِ في ظلالهم ... وَلَّى وكم أسار في المفاصلِ
وا طربي إذا رأيتُ أرضَهم ... هذا وفيها دَمِيَتْ مقاتلي
يا طُرةَ الشيحِ سُقِيتِ أدمعي ... ولا ابتليتِ في الهوى بما بُلي
ميلُك عن زهوٍ وميلي عن أسا ... ما طَرَبُ المخمورِ مثلُ الثَّاكل

يا من قد كثر ترددهُ إلى المجلس، ولم تزَل قسوةُ قلبه، لا تَضْجَرْ فللدوام أثَر، جالس البكائين يتعدَّ إليك حزنُهم، فتأثير الصحبة لا يخفى، أما ترى دُوْدَ

---

(١) وادٍ في شمال المدينة.

البقل أخضر؟ يا من يشاهد ما يجري على الخائفين ولا ينزعج، أقلُّ الأقسام[1] أن يبكي رحمةً لهم، إذا رأيتَ الثكلى تتقلقل فلا بد من رحمةِ الجنس.

(المهيار)[2]:

ولمّا وقفْنا بالـدِّيارِ تشابهتْ ... جسومٌ بَراهُنَّ البِلى وطلولُ
فبالٍ بداءٍ بيْنَ جنبيه عارفٌ ... وبالٍ بما جَرَّ الفِراقُ جَهُولُ

كان (العاصمي) قتيلَ عشقِ الدنيا، فَكُشِفَ له بالمُخَوِّفات نقابُ المحبوبة فسلا، ثم جُلِيت[3] عليه بالمشوقات محاسنُ الآخرة، فمال الجيِّدُ إلى الجِيْد.

أفيْنُها ولِلْحَدا[4] تغريدُ ... براماتِهِ إن ذُكِّرَتْ زَرودُ
ولاحَ برقٌ بِثنيّاتِ الحِمَى ... تُثيْمُه للاعيْنِ الرعودُ
فمالتِ الأعناقُ منها طرباً ... كما يُميلُ الناشدَ المنشودُ
هيهاتَ يَخْفى ما به متيَّمٌ ... دموعُه بوَجْنِيْهِ شهودُ

أتدرون ما أوجبَ اصفرارَ هذا التائب؟ ومن أيِّ شرابٍ أسكرَ هذا الشارب؟ وأيَّ كتاب أَقْدَم هذا الغائب؟..

كلّما زادَ كَرْبُهُ ... في هوى مَن يحبُّه
طارَ نحو الحبيبِ مِنْ ... شِدةِ الشوقِ قلبُه
دَنِفٌ كادَ ينقضي ... بَيْدِ البَيْنِ نحبُه
خَبَّرُونا عن العقيقِ ... متى سار ركبُه

* * *

---

(١) الأقسام: الأنصبة.

(٢) من قصيدة كتبها إلى الوزير عميد الدولة. انظر: ديوان شعره: ٣/ ١٨٨ ـ ١٩٣.

(٣) جليت: جلا العروس على بعلها: عرضها مجلوة.

(٤) في (أ): وللحمام.

الفصل السادس عشر

يا من نسبُه مُعرِقٌ في الموتى، وقد وعظوه وإنْ لم يسمعْ صوتاً، أذرِكْ أمرَك فما تأمنُ فوتاً:

(لأبي النّواس):

ألا كلُّ حيٍّ هالِكٌ وابنُ هالِكِ ... وذو نَسَبٍ في الهالكينَ عَريقِ
فَقُل لغريبِ الدّارِ: إنّكَ راحِلٌ ... إلى منزلٍ نائي المَحلِّ سحيقِ
وما تُديمُ الدنيا الدنيةُ أهلَها ... شُواظَ حَريقٍ أو دُخانَ حَريقِ
تُجَرِّعُ فيها هالكاً فَقْدَ هالِكٍ ... وتُشجي فريقاً منهمُ بفريقِ
فلا تحسبِ الدُّنيا إذا ما سكنتَها ... قراراً، فما دنياكَ غيرُ طريقِ
إذا ائتمنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشَّفت ... له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ
عليكَ بدارٍ لا يزولُ ظلالُها ... ولا يتأذّى أهلُها بمضيقِ
فما يبلغُ الراضي رضاه بِبُلْغةٍ ... ولا ينفعُ الصادي صَداهُ بِريقِ

يا راقداً وقد أُوذِنَ بالرحيل، يا مشيِّدَ البنيانِ في مدارجِ السيولِ، بادِرْ بالعملِ قبلَ انقضاءِ العمرِ، ولا تنسَ من يَعُدُّ الأنفاسَ للقائك:

وما هِيَ إلا ليلةٌ ثم يومُها ... ويومٌ إلى يومٍ وشهرٌ إلى شهرِ
مطايا يقرِّبْنَ الجديدَ إلى البِلَى ... ويدنينَ أشلاءَ الصحيحِ إلى القبرِ
ويُتركنَ أزواجَ الغيورِ لغيرِه ... ويَقْسِمنَ ما يحوي الشحيحُ من الوفرِ

وا عجباً! أما تعلمُ ما أمامك؟! فتهيأ للرحيل، وأَصْلِحْ خيامك، وتأهّبْ للرّدى، واقطعْ قطعَ المُدى[1] لمَرامك[2]، واجتهد أن ينشرَ الإخلاصُ في المحلّ

---

(١) المُدى: جمع مدية، وهي السكين.
(٢) في (ب): مدامك.

الأعلى أعلامَك، وأحضرْ قلبَك وسمعَك، وإن ملاّ[1] من ملامك[2]، وإيّاكَ والفتورَ فإنّي أرى الدواءَ دوامك[3]، أُطلب ما شئتَ بالعزم وأنا زعيمٌ[4] لك بالظَّفَر.

مَنْ عزم على أمرٍ هيّأ آلاتِه. لمّا كان شُغْلُ الغرابِ النَّدبَ على الأحباب لبس السواد قبل النوح.

أَنِفَتْ شُقَّةُ المهامِهِ[5] أن تقـ ـطعَ إلا بالشدِّ والتَّرحالِ
وأبى المَجْدُ أن يُنالَ بغيرِ الـ ـجِدِّ فلْتتّبِهْ عقولُ الرِّجالِ

إذا وقعتْ عزيمةُ الإنابةِ في قلبِ مَنْ ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، قَلَعتْ قواعدَ الهوى من مَنْشاهُ[6] الأمل.

ركب (ابنُ أدهم) يوماً إلى الصيد، وقد نُصبَ له فخٌّ ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم﴾ [يونس: ٩]، حوله حَبُّ ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، فصِيْدَ قبل أن يصيدَ، سمع هاتفاً يقولُ: ما لهذا خُلِقْتَ! ولا بهذا أُمرتَ! فكانت تلك العظة شربةً نَقَضَتْ قُوَلَنْجَ[7] الهوى.

يا له من سهمٍ ألقاه عن قَرَبُوسه[8] ويُوسه[9]، كان راقدَ الفهمِ في ليلِ الغفلةِ، مشغولاً بأحلامِ المُنى، فَصيحَ به: قم، فقامَ، فقيلَ له: سِر، فاستقامَ.

(للشريف الرضي):

مـا أجلـبَ البـرقَ لمـاء الآمـاق رأى علـى الغَـوْر وميضـاً فـاشتـاق

---

(١) ملا: من الملل.
(٢) في (ب): (لامك) أي: شدتك.
(٣) دوامك: الدوام على العمل والحضور.
(٤) زعيم: كفيل ضامن.
(٥) المهامه: جمع مهمه، وهي المفازة والصحراء.
(٦) مسناة: سدٌ يُبنى لحَجْزِ السيل أو النهر، به مفاتيحُ للماء تفتَحُ بحسب الحاجة.
(٧) القولنج: مغص وألم في الأمعاء، سببه التهاب القولون.
(٨) قَرَبوس: جزْءُ السرج، أي: المكان المنحني من السرج يجلس عليه الراكب.
(٩) اليوس: التبختر والتكبر على الناس وإيذاؤهم.

وعظه خطيبُ اليقظةِ، فوصَلَتْ مَلامتُه إلى سمع الأنفَةِ، فنهضت حميّةُ الرجولية.

يا (ابن أدهم)! مبارزةُ الصيدِ أولى مراتبِ الشجاعةِ، أفترضى أن تستأسِرَ[1] لثعلب الهوى؟!.

يا (ابنَ أدهم)! قتلكَ حُبُّ الدنيا فَتُرْ لأخذِ الثأر.

إن كانت لك عزيمة ـ يا (ابن أدهم) ـ فهذا الكُمَيْتُ وهذا الأدهم[2]، فصادَفَ التحريضُ حريضاً[3] فنهضَ.

(للشريف الرضي):

أَتَذَكَّراني طلبَ الطوائل ... أَيْقَظْتُما مِنّيَ غيرَ غافل
قُوما فقد مَلَلْتُ من إقامتي ... والبيدُ أولى بي من المَعاقل
شُنَّا بيَ الغاراتِ كلَّ ليلةٍ ... وعَوِّدَاني طَرَدَ الهوامل[4]
إنْ كانَ لا بدَّ من الموتِ فَمُتْ ... تحت ظلالِ الأسَلِ الذوابل[5]

هتف به متقاضي الشوق: يا بن أدهم! دخَلَتْ شهورُ الحَجِّ، فما قَعودُك يبلغ؟! فرحِّلَ الراحلةَ وراح، لاحتْ له نارُ الهدى، فصاحَ في جنود الهوى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾ [طه: ١٠] فتجلّى له أنيسُ «تجدني»، فغاب عن وجودِه، فلمّا أفاق من صعقة وجده، وقد دُكّ طور نفسه، صاح لسانُ الإنابة: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[الأحقاف ١٥].

رويداً أيُّها الحادي ... سُقِيْتَ الرَّابِحَ الغادي
فتلك الدارُ قد لاحَتْ ... وهذا الرَّبْعُ والوادي

---

(١) تستأسر: تسلّم نفسك أسيراً.
(٢) الكُميت: الخيل بين السواد والحمرة. والأدهم: الحصان الأسود.
(٣) الحريض: من أذابه الهم. والتحريض: الإثارة والإحماء.
(٤) الهوامل: الضوالّ من النعم. وطردها: سوقها سلاًّ وسرقة.
(٥) الأسَل الذوابل: الرماح الطوال، مفردها: أسلة. والذوابل: مفردها: ذابلة، والقنا الذابل: الدقيق اللاصق الليط.

فلمّا خرجَ عن ديار الأُلفة[1]، أومأت اليقظةُ إلى البطالة.

(لابن المعتز):

سلامٌ على اللذّاتِ واللّهو والصِّبا ... سلامَ وداعٍ لا سلامَ قدومِ

يا (ابن أدهم)! لو عُدْتَ إلى قصرِكَ فتعبّدتْ فيه، قال العزم: كلا ليس للمبتوتة[2] نفقةٌ ولا سُكنى.

أَحِنُّ إلى الرَّملِ اليمانيِّ صبابةً ... وهذا لَعَمْري لو رَضِيتُ كثيبُ

ولو أنَّ ما بي بالحصى فَلَقَ الحصى ... وبالريحِ لم يُسْمَعْ لهنَّ هُبُوبُ

أمرضته الشَّخم، فاستلذَّ طعمَ الجوع، وحَمّلَ جِلْدَه على ضعفِ جَلْده خُشونةَ الصوف.

حَمَلْتم جِبالَ الحُبِّ فوقي وإنَّني ... لأعْجَزُ عن حملِ القميص وأضْعُفُ

لاحَ له جمالُ الآخرة، فتثبتت في النظرِ عينُ اليقين، فتمكّنَ الحُبُّ من حَبّةِ القلبِ، فقام يسعى في جمع المَهْرِ من كسبِ الفقرِ، طالَ عليه انتظارُ اللّقاء، فصارَ ناطورَ البساتين، تقاضته المحبةُ باقي دَيْنِها، فسلّم الروحَ في الغربة، هذا ثمنُ الوصلِ فتأخّرْ يا مفلس.

دُونَ المعالي مُرتقَى شاهقُ ... فَطِرْ إلى ذِرْوَتِهِ أوْ قَعْ

مَنْ لم يخُضْ غمرتَها لم يُبِدْ ... قواعدَ المجدِ ولم يرتفعْ

كان إبراهيم إسكندريٌّ[3] الهِمّة، فاحْتقَرَ قَصْرَ بلخٍ في جنب ما أمَّلَ، فانتخبَ سوابقَ العزم، وسارَ في جُند الجدِّ، حتى قطعَ ظلماتِ الطبعِ، وبلغَ إلى مطلعِ شمسِ لا تغرُبُ، شكا إليه صفاءُ القلب من يأجوج وساوس النفس، فاستغاثَ بحامي المَسْكن، فقيل له: شُدَّ سدَّ العزم، فاستظهر بزُبَرِ الرَّبِر بالقَطْرِ[4]، ثم انفردَ

---

(١) في (ب): الغفلة.

(٢) المبتوتة: المطلقة طلاقاً باتّاً.

(٣) إسكندري الهمة: إشارة إلى الرجل الطواف في سورة الكهف.

(٤) وهذا موافق لما في سورة الكهف، وفي (أ): بالزُّبَرِ بعد القَطْرِ.

من جندِ جوارحه فوقعَ بعين الحياة في السر، فعاش بالتوفيق أبد الدهر.

أما تقومون كذا أو فاقعدوا ... ما كلُّ مَنْ رامَ السماءَ يصعَدُ
نام على الهونِ الذليلُ ودَرَى ... جَفْنُ العزيزِ لِمَ باتَ يسهدُ
أَخَفُكُم سعياً إلى سؤددٍ ... أحقكم بأنْ يُحمال سيِّدُ
عن تعبٍ أو ردِّ ساقٍ أولاً ... ومَسَحَتْ غُرَّةً سَبَّاقِ يدُ
لو شُرِّفَ الإنسانُ وهو وادعٌ ... لقطع الصمصامُ وهو مُغْمَدُ

* * *

القصل السابع عشر

الدنيا دار المحن، ودائرةُ الفتن، ساكنُها بلا وطنٍ، واللبيبُ فيها قد فَطِن.

(للمصنِّف):

يا مَنْ مالَ إلى الدُّنيا وصَبَا ... قد أمْعَنَ في الفاني طلبا
اطلب ما يبقى كيلا تَشْقى ... واتْبَعْ حقّاً ودعِ اللعبا
وذَرِ الدُّنيا فلكم قَتلتْ ... مَكْراً بسهامِ هوًى وصبا
بَرَّتْ ورَعَتْ فإذا اجتمعتْ ... خدعتْ حتى قطعتْ إرَبا
يا عاشقَها كم قد نَصَبَتْ ... لهلاكَ فاحْذَرْها سبيا
يا آمِنَها كم قد سلبتْ ... ولداً بَرّاً، أُمّاً وأبا
أينَ الجارُ أما قَدْ جارَ ... فجارَتُه حتى ذهبا
أم أينَ التِّربُ[1] أما تَرِبَتْ ... خدّاه[2] أما سكن التُّربا
كم خدّت خَدّاً في الأخدود ... وقدّتْ[3] قدّاً[4] منتصبا
كم ثغرٍ ملتَثِم لَثَمَتْ ... قد كان لراشفِه ضَرَبا[5]
فسقته المُرَّ لدى جَدَثٍ ... وكذاك الدَّهرُ إذا ضَرَبا[6]
وأتت قصراً يحوي نصراً ... فغدا وقصاراه خَرِبا
ومليكاً في صَوْلة دولة ... أضحى في الحفرة مغتربا
عَرْجٍ بالدار على الآثا ... رِ وَسَلْ طللاً أمسى شَحِبا[7]
ينبيكَ بأنّهمُ رحلوا ... وثوى مِنْ بعدِهُمُ الغُرَبا

---

(١) التِّربُ: المماثل في العمر.
(٢) تربت خداه: كناية عن الموت والدفن في القبر.
(٣) قدّت: قطعت.
(٤) قدّاً: قامة.
(٥) الضَّرْب: العسل الأبيض الغليظ، وقيل: عسل البرّ.
(٦) ضرب: فرق وشتت وباعد.
(٧) شحباً: متغير اللون باهتاً بعد نُضرةٍ وطلاوةٍ.

بينا الإنسانُ يرى رأساً ... فهوى رأساً فغدا ذَنَبا
فتأمَّلْ عاقبةَ الدُّنيا ... فلعلّكَ تصبحُ مجتنبا
وتدبّرْ ما صَنَعَتْ فلقد ... أبدتْ بصنائعها عجبا
ينساكَ الأهلُ إذا رجعوا ... عَنْ قبرِك لا تَسمَعْ كذبا
تركوكَ أسيراً إذ ذهبوا ... بترابِ ضريحِكَ محتجبا
وغَدَوْا فرحينَ بما أخذوا ... وغَدَوْتَ بإثمك محتقبا[1]
وترى أعمالَكَ قد حَضَرتْ ... فتُنكَسُ رأسَك محتبيا
فكُرْ في الذَّنْبِ وما احتقبتْ[2] ... كفُّاكَ عليكَ وما اكتسبا
كم بِتَّ على ذنبٍ فَرِحاً ... وغدوتَ على ذنبٍ طربا
وعلمتَ بأنَّ اللهَ يرى ... فاسأتَ ولم تُخبِنْ أدبا
فاعدُدِ الزادَ فما سفرٌ ... كالموتِ ترى فيه نَصَبَا
وأفِقْ والعمرُ به رَمَقٌ ... فكأنْ قد فاتَ وقد ذَهَبَا

يا كثيرَ الدَّرَنِ والدَّنَسِ[3]! يا مَنْ كلّما أقبل انتكسَ! يا مَنْ أُمِرَ بتركِ ما يفنى لما يبقى فعكس، جاء الأجلُ وحديثُ الأملِ هوس[4].

يا مؤثراً على الصوابِ عينَ الغلط، يا جارياً في أمرِه على أقبحِ نَمَط[5]، يا مضيِّعاً وقتَه المغتنم الملتقط، أيُّ شيءٍ بقي بعد الشَمَط[6]؟! أتنسى ما سلفَ لك وفرط[7]؟! وأبوك[8] بزلة واحدةٍ هبط، ما عندك من التوبة خبرٌ، ولا لها فيك أثرٌ، تتوبُ من الذنبِ، فإذا بَدا لك بدا لك[9].

---

(١) محتقباً: محتبساً وماخوذاً.
(٢) احتقبت: اجترحت واكتسبت.
(٣) الدنس: الوسخ.
(٤) هوس: طرفٌ من الجنون، واختلاط في التفكير وفساد.
(٥) نمط: طريقة.
(٦) الشمط: بياض الرأس يخالط سواده.
(٧) فرط: سبق بغير روية.
(٨) يشير إلى آدم عليه السلام وأكله من الشجرة.
(٩) أي: إذا ظهر لك الذنب مرةً ثانيةً نشأ لك فيه رأي جديد، فقارفتَ الذنبَ مرة ثانية.

مَنْ عَلِم أنّ عندنا حسنَ المآب آب[1]، مَنْ خاف الجزاءَ بما في الكتابِ تابَ، من حذر أليمَ العذاب ذابَ، مَنْ سار في طريق الأنجاب انجاب[2]، من ذَكَرَ فِعلَ الموت بالأب والجدِّ جَدَّ، من تفكّر في مرارةِ الكاسِ كاس[3].

ويحك! دَعْ محبةَ الدنيا، فعابرُ السبيل لا يتوطّنُ، وا عجباً تضيعُ منك حبّةٌ فتبكي، وقد ضاع عمرك وأنت تضحكُ! تستوفي مكيال هواك وتطفّف في كيل صلاتك ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ [هود: ٩٥].

تقف بيدنك في المحراب ووجهك ملتفتٌ للجراب[4]، ما يصلحُ مثلك في الحرب، أنتَ تفضَحُ صفَّ الجهاد، ما تَحْسُنُ الزرديةُ[5] على مخنّثٍ[6].

خمسينَ سنةً في مكتب التعليم وما حَذَقْتَ أبا جاد[7]، غداً تُوَبَّخُ وقتَ عرض ألواح ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ [فاطر: ٣٧]، بضاعتُك أيام عمرك وقد انتهبها قطاعُ الطريق، ورجعتَ إلى بيتِ الأسفِ بأعدالٍ[8] فارغةٍ، فانظر لعلّه تَخَلّفَ فيها شيءٌ تعاملُ به بقيةَ عمرك، فقيمةُ عمرِ المؤمنِ لا قيمةَ له[9].

سُقْياً لِـزَمـانِنَـا الـذي كـان لنـا ... وا فَقْـري أبَعْـدَ ذا الفقـرِ غِنـى؟
مـا أسـرعَ مـا تـولّـى البيـنُ بنـا ... وا قُـرْبَ منيّتـي ومـا نِلْـتُ مُنـى

كان (فُضالة بن صيفي) كثيرَ البكاء، فدخل عليه رجلٌ وهو يبكي فقال لزوجته: ما شأنه؟.

---

(١) آب: رجع.

(٢) الأنجاب: جمع نجيب، وهو الفاضل الكريم الحسيب النبيل المتفوق. وانجاب: انخرق وانشق وانقطع، وهنا: على معنى استجاب له الطريق.

(٣) كاس: عَقَل وتدبر.

(٤) الجراب: كيس النقود.

(٥) الزَّرَدِيَّة: الدرع.

(٦) المخنث: الرجل المتكسر المتثني من لين والمسترخي والساقط ضعفاً، ومن يفعل فعل الخُناث.

(٧) أبا جاد: الأوليات والأساسيات في التعليم.

(٨) أعدال: جمع عدل: أي: كيس من خيش.

(٩) لا قيمة له: أي لا يقدر بثمن، لأن سواه يعوض دونه.

قالت: زعم أنّه يريدُ سفراً بعيداً وما له زاد.

يا هذا! الآخرةُ دارٌ سكانُها الأخلاقُ الجميلةُ، فصادِقوا اليومَ سكانَها لتنزلوا عليهم يومَ القدوم، فإنَّ مَنْ قدِمَ إلى بلدٍ لا صديقَ له به نزل بالعراء.

يا هذا فنيَ العُمرُ في خدمة البَدنِ، وحوائجُ القلبِ كلُّها واقفةٌ، انهض إلى التلافي قبل التلفِ، الكَلَفُ[1] يُداوى قبل أن يصيرَ بهقاً، والبَهَق يلاطَفُ قبل أن يصيرَ برصاً، أما سمعتَ في بداية الزلل: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وفي وسطه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: ١٤]، وفي آخره: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

أتبكي على معاصيك والإصرار يضحك؟! أتخادعُ التوبةَ وإنّما تمكر بدينك؟!.

رأيتُ الناسَ خُدَّاعاً ... إلى جانبِ خُدَّاعِ
يعيشون مع الذئبِ ... ويكونَ مع الراعي

ويحك! حَصِّلْ كبريتَ عزيمةٍ قبل أن تقدحَ نارَ توبةٍ، وقبل نزولِ الحرب تُملأُ الكنائنُ[2].

ويحك! لا تطمع أن تخرجَ إلى فضاءِ قلبك حتى تتخلّصَ من رَبَقات[3] نفسِك، كيف لا يفْتقرُ إلى الرياضة لإزالة الكدر مَنْ أولُ غذائه دمُ الطمثِ[4]؟!.

ابك على ظلامِ قلبك يضيء، إذا بكت السحابُ على الربى تبسَّمت.

يا هذا! تسمع بالكيمياء وما رأيته صحَّ قط، اجمع عقاقيرَ التوبةِ في بوتقة

---

(١) الكلف: شيء يعلو الوجه لونه بين السواد والحمرة. والبهق: بياض يعتري الجلد يخالفُ لونَه، ليس من البرص.

(٢) الكنائن: جمع كنانة، وهي وعاءُ السهام، والمعنى: تؤخذ الأهبة للأمر قبل وقوعه.

(٣) ربقات: جمع ربقة: حبل فيه عدة عُرى، يُشَدّ فيه البهم.

(٤) الطمث: الحيض. يشير إلى الدم الذي لولا العلوق لتهتّك به جدار الرحم فكان حيضاً.

العزم، وأوقد تحتها نارَ الأسى على ما سلفَ، فإن تصَعّدَ منه نَفَسُ أسَفٍ، صار نحاسُ نحوسِك[1] ذهبَ سعادةٍ.

أترى في بستانِ التوبة ثَمَراً قد توجّه صلاحُه؟ كأني أشمُّ ريحَ كبدٍ محترقةٍ، أي قلب قد لفحته نارُ الوجدِ ففاح نسيمُه؟.

أحسنُ منظومٍ في سلك الاعتذارِ خَرزُ[2] الذُّلِّ، أحلى نطقٍ بلجَ سَمْعَ القبولِ الاستغفارُ، أطربُ كلامٍ يحرّك قلبَ الرحمةِ التَمَلُّقُ[3].

يا من بصدودهم لقلبي جرحوا ... وازدادَ بيَ الغرامُ لمّا نزحوا[4]
ما جُدْتُ بهم وهم بهجري سمحوا ... هذا المطروحُ ترى كم يُطَّرَحُ

قال (عبد الله بن مرزوق) لغلامه عندَ الموت: احملني فَاطْرَحْني على تلك المزبلة، لعلّي أموتُ عليها فيرى ذُلي فيرحَمني.

عُودوا وتعطّفوا على قلبٍ كئيبِ ... لو جِيْبَ لَبَانَ فيه حزنٌ ووَجيبُ[5]
يُدْعى للموتِ في هواكم فيجيبُ ... مَن أَمَلَ مثل فضلِكم كيف يَخيبُ

المذنبُ يأوي إلى الذل والبكاء كما يأوي الطفل إلى الأبوين، بكى أبوكم آدم على تفريطه، حتى جرت الأوديةُ من دموعه[6]، كان كلّما ذكر الجنةَ قَلِقَ، وكلّما رأى الملائكةَ تصعد يحترقُ، تذكّر المعاهِدَ فَحَنَّ.

والذي بالبَيْنِ والبعد بَلاني ... ما جرى ذكرُ الحِمى إلا شَجاني
حبذا أهلُ الحمى من ساكنِ ... شَفَّني الشوقُ إليهم وبَراني
كلّما رُمْتُ سَلُوّاً عنهمُ ... جذبَ الشوقُ إليهم بعناني

---

(١) نحوس: جمع نحس، وهو ضد السَّعْد.
(٢) خرز: جمع خَرَزة، ما ينظم في سلك ليتزين به.
(٣) التملق: التودد بكلام لطيف، والتضرع فوق ما ينبغي.
(٤) نزحوا: رحلوا.
(٥) جيب: قطع. وجيب: خَفْق القلب واضطرابه.
(٦) هذا من باب المبالغات.

أحْسُدُ الطيرَ إذا طارتْ إلى ... أرضِهم أو أقلعتْ للطيرانِ
أتمنَّى أنني أصحبُها ... نحوَهم لو أنني أُعْطَى الأماني
لا تزيدوني غراماً بَعدَكم ... حَلَّ بي من بُعدكم ما قد كفاني
ذهبَ العُمْرُ ولم أحظَ بِكُم ... وتَقَضَّى في تمنيكم زماني
يا خليليَّ احفظا عهدي الذي ... كنتما قبلَ النَّوى[1] عاهدتماني
واذكراني مثل ذكري لكما ... فمن الإنصاف أن لا تَنْسَيَاني
وسلا[2] من أنا أهواه على ... أيِّ جُرْمٍ صَدَّ عني وجفاني

* * *

(١) النوى: البعاد.
(٢) سلا: اسألا.

الفصل الثامن عشر

أيها المشغول باللذّات الفانيات! متى تَسْتعدّ لمُلمّات[1] الممات؟! متى تَستدركُ هفواتِ الفوات؟! أتطمعُ مع حُبّ الوسادات[2] في لَحاق السادات؟! وأنّى تجعلك مثلهم أنّى وهيهات؟!.

يـا مُـذْمِـنَ اللـذاتِ نـاسٍ قبـرَهُ[3] أذكـر تهجُّـمَ هـاذمِ اللـذاتِ
احـذَرْ مكـايـده فَهُـنّ كـوامِـنٌ فـي القلـبِ والأنفـاسِ واللحظـاتِ
تمضي حلاوةُ ما احتقبتَ[4] وبعدها تبقـى عليـك مـرارةُ التبعـاتِ
يـا حسـرةَ العـاصيـن يـومَ مَعـادِهـم وَلـوَ انّهـم سبقـوا إلـى الجنّـاتِ
لـو لـم يكـنْ إلا الحيـاءُ مـن الـذي ستـرَ الـذنـوبَ لأكثـروا الحسـرات

يا عظيمَ الجرأةِ! يا كثيرَ الانبساطِ! أما تخافُ عواقبَ هذا الإفراط؟!.

يا مؤثرَ الفاني على الباقي، غلطة لا كالأغلاط، ألك صبرٌ يقاوم ألمَ السياطِ؟! ألك قدمٌ يصلحُ للمشي على الصراط؟! أيعجبك لباسُ الصحّةِ؟! كلا! وثوب البِلا يُخاط ، داءُ المنون داءٌ أعيى على بقْراط[5].

كم رَحَلَ الموتُ على غارب[6] اغتراب! كم ألحقَ تربًا بالأتراب في سِفْرِ التراب، إنّما الموتُ مُخرنبق[7] ليقول، ومُجَرْمِزٌ[8] ليغول[9].

---

(١) ملمات: جمع ملمة، وهي النازلة.
(٢) الوسادات: كناية عن النوم والكسل.
(٣) في (ب): غدرها.
(٤) احتقبت: ارتكبت إثماً.
(٥) بقراط: أبقراط: طبيب يوناني من أكبر الأطباء الأقدمين وأشهرهم ، نحو (٤٦٠-٣٧٧ق.م) ، يتمهد الأطباء في قَسَمِهم التقيد بمنهجه الأخلاقي المعروف بقسم أبقراط.
(٦) الغارب: ما بين السنام والعنق ، ويقال: حبلك على غاربك: اذهب حيث شئت.
(٧) مخرنبق: في المثل: (مخرنبق ليتباع) أي: ساكت لداهية.
(٨) مجرمز: منقبض من اجرَمَزَّ -بتشديد-: انقبض.
(٩) ليغول: ليهلك، ليأخذ من حيث لا يدري المأخوذ.

وكمْ مِنْ فتًى يمسي ويُصبحُ آمناً وقد نُسِجتْ أكفانُه وهو لا يدري!

يا شدةَ الوَجَل عند حضورِ الأجلِ، يا حسرةَ الفَوْتِ عند حضورِ المَوْتِ، يا خَجْلةَ العاصينَ، يا أسف المقصّرين!.

(للحجاج):

إلى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَاقَ دَمِي
فَمَا أَنْفَكُّ مِنْ نَدَمٍ وَهَانَ دَمِي فَهَانَ نَدَمِي[1]

استلبتْ زمانك يا مسلوب! وغالِب الهوى يا مغلوب! وحاسِبْ نفسك فالعمرُ محسوب، وامحُ قبيحَك فالقبيحُ مكتوبٌ، وا عجباً لنائم وهو مطلوبٌ، ولضاحِكٌ وعليه ذنوبٌ.

ألا ذكّراني قبلَ أن يأتيَ الموتُ ويُبْنَى لجثماني بدارِ البلَى بيتُ
وعرفني ربي طريقَ سلامتي وبصّرني، لكنني قد تعاميتُ
[وقالوا مشيبُ الرأس يَحْدو إلى البلى فقلتُ: أراني قد قربتُ فأُدْنيتُ][2]

أين الدموعُ السواجمُ[3] قبل المنايا الهواجم؟! أين القلقُ الدائمُ للذنوبِ القدائم؟! أترى أثَرتِ الملاوم[4] في هذه الأقاوم؟!.

أيها القاعدُ والموتُ قائم، أنائمٌ أنتَ عن حديثنا أم متناوم؟! لا بدّ ـ والله ـ من ضربةٍ لازم، يُفْزِعُ لها سنُّ نادم، لا بدّ من موجٍ هولٍ متلاطم، ينادي فيه نُوحُ الأسى ﴿لَا عَاصِمَ﴾ [هود: ٤٣][5]، لا بدّ من سقم السالم يَسَى فيه يا أمَّ سالم.

يا مَنْ سَيَنْسَأى عن بَنِيهِ كما نَأى عنهُ أبوهُ

---

(١) فهانَدمي: ها وهاءِ: هاتِ، تقول: ها يا رجل وهاء، وهاتي يا امرأة. وندمي: أسفي.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) السواجم: جمع ساجمة، وعين ساجمة: يقطر دمعها.
(٤) الملاوم: من اللوم، وهو: العذل.
(٥) لا عاصم: يشير إلى جواب نوح عليه السلام لابنه حين دعاه إلى السفينة فقال: سآوي إلى جبل. فقال له نوح عليه السلام: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

مُنَّـلْ لنفسِـكَ قـولَهـم: جـاءَ اليقيـنُ فَـوَجْهُـوهُ
وتحللـوا مِـنْ ظُلْمِـهِ قبـلَ الممـاتِ وحَلِّلُـوه

يا مؤخراً توبتَهُ بمُطْلِ التسويفِ ﴿لِأَنِّي يَوْمٍ لَّبِثْتَ﴾ [المرسلات: ١٢]، كنت تقول: إذا شِبْتُ تبتُ، فهذي شهور الصيف عنّا قد انقضت[١]، قدّر أنَّ الموتَ لا يأتي إلا بغتةً! أليسَ مرضُ الموتِ يَبغَتُ؟!.

ويحكَ! قد نفدَ السليطُ[٢] فاستدرك ذُبالةَ[٣] المصباح، في كلِّ يوم تضعُ قاعدةَ إنابةٍ، ولكنْ على شفا جُرُفِ هارٍ، كم تعزمُ على طاعةٍ وتوبةٍ، يا لَيْليَ الهوى ما يبصِرُ نوبة[٤]، تبيتُ من العزمِ في شِعارٍ[٥] (أُويس)، فإذا أصبحتَ أخذت في طريق (قَيْس)، تنقضُ عُرى العزائم عروةً عروة، وكلُّ صريع بالهوى رفيق (عروة)[٦]، كم دفنتَ كثيراً من الأعزة؟ وما يرجع (كُثَيِّرٌ) عن حُبِّ عَزّة.

جُنونُـكَ مجنـونٌ ولَسْـتَ بـواجـدٍ طبيبـاً يـداوي مـن جُنـونِ جنـونِ

خُلق قلبُك صافياً في الأصل، وإنّما كَدّرتْه الخطايا، وفي الخَلْوة يركدُ الكدرُ، تلَمّحْ سببَ هذا التكدير، فما يخفى الحالُ على مُتلمِّح.

كنتَ مقيماً في دار الإنابة نظيفاً، فسافرْتَ في الهوى فعلاكَ وسخٌ، أفلا تحِنُّ إلى النظافة؟! ألا يُحرِّكُ البدويَّ ذِكْرُ نجد؟! طال مرضُك فاليوم بُحران[٧]، أتدري ما البُحران، تجتمع القوةُ والمرضُ فيختصمانِ، فإن غلبَتْه جاءت العافيةُ، وإن غلبها فالهلاكُ، هذه ساعةُ بُحرانِكَ، والعقلُ يُقاوِمُ الهوى، فانظرْ مَنْ يغلِبُ؟

---

(١) هذا شطر بيت في قصيدة لقيس بن الملوح:
فهذي شهور الصيف عنّا قد انقضت فما للنوى ترمي بليلى المرامِيا

(٢) السليط: كل دهن عُصر من حَبّ.

(٣) الذبالة: الفتيلة.

(٤) نوبة: فرصة، وواحدة النوب، وناب إلى الله: تاب.

(٥) الشِّعار: ما وَلِيَ الجسد من الثياب، يشير إلى قرب حاله من حال أويس رضي الله عنه.

(٦) عروة وقيس وكثير: من عشاق العرب عرف أولهم بعفرائه، وثانيهم بليلى، وثالثهم بعزة.

(٧) بُحران: مريض، وفي القاموس: بُحران المريض، مُوَلّد، وهذا يومُ بُحران، مضافاً. وفي لسان العرب: الأطباء يسمون التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة: بُحراناً، يقولون: هذا يومُ بحرانِ.

وا عجباً كيف يَسْتأسِرُ أسدٌ لثعلبٍ؟! يا مستهاناً في خدمةِ النفس، أُخرجْ إلى ديارِ القلبِ تُعَزّ.

الفِيَلةُ في الهند عواملُ تَنقلُ رحالَ القومِ وتخدمُهم، فإذا خرَجَتْ إلى من يعرف قدرها أُكرمت.

العُودُ في بلادِه خَشَبٌ، فإذا سُوفِرَ به إلى طالب الطِّيب أعِز.

تفّاحُ أصبهانَ في بلده فاكهة، فإذا جيءَ به إلى العراق دلّ على الطباعِ اللطيفة بِرِيحِه.

الفهدُ في الصحراءِ بَهيمةٌ، فإذا وقع بِيَدِ مَنْ يعرفه، غضبَ فيُتَرَضَّى.

البازي في البرية طائر، فإذا صِيدَ فسيرُه كفُّ الملك.

يا مختارَ الكونِ! وما يَعرِفُ قَدْرَ نفسِه، أما أَسْجدتُ الملائكةَ بالأمسِ لك، وجَعَلتُهم اليومَ في خدمتكَ؟! لما تكبّرَ عليك إبليسُ ـ وقد عَبَدَني سنين ـ طردتُه، أَفتُصافيه على خلافي؟ ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف: ٥٠]، أنا القائلُ قبلَ وجودِ أبيك للملائكة: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، اِطلعوا من خَوْخاتِ تَعَبُّدكم، فانظروا ما أصنعُ، أخلقُ قبضةً من ترابٍ، فصببْتُ عليها قطراتٍ من ماء ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]، قال الترابُ والماء: وأيُّ قدْرٍ لنا؟ فنزل دارَ تواضعهما عزيزٌ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]، فانضمَّ صدفٌ[1] بحر البدنِ على دُرِّ القلبِ، فانعقدَ وصَلَحَ عَرْشاً لصفة «ويسعني»[2].

خلا المثقّفُ[3] بالطفل داخلَ البيت، فسطّر في لوحِ سرّه القلمُ ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وأخرجه يومَ التخيير وقد حَذَق[4] المكتوب ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣]، ثم قيل له: لا يحتمل موضعُ الخُلع وجودَ دُرِّ البذر، فاخْرُجْ إلى عالمِ الطَّبْعِ ـ أكلتِ يا دودةُ القزِّ فاذهبي

---

(١) صدف: غشاء الدر، وواحدته بهاء: صَدَفة.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) المثقف: المربي.

(٤) حذق المكتوب: مهر فيه.

إلى الغَزْلِ، وتشاغلي بالنسج ـ فنزل إلى دار المجاهدةِ، فظهر من ثمرةِ شجرتِه، صبرُ الخليل، وثبوتُ الذبيح، وجهادُ يوسف، وكمالُ محمد ﷺ، ثم جاء أولياء في هذه الدولة، فخجلتْ عند زهدهم الرهبَةُ[1]، لا بل سبقوا تعبدَ الملائكة.

قال (سَرِيّ): ما فاتني وِرْدٌ قط فقدِرْتُ على إعادته، وذلك أنَّ الزمانَ الذي مضى فيه وظيفةٌ أخرى.

ما لي شُغْل سواه ما لي شُغلُ ما يصرفُ عن هواه قَلْبي عَذْلُ
ما أصنعُ إنْ جفا وخابَ الأملُ مني بدلٌ ومنه ما لي بدلُ

كانت (ريحانةُ العابدةُ) تقومُ من أول الليل، وتقول:

قامَ المحبُّ إلى المؤمَّلِ قومةً كادَ الفؤادُ من السرورِ يطيرُ

فإذا انقضى الليلُ، صاحَتْ: واحَرَباه[2]، واسَلَباه.

ذهبَ الظلامُ بأُنسه وبألفه ليتَ الظلامَ بأُنسِهِ يتجدَّدُ

دخلوا على (زجلةَ العابدة)، فكلّموها في الرفق بنفسها، فقالت: والله لأصلّينَّ لله ما أقلّتني جوارحي، ولأصومنَّ له أيامَ حياتي، ولأبكينَّ ما حملتْ الماءَ عيناي.

لا أقبلُ نصحَكم فَخَلُّوا عَذْلي ما أَعْذَبَ في الغرام طعمَ القَتْلِ
إنْ طُلَّ دمي فكم محبٌّ مثلي قد ضُرِّج باللِّحاظِ لا بالنَّبْلِ

أينَ أنتَ من الأحبابِ؟! كم بين القُشورِ واللُّباب؟!.

(لصَرَّدُرٍ)[3]:

هل مُذْلِجٌ عندَه من مُبْكِرٍ خبرُ وكيفَ يعلمُ حالَ الرائح الغادي؟

---

(١) الرَّهَبة: جمع راهب.
(٢) الحَرَب: أن يسلب الرجل ماله.
(٣) من قصيدة له يمدح فيها الوزير ابن جهير. انظر: الديوان، ص١٠٥.

يا معجّباً بتعبّده! تأمّلْ فضائلَ السابقين، وقد هَدرْتَ شقاشِقَ كِبْرِك، النظرُ في سيرهم قَرَظٌ[1]، يجفف عفنَ الرعونةِ، مضى ـ والله ـ أهلُ المعاني، وتخلّفَ أربابُ الدعاوي.

هـاتِـك ربـوعُهـمُ وفيهـا كـانـوا ... بـانـوا عنهـا فليتهـمْ مـا بـانـوا
نـاديـتُ وفـي حُشـاشتـي نِيـرانُ ... يـا قـومُ متـى تحـوّلَ السكـانُ؟

* * *

(١) قرظ: ورق السلم يدبغ به الأديم.

الفصل التاسع عشر

عجباً لراحلٍ ماتَ وما تزوّدَ للرحلةِ! ولمسافرٍ ماجَ وما جمعَ للسفرِ رَحْلَه، ولمنتقلٍ إلى قبرِه لم يتأهّبْ للنُّقلة، ولمُفرِّطٍ في أمرِه لم يستشرْ عقلَه.

(الصُّرَّدُر)[1]:

لا مريةٌ في الردى ولا جَدَلُ ... العمرُ دَيْنٌ قضاؤه الأَجَلُ
للمرءِ في حَتْفِ نفسِه[2] شُغُلٌ ... فما تريدُ السيوفُ والأَسَلُ[3]
يَفْري الدُّجَى والضحى بأسلحةٍ ... سِيّانَ فيها الدروعُ والحُلَلُ
كأسٌ أُديرتْ[4] على لذاذتِها ... عُدّل فيها الرُّعافُ[5] والعَسَلُ
كلٌّ إلى غايةٍ يصيرُ، ولا ... تمييزَ إلا الإمراعُ والمَهَلُ
والناسُ ركبٌ يَهْوَوْن حثَّهمُ ... ولا يُسَرُّون أنّهم نُزُلُ
وسوفَ تُطوى مسافةٌ دَمَلت[6] ... بقاطعيها ركائبٌ ذُلُلُ[7]
كيفَ يَعُدُّ الدُّنيا له وطناً ... مَنْ هُوَ عنها بنأى ويَنتقِلُ
نَسْخوا بأعمارِنا ونبخَلُ بالـ ... لمالِ فتَبُّ السخاءُ والبَخَلُ
أضاعَ راقي الداءِ العُضالِ كما ... ضَيَّع في سَمْعِ عاشقي عَذَلُ
ولو نجا الهائبُ الجبانُ من ... الموتِ[8] تحامى إقدامَه البطلُ

---

(١) قاله يعزي أبا القاسم بن أيوب في زوجة أبيه أبي المعالي بن عبد الرحيم. انظر: ديوانه، طبع دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٣هـ، ص١٤٥.
(٢) في الديوان: (أنفه).
(٣) الأسل: الرماح.
(٤) في الديوان: (أدرت).
(٥) الرعاف: السمّ القاتل. أي: تساوي السم والعسل.
(٦) دملت: يقال: سارت الذميلَ، والذميل: ضرب من السير.
(٧) ذلل: جمع ذلول؛ بيّنة الذل موطأة الأكناف.
(٨) في الديوان: (الحتف).

مـا أسلمـوا هـذه النفـوسَ إلـى ... الأجـداث إلا إذْ ضـاقـتِ الحِيَـلُ

ضـرورةٌ ذلّـلـت القُـرومُ[1] لهـا ... وقـد تقـودُ المصـاعـبَ الجُـدلُ[2]

ومن حذارٍ تبوّأ الكديةَ[3] الضَّبُّ ... وأوفـى[4] الشـواهِـقَ الـوَعِـلُ

يُقادُ في عـزّه الخَبَعْثَنَـةُ[5] الضـا ... ري ويُـذْعـي[6] فـي ذلّـه الجُعَـلُ

وهـل يـرُدُّ الأحبـابَ إن ظعنـوا[7] ... علـى محـبٍّ أن ينـدبَ الطلـلُ

إخواني! مرَّ الأقران على مدرجةٍ، وخيولُ الرحيل للباقين مُسْرَجةٌ، سارَ القومُ إلى القبورِ هملجةً[8]، وباتت أرواحٌ من الأشباح مستخرجةً، إلى كم هذا التسويفُ والمَجْمَجَةُ[9]؟! بضائعكم كلُّها بهرجةٌ[10]، وطريقُكم صعبةٌ عوسجةٌ[11]، وستعرفونَ الخبرَ وقتَ الحشرجةِ[12].

يا من قد ساعَ في الأوساخ إلى كم تُملي[13]؟! أتعبتَ[14] النُّساخَ.

يا من ضيَّعَ الشبابَ، وما يسمعُ العتابَ، وقد شاخَ، بادِرْ صُبابةَ[15] القُوى، واستدركْ باقي الطِّباخِ[16]، وتأهَّبْ للرحيلِ فما هذه الدنيا بمَناخ[17]،

---

(١) القروم: جمع قَرم، وهو السيد المعظم.

(٢) الجدل: جمع جديل، وهو الحبل المجدول من أدم، يكون في عنق البعير أو الناقة.

(٣) الكدية: الأرض الغليظة يحفرها الضب ليتخذها جحراً.

(٤) أوفى: يقال: أوفى على الجبل: أشرف.

(٥) الخبعثنة: الأسد.

(٦) يُذعي: يصيب بداهية.

(٧) في الديوان: (رحلوا).

(٨) هملجة: حسن سير الدابة في سرعة.

(٩) المجمجمة: المجماج هو المسترخي الرهل.

(١٠) البهرج: الباطل والرديء من الشيء.

(١١) العوسجة: شجرٌ فيه شوك، له ثمر كخرز العقيق.

(١٢) الحشرجة: تردد النفس في الحلق، وحشرج المحتضر: أوشك أن يموتَ.

(١٣) تملي: من أملى: استكتب، أي: جعله يكتب.

(١٤) أتعبت النساخ: كناية عن المبالغة في كثرة إملاء الذنوب والآثام.

(١٥) صبابة: بقية الشيء.

(١٦) الطباخ: القوة، ورجل به طباخ: به قوة وسمن، ووجد طُباخ.

(١٧) مناخ: من أناخ: أي: نزل، ومعناه: أن الدنيا ليس بدار مقام وبقاء.

كم باتَ مزمارٌ في بيتٍ فأصبحَ فيه الصُّراخُ.

أينَ مَنْ حَصَّنَ الحصونَ واحترس[1]، وعمّرَ الحدائقَ وغرس، ونصبَ سريرَ الكِبْرِ وجلس، وظنَّ بقاء النفس فخاب الظنُّ في نَفَس، نازلَه الموتُ فلمّا أنزلَه عن ظهر الفرسِ قُرِس[2]، ووجَّه وجهه إلى دارِ البلى فانطمسَ، وتركه في ظلامِ ظُلْمةٍ بين العَيْبِ والدَّنَس؟ فالعاقلُ من بادرَ الندامةَ، فإنَّ السلامةَ خُلَس[3].

(لابن المعتز):

ألا مَنْ لقلبٍ في الهوى غيرِ منتهٍ ... وفي الغيِّ مِطْواعٍ وفي الرُّشدِ مُكْرَهِ

أُشاوِرُهُ في توبةٍ فيقولُ: لا ... فإنْ قُلتُ: تأتي فتنةٌ[4] قال: أينَ هِيَ؟

سابقةُ القَدَرِ قضَتْ لقوم، وعلى قومٍ قضت، بدليل ﴿سَبَقَتْ لَهُم﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، تلقيحُ ﴿سَبَقَتْ﴾ نَوَّر قلوبَ الجن ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، وخذلانُ ﴿غَلَبَتْ﴾ أعمى بصائرَ قريش ﴿قَالُوٓاْ أَسَطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤].

إذا هُزِمت صوارمُ القدر، تقلقلَتْ رقابُ المقرّبين، غَضِبَ على قومٍ فلم تنفعْهم الحسناتُ، وَرَضِيَ على قوم فلم تضرّهم السيئاتُ، ما نَفَعَت عبادةُ إبليس، ولا ضرَّ عنادُ السحرةِ.

هبَّتْ عواصفُ الأقدار في بيْدِ الأكوان، فتقلّبَ الوجودُ وعمَّ الخبر، فلمّا ركدتِ الريحُ، إذا (أبو طالب) غريقٌ في لُجَّةِ الهلاك، و(سلمانُ) على ساحلِ السلامةِ، و(الوليدُ بنُ المغيرة) يَقْدُم قومَه في التيه، و(صهيبٌ) قد قدِمَ بقافلةِ الروم، و(أبو جهل) في رقدةِ المخالفة، و(بلالٌ) يناديِ: الصلاةُ خيرٌ من النوم.

لما قُضيتْ في القِدم سلامةُ (سلمان) أقبلَ يناظِرُ أباه في دين قد أبَاه[5]، فلم

---

(١) احترس: تحفّظ وتوقّى.
(٢) فرس: كُسر عنقه.
(٣) خلس: جمع خُلسة: فرصة تغتنم.
(٤) تأتي فتنة: أي أتقارف شهوةً حراماً.
(٥) أباه: رفضه.

يعرفُ أبوه جواباً إلا القيد، وهذا الجواب المرذول قديمٌ من يوم ﴿ حَرِّقُوهُ ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فنزل به ضيف ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ [محمد: ٣١]، فنال بإكرامه مرتبةَ «سلمان منا»[١].

سمعَ أنَّ ركْباً على نيّةِ السفرِ، فسَرَقَ نَفْسَه من حرزِ أبيه، ولا قَطْعَ[٢]، فوقفَ نفسَه على خدمةِ الأدلاّءِ[٣] ووقوفِ الأذلاّءِ، فلما أحسَّ الرهبانُ بانقطاعِ دولتِهم، سلّموا إليه أعلامَ الإعلامِ على علاماتِ نبيِّنا محمد ﷺ، وقالوا له: إنَّ زمنَه قد أظلَّ، فاحْذرْ أنْ تَضِلَّ، وإنّه يخرجُ بأرضِ العربِ، ثم يهاجِرُ إلى أرضٍ بين حَرَّتين، فلو رأيتموه قد فَلَى الفلا[٤] والدليلُ شوقُه، وخَلَى الوطن خلاءَ يزعجُه توقُه[٥].

(لأبي العلاء المعريّ):

وأبغضتُ فيكِ النَّخلَ والنخلُ يانِعٌ ... وأعْجَبَنِي مِنْ حُبِّكِ الطَّلْحُ[٦] والضّالُ

وأهوى لجرّاكِ السَّماوةَ[٧] والغَضَا[٨] ... ولـو أنَّ ضِيفَيْـهِ وُشَـاةٌ وعُـذّالُ

رحلَ مع رفقةٍ لم يرفقوا ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ [يوسف: ٢٠]، فابتاعه يهوديٌّ بالمدينة، فلمّا رأى الحرّتين توقّدَ حرُّ شوقِه، وما علمَ المنزلُ بوجْدِ النازلِ.

---

(١) يشير إلى حديث النبي ﷺ: «سلمانُ منّا آلَ البيت» رواه الطبراني والحاكم، ورمزَ له السيوطيُّ بالصحةِ.

(٢) ولا قَطْعَ: أي لا حدَّ على هذه السرقة.

(٣) الأدلاّء: يريدُ الرهبان الذين عندهم علمٌ بنبيِّ آخرِ الزمانِ رسولنا محمّدٍ عليه أفضل الصلوات وأتم السلام.

(٤) فلى الفلا: قطع الفلاةَ في رحلة الهجرة.

(٥) توقه: اشتاق ونزع إليه.

(٦) الطلحُ: شجر عِظام من العضاه ترعاهُ الإبل.

(٧) السماوة: موضع بالبادية ناحية العواصم (مختار الصحاح).

(٨) الغضا: شجر خشبُه من أصلب الأخشاب، وجمرُه يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ، وأهل الغضا: أهلُ نجدٍ لكثرته هنالك.

(للمتنبي)[1]:

أيدري الربعُ أيَّ دمٍ أراقا؟ وأيَّ قلوبِ هذا الركبِ شاقا
لنا ولأهلِهِ أبداً قلوبٌ تلاقى في جسومٍ ما تلاقى

فبينا هو يكابدُ ساعاتِ الانتظارِ، قدمَ البشيرُ بقدومِ البشيرِ، و(سلمانُ) في رأسِ نخلةٍ، فكادَ القلقُ يلقيه، لولا أنَّ الحزمَ أمسكَهُ، كما جرى يوم ﴿إن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ [القصص: ١٠]، ثم عجَّل النزول، ليلقى ركب البشارة[2].

خَليليَّ من نجدٍ قِفا بي على الرُّبى فقد هبَّ من تلكَ الرسومِ نسيمُ

فصاحَ به المالكُ: ما لكَ ولهذا؟ انصرفْ إلى شُغْلِكَ. فأجابَ لسانُ وجْدِه:

كيف انصرافي ولي في داركم شغل

فأخذَ يضربه فأخذ حاله يترنَّمُ لو سمع الأطروش.

خليليَّ لا واللهِ ما أنا منكُما إذا عَلَمٌ من آلِ ليلى بدا ليا

فلمّا لقيَ الرسولَ عرضَ نسخةَ الرهبانِ بكتابِ الأصلِ، فوافق ووافق[3].

يا محمّدُ! أنت تريدُ أبا طالب ونحنُ نريدُ سلمان.

أبو طالب إذا سئل عن اسمه، قال: عبد مناف، وإذا انتسبَ افتخر بالآباء، وإذا ذكرتِ الأموالُ عدَّ الإبلَ.

وسلمان إذا سئل عن اسمه قال: عبد الله، وعن نسبه، قال: ابن الإسلام، وعن لباسه قال: التواضع، وعن طعامه قال: الجوعُ، وعن شرابه قال: الدموعُ، وعن وِسادِه قال: السهر، وعن فخره قال: «سلمانُ منا»، وعن قصده، قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) انظر: ديوان شعره، ص٢٧٨.

(٢) في (ب): السيارة.

(٣) فوافق ووافق: أي وافق ما عنده من علامات النبوة التي تلقاها عن أهل الكتاب مما اتصف به رسول الله ﷺ، ووافقه فنشهَدَ شهادَةَ الحقِّ وأعلنَ إسلامه.

(للشبلي):

إنَّ بينـــاً أنـــتَ ســـاكنُـــه غيـــرُ محتـــاج إلـــى السُّـــرُج
[وعليـــلاً أنـــتَ زائـــرُهُ قـــد أتـــاهُ اللهُ بـــالفَـــرَج][1]
وجهُـــك المـــأمـــولُ حُجَّتُنـــا يـــومَ يـــأتـــي النـــاسُ بـــالعُجَـــجِ

* * *

(١) زيادة من المطبوع.

الفصل العشرون

يا مَنْ يمشي على ظُهورِ الحُفَر، ويرى السابقينَ إلى بيوتِ المَدَر، لو أصغى سمعُ التدبيرِ لسمعَ العِبَر، كفى بالموتِ واعظاً يا عمر[1].

لأبي العتاهية[2]:

وعظتْـــكَ أجـــداثٌ خُفُـــتْ ... فيهـــنَّ أجســـادٌ سُبُـــتْ
وتكلَّمَـــتْ لـــكَ بـــالِلَـــى ... مِنهـــنَّ ألسنـــةٌ صُمُـــتْ
وأرتْـــكَ قبـــرَكَ فـــي القبـــورِ ... وأنـــتَ حـــيٌّ لـــم تَمُـــتْ

يا سادراً في سُكْرِ سرورِه، ويا سادلاً ثوبَ غرورِه، كأنّك بك قد اقتعدتَ غاربَ الغُربة، واستبدلْتَ بالأترابِ التربة، سَيَقْسِمُ مالَكَ من لا يحمدُك، وستَقْدُم على من لا يعذُرُك، غداً يرجع الحبيبان عنك: حبيبُك من أهلِكَ يقسمُ حبيبَك مِنْ مالِكَ، وأنتَ في قفرِ الفقرِ إلى ما أسلفتَ، تبكي على ما خَلَّفْتَ، بين أناسٍ كلُّهم أسيرُ الفَرَق، وجميعُهم على مهادِ القَلَق.

مَحَلـــةُ سَفْـــرٍ كـــانَ آخـــرَ زادِهـــمُ ... إليـــه متـــاعٌ مِـــنْ حَنـــوطٍ ومـــن خِـــرَقِ
إلـــى مَنْـــزلٍ سَـــوَّى البِلـــى بيـــنَ أهلِـــه ... فلـم تَسْتَبِن فيه المُلوكُ مِنْ السُّوَقِ

إلى متى تبقى بدائك؟ أهذا الذي تفعلُه براؤك؟ لقد حلّ فَناؤك بفِنائك، وأخبرَ انتقاضُ بنائك عن بِنَائِك، وإنَّ وراءَكَ طالباً لا تفوتُه، وقد نُصبَ لك علمٌ لا تجوزُه، فما أسرعَ ما يدرِكُكَ الطالبُ، وما أعجلَ ما تبلُغُ العلَمَ.

---

(١) كفى بالموت واعظاً: أثرٌ ضعيفٌ جداً، كما قال العراقي، لأنّ فيه الربيع بن بدر، وهو متروك، وقد رواه الطبراني عن عمار كما في كنز العمال: ١٥/ ٥٤٧، وكان نقشُ خاتم سيدنا عمر: (كفى بالموت واعظاً يا عمر).

(٢) انظر: ديوان شعره، ص٧٨ـ٧٩.

إخواني! هذا الموتُ قد غدا يقول: الرحيلُ غداً، كيف بكم إذا صاحَ إسرافيل في [الصور][1] بالصُّوَر؟ فأسمعَ العظامَ البالية تحتَ المدَر، فاجتمعتْ من بطونِ السباع، وحواصلِ الطيرِ، وقامتْ تبكي على فواتِ الخيرِ، وسارَ الخلائقُ كلُّهم حُفاةً عراةً، كلٌّ منهم مشغولٌ بما عَراهُ[2]، وقد رُجَّتِ الأرضُ، وبُسَّتِ الجبالُ، وذهلتِ العقولُ، وشابتِ الأطفالُ.

يا نفسُ حقُّكِ أن تَجْزعي ... ويا عينُ إياكِ أنْ تَهْجعي
ويا أُذُني إنْ دعاكِ الهَوَى ... فإياكِ إياكِ أنْ تَسمعي
وبالله يا جَفْنَ عيني القريحَ ... ضَرِّحْ بفيضِ الدِّما أَدْمُعي
ويا كُلَّ جارحةٍ ليَ عليكِ ... حفيظٌ فابْكي ونُوحي معي
يسيرُ بنا الدَّهرُ مِن مَوْضعٍ ... نُرحَّلُ عنه إلى مَوْضِعِ
إلى حيثُ لا العينُ فيه تَرى ... ولا الأذْنُ إنْ خاطبوها تعي
فيا ويلَنا مِنْ طريقٍ هناكَ ... طويلٍ بعيدِ المدَى مُسبِعِ[3]

يا أهلَ الذنوبِ والخطايا! ألكم صبرٌ على العقوبة؟ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [المعارج: ١٥]، إذا شاهدتْ من اشترى لذةً ساعةً بعذاب سنين ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]، من أراد النجاةَ منها فليتب ﴿قَبْلَ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: ٣].

كيف أمِنَ العُصاةُ وعيدَ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]؟! كيف نَسُوا غِبَّ[4] الزلل؟! ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨].

إخواني! مُثِّلوا أهلَ الجنَّةِ ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [مريم: ٨٥]، و﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨]، ومعهم توقيع ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس: ٦٢]، فلما وصلوا إلى الجنان ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾، وبَدَاهم الخزنةُ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾، وبشّروهم بالبقاء الدائم: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقرأت

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) بما عراه: أي بما نابه ونزل به.
(٣) مسبع: كثير السباع.
(٤) غِبّ: الغب من كلّ شيء عاقبتُه وآخرُه.

الأملاكُ من سجلِّ الإملاكِ مبْلغَ الثمن ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤]، وجميعُ المراداتِ داخلةٌ في إقطاع ﴿مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١]، وقد اسْتُرْجِعَ في الميزان ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، وأتمُّ التمام ﴿وَمَا هُم بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وهـذا السرورُ بتلـكَ الكُـرَبْ وهـذا النعيـمُ بـذاكَ التَعَـبْ

ويحك! ميِّزْ بعقلِكَ [وحسِّك][1] بين الدارين، وأحضر الذنبَ والعقابَ والمَحْ العاقبتين.

هذا الحيوانُ البهيمُ ينظرُ في العواقبِ، هذا الأَيْلُ[2] يأكلُ الحياتِ، فيشتدُّ عطشُه فيحومُ حولَ الماءِ، ولا يشربُ، لعلمه أنَّ الماءَ يُنفِذُ السمومَ إلى أماكنَ لا يبلغُها الطعامُ، ومن عادتِه أنَّه يسقطُ قرنُه كلَّ سنةٍ، وهو سلاحُه، فيختفي إلى أن ينبتَ.

هذه الحيةُ تختبئ طولَ الشتاءِ بالأرضِ، فتخرجُ وقد عشيَ بصرُها، فتحكُّه بأصولِ الرازيانجِ لأنَّه يزيلُ العشا.

هذا الفهدُ إذا سَمِنَ علمَ أنَّه مطلوبٌ وشحمُه يمنعه من الهرب، فهو يسترُ نفسَه إلى أن ينحلَّ الشحمُ.

هذه النملةُ تدَّخِرُ في الصيفِ للشتاءِ، فإذا خافتْ عفنَ الحبِّ أخرجته إلى الهواءِ، فإذا حذرتْ أن ينبتَ نقرت موضعَ القطمير[3].

أَسَمِعْتَ يا مقطوعَ الحيلةِ؟ متى تَدَّخِرُ من صيفِ قوتِكَ إلى شتاءِ عَجْزِك؟ هذه السمكةُ إذا حبسَتْها الشبكةُ جَمَزَتْ[4] بكلِّ قُوَّتها لتقطعَ الحابسَ، لو نهضتَ بقوَّةِ العزمِ لا نخرقتْ شبكةُ الهوى.

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) الأيل: الوعل.

(٣) موضع القطمير: الشق في الحبة والنواة.

(٤) جمزت: وثبت.

إذا مدَّ النهر اغتنمتْ هذا المدَّ الزنابيرُ، فبنتْ منه بيوتاً، لأنَّه لا يصلحُ لها غيرُه، مدَّ بحرُ الشباب وما بنيتَ بيتَ جِدّ، فحَدِّثني ما الذي تصنعُ في الفَحْلِ؟! إن فاتك زمنُ المدِّ، فمَدُّ اليدِ للسؤالِ حيلةُ المفلسِ.

يا مُحصَراً عن الوصول لا يجزئُهُ الهَدْيُ، يا منقطعاً في الطريق عن جملةِ الوفدِ، تحامَلْ إلى بعضِ خِيَمِ أهل الوصلِ، واشهدْ على وصيتِكَ ذَوَيْ عدل، وناد في النادي بصوتِ الذُّل:

وإذا وَصَلْتـمْ سـالميـنَ فبلِّغـوا تحيةَ مَنْ قدْ ظنَّ أنْ لا يرى نجدا

ابسُط في الدجى يدَ الطلبِ، فأطيبُ ما أكلَ الرَّجُلُ مِنْ كسبِ يده، وقُلْ بلسانِ التملُّقِ:

أحبابَنا أنا ذلك العبدُ الذي راعَيْتمـوهُ نـاشِئـاً وَوَليـدا
حالتْ به الأحوالُ بعد فِراقِكُمْ فـرَمَى بِـأَسْـرَبِه وجـاءَ فـريـدا

وإذا جلستَ في ظلامِ الليلِ بين يدي سيدِك، فاستعمل أخلاقَ الأطفالِ، فإنَّ الطفلَ إذا طلبَ من أبيه شيئاً فلم يعطِه بكى عليه:

بَلَغَ المُنى مَنْ حلَّ في وادي مِنَى غيْـري فـإنِّي مـا بلغـتُ مُـرادي
وبكَيْتُ مِنْ ألمِ الفراقِ وشِقْوتي فبكى الحجيجُ بأسرِهم والوادِي

يا مَنْ قد نزلَتْ به بليةُ الطَّرْدِ، تَرَوَّحْ إلى حديثِ المناجاةِ وإن لم يُسمع منك، وابعث رسائلَ الأحزانِ مع رياحِ الأسحارِ ولو لم تصل.

يـا نسـيـمَ الصَّبـا بَلِّـغْ خطـابـي واشفِ مني الجَوى بِحَمْلِ الجوابِ
طُفْ بساحاتِ ذلك الرَّبعِ واحْملْ ذرةً مِـنْ تُـرابِ ذاكَ الجنـابِ
قُلْ لمولاي يا مُنى الروحِ والقلبِ ومَـنْ فيـهِ ذلَّتـي وانْتِحَـابـي
كنتُ أخشى الوُشاةَ فيكَ ولكنْ جفوةُ الحُبِّ لم تكنْ في حسابي

* * *

الفصل الحادي والعشرون

يا ساعياً لنفسه في المهالك! دنا الرحيلُ، نِضْوُ[1] النُّقْلة[2] بارِك، متى تذكرُ وحشتَك بعدَ إيناسك؟ متى تقتدي من ناسِكَ بناسِك[3]؟ كأنّك بك قد خرجتَ عن أهلِكَ وولدِك، وانفردتَ من عَدِدِكَ وعُدِدِك[4]، وقتلَكَ سيفُ الندمِ ولم يَدِك[5]، ورحلتَ ولم تحصِّلْ من ندمِكَ إلا عَضَّ يَدِك[6].

كأنّكَ لم تَسْمعْ بأخبارِ مَنْ مضَى ... ولم ترَ في الباقين ما يصنعُ الدّهْرُ
فإنْ كنتَ لا تدري فتلك دِيارُهم ... محاها مجالُ الريحِ بعْدَكَ والقَطْرُ
على ذاكَ مَرُّوا أجمعون، وهكذا ... يمرّون حتى يَنْشُرَ اللهُ[7] الحشرُ
فَحَتَّامَ لا تَصْحُو وقدْ قَرُبَ المدى ... وحتَّامَ لا ينجابُ عنْ قلبِكَ السُّكْرُ
بلْ سوفَ تصحو حتى ينكَشِفَ الغطا ... وتذكرَ قولي حينَ لا ينفعُ الذِّكرُ

يا من يذنبُ ولا يتوبُ، كم كُتِبَتْ عليك ذنوب؟ خلِّ الأملَ الكذوب، فربَّ شُروق بلا غُروب، وا أسفى أين القلوب؟ تفرّقتْ بالهوى في شُعوب[8]، ندعوك إلى صلاحِكَ ولا تؤوب، واعجباً الناسُ ضُروب[9].

---

(١) النضو: المهزول من الإبل.
(٢) النقلة: الاسم من الانتقال.
(٣) ناسك الأولى: إنسانيتك وعالمك، وناسك الثانية: العابد الزاهد.
(٤) العدة: ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح.
(٥) لم يَدِكَ: لم يؤدِّ دينك.
(٦) كناية على الندم على التفريط.
(٧) في (ب): يستردهم.
(٨) شعوب: جمع شعب: وهو الصدع والتفرق في الشيء.
(٩) ضروب: أصناف وأنواع.

متى تنتبه لصلاحك[1] أيها الناعسُ؟! متى تطلبُ الأُخرى يا مَنْ على الدنيا ينافِسُ؟ متى تذكر وحدتَكَ إذا انفردتَ عن مؤانس؟ يا من قلبُه قد جفا وجفنُه ناعس! يا مَنْ تحدّثُه الآمالُ! دعْ هذه الوساوسَ، أين الجبابرةُ الأكاسرةُ الشجعانُ الفوارس؟! أين الأُسْدُ الضواري والظِّباءُ الكوانسُ[2]؟! أين مَنِ اعتادَ سَعَةَ القصورِ، حُبس من القُبورِ في أضيقِ المحابس؟! أين الرافِلُ[3] في أثوابه عَرِيَ في ترابه عن الملابس؟! أين الغافلُ في أمله عن أجلِهِ سَلَبه كفُّ المُخالسِ[4]؟! أين حارسُ الأموالِ، أخِذَ المحروسُ، وقُتِل الحارسُ؟!.

يا مُضمِراً حُبَّ الدنيا إضمارَ الجَمَلِ الحقود، نبعثُ مِنْقاشَ اللَّومِ وما يصلُ إلى شظايا[5] المحبّةِ.

الدنيا جيفةٌ قد أرَاحَتْ[6]، ومزكومُ الغفلةِ ما يدري، سوقٌ فيها ضجيجُ الهوى، فمن يَسْمعُ المواعظَ؟!.

عَلَّمَتْني بهجرِها الصبرَ عنها فهي مشكورةٌ على التقبيحِ

إن أردتَ دواءَ حُبِّها فأولُ ما في الشُّربة الصبرُ.

انفردْ في صومعةِ الزهدِ، واحفر خندقَ الحذرِ، وأَقمْ حارسَ الورعِ، ولا تطلُع من خوْخَةِ مسامحةٍ، فإنَّ البَغْيَ في الفتى صَنَاعٌ[7].

(لصُرَّدُرٍّ)[8]:

---

(١) في (ب): لخلاصك.

(٢) الكوانس: جمع كانس، وكنس الظبي: دخل في كُناسه، وهو موضعه في الشجر يكنّ فيه ويستتر.

(٣) الرافل: يقال: رفل في ثيابه: أطالها وجرّها متبختراً.

(٤) المخالس: كناية عن الموت، لأنه يأخذُ الإنسانَ على غفلةٍ وخلسةٍ.

(٥) شظايا: جمع شظية، الفلقة من العصا.

(٦) أراحت: أنتنت.

(٧) صناع: ماهر اليدين، يشير إلى أن عدم الاحتراز من الشهوات، والتهاون فيها يؤدي بالإنسان إلى الظلم والبغي، الذي يأخذ بيده إلى الهلاك.

(٨) قاله في مدح أبي القاسم بن رضوان. انظر: ديوانه، ص١٣١.

النّجـا مِـنْ أرض نجـدٍ قبـل أن يَعْلَـقَ الفـؤادُ بـوَجْـدِ
كـم خليٍّ غـدا إليـه وأمسـى وَهْـوَ يهـذي بَعلْـوةَ[1] وبهنـد

حَصَنْ حِصْنَ التُّقى بسورِ القناعة، فإنَّ لِصَّ الحِرْصِ يطلبُ ثُلْمةَ، غريمُ الطبع[2] متقاضٍ مُلِحٌّ، والشرهُ ضَرَكٌ، وخُمارُ[3] المنى داءٌ قاتلٌ، بينا الحريصُ يَمُدُّ وترَ الأمل انقطعَ، هل العينُ إلا كأسٌ مشوبةٌ بالكدر ثم رسُوبُها الموت ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ [العنكبوت: ١٧] .

قال (محمد بن واسع): لو رأيتُم رجلاً في الجنة يبكي، أما كنتم تعجبون؟.

قالو: بلى.

قال: فأعجبُ منه في الدنيا رجلٌ يضحَكُ ولا يدري إلامَ يصير؟.

ضحك بعضُ الصالحين يوماً، ثم انتبه لنفسه، فقال: تضحكينَ؟! وما جُزْتِ العقبةَ[4]، والله لا ضَحِكتُ بعدَها حتى أعلمَ بماذا تقعُ الواقعة؟.

يـا نسيـمَ الشمـالِ بـالله بلِّـغْ مـا يقـولُ المُبْتَهـمُ المُسْتَهَـامُ
قـل لأخبـانِنَـا: فـداكُـمْ مُحِـبٌّ ليـس يسلُـو ومقلَـةٌ لا تنـامُ
كـلُّ أُنـسٍ ولـذةٍ وسـرورٍ قبـل لُقيـاكُـم علـيَّ حَـرَامُ

فَرَّغَ القومُ قلوبهم من الشواغل، فَضُربت فيها سرادقاتُ المحبوب، فأقاموا العينَ تحرسُ تارةً، وترشُّ الأرضَ أخرى، هيهات! هانَ سهرُ الحراسِ لما علموا أنَّ أصواتَهم بسَمْعِ الملك.

(لابن المعتز):

أيُّهـا المـالِـكُ الـذي سهـري فيـه كَطَعْـمِ الـرُّقـادِ بـلْ هُـوَ أحلـى

---

(١) علوة وهند: اسما علم للإناث.
(٢) غريم الطبع: ما يقتضيه الطبع ويطلبه.
(٣) الخُمار: بقية السكر.
(٤) العقبة: يريد الجسر المضروب على متن جهنم.

غَـرضـي مـا يـريـدُه بـي حبيبـي ... لو سَقاني مُهْلاً[1] لما قلتُ مَهلا
لسـتُ أدري أطـالَ ليلـيَ أم لا؟ ... كيـف يَـدْري بـذاك مـن يتقلّـى
إنَّ للعـاشقيـنَ فـي قِصَـرِ الليـلِ ... وفـي طـولـه عـن النـومِ شُغْـلا
لـو تفـرَّغـتُ لاستطـالـة ليلـي ... أو لِـرَعْـيِ النُّجـومِ كنـتُ مُخِـلاً
وغـرامُ الفـؤادِ مُـذْ غِبـتَ عنـه ... لـم يَحُلْ عَنْ هواكَ حاشى وكلا

قلوبُ العارفين مملوءة بذكر الحبيب، ليس فيها سَعةٌ لغيره.

قـدْ صِيغ قلبي على مِقدار حُبِّهِـمُ ... فمـا لحُـبِّ سـواهُـمْ فيـه مُتَّسـعُ

إنْ نطقوا فبذكره، وإنْ تحركوا فبأمره، وإنْ فَرِحوا فَلِقُربه، وإن تَرِحوا فلغيبته.

واللهِ مـا طلعتْ شمـسٌ ولا غَـرَبتْ ... إلاّ وأنـتَ مِنّـي قلبـي وَوَسْـواسـي
ولا جَلَسْـتُ إلـى قـومٍ أحُـدِّثُهـم ... إلاّ وأنـتَ حَـديثـي بيـن جُـلاّسـي
ولا همَمْتُ بشُرْبِ الماءِ مِنْ عَطَشٍ ... إلاّ رأيـتُ خَيَـالاً مِنْـكَ فـي الكَـاسِ

أقواتُهم ذكرُ الحبيب، وأوقاتُهم بالمناجاةِ تطيبُ، لا يصبرونَ عنه لحظةً، ولا يتكلّمون في غيرِ رضاه بلفظةٍ.

حيـاتـي منـكَ فـي رُوحِ الـوصـالِ ... وصبـري عنـكَ مِـنْ طَلَـبِ المُحَـالِ
وكيـفَ الصبـرُ عنـك وأيُّ صَبْـرٍ ... لعطشـانٍ عـن المـاءِ الـزُّلالِ
إذا لَعـبَ الـرَّجَـالُ بكـلِّ شـيءٍ ... رأيـتُ الحُـبَّ يلعـبُ بـالـرجـال

كم تُدْرَسُ أخبارُهم وما تَدْرُس[2]، لئِنْ طَواهم الفَناءُ لقد نشرهم الثناءُ، لو سمعتَهم في الدُّجا يَتَهجَّدون، لو رأيتهم في الأسحار يضُجّون، لولا نسائِمُ الرَّجاءِ كانوا يَنْضُجُون.

مـا لـيَ عـن وصلِـكَ اصطبـارُ ... إليـكَ مـن هَجْـرِك الفِـرارُ

---

(١) مُهلاً: النحاس المذاب، أو دردي الزيت، وأيضاً القيح والصديد.
(٢) تدرس الأولى: من المدارسة والمطالعة، وتدرس الثانية: لا تنمحي ولا تزول آثارها.

أصبحتُ ظمآنَ ذا جفونٍ ... مياه أخلافها[1] غِزارُ
أروم كتمانَ ما ألاقي ... وبالمآقي له اشتهارُ
ومِنْ نسيمِ الصَّبا إذا ما ... هبَّتْ على أرضكم أغارُ
آهٍ لذكرى ديارِ سَلْمى ... لا أجَدَبتْ تلكمُ الديارُ
لَهَفي لعيشٍ بها تولّى ... نظيرُ أيامها النّضَارُ
إذ أعينُ الدهرِ راقداتٌ ... وفي غُصون الهوى ثمارُ

* * *

(١) أخلاف: جمع خلفٍ، وهي حلمة الضرع، وأيضاً ضرع الناقة.

الفصل الثاني والعشرون

أيها الحاطِبُ على أزْرِه[1] وِزْراً وآثاماً! تنبّهْ ترَ الدنيا أحلى ما كانت أحلاماً، كم نكَّسَ الموتُ فيها أعلاماً أعلى ما[2]، كم أذلَّ بقهره أقواماً أقوى ما[3]، لا كان مفتاحٌ أمسى له الموت خِتاماً.

مَنْ على هذه الديارِ أقاما ... أو صَفَا مليكٌ عليه فَدَاما
عُجْ بنا نَنْدُبِ الذين تولَّوْا ... باقتيادِ المَنونِ عاماً فعاما
تركوا كلَّ ذَرْوةٍ مِن أثيمٍ ... يحسرُ الطرْفَ ثم حَلُّوا الرَّغاما
يا لحا الله مهملاً حَسَبَ الدهرَ ... نؤومَ الجفونِ عنه فناما
هلْ لنا بالغينَ كلَّ مرادٍ ... غيرَ ما يملأ الضُّلوعَ طعاما
وإذا أعوزَ الحلالُ فثَمَّ اللهُ ... كفّاً جَرَّتْ إليها حراما

التبعاتُ تبقى واللذاتُ تمرُّ، وغِبُّ الأرْي[4] وإنْ حلا فهو مُرٌّ، وكأنْ قد عوى في دار العوافي ذئبُ الضرّ، وما يُلهي شيءٌ من الدنيا ويَسُرُّ إلا يؤذي ويضر، وقد بانت عيوبُها، وليس فيها ما يَغُرُّ، وإنّما يمشقها الجهولُ، ويأنفُ منها الحرُّ.

تَبِذُلُ الرجالَ لأطْماعها ... كذُلِّ العبيدِ لأربابها
ولا تَجْتَنِي ثمارَ المُنى ... فتَجْني الهوانَ بأعقابها

إخواني! ربّما أورد الطمعُ ولم يصدُرْ، كم شاربٍ شَرِقَ[5] قبل الرِّيّ!.

مَنْ أخطأتْهُ سهامُ المنيةِ قيّده عِقالُ الهرم، ألا يَتيقظُ الغافلُ بأضرابه! ألا

---

(١) الأزر: الظهر.
(٢) أراد أعلى ما تكون.
(٣) أراد أقوى ما تكون. وفي الفقرتين من الجناس اللفظي اكتفاء.
(٤) الأريُ: العسل.
(٥) شرق: غصّ.

ينتهي العاقل بأوصابه[1]، أيَسْلَمُ والرامي تحتَ ثيابه؟!.

يا مريضاً قد أتعب الأطباءَ ما به، كأنّك بالدنيا التي تقول: مرحباً، قد حَلَّتِ الحُبى[2]، وتفرقتْ تفرُّقَ أيدي سبأ[3].

ويحك! أخوك مَن عذَلكَ لا من عذَرك، صديقُك من صَدَقك لا مَنْ صدَّقك.

ويحَك! من يُطْرِبُك يُطغيك، وما لا يَعْنيك يُعَنّيك، تتوب صباحاً فإذا أمسيتَ تَحُوْل[4] وتَعُوْلُ[5]، وتقولُ غير أنّك تَنْقُصُ ما تقولُ، تلوِّن دائماً كما تتلونُ الغُول.

يا عبدَ الهوى! إنْ دعا أمَنْتَ، وإن ادَّعى آمنت، كم قال لكَ الهوى وسمعت: «أنا مكّارٌ» وتبعتَ، واللهِ لقد أفْتُكَ[6] أضعافَ ما أفدتك، ولقد أحذر مَن أنذر، وما قصَّر من بصَّر.

لمّا رأى المتيقظون سَطْوةَ الدنيا بأهلِها، وخداعَ الأمل أربابها، لجؤوا إلى حِصْن الزهد، كما يأوي الصيدُ المذعور إلى الحرم، لاحَ له حَبُّ المشتهى، فلمّا مدوا إليه أيدي التناول، بانَ لأبصارِ البصائر خيطُ الفخّ، فطاروا بأجنحةِ الحذَر، وصوّتوا إلى الرعيل الثاني ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦]، جمعوا الرحْلَ قبل الرحيل، وشَمّروا في سواء السبيل، فالناس في الغفلات، وهُم في قَطْعِ الفلاةِ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٤١]، لو رأيتَ مطايا أجسامِهم وقد أذابَها السُّرى[7]، فهي تَحنُّ مما تُجِنُّ[8] فتبكي الحداةَ.

---

(١) أوصابه: أمراضه.

(٢) الحُبى: جمع حَبْوة، يقال: حلَّ فلانٌ حبوته؛ كناية عن الاستعداد للرحيل.

(٣) سبأ: بلدة بلقيس. وتفرق أيدي سبأ: أي تبددوا وضرب بما أصاب سبأ المثل لأنه لما غرق مكانُهم وذهبت جنّاتُهم تبددوا في البلاد.

(٤) تحول: تتغير.

(٥) تعول: تميل عن الحق.

(٦) أي: أضعت منك.

(٧) السُّرى: المشي في الليل.

(٨) تحن مما تُجن: أي حنينها مما أكنّت في صدورها من الشوق والمحبة.

(للمصنّف):

حَنّت فـأذكَتْ لـوعتي حنينا ... أشكـو مـن البَيْـنِ وتشكـو البَيْنا
قد عاثَ في أشخاصها طولُ السُّرى ... بِقـدْرِ مـا عـاثَ الفـراقُ فينـا
فَخَلْهـا تَمْشِـي الهُـوَيْنا طـالَمـا ... أضحَتْ تُباري الريحَ في البرينا
وكيف لا نـأوي لهـا وَهْـيَ التي ... بهـا قطعنـا النَّهـلَ والحُـزونـا
إن كُـنّ لم يُمْصِحْنَ بالشكوى لنا ... فهـنَّ بـالإرزام[1] يشتكينـا
قـد أقـرَحتْ بمـا تَجِـنُّ كبـدي ... إنَّ الحـزيـنَ يُسعِـدُ الحـزينـا
وقـد تَيَاسَـرتَ بهـنَّ جـائـراً ... عـن الحمى، فـاعْـدِل بها يمينا
يقـولُ صَحْبـي: أَتـرى آثـارَهُـمْ ... نَعَـمْ، ولكـنْ لا أرى القَطينا
لـو لـم تَجِـدْ ربـوعُهـم كـوَجْـدِنـا ... للبَيْـنِ لـم تُبـلَ كمـا بُلينـا
أكلَّمـا لاح لعينـي بـارقٌ ... بَكَت فـأبدت سِـرّيَ المصُـونـا؟!
لا تـأخـذوا قلبي بـذنـبِ مُقلتي ... وعَـذِّبـوا الخـائـنَ لا الأمينـا

دارت قلوبُ القوم في دائرة الخَوْف دورانَ الكرة تحتَ الصولجان، فهاموا في فلوات القلق، فمِنْ خائفٍ مُستجيرٍ، ومِنْ واجِدٍ يقول، ومن سكرانَ يَبُثُّ.

إذا لَعِـبَ الـرجـالُ بكـلِّ شـيءٍ ... رأيـتُ الحُـبَّ يلعـبُ بـالـرجـالِ

طالَتْ عليهم باديةُ الرياضة، ثم بدَتْ الرِّياض، فاستوطنوا فِرْدوسَ الأنسِ في قُلَلِ[2] طُور القلب[3].

شَقِينـا فـي الهـوى زمنـاً فلمّـا ... تـلاقَيْنـا كـأنّـا مـا شَقِينـا
سَخِطْنـا عنـدمـا جَنَت الليـالـي ... فمـا زالَـتْ بنـا حتـى رَضِينـا
فمَـنْ لـم يَحْيَ بعـد المـوتِ يومـاً ... فـإنّـا بعـدَ مـا مِتْنـا حَيِينـا

وقفتُ على قبرِ بعضِ الصالحين فقلتُ: يا فلانُ، بماذا نلتَ تردُّدَ الأقدامِ إليك؟[4].

---

(١) الإرزام: الصوت الشديد، وأرزم الرعد: اشتد صوته.
(٢) القُلة: أعلى الجبل وقمته.
(٣) في (ب): الطلب.
(٤) يريد زيارة الناس له في قبره.

فقال لي هاتف: أقدمتُ على ردِّ الهوى بلا تردُّد، فتردَّدَت إليّ الأقدام، كان عطرُ إخلاصي خالصاً، فعبقَ نشرُهُ بالأرواحِ.

(لمهيار)[1]:

جَرتْ مع الرسمِ لي محاورةٌ ... فَهِمتُ منها ما قالَه الرَّسْمُ
هلْ لكَ بالنازلينَ أرضَ مِنًى ... يا عَلَمَ الشوقِ بعدَنا عِلْمُ

أدلجَ القومُ طولَ الليل في السُّرى، وخافوا عِوَزَ الماءِ فتَمَّموا المزادَ[2] بالبكاءِ.

سَلُوا غَيْرَ طَرْفِي إنْ سَأَلْتُمْ عَنِ الْكَرَى ... فمَا لِجُفُونِ العَاشِقِيْنَ مَنَامُ

سكن الخوفُ قلوبهم فأذابها، فإذا بها في محلّة الأمن، نُحِلوا المعرفة فتحلَّوْا، فَعُمْر قَصْرُ القلبِ للملك، وقنعَتِ الحواشي في القاع بالخِيَم.

وكم ناحلٍ بينَ تلكَ الخيامِ ... تَحْسَبُه بعضَ أطنابِها!

يا هذا! سرادقُ المحبة لا يُضرَبُ إلا في قاع [فارغ][3] نَزِه، «فرغ قلبك من غيري أسكُنْهُ».

(للشريف الرضي)[4]:

تركُوا الدارَ فلمّا ... نزلوا القلبَ أقاموا
يا خليليَّ اسْقِيَاني ... زمنُ[5] الوجدِ مُدامُ
وصِفَا لي قُلعةَ الركب ... ولليلِ مُقامُ
ومِنًى، أينَ مِنًى مِنّي؟ ... لقد شطَّ[6] المَرامُ

---

(١) من قصيدة كتبها إلى الأستاذ أبي طالب بن أيوب. انظر: ديوان شعره: ٤/ ٢٢ ـ ٢٧.
(٢) المزاد: أي المزادة وهي الراوية، والجمع: مزاود.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) كتب به إلى الملك قوام الدين يتجز وعداً له عليه عام (٣٩٧هـ). انظر: الديوان: ٢/ ٢٨٢.
(٥) في (ب): ومن.
(٦) شطَّ: بَعُدَ.

هـــل علـــى جمـــعِ[1] نـــزولٌ وعلـــى الخَيـــفِ[2] خيـــامُ

يحقُّ[3] لأبدانِ المحبين أن تذوبَ، ولسماءِ أعينهم تَهمي[4] وتَصُوب[5]، لو حملوا جبالَ الأرض مع كرِّ الكُروب، كان [ذلك][6] قليلاً في حب المحبوب.

(لابن المعتز):

رأى خُضـــوعـــي فصَـــدَّ عَنّـــي فـــازددتُ ذُلاً فـــازداد تيهـــا
قلـــتُ لـــه خـــاليـــاً وعَيْنـــي قـــد أحـــرَقَ الـــدمـــعُ مـــآقيهـــا[7]
هـــل لـــيَ فـــي الحُـــبِّ مـــن شبيـــهٍ قـــالَ: وأبصـــرتَ لـــيْ شبيهـــا؟!

* * *

---

(١) جمع: المزدلفة لاجتماع الناس بها.

(٢) الخيف: ما ارتفع عن موضع مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل، ومنه قيل: مسجد الخيف بمنى، لأنه في خيف الجبل، وخيف مكة موضع فيها عند منى، وفي الحديث: «نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة» يعني المحصب.

(٣) حق يحق: وجب ووقع بلا شك (القاموس المحيط).

(٤) همت العين: صبت دمعها.

(٥) تصوب: ينصب دمعها ينهمر.

(٦) زيادة من (ب).

(٧) في (ب): ما يليها.

الفصل الثاني والعشرون

إخواني! شمّروا عن سُوق الدَّأَب في سُوق الأدَب، واعتبروا بالراحلين وسلوا السَّلَبَ[1] قبل أن يفوتَ الغرضُ بالمرض إنْ عَرَضَ، فكأنكم بمبسُوط الأملِ قد انقبضَ، وبمشيدِ[2] المُنى قد انتقض.

يا ساكنَ الدُّنيا تأهَّبْ ... وانتظرْ يومَ الفراقِ
وأعدَّ زاداً للرَّحيلِ ... فسوفَ يُحْدَى بالرِّفاقِ
وابكِ الذنوبَ بأدمُعٍ ... تنهلُّ من سُحُبِ المآقِ
يا مَنْ أضاعَ زمانَه ... أَرَضيتَ ما يفنى ببَاقِ

أين عزائمُ الرجال؟ أين صرائمُ[3] الأبطال؟ تُدْعَى وتَوَانى! هذا محال.

أَشْتاقُكُمْ ويحولُ العزمُ دونكمْ ... فأُدَّعي بُعْدَكُمْ عنّي وأعتذرُ
وأشتكي خطراً بيني وبينكُمُ ... وآيةُ الشوقِ أن يُسْتَصْغَرَ الخَطَرُ

إنْ همَمْتَ فبادِرْ، وإن عَزَمتَ فثابِرْ، واعلم أنَّه لا يُدْرِكُ المفاخِرَ من رضي بالصفِّ الآخر.

قال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: «خُلِقَتْ لي نفسٌ توَّاقة، لم تزل تتوقُ إلى الإمارةِ، فلما نلتُها تاقَتْ إلى الخلافةِ، فلما نلتُها تاقَتْ إلى الجنَّةِ».

---

(١) السلب: المسلوب، وسلب القتيل: ما معه من ثياب وسلاح ودابة.

(٢) المشيد: البناء المعمول بالشيد ما يطلى به الحائط من جص أو بلاط، والمشيّد: المطوّل، ويطلق المشيد للواحد، وبالتشديد «المشيّد» للجمع. قال تعالى: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، وقال: ﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

(٣) صرائم: جمع صريمة، وهي العزيمة على الشيء.

(لأبي فراس):

بَـدَوْتُ وأهلـي حـاضِـرُونَ لأنَّـني ... أرى أنَّ داراً لستُ مِـنْ أهلِهـا قَفْـرُ
وَمَا حَاجَتِي مِنَ المَالِ أَبْغِي وُفُورَه ... إِذَا لَمْ يَفِرْ عِرْضِي فَلا وَفَرَ الوَفْرُ
وقال أُصَيْحابي: الفِرارُ أو الرَّدى ... فقلْتُ: هُمَا أَمْرَانِ أَحْلاهُمَا مُرُّ
سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمُ[1] ... وفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ
ولو سدَّ غيري ما سددتُ اكْتَفَوْا به ... وما كانَ يغلو التِّبْرُ لو نَفَقَ الصُّفْرُ[2]
ونحـنُ أنـاسٌ لا تـوسُّـطَ عنـدنـا ... لنَـا الصَّـدرُ دُونَ العَـالَمِيـنَ أو القَبْـرُ
تهـونُ عَلَيْنَـا فـي المَعَـالِي نُفُـوسُنَـا ... وَمَنْ يَخْطُبِ الحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهِ المَهْرُ

ابتُلِيَتِ الهممُ العاليةُ بعشقِ الفضائل، شجرُ المكارهِ يُثمر المكارم.

متى لاحت الفريسة قذفت الغابة السَّبُعَ.

إذا استقام للجواد الشَّوطُ[3] لم يُخوِجْ راكبه إلى السَّوْط.

من ضرب يوم الوغى وجه الهوى بسَهْم، ضرب مع الشجعان يوم القِسْمة بسَهم.

من اشتغل بالعمارة استغلَّ الخراج.

إذا طلع نجمُ الهمةِ في ظلام ليلِ البَطالة، ثم ردَّفه قمرُ العزيمة ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

يا طالباً للدَّعَة أخطأتَ الطريقَ، علةُ الراحةِ التَّعب، إن لم تكن أَسداً في العزم ولا غزالاً في السَّبْق، فلا تتشعلبْ.

---

(١) جدهم: الجد والاجتهاد، وجد في الأمر: لم يهزل.

(٢) الصُّفر: النحاس الجيد. معدِن تصنع منه الأواني، وضبطه أبو عبيدة بكسر الصاد. والتِّبر: فتات الذهب أو الفضة قبل أن يصاغا، قالوا: ما كان من الذهب غيرَ مضروب تبر، فإذا ضرب دنانير فهو عَيْنٌ.

(٣) الشوط: مكان بين شرفين من الأرض، ويطلق على الجزء من كل عمل، والجري مرة إلى الغاية.

يا هذا! الجدُّ جَناحُ النجاة، وكسلُك مُزْمن.

من كَدَّ كَدَّ العبيدِ تنعَّم تنعُّمَ الأحرار.

من امتطى راحلةَ الشوق لم يَشْقَ عليه بُعدُ السفر.

(للمتنبي):

عَلى قَـدْرِ أَهْـلِ العَـزْمِ تَـأْتي العَزَائِمُ وتَـأْتي عَلَى قَـدْرِ الكِـرامِ المكارمْ

يا هذا! ركائبُ الرحيلِ قد أُنيختْ بالجنابِ ولم تتحوَّجْ، وناقدُ السلعِ قائمٌ على البابِ ونَقْدُكَ بَهْرج، كيف يَلْحق السابقين كسلانُ أعرجُ؟! ولو تنقلْت على عَيطَموسٍ[1] العزم، وهوجاءَ[2] الطلب، وعسجورِ[3] القصدِ، وجَعْلباءِ[4] السير، ومُشْمَعلةٍ[5] الجِدِّ، وصلْتَ الديجورَ[6] بالضحى، لانقطعَتِ الديمومةُ القَذَفُ[7] ولكنّك استوطأتَ مهادَ الكسلِ، وإبرُ النحلِ دونَ العسل.

قيل لبعض أهلِ الرياضةِ: كيف غلبتَ نفسَك؟.

فقال: قمتُ في صفِّ حزبِها بسلاحِ الجِدِّ، فخرجَ (مَرْحَبُ)[8] الهوى يُدافِعُ، فعلاهُ (عليٌّ) العزمِ بصارمِ الحزم، فلم تمضِ ساعةٌ حتى ملكتُ خيبرَ.

وقيل لآخر: كيف قدرتَ على هواك؟.

فقال: خَدَعْتُه حتى أَسَرْتُه، واستلبتُ عوده فكسرتُه، وقيدتُه بقيد العُزلةِ، وحفرتُ له مَطْمورةَ الخمولِ في بيتِ التواضع، وضربتُه بسياطِ الجوعِ فلانَ.

---

(١) التامة الخلق من الإبل.
(٢) المسرعة من الإبل.
(٣) الصلبة من النوق.
(٤) الطويل من النوق في عجرفة.
(٥) النشيطة من النوق.
(٦) الديجور: الظلام.
(٧) الديمومة: الفلاة الواسعة لا ماء فيها. والقذف: البعيدة التي تتقاذف بمن يسلكها.
(٨) يشير إلى الفارس اليهودي مرحب الذي قتله سيدنا علي رضي الله عنه في غزوة خيبر.

يا فُلان! أَلك في مجاهدةِ النفسِ نيةٌ؟ أم النيّةُ نَيْئةٌ؟[1] أتعيّنني وأنتَ أنتَ، يا خَنْشَليلاً[2] في كلِّ دَرْدَبِيسٍ[3] إلى متى تجولُ في طلب هُجول[4]؟.

ما نفشَتْ[5] غنمُ العيونِ النواظر في زروعِ الوجوهِ النواضرِ إلا وأُغيرَ على السَّرح.

من تعرّضَ للعنقفير[6] لقي الأمَرّيْن[7].

المتعرض للنَّبلة[8] أبله.

ما عزَّ يوسف إلا بترك ما ذلَّ به ماعز[9].

ولو رَكَدَ كَدَرُ دُهنِ الذهنِ سَمَتْ ذُبالةُ[10] المصباح.

إخواني! إلى متى سُكْرٌ عن المقصودِ؟ ألا صَحْوُ ساعة؟.

أريقوا قَرْقَفَ[11] الهوى قبلَ هجومِ صاحبِ الشُّرطة، اكسروا الظُّروف ظَرْفاً[12] ليُعلمَ حُسْنُ قصدِكم للتوبة، ولْيَشْغَلْكُم ذِكْرُ النَّأي عن صَوتِ النَّاي، والفكرُ في خرابِ المعاني عن لغاتِ الأغاني، فكم مِنْ شابٍّ ما شَابَ، وكم من

---

(١) النِّيء: بكسر النون والهمز كَنِيْع: اللحم الذي لم ينضج.

(٢) الخنشليل: البعير السريع، والضخم الشديد.

(٣) دردبيس: الماضي في الأمور.

(٤) هُجول: جمع هَجْل، وهو المفازة الواسعة.

(٥) نفشت الإبل والغنم: رعت ليلاً بلا راع، والنفش لا يكون إلا بالليل.

(٦) العنقفير: الداهية.

(٧) الأمرّيْن: بفتح الهمزة وتشديد الراء، الفقر والهرم، وبكسر الهمزة: الشر والأمر العظيم.

(٨) النبلة: السهم، ويشير إلى الحديث القدسي: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه».

(٩) ماعز: هو ابن مالك، أقرّ بالزنى وتاب، وطلب من رسول الله ﷺ أن يطهّره، فأقام عليه الحدّ.

(١٠) الذبالة: الفتيلة، والجمع «الذُّبال» تمتص الزيت وتشب فيها النار.

(١١) قرقف: خمر.

(١٢) الظروف: أوعية الخمر. ظَرفاً: كياسة.

راجٍ راجَ[1] له أنْ خاب، ما أسرعَ افتراقَ الصاحبين إذا صاح بَيْن.

فمفترقٌ جارانِ دارُهما عُمُرُ

مَثَلُ أهل الدنيا في غفلتهم وطول آمالهم كمثلِ الحاج، نزلوا منزلاً، فقامَ أقوامٌ يقطعون الصخورَ، يبنون البيوتَ، فقال المتيقظون: «وَيْحَكم! ما هذا البلَدُ؟! الرحيلُ بعدَ ساعة».

لو عَلِمَ الوَرْدُ قِصَرَ عُمُرِه ما تبسّمَ، بينما هو يَنْشُرُ بزَّ ريحه في شَمَالِ البُكور، بزَّه[2] الناطورُ، فإذا به في زجاجةِ الزُّورِ[3]، فانتبه أنتَ ولا تَغْترَّ بزورِ.

نسيمُ الدُّجَى يفتحُ مستغلَقَ الْجُنَّبْذ[4] وخوفُ سَموم النهار يعيدُ النَّيْلُوْفَرَ إلى الماءِ، اسمع يا مَنْ لا يحرّكُه تشويقٌ، ولا يزعجُه تخويفٌ.

إذا المـرءُ كـانـت لـه فكـرة ففـي كـلِّ شـيءٍ لـه عِبْـرة

تزوّج (صِلَّةُ بن أَشْيَم) فأدخله ابنُ أخيه الحمّام، ثم أُدخلَ إلى بيتِ المرأةِ، وقد طُيِّبَ، فقامَ يصلّي، فمَدَّ الصلاةَ إلى الفجر، فعاتبه ابنُ أخيه فقال: إنّك أدخلتني أمسِ بيتاً أذكرتني به النارَ، ثم أدخلتني بيتاً أذكرتني به الجنةَ، فما زال فكري فيهما حتى أصبحتُ.

كَفَـى حَـزَنـاً الا أُعَـايِـنَ بُقْعَـةً مِنَ الأرْضِ إلاَّ ازْدَدْتُ شَوْقاً إليكُمُ
وإنّي متى مَا طَابَ لي خَفْضُ عِيْشَةٍ تَـذَكَّـرتُ أيّـامـاً مَضَتْ لي لَـدَيْكُـمُ

مرَّ بعضُ الفقراء بامرأة فأعجبتْه فتزوجها، فلمّا دخلَ البيتَ نزعُوا خُلْقَانَه[5]، وألبسوه ثياباً جُدُداً، فلما جُرَّ عليه الليلُ طلبَ قلبَه فلم يَجِدْهُ، فصاحَ: خُلْقاني خُلْقاني.. فأخذَها ورجعَ.

---

(١) حصل وتهيأ.
(٢) بزه الناطور: قطعه الناطور.
(٣) الزور: مجلس الغناء واللهو.
(٤) الجُنْبُذ: كالجلنار من الرمان.
(٥) خلقان: جمع خَلَق، ثوب خَلَق: أي بالٍ.

(للشريف الرضي):

ما سَاعَفَتْنِي اللَّيالي بَعْدَ بُعْدِهِمُ ... إلاَّ ذَكَرْتُ لياليْنَا بِذِي سَلَمِ
ولا اسْتَجَدَّ فُؤادِي في الزَّمَانِ هوًى ... إلاَّ ذَكَرْتُ هَوى أيَّامِنَا القُدُمِ
لا تَطْلُبَنَّ لِيَ الأبْدَالَ بَعْدَهُمُ ... فَإنَّ قَلْبِيَ لا يَرْضَى بِغَيْرِهِمِ

* * *

الفصل الرابع والعشرون

يا طويلَ الأمل في قصيرِ الأجلِ! أما رأيتَ مستَلَباً[1] وما تَمَل؟! أتؤخِّرُ الإنابةَ وتُعجِّلُ الزللَ؟!.

يَـا مَـنْ يَعُـدُّ غَـداً لَتَـوْبَتِـهِ ... أَعَلَـى يَقِيْـنٍ مِـنْ بُلُـوغِ غَـدِ
المَـرْءُ فِـي زَلَـلٍ عَلَـى أَمَـلٍ ... ومَنِيَّـةُ الإنْسَـانِ بَـالـرَّصَـدِ
عَجِّـلْ بِهَـا لا تَنْسَهَـا لِغَـدٍ[2] ... لَعَـلَّ يَـوْمَـكَ آخِـرُ العَـدَدِ

يا أخي! التوبةَ التوبةَ قبل أن تصلَ إليكَ النوبةُ.

الإنابةَ الإنابةَ قبل أن يُغلقَ بابُ الإجابةِ.

الإفاقةَ الإفاقةَ، فيا قُرْبَ وقتِ الفاقةِ.

إنّما الدُّنيا سوقٌ للتَّجْرِ[3]، ومجلسُ وعظ للزَّجْر، وليلُ صيفٍ قريبُ الفجر.

المُكنةُ[4] مزنةُ صيفٍ، الفُرْصةُ زَوْرةُ[5] طَيْفٍ، الصِّحةُ رقدةُ ضيفٍ، الغِرَّة نقدةُ زَيفٍ، الدنيا معشوقة وَكيف[6]، البدارَ البدارَ فالوقتُ سيفٌ.

يا غافلاً عن مصيرِه! يا واقفاً في تقصيره! سبَقَك أهلُ العزائم وأنت في اليقظة نائم، قف على الباب وقوفَ نادمٍ، ونكِّسْ رأسَ الذلِّ وقل: أنا ظالم، ونادِ

---

(١) مستلباً: سلبت روحه وقبض.
(٢) لا تنسها: من النسيئة؛ أي لا تؤخرها. وفي (ب): أيام عمرك كلها عدد.
(٣) تَجْر: جمع تاجر.
(٤) المكنة: القدرة والاستطاعة.
(٥) زورة: اسم مرة من زار.
(٦) وَكِيف: فاسد العقل.

في الأسحار: مذنبٌ وواجم[1]، وتشبّه بالقوم، وإن لم تكنْ منهم وزاحِمْ، وابعث بريح الزفرات سحابَ دمعٍ ساجِم[2].

قُمْ في الدُّجى ناديا، وقف على الباب تائباً، واستدرك من العمرِ ذاهباً، ودعِ اللهو والهوى جانباً، فإذا لاحَ الغُرورُ رأى راهباً، وطلقِ الدنيا إن كنتَ للأخرى طالباً.

ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

يا مَنْ ضاعَ قلبُه! أُطلبه مِنْ مظانِّ إنشادِ الضوال[3]، الضائعةُ إنّما تُنْشَدُ في المجامع، فاطلبْ قلبك في مجالسِ الذكرِ، أو بينَ أهلِ المقابرِ، وربّما دخلتَ بيتَ الفكرِ فرأيتَه، فأيُّ موضعٍ غلَبَ على ظنك وجودُه فلا تقصّرْ في البحثِ عنه.

هذه النُّسورُ والرَّخَم[4] ـ على كثافة طبعها ـ إذا رأت جيشاً تبعته، لما ترجو من قتالٍ يوجب قتلى، أو إخداجَ[5] حاملٍ، أفما ترجو أنتَ في المجالسِ إجابةَ دعوةٍ أو حضورَ قلبٍ؟!.

يا نائماً طول الليل! سارت الرفقةُ، رحلَ القومُ كُلُّهم وما انتبهتَ من الرُّقْدة.

ويحك! أتدري ما صنعتَ بنفسك؟ دخلتَ دار الهوى فقامرتَ بعمرك، كنتَ أمسِ قلبَ أمس، فتراك تصحيف ترى[6].

لاحتْ لكَ العاجلةُ، فَهِمْتَ[7] كأنكَ ما فَهِمْتَ، فلما تَبدَّلْتَ تَبلَّدْتَ.

---

(١) واجم: عابس مطرق من حزن شديد.
(٢) ساجم: متابع.
(٣) الضوال: جمع ضالة، وهي الضائعة من كل ما يُقتنى.
(٤) الرخم: جمع رَخَمَة، طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة.
(٥) إخداج: إلقاء الولد قبل تمام الأيام، وإن كان تام الخلق.
(٦) يريد: كنت سما، وهو مقلوب أمس، فصرت ثرى وهو مُصَحف (ترى)، ويشير بالسما إلى الأصل الملكوتي للروح.
(٧) فهمت: من هام بالدنيا يهيم، أي: أحب يحب.

أخبرني عن تخليطك فالطبيبُ لا يَكْذِبُ[1]، سِحْنَتُك[2] تعلّمني فاسمع أُحَدِّثْكَ[3]: استكثرتَ من بُرُودات الغَفلة، فقعد نشاطُ العزمِ، فلو قارَمْتَها بحراراتِ الحذرِ لقامَ المُقْعَدُ، أما تعلمُ أنّ مطاعِمَ المطامعِ تولّدُ سَدَاداً في كبدِ الجِدِّ، المحنةُ العظمى موافقةُ الهوى من غير تدبر، أنت ترى تدبر، أنت ترى ما تشتهي فتُضرَبُ الحدَّ.

يا أسيراً في قَبْضة الغفلة، يا صريعاً في سكرة المُهلةِ، أما يخطرُ بقلبِكَ خطرُ أمرِك؟!.

ويحك! قد وَهَن العظمُ [العظيم][4]، وما شابت همَّة الأمل، أَخلقَ بُرْدُ الحياة، وما انكفَّتْ كفُّ البطالة، قَرُبَتْ نوقُ الرحيلِ، وما في المزاد زادٌ، قُدِّمتْ معابرُ العبورِ، وأنتَ تلهو على الساحلِ. أكثرُ العُمُرِ قد مرَّ، وأنت تتغلغل في تضييع الغابرِ[5]، أتُرَجِّحُ الفانيَ على الباقي؟ تَبّتْ ففي الميزانِ عَيْنٌ، وإن حرّكك حظٌّ عن حظٍّ فَالْحظ الحظَّ الأَحَظَّ، واللهِ لو شغلك نيلُ الجنة عن الحقِّ لحظةً كان في تدبيرك وَكْسٌ[6].

ويحك! أنا بدلك اللازم فالزم بدلك[7]، خاصَمْتُ عنك قبل وجودٍ ﴿إِنِّيَ أَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٣٠]، واعتذرت عنك في زلل ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، ولقنتك العُذْرَ ﴿مَاغَرَّكَ بِرَبِّكَ﴾ [الانفطار: ٦]، وواصلتك برسائل «هل من سائل»[8].

إذا لـم يكـنْ بينـي وبينَـك مُـرْسَـلٌ ... فـريـحُ الصَّبـا مِنِّـي إليـك رَسُـولُ

---

(١) يَكذِب: أي لا يخبر بغير حقيقة الوجع، ولا يغش بموضع الألم.

(٢) سحنتك: السحنة: هيئة الرجل ولونه.

(٣) مجزوم بجواب الطلب «اسمع».

(٤) زيادة من (ب).

(٥) الغابر: الباقي، وتأتي بمعنى الماضي الهالك، فهي من الأضداد.

(٦) وكس: نقص.

(٧) أنا بدلك اللازم: أي عوضك ونصيبك. فالزم بدلك: فالزم نصيبك وعوضك.

(٨) رواه الإمام أحمد والنسائي عن جبير بن مطعم. انظر: كنز العمال، رقم (٣٣٥٦): ١٠٤/٢.

كان بعضُ الأغنياءِ كثيرَ الشكرِ، فطالَ عليه الأمدُ فَبَطِرَ وعصى، فما زالت نعمتُه، ولا تغيّرتْ حالتُه، فقال: يا ربِّ تبدَّلتْ طاعتي، وما تغيّرتْ نعمتي، فهتف به هاتف: يا هذا! لأيامِ الوصالِ عندنا حرمةٌ حفظناها وضيعتها.

(لمهيار)[1]:

سَلْ بِسَلْعٍ سكنا[2] كان وَكُنّا ... ليتَ شِعْري مَا الَّذي الهاكَ عنّا
أَعَوى أحدثَتْهُ أم كاشحٌ[3] ... دَبَّ أم ذنب سوى أن تتجنّى

تاب رجلٌ ممن كان قبلكم، ثم نقض، فهتف به هاتف في الليل:

سأتركُ ما بيني وبينَك واقفاً ... فإنْ عُدْتَ عُدْنا والودادُ سليمُ
تُواصِلُ قوماً لا وفاءَ لعَهْدِهِمْ ... وتتركُ مثلي، والحفاظُ قديمُ

يا ناقضي العهود انظروا لمَنْ عاهدتم، تلافُوا خَرْقَ الخطايا قبل أن يتَّسع.

عُودُوا إلى الوَصْلِ عُودُوا ... فالهجرُ صعبٌ شديدُ
تذكَّرُونا فما عَهْدُ ... نا لديكم بعيدُ
هل يَرجعُ البانُ يوماً ... وهل تعودُ زَرُودُ[4]

يا هذا! أقبِلْ علينا، تَرَ من إقبالنا [عليك][5] العجبَ «احفظِ الله يحفظْك، اطلبِ الله تجدْه أمامك»[6]، مَنْ كان لنا عيناً على قلبه، أجرينا له جامكيةَ[7] أمين.

أنتَ على البُعدِ همومي إذا ... غِبْتَ وأشجاني على القُربِ

---

(١) مطلع قصيدة كتبها إلى عميد الرؤساء أبي طالب بن أيوب في المهرجان. انظر: ديوان شعره: ٤/١٦٨ ـ ١٧٢.
(٢) في الديوان: (شجناً).
(٣) كاشح: المتولي عنك بوده.
(٤) زرود: وزان ثمود، موضع، وقيل: اسم رمل مؤنث، والمراد الأحبة سكان هذا الموضع.
(٥) زيادة من (ب).
(٦) حديث ابن عباس المشهور رواه أحمد الترمذي.
(٧) جامكية: أجر الموظف ويسمّى الراتب أو المرتب.

لا أُتبِـعُ القلـبَ إلـى غيـرِكُـمْ عيـنٌ لكـمْ وعيـنٌ علـى قلبـي

يا هذا! حَفْرُ النهرِ إليك، وإجراءُ الماء ليس عليك، احفر ساقيةَ ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ﴾ إلى جنب بحر ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فإذا بالَغ فيها معولُ الكَدِّ، فاضَتْ عليك مياهُ البحرِ «فهي يَسمعُ ويُبصرُ»[1].

ألْقِ بذرَ الفكر في أرضِ الخَلْوة، وسُقْ إليه ساقيةً من ماءِ الذكرِ، لعلّها تُنبتُ لك شجرةَ «أنا جليسُ من ذكرني»[2].

(للشريف الرضي)[3].

يُـرَنِّحُنـي إليـكَ الشـوقُ حتـى أميـلَ مـن اليمـينِ إلـى الشمـالِ
كمـا مـالَ المُعَـاقِـرُ عـاوَدَتْـهُ خُمَيّـا الكـأسِ حـالاً بعـدَ حـالِ
ويـأخُـذُنـي لـذكـراكَ ارتيـاحٌ كمـا نَشَـطَ الأسيـرُ مـن العِقـالِ
وأيْسَـرُ مـا ألاقـي أنّ همّـاً يُغَصِّصُنُـي بـذا المـاءِ الـزلالِ

هَبَّتْ رياحُ الخوفِ، فقلقلتْ قلوبَ الخائفين، فلم تترك ثمرةَ دمْعٍ في فَنَنِ[4] جَفْنٍ.

إذا نزل آبُ[5] في القلبِ، سكنَ آذار[6] في العينِ.

---

(١) حديث قدسي رواه البخاري.

(٢) رواه الديلمي بلا سند عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وعند البيهقي عن أبي بن كعب قال: قال موسى عليه السلام: «أقريب أنت فأناجيكَ أم بعيد فأناديكَ؟ فقيل له: يا موسى! أنا جليس من ذكرني». وعند أبي الشيخ نحوه في الثواب عن كعب، وقد روى الحاكم عن أنس وصححه بلفظ: قال تعالى: «عبدي أنا عند ظنك بي، وأنا معك إذا ذكرتني» (كشف الخفا، ص٢٣٢، رقم ٦١١).

(٣) من قصيدة طويلة له. انظر: الديوان: ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٨.

(٤) فنن: غصن، والجمع أفنان.

(٥) آب: هو الشهر الثامن بالتقويم الميلادي، وهو من شهور الصيف الحارة. يقال: آب اللهاب.

(٦) آذار: هو الشهر الثالث بالتقويم الميلادي، ويأتي في نهاية فصل الشتاء. يقال: آذار أبو الزلازل والأمطار.

لا تَبْلُنِي بجوًى يزيدُ خُضوعي ... يَكفيكَ أنّ النّارَ بينَ ضُلوعي
وحياةِ مُقْمي في هَواكَ فإنّهُ ... قَسَمُ الهَوَى وحَقُّ فيضِ دموعي
لأوَكِّلَنَّ عليكَ عَينيْ بالبكا ... ولأُغْشَقَنَّ عليكَ طولَ هُلوعي

كانتْ مع (هشام بن حسان) جاريةٌ في الدار، فكانَتْ تقول: أيُّ ذنب عَمِل هذا؟ مَنْ قَتَلَ هذا؟ فتراه الليلَ كلَّه يبكي.

تركتَ الفؤادَ عليلاً يُعادُ ... وشَرْدْتَ نومي فما لي رُقاد

كان فتحٌ الموصليُّ يبكي بالدموعِ ثم يبكي الدمَ، فقيلَ له: على ماذا بكيت الدم؟.

فقال: خوفاً على الدموع أن لا تكونَ ما صحَّتْ لي.

يا مَنْ لفؤادٍ وامقٍ ما يصحو ... قدْ طالَ لمُظْلِمِ ما عَنَاه الشَّرْحُ
والعينُ لها دمٌ ودمعٌ سَحُّ[1] ... ذا يكْتُبُ شَجوَهُ وَهَذَا يَنْحُو

* * *

(١) السح: الصب والسيلان من فوق، وعين سحّاحة: صبابة للدمع.

الفصل الخامس والعشرون

يا مَنْ يعظهُ الدهرُ ولا يَقْبل! ويُنذِرهُ القهرُ بمنْ يرحلُ، ويضمُّ العيبَ إلى الشيبِ وبئسَ ما يفعل، كنْ كيف شئتَ فإنما تُجازى بما تعمل.

دَعْني فـإنَّ غـريـمَ العقـلِ لازَمَني ... وذا زمـانُـك فـامْـرِحْ فيـه لا زَمَني
ولّى الشَّبابُ بما أحْبَبْتَ مِنْ مِنَحٍ ... والشَّيْبُ جَاءَ بِمَا أبْغَضْتَ مِنْ مِحَن
فمـا كـرهـتُ ثَـوَى عـنـدي وعَثَّمَني ... ومـا حَرَصْتُ عليـهِ حينَ عنّي فَنِي

يا جائراً كلَّما قيل: أَقْسِطْ[1] قَسَطَ، يا نازلاً فِسطاطَ[2] الهوى على شاطئ الشطَط، يا مُمْهَلاً لا مُهْمَلاً! ما عندَ الموتِ غَلَطٌ، كم سَلَبَ وضيعاً وشريفاً سلْباً عنيفاً وخَبَط، أمَا مضَغَ الأرواحَ؟! فلما طال المضْغُ اسْترط[3]، أما يكفي نذيرُهم؟! بلى قد خَوَّف الفَرَط[4]، تالله ما يبالي حَمَامُ الجمام أيَّ حبٍّ لَقَطَ؟! أما خطَّ الشيبُ خطَّ النَّهْي عن الخطايا لما وَخَط[5]؟! أما آذن الشبابُ بالذهابِ فماذا بعد الشَّمَط[6]؟!.

مـا إنْ يطيبُ لـذي الـرعـايـة لـلأ ... يَّـــام لا لَعِـــبٌ ولا لَهْـــوُ
إذ كـــان يَطْـــرَبُ فـــي مســـرَّتِـــه ... فيمـــوتُ مـــن أجـــزائـــه جُـــزْوُ

يا مذعوّاً إلى نجاتِهِ وهو يتوانى! ما هذا الفتورُ والرحيلُ قد تدانى؟! يا مقبلاً على هفواته لا يألو بُهْتاناً، كأنّك بالدمعِ يجري عند الموت تَهْتاناً[7]، وشُغْلِ التَّلَفِ

---

(١) أقسط: أعدل. وقسط: جار وظلم.
(٢) فسطاط: الخيمة الكبيرة.
(٣) استرط: ابتلع.
(٤) الفرط: التقصير وتضييع الأمر حتى يفوت.
(٥) وخط: خالط.
(٦) الشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده.
(٧) تهتاناً: متتابعاً.

قد أوقدَ من شُعَلِ الأسَفِ نيراناً، وأنتَ تبكي على تفريطِكَ حتى [لقد][1] أقرحتْ[2] أجفاناً، والعملُ الصالحُ ينادي مَنْ كان أجفانا[3]: احذَرْ زَلَلَ قدمِكَ، وخَفْ حلولَ ندمِك، واغتنمْ وجودَكَ قبل عدَمِك، واقبَلْ نصحي ولا تخاطر بِدَمِكَ.

إذا مـا نهـاكَ امـرؤٌ نـاصـحٌ ... عـن الفـاحشـاتِ انـزَجِـرْ وانتَـهِ
وإنْـا عَلَـوْتَ إلـى رُتْبَـةٍ ... فكُـنْ حَـذِراً بعـدهـا أن تَهِـي[4]
وإنّـا تـرى مُهْجَـةً فـي الثـرى ... فـلا تَغْتَـرِرْ بـالمُنَـى أنـتَ هِـيْ

خاصِمْ نَفْسَكَ عند حاكِمِ عقلِكَ، لا عندَ قاضي هَوَاك، فحاكمُ العقلِ يَدينُ، وقاضي الهوى يجَوْرُ.

كان أحدُ السلفِ إذا قهرَ نفسَه بتركِ شهوةٍ أقبلَ يهنّئُ اهتزازَ الرامي إذا قَرْطسَ[5].

لما عرف القومُ قَدْرَ الحياةِ، أماتوا فيها الهوى فعاشوا، انْتَهَبُوا بأكفِّ الجِدِّ من الزمنِ ما نثرهُ زمنُ البطالة.

وركبٍ سَرَوْا والليلُ مُلْقٍ رُوَاقَه ... على كلِّ مُغْبَرِّ الطَّوالِعِ قاتمِ
حَدَوْا عزماتٍ ضاقتِ الأرضُ بينها ... فصارَ سُراهُمْ في ظُهورِ العزائمِ
تُريهم نجومُ الليلِ ما يَبْتغونَه ... على عاتقِ الشِّعْرى وَهَامِ النَّعائمِ
إذا طَرَّدوُا[6] في مَعْرِكِ الجدِّ قَصَّفُوا ... رماحَ العطايا في صدورِ المكارمِ

هان عليهم طولُ الطريقِ لعلمهم أين المقصدُ، وحَلَتْ لهم مراراتُ البِلاَ حُبّاً لعواقب السلامة، فيا بُشراهم يومَ ﴿هَـٰذَا يَوْمُكُمُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) أقرحتْ: أقرح: أخرج بها القروح، أي: الجروح.
(٣) أجفانا: من الجفاء، وهو ضد البر والصلة.
(٤) تهي: تضعف وتسقط.
(٥) قرطس: أصاب القرطاسَ، أي: الهدف.
(٦) طرَّدوا: مبالغة طَرَدَ، أي: راهنه في سبق.

قِفْ بالدِّيارِ فَهَذِهِ آثَارُهُم ... تَبْكِي الأحِبَّةَ حَسْرةً وتشوُّقا
كَمْ قَدْ وقفْتُ بِهَا أُسَائِلُ مُخْبِراً ... عَنْ أهْلِها أو صَادِقاً أو مُشْفِقا
فأجابني داعي الهوى في رَسْمِها: ... فارفُتْ مَنْ تَهوَى فَعزَّ الملتقى

يا ربُوعَ الأحباب! أينَ سكانُك؟! يا مَواطنَ أولي الألباب! أين قُطَّانُك؟! يا جواهرَ الآداب! أين خُزَّانُك؟!.

(لمهيار)[1]:

يُطِرِبُني للمنازِلِ اليومَ مَا ... أَسَارَ[2] عندي أيامُها القُدُمُ
وتُطيبني[3] على فصاحةِ شَكْوايَ ... إليها ربوعُها المُجُمُ
عَلَيَّ يا دارُ جهدُ عيني، وما ... عليَّ عارٌ أن تبخلَ الدِّيَمُ[4]
لكِ الرضا من جمامِ[5] أدمعِها ... أو دَمِها إنْ سَقَى ثَرالِكِ دمُ
أما وعهدِ الغادين عنكِ وأ ... شجانِ بواقٍ لي فيكِ بعدَهُمُ
وما أطالَ المُنى[6] وأعرضَ من ... عيشٍ كأنَّ اختلاسَه حُلُمُ
هل هو إلاّ أنْ قيلَ: جُنَّ بهم ... نَعَمْ! على كلِّ حالةٍ نَعَمُ
بِتْنا وأطوافُنا يدٌ ويدٌ ... ورُسُلُ أشواقِنا فمٌ وفمُ

يا هذا! تنزَّه في أخبار المحبين إن لم تكن منهم، إنَّ أهلَ الكوفةِ يخرجون للتفرّج على الحاجِّ، اقْعُدْ على جانبِ وادي السَّحَرِ لعلَّ إبلَ القومِ تمرُّ بكَ.

خُذني على قَطَنٍ[7] يمينا ... فعسى أُريك به القطينا[8]

---

(١) من قصيدة قالها وكتب بها إلى أبي طالب بن أيوب في النيروز. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٢٥٧ ـ ٢٦١.
(٢) أسار: السؤر: بقية الشيء، وأسأر منه شيئاً: أبقى.
(٣) تطيبني: تستميلني وتستهويني.
(٤) الديم: جمع ديمة، وهي السحابة الممطرة.
(٥) الجمام: معظم الماء.
(٦) في الديوان: (الصبا) بدلاً من (المنى).
(٧) قطن: جبل لبني أسد في نجد يتغنى به المحبون.
(٨) القطين: الساكن.

مَنْـــي تعلّمـــتِ الحَمَـــامُ النـــوحَ والإبـــلُ الحنينـــا

وأسفَ المتقاعِدِ عنهم، واحسرةَ البعيدِ منهم.

سَلُوا عن فؤادي ساكني ذلك الوادي فقد مرَّ مجتازاً على يمْنَةِ الوادي
مضى يطلبُ الأحبابَ والقومُ قد سَرَوْا فَضَلَّ، ومرُّوا مُسْرعينَ مع الحادي
فها أنا أبكيهم وأبكيه بعدَهم وتطلبُهم عيني مع الرائح والغادي

وا حاجتَنا إلى رؤيةِ القومِ، ويا شدةَ إيثارِهم البعدَ عنّا، إنْ رأينا شخصاً فأعلمتْنا الفراسةُ أنّه منهم، كانت همّتُه الهربَ منا، وما ذاك إلا للتباينِ بين أفعالنا وأعمالِهم، فلنبكِ على هذه الحالِ.

عَجِبـــتُ لمـــا رأتنـــي أنـــدبُ الـرَّبْـــعَ المُحيـــلا
واقفـــاً فـــي الـــدار أبكـــي لا أرى إلا الطُّلـــــــولا
كيـــف نبكـــي لأُنـــاسٍ لا يَمَلُّـــونَ الـــذَّمِيـــلا[1]
كلّمـــا قلـــتُ اطمـــأنَّـــتْ دارُهـــم صـــاحـــوا الـــرحيـــلا

كان بعضُ الصالحين يتستّرُ بإظهارِالجنون، فتبعه مريدٌ فقال له: والله ما أبرحُ حتى تكلّمني بشيء ينفعني، فإنّي قد عرفتُ تَسَتُّرَكَ، فسجدَ، وجعلُ يقول في سجوده: «اللهمَّ سترَكَ» فمات.

أسميكِ (سُعدى) في نَسيبي تارةً وآونـــةً (أســـما) وآونـــةً (لُبنـــى)
حَذاراً من الواشِـين أن يسـمعوا بنـا وإلا فَمَنْ (سُعدى) لديكَ ومَنْ (لُبنى)

* * *

(١) الذميلا: ضرب من السير.

الفصل السادس والعشرون

يا مخدوعاً قد فُتِنَ! يا مغروراً قد غُبِنَ! مَنْ لكَ إذا سُوِّيَ عليك اللَّبِنُ؟ في بيتٍ قطُّ ما سُكن، سَلْبُ الرفيقِ نذيرٌ، والعاقلُ فَطِنُ.

أنتَ في دارِ شَتاتٍ ... فتأهَّبْ لشتاتِك
واجْعلِ الدنيا كيومٍ ... صُمْتَه عنْ شَهواتِك
وليكُن فِطْرُك عندَ الـ ... ـلهِ في يومِ وَفاتِك

إياكَ والدُّنيا فإنَّ حبَّك الدنيا مبتوتٌ، واقْنعْ منها باليسير، فما يَعُزُّ القوتُ، ياقوتُ الندمِ يُغني عن الياقوت، احذَرْ منها، فإنَّها أسحرُ من هاروتَ وماروتَ، ليس للماء في قبضةِ ممسِكٍ ثبوتٌ ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١].

أين مَنْ جمع المال وملأ التخوت[1]؟! تساوى تحت اللُّحودِ الساداتُ والتُّحُوتُ[2]، ما نفعه إنْ جالَ في البأس جالوتُ، ولا ردَّ عنه إن طال القومَ طالوتُ، ولامنع أصحابَه حلولُ التابوت، لقد أخرجَ الموتُ من قَعْرِ اليمِّ الحوتَ، قل للذين تَدبَّروا[3] تدبروا أين البيوت؟! جُوزوا على الذين جُوزوا[4] فقد وعظ الخُفوت[5].

كم مسؤولٍ عن عذره في قبره مَبْهوت، لقد أنطق الوعظُ الصخورَ الصُّموت،

---

(١) التخوت: أوعية تصان فيها الثياب (معربة).
(٢) التحوت: الأسافل.
(٣) تدبَّروا: عمروا الديار.
(٤) جوزوا الأولى: مروا على الجواز. وجوزوا الثانية: حوسبوا من المجازاة.
(٥) الخفوت: الذين يموتون فجأة.

أما يكفي زجراً أنك تموت، بادِرْ عُمُراً في كلِّ يومٍ يفوت، قلْ: أنا تائب إلى كم سُكوت؟.

قد تعوَّدْتُ منك النفسُ في المجلس النطقَ بالتوبة، فهي تسخو بالكلام لعلمها أنه على غيرِ أصْلٍ، ولو تَيَقَّنَتْ صدقَ عزمِك لتوقفتْ عن القول.

هذا العصفورُ إذا كان على حائط فَصِحْتَ به لم يبرح، فإذا أهويتَ إلى الأرضِ كأنك تتناولُ حجراً تَلَمَّحَ يدَكَ فارغة فلم ينفُر، فإذا وضعْتَ يدَك على حجرٍ رأى الجِدَّ ففَرّ.

يـا هذا! قولُك: أنا تائبٌ؛ مِنْ غيرِ عَزْمٍ نفخٌ في غَير ضَرَمٍ[1]، بَيضُ الترابِ[2] لا يخرجُ منه فَرْخٌ.

إخواني! العمرُ أنفاسٌ تسيرُ بلْ تطيرُ، الأملُ منامٌ لا تُرى فيه إلا الأحلامُ، هذا سيفُ الموتِ قد دنا، فإنْ ضربَ قَدَّنا[3]، هذا الرحيلُ ولا زادَ عندنا، انتبهوا من رُقاد الغفلةِ، تيقّظوا من نومِ التسويف[4]، عَرِّجوا عن طريق البَطالةِ، ابعدوا عن ديار الوحشة.

الفترةُ حيضُ الطِّباع، ووقوعُ العزيمة رؤيةُ النقا[5]، فحينئذٍ يتوجَّهُ الخطابُ بالتوجه إلى محراب الجِد.

أولُ منازلِ الآخرة القبرُ، فمَنْ ماتَ فقد حطَّ رحْلَ السفر، وسائرُ الورى سائر[6].

مَن كان في سِجْن التقى فالموت يُطْلِقُهُ، ومن كان هائماً في بوادي[7] الهوى فالموتُ له حبس يُوثقه، موت المتعبدين عِتْقٌ لهم من استرقاق الكدّ،

---

(١) ضرم: الاتقاد والاشتعال، وفي (أ): في بَلَبَسه.
(٢) يشير إلى البيض الذي يُلقى على التراب ولا يحضن لا يفقس.
(٣) قدَّنا: قطعنا.
(٤) في (ب): العطلة.
(٥) النقا: الطهر.
(٦) سائر الأولى: جميع الناس. وسائر الثانية: من السير والذهاب.
(٧) بوادي: جمع بادية

ورِفقٌ بهم من تَعَبِ المجاهدة، وموتُ العصاةِ أسرى استرقاقِ طولِ العذابِ.

من كان واثقاً بالسلامة من الجناية فَرِحَ بفكِ [باب][1] السجن، لما توعَّدَ فرعونُ السحرةَ بالصَّلب أنساهم أملُ لقاءِ الحبيب مرارةَ الوعيد ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠].

يا فرعونُ! غايةُ ما تفعل أن تحرّق الجِسم[2]، والركب قد سرى ﴿لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء: ٥٠].

مَنْ لاحتْ له مِنّى نسي تعب المَدْرَج.

(المهيار)[3]:

متى رُفعتْ لها بالغَوْرِ نارُ وقَرَ بذي الأراكِ لها قَرارُ[4]
فكلُّ دمٍ أراقَ السيرُ منها بحُكْمِ الشوقِ مَطْلولٌ جُبَارُ[5]

لا بدّ للمحبوبِ من اختبار المحبّ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٥].

أسلم أبو جندل بن سُهيل فقيّدَه أبوه، فلمّا نزل رسولُ الله ﷺ الحُديبيةَ خرجَ أبو جندل يرسُفُ في قيده، فدخلَ في الصحابةِ، فقال سهيلٌ: هذا أول مَنْ أقاضيك عليه، فاستغاثَ أبو جندلٍ: يا معشرَ المسلمين! أُرَدُّ إلى المشركين، فَيَفْتِنُوني عن ديني؟ فقال رسول الله ﷺ: «لابدَّ مِنَ الوفاءِ»[6] فرُدّ إليهم، فَقَدَمُه تسعى إليهم، وقلبُه يجهّزُ جيوشَ الحِيَلِ في الخلاصِ.

(المهيار)[7]:

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) في (ب): الجسم.
(٣) مطلع قصيدة يمدح بها شرف المعالي القناني. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٦.
(٤) الغور وذو الأراك: اسما موضعين.
(٥) الجُبار: الهدر. ومطلول: مهدور.
(٦) قال ﷺ: «إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنّا لا نغدر بهم»، ذكره البخاري في كتاب (الشروط)، باب (الشروط في الجهاد)، رقم (٢٧٣١-٢٧٣٢)، راجع: فتح الباري: ٥/ ٣٨٨؛ وسيرة ابن هشام: ٢/ ٣١٨.
(٧) مطلع قصيدة يهنئُ فيها الوزير أبا المعالي بالنيروز. انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٣٢-٣٣٦.

أَنْـذَرْتُنِـي أُمُّ سَعْـدٍ أنَّ سَعْـدا دُوْنَهـا يَنْهَـدُ لـي بـالشَّـرِّ نَهْـدا[1]
وعلـى مـا صَفَحُـوْا أو نَقَمُـوْا مـا أرَى لـي مِنْـكِ يـا ظَبيـةُ بُـدّا

لما أسلمَ مصعبُ بن عميرٍ حَبَسَهُ أهلُهُ، فأفْلَتَ إلى الحبشة، ثم قَدِمَ مكةَ، فدخلَ على رسول الله ﷺ، فأرسلَتْ إليه أُمُّه: يا عاقُّ! أتدخلُ بلداً أنا فيه ولا تبدأ بي؟ فقال: ما كنتُ لأبدأ بأحدٍ قبلَ رسولِ الله ﷺ، فأرادَتْ حبسَه، فقال: واللهِ لئن حَبَسْتِني لأخرِصَنَّ على قتلِ مَنْ يتعرَّضُ لي، فتركَتْهُ.

وعَـاذِلُـونَ لِحَـوْبِي[2] فـي مَحَبَّتِهِـمْ يـا لَيْتَهـم وَجَـدُوا مِثْـلَ الَّـذِي أَجِـدُ
لَمَّا أطَالُوا عِتَابِي فِيْكِ قُلْتُ لَهم: لا تُفْرِطُوا بَعْضَ هذا اللوم واقْتَصِدُوا

جَمعَ حبسُ التعذيبِ بين بلالٍ وعمّار، مصادرَيْنِ على بذل الدين، فزوّروا نطقَ عمار على خطِّ قليهِ، فلم يعرفوا التزويرَ، وأصَرَّ بلالٌ على دعوى الإفلاسِ، فسلَّمُوه إلى صبيانهم في حَديدةٍ يصهرونه في حرِّ مكةَ، ويضعونَ على صدرِه وقتَ الرَّمْضاء صخرةً، ولسانُ محبته يقول:

(للمتنبي):

بِعَيْنَيْـكَ مـا يَلْقَـى الفُـؤادُ وَمَـا لَقِـي وللشَّـوْقِ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّـي ومَا بَقِـي
واعجباً أَيُلامُ ذو حسنٍ على عشقِ يوسُف؟!.

قَدِمَ الطفيلُ بن عمرٍو الدَّوْسِيّ مكةَ، فقالَتْ له قريشٌ: لا تَدْنُ من محمدٍ، فإنّا نخاف أنْ يَفْتِنَكَ، فَسَدَّ أذنيه بقُطنَتَيْن، ثم تفكّر، فقال: واللهِ ما يخفى عليَّ الحَسَنُ من القبيحِ، فانطلقَ فسمعَ من رسولِ الله ﷺ فأسلمَ.

وما كُنتُ مِمّنْ يَدْخُلُ العِشْـقُ قَلْبَـهُ ولكنَّ مَنْ يُبْصِرْ لَحَاظَكِ[3] يَعْشَـقِ

قطَّعَتْ قريشٌ لحمَ خُبيب، ثم حَمَلوه إلى الجِذْعِ ليُصْلَبَ، فقالوا: أتُحِبُّ

---

(١) ينهد نهداً: يصمد له، ويشرع في قتاله.
(٢) الحَوْب: الهم والحزن والوجع.
(٣) في (ب): جفونك.

أنَّ محمداً مكانَكَ؟ فقال: والله ما أحبُّ أني في أهلي وولدي، وأنَّ محمداً شِيكَ بشوكةٍ، ثم نادى: وا محمداه[1].

إنَّ فـــي الأســـرِ لَعَبْـــاً ... دَمْعُـــهُ فـــي الخـــدِّ صَـــبُّ[2]
هُـــوَ بـــالـــرُّومِ مُقيـــمٌ ... وَلَـــهُ بـــالشَّـــامِ قَلْـــبُ

لما بُعثِ معاذٌ إلى اليمنِ، خرجَ الرسولُ ﷺ يُوَدِّعُه، ودموعُ معاذٍ ترشُّ طريقَ الوداعِ.

ولمَّـا تـزيلنـا مـن الجِـزْعِ وانتـأى ... مشـرِّقُ ركـبٍ مُصعِـدٍ عـن مُغَـرِّبِ
تبيَّنْـتُ أنْ لا دارَ مِـنْ بعْـدِ عـالـجٍ ... تَسُـرُّ، وأنْ لا خُلَّـةَ بعـدَ زَينـبِ

كانت الدنيا بمثلهم عَسَلاً، فتعلْقَمتْ[3] بمثلكم، خلَتِ الديارُ من الأحباب، فلمَّا فرغَتْ رُدِم الباب.

(للنابغة):

وقفتُ فيها أَصِيلاً كي[4] أسائِلَها ... أعيتْ[5] جواباً وما بالربعِ من أَحَدِ
أضحَتْ قِفاراً وأضحى أهلُها احتملوا ... أخْنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

جُرْ ببعض أنديتهم نادها، وابكِ فَقْدَ الأحبابِ مَع ناديها.

(للبحتري):

إذا جُزْتَ بـالغَـوْرِ اليمـاني مُغْـرِباً ... وحاذَتْكَ صحراءُ الشواجرِ يا سعدُ
فنـادِ ديـارَ العـامـريـةِ بـاللِّـوى: ... سَقَتْ رَبْعَكِ الأنواءُ، ما فَعَلَتْ هندُ

* * *

---

(١) انظر قصته في يوم الرجيع: سيرة ابن هشام: ٢/ ١٧٢.
(٢) صبّاً: محبّاً. صب: منسكب.
(٣) تعلقمت: صارت مُرَّة كالعلقم.
(٤) في ديوان النابغة:
«وقفتُ فيها أُصَيْلالاً أسائلها ... عيّتْ جواباً وما بالرَّبعِ مِنْ أَحَدِ»
والأصيل: العشي، وجمعه أُصُل وآصال، وتصغير: أُصُل: أُصيلال.
(٥) وفي الديوان: «عَيّتْ» بحذف الألف.

الفصل السابع والعشرون

إنَّ الدنيا مذ أبانَتْ مُحبَّها أبانَتْ[1] حالَها، لقد روّت وما روت[2]، ووارَتْ فأرتْ مآلَها، لقد عرَفَ إدبارَها مَنْ قد ألِفَ إقبالها، وما اطمأنّتْ أرضُها إلا وزُلزلت زِلزالَها.

قلْ لِمنْ فاخَرَ بالدُّنيا وحامَى ... فَتَلَتْ قبلك ساماً ثمّ حاما

نَدفنُ الخِلَّ، وما في دفننا ... بعدَه شكٌّ، ولكِنْ نتعامى

إنّ قُدّامَكَ يوماً لو بِهِ ... مُدّدَتْ شمسُ الضحى عادتْ ظلاما

فانتبهْ مِنْ رَقْدةِ اللهوِ وقُمْ ... وانفِ عَنْ عَيْنِ تمادِيْكَ المناما

صاحِ صِخْ بالقَبْرِ يُخبِرْكَ بما ... قَدْ حَوَى، واقْرأ على القَوْمِ السّلاما

فالعظيمُ القدْرِ لو شاهَدْتَه ... لم تجدْ في قبرِه إلا العِظَامَا

تالله لقد ركضَ الموتُ فأسرعَ الركضَ، وبثَّ الجنودَ وطبَّقَ الأرضَ، وما حمَلَ على كتيبةٍ إلا وَفَضَّ[3]، ولا صاحَ بجيشٍ إلا جاشَ وارْفَضَّ[4]، ولا لَوَّح إلى طائرٍ في البُرْجِ إلا انقضّ، إذا تكلَّمَتْ قوسُه بالنبضِ أسكَنَتِ النبضَ[5]، بينا الحياةُ تُعرَبُ بالرفعِ جَعَلَ الشكلَ الخفضَ.

أين مصونُ الحصونِ؟ أُزعِجَ عنها، أينَ مقصورُ القصورِ؟ أُخرِجَ منها، نقله هادمُ اللّذاتِ[6] نَقْلاً سريعاً، ومَقَلَهُ في بحرِ الآفات مُقْلاً[7] فظيعاً، وفَرّق بينهُ

(١) أبانت الأولى: أبعدت وقطعت. وأبانت الثانية: أظهرت وأوضحت.
(٢) ما روّت: من الري وهو ضد الظمأ.
(٣) فضّ: شتت وبعثر.
(٤) جاش: تدفق واضطرب. ارفضّ: تفرق.
(٥) النبض الأولى: إطلاق السهم. والنبض الثانية: حركة القلب.
(٦) كناية عن الموت.
(٧) مقله مقلاً: غمسه غمساً.

بالبين وبينَ بنيه، وطَرَقه بطارق النقضِ فأنقضَ ما كان يَبْنيه، لقد ولَّى ولا وليٌّ ذو وُدٍّ ينفعه، وبَان فبانَ[1] لباني الدنيا مصرعُه.

هجَره واللهِ مَنْ هاجرَ إليه، ونَسيَه نسيُّه وقد كان يحنو عليه، فلا صديقُه صَدَقَه في موتِّه، ولا رفيقُه أرفقَه في شِدَّتِه.

خَلُّوا - واللهِ - بالبلاءِ في البِلَى، وودّعهم من أوْدعَهم ثَـمَّ[2] ثُمَّ قلى، وانفردوا في الأحدوبين وَحْشِ الفَلا، وسألوا الإقالةَ فقيلَ: أمّا هذا فلا.

لو نطقَ الموتى بعد دفنهم لندِموا على غبْهم وأَفْنهم[3]، ولقالوا: رحَلْنا عن ظُلَمِ شرورنا إلى ظُلَمِ قبورنا، وخَلَوْنا عن الأخِلاّء بتُرابنا في آفاتٍ لا تُرى بنا، أفترَى محبَّنا إذ ظَعَنّا بِمَنْ قد اعتاضَ عنا؟.

وهذا مقيمُك بعدَ قليل، فتأهّبْ يا مقيمُ للتحويل، يا سليماً[4] يَظُنُّ أنّه سليم، جوارحُك[5] جوارحُك، سورُ تقواكَ كثيرُ الثُّلَم، وأعداؤك قد أحاطوا بالبلد، ويحك! قبل الرَّمْيِ تُراشُ[6] السِّهامُ، وبين العجز والتواني ينتج التَّوى[7].

يا قالي القائِلَ للنصائح وَأَوِدَّاؤُكَ[8] داؤك، كيف تجتمع همتك مع غَوْغاءِ المُنى وضوضاءِ الشهواتِ؟! كيف تتصرّفُ في مصالحك والشواغلُ[9] للشوى[10] غُلُ[11]؟! كم صادفتَ الهدى فصدفتَ[12]! لقد خَدع قلبَك الهوى فاسترق

---

(١) بان: انقطع وذهب. فبان: ظهر وتبين.
(٢) ثَمَّ: هناك
(٣) أَفْنهم: نقص عقلهم وحمقهم.
(٤) سليماً: ملسوعاً، يقال للديغ: سليم، تفاؤلاً بسلامته من السم.
(٥) الأولى: بمعنى الأعضاء، الثانية: بمعنى الآلات الجارحات.
(٦) تراش: يوضع لها الريش ويحملها في انطلاقها.
(٧) التوى: الهلاك.
(٨) أوداؤك: أحبابك.
(٩) الشواغل: جمع شاغلة ما يشغل الإنسان عن مقصده.
(١٠) الشوى: اليدان والرجلان والأطراف.
(١١) الغُل: بضم الغين، القيد المعروف.
(١٢) فصدفت: أعرضت.

فاسترَقّ[1]، أضرُّ ما عليكَ سوءُ تدبيرك.

آهٍ للابسِ شعارِ الطَّردِ وما يشعر به، وا أسَفاه لمضروبٍ ما يحسُّ صوت السوط! عجباً لمن أُصيبَ بعقله وعقلُه معه! يا مُعثِّرَ الأقدامِ مع إشراقِ الشمسِ! يا فارغَ البيتِ من القوتِ في أيّامِ الحصاد.

أمَلي مِنْ أمَلي ما ينقضي ... وغَرامي مِنْ غرامي قاتلي
كلَّما أفنيتُ عاماً فاسداً ... جاء عامٌ مثلُه مِنْ قابِلِ
كلَّما أمَّلتُ يوماً صالحاً ... عرضَ المقدورُ لي في أملي
وأرى الأيامَ لا تُدني الذي ... أرْتَجي منك وتُدْنِي أجلي
وأرى الآمالَ بي سابحةً ... في بِحارٍ ما لها مِن ساحلِ

يا جرحى الذنوبِ قد عرفتم المراهم، أُخرجوا من قَصْرِ مِصْرِ الهوى، وقد لاحتْ مدينةُ مَدْيَن، أطلبوا بئرَ الشُّرب، وإن صَدَرَ الرِّعاءُ فلعلَّ حضورَ موسى يتفق، متى استقامَتْ لكم جادةُ البكاء فلا تُعرِّجوا عنها، كان عمر بن عبد العزيز وفتح الموصلي يبكيان الدم.

قولوا لسكانِ الحِمَى ... تَبدَّلَ الدَّمعُ دما
وكلُّ شَهْدٍ بَعْدَكُمْ ... قد صارَ مُرّاً عَلْقما

إذا تكاثَفَتْ كثبانُ الذنوبِ في بوادي القلوب، نَسَفَها نَفَسُ أسفٍ في نَفَس، يا أهلَ الزَّلل قُوُّا[2] أنفسَكم، فقد جمع [قسرُ][3] القهرِ بين الناقص والتام، لقد تاب الله على المؤمنين ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨].

لستُ وإن أعرضْتُمُ ... أيئس مِنْ أن تَعْطِفوا
فلا بَرَى[4] وجدي بكم ... ولا أزال[5] الشَّغَفُ
وصبرُ يعقوبٍ معي ... حتى يُرَدَّ يوسُفُ

---

(١) استرقّ الأولى: من السرقة، واسترقّ الثانية: من الرق.
(٢) قُوا: من الوقاية. وفي (ب): قوّموا.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) برى: ضعف وهزل.
(٥) في (ب): أفاق.

يا من كان له قلب طيب، ووقت حسن، فاستحال خلُّه خمراً، ابكِ على مافقدْتَ في بيتِ الأسَف، لعلَّ انحدارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ راحةً من الوجدان يُطْفئ نَجيَّ البلابل.

ما أحسنَ ما كنتَ فتعيّرتَ، ما أَجْودَ جادَّتك فكيفَ تَعثَّرتَ؟!.

وكنّا جميعاً قبلَ أن يظهرَ الهوى ... بأنعمِ حالَيْ غِبطةٍ وسُرورِ
فما بَرِحَ الواشون حتى بَدَتْ لنا ... بطونُ الهوى مقلوبةً لظهورِ

البكاء على الفائتِ مِعْولُ الحزين.

(لأبي تمام):

وأنجدتُّمُ مِنْ بعدِ إتْهَامِ داركُمْ ... فيا دمْعُ أنجِدْني على ساكني نَجْدِ
لَعمري قد أخلقتُمُ جِدَّةَ البكا ... عليّ، وجدَّدتم بِهِ خَلَقَ[1] الوجدِ

يا معاشرَ المطرودين عن صحبةِ أهلِ الدّين.

تعالَوْا نُقِمْ مأتماً للفراقِ ... ونَنْدُب إخواننا الظّاعنينا

هلموا نُرِق دَمْعَ تأسفنا على قُبْحِ تخلّفنا، ونبعثُ مع الواصلين رسالةَ مُحْصَر، لعلّنا نحظى بأجرِ المصيبةِ.

أنجعُ المراهِم لجراحاتِ الذنوبِ الدموعُ، هَتْكةُ الدَّمعِ سِتْرٌ على الذنبِ.

قد كنتُ أصونُ دمْعتي في الآماق ... سَتراً للحُبِّ وهو ما ليس يُطاقُ
حتى صاحَ الوجدُ عن صحيحِ الأشواق ... ما حيلةُ من بُلي بهجرٍ وفراقُ

كان (محمد بن المنكدر) كثيرَ البكاء، فسئل عن ذلك فقال: آيةٌ من القرآن أبكتني: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، كيف لا تذهبُ العيونُ من البكاءِ، وما تدري ماذا أُعِدَّ لها؟!.

---

(١) الخَلَق: البالي المتهاوي.

سبقتْ السعادةُ لمحمدٍ ﷺ قبل كونه، ومضت الشقاوةُ لأبي جهلٍ قبلَ وجودِه، وخوف العارفين من سوابقِ الأقدارِ.

قَلْقَلَ الأرواحَ هيبةُ ﴿لَا يَسْئَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] . مع تَحكُّمِ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] قَوِي قلق العلماء.

أُتَـرى سـألـوا لِمَّـا رَحَلُـوا ... مَـاذَا فَعَلُـوا أم مَـنْ قَتَلُـوا؟
أحليـفَ النَّـومِ أَقِـلَّ اللَّـوْمَ ... فَعِنْـدِي اليَـوْمَ بِهِـم شُغْـلُ
أذنـى جَـزَعِـي لَـم يَنْـهَ معـي ... قلـبٌ فِيَّعِـي[1] مُنْـذُ اختَعَلُـوا
جَلَـدي سَلَبُـوا، جَسَـدِي نَهَبُـوا ... كَمَـدي وَهَبُـوا، كَبِـدِي تَبَلُـوا[2]
لمَّـا ذَرَفَـتْ عَيْنِـي وَقَفَـتْ ... أَتَـرى عَـرَفَـتْ مَـا بِـي الإبِـلُ
وَلَحَـا اللاّحِي[3] وهُـوَ الصَّاحِي ... وهُـمُ رَاحِـي[4] وأنَـا الثَّمِـلُ
هَيْهَـاتَ أَفِيْـقُ إذْ لَيْـسَ أُفِيْـقُ ... هَـذا أَبِيْـقُ فَمَـا العَـذلُ

* * *

(١) فيعي: يدرك.
(٢) تبلوا: أسقموا.
(٣) اللاحي: اللائم.
(٤) راحي: خمرتي.

القصيدة الثامنة والعشرون

تَيَقَّظْ لنَفْسِك يا هذا وانتبه ، وأحضِرْ قلبَكَ[1] ومَيِّزْ ما تَشْتَبه، أمّا هذا منزلُك اليوم، وغداً لستَ به؟!.

إذا مـا انجلـى الـرَّأيُ فَـاحْكُمْ بِـهِ ... ولا تَحْكُمَـنَّ بِمَـا يَشْتَبِـهْ
وَنَبِّـهْ فُـؤَادَكَ مِـنْ رَقْـدَةٍ ... فَـإنَّ المُـوَفَّـقَ مَـنْ يَتَنَبِّـهْ
وَإنْ كُنْـتَ لَـمْ أَنْبِـهْ بـالَّـذي ... وَعَظْـتُ بِـهِ فَـانْتَبِـهْ أَنْـتَ بِـهْ

لقد أمكنتك[2] الفُرصةُ أيها العاجزُ، ولقد زال القاطعُ، وارتفع الحاجزُ، أين الهممُ العاليةُ؟! وأين النجائزُ[3]؟! أمّا تخافُ هادمَ اللذات والمُنى المناجِزِ[4]؟! أمّا اعوجاجُ القناةِ دليلٌ على الغامزِ[5]؟! أمّا الطريقُ طويلةٌ وفيها المفاوزُ؟! أما القبور قنطرةُ العبور فَمن المُجاوِزُ؟! أما يكفي من التنغيص حملُ الجنائزِ؟! أما العدوُّ محاربٌ فهل مِنْ مُبارزٍ؟! أما الأمرُ بعيدٌ والهُلك ناجزٌ[6]، والقنا مشرَعٌ والطعنُ واخزٌ؟!.

تالله تطلبُ الشجاعةَ مِنْ بين المَعَاجز[7]، وتروم إصلاحَ فارِكٍ[8] وتقويم ناشزٍ[9]، إن لم يكن سبقُ الصدِّيقِ[10] فلتكن توبةُ ماعزٍ[11].

ما هذه الغفلةُ والبِلى مصيرك؟! وكم هذا التواني فلقد أَوْدَى[12] تقصيرُك،

---

(١) في (ب): عقلك.
(٢) في (ب): أمكنت.
(٣) جمع نجيزة، وهي الوعود المنجزة المُوْفى بها.
(٤) المناجز: صفة لهادم، أي: المبارز المقاتل، والمنى معطوفة على اللذات.
(٥) القناة: الرمح. والغامز: الرامي، يقال: غمز المُثقِّف القناة: إذا عضَّها وعصرها.
(٦) ناجز: حاضر معجل.
(٧) المَعَاجز: جمع مَعْجَزَة، وهي العجز، والعجز: الضعف.
(٨) فارِك: مبغضة لزوجها.
(٩) ناشز: خارجة عن الطاعة.
(١٠) الصدِّيق: أبو بكر رضي الله عنه.
(١١) ماعز: ماعز بن مالك، الذي تاب وطهره رسول الله ﷺ من الزنى.
(١٢) أودى: أهلك.

أما صاح بك في سلَبِ صاحبك نَذيرُك، أفلا تتأهب لقَدْ ساءَ تدبيرُك؟!.

أَبْ[1] يا شاردَ الطبعِ منْ سَفَرِ الهوى، وأَذِبْ جامدَ العين[2] بنيران الأسى، لعل شفيعَ الاعتراف يُسألُ في أسير الاقتراف، نَقِّ عَيْبَكَ مِنْ عُيُوبِك، وخَلِّص ذَنُوبَك[3] من بحر ذُنُوبِك، وصُنْ صندوقَ فمِك بقُفل صَمْتك، واطْوِ طَيْلسانَ لِسانِك عن بَذْلَةِ نُطقِك، واغْضُضْ عينَك عن عيبِ غيرِك حفظاً لدينك، واكفُفْ كفَّكَ مكتفياً بما كَفَّكَ[4]، وابْنِ منْبرَ التذكيرِ لواعظِ القلبِ في ساحة الصَّدْر، ونادِ في شجعانِ العزائمِ وزهّادِ[5] الفِكْر: هَلُمّوا إلى عقدِ مجلس الذكر. واحذر حينَ العدوُّ أن يُوقِعَ تشتيتَ الهمِّ في جمع العزم.

فإنْ رماكَ القدرُ بسهمِ الفتورِ عن قوس الحكمة من يد «لكلِّ عاملٍ فَتْرة»[6]؛ فأتِّهِ بجُنَّة الاعتذار، فإن ألْقى كُرةَ قلبِكَ إلى صَوْلجانِ التقليب في بيداءِ «المؤمنُ مُفْتَنٌ توابٌ»[7]؛ فجُلْ في ميدان الذّل.

فإنْ دَبَّ ذِئبُ الهوى فعاثَ في مزرعةِ التُّقى، فأقمْ ناطورَ القلق، فإن أفْلَتَ دجّالُ الطَّبع فأقامَ صليبَ الزلل، وأطلقَ خنزيرَ الشرّه، فالجأ إلى حَرَمِ التوبةِ، واستغِثْ بعيسى العون، لعلّه ينزلُ من سماء الألطاف، فيُهلكَ الدّجّالَ[8]، ويقتلَ الخنزيرَ، ويكسِرَ الصليبَ.

---

(١) أبْ: عد وأنب.

(٢) في (ب): الدمع.

(٣) ذَنوبك: دَلْوك.

(٤) بما كفك: بما أُعطيته فكفاك.

(٥) في (ب): رهبان.

(٦) لم نجد هذا الحديث بهذا اللفظ فيما رجعنا إليه من كتب الحديث، لكن جاء في (مسند الحارث): «لكل عابدٍ فترة، ولكل فترة شرة». وفي (مسند الإمام أحمد) بلفظ: «إنَّ لكل عمل شرة ثم فترة، فمن كانت فترته إلى بدعة فقد ضل، ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى»، وفي (مسند الشهاب) بلفظ: «إنَّ لكل عامل شرة، والشرة إلى فترة».

(٧) لم نجد هذا الحديث بهذا اللفظ، ولكن جاء في (مسند الإمام أحمد) بلفظ: «إنَّ الله يحبُّ العبدَ المؤمنَ المفتنَ التوابَ».

(٨) يشيرُ إلى علامة من علامات الساعة الكبرى التي تواترت بها الأحاديث، وهي نزول المسيح عليه السلام، وقتله للدجال عند باب اللد في فلسطين.

اجلسْ ليلةً على مائدة السَّحرِ، وذُقْ طعمَ المناجاة يُنْسِكَ كلَّ لذّة، أرواحُ[1] الأسحارِ لا يَستنشقها مزكومُ غَفْلةٍ، إنَّها لتأتي بألطافِ الحبيب، ثم تعود فيحاءَ[2] تطلبُ رسالة، فمَنْ لم يكتب كتاباً فماذا يبعث؟!.

لو وقَفْتَ على جَادَّةِ التهجد ليلةً لرأيتَ ركْبَ الأحباب، لو سِرْتَ في أعراض القوم لحرَّك قلبَكَ صوتُ الحُداة، أقبلَتْ رياحُ الأسحارِ فاخْتَشَمَت[3] تقبيلَ أقدامهم، وحركت أذيالَ أثوابهم.

(للشريف الرضي)[4]:

وأمسَتِ الريحُ كالغَيْرَى تجاذِبُنا ... على الكثيبِ فضولَ الرَّيطِ واللِّمَمِ[5]
يشي بنا الطِّيبُ أحياناً وآونةً ... يُضيئُنا البرقُ مجتازاً على إضَمِ[6]
يُوَلِّعُ الطلُّ بُرْدَينا وقد نَسَمَتْ ... رويحةُ الفَجْرِ بين الضّالِ والسَّلَمِ[7]

حديثُ القومِ مع الدُّجى يَطُول، يسيحون في فَلَوات خَلَواته، يندبون أطلالَ الحِبّ، ويرتاحون إلى تَنَشُّمِهِ لشدة الطَّرَب.

وإنّي لأستنشي الشَّمالَ إذا جَرَتْ ... حَنيناً إلى أُلّافِ قلبي وأحبابي
وأُهْدي مع الريحِ الجَنوبِ إليهمُ ... سلامي وشكوى طولِ حُزني وأوْصابي[8]

وا عجباً لرسائلَ تُحْمَل في الأسحار، لا يَدْري بها الفَلَكُ، ولأجوبةٍ تَرِدُ إلى الأسرارِ، ولا يعلم بها المَلَكُ.

---

(١) أرواح: نسائم.
(٢) فيحاء: فائحة الريح العطر.
(٣) اختشمت: من احتشم، أي: استحيى وخجل.
(٤) انظر: الديوان: ٢/ ٢٧٤.
(٥) الريط: جمع ريطة، ملاءة من نسيج وكل ثوب رقيق. واللمم: جمع لِمّة، الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن، فإذا بلغ المنكبين فهي جُمّة.
(٦) إضم: واد في المدينة المنوّرة.
(٧) يولع: يجعل فيه لمع البياض. الضال والسلم: نوعان من الشجر.
(٨) أوصابي: أوجاعي وأمراضي.

يـا حَبَّـذَا رَنْـدُ العَقِيْـقِ وبـانُـهُ ... سُقِـيَ العَقِيْـقُ وأهْلُـه وزَمـانُـهُ

راقَـتْ خمـائلُـه ورقَّ نسيمُـهُ ... وَصَفَـتْ على حصبـائِـه غُـدْرانُـهُ

وَشَكَـتْ تبـاريـحَ الصبـابـةِ وُرْقُـهُ ... وتمـايَلَـتْ بيـدِ الصَّبـا أفنـانُـهُ

يا مفرَداً في حُسْنِهِ صِلْ مُدْنَفاً[1] ... فـي حُـزْنِـهِ لَعِبَـتْ بـه أشجـانُـهُ

صبّـاً إذا ذَكَـرَ العقيـقَ وأهلَـه ... صابَـتْ[2] مـدامِعُـه وجُـنَّ جَنانُـهُ

اجتمع المحبون في مساجد التعبّدِ أولَ الليل، فرماهم الوَجْدُ في آخره على قوارع الطرق.

مَشَوْا إلى الراحِ مَشْيَ الرَّخِّ وانصرفُوا ... والراحُ تَمْشي بهم مَشْيَ الفرازين[3]

فأرواحٌ أزعجَها الحبُّ، وأقلقها الخوفُ، سبحان من أمسكها بالُّلطف.

قومٌ إذا هُجِرُوا مِنْ بعدِ ما وُصِلُوا ... مـاتُـوا وإنْ عـادَ مَـنْ بهـوَوْنَـه بُعثوا

ترى المحبينَ صَرعَى في ديارِهِمُ ... كَفِتْيَـةِ الكهـفِ لا يـدرونَ مـا لبثوا

واللهِ لـو حلـفَ العُشّـاقُ أنهـمُ ... سَكْرَى مِنَ البينِ يومَ البين ما حَنثُوا[4]

مجلسنا بحرٌ يرده الفيل والعصفور، [يأخذ كلٌّ منهم على قَدْر حَوْصَلَتِه][5]، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].

أطيار البلاغة قد خرجت من برجِ القلبِ، فأظهرتْ صناعتها في الجوى بالقلب، ثم رُفعت على غصن اللسان، تستريح إلى التغريد، فأين الطروب؟!.

سَحائبُ التفهيم قد هَطَلت بَوَدْقِ[6] البيان، أفتَرَاهـا اخْضَرَّتْ رياضُ الأذهان؟! ونحن في روضةٍ طعامُنا فيها الخشوعُ، وشرابُنا فيها الدموعُ، ونَقْلُنا[7]

---

(١) المدنف: المريض الذي اشتد مرضه وأشفى على الموت. وفي (ب): مفرداً.

(٢) صاب: نزل

(٣) الفرازين: جمع فرزان، وهو الشطرنج، معرب فرزين: وهو بمنزلة الوزير للسلطان. انظر: تاج العروس: ٢/ ٣٠٠.

(٤) في (ب): موتى من الحب أو قتلى لما حنثوا.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) الودق: المطر، شديده وهينه.

(٧) النَّقْل: ما يؤكل مع الشراب، كاللوز والجوز ونحوه.

هذا الكلامُ المطبوع، نداوي أمراضاً أعجزت بختيشوع[1]، ونَرقى الهاوِي[2] ونرقى الملسوع، فليتَه كان كلَّ يومٍ لا كلَّ أسبوع.

(الصُرَّدُر)[3]:

يا صِحَابِي وأينَ مِنّي صَحْبي ... فَتَنَتْهم[4] عيونُ ذاك السُّرْبِ

كلماتٌ[5] أسماؤهن استعاراتٌ ... وما هنَّ غيرُ طَعْنِ وَضَرْبِ

أرني ميتةً تطيبُ بها النَّفْسُ ... وقتلاً يَلَذُّ غيرَ الحُبِّ

لا تَزُلْ بي عن العقيق ففيه ... وَطَري إنْ قضيتُه أو نَحْبي

لا رعيتُ الشُّوامَ إن قلتُ للصحبةِ: ... خِفُّي عنّي، وللعيسِ: هُبّي

وحدي أتكلّم، وجدي يتألّم، ألا مَنْ تَرَى[6] يتعلّم؟ ألا مُودِّع يُتَسَلَّم؟.

(لابن المعلّم):

هو الحمّى ومغانيهِ معانيه ... فاحبسْ وعانِ بليلي ما تعانيه

ما في الصحابِ أخو وَجْدٍ تُطارِحُه[7] ... حديثَ نجدٍ ولا صَبٌّ تُجاريه

إليكَ عَنْ كلِّ قلبٍ في أماكِنه ... ساهٍ وعنْ كلِّ دمعٍ في مآقيه

يُوهِي[8] قِوَى جَلَدِي مَنْ لا أبوحُ به ... ويَستَبِيحُ دَمي مَنْ لا أُسَمّيه

يبلى فما في لساني ما يُعاتِبُه ... ضَعْفاً، بلى في فؤادِي ما يُداويه[9]

* * *

(١) بختيشوع: أسرة أطباء كانت في الخلافة العباسية، منها جبرائيل طبيب الرشيد والأمين، وولده بختيشوع بن جبريل (ت ٨٧هـ) طبيب المتوكل.

(٢) الهاوي: العاشق.

(٣) قاله في مدح الوزير أبي نصر محمد بن محمد بن جهير، يهنئه بعيد الأضحى والمهرجان. انظر: الديوان، ص٩٣.

(٤) في الديوان: (صرعتهم).

(٥) في الديوان: (لحظات).

(٦) في (ب): مريد.

(٧) تطارحه: تبادله الحديث وتحاوره فيه.

(٨) يوهي: يضعف.

(٩) في (ب): يداريه.

الفصل التاسع والعشرون

إخواني؟ تفكّروا في مصارع الذين سبقوا، وتدبَّروا مصيرَهم أين انطلقوا؟ واعلموا أنَّ القوم انقسموا وافترقوا، فمنهم قوم سَعِدوا، ومنهم قوم شَقُوا.

المرءُ مثلُ هلالٍ عندَ طلعتِهِ ... يبدو ضئيلاً لطيفاً ثم يتَّسقُ
يزدادُ حتى إذا تمّ اعْقَبَهُ ... كرُّ الجديدَيْن[1] نقصاً ثمّ يمتحق
كان الشباب رداء قد بَهِجْتُ به ... فقد تطايرَ منه لليلى خِرَقُ
وباتَ مُنْشَمِراً يحدو المشيبُ به ... كالليلِ ينْهَضُ في أعجازِه الفلقُ[2]
عجبتُ والدهرُ لا تفنى عجائبُهُ ... للراكنينَ إلى الدنيا وقد صُدقوا
وطالما نُغِصوا بالفَجْعِ والتنغيصِ ما طُرِقوا ... دارٌ تغَرُّ بها الآمالُ مهلكةٌ
وذو التجاربِ فيها خائفٌ فَرِقُ ... يا لَلرِّجالِ لِمخدوعٍ بزخرُفِها
بعدَ اليقينِ ومغرورٍ بها يَثِقُ ... أقولُ والنفسُ تدعونى لباطِلِها:
أينَ الملوكُ ملوكُ الناسِ والسُّوَقُ[3]؟ ... أين الذين إلى لذّاتها رَكنوا
قد كانَ لهم فيها عيشٌ ومرتفَقُ ... أمستْ مساكنُهم قَفْراً معطَّلةً
كأنّهم لم يكونوا قبلها خُلِقوا ... يا أهلَ لذاتِ دارٍ لا بقاءَ لها
إنّ اغتراراً بظِلٍّ زائلٍ حُمُقُ

أين مَنْ كان في سرور وغِبْطَة؟! أين مَنْ بسَطَ اليد في بسيطة البَسْطَة[4]؟! لقد أوقفهم[5] الموتُ في أصعبِ خُطَّة[6]، جَسَروا[7] على المعاصي فانقلبتْ

(١) الجديدين: الليل والنهار.
(٢) الفلق: الصبح ينشق من ظلمة الليل.
(٣) السُّوق: جمع سوقة: عامة الناس.
(٤) البسطة: الزيادة.
(٥) في (ب): أوقعهم.
(٦) الخطة: الأمر أو الحالة، وفي المثل: «جاء وفي رأسه خُطة» أي: أمرٌ قد عزم عليه. وفي الحديث: «إنّه قد عرضَ عليكم خُطة رُشْد فاقبلوها» أي: أمراً واضحاً في الهدى والاستقامة.
(٧) جسر: مضى ونفذ.

على الجيم النقطةُ[1]، بينا هم في الخطأ خطا إليهم صاحبُ الشرطة، هذا دأب الزمانِ فإنْ صفا فغلطة.

كم تخوّنَ[2] الموتُ منا إخواناً، وكم قَرَن في الأجداث أقراناً[3]، كم مُترَفٍ أبدلهُ الموت ديداناً، وهذا أمر إلينا قد تدانى، كم مُبِدٍّ عُوَذاً لعيده صارت ثيابه أكفاناً، أوَ ما شاهدنا مصرعَها وما كفانا، كم مَسْرورٍ بقصرِه عُوّض من قَصْرِه أعطاناً[4]، أفترى هذا الأمْنَ، من أعطانا؟.

نِمْنا وصَرْفُ الدَّهْرِ ليس بنائم خُزِنْنا له قَسْراً بغير خَزائِم[5]

من جرى[6] إلى شهواته مستعجلاً، تعثّر بحَسَكِ الأسَفِ، تَلَمُّحُ العواقبِ قَبْلَ الفِعلِ أمانٌ من ألم الندم، قد عرفتم عقابيلَ[7] قابيلَ، وعلمتُمْ حُسنَ سَرابيلَ[8] هابيل.

الشَّرْيُ[9] يوجد في أعقابه ضَرَبٌ[10] خيرٌ من الأزي[11] في أعقابه نَدَمُ[12]

الهوى مطمورةٌ ضَيّقةٌ في حبس وَعر، ومذ خُلِقَ الهوى خُلِقَ الهوانُ، لا يتصرّف الهوى إلا في رَبْعِ قلبٍ فارغٍ من العلم.

---

(١) أي: خسروا.
(٢) تخوّن: تنقّص.
(٣) قَرَنَ: جَمَعَ. والأقران: جمع قِرْن، وهو المثل والشبيه.
(٤) أعطان: جمع عَطَن، مَبارِكُ الإبل.
(٥) خُزِمْنا: ذللنا. خزائم: جمع خِزامة وهي حلقة من شَعَر تُجعل في وَتَرَةِ أنفِ البعيرِ يُشدّ فيه الزمام.
(٦) في (ب): سعى.
(٧) عقابيل: جمع عُقْبول، بقية العلة والعداوة والعشق.
(٨) سرابيل: جمع سِربال، وهو القميص، وأراد لباس التقوى.
(٩) الشَّرْي: الحنظل.
(١٠) ضَرب: الضرب: العسل الأبيض الغليظ، وهو كناية عن الحلاوة التي تُعقب المرارة.
(١١) الأزي: العسل.
(١٢) في (ب): لسع.

الجهلُ خندقٌ يحول بين الطالب والمطلوب، والعلم يدلُّ على القنطرة.

كتابةُ العلم في ليل الجهلِ تَفْتَقِرُ إلى مِصباحٍ وِدْهُنُ الذهنِ غالٍ.

ما قَدِرَ لصٌّ قطُّ على فَطِنٍ، متى نام حارسُ الفكر انتبه لِصُّ الهوى.

مَنْ ثبتَ قلبُه في حربِ الشهواتِ لم يتزلزلْ قدمُه، أول ما ينهزِمُ من المهزومِ عقلُه.

ما دمْتَ في حربِ العدوِّ، فلا تُبالِ بالجراحِ، فإنّه قد يُصابُ الشجاعُ، إنّما المهادَنةُ دليلُ الذُّل.

تأثيراتُ الذنوب على مقاديرها، وقعَتْ غلطةٌ من يُوسفَ فَقُدَّ القميصُ[1]، وقويتْ زلةُ آدم فخرجَ عُرياناً من الثياب، أين عزيمةُ تويةِ ماعِز لا عزيمةُ توبة[2]؟! أين هَمُّ أويسٍ لا غمُّ قيسٍ[3]؟!.

ما لم يكن لك محرِّكٌ من باطِنك فالخَلْقُ تضربُ في حديدٍ باردٍ.

(لصُرَّدُرَ):

ظَلَلْتُ أكُرُّ عليه الرُّقى وتأبى عريكتُه[4] أن تلينا

ويحك؟ مَنْ زَمَّ[5] جوارحَه، ولازم البابَ، كان على رجاءِ الوصولِ، فكيفَ بمَنْ لا زَمَّ ولا لازَمَ!.

طوبى للزّهاد، لقد مرُّوا في المُطلَق[6]، مَنْ يرافقُني إلى ديار القوم؟

---

(١) هذا من الإسرائيليات التي تتنافى مع عصمة الأنبياء، وأراد بالغلطة: (الهمة) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف: ٢٤]، والتحقيق: أن يوسف عليه السلام ما همّ هو بدليل ﴿ لَوْلَآ ﴾ التي هي امتناع لوجود، فامتنع الهم لوجود البرهان.

(٢) أراد به توبة الحميري صاحب ليلى الأخيلية.

(٣) أراد به قيس بن الملوّح صاحب ليلى العامرية.

(٤) العريكة: الطبيعة والنفس، يقال: لين العريكة: سلس منقاد، والجمع: عرائك.

(٥) زمّ: أي جعل لها زماماً يقودها إلى فعل الخير والبعد عن المعاصي.

(٦) المطلق: إشارة إلى أنّ الدنيا لم تقيدهم، ولم يقعوا في شباكها.

ما أجوزُ على البلدان، إنما أمضي على السَّماوة[1]، وهذه خيامُ ليلى فأينَ ابنُ الملوَّح:

هـذي منـازِلُهُمْ ومـا لـي ... بعـدَ بُعْـدِ القـومِ خُبْـرُ
[ويلـي! أحَظُّـي كلُّـه ... مِـن دونِـه صَـدٌّ وهَجْـرُ][2]

كان (سَرِيٌّ) يدافِعُ أوّلَ الليل، فإذا جُنَّ أخذ في البكاء إلى الفجرِ:

أقطـعُ ليلـي وجيـشُ وَجْـدي ... مِـنْ عَـنْ شمـالـي وعـن يَمينـي
تَـاللهِ لـو عـادنـي[3] رسـولٌ ... لعـادَ عـن مُـدْنَـفٍ حَـزيـنِ
مـا حِيْلَتـي فِيْـكَ غَيْـرَ أنِّـي ... أَسْـرِقُ مـن زَفْـرتـي أنيـنـي

ذُلُّواله ليَرْضى، فإذا رأيتَهم قلتَ: مَرْضى.

(لصُرَّدُر)[4]:

مـرضٌ بقلـبٍ[5] مـا يعـادُ ... وقتيـلُ حُـبٍّ مـا يُقـادُ
يـا آخـرَ العُشّـاقِ مـا ... أبصـرتَ أوّلَهـم يُـذادُ؟
يقضـي المتَيَّـمُ منهـمُ ... نَحْبـاً، ولـو رُدُّوا لعـادُوا

يأنَسون في الدُّجى بالظلام، ويطربون بنَوْح الحَمام، مرضى الأبدان من [طول][6] الغرام، أصحاء القلوب مع السُّقام، إذا ذكَرْتَ حبيبَهم رأيتَ المستهامَ قد هَام.

(لمهيار)[7]:

---

(١) السماوة: بادية الشام. ويشير إلى عبور خالد بالجيش من العراق إلى الشام عبوراً رائعاً سجله التاريخ بانبهار دون عقبة الصاد، اللهم إلا مشقة الطريق والصبر عليه.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) عادني: زارني. وعاد: رجع.
(٤) كتب به إلى الشريف أبي جعفر البياضي يداعبه. انظر: الديوان، ص١٥٨.
(٥) في الديوان: «بعليل».
(٦) زيادة من (ب).
(٧) من قصيدة كتبها إلى العميد نجم الدولة. الديوان: ٤/ ٩٣.

وأنـتَ إنْ كنـتَ رفيقـاً فـأَعِـدْ ذِكْـرَ الحِمَـى أطيـبُ مـا غُنِّينـا
أعـد فَمِـنْ آيـةِ سُكّـانِ الحِمَـى وذكـرِهِـمْ أن يُـذهِـبَ الشُّجـونـا
شجواً كشجوي يا حَمامُ ساعدي إنَّ الحـزيـنَ يُسْعِـدُ[1] الحـزينـا
كـم مِـنْ دمـوعٍ رَدَّهـا صَـوْبَ دمٍ تَخْلُـجُ البـرقَ علـى يَبْـرينـا[2]

قال (الشبلي): لقيتُ جاريةً حبشيةً، فقلتُ: من أين؟ فقالت: مِنْ عندِ الحبيب، قلتُ: وإلى أين؟ قالتْ: إلى الحبيب، قلتُ: ما الذي تريدين من الحبيب؟ قالتْ: الحبيب، قلتُ: فكم تذكرين الحبيبَ؟ فقالتْ: ما يسكنُ لساني عن ذكراه حتى ألقاه:

وحرمـةِ الـوُدِّ مـا لـي عنكـمُ عِـوضٌ وليس لي في سِوَاكُم بغدَكمْ غَرَضُ
وَمِنْ جنوني[3] بِكُمْ قَالُوا: بِهِ مرضٌ فَقُلْـتُ: لا زالَ عَنِّي ذلـك المـرضُ

رئي (معروف) في المنام كأنَّه تحتَ العرش، فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: ملائكتي! مَنْ هذا؟ فقالوا: أنت أعلم، هذا معروف قد سَكِرَ من حُبِّك، فلا يفيقُ إلا بينَ يديك.

فـداوِ سُقْمـاً بجسـمِ أنـت مُتْلِفُـهُ وأَبْـرِدْ غَـرَامـاً بقلـبٍ أنـتَ مُضـرِمُـهُ
ولا تَكِلْنـي علـى بُعـدِ الـدّيـارِ إلـى صبري الضعيفِ، فصبري أنتَ تعلمُهُ
تَلَـفَّ قلبـي فقـد أرسلتُـه فِـرَقـاً[4] إلـى لقـائِـكَ والأشـواقُ تَقْـدُمُـهُ

* * *

(١) يسعد: يعين.
(٢) موضع في البحرين شرقي جزيرة العرب.
(٣) في (ب): حديثي.
(٤) الفِرَق: جمع فِرْق وفِرقة: أقسام.

القصر البلاون

إخواني! البِدارَ البِدارَ، والجِدَّ الجِدَّ، فالخصمُ مُعِدٌّ، والقصمُ مُجِدٌّ[1]:

مَكرُ الزمانِ علينا غيرُ مأمونِ ... فلا تُظنَّنَّ أمراً غيرَ مظنونِ
بل المَخُوفُ علينا مَكْرُ أنفسِنا ... ذاتِ المنى دونَ مَكْرِ البِيضِ والجُونِ[2]
إنَّ الليالِيَ والأيامَ قد كَشَفَتْ ... مِن مَكْرِها كلَّ مستورٍ ومكنونِ
وحدَّثَتْنا بأنّا مِن فرائِسِها ... نواطئاً بفصيحٍ غيرِ مَلْحونِ
واستشهدَتْ مَنْ مَضَى منّا فأنبأنا ... عَنْ ذاكَ كلُّ لَقًى[3] منّا ومدفونِ
وأمُّ سُوءٍ إذا ما رامَ مُرْتَضِعٌ ... أخلافَها صُدَّ عنها صَدَّ مَزْبُونِ[4]
ونحن في ذاك نُصْفيها مودَّتَنا ... تبّاً لكلِّ سفيهِ الرأيِ مغبونِ
نشكو إلى اللهِ جَهْلاً قد أضَرَّ بنا ... بل ليسَ جَهْلاً، ولكنْ علمُ مفتونِ
أغوى الهوى كلَّ ذي عَقْلٍ فلستَ تَرى ... إلا صحيحاً له أفعالُ مجنونِ
حتى متى نشتري دنيا بآخرةٍ ... سفاهةً ونبيعُ الفَوْقَ بالدُّونِ
نبني المعاقلَ والأعداءُ كامنةٌ ... فيها بكلِّ طريرٍ[5] الحدِّ مسنونِ
ونجمعُ المالَ نرجو أن يُخلِّدنا ... وقد أبى قبلَنا تخليدَ قارونِ
نظلُّ نَستنفقُ الأعمارَ طيِّبةً ... عنها النفوسُ ولا نَسْخُو بماعونِ[6]
وما تأخَّرَ حيٌّ بعدَ ميتِهِ ... إلا تأخُّرَ نَقْدٍ بعدَ عُربونِ[7]

---

(١) قصم: كسر كسراً فيه انفصال وإهلاك. والقصم هنا: الهلاك. ومجد: من أجد، صار ذا جد واجتهاد، وأجد: أحكم.

(٢) البيض والجون: يشير إلى النهار والليل.

(٣) لقى: كلُّ مُلقًى لهوانِه.

(٤) أخلافها: أثداءها. مزبون: مدفوع بشدة.

(٥) الطرير: ذو المنظر والرواء.

(٦) الماعون: اسم جامع لمنافع البيت كالقِدر والفأس والقصعة والمطرقة، مما جرت العادة بإعارته.

(٧) العربون: بوزن العُرجون، والعَرَبون كذلك بفتحتين، هو ما يعجِّلُ من الثمن، على أن يحسب منه إذا مضى البيع وإلا استحق للبائع، على خلاف في ذلك.

يا مَنْ إذا دُعِيَ إلى نفعه نبا ونشزا[1] يا جامعاً لغيره ما جمع وكَنَزَ، يا مُتَبَطِّراً في الخير، فإذا لاحَ الشرُّ جَمَزَ[2]، كأنّك بالألمِ وقد ألمَّ، فنكى[3] ونكزَ[4]، وَكَدَ[5] النبارُ[6] الروحَ بالتباريح[7]، واشتدّ العَلَزُ[8]، وأخَذَ النَّفَسُ النَّفَسَ، فاضطرّها وحفزَ[9]، ودار[10] في فَلَكِ الفوت، فإذا ملَكَ الموتِ قد بَرَزَ، فسماك بالمقبورِ، وبالمثبورِ قد نَبَزَ[11]، فتأهّبْ فالسعيدُ منا مَنْ تأهَّبَ للخيرِ وانتهزَ.

لقد عَلَتْ سنُّك وانتهَيْتَ، وما انتبهتَ ولا انتهيتَ[12]، أتعبتَ ألفَ رائضٍ ولم تؤدِّ الفرائضَ.

كم ضيّعْتَ عمُراً طويلاً! حمَلْتَ فيه وِزْراً ثقيلاً، كم نَصَبَ لكَ الموتُ دليلاً، إذ ساقَ العزيزَ ذليلاً، لقد حَمَلَ إلى القبورِ جيلاً جيلاً، ونادى في الباقين رحيلاً رحيلاً، لكنَّ الهوى أعادَ الطَّرْفَ كليلاً، وما كان الذي رأيتَ قليلاً.

يا مَريضاً عَجِيباً، كمْ أتعبتَ طبيباً! لقد تنوّع ضُروباً[13] فأخذ كلُّ عضوٍ نصيباً، إلامَ يبقى الغُصنُ رطيباً؟ مَنْ يَرُدُّ بُرْدَ الصِّبَا قشيباً[14]، لقد أمسى قريباً وَسَتُبصرُ يوماً غريباً.

---

(١) نبا ونشز: تجافى وتباعد وارتفع.
(٢) جمز: أسرع ووثب إليه.
(٣) نكى: من النكاية، أي: قتل وجرح.
(٤) نكز: نكس.
(٥) وَكَدَ: أصاب.
(٦) النبار: الهلاك، من تبر: هلك.
(٧) التباريح: الآلام.
(٨) العَلَزُ: القلق والهلع والخفة التي تصيب المريض.
(٩) حفز: دفع وحث.
(١٠) في (ب): ودارت.
(١١) نبز: أي لقبه بالهالك. المثبور: الهالك.
(١٢) انتهيت الأولى: قاربت النهاية. وانتهيت الثانية: لم تمتنع من المعاصي.
(١٣) ضروب: جمع ضرب: أصناف.
(١٤) بُرد: كساء مخطط يلتحف به، جمع أبرد وبرود. قشيباً: جديداً.

عجباً لك! لا الدهرُ يَعِظُك، ولا الحوادثُ تنهاك[1]، والساعاتُ تُعَدُّ عليك، والأنفاسُ تُعَدُّ منك، وأحبُّ أمريك إليكَ أغوَدُهُما بالضَّرَرِ عليك.

يا هذا! مَنْ جَلا عينَ بصيرتِه مِنْ قَذَى الهوى، جلّى على بصرِه عرائسَ الهُدى، الصُّوَرُ تزاحِمُ المعاني، فمن حَلَّها حُلِّيَ بمغنى المعنى، فتَعلَّمْ حلّها بالتدريج.

كلُّ ذرةٍ من الكونِ تخبِرُ بلغةٍ بليغةٍ عن حكمةِ الفاطرِ، غيرَ أنهُ لا يفهمُ نطقَ الجوامِدِ إلا العقلُ.

نظرُ الأبصارِ اليومَ إلى الصانعِ بواسطة المصنوعِ تدريجٌ إلى رفع الوسائطِ غداً.

يا محبوساً في سجنِ غفلتِه اخرجْ مِنْ ديارِ إدبارِك، واعبُرْ في مَعْبرِ اعتبارِك، قِفْ على بعضِ بقاعِ قاعٍ ترى كيفَ قد نَمَتْ خُضرةُ خُضْرَتِهِ بأسرارِ الخالقِ إذ تَمَّتْ، تَلَمَّحْ أصنافَ النباتِ في ثيابِ الثباتِ، قد برَزَتْ في عيدِ الربيعِ تمبسُ طرباً بالرُّبى، تأمّلْ مُختَلِفَ الألوانِ في الغصنِ الواحدِ، فإنَّ صباغَ القدرةِ صَنّاع[2]، اسمعْ غِناءَ الوُرْقِ على عيدانِ العيدانِ[3] لعلَّ مقاطعَ السجوعِ توجبُ رجوعَ المُقاطِع:

ولقـدْ تَشْكُـو فَمـا أفهَمُهـا ... ولَقَـدْ أشْكُـو فَـلا تَفهمُنـي
غيـرَ أنّـي بـالجَـوى أعْـرِفُهـا ... وهـي أيضـاً بـالجَـوَى تَعْـرِفُنـي

الحمائمُ نوائحُ المشتاقين، قد رَضِيَتْ من خِلَعِهم بجريان الدموع:

نـاحَـتْ سَحَـراً حمامـةٌ في غُصـنٍ ... قـد جَـرَّعَهـا الفـراقُ كـأسَ الحَـزَنِ
تبكـي شَجَنـاً[4] تلفتُـه مِنّـي ... مـا يبكـي بـاكٍ إلا ويـروي عنّـي

وا عجباً! متى يُثمرُ لك وجودُ النَّمرِ معرفة المُنعِمِ، كم تنضجُ الثمار

---

(١) في (ب): تنذرك وترعدك.

(٢) صَناع: ماهرة مُجيدة.

(٣) عيدان الأولى: جمع (عود) لآلة الغناء، وعيدان الثانية: الأغصان.

(٤) شجناً: شجنت الحمامة: رددت صوتها، عدته العرب نواحاً، والشجن: الهم والشاغل والحزن.

وتتناولها، وثمرةُ عرفانك بَعْدُ فَجَّةٌ، ليس حظُّك من النباتِ إلا الأكلُ، أين التدبرُ[1] لعجيبِ الصَّنْعة والصُّنع؟!.

يا مؤثراً ضَنْكَ الحسِّ على فضاءِ العقلِ، كيف تبيعُ صفاءَ التأملِ بكَدَرِ الإهمالِ؟!.

مِنَ العجبِ أن ندعوكَ إلى تَلَمُّحِ العِبَرِ في العِبَرِ! وأنتَ ما تبصرُ نفسَك، تدبّرْ قطرةً من ماءٍ صُبَّتْ على إيقادِ نارِ الشهوةِ، كيف ظهرتْ فيها عن حركاتِ اللّذة رقومٌ نُقوشٍ عَقَدَتْها يدُ القدرة، كما تظهرُ الصورةُ في ثوبِ السقلاطوني[2] عن حركاتِ الشدِّ.

تأمَّلْ نطفةً مغمومَةً في دمِ الحيض، ونَقَّاشُ القدرةِ يَشُقُّ سمعَها وبصَرها مِنْ غيرِ مِسَاس، كيف تُربّى في حِرْزٍ مصونٍ عن مِشْعبٍ[3]، بينا هي ترفُلُ في ثوبِ نطفةٍ اكتستْ رداءَ عَلَقة، ثم اكتستْ صِفَةَ مُضغة، ثم انقسمَتْ إلى عظمٍ ولحم، فاسترتْ من يدِ الأذى بوقايةِ جلدٍ، ثم خرجتْ في سربالِ الكمالِ تسحبُ مطارفَ الطرافةِ، فبينا هي في صورةِ طفلٍ دَرَجت درجةَ الصبيّ، فتدرَّجَتْ إلى النطق، وتشبثتْ بذيلِ الفهم.

فكم مِنْ صوتٍ بين أرجلِ النقل من تحريك جلاجلِ العبر في خلاخلِ الفكر، كلما رنَّتْ غَنَّت ألسنُ الهدى في مغاني المعاني، وكيف يسمعُ أطروشُ الغفلة؟ هذا بعضُ وصْفِ الظاهر، فكيف لو فهمتَ معنى الباطن؟!.

الآدمي كتابٌ مسطورٌ، وشخصُه رِقٌّ منشور، قلبُه بيتٌ معمورٌ، همُّه سقفٌ مرفوعٌ، علمُه بحرٌ مسجورٌ، من ينتفع بأسماعِكُم بعدي؟!.

وما تُحسِنُ الأيامُ تكتبُ ما أُملي

* * *

---

(١) في (ب): التدبير.

(٢) منسوب إلى سقلاطون: بلد بالروم.

(٣) مِشعب: مثقب.

الفصل الحادي والثلاثون

يا جامعاً المالَ لغيرِه، تاركاً للتزوُّد في سيره، أتَخطى بشرٌ كسبكَ، ويُحَصِّلُ سواكَ بخيرِه:

سابَقَ إلى مالِكَ وُرّاثُهُ ... ما المرءُ في الدُّنيا بلبّاثِ

كم صامتٍ[1] يخنُقُ[2] أكياسَه ... قد صاحَ في ميزانِ ميراثِ

أين جامعُ الدنيا طَرَحها واطَّرح؟ أين اللاهي بها حَزِنَ بعد أن فَرِح؟ جالَ في وصف الحرب عنها فاغْتيلَ وجُرِح، وظَنَّ الأمرَ سهلاً، فإذا الرجلُ ذُبِح، بينا هو في لذّاتِه يغتَبِقُ ويصطبح[3]، برّحَ به[4] أمرٌ مُرحِّلٌ فما برح، نزل ـ والله ـ لحداً ضيقاً فما ينْفَسِح، وصمَتَ تحت الثرى، فكأنّه لم يَنْطِقْ ولم يَصِحْ، وكُتِبَ على قبره: ما أخَّرَ خَسِرَ، وما قَدَّمَ ربح، وعُدِلَ إلى قصره بعد الدفن فافتُتِح، وأصبحتْ سهامُ الوارثِ في ماله تنتطِح.

يا مُعرِضاً عن الهدى والأمرُ مُنتَضِحٌ، أوَ مَا حالُك كهذا الحال الذي شُرِح؟! كأنَّكَ بك في ضِيق خِناقِك تبكي على قبيح أخلاقك، وخيَّلَ الدموعِ تجري في حَلَباتِ آماقِكَ، وقد تحيَّرْتَ عند التفافِ ساقِك بساقك، وأُسِرْتَ ـ لا بقيدٍ ـ عن حركات إطلاقِك، وناداكَ تفريطُك: هذا بعضُ استحقاقك.

لا تكذِبَنّ فإنني ... لكَ ناصحٌ لا تَكْذِبَنَّهْ

---

(١) الصامت: الساكت وما لا نطق له، ومن المال: الذهب والفضة، يقال: ما له صامت ولا ناطق: أي لا يملك شيئاً.

(٢) يخنق: كناية عن ربط كيس النقود حبساً لها فيه.

(٣) يغتبق ويصطبح: شراب المساء والصباح.

(٤) برّح به: جهده.

فـاعْمَـلْ لِنَفْسِـكَ مـا استطعـ ـتَ فـإنّهـا نـارٌ وَجَنَّـةْ

إخواني! كم مِنْ حريصٍ قد جمعَ المال جمعَ الثُّريا[1]؟ فرَّقتْه الأقدارُ تفريقَ بناتِ نَعْشٍ[2].

يا ذا اللُّبِّ! حدِّثني عنكَ أتُنفِقُ العمرَ الشريفَ في طلب الفاني الرذيل؟!.

ويحك! إنَّ الهوى مِزْعاةٌ مِبْراقٌ بلا مطر، الدنيا لا تساوي نقلَ أقدامِك في طلبها، أرأيتَ غزالاً يعدو خلفَ كَلْب؟! الدنيا مجازٌ[3] والأخرى وطن، والأوطارُ في الأوطانِ أطوارٌ[4]، إيثارُ ما يفنى على ما يبقى بِرْسامٌ حادٌ[5].

يا أبناءَ الدنيا! إنّها مذمومة في كل شريعة، والولد ـ عند الفقهاء ـ يتبعُ الأمَّ[6].

يا مَنْ هو في حديثها أنطقُ من سَحْبان[7]، وفي انتقادِ الدنانير أنسبُ من دُغْفُل[8]، فإذا ذكرتِ الآخرةُ فأبله من باقلٍ[9]، حيلتُك في تحصيلها أدقُّ من الشَّعر، وأنتَ في تدبيرها أصنعُ من النحل، وعينُ حِرْصِكَ عليها أبصرُ من

---

(١) الثريا: نجم سمي بذلك لكثرة أنجمه مع صغر منظره.

(٢) بنات نعش: سبعة كواكب تشاهَدُ في جهة القطب الشمالي، شُبِّهت بحَمَلة النعشِ، واحدها ابنُ نعش، وأوسط بنات نعش السها، وهو أخفاها.

(٣) مجاز: جسر.

(٤) الأوطار: جمع وَطَر، أي: الحاجة، أطوار: حالاتٌ شتى مفردها طَوْر، يشير إلى أن المسافر في الدنيا لا يحتاج إلا إلى ما يبلِّغه المقيل، حيث الحاجات الأخروية المتنوعة التي تتحقق بالأعمال الصالحة.

(٥) بِرْسام حاد: البرسام: عِلةٌ معروفة، وهي ذاتُ الجنبِ؛ التهاب في الغشاء المحيط في الرئة، أي علة شديدة حادة.

(٦) في حالة الرق والزواج من الأمة.

(٧) سحبان: اسم رجل من وائل، كان لَسِناً بليغاً يضرب به المثل في البيان والفصاحة، فيقال: (أفصح من سحبان).

(٨) دُغفلٌ: هو دغفل بن حنظلة النسّابة، أحدُ بني شيبان، وفي المثل: (أعلم من دُغْفل).

(٩) باقل: اسم رجل، يضرب به المثل في العيِّ، قال الأموي: من أمثالهم في باب التشبيه: «إنه لأعيا من باقل» (انظر: لسان العرب، مادة: بقل).

العُقاب، وبطنُ أمَلِكَ أعطشُ من الرمل، وفمُ شَرَهِكَ أشربُ من الهِيمِ[1]، تجمعُ فيها الدُّرَّ جمع الذَّرِّ، يا رفيقاً في البله لدودِ القَزّ، ما انتفعتَ بموهبة العقل.

كَـدُودٌ[2] كـدودِ القـزِّ ينسـجُ دائمـاً ويَهْلِـكُ غمّـاً وسطَ مـا هـو نـاسِجُـه

ويحك! إنَّ سرورها أقتلُ من السّمّ، وإنَّ شرورها أكثرُ من النمل، إنّها في قلبك أعزُّ من النَّفْسِ، وستصيرُ عندَ الموتِ أهونَ من الأرض، حرصُك بعد الشيبِ أحرُّ من الجمرِ، أبقيَ عُمْرٌ يا أبردَ من الثلج؟!.

يا من هو عن نجاته أنومُ من فهد! ضَيَّعْتَ عُمْراً أنفسَ من الدُّرِّ، أنتَ في الشرِّ أجرى من جواد، ومن الخير أبطأُ من أعرج.

تسعى إلى العاجلِ سَعْيَ رُخٍّ، وتمشي في الآجلِ مَشْيَ فِرْزان[3].

الزكاة عليك أثقلُ من أُحُدٍ، والصلاةُ عندَك كنقلِ صخرٍ على ظهرٍ، وطريقُ المسجدِ في حُسْبانِ كَسَلِكَ كَفَرْسَخَيْ دير كعب، صَدْرُكَ عند حديثِ الدنيا أوسعُ من البحرِ، ووقتُ العبادةِ أضيقُ من تسعين[4]، معاصيك أظهرُ[5] من الشَّمس، وتوبتُك أخفى من السُّها[6]، إنْ عَرَضَتْ خطيئةٌ وثبتَ ثُوبُ النَّمِر، فإذا لاحت طاعةٌ رُغْتَ رَوَغانَ الثعلبِ، تُقْدِمُ على الظلمِ إقدامَ السَّبُعِ، وتخطفُ الأمانةَ اختطافَ الحُدَأة.

يا أظلمَ من الجُلُنْدَى[7] ما تأمنُكَ غِزْلانُ الحَرَمِ.

---

(١) الهيم: الإبل العطاش، ويقال: كثيبٌ أهيم، وكثبانٌ هِيْمٌ وهي رمال لا يرويها ماء السماء.

(٢) كلودٌ: صيغة مبالغة من الكد، وهو الشدة في العمل وطلب الكسب.

(٣) رخ: الرخ طائر خرافي بالغ القُدامى في وصفه، وهو أيضاً حجر في الشطرنج ويسمّى القلعة، مكانه زوايا الرقعة، و(الفرزان): هو الشطرنج، معرب فرزين: وهو بمنزلة الوزير للسلطان. انظر: تاج العروس: ٢/ ٣٠٠.

(٤) عد التسعين أن تجعل أنملة السبابة في أصل الإبهام.

(٥) في (ب): أشهر.

(٦) السُّها: كوكب صغير خفيُّ الضوء في بنات نعش.

(٧) الجُلُنْدى: اسم ملك عُمان، ومن الأمثال: «أظلم من الجُلُنْدى»، والجلندى: ملك من ملوك عمان يقال هو المعني بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]. ذكره الزمخشري (انظر الأعلام: ٢/ ١٣٣).

يا كنعانَ[1] الأمل، يا نُمرودَ[2] الحيل، يا نُعمانَ[3] الزلل، أنت في حُبِّ المال شِبْهُ الحُباحِبِ[4]، وفي تدبيرِ العُمُرِ رفيقُ حاتِمٍ[5]، تمشي في الأمل على طريقِ أشْعَبَ[6]، وستَنْدَم ندامةَ الكُسَعِيِّ[7].

يا عُذْرِي الهوى في حُبِّ الدُّنيا، يا كوفيَّ الفقهِ في تحصيلها، يا بصريَّ الزّهدِ في طلبِ الآخرة، إنَّما يُتْعِبُ في تعليم البازيِّ ليصيدَ ما له قَدْرٌ، ولما تعلَّمَ بازيُّ فكرِكَ أرسلتَه على الجيف.

ويحكَ! تَفَكَّرْ قبل سلوكِ طريق الهوى في كثرة المعاثرِ والصدمات، أوَ مَا المكروهاتُ في طيِّ المحبوبات كوامن؟!.

يا مُطلِقاً نفسَه في محظورِ شهواتها، اذكر الغَمْسَ في الرَّمْسِ.

---

(١) كنعان: هو ابن نوح عليه السلام دعاه أبوه ليركب السفينة فأبى، وأمّل في الجبل أن يمنعه من الماء، ولكن هيهات إذ لا عاصم من أمر الله إلا من رحم، قال سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢ ـ ٤٣].

(٢) نمرود: اسم ملك، قتله الله ببَقّةٍ دخلت في أنفه، والده كنعان بن سنحاريب.

(٣) نعمان: هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

(٤) الحباحب: ذباب يطير بالليل يضيء ذنبه.

(٥) حاتم: هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، أبو عدي، فارس، شاعر، جواد، جاهلي، توفي في السنة الثامنة من مولد النبي ﷺ.

(٦) أشعب: يعرف بابن حميدة المعروف بالطمع. قال في «الميزان»: هو مدنيٌّ له نوادر، كان مزّاحاً لطيفاً، قال الأزدي: لا يكتب حديثه، وقلَّ ما روى، له ترجمة في (تاريخ دمشق) و(بغداد)، وذكره مغلطاي في حاشية (أسد الغابة)، والذهبي في (الميزان) برقم (٩٩٣): ١/ ٢٥٨، طبعة دار المعرفة.

(٧) الكسعي: رجل من كسع اسمه محارب بن قيس، كان يرعى إبلاً له بواد معشب، فبينما هو كذلك إذ أبصر نبعة في صخرة فقال: ينبغي أن تكون هذه قوساً، فجعل يتعهدها حتى إذا أدركَتْ قطعها، وجففها، فاتخذ منها قوساً، ثم رمى بها ليلاً قطيعاً وراء قطيع من الحمر، وظن أنه أخطأ في كلِّ مرة، ففضب فكسر قوسه، ثم في الصباح تبين أنها أصابت كل ما رمته، فندم وعضَّ أصبعه وقطعها.

يا ذا البالِ الناعمِ فوق الأرض! اذكر الناعمَ البالي تحتها.

أتلفَّق والزمانُ يفرّق؟! أتؤلِّفُ والجديدان[1] يمزق؟! أتُصَفِّي والدهر يُرنِّقُ[2]؟! أتؤمّلُ والموتُ مُفوّق[3]؟! ويحك! إنَّ القاصدَ قاصمٌ، وما للعاصي عاصِم، أنت في أربُابِ الذنوب غريقٌ، وفي رُوم الهوى بطريق[4]، فاحذر عقابَ الأكابر يا قليلَ الخبرة بالطريق، اطلب رفْقةً إذا لم تعرف القبلةَ بالعلاماتِ، ففي المساجدِ محاريب.

إذا رأيت قِطارَ التائبين متصلاً فعلِّقْ عليه.

أهـــلَ الغـــرام تجمّعـــوا ... فـــاليـــومُ يـــومُ عتـــابِنـــا
نَعَـــقَ الغُـــرابُ بينَنَـــا ... فغُـــرابُنـــا أغـــرى بنـــا
إنَّ الـــذيـــن نُحبُّهـــم ... قـــد وُكِّلـــوا بعـــذابنـــا
قـــومُـــوا بنـــا بحيـــاتكـــم ... نَمْضـي إلـــى أحبـــابنـــا
قـــومٌ إذا ظَفُـــروا بنـــا ... جـــادُوا بعَتـــقِ رقـــابنـــا

من مشى إليَّ هرولتُ إليه[5]، دعوناك بالوسائط فلم تحضُرْ، فأتى المرسِلُ ينزل إلى سماء الدنيا[6]، النطقُ متشابه، والذوقُ مُحْكَمٌ.

---

(١) الجديدان: هما الليل والنهار. وفي (ب)؛ الحدثان، وهما بمعنى واحد.

(٢) يرنق: يكدر.

(٣) مفوق: فوّق السهم: عمل له فُوقاً، والفُوق من السهم حيثُ يثبتُ الوتر منه، وهما فوقان، ويشير إلى استعداده للرمي بسهمه النافذ.

(٤) بطريق: القائد في جيش الروم.

(٥) يشير إلى الحديث القدسي: «من جاءني يمشي أتيته هرولة» رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب(١٥)؛ ومسلم في كتاب التوبة، باب (١١)، والترمذي وابن ماجه وأحمد.

(٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ينتزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» وفي رواية له: «ينزل ربنا» أخرجه البخاري في التهجد: باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، وفي الدعوات: باب الدعاء نصف الليل، وفي التوحيد: باب قول الله سبحانه وتعالى: «يريدون أن يبدلوا كلام الله»؛ و أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، والترمذي في الدعوات، وأبو داود في الصلاة، وأحمد=

ولما رأيتُ الحُبَّ قد مُدَّ جِسرُه ونوديَ بالعُشّاقِ قوموا بنا فَاسْروا
خرجتُ معَ الأحبابِ كيما أحوزُه فصادفني الجِرْمانُ وانقطعَ الجِسْرُ
ومالَت بنا الأمواجُ من كلِّ جانبٍ ونادى منادِ الحُبِّ قد غرقَ الصَّبْرُ

* * *

= وابن ماجه وابن خزيمة في التوحيد وغيرهم. وتجده في فتح الباري: ١٣/٤٦٤، ٢٩/٣. وقال الحافظ ابن حجر: استدل بهذا الحديث من أثبتَ الجهة، وقال: هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور، لأنَّ القول بذلك يفضي إلى التحيّز، تعالى الله عن ذلك، هذا، وقد حمل الجهوية النزول على ظاهره وحقيقته، ولم يلتفتوا أمام هذه النصوص المتشابهة إلى المحكم الذي هو أمّ الكتاب. قال البيضاوي: لما ثبت بالقواطع أنّه سبحانه منزّهٌ عن الجسمية والتحيز، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، وهناك من ضبط اللفظ هكذا «يُنْزِل» أي ملكاً، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد بلفظ: «إنَّ الله يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر منادياً يقول: . . . »الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال. هذا وقد علّقَ الإمامُ النوويُّ على حديث «النزول» في شرحه صحيح مسلم قال: هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء ومختصرهما:

أنَّ أحدَهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلّمين: أنه يؤمن بأنّها حق على ما يليقُ بالله تعالى، وأنَّ ظاهرَها المتعارَف في حقنا غيرُ مراد، ولا يُتَكَلَّمُ في تأويلها مع اعتقادِ تنزيه الله تعالى عن صفاتِ المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سماتِ الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف، وهو محكيٌّ هنا عن مالك والأوزاعي أنه تُتأول على ما يليقُ بها بحسب مواطنها. . . وقد أوّل الحديث بتنزل رحمته وأمره وملائكته، كما يقال: فعل السلطان كذا، إذا فعله أتباعه بأمره هو، أو على سبيل الاستعارة، ومعناه: الإقبال على الداعية بالإجابة واللطف، والله أعلم. انظر شرح النووي على صحيح مسلم: ٦/٣٦-٣٧.

الفصل الثاني والثلاثون

يا هذا! لو عاينتَ قِصَر أجَلِك لزهدتَ في طول أمَلِك، وليقتلنَّك ندمُك إن زَلّت بك قدمُك.

(للمتنبي)[1]:

إلى كم ذا التواني[2] في التواني؟ وكم هذا التمادي في التمادي[3]؟
وما ماضي الشَّبابِ بِمُسْتَرَدٍّ ولا يومٌ يمرُّ بِمُستعادِ
متى لَحَظَتْ بياضَ الشيبِ عيني فقد وجَدَتْه منها في السواد
[متى ما ازددتُ مِن بعدِ التناهي فقد وقعَ انتقاصِي في ازديادي][4]

إلى متى تحرِصُ على الدنيا وتَنْسى القدرَ؟! مَن الذي طلبَ ما لم يُقدَّر فقَدِر؟! لقد آذاكَ إذ ذاكَ النَّصَبُ، وأوقعك الحِرْصُ في شرَكِ[5] الشِّرْكِ إذ نُصِب.

أتحمِلُ على نفسِكَ فوقَ الجهد؟! ولو قنعت أراحك الزهدُ، فلماذا تحمِلُ ما آذى ولِمَنْ؟! ومَنْ ينفعُك إن قتلتَ نفسَك يا هذا ومَنْ؟! تحمل على الهم الهمَّ لأمرٍ لو قُضِيَ تَمَّ؟ أحرصاً على الدنيا؟! لا كانت! أم شكّاً في عيوبها؟! فقد بانت!.

رَأَيْتُ ظُنُونِي بِهَا كَالسَّرَابِ فَأَيْقَنْتُ أنَّ سَرَابِي سَرَى بِي

---

(١) من قصيدة قالها في مدح علي بن إبراهيم التنوخي. انظر: شرح الديوان، للعكبري: ١/ ٣٥٦؛ والديوان، ص٧٨.

(٢) في الديوان: (التخلف).

(٣) التمادي: التطاول والانتظار.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) شرك: حبالة الصائد. يشير إلى خطر مغالبة القدر، والحرص على ما لم يُقَدَّر، وهذا يوقع الإنسان في الشرك، حيث يريد أن يوجد ما لا يريد الله خلقه.

كم غرَّتِ الدنيا فَرَخَها فَعَرَّت[1]! ثم ذبحته بِمُدْيةِ ما مرَّت، إنَّها لتقتلُ صيّادَها، وتأكلُ أولادَها.

عـزيـزٌ علـى مُهجتـي غَـرَّنـي ... وسلَّـمَ لـي الـوَصْـلَ واستسلما
فلمّـا تَمَلَّكَنِـي واحتـوى ... علـى مُهْجَتِـي سـلَّ مـا سَلَّما

واللهِ لو كنتَ في رِياشها أَكْسَى من الكَعْبة لم تخرجْ منها إلا أعرى من الحجرِ الأسود.

قيل لراهبٍ: ما الذي حبّب إليك الخلوة، وطردَ عنك الفترة[2]؟.

قال: وثبةُ الأكياسِ من فخِّ الدنيا.

وقيل لآخر: لم تخليْتَ عن الدُّنيا؟.

فقال: خوفاً ـ واللهِ ـ من الآخرة أن تتخلى عني.

من غَرس في نفسِه شرفَ الهِمَّةِ فنَبَتْ[3] نَبْتْ[4] عن الأقذار، ومن استقرَّ ركنُ عزيمته وثَبَتَ، وثبتْ[5] نفسُه عن الأكدار:

قـد انقضـى العُمْـرُ وأنـتَ فـي شُغُـلٍ ... فاجْسُرْ على الأهوالِ إن كنْتَ رَجُلْ
يا زَمِنَ[6] الهِمَّةِ! يا مُقْعَدَ العزيمة! يا عليلَ الفهم! يا بَعيدَ الذهن!.

أمّا اشْتَقْتَ مغنى الهوى حينَ طابَ ... ومَنَبَّـتَ غُصْـنِ الصِّبـا حيـنَ مـالا
أمـا آنَ مِـنْ نـازحٍ أن يَحِـنَّ ... وللـوَصْـلِ مِـنْ هـاجـرٍ أنْ يُـدالا

سارَ المجدّونَ وتَركُوك، ونجا المخفُّون وخلّفوك، ناوِهِمْ إن سمعوك، واستَغِثْ بهم إنْ رحموك.

---

(١) فعرّت: ألحقت بهم المعرّة، أي: العار والعيب.
(٢) الفترة: الفتور وضعف الهمة في العبادة.
(٣) فنبت: من الإنبات، أي: ترعرع.
(٤) نبت: تجافت وتناءت.
(٥) ثبت الأولى: من الثبات، وثبت: من الوثوب.
(٦) الزمن: المريض.

أيُّها الراحلونَ من بَطْنِ خَيْفٍ ... وركابُ النَّوى بهم تَتَرامى[1]
إنْ أتَيْتُم وَادي الأرَاكِ[2] فاهْدُوا ... لِحَبِيبِي تحيَّتي والسَّلاما
وَرِدُوا ماءَ ناظري عِوَضَ الغُدْ ... رَانِ وارْعَوْا بين الحشا[3] لا الخُزامى
[واطلبوا إليَّ قلبي وآيته أن ... تجدوا فيه مِنْ هواهُم سِهَاما][4]

يا من أبْعَدَتْهُ الخطايا عنهم، ادْرُجْ[5] مرحلةَ الهوى وقد وصلْتَ، أنت تَتَعلَّلُ للكسلِ بالقَدَر، فتقول: لو وفقني، ولكسَبَ الشهوات بالذنب إلى الحركة ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]، أنت في طلب الدنيا قَدَريٌّ[6]، وفي طلب الدين جَبْريٌّ، أيُّ مذهبٍ وافقَ غرضَك تَمذْهَبْتَ به! أوليس في الإجماع ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]؟! جسدُك عندنا وقلبُك في البيت، نحن في وادٍ وأنت في واد.

بَكَرتْ صُبْحاً عواذلُهُ ... ورسيسُ[7] الحبِّ قاتلُه
هو في وادٍ ولَسْنَ به ... والهوى عنهن شاغلُه
يَتَمَنَّيْنَ السُّلوَّ له ... ومُناهُ مَنْ يواصِلُه

لابدَّ ـ واللهِ ـ مِن قَلَقٍ وحُرْقة، إمّا في زاوية التعبدِ أو في هاويةِ الطَّرْد، إما أنْ تَحْرقَ قلبك بنار الندم على التقصير، والشوق إلى لقاء الحبيبِ، وإلا فـ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: ٨١]:

شَجَاكَ الفراقُ فما تَصْنَعُ ... أتَصْبِرُ لِلْبَيْنِ أمْ تَجْزَعُ

---

(١) تترامى: تتابع.
(٢) الأراك: شجرة طويلة خضراء ناعمة كثيرة الورق والأغصان خوّارة العود، يستاك بفروعه، قال أبو حنيفة رضي الله عنه: هو أفضل ما استيك بفرعه من الشجر، وأطيب ما رعت الماشية رائحة لبن.
(٣) الحشا: ما انضمت عليه الضلوع، والجمع أحشاء.
(٤) زيادة من (ب).
(٥) ادْرُجْ: أطْوِ.
(٦) قدري: يريد من ينفي القدر، ويرى أن الإنسان يخلق أفعاله الاختيارية. والجبري عكسه.
(٧) رسيس الحب: بقيته وأثره.

إذا كنْـتَ تبكـي وهُـمْ جِيْـرةٌ فمـاذا تقـولُ إذا ودَّعُـوا؟

القلقَ القلقَ يا مَنْ سُلِبَ قلبُه، والبكاءَ البكاءَ يا مَن عَظُمَ ذَنْبُه.

كان (الشبلي) يقول في مناجاته: ليتَ شعري ما اسمي عندكَ يا علامَ الغيوبِ؟ وما أنتَ صانعٌ في ذنوبي يا غفّارَ الذنوبِ؟ وبم تختمُ عملي يا مقلّبَ القلوبِ؟.

وكان يصيحُ في جوف الليل: قرةَ عيني، وسرورَ قلبي! ما الذي أسقطني من عينِك؟ أقلتَ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨]؟.

هِجـرانُـكَ قـاتلـي سـريعـاً والهجـرُ مـن الحبيـبِ قـاتـلْ
إنْ كنـتَ نَسيتَنـي فعنـدي شُغـلٌ بـكَ لا يـزالُ شـاغـلْ
قلبـي يهـواكَ ليـتَ شِعْـري مـا أنـتَ بـذا المحبِّ فـاعـلْ[1]
حقـاً قـد قلـتُ يـا سـروري لا تنكـر دعـوايَ ولـي دلائـلْ
شـوقٌ وجـوًى ونـارُ وَجْـدِ تُـذكّـى بعظـائـم الـدلائـلْ[2]
سـائـلْ دمعـي فجفـنُ عينـي لا يبـرحُ بـالبكـاءِ سـائـلْ
إنْ جُـنَّ الليـلُ يـا حبيبـي فـالقلـبُ يُجَـنُّ في الرسـائـلْ
أبكـي مـا كـانَ مِـنْ وصـالٍ والحـزنُ تُهيِّجُـه المنـازِلْ
هـذا خـدّي علـى ثـراكـم لا أُبـرِحُـه ولا أُزايـلْ
إنْ أنـتَ طـردتنـي فـويلـي بعـدَ الإعـراض مَـنْ أُواصِـلْ
كـلاَّ والجـودُ لـي شفيـعٌ والجـودُ مقـدَّمُ الـوسـائـلْ

* * *

(١) هذا البيت وما يليه من أبيات لا تستقيم وزناً فلتنظر.
(٢) في (ب): البلابل.

القصر الثالث والثلاثون

يا مَنْ بين يديه الأهوالُ والعجائب! وقد[1] نوى له الدهرُ النوائب، أَمَا سَهْمُ المصائبِ كلَّ يومٍ صائبٌ! أحاضرٌ فتحمل من عَثْيِنا كلاًّ[2]؟ كلا! بل أنت غائب.

وكيفَ قَرَتْ لأهلِ العلمِ أعينُهم ... أو استلذوا لذيذَ النومِ أو هَجَعوا
والموتُ يُنذِرُهم جهراً علانيةً ... لو كان للقومِ أسماعٌ لقد سمعوا
والنارُ ضاحيةً[3] لابدَ مَوردُهم ... وليس يَدْرونَ مَنْ يَنْجو ومن يَقَعُ
قد أمسَتِ الطيرُ والأنعامُ آمنةً ... والنونُ[4] في البحر أن يَغْتالَها[5] فزعُ
والآدميُّ بهذا الكسبِ مرْتَهَنٌ[6] ... له رقيبٌ على الأسرارِ يطَّلِعُ
حتى يوافيه يومَ الجمْعِ منفرِداً ... وخصمُه الجِلْدُ والأبصارُ والسَّمَعُ[7]
إذ النبيُّونَ والأشهادُ قائمةٌ ... والجنُّ والإنسُ والأملاكُ قد خضعوا
وطارت الصُّحُفُ في الأيدي مُنَشَّرةً ... فيها السرائرُ والأخبارُ تُطَّلَعُ

---

(١) في (ب): وقِدماً.

(٢) الكل: الثقل.

(٣) ضاحية: بارزة.

(٤) النون: الحوت.

(٥) غاله يغوله واغتاله: إذا أخذه من حيث لا يدري، ويقال: الغضبُ غول الحِلْم، لأنه يذهب به، واغتاله: قتله غيلة، أي: غدراً.

(٦) يشير إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، أي: مرتهنة بكسبها، مأخوذة بعملها، إما يخلصها وإما أوبقها، والمعنى: كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٩] فهم غير مرهونين، لأنهم الملائكة ـ على قول ـ وأولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم ـ على قول آخر ـ، أو الذين سبقت لهم من الله الحسنى، وعلى هذا فمرتهن: محاسب.

(٧) يشير إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾ [فصلت: ٢٠].

فكيفَ سَهْوُكَ والأنباءُ واقعةٌ ... عما قليلٍ ولا تَدْري بما يقعُ؟
أفي الجنانِ نعيمٌ لا انقطاعَ لـه ... أم الجحيمُ فلا تُبْقي ولا تَدَعُ؟
تَهْوي بساكنها طَوْراً وتَرْفعُهم ... إذا رَجَوْا مَخرجاً من غمِّها قُمعوا[1]
طال البكاءُ فلم يُرْحَمْ تَضَرُّعُهم ... هيهاتَ لا رقَّةٌ تُغْني ولا جَزَعُ
لينفعَ العلمُ قبلَ الموتِ عالِمَهُ ... قد سال[2] قومٌ به الرُّجعى[3] فما رجعوا

يا من عمره يُقَدُّ[4] بالساعات، ويُعَدُّ بالأنفاس، يا خِلَّ[5] الأملِ خَلِّ[6] أحاديثَ الوَسْواس! يا طويلَ الرُّقادِ إلى كم ذا النعاس! قد بقيَ القليلُ لا ريب، وهذا الشيبُ يقلعُ الأغراسَ[7]، إنَّ في المقابر لعِبَراً وما أدراكَ ما الأدراس؟![8] تاللهِ لو سكنَ اليقينُ في القلبِ، لضربْتَ أخماساً في أسداس[9]

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ بعد قوله: ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج: ٢١-٢٢].

(٢) سال: أي سأل خففت فيه الهمزة.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ... ﴾ [المؤمنون].

(٤) يقد: القد: المقدار، يقال: هذا على قد هذا.

(٥) خِلّ: خليل.

(٦) خَلِّ: اترك وتخلَّ عن.

(٧) الأغراس: جمع غَرْس، وهو الشجر الذي يغرس، يشير إلى سطوة الشيب على العمر.

(٨) الأدراس: جمع دَرْس، وهو الخلق البالي من الثياب وغيرها، ويقصد الأجساد التي بليت في القبور.

(٩) في المثل «ضرب أخماساً لأسداس». انظر: مجمع الأمثال، للميداني (٢١٩٩): ٤١٨/١ يضرب لمن يظهر شيئاً ويُريد غيره، أنشد ثعلب:

الله يعلمُ لولا أنَّني فَرِقٌ ... من الأميرِ لما تبتُ ابنَ نبراسِ
في موعدٍ قالَه لي ثم أخلفني ... غداً غداً ضربي أخماساً لأسداسِ

والخِمسُ والسُّدُسُ: من أظماء الإبل، والأصل في المثل أن الرجل إذا أراد سفراً بعيداً عوّد إبله أن تشرب خمساً ثم سِدساً، حتى إذا أخذتْ في السير صبرت على الماء.

وضرب بمعنى بيّن وأظهر، والمعنى: أظهر أخماساً لأجل أسداس: أي رقى إبله من الخمس إلى السُّدس. والأخماس: جمع خمس، والأسداس جمع سُدُس، والسُّدُس سِتّ، قلبت السين الأخيرة تاء لتقرب من الدال التي قبلها، والسين والتاء حرفان =

هل تجدُّ لماضي العمرِ لذةً والباقي على القياس؟!

لماذا التهوك[1] في البوار[2]؟ وجوُّ الأذيال في الخسار، كأنّك لم تسمع بِجَنّة ولا نار، لهبُ حِرْصكَ ما يُطْفا، وشرُّ شرهِكَ[3] ما يَخْفى، أترى هذا على ماذا؟! أليس لما إذا نيل آذى؟!.

أنتَ في طلبِ الدُّنيا أصبر[4] من ضَبّ، تَبيتُ في عشقها أسهرَ من صَبٍّ[5]، أين ما حلا في الفم وحَلِيَ في العين؟! ذهبَ الكلُّ وأنت تدري إلى أين.

ما أصعبَ السِّباحةَ في غديرِ التِّمْساح، ما أشقَّ السفر في الأرض المَسْبَعة[6].

إن المفروحَ به هو المحزون عليه، غير أنَّ عين الهوى عمياء. طائرُ الطمع يرى الحَبّةَ لا الشَّرَك[7].

ضَيَّعتَ سُهادَكَ[8] بِسُعادِك، رَمَتْكَ إلى الهندِ هِنْدٌ، صَيَّرتْ نهارَكَ ليلاً ليلى. ويحك! ربَّاتُ الظُّلْمِ[9] ظُلَمٌ، كم أراق الهوى دماً في دِمَن[10]، ويحكَ دع سلمى وسل ما ينفعك، دَعَةً[11] لمثلك تركُ دَعْدِ للنوى، وسعادة لك هجرة لسعاد.

= مهموسان، فصار التقدير: سذت، ولتقارب الدالّ والتاء مخرجاً أبدلت الدال تاء لتوافقها في الهمس، ثم ادغمت التاء في التاء فصارت (ستّ)، والسُّدُسُ: جزء من ستة.

(١) في (ب): التهول. والتهوك: التحامق والتحاير.

(٢) البوار: الهلاك، إشارة إلى حطام الدنيا.

(٣) الشره: غلبة الحرص.

(٤) أصبر: أي أصبر عن الماء، لأن الضب لا يرد الماء. تقول العرب: «لا أفعل حتى يَرِد الضبُّ»، وذلك لأن العرب ترى أنّ الضبّ لا يرد الماء. وفي (ب): (أحير) لأن الضب كثيراً إذا ما خرج من جحره لا يهتدي إليه.

(٥) الصَّبُّ: العاشق، والصبابة: الشوق، وقيل: رقته وحرارته.

(٦) المسبعة: أرض تكثر فيها السباع.

(٧) الشرك: الفخ.

(٨) سُهادك: يقظتك وأرقك.

(٩) الظُّلم: بفتح الظاء وتشديدها: ماء الأسنان وبريقها.

(١٠) دمن: جمع دمنة: وهي الآثار والأحقاد القديمة.

(١١) دعة: راحة ورغد في هجرك لدعد، أي: المحبوبة.

قَطْعُ الطَّمَعِ من خَضِرِ الدنيا بموسى اليأس[1] يجمعُ للقلبِ عزمَ الخَضِر ومُوسى وإلياس.

يا معاشر الفقراء الصادقين قد لبستم حُلَّةَ الفقر، فتحلَّوا حِلْيَةَ الكتمان، اصبروا على عَطَش الزُّهد، ولا تشربوا من مشرعة مَنٍّ، فالحرةُ تجوعُ ولا تأكلُ بثَدْييها[2].

لا تسألوا سِوى مولاكُم، فسؤال العبد غيرَ سيدِه تشنيعٌ عليه.

إنّ الفقيرَ تركَ الدنيا أَنَفَةً[3]، رآها قاطعاً فقاطع، جاز على جيفة مُستحيلة[4]، فَسَدَّ مِنْخَرَ الظَّرْفِ[5] وأسرع، الأنفُ الأشَمُّ[6] لا يشَمُّ رذيلة.

بَيْنَا هُو في قَطْعِ فيافي[7] القناعة، وقع بكنز ما وجده الإسكندر، فقلبُهُ أغنى من قارونَ، وبيتُه أفرغ من فؤاد أم موسى.

كان (إبراهيم بن أدهم) يعطي عطاء الأغنياء وهو فقير، ويستدين عليه ثم يؤثر به.

(للشريف الرضي)[8]:

وهم يُفْدون المالَ في أوّلِ الغنى
ويستأنفون الصَّبْرَ في آخرِ[9] الصبرِ

---

(١) خضر الدنيا: حلاوة الدنيا وخضرتها. وموسى اليأس: سكين اليأس منها.
(٢) هذا مثل يضرب في صيانةِ الرجل نفسَه عن خسيس مكاسبِ الأموال، والمعنى: لا تكونُ المرأةُ الحرةُ ظئراً، وإن أذاها الجوع. (انظر: مجمع الأمثال، للميداني: ١/ ١٢٢).
(٣) أنفة: حمية واستكباراً.
(٤) مستحيلة: متغيرة نتنة.
(٥) الظرف: الكياسة والعقل.
(٦) الأشم: المرتفع العزيز.
(٧) فيافي: جمع فيفاء، صحراء ممتدة.
(٨) قاله يرثي قوماً من عشيرته انقرضوا، عام (٣٨٣هـ). انظر: الديوان: ١/ ٥٠٢.
(٩) في الديوان: «أول».

مغـاويـرُ فـي الجُلّـى[1] مغـاييـرُ فـي الحِمَـى[2]
مفـاريـجُ للغُمّـى[3] مـداريـكُ للـوَتْـرِ[4]
وتـأخـذُهـم فـي سـاعـة الجـود هـزّةٌ
كمـا خـايـلَ البِطْـرابُ[5] عـن نَـزوةِ الخمـرِ[6]
فتحسبهـم فيهـا نَشـاوى[7] مـن الغِنـى
وهُـم فـي جـلاليـبِ[8] الخَصـاصـةِ والفقـرِ
عظيـمٌ عليهـم أن يَمُنّـوا بـلا يـدٍ
وهَيـنٌ عليهـم أن يبيتـوا[9] بـلا وَفْـرِ
إذا نـزل الحـيَّ الغـريـبُ تقـارَعُـوا[10]
عليـه، فلـمْ يَـدْرِ المُقِـلُّ[11] مـن المُثْـري
يميلـون فـي شِـقِّ الـوفـاء مـع الـرَّدَى
إذا كـان محبـوبُ البقـاءِ مـع الغَـدْرِ

---

(١) الجُلّى: الأمر العظيم الهام.
(٢) في الديوان: «للحمى».
(٣) الغُمّى: الداهية.
(٤) الوتر: الثأر.
(٥) المطراب: من الطرب: خفة تصيب الإنسان لشدة حُزن أو سرور، ومِطْراب: من صيغ المبالغة.
(٦) نزوة: نزت الخمر: مزجت فوثبت، ونوازي الخمر: جَنادعها عند المزج وفي الرأس.
(٧) نشاوى: جمع نشوان، والنشوة: السكر.
(٨) جلاليب الخصاصة: جلاليب: جمع جلباب: الملحفة، والخصاصة: الفقر، وفيه تشبيه بليغ.
(٩) في الديوان: «يفيئوا».
(١٠) تقارعوا: من القُرْعة، أي: السهمة، والتقارع: الاختيار، وإلقاء القرعة: طريقة يتعين بها النصيب، فهي طريقة من طرق القسمة، وهي مشروعة باتفاق الفقهاء، وتعتورها الأحكام الخمسة، وقد ذكرت في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، وقوله في يونس عليه السلام: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١]. وكان ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه.
(١١) المقل: اسم فاعل من أقل: أي أفتر.

أحكمَ القومُ العلمَ، فحكَّمَ عليهم بالعملِ، فقاطعوا التسويفَ الذي يقطعُ أعمار الأغمار[1]، وانتبهوا فانتهبوا الليلَ والنهارَ، أخرجوا قويَّ العزائمِ إلى الأفعال، فلما قضوا ديونَ الجِدِّ قَضَتْ علومُهم بالحذَرِ من الرَّدِ، أقدامُهم على أرض التعبّدِ قد ألفت الصفُون[2]، تعتمدُ على سنابك الحذر، فإذا أثَّرَ عندها النَّصَبُ، رَاوَحَتْ بين أرجل الرجاء، قلوبٌ كالذَّهبِ ذَهَبَ غِشُّه، أنفاسُهم لا تخفى، نفوسُهم تكاد تُطْفا، لونُ المحبِّ غَمَّازٌ[3]، دَمْعُ المشوقِ نمَّامٌ[4].

أُخفي كمدَ الهوى ودمعي ... في الخدِّ على هواكِ شاهد
فالجفْنُ بلوعتي مُقِرٌّ ... للعاذِلِ واللسانُ جاحد

اشتدَّ الخوف يوماً بإبراهيمَ بن أدهمَ، فسأل الراحةَ فعوتب:

لو شئتَ داويتَ قلْباً أنتَ مُنقِمُه ... وفي يديْكَ من البلوى سلامتُه
علامةٌ كُتبتْ في خدِّ عارفِكم ... مَنْ كان مثلي فقد قامَتْ قيامتُه

ضجّت الناقةُ لِثِقَلِ الحَمْلِ، رأتْ عظامَها قد فَرَغَتْ[5]، فَفَغَرَتْ[6] فمَ الشكوى فَرغَتْ[7]:

يا حاديَ العيسِ قدْ بَراها[8] ... حملٌ هموم لها عِظام

(١) الأغمار: جمع غمرة، وهو غير المجرب للأمور من الرجال.
(٢) الصفون: جمع صافن، وهو الذي يصف قدميه..
(٣) غمّاز: الغمز الإشارة بالجفن أو العين طلباً إلى ما فيه من معايب، وأصله: غمزت الكبش: إذا لمسته هل فيه من شحم؟.
(٤) نمام: النمّ: التحريش والإغراء، ورفع الحديث إشاعة له وإفساداً، وتزيين الكلام بالكذب، والنمام هو: القتات: من يسمع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون سواء نَمَّها أو لم يَنُمَّها، والنمام من النم، وهو نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر، والاسم: النميمة، ويفسر النمّام كذلك بالقتات «ولا يدخل قتات الجنة» كما في الحديث الشريف، ودمع المشوق نمّام من حيث إنه يكشف عن شوقه وينشره بين الناس.
(٥) فرغت: صارت هشة.
(٦) ففرت: فتحت فمها.
(٧) فرغت: من الرغاء، أي: صوتت.
(٨) بري: براه السفر يبريه: هزله.

رِفقاً بها إنها جُلودٌ مُلْصَقاتٌ على عِظامِ
أشواقُها خَلْفَها وشوقي خِلافَ أشواقِها أمامي

تمادى في قلبِ العارفِ جبلُ الخوفِ وجبلُ الحزنِ، فلما وصلَ إسكندر[1] الفكرِ عِيّ[2] زُبَرَ[3] الهموم، حتى إذا ساوى بين الصَّدَفين[4]، صاحَ بجنودِ الْفهمِ ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ [الكهف: ٩٦]، فاستغاثَ الواجد لتراكم الكُرَبِ.

أيا جَبَلَيْ نَعمانَ باللهِ خَلِّيا
نسيمَ الصَّبَا يَخْلُص إليّ نسيمُها
أجِدْ رَوْحَها أو تُشْفَ مني حرارةٌ
على كَبِدٍ لم يَبْقَ إلا صميمُها
[لأنّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تَنَسَّمَتْ
على نَفَسٍ مكروبٍ تجلَّت[5] همومُها][6]

* * *

---

(١) يشير إلى ذي القرنين الذي بنى الردم بين الناس وبين يأجوج ومأجوج.
(٢) عِيّ: عيى الجيش: أصلحه وهيأه، ويقال: عبأته بالهمزة.
(٣) زبر: جمع زبرة: قطعة.
(٤) الصدف: كل بناء عظيم مرتفع تشبيهاً بصدف الجبل، وهو ما قابلك من جانبه، والصدف: منقطع الجبل المرتفع.
(٥) تجلت: ذهبت.
(٦) زيادة من (ب).

الفصل الرابع والثلاثون

إخواني! ترحيلُ مَنْ رحل عنّا نذيرٌ لنا منا، وما جرى على مَنْ تقدَّمنا وعظٌ لنا.

(للشريف الرضي)[1]:

ما أسرعَ الأيامَ في طَيِّنا ... تمضي علينا ثم تمضي بنَا

في كلِّ يومٍ أمَلٌ قد نأى ... مرامُهُ عن أجلٍ قد دنا

أنذرَنا الدَّهْرُ وما نرعوي[2] ... كأنّما الدهرُ سِوانا عَنَى[3]

تعاشياً[4] والموتُ في جِدِّهِ ... ما أوضحَ الأمرَ وما أبْيَنَا

والناسُ كالأجمالِ قد قُرِّنَتْ ... تنتظرُ الحيَّ لأنْ يَظْعَنَا

تدنو إلى العُشْبِ ومِنْ خَلفِها ... مُغامِرٌ يطرُدُها بالقنا

أين الأُولى[5] شادوا مبانيهمُ ... تهدّموا قبلَ انهدام البِنا

لا مُعدِمٌ[6] يحميه إعدامُه ... ولا يقي نفسَ الغنيِّ الغنَى

كيف دفاعُ المرءِ أحداثَها ... فرداً وأقرانُ الليالي ثِنى

حَطَّ رجالٌ وَرَكِبْنا الذُّرى ... وعُقْبةُ السيرِ لمنْ بَعْدَنا

والحازمُ الرأي الذي يَغتَدي ... مستقلِعاً[7] يُذْرِ مستوطنا

لا يَأمنُ الدهرَ على غِرّةٍ ... وعَزّ ليثُ الغاب أن يُؤمَنا

---

(١) قاله يعزي الوزير أبا علي الحسن بن أحمد عن ولد له عام (٤٩٦هـ). انظر: الديوان: ٢/ ٤٨٨.

(٢) نرعوي: ننزجر.

(٣) عنى: قصد.

(٤) تعاشياً: الأعشى: الذي لا يبصر بالليل، التعامل مع الأمور الواضحة تعامل الأعشى مع المرئيّ.

(٥) في الديوان: «إن الألى».

(٦) مُعدِم: لا مال عنده.

(٧) مستقلِعاً: أعد عدة الرحيل، وقلع أطناب خيمته للرحيل.

كـم غـارسٍ أمّـلَ فـي غَـرْسِـه فـأعجـلَ المقـدارُ[1] أن يُجتنـى

ما هذا التقصيرُ في العمرِ القصيرِ؟! ما هذا الزهو يا من إلى البِلى يصير؟! كم فَرَّقَ الموتُ مِيرةَ أمير! كم أزار الألحادَ[2] من وزير! وسوّى في القبور بين مَنْ هُجِرَ وزِير[3]، أين الأبطالُ الذين خاطرُهم خطير[4]؟! طال ما اقتتلوا حتى كسروا القنا على القناطير[5]، تالله لقد أمسَوْا حين أصبحتْ خيلُ الموتِ تَعثِي[6] وتُغير[7]، ونزلوا لحداً كَبِئْرٍ غير كبير، ورأوا كلَّ منكرٍ من مُنْكَرٍ[8]، وكل نكيرٍ مِنْ نكير[9]، فهم مفترقون في القبور، فإذا اجتمعوا بنفخة الصور، عاد شرابُ [الفراق][10] قد أدير، ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧].

يا غافلاً والموتُ يسعى في طلبه! يا مشغولاً مفتوناً بِلَعبه! يا مشترياً راحةً تَفْنى بطولِ تعبه! أما عُدتَ[11] مريضاً ورأيتَ كَرْبَ كُرَبِه؟! أما شيّعتَ ميتاً فرجعتَ إلى سلَبه[12]؟! أما تخلّى عن مالِهِ وتخلى[13] بمكتسَبِهِ؟! أنفعَهُ عُلوُّ عَزِّه أم عُلوُّ نسبِه، لقد ناجاكَ قبره، وناداكَ أمره، فانتبه، ولقد ضرَّه هواه، فلا تَلْهجْ أنت به.

---

(١) المقدار: القدر.

(٢) الألحاد: جمع لحد: الشق في جانب القبر.

(٣) زير: فعل مبني للمجهول من زار.

(٤) خاطرهم: من خاطر: صاول وراهن وجازف. وخطير: المماثل في الشرف والرفعة.

(٥) القناطير: الغنائم الكثيرة المكدّسة.

(٦) تعثي: تفسد.

(٧) تغير: من الإغارة، وأغار على العدو إغارة وغارة: دفع عليهم الخيل، والغارة: الاسم من الإغارة.

(٨) منكر الأولى: القول الجافي الخشن، ومنكر الثانية: اسم الملك الذي يبعث لسؤال الميت.

(٩) نكير الأولى: أي صعب وشديد، ونكير الثانية: اسم الملك الذي يبعث لسؤال الميت.

(١٠) زيادة من (ب).

(١١) عُدتَ: زرت.

(١٢) سلبه: السَّلَب: كل ما يسلب، يقال: أخذ سَلَبَ القتيلِ: ما معه من ثياب وسلاح ودابة، والمقصود هنا ما يتركه الميت للورثة.

(١٣) تخلى الأولى: ترك. وتخلى الثانية: أي اختلى بآثامه وأصبح رهيناً لها.

لا تغرنَّكَ السلامةُ فمع الخواطي[1] سهم صائب.

نظر شابٌّ إلى شيخٍ ضعيفِ الحركةِ فقال: يا شيخُ! مَنْ قيَّدَكَ؟ فقال: الذي خَلَّفَتْه يفتُل قيدَك[2].

من أخطأتْهُ[3] سهامُ الموتِ قيَّدَهُ ... طولُ السنينَ فلا لهوٌ ولا غَزَلُ

وضاقَ من نفسِه ما كان متَّسِعاً ... حتى الرَّجاء وحتى العزمُ والأملُ

الشبابُ باكورةٌ[4] الحياةِ، والشيبُ رداءُ الرَّدى، إذا قرعَ المرءُ بابَ الكهولةِ فقد استأذن على البلَى.

يا رهينَ[5] الإثم على العقوبة! ليس لك من يَسْتفكُّكَ إلا التوبةُ، المنقطع في فيْدِ[6] يتلقى الحاجَّ منكسَ الرأس، رُبَّ خجلةٍ تمَّمَتِ الناقصَ.

كان بعضُ الأشياخِ يقول: إلـهي! من عادة الملوك أنهم إذا كَبِر لهم مملوكٌ أعتقوه، وقد كبرتُ فأعتقني.

وقف أعجميٌّ عند الكعبة، والناس يدعون وهو ساكت، ثم أخذ بلحيته فرفعها، وقال: يا خداه شيخ كبير.

لمـا أتَـوا والشيـبُ شـافهُـهم ... وقـد تـوالـى عليهـمُ الفَـرَقُ[7]

قلنـا لتلـك الصحـائـف انقلبـي ... بيضـاً فـإنَّ الشيـوخَ قـد عتقـوا

---

(١) الخواطي: جمع خاطئة، وهذا مثل يُضرب لمن يكثر الخطأ ويصيب أحياناً.

(٢) يفتل قيدك: أي يُعدُّ لك ما تراه من قيد، فالجهد المبذول، والسنون المتتابعة، واللهاث وراء الحطام، ألا يورث ذلك ضعفاً؟!.

(٣) أخطأته: لا يقصد بذلك أن السهام تخطئ حتى تصيب، إنما أراد أنها لم تسدد إليه، ولو سُدِّدَتْ لنفذت فيه، ما يردها عنه راد.

(٤) باكورة: باكورة كل شيء: المعجل المجيء والإدراك منه، ومنه باكورة الثمر: أوله.

(٥) رهين الإثم: مأخوذ به، وحبيسه، ومرهون به.

(٦) فيد: اسم مكان في طريق الحاج من العراق إلى مكة.

(٧) الفرق: الخوف.

يا معاشرَ الشباب! انتهبوا القُوى في التقوى، فلو قد حلّ المشيبُ حلَّ التركيب[1].

إذا هلكَ أميرُ الشباب وقع الشتات في العسكر.

الشباب رياضٌ والمشيبُ قاعٌ قَفْرٌ، فاستصحبوا الزاد قبل دخول الفلاة.

يا قومنا! الفوائد فوائت، كفٌّ من تبذير يؤذي، فكيف ببيدرٍ مِنْ رعونة؟!.

إذا كانت القلوبُ عُمياً عن الفكر، واتفقت عُتَّةٌ[2] الفهم فلا وجه لنسل الفضائل.

الخوف ذَكَرٌ، والرجاءُ أنثى، ومختَثُ البطالة إلى الإناث أميل.

من زرعَ بذرَ العمل في أرجاء الرجا، ولم تقع عليه شمسُ الحذر، جاءت ثمارُه فَجَّةً.

الجاهل ينام على فراش الأمن، فيثقل نومه، فتكثر أحلام أمانيه، والعالم يضطجع على مِهادِ الخوف، وحارس اليقظةِ يوقظه، مَنْ عرف معنى الوجود عرف عزَّةَ النجاة.

النفس طائر قد أُرسل من عَبّادَان[3] التعبد، مُحَمَّلاً كتابَ الأمانةِ إلى دار المُلك، والعدو قد نَصَب له صنوفَ الأشراك[4]، يلوح في ضِمْنها الحَبُّ المحبوبُ، فإنْ تمَّ كيدُه فهو صَيْدُه، وإنْ خَيرَ الخبرَ عَبَرَ.

يا أطيارَ الفهوم! احذري مراعيَ الهوى، فَثَمَّ عُقْبانُ التلف[5]، ومن نجا منه بعد المحاربة أُفلِتَ مكسورَ الجناح.

---

(١) حلّ الأولى: نزل. وحلّ الثانية: انفك. التركيب: تركيب أجزاء البدن.

(٢) عُتَّة: العجز عن إتيان النساء. والعنين: الذي لا يأتي النساء أو من لا يولد له، والفحل لا يلقح.

(٣) عبّادان: موضع تحت البصرة قرب الخليج العربي، كان فيه مشاهد ورباطات وقوم متقطعون للعبادة، ينسب لها نفر من رواة الحديث.

(٤) الأشراك: جمع شَرَك، وهي حِبالة الصائد.

(٥) فثَمّ عقبانُ التلف: ثَمّ: هناك، عُقبان: جمع عقاب، وهو من جوارح الطير حيث شَبَّه التلفَ والموتَ به.

واعجباً لِبُلبِل الغطنة كيف اغتر بفخّ الفتنة؟!.

(للشريف الرضي)[1]:

يا قلبُ! كيف عَلِقْتَ في أشراكهم ... ولقد عَهِدتُكَ تُفلِتُ الأشراكا
لا تَشكُوَنَّ إليَّ وَجْداً بعدها ... هذا الذي جرّتْ عليك[2] يداكا

مَنْ حَدَّقَ ببصره إلى طُرَفِ الدنيا طُرِفَتْ عينُه[3]، من أصْغى إلى حديث الهوى أورثه الصَّمَمَ عن النصائح، خَسّتْ هِمّةُ فرعونَ فاستعظمَ الحقيرَ: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١].

يا دنيَّ النفسِ حِمارُكَ ينهقُ من كَفِّ شعيرٍ يراه، الدُّنيا كلُّها كجناحِ بعوضة! فما نسبةُ مصرَ إليها؟! صَبِيٌّ يشغلُه لونُ الصَّدفَة، والمتيقظُ يرى الدُّرَّةَ.

يا هذا! إذا لاحت لك شهوةٌ فقف متدبّراً عواقبها، وقد بردَتْ حرارةُ الهوى، فبين النجاة والهلاك صبرُ فَواقٍ[4]، واعجباً أنفقْتَ المالَ المسروقَ وبقي القطعُ.

أبكي زَلَلي وأشتكي آلامي ... في سَفْكِ دمي تقدَّمتْ أقدامي
ما أبصرتُ إلا والنِّبالُ قُدّامي ... ما أسرعَ ما أصابَ قَلْبيَ الرامي

ضرَّ ـ واللهِ ـ التخليطُ آدمَ، ونفعتِ الحميةُ يوسفَ، ملك هواه فملك زليخا، أمرضَها حُبُّهُ، فأرادت تناول مقصودِها في زمان الحِمْيَة، فصاحَ لسان طِبِّهِ ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]، فخلَطَتْ في بُحْرانِ[5] المرض ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ﴾ [يوسف: ٢٥]، فلمّا صحَّ الذهنُ قالتْ: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١].

---

(١) انظر: الديوان: ٢/١٠٨ ـ ١٠٩.
(٢) في الديوان: «عليَّ».
(٣) طُرَف: جمع طرفة، وهي المستحدث العجيب. وطُرِفَتْ عينه: أصيبت بشيء فدَمَعَتْ.
(٤) فواق: ما بين الحلبتين من الوقت.
(٥) بحران: الأطباء يسمون التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة: بُحراناً، يقولون: هذا يوم بُحران.

لمّا نظر يوسفُ في عواقبِ الذنب ونهاية الصبر، فكَفّ الكَفَّ، أُطْلِعَ بتعليم التأويل على عواقبِ الرؤيا.

دخل اليومَ موسى وعظي، إلى مدينة قلبكَ، فوجدَ فيها رجلين يقتتلان، القلبَ والهوى، فاستغاثه الذي من شيعته، وهو القلب على الذي من عدوه وهو الهوى، فوكزه موسى ففضى عليه، فكان قتلُ الهوى سبباً للخروج من قَصْرِ مصرِ الغفلة، إلى شعيبِ اليقظة، فالآن يناديك لسانُ المعاملة: هل لك في بلوغ غَرَضِك ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي﴾ [القصص: ٢٧]، فإنْ وَفَّيتَ انقلبتَ إلى لذاتك مسروراً، استُرْجِعَ لك التكليمُ في طور الجنة، فإنْ صحبْتَ فرعونَ الهوى غَرِقْتَ [بعبورك][1] يومَ اليمّ.

* * *

(١) زيادة من (ب).

الفصل الخامس والثلاثون

يا هذا! إنّما خلقتِ الدنيا لِتجوزَها لا لتحُوزَها، ولِتَعْبُرَها لا لِتعمرَها، فاقتلْ هواكَ المائلَ إليها، واقْبل نصحي، ولا تعوّلْ[1] عليها.

(لورقةَ بن نوفل):

لا شيءَ ممـا تـرى تبقـى بشـاشَتُـهُ ... يبقى الإلهُ ويُودِي[2] المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عن هُرمُزٍ يوماً عساكِرُهُ[3] ... والخُلْدَ قد حاولَتْ عادٌ فما خَلَدوا
ولا سليمـانُ إذ تجـري الـريـاحُ لـه ... والإنـسُ والجـنُّ فيمـا بينهـا تَـرِدُ
أيـن الملـوكُ التـي كـانـتْ نـوافلُهـا ... مـن كـلِّ أوْبٍ إليهـا راكـب[4] يَفِـدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كَدَرٍ[5] ... لابـدَّ مـن وِرْدِه[6] يومـاً كمـا وردوا

الدُّنيا مزرعةُ النوائب، ومشرَعَةُ المصائب[7]، ومفرقةُ المجامع، ومجرية المدامع، كم سَلَبَتْ أقواماً أقوى ما كانوا، وبانَتْ[8] أحلى ما كانت أحلاماً فبانوا[9].

ففَكِّرْ في أهل القصور والممالك، كيف مُزِّقوا بكفِّ المهالك، ثم عُدْ

---

(١) تعوّل عليها: تحمل عليها وتعتمد.
(٢) يودي: يهلك ويفني.
(٣) في (ب): خزائنه.
(٤) في (ب): وافد.
(٥) في (ب): كلب.
(٦) في (ب): وردها.
(٧) مشرعة: مورد الشاربين.
(٨) بانت: فصلت وقطعت.
(٩) بانت: ظهرت. وبانوا: ذهبوا وغابوا.

بالنظر في حالك، لعلّه يتجلى القلبُ الحالك، إنَّ لذاتِ الدُّنيا لَفَوارِكُ[1]، وإن موجَ بلائها لَمُتدارك[2]، كم حجَّ كعبتَها قاصدٌ فقتلته قبلَ المناسِك، كم علا ذروتها مغرورٌ فإذا به تحت السنابك[3]، كم غرَّت غِرّاً بفخِّها فما استقرت حتى صيد باشك[4]، خَلِّها واطلب خُلةَ ذاتَ سرورٍ وسُرُرٍ[5] وأرائك[6]، تالله ما طيبُ العيش إلا هنالك.

إخواني! ما قعودُنا وقد سار الرّكبُ، ما أرى النيّة إلا نَيَّة[7]، يا مسافرين مَنْ عَزَم يتزوَّد[8]، يا راحلين بلا رواحل[9]، وُطِّنُوا على الانقطاع، ليت المحترِزَ نجا فكيفَ المُهْمِلُ؟!.

يا أقدامَ الصبرِ تحمَّلي فقد بقي القليلُ، تذكَّري حلاوةَ الدَّعَة[10] يَهُنْ عليك مُرُّ السُّرى، قد علمت أين المنزل، فاخْدُ لها تَسِرْ.

(لمهيار)[11]:

تَغرَّ بالجرعاءِ[12] يا سائقَها فإنْ وَنَتْ شيئاً فَزِدْها الأَبرَقا

---

(١) فوارك: جمع فاركة: المبغضة لزوجها.

(٢) متدارك: متتابع.

(٣) السنابك: جمع سُنبك، والسنبك: طرف حافر الدابة.

(٤) باشك: البشك: العجلة والسرعة (قاموس).

(٥) سُرُر: جمع سرير.

(٦) أرائك: جمع أريكة، وهي سرير في حجلة، أو سرير منجد مزين في قبة (قاموس).

(٧) نَيّة: فجة.

(٨) في (ب): تزوّد.

(٩) رواحل: جمع راحلة، وهي الجمل الصالح للركوب، القوي على الأسفار والأحمال، والذكر والأنثى فيه سواء، والهاء فيها للمبالغة، وهي التي يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وتمام الخَلْق وحسن المنظر.

(١٠) الدعة: خفض العيش وطيبه.

(١١) من قصيدة كتب بها إلى الأستاذ أبي الحسن المختار بن عبد الله بن الذهبي الكاتب. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٣٢١-٣٢٦.

(١٢) الجرعاء والأبرق وحاجر: أماكن.

وأغنٍ عن السِّياطِ في أُرْجوزةٍ[1] ... بحاجرٍ ترَ السُّهامَ المُرَّقا

واستقبلِ الريحَ الصبا بخُطْمِها[2] ... تجدْ سُرى ما وجدتْ منسّقا[3]

إنّ لها عندَ الحمى وأهلِه ... تعلُّقاً من حبها وعَلَقا[4]

وكلُّ ما تزجرهُ حُداتُها ... رعى الحمى ربُّ الغمامِ[5] وسَقَى

حواملاً منها هموماً ثَقَّلَتْ ... وأنفُساً لم تُبقَ إلا رَمَقا

تخمِلُنَتا وإنْ عَرَيْنَ قصَباً ... وإنْ دَمِينَ أذْرُعاً وأسْرُقا

دامَ عليها الليلُ حتى أصبحَتْ ... تحسَبُ فجرَ ذاتِ عرقٍ[6] شَفَقا

عرّج على الوادي فَقُلْ عن كبدي ... ما شئتَ للبان الجوى[7] والحُرَقا

الجنة ترضى منك بالزهد، والنار تندفع عنك بترك الذنب، والمحبّةُ لا تقعُ إلا بالروح.

إنَّ سلطانَ حبِّه ... قال: لا أقبلُ الرِّشا[8]

فَسَلُوه - فَديتُه[9] - ... لمْ بقلبي تحرّشا[10]

ما سلك الخليلُ طريقاً أطيبَ من الفلاة التي دخلها لما أُخرِجَ من كفةِ المنْجَنيق.

---

(١) الأرجوزة: قصيدة على بحر الرجز.

(٢) الخُطم: جمع خِطام، وهو حبل يوضع في أنف الدابة.

(٣) في الديوان: «منطلقاً».

(٤) في الديوان: «إن حملت لعلقاً وعَلَقاً». والعَلَق: جمع عَلَقة: ما يتعلق به. والعَلَق: الهوى يكون للرجل في المرأة.

(٥) الغمام: السحاب.

(٦) ذات عرق: مَهَلُ أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة. والمَهَلُ: الميقات الذي يحرم عنده الحاج والمعتمر.

(٧) الجوى: شدة الوجد وهوى الباطن.

(٨) الرشا: رشوة.

(٩) فديته: جعلت نفسي فداه له، وهذا أسلوب التفدية يعبّرون به عن محبتهم للمفدّى.

(١٠) هذا البيت غير موجود في (ب).

زيارةٌ تسعى فيها أقدامُ الرضا على أرض الشوق، شابهت ليلة «فزجَّني في النور، وقال: ها أنت وربك»[1].

زُرناك شوقاً ولو أنَّ النَّوى بسَطَتْ ... فُرُشَ الفلا بيننا جَمْراً لزُرْناك

رآه جبريلُ وقد ودَّع بلدَ العمارةِ[2]، فظنَّ ضعفَ إقدامِ المتوكلِ[3]، فعرض عليه زادَ «ألك حاجة» ، فرده بأنَفةٍ: «أما إليك فلا» قال: فسل مولاك، قال: «علمه بحالي يغنيه[4] عن سؤالي»[5].

تملَّكُوْا واحتنَكُوا ... فصارَ قلبي لهُمُ
تَصرَّفُوا في ملكهمْ ... فلا يُقالُ ظُلِمُوا
إنْ وصلُوا مُحبَّهُمْ ... أوْ قَطَعُوا فَهُمُ هُمُ
يا أرضَ سَلْعٍ أخبري ... وحدِّثيني عنهمُ
[تبكيهمُ أرضُ منًى ... وتشتكيهمُ زَمْزَمُ][6]
يا ليت شعري إذ غدَوْا ... أأنجَدوا أم أتهموا[7]
ما ضرَّهم حين سَرَوْا ... لو وَقَفُوا فَسَلَّمُوا

---

(١) راجع: السيرة الحلبية: ١/ ٣٢٦ فقد ذكر لها روايات متعددة.

(٢) في (ب): العادة.

(٣) المتوكل: يشير إلى إبراهيم عليه السلام.

(٤) في (ب): يغنيني.

(٥) قال الألوسي في (روح المعاني: ١٧/ ٦٨) عند قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ [الأنبياء: ٦٩]: «روي عن أبيّ بن كعب قال: حين أوثقوه ليلقوه في النار قال ـ عليه السلام ـ: «لا إله إلا أنت، سبحانك، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، ثم رموا به، فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: يا إبراهيم! ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي». ويروى: أن الوزغ كان ينفخ في النار. ثم قال الألوسي: وقد جاء ذلك في رواية البخاري.

(٦) زيادة من (ب).

(٧) أتهموا: فيقال أتهم الرجل: أتى تهامة، قال الممزّق العبدي: «فإن يتهموا أُتّهِدْ خلافاً عليهم».

أبدانُ المحبين عندكم وقلوبهم عند الحبيب، طرقَ طارقٌ بابَ (أبي يزيدَ) فقال: ها هنا أبو يزيد؟ فصاح مِنْ داخلِ الدار: أبو يزيد يطلبُ أبا يزيد فما يجده.

(لمهيار)[1]:

وبجرعاءِ الحمى قلبي فَمُجْ[2] بالحمى واقرأ على قلبي السَّلاما
وترجَّلْ فتحدثْ عَجَباً إنَّ قلباً سارَ عن جسم أقاما
قلْ لجيرانِ الغَضا آوٍ على طيبِ عيشٍ بالغضا لو كان داما
حَمِّلوا ريحَ الصبا نشْرَكمُ قبلَ أن تحملَ شيحاً وخُزامى
[وابعثوا لي بالكَرَى طيفَكُمُ إنْ أذِنْتُم لعيوني أن تناما][3]

بَلَغَتْ بالقوم المحبةُ إلى استحلاء البلاء، فوجدوا في التعذيب عُذوبةً، لعلمهم أنّه مرادُ الحبيب.

أَرِضَاه أسْخَطُ أو أرضى تَلَوّنَه وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ

ضَنِيَ (سويدُ بن شعبةَ) على فراشه، فكان يقولُ: والله ما أُحِب أن الله نقصني منه[4] قُلامةَ ظُفْرٍ.

تَعجَّبُوا من تَمنّي القلبِ مُؤْلِمَهُ وما دَرَوْا أنه خِلْوٌ من الألَمِ

أمر الحجّاجُ بصلب (ماهانَ) العابد، فرُفِعَ على الخشبة وهو يسبِّح ويهلِّل ويعقد بيديه حتى بلغ تسعاً وعشرين فبقي شهراً بعد موته، ويده على ذلك العقد مضمومة.

لَتُحْشَرَنَّ عِظامي بعدما بَلِيَتْ يومَ الحسابِ وفيها حُبُّكم عَلِقَ

---

(١) من قصيدة يمدح بها الوزير زعيم الدين أبا الحسن في النيروز. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٣٢٧ ـ ٣٣١.

(٢) مُجْ: أمر من المضارع: يموج، ماضيه ماج، يقال: ماج به: عطف إليه، ومال، وألمّ به، ومرّ عليه، وهو عطف رأس البعير بالزمام، وزجر الناقة.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) الضمير يعود على الضنا والمرض.

مَرُّوا على مجذوم قد مزَّقَهُ الجُذامُ، فقالوا له: لو تداويتَ، فقال: لو قطّعني إرْباً إرْباً ما ازددتُ له إلا حُبّاً.

إنْ كـــان جيـــرانُ الغَضـــا ... رَضُـــوا بقتلـــي فَـــرِضَـــا
واللهِ مـــا كنـــتُ لِمَـــا ... يَهـــوى الحبيـــبُ مُبْغضـــا
صِـــرْتُ لهـــمْ عَبْـــداً ومـــا ... للعبـــدِ أنْ يعتَـــرِضَـــا
هـــمْ قلّبـــوا قلبـــي مِـــن الشّـ ... ـــوقِ على جَمْـــرِ الغَضـــا
يـــا ليـــتَ أيـــامَ الحِمَـــى ... يعـــودُ منهـــا مـــا مَضَـــى
مَـــنْ لمـــريـــضٍ لا يَـــرَى ... إلا الطبيـــبَ المُمْـــرِضـــا

كان (الشبلي) يقول: أحبَّك الناسُ لنعمائك وأنا أحبُّك لبلائك.

مَـــنْ لقتيـــلِ الحـــبِّ لـــو ... ردَّ عليـــه القـــاتِـــلُ
يَجْـــرحُـــه النَّبْـــلُ ويَهْـــوَى ... أنْ يعـــودَ النـــابـــلُ[1]

قلّبَهمُ الزهـدُ في قَفرِ الفقرِ على أكفِّ الصبر، فقطعَ[2] أوداجَ أغراضِهم بسكينِ المَسْكنة، والبلاء ينادي ﴿أَنصِتُوا﴾ [الفرقان: ٢٠]، والعزم يجيب: ﴿لَاصَبْرٌ﴾ [الشعراء: ٥٠].

سقاهُم رحيقَ[3] القُرْبِ فأورثَهم حريقَ الحبِّ، فغابوا بالسُّكْرِ عن رُؤيةِ النفس، فعربدوا على رَسْمِ الجسم، فهاموا في فلواتِ الوَجْد يستأنسون بالحمام والوحش.

يا منيـةَ القلبِ ما جِيـدي بمُنْعطِف ... إلـى سِـواكُـم ولا حَبلـي بمنقـادِ
لـولا المحبـةُ ما اسْتَعْظَمْتُ[4] بارقةً ... ولا سألـتُ حَمامَ الدَّرْحِ إسعادي[5]

---

(١) النابل: الحاذق بالنبل ورامي النبال.
(٢) في (ب): فقلع.
(٣) الرحيق: الخمر أو أطيبها أو الخالص أو الصافي.
(٤) في (ب): استعملت.
(٥) إسعادي: في الحديث: «لا إسعاد ولا عقر في الإسلام». والإسعاد: هو أن تقوم المرأة=

ولا وقَفْتُ على الوادي أُسائِلُه بالدّمعِ حتى رثَى لي ساكنُ الوادي

* * *

- فتقوم معها أخرى من جاراتها إذا أصيبت إحداهن بمصيبة فيمن يعزّ عليها بكت حولاً، وأسعدها على ذلك جاراتها وذوات قراباتها، فيجتمعن معها في عداد النياحة وأوقاتها يتابعنها ويساعدنها ما دامت تنوح عليه وتبكيه، فإذا أصيبت صواحباتها بعد ذلك بمصيبة أسعدتهن، فنهى النبي ﷺ عن هذا الإسعاد، فالإسعاد: المساعد في المناحة، والمساعدة عامة في كل معونة.

الفصل السادس والثلاثون

أيها المغترُّ بالدنيا كم خَدَعَتْ! ما وَصَلَ وَصْلَها محبٌّ إلا قَطَعَتْ، وما ناولتْ نوالاً إلا ارتجعتْ، اختبأت مريرَها[1]، فلما اعتقلتْ أسيرَها جرَّعَتْ[2]، متى رأيتَها قد توَطَّنتَ فاعلمْ أنّها قد أزمعَتْ[3].

يا محبَّ الدُّنيا الغرورِ اغتراراً ... راكباً في طِلابِها الأخطارا
يبتغي وصلَها فتأبى عليه ... وترى أُنسَهُ فتُبدي نِفَارا
خابَ من يبتغي الوصالَ لديها ... جارةٌ لم تَزَلْ تسيء الجوارا
كم محبٍّ أرتْهُ أُنساً فلمّا ... شِيبَ حُلْوُ اللّذاتِ منها بِمُرِّ
حاولَ الوصل[4] صيّرته أزْوَرارا ... إنْ حَلَتْ مَرَّةً أمرَّتْ[5] مِرارا
في اكتسابِ الحلالِ منها حِسَابٌ ... واكتسابُ الحرام يُصلي النارا
ولباغي الأوطارِ منها عَناءٌ ... سيقضي[6] وما قضى الأوطارا
كُلُّ لذّاتِها مُنَغَّصةُ العيـ ... ـشِ وأربابُها تعودُ خسارا
وليالي الهموم تمضي طِوالاً ... وليالي السرور تمضي قِصارا
وكفى أنها تَفِيضُ وإن جادت ... بِنَزْرٍ أفْنَتْ به الأعمارا
وإذا ما سَقَتْ خمورَ الأماني ... صَيَّرتْ بعدَها المنايا خُمارا[7]
كم مليكٍ مسلَّطٍ ذلَّلتْهُ ... بعد عزٍّ فما أطاق انتصارا
ونعيمٍ قد أعقَبَتْهُ بِبُؤسٍ ... ومَغانٍ قد غادرتْها قِفَارا

---

(١) مريرها: علقمها.
(٢) جرّعت: سقت.
(٣) أزمعت: ثبتَتْ على الرحيل أمرها.
(٤) في (ب): الزور.
(٥) أمرّت: أذاقت المُرّ.
(٦) في (ب): سوف يقضي.
(٧) الخمار: بقية السكر.

أيها المستعيرُ منها متاعاً ... عن قليلٍ تَسْتَرجعُ المُستعارا
عُدْ عَنْ وصلِ مَن يُعيرُكَ ما ... يَفْنى ويبقى إثْماً ويكسِبُ عارا
قد أرَتْكَ الأمثالَ في سالفِ الدْ ... دَهْرِ وها قدْ أرَتك فيك اعتبارا
وجديرٌ بالعُذرِ من قدَّمَ الـ ... أعْذارَ فيما جَناه والإنذارا
فتَعوّضْ عنها بِخَلّةِ صِدْقٍ ... والتمِسْ غيرَ هذه الدارِ دارا
والبدارَ البدارَ بالعملِ الصا ... لحِ ما دُمْتَ تستطيعُ البدارا

إلى متى في طلبها؟ إلى كم الاغترار بها؟ تدورُ البلادَ ناشداً[1] ضالّةَ المنى، وتلك ضالةٌ لا توجد أبداً، فسَيقْتُلكَ الحرصُ غريباً، ولكن لا في فيافي «فيا طوبى للغرباء»[2].

أظنُّ هواها تاركي بِمَضَلّةٍ ... مِنَ الأرضِ لا مالٌ لديَّ ولا أهلُ
ولا أحدٌ أُفضي إليه وَصِيتي ... ولا وارثٌ إلا المطيةُ والرَّحلُ

أيها المتعبُ نفسَه في جَمْعِ المال، عُقابُ الوارثِ على مَرْقَبِ الانتظار، أنَهمتَ أم أشرحُ لك؟ العُقابُ لا تُعاني الصيد، وإنّما تكونُ على موضع عالٍ، فأيُّ طائرٍ صاد صيداً انقضَّتْ عليه، فإذا رآها هرب وتركَ الصيد، مالك تجمع مالك[3]؟ وما لك منه إلا ما تُخلِّفُ! والزمان يستحثك[4] للذهاب وأنت للأذهاب[5] تؤلف، المالُ إذا وصلَ إلى الكرام عابرُ سبيل، وإكرامُ عابرِ السبيلِ تجهيزُه للرحيل، جسمُ البخيلِ كلُّه يعرَقُ إلا اليد، كفُّه مكفوفةٌ ما ينفقُ منها خرزةً.

تحَلّى بأسماءِ الشهورِ فكفُّه ... جُمادى[6] وما ضَمَّتْ عليه المُحرَّمُ

---

(١) في (ب): منشداً.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان (٢٣٢)، والترمذي (١٣)، وابن ماجه في كتاب الفتن (١٥)، والدارمي في كتاب الرقاق (٣٢)، والإمام أحمد: ١/ ١٨٤ بلفظ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء».

(٣) مالك الأولى: استفهام، مالك الثانية: المال.

(٤) في (ب): يشتك.

(٥) للأذهاب: جمع ذهب.

(٦) جُمادى: كحبارى من أسماء الشهور معرفة مؤنثة، ويقال للبخيل: جَمادٍ كقطامٍ ذمّاً له، =

يا فرعونيَّ الكِبْرِ، تَفْرَحُ بمالٍ سيُسْلَبُ منك، فتستعيرُ كلمة ﴿أَلَيْسَ لِي﴾ [الزخرف: ٥١]، يا نَمْروديَّ الجهلِ، تشدُّ أطنابَ الحيلِ على الدنيا في أرجُلِ نُسورِ الأمل، ثم تَرمي نشَّابَ الأغراض، إن وقف لك غرض فتستغيث الأكوان من يدك ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

من فهم علم التوحيدِ تجرَّدَ للواحد بقطع العلائقِ، أما ترى كلمتَيْ الشهادة مجرّدةً من نقط.

إذا أعرضَتْ الدنيا أقبلتْ إليك الآخرة: «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه»[1].

عَقَرَ سليمانُ الخيلَ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ [ص: ٣٦]، لما عُقِدَتِ الخِنْصرُ[2] على التوحيد مُيِّزَتْ على باقي الأصابع بالخاتم.

يا أطفالَ التوبةِ! ما أُنكر حنينَكم إلى الرَّضاع، ولكن ذوقوا مطاعمَ الرجالِ، وقد نسيتُم شربَ اللبن.

إذا تحصّنَ الهوى بقلعةِ الطبعِ، فَانْصِبوا مجانيقَ العزائمِ وقد انهدَم السورُ.

أنتم تخرجون لقتل سَبع ما آذاكم؛ ليُقَال عن أحدكم: ما أجلده! فكيف تتركون سَبُعَ الهوى وقد أغار على سرح[3] القلوب؟!.

إنما يُتْحَفُ الملوكُ[4] بالباكورة[5]، فافهموا يا صبيان [التوبة][6] إذا أهديتُم فالرطب لا الحشَف[7].

= وهو جَماد الكفِّ، وجَمَد: بخل، وظلت العين جمادى: جامدة لا تدمع، وهي جمود، والمجمد: البخيل، والقليل الخير.

(١) رواه ابن عساكر وأبو نعيم بلفظ: «ما ترك عبدٌ لله أمراً لا يتركه إلا لله إلا عوضه الله منه ما هو خير له منه في دينه ودنياه». راجع: فيض القدير بشرح الجامع الصغير: ٥/ ٤٣٥.

(٢) عقدت الخنصر: في ابتداء العد.

(٣) السرح: السوائم من الماشية.

(٤) في (ب): تتحف الملوك.

(٥) الباكورة: أول كل شيء.

(٦) زيادة من (ب).

(٧) الحشف: يابس التمر ورديئه.

يا أطيارَ الشباب، إما عَبّادان[1] التعبد، وإما استفراغُ[2] العلم، وإلا فالذبح، تريدون نيلَ الشهوات وحصولَ المراتب، والجمعَ بين الأضداد، لا يمكن.

هـــوالكَ نجـــدٌ وهـــواهـــا الشـــامُ وذا وذا يـــا مـــيُّ لا يَلْتَـــامُ[3]

ما زلتُ أُعالِجُ مسمارَ الهوى في قلبِ العاصي، أميلُ به تارةً إلى جانب التخويف، وتارةً أخرى إلى ناحية التشويق، فلمّا ضعفَ الماسكُ بإزعاجي له، اتّسعَ عليه المجال فجَذَبْتُه.

أَنِفْتُ لصبيِّ اللعبِ من بيع جوهرِ العمر النفيس بصدف الهوى، فشدَدْتُ عليه في الحجْرِ ليعلم بعد البلوغ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢].

* * *

(١) عبّادان: موضع فيه قوم مقيمون للعبادة والانقطاع.
(٢) استفراغ العلم: تحصيله وطلبه.
(٣) لا يلتام: أي لا يلتئم ولا يجتمع.

الفصل السابع والثلاثون

إخواني! جُدُّوا فقد سُبقْتُم، واستعدُّوا فقد لُحِقْتم، وانظُروا بماذا من الهوى علقتُم؟ ولا تَغفلوا عما له خُلِقْتم، ذهبتِ الأيامُ وما أطعتُم، وكُتبتِ الآثامُ وما أصغيتم، وكأنكم بالصادقين قد وصلوا وانقطَعْتم، أهذا التوبيخ لغيركم؟! أو ما قد سمعتم؟!.

(الصُّرَّدُّ)[1]:

ما ضاعَ من أيامنا هل يُغرمُ ... هيهاتَ والأزمانُ كيف تُقَوَّمُ
يومٌ بأرواحٍ يُباعُ ويُشترى ... وأخوه ليس يُسامُ فيه دِرْهَمُ
لي وِقفةٌ في الدارِ لا رجَعَتْ بما ... أهوى ولا يأسي عليها يُقدِمُ
وكفاكَ أنّي للنوائبِ عاتبٌ ... ولصُمِّ أحجارِ الديارِ مُكلِّمُ
ومن البلادةِ في الصّبابةِ أنّني ... مستخبِرٌ عنهنَّ مَنْ لا يَفهمُ
وإذا البليغُ شكا إليه بثَّه ... عبثاً فما بالُ المطايا تُرزَمُ[2]
كلٌّ كَنَى عن شَوْقه بلُغاتِه ... ولربما أبكى الفصيحَ الأعجمُ
نرجو سلوكاً في رسومٍ بَيْنَها ... الأغصانُ سُكْرٌ[3]، والحمامُ متيّمُ
هذي تميل إذا تنسَّمتِ الصَّبا ... والوُرْق تذكرُ إلفها فترَنَّمُ

آه على زمان فات! وعلى قلبٍ حيٍّ مات، كيف الطمع فيما مضى؟ هيهات.

رُدُّوا عليَّ ليالِيَّ التي سلَفَتْ

---

(١) قاله في مدح الوزير أبي المعالي بن عبد الرحيم. انظر: الديوان، ص٣٤.

(٢) ترزم: الإرزام صوت الناقة إذا رئمت ولدها، ترزم: تحن على ولدها. ورئمت الناقةُ ولدها: عطفت عليه ولزمته.

(٣) سُكْرٌ: نشوى بمداعبة النسيم وروعة الجو، وقد شرح ذلك في البيت التالي.

أين الزمان الذي بان أتراه بان[1]؟ أين القلب الصافي كان وكان؟.

سُقْيـاً لمنـزلـةِ الحمـى وكثيبِهـا ... إذ لا أرى زَمَنـاً كـأزمـانـي بهـا
مـا أعـرفُ اللـذاتِ إلا ذاكـراً ... هيهـات قـد خَلَّفْتُ أوقـاتي بهـا

يا مَنْ[2] كان له قلب فانقلب، قيامُ السَّحرِ يستَوحشُ لك، صيامُ النهارِ يسألُ عنك، ليالي الوصالِ تعاتبُك:

أيـنَ أيَّـامُـك والـدَّهـرُ ربيـعٌ ... والنَّـوى معـزولـةٌ والقُـرْبُ والِ

[يـا مَنْ كان قريباً فطُرِد][3]، يا مَنْ كان مشاهِداً فحُجِبَ، يا عزيزي ما ألفتَ الشقاء فكيف تصبر؟ أصعبُ الفَقْرِ ما كان بعدَ الغنى، وأوحشُ الذُّلِّ ما كان بعدَ العز، وأشَدُّهما المعى على الكِبَر.

يا هذا! بِتْ بِبَيْتِ الأحزانِ من قبل البياتِ[4]، وَبِتْ إلى المُثيب[5] وَثْبَةَ ثَباتٍ، ولا تجاوزِ الجنابَ، ودُرْ حول الدار، واستقبِلْ قِبلةَ التضرعِ، وقُلْ في الأسحار:

قـد قَلِـقَ الجنـبُ وطـارَ الكـرى ... وأظلـمَ الجـوُّ وضـاقَ الفضـا
لا يَغْطـشُ الـزرعُ الـذي نَبَتُّـهُ ... بصَـوْبِ إنعـامِـك قـد رُوِّضـا
إن كـان لـي ذنـب تجـوَّتُـه ... فاستأنِفِ العفوَ وهبْ ما مضى
لا تَبْـرِ عُـوداً أنـت ربَّيْتَـه ... حاشـى لبَـاني المجدِ أنْ يَنْقُضَـا
وكيـفَ لا أبكـي لإعـراضِ مَـنْ ... يُعـرِض عنـي الـدَّهْـرُ إنْ أعْـرضـا
قـد كنـتُ أرجـوه لنيـلِ المُنـى ... فـاليـومَ لا أطْلُـبُ إلا الـرِّضـا

يا من قد فقدَ قلبَه وعدِمَ التخيُّل في طلبه، تَنَفَّسْ من كَرْبِ الوجدِ، فبريدُ

---

(١) بان الأولى: ذهب ومضى. وبان الثانية: ظهر.
(٢) في (أ): أين من.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) البيات: من بيَّت العدوَّ: أوقع به، ويشير إلى ما يُوقِعُ الموت بالإنسان.
(٥) المُثيب: أي الله سبحانه وتعالى.

اللطفِ يحملُ المُلطِّفَات، ريحُ الأسحارِ رِكاب[1] الرسائل، ونسيمُ الفجرِ تَرجمانُ الجواب.

(لمهيار)[2]:

فيا ريحَ الصَّبا اقترحي ... على الأحشاءِ واحتكمي
أراكِ نَسَمْتِ تَخْتَبِرينَ ... ما عَهْدي وما ذِمَمي
فهذي في يَدِيْ كَبِدِي ... وذا في وَجْنَتَيَّ دَمِي
سلامٌ كلَّما ذُكِرتْ ... ليالينا بذِي سَلَمِ

إخواني! صُعَداءُ[3] الأنفاسِ واصلٌ لا يُمنعُ، لسانُ الدمع أفصحُ من لسانِ الشكوى، شجوُ التائب يُطْرِبُ سمعَ الرِّضا، حزنُ النادِمِ يَسُرُّ قَلبَ التعبُّد، قلقُ المسكين محبوب الرَّحْمة، أسى مَنْ أساء فَرَحُ العفو، بكاءُ المُفرّط يُضحك سنَّ القبول، دمعُ المحزون مخزون لخزانة الخاص، ريحُ نفسٍ آيِفٍ أطيبُ من ندِّ ندِّ[4]، قطرةٌ من المدامع على الخدِّ أنفعُ من ألفِ مَطرةٍ على الأرض.

ضمَّنْتُ حالي قِصَّةً ورفعتُها ... فأتاني التوقيعُ يشرحُ حالَهُ
فأتيتُ ديوانَ الهوى فلكثرةِ ... العشّاقِ لم يتهيا لي إيصالُهُ
حتى إذا أوصلتُها نظروا إلى ... شخصي تَبَغّى للعيونِ خيالُه
قلتُ: ارْحَمُوا هذا الفقيرَ فإنّهُ ... مِن حينِ هَجْرِكمُ تمزَّقَ بالُه

يا دائرةَ الشقاء أين أوّلُكِ؟ يا أرضَ التيه أين آخرُكِ؟ يا أيوبَ البلاءِ إلى كم على الكُناسة[5]؟ متى يَنْسَخُ الزَّمِنَ زَمَنُ ﴿ارْكُضْ﴾ [صٓ: ٤٢]؟.

---

(١) الركاب: الإبل يسار عليها.

(٢) من قصيدة كتب بها إلى العميد علي بن المزرع يعاتبه على تأخير رسمه. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٢٨٧ ـ ٢٩١.

(٣) صعداء: تنفس ممدود من توجُّع.

(٤) ند الأولى: من التندية، وهي التلطيف. وند الثانية: الطيب.

(٥) هذا من الإسرائيليات لا تليق بسيدنا أيوب عليه السلام.

فـأزعجَـتِ القلـوبَ وأقلَقَتْهـا فمـا زِلنـا نقـولُ لهـا أعيـدي
أرى مـاءَ وبـي عطـشٌ شـديـدٌ ولكـنْ لا سبيـلَ إلـى الـورودِ

تعلّقْ بالليلِ فهو شفيعٌ مَشفَّعٌ، تَمسَّكْ بالبكاء فهو رفيق صالحٌ، ادخلْ في زمرة المتهجِّدين على وجه التطفل في فلوات الخلوات بلسان التذلل:

يـا راحـمَ عبـرةِ المسيءِ المحـزونِ دعْمعيَ مبذولٌ وحزنٌ قليبَ مخزون
شوقي يسعى إليك والصبرُ حَرُونُ[1] مَنْ تهجرُه أنتَ تُرى كيف يكون

أبواب الملوك لا تُطْرَقُ بالأيدي ولا بالحجارة إلا بنَفَس مُحتاج:

(لمهيار)[2]:

آهٍ والشـوقُ مـا تـأوَّهـتُ مِنْـهُ لِلَيـالٍ بـالـنَّفْـحِ لـو عُـدْنَ أُخرى
قلّبـوا ذلـك الـرمـادَ نُصِيبُـوا فيـه قلبـي إن لـم نُصيبـوا الجَمْـرا

يا هذا! إذا رأيتَ نفسَك متخبطةً لا مع المحسنين[3] ولا مع التائبين، فابسط رِدَاءَ الأسفِ، واجلِسْ مع رفيقِ اللهفِ، وابعثْ رسالةَ القلقِ مع بريدِ الصُّعَداءِ[4]، لعلّه يأتي الجواب بكشف الجوى:

ولـي زفـراتٌ لـو ظهـرْنَ قتلْنـني لشـوقِ لُيَـيْلاتي[5] التي قد تـولـتِ
إذا قلتُ هذي زفرةُ اليوم قد مَضَتْ فمَنْ لي بأُخرى مثلَ تِيكَ أظَلَّتِ
حلفـتُ لهـم بـاللهِ مـا أمُّ واحـدٍ إذا ذكَـرَتْـهُ آخـرَ الليـلِ حنَّـتِ
وما وَجْـدُ[6] أعْرابيـةٍ قـد فَتَّ[7] بهـا صروفُ النوى[8] من حيث لم تكُ ظَنَّتِ

---

(١) الحرون: الدابة تقف حين يطلب جريها وترجع القهقرى.
(٢) من قصيدة كتبها إلى صديق. انظر: ديوان شعره: ١/٤٠٦ ـ ٤١١.
(٣) في (ب): المحيين.
(٤) الصعداء: تنفس طويل في مشقة، وتنفس بتوجع.
(٥) ليلاتي: جمع ليلة: تصغير ليلة.
(٦) وَجْد: محبة.
(٧) فتّ: أضعف وأوهن.
(٨) صروف النوى: الصروف: التقلبات والغِيَر، والنوى: البعد والفراق.

تَمنَّتْ أحاليبَ الرُّعاءِ وخَيْمةً ... بَنَجْدٍ فلم يُقْدَرْ لها ما تَمنَّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ العُذيب[1] وطيبَهُ ... وبردَ حَصاهُ آخرَ الليلِ أنَّتِ
لها أنَّةٌ وقتَ العشاءِ وأنَّةٌ ... سُحيراً فلولا أنَّها لَجُنَّتِ
بأكثرَ[2] مني لوعةً غيرَ أنني ... أُجَمْجِمُ[3] أحشائي على ما أَجَنَّتِ

نيرانُ الخوفِ في قلوب التائبين ما تخبو، وقلقُ المذنبين مما جَنَوْا لا يسكُنُ، وضجيجُ المحبين في جيش الشوق ما يفْترُ:

واهاً لزماننا الذي قد سلفا[4] ... أبقى[5] مَرَضي وليس لي منه شِفَا
ذابتْ روحي وما أرى غير جَفا ... هذا رَمَقي[6] تسلَّموه بوَفَا

* * *

(١) العذيب: وادٍ في شمال مدينة الرسول ﷺ.
(٢) بأكثر مني: الباء هنا ـ زائدة في خبر «ما» من قوله: «حلفت لهم بالله ما أم واحدٍ» التي عملت عمل «ليس» أي: ما أم واحد، وما وجد أعرابية (أكثر مني لوعة).
(٣) أُجَمْجِم: أخفي ولا أبدي، يقال: جمجم الشيء في صدره: أخفاه ولم يُبْدِه.
(٤) في (ب): كان صفا.
(٥) في (ب): أبكى.
(٦) رمقي: بقية حياتي.

الفصل الثامن والثلاثون

ألاَ يعتبرُ المقيمُ منكم بمَنْ رَحَل؟ ألاَ يندَمُ من يعلمُ عواقبَ الكسل؟ آهٍ لغافلٍ كلّما جَدَّ الموتُ هزل، ولغافلٍ كلّما صَعَدَ العمرُ نزَل.

أعِدْ على فكرِك إتلافَ[1] الأُمَمْ ... وقفْ على ما في القبورِ من رِمَمْ

ونادِهِم أينَ القويُّ منكمُ ... القاهرُ، أم أين الضعيفُ المُهتَضَمْ

تفاصلتْ[2] أوصالُهم فوقَ الثَّرى ... ثم تساوَتْ تحتَه كلُّ قدَمْ

قبرُ البخيلِ والكريمِ واحدٌ ... ما نفعَ البخلُ وما ضرَّ الكرمْ

وا عجباً لغافلٍ أمامَه ... هجومُ ما لا يُتَّقى إذا هَجَمْ

إذا تخطَّاهُ على عهدِ الصِّبا ... أو الشبابِ لم يقُتْهُ[3] في الهَرمْ

أما كفى الإنسانَ موتٌ بعضِه ... وهْوَ المشيبُ المستطيرُ في اللِّمَمْ[4]

أيُّ خليلينِ أقاما أبداً ... ما افترقا؟ وأيُّ حَبْلٍ ما انصَرمْ؟

إنَّ النجومَ الدائراتِ أبداً ... تضحَكُ من مُنْتَبِهٍ إذا ابتَسَمْ

إخواني! بادروا آجالكم، وحاذروا آمالكم، أما لكُم عِبرةٌ فيمن مضى؟ أما لكم؟! ما هذا الغرور الذي قد أمالَكُم[5]؟! ستَتْرُكون على رغم آمالِكم ما لَكُمْ.

إخواني! صدقتم الأملَ فكذَّبَكُم، وأطعتم الهوى فعذَّبكُم.

أما أنذركم السقمُ بعد الصحة، والتَّرحةُ بعد الفرحةِ، في كلِّ يومٍ يموتُ من

---

(١) في (ب): أسلاف.

(٢) تفاصلت: تفرقت وتفككت.

(٣) لم يفته: لم يسبقه، ما غاب عنه، لم يفلت منه.

(٤) اللِّمَم: جمع لمة: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن. والمستطير: المنتشر.

(٥) أمالكم: انحرف بكم وأخرجكم عن الاستقامة.

أشباحكم ما يكفي في نَعْي أرواحكم، ويُحلُّ بِعُقْوتِكم[1] وفِنائكم ما يخبُركم عن شتاتِكم وفَنائكم.

فخذوا حِذْركمْ قبل النوائب، فقد أُتيتم من كل جانب، [وتذكروا سعر أهل النارِ في النار، واحذروا فوتَ دارِ الأبرار][2]، وتخوّفوا يومَ الفصلِ بين الفريقين أن يصيبَكم من البَيْنِ البينُ.

إخواني! أبصارُكم قويةٌ، وبصائرُكم ضعيفةٌ، ومن تراءى هواه توارى عنه عقلُه، سبحان من ظَهَر لخلقه بخلقه، غير أنَّ عالمَ الحسِّ لا يرونه.

أما قَلْبَكَ مِنْ نطفةٍ إلى علقةٍ، وأنت كالجمادِ، فلمَّا نَفَخَ فيك الروحَ بعثَ الزادَ ينساقُ إليك من دم الأُمِّ، فتناولته باجتذابِ السُّرةِ، إذ لو طَرَق الحلقومَ تَلَفْتَ، فلمَّا خرجتَ إلى فَلاة الدنيا، رأيتَ إداوَتَيْ[3] الثديين معلقتين لشُربك، وكانت عُمورُ[4] الأسنانِ تكفي في اجتذاب المشروب، فكلّما اعتصرتَه خرج مغربلاً لئلا يقعَ شَرَقٌ[5]، فلما قَوِيَتِ المِعَى، وافتقَرْتَ إلى غذاء فيه صلابة أنبتَ الأسنان لتقطع، والأضراس لتطحن.

ومن العجائب أنه أخرجَك غيّاباً[6] لا تعلم شيئاً، فلو أخْرجَك عاقلاً لرأيتَ من أَلَمِّ المصائبِ تقلبَك في الخِرَقِ والعصائبِ، ثم جعلَ بكاءك حينئذ متقاضياً بالمصالح، وبَثَّ القُوى في باطنك، فقوةٌ تطلبُ الغذاء، وثانيةٌ تجتذبه إلى الكبد، وثالثةٌ تمسكه لها حتى تطبخه فيصير دماً، ورابعة تهضمه، وخامسة تُفَرِّقُ بين صَفْوه وكدَره، وسادسة تتولّى قسمته، فلو بُعِثَ إلى الخد ما يبعث إلى الفَخِذِ صار بمقداره، وسابعة تدفع ثُفْلَه[7].

---

(١) بِعُقوتكم: العقوة: الموضع المتسع أمام الدار أو المحلة حولها.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) إداوتي: مثنى إداوة: إناء صغير يُحمل فيه الماء.

(٤) عمور: جمع عَمْر: لحم اللثة.

(٥) شَرَق: يقال: شرق بالماء: غصّ.

(٦) غياباً: يقال غبي عنه: جهله ولم يفطن إليه.

(٧) ثفلة: الثفل: بالثاء المثلثة: ما استقرّ تحت الشيء من كدرة.

أفيَحْسُن بعد تفرقة الجامكية[1] على العَسْكر أن يثبوا في المخالفة للمُنْعِم؟.

ثم انظر إلى هذا الهواء الذي قدْ ملأ به الفضاءَ، كيف تنتصبُ منه النَّفْس إلى التَّنَفس، ثم هو للأصوات من حيث المعنى كالقرطاس[2]، تُرْقَمُ[3] فيه الحوائج، ثم يُمَحِي فيعود نقيّاً، فأقوام يرقمون فيه الذكر والتسبيح، وآخرون يرقُمون فيه كلَّ قبيح، وكم بَيْنَ من يرقم تلاوةَ القرآن وبين من يرقم أصوات العيدان؟!.

ثم تأمل آلاتِ الأصوات، ترى الرئةَ كالزِّقِّ، والحَنْجَرة كالأنبوبِ، فإذا ظهر الصَّفْرُ أخذَ اللسانُ والشفتان في صناعته ألحاناً، فهو كالأصابع المختلفة على فمِ المزمار.

ثم تـأمّلِ الأرضَ كيف مدَّهـا بسـاطاً، وأمسكها عن الاضطراب لتصحَّ السكنى، ثم يزلزلُها في وقتٍ، ليفطنَ الساكنُ لقدرةِ المُزعج، وجعل فيها نوعَ رَخاوةٍ لتقبلَ الحفر والزرع، ورفع جانبَ السماء لينحدر الماء، وفرّقَ المياه بين الجزائرِ ليربطَ الهواء، وأودعَ المعادن كما تودع الحاجاتُ في الخزائن.

ولمّا بثَّ الطير صَانَ عَنْها السُّنبلَ لأنه قوتك بقشورٍ صُلبةٍ قائماتٍ كالإبر، لئلا تستفَّهُ فتموتَ بَشَماً[4] فيفوت الحظّان[5].

ثم تأمّل الرمانة كيف حُشيت بالشحم بين الحَبِّ ليكون غذاءً لها إلى وقت عَوْدِ المِثْل، ثم بين كلِّ حشوتين لفافة لئلا يتصاكَّ فيجريَ الماء.

ثم جاء بالشمس سراجاً ومُنضِجاً للثَّمَر، تجري لتعمر الأماكن، ثم تغيبَ ليسكنَ الحيوانُ، ولما كانت الحوائجُ قد تعرض بالليل جعل القمر خَلَفاً، ولم يجعل طلوعَه في الليل دائماً، لئلا ينبسط الناس في أعمالهم كانبساطهم بالنهار،

---

(١) الجامكية: ما يأخذ الموظف من رواتب.
(٢) كالقرطاس: كالكاغد، والقرطاس: الصحيفة من أي شيء كانت.
(٣) يرقم: يكتب، والمِرْقم: القلم.
(٤) بَشَماً: من البشم؛ وهي التخمة.
(٥) الحظان: حظ الإنسان وحظ الطائر.

فيؤذي الحريصَ كَلالُه[1]، وما قدَّرَ غيبةَ القمر في بعض الليل جعل أنوارَ الكواكب كشعل النار في أيدي المقتبسين.

ولما كانت حاجةُ الخلق إلى النار ضرورية أنشأها، وجعلها كالمخزون، تُستَنْهَضُ وقت الحاجة، فتمسك بالمادة قدرَ مرادِ المُمْسِك.

ثم انظر إلى الطائر، لما كان يختَلِسُ قُوتَه خوف اصطياده، صَلُبَ مِنقارُه لئلا يَنْسَحِجَ[2] من الالتقاط، لأنَّ زمانَ الانتهاب لا يحتمل المضغَ، وجعل له حَوْصلةً يجمعُ فيها الحَبَّ، ثم ينقلُه إلى القانصة[3] في زمان الأمن، فإن كانت له أفراخٌ أسهمهم[4] من الحاصل في الحوصلة قبل النقل.

فإن لم يكن له حِنَّةٌ[5] على أفراخه أُغْنُوا عنه باستقلالهم من حين انشقاق البيضة كالفراريج.

وا عجباً! كيف يُحصى مَنْ هذهِ نعمُه، وكيف لا تموتُ النفسُ حُبّاً لمن هذه حِكَمُه، إن دنَتْ همتُك فخَفْ من عقوبته، وإن علتْ قليلاً فارغبْ في معاملتِه، وإن تناهت فتعلّق بمحبته.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم[6]

إن قَصُرَتْ همتُك فأثرتَ قطعَ الشوكِ صحيحِ حمار، وإن رضيتَ بسياسة الدواب رافقك بغلٌ، وإن سددتَ بعض الثغور أُعطيتَ فرساً، فإن كنتَ تحسِنُ السباق كان عربيّاً، فإن عزمت على الحج ركبت جملاً، وإن سَمَت همتُك إلى المُلك فالفيلُ مركوبُ الملوكِ.

رأيتُ عَلِيّاتِ الأمورِ منوطةً ... بمُسْتَودَعاتٍ في بطونِ الأساوِدِ

---

(١) كلاله: تعبه.
(٢) ينسحج: ينقشر.
(٣) القانصة: المعي للحيوان، جمعها قوانص.
(٤) أسهمهم: أعطاهم سهماً من الطعام.
(٥) حِنّة: من العطف والحنو.
(٦) صدر بيت للمتنبي وعجزه: وتأتي على قدر الكرام المكارم.

ليسَ كلُّ الخيلِ للسباقِ، ولا كلُّ الطيورِ تحيلُ الكتبَ، من الناسِ من شغلُه في الدنيا سوداء[1]، ومنهم من لا يلهيه في الجنة قصر، ولا يسليه عن حبيبه نهر، قوته في الدنيا الذكرُ، وفي الآخرة النظر.

يقـولُ أُنـاسٌ لـو تنـاسـى وصْلَهـا ... وواصـلَ أُخـرى غيـرَهـا لسَـلاهـا
فـلا نظَـرتْ عيـنٌ تلَـذُّ بغيـرِهـا ... ولا بَقِيَـتْ نفـسٌ تُحـبُّ سـواهـا

* * *

(١) أي: جارية سوداء.

الفصل التاسع والثلاثون

أيُّها الغافِلُ في إقامتِه عن نُقْلتِه! الجاهلُ وقد ملا بما يُملي[1] بطنَ صحيفته، ألك زاد لسفرك على طول مسافته؟!.

خفِ اللهَ وانظرْ في صحيفتِكَ التي ... حَوَتْ كلَّ ما قدَّمْتَهُ مِنْ فِعالكا
فقدْ خَطَّ فيها الكاتبانِ فأكثروا ... ولم يبقَ إلا أنْ يقولا فذالكا
واللهِ ما تَدْري إذا ما لَقِيتَها ... أتُوضَعُ في يمناكَ أو في شِمالِكا
فلا تحسَبَنَّ المرءَ يبقى مخلَّداً ... فما الناسُ إلا هالكٌ فابكِ هالِكا[2]

يا من تُحصَى عليه اللفظةُ والنظرة، مرَّقْ بيدِ الجِدِّ أوقات[3] الفترة[4]، وتأهَّبْ فما تدري السيرَ عشاءً أو بُكرة، واعتبر بالقرناءِ فالعِبْرَةُ تبعثُ العَبْرة[5]، وتزوَّد لسفرةٍ ما مثلها قطُّ سفْرَة، واقنَعْ باليسير فالحسابُ عسيرٌ على الدِّرَّة، وإياكَ والحرامَ وانظر من أين الكِسْرة[6]؟ قبل أن تلقى ساعةً حسرة، وتُلقى بعدها في ظلمة حُفْرة.

لا يَغُرَّنَّكَ الزَّمانُ بِيُسْرِ ... وسرورٍ ولا يَرُعْكَ بعُسْرِه
إنَّ مرَّ الزَّمانِ يمحقُ عُسْرَ المرءِ ... في لحظةٍ ويَذْهَبُ بِيُسْرِه
وسواءٌ إذا انقضى يومُ كسرى ... في نعيمٍ له[7] وصاحب كِسْرَه[8]

---

(١) ملا: بمعنى ملأ. يُملي: يلقي على الكتبة.
(٢) في (أ): إلا هالك وابن هالك.
(٣) في (ب): أثواب.
(٤) الفترة: الفتور والضعف.
(٥) العِبرة: بكسر العين، من الاعتبار والاتعاظ. والعَبرة: بفتح العين، الدمعة.
(٦) الكِسرة: القطعة اليسيرة من الخبز، وهو كناية عن القليل المكتسب التافه.
(٧) في (ب): ويوم.
(٨) صاحبِ كِسرة: أي فقير لا يملك إلا كسرة خبز.

أتَرى في عين العِبْرة رمَدا؟ أما تُبْصِرُ أنْ لاحَ الأمد[1]؟ يا دائم المعاصي ما غيْرةُ الأبد، تُصلي ولولا التعودُ لم تكدْ، القلبُ غائبٌ إنّما جاءَ الجسد، الفِكر يجولُ في طلبِ الدنيا من بلدٍ إلى بلدٍ، يا مُعرِضاً عن بحرٍ بزنا لا تقنعْ بالثَّمَد[2]، يا مقتولَ الهوى ولكن بلا قَوَد، بين الهوى و المُنى ضاع الجَلَد، أما يجول ذكر الموت في الخَلَد[3]؟ أرأيتَ أحداً من قبلك خَلَد؟ رُبَّ يومٍ مغْدودٍ[4] ليس في العدد، إنّما الروحُ عاريةٌ في هذا الجسد، هذا بحرُ الغرورِ يقذفُ الزَّبَد، كم ركبهُ جاهلٌ فغرِقَ قبل البَلد، هذا سهمُ المنون يقْرِي حِلَقَ الزَّرَد[5].

إخواني! دنا الصباح، فقولوا لمن رقد: أين الوجوه الصِّباحُ؟ مرَّت على جُدَدٍ، أين الظباءُ الملاح؟ اغتالها الأسد، هذا هو المصير. أما يرْعَوِي أحد؟!.

قال (عمر بن عبد العزيز) لأبي حازم: عظني، فقال: اضطجع، ثم اجعل الموتَ عند رأسك، ثم انظر ما تُحبُّ أن يكونَ فيكَ تلك الساعةَ فجُدَّ فيه الآن، وما تكرهُ أن يكونَ فيك فدَعْه الآن.

أيها الطالبُ للدنيا وما تجِدُا كيف تجدُ الآخرةَ وما تطلب؟ ما مضى من الدنيا فحُلُمٌ، وما بقي فأمانيّ، «سبعةٌ يظلهم الله في ظله... منهم: رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله»[6].

اسمع يا من أجابَ عجوزاً على مَزْبلةٍ، ويحك! إنّها سوداء، ولكن قد غَلَبت عليك، عُرِضَتْ على نبينا ﷺ بطحاءُ مكة ذهباً فأبى، يا محمد! ممن تعلمت هذه القناعة؟ قال لسان حاله: من عَجَلةِ أبي[7]. الحريصُ دائمُ السُّرى وما يَحْمَدُ

---

(١) الأمد: الغاية والنهاية.

(٢) الثمد: الماء القليل لا أصل له يَمدُّه.

(٣) الخَلَد: العقل.

(٤) معدود: أي في حساب طويل الأمل أنه سيعيشه، لكن في القدر أنه يموت قبله.

(٥) يَقري: يقطع. الزرد: الدرع المزرودة، وهي التي تداخلتْ حِلقُها بعضُها في بعض، وهذا كناية عما يُظنّ أنه يقي من الموت.

(٦) رواه البخاري في كتاب الأذان (٦٦)؛ ومسلم، كتاب الزكاة (٩١).

(٧) أي: إشارة إلى أكلة آدم من الشجرة ابتغاء الخلود.

الصَّباح، مَنْ لا له همَّةٌ سوى [جمع][1] الحُطام معدودٌ في الحشرات.

يا أطيارَ القلوب! إلى كم في مزبلةِ الحَبْس؟ اكْسِري بالعزمِ قَفَصَ الحَصْرِ، واخْرجي إلى فضاءِ صحراءِ القدس، رُوحي خماصاً من الهوى تعودي بطَاناً من الهُدَى. بيْن أبِ الحركة وأمِّ القصدِ ينتجُ ولدُ الظَّفَر، لا يُنال الجَسِيمُ بالهُوينا، حَمْلُ النفس على حملِ المشاق مَدْرَجَةٌ إلى الشرف. واعجباً مِنْ توقُّدِ الكُسالى والدُّرُّ يُنْثر، أشهودٌ كَمُغْيَاب؟! أكانونٌ في آب[2]؟!.

الحربُ خصامٌ قائم وأنت غلامٌ نائم، أُدخل بسلامتك لابسَ لأمتِك[3]، ليس في سلاح المحارب أحدُّ من نَبْلةِ عزم، أَجْرَأُ الليوثِ وأحدُّها صائد[4].

ليس عزماً ما مَرِضَ المرءُ فيه ... ليس همّاً ما عاقَ عنه الكلام[5]

طِرْ بجناح الجِدِّ من وَكْرِ الكَسل تابعاً آثار الأحباب تصل.

(للشريف الرضي)[6]:

تَلَفُّتٌ حتى لم يَبِنْ مِنْ ديارِهم ... جَنَابٌ[8] ولا مِن نارِهِنَّ وقُودُ

وإنّ التفاتَ القَلبِ مِنْ بعْدِ طَرْفه ... طَوالَ الليالي نحوَهُم[9] لَيَزيدُ

ولو قال لي الغادونَ: ما أنت مُشْتَهٍ ... غداةَ جَزَعْنا الرَّمْلَ قلتُ: أعودُ

أأصبرُ والوَعساءُ بيني وبينكم ... وأعلامُ خَبْتٍ[10]؟ إنّني لجليدُ

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) آب وكانون: من أشهر السنة الشمسية، الأول لهّاب تشتد فيه الحرارة، لأنه من أشهُرِ فصل الصيف، والآخر تشتدُّ فيه البرودة، لأنه من أشْهُرِ الشتاء. والكانون: الموقد سمي باسم الشهر، لأنه توقد فيه النار دفعاً للبرد.

(٣) اللأمة: الدرع أو السلاح. ولأمة الحرب: أداته.

(٤) في (ب): وأجرؤها للصيود.

(٥) البيت للمتنبي.

(٦) انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٩٠.

(٧) في الديوان: «بلادكم».

(٨) في الديوان: «دخان».

(٩) في الديوان: «نحوكم».

(١٠) أعلام خَبْتٍ: أعلامٌ معالم بارزة، صحراءُ بين المدينةِ والحجاز.

يا مخنَّثَ العزم! أين أنت والطريق؟ سبيلٌ نَصَبَ فيه آدمُ، وناحَ لأجلِه نوحٌ، ورُميَ في النارِ إبراهيمُ الخليلُ، وأُضْجِعَ للذبح إسماعيلُ، وبِيْعَ يوسُفُ بدراهمَ، [وذهَبَتْ من البكاءِ عينُ يعقوب][1]، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح الحصورُ يحيى، وضَنِيَ بالبلاء أيوبُ، وزادَ على المقدار بكاءُ داود، وتنغَّص في الملك عيشُ سليمانَ، وتحيّر بِرَدِّ ﴿لَنْ﴾ موسى، وهام مع الوحوش عيسى، وعالجَ الفقر محمد ﷺ.

فيا دارَهم بالحَزْن إنَّ مزارَها قريبٌ ولكنْ دونَ ذلك أهوالُ

أوَّل قدم في الطريق بَذْلُ الروح، هذه الجادَّةُ، فأين السالك؟! هذا قميصُ يوسفَ، فأين يعقوبَ؟ هذا طورُ سَيْناء، فأين موسى؟ يا جنيدُ احْضُر، يا شبلي اسْمعْ.

بِدَمِ المُحِبِّ يُباعُ وَصْلُهُم فَمَنِ الذي يَبْتاعُ بالسِّعْرِ

* * *

(١) زيادة من (ب).

الفصل الأربعون

إخواني! اعتبروا بالذين قطَنوا وخَزَنُوا، وكيف ظَعَنوا وحزِنوا! وانظر إلى آثارهم تَعْلَم أنّهم قد غُبِنوا، لاحثّ لهم في لذاتُ الدنيا فاغترّوا وفُتِنوا، فما انقشعت سحابُ المُنى حتى ماتوا ودُفِنوا.

جَمعُوا فما أكلوا الذي جمعُوا ... وبَنَوا مساكِنَهم فما سَكَنُوا
فكأنّهم كانوا بها ظُعُناً ... لما استراحوا ساعةً ظَعَنُوا

يا مَنْ قد امتطى بجهله مطا[1] المطامع، لقد ملأ الوعظُ في الصباح والمساء المسامعَ، أين الذين بلغوا آمالهم؟ فما لهم في المنى مُنازع، وما زال الموتُ يدور على بُدور الدور حتى طوى الطوالع، صار الجَنْدلُ فِراشهم بعد أن كان الحريرُ فيما مضى المضاجعَ، ولقوا ـ والله ـ البِلا في تلك البلاقع.

قال (شداد بن أوس): لو أنَّ الميتَ نُشِرَ، فأخبرَ أهل الدنيا بألمِ الموت، ما انتفعوا بعَيْشٍ، ولا التذُّوا بنوم.

وقال (وهب بن منبّه): لو أنَّ ألمَ عرقٍ من عروقِ الميتِ قسم على أهل الأرض لوسعهم ألماً.

وكان (عمرُ بن عبد العزيز) يجمع الفقهاء كلّ ليلةٍ فيتذاكرون الموتَ والقيامة ثم يبكون، حتى كأنَّ بين أيديهم جنَازة.

وقال (يحيى بن معاذ): لو ضُرِبت السماء والأرضُ بالسياط التي ضرب بها ابن آدم لانقادت خاشعة للموت والحساب والنار.

يا هذا! الشيبُ أذان، والموت إقامة، ولستَ على طهارة، والعمر صلاة، والشيب تسليم.

---

(١) مطا: الظهر.

يا من قد خَيَّمَ حبُّ الهوى في صحراء قلبه، اقْلَعِ الأطنابَ[1] فقد ضُرب بوقُ الرحيل، أما تسمعُ صوتَ السوط في ظهور الإبل؟! أما ترى عَجَلة السَّلْبِ وقِصَرِ العمر؟! شارفَ الركبُ بلدَ الإقامة فاستَحثَّ المطيَّ، يا مشاهدةً ما تَمَتْ بُغْيتُها حتى وقع النَّهْبُ فيها، استَلِبْ زمَنَك لكَ قبل أن تُسْلَبَ الجملةُ، الأيامُ تسرعُ في تبذير مجموع صورتك وأنت تسرعُ في تبذير معانيك.

يا شبّان الجهل، يا كُهولَ التفريط، يا شيوخ الغفلة، اجلسوا معنا ساعة في مأتم الأسَف.

يا سحائبَ الأجفان أمطري على رباع[2] الذنوب.

يا ضيف الندم على الإسراف اسكن شغاف[3] القلوب.

يا أيام الشيب إنما أنتِ بين داعٍ ووداع، فهل لماض من الزمان ارتجاع.

قِفَا ودِّعا نجداً ومَنْ حَلَّ بالحمى ... وقَلَّ لنجدٍ عندنا أن تُوَدّعا

فليْس عُشَيّاتُ الحِمى برواجعٍ ... عليكَ ولكنْ خَلِّ عينيك تَدْمعا

تلفَّتُّ نحوَ الحمى حتى وجَدْتُني ... وَجِعْتُ من الإصغاء ليتاً[4] وأخدعا[5]

وأذكرُ أيامَ الحِمَى ثم أنثني ... على كَبِدي مِنْ خَشيةِ أن تَصَدّعا

إخواني! سكرانُ الهوى بعيدٌ الإفاقة، فلو تذكر إقامةَ الحد طارَ السُّكر، مَنْ تحسَّى مرق الهوى احترقتْ شفتاه، مَنْ أكل من الظُّلم ثمرةً أداها قَرْصَرة[6].

ويحك! اغسل العثرةَ بعَبْرة، وادفع الحَوْبة بتوبة، ما دام في الوقت مهلة، وفي زمن السلامة فسحة، قبل أن تموت وتفوت، وتعلو بعد الخيل على تابوت،

---

(١) الأطناب: جمع طنب، وهو الحبل.

(٢) رباع: جمع ربع: الدار بعينها.

(٣) شغاف: غلاف القلب ـ جلدة دونه ـ وسويداء القلب أو حبته.

(٤) الليت: صفحة العنق.

(٥) الأخدع: عرق في الرقبة، إذا قطعه الذابح لا يبقى معه حياة، ويسمى الوديج، وهما وَدَجان من الجداول التي تجري فيها الدماء.

(٦) القرصرة: ما يكتز فيه التمر من البواري.

قبل أن ترى السمع والبصر قد كلاَّ، وتقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ فيقال: ﴿كَلَّآ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]، قبل أن يصيرَ دمعُ الأسى من جفن أسًا[1]، ويقال: هلاّ كان هذا قبل هذا، هلاّ.

أَتَتْـرُكُ مِـنْ تُحِـبُّ وأنـتَ جـارُ ... وتطْلُبُـه إذا بَعُـدَ المَـزارُ
وتبكي بعدَ نأيِهِمُ اشْتياقاً ... وتسألُ في المنازل أين ساروا
تَـرَكْـتَ سـؤالَهـمْ وهـمُ حضورٌ ... وتـرجـو أن تُخَبِّـرَكَ الـديـارُ
فنفْسَـكَ لُـمْ ولا تَلُـمِ المطـايـا ... ومُـتْ كَمَـداً فليـسَ لـك اعتـذارُ

يا مَنْ أجلُه يذوبُ ذوبانَ الثلجِ في الحرّ، أيَنْقَصُ غيمُ العمر لا عن هلال الهدى؟! أتؤثر الفاني المرذول على النفيس الباقي؟!.

أَرَضِينـا بِتُرَّيَّـاتِ اللُّـوى ... عـن زُرُوعٍ يـا لَهـا صَفقـةُ غَبْـنِ

ما تَخفَى علاماتُ الإدبارِ عليك، يُفَتِّشُ دارُك فلا يُرى سِوَاكٌ للطهارة، يدك لا تطهر للصلاة بل هي ملاعقُ للأكل، ليسَ في البيتِ مصحفٌ بل تقويم[2]، أينفعُ وجود التقويم مع عدم التقويم[3]؟! يا مهتمّاً بالنظر في الطالع! طالعُ ما قد خبئ لك، كأنك بالموت قد طَلَعَ، وما طالعُ فكرُك عاقبة، اسمع حسابي حقّاً وما أَرْجُم، ودَعْ لكلماتي هذي قول الهازل المنجم، إن ضُمَّ الندمُ على التفريط إلى العزيمة على الإنابة فساعةُ سَعْدٍ، وإن اجتمعَ في القلب حُبُّ الدنيا على إيثار الكَسلِ فقِرانُ نَحْسٍ.

* * *

انتهى الجزء الأول من تقسيم المحققين
ويليه الجزء الثاني وأوله الفصل الحادي والأربعون

---

(١) الأسى: الحزن. أسا: من الإساءة والخطأ، أي: أساء.
(٢) ما يضبط به التاريخ كالروزمانة، وثمة تقويم زمني وتاريخي وفلكي.
(٣) الإصلاح والتعديل والتصحيح. والثقاف: تقويم المعْوَجّ.

المدهش

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

بعناية

عبد الكريم محمد منير نشوان — خلدون عبد العزيز مخلوطة

المجلد الثاني

دار القلم
دمشق

دار القلم
دمشق

أسسها
محمد علي دولة
سنة ١٩٦٧م

الطبعة الثانية
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
www.alkalam-sy.com
الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١
توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:
دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

الفصل الحادي والأربعون

ما هذا الحب للدنيا والصَّبابة؟! وإنّما يكفي منها صُبابَة[1]، فقل للنفس الحريصةِ: قد بِعْتِ الأُخرى رَخيصةً.

يا نفسُ ما الدَّهرُ إلا ما عَلِمْتِ فكم ... أليسَ[2] حدثتِني أني أتوبُ فَلَمْ
إياكِ إياكِ مِنْ (سوفَ) فكم خَدَعتْ ... وأهلكتْ أُمماً مِنْ قبلها وأُمِمْ
توبي يكنْ لكِ عندَ الله تُزْلُفُ[3] تُقًى ... وقَدِّمي من فَعالِ الصالحين قَدَمْ
يا راقدَ الليلِ قد نادى المشيبُ بِهِ ... الآنَ كُنْ خائفاً لا تقعُدَنَّ وَقُمْ

يا مَنْ قَد أخذَ الهوى بأزِمَّتِه[4]، وأمسك الردى بِلِمَّتِه[5]، يا رهينَ ديونٍ تعلّقت في ذمته، هذا أوان جَدِّكَ إنْ كنتَ مُجِدّاً، هذا زمانُ استعدادك إن كنت مُستعدّاً.

(للشريف الرضي)[6]:

يا نفسُ قد عزَّ المرادُ فخذي ... إن كنتِ يوماً تأخذين أو ذَري
نُهزَةُ مَجْدٍ كنتُ في طِلابها ... لمثلها يَصُفُّ ساقي مئزَري
عُمْرُ الفتى شبابُه وإنّما ... آونةُ الشيبِ انقضاءُ العُمُرِ

رُضْ مُهْرَ النفسِ، يهن[7] ركوبُه، أمِتْ زبَقَ الطبع يُمْكِنِ استعماله، تلمَّحْ

---

(١) صبابة: بقية الماء في الإناء.
(٢) في (ب): ألست.
(٣) في (ب): جاه.
(٤) أزِمّته: جمع زِمام: وهو مقود الدابة.
(٥) لِمّته: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذنين، فإذا بلغ المنكبين فهي جُمّة.
(٦) قاله مفتخراً. انظر: ديوان شعره: ١/ ٤٧٥.
(٧) في (ب): يتأت.

فجرّ الأجر يَهُنْ ظلامُ التكليف، احذر حَيّة الفم[1]، فإنها بتراء[2]، إذا خرجَتْ من شَفَةِ غدرك لفظةُ سفَهٍ، فلا تُلْجِمْها بمثلها تُلْقِحْها، ونسلُ الخصام مذمومٌ، أوْبِقْ سَبْعَ غَضَبِك بسلسلةِ حِلْمِك، فإنّه إن أُفلِتَ أتْلفَ، متى قمتَ بحِدَّةِ الغضبِ انطفأ مصباحُ الحلمِ، بحرُ الهوى إذا ما مدَّ أغرقَ، وأخوفُ المنافذِ من الغَرَق فتحةُ البصر، فلا تشتغل زمانَ الزيادة إلا بإحكام القُرْدَحِ[3].

والمـرءُ مـا دامَ ذا عَيْـنٍ يقلِّبُهـا ... في أعين العِينِ[4] موقوفٌ على الخَطَرِ
يَسْـرُّ مُقلتَـه مـا ضـرَّ مُهْجتَـه ... لا مـرحبـاً بسـرورٍ عـادَ بـالضـررِ

لو حضرتَ مع الأحباب البابَ، لسامحَ الناقدُ بَهْرَجِك، رحَلَتْ رِفقةُ ﴿ نَجَّافَ ﴾ [السجدة: ١٦]، ومطرودُ النوم في حَبْس الوِقاد، فما فكَّ عنه السجّان قيدَ الكَرى حتى استقرّ بالقوم المنزل، فقام يتلمّحُ الآثارَ بباب الكوفة، والأحبابُ قد وصلوا إلى الكعبة.

(لصُرَدُرّ)[5]:

مَـنْ يطّلـعُ شَـرَفـاً فيعلـمَ لـي ... هـل روَّحَ الـرُّعْيـانُ بـالإبـلِ؟
أم قَعْقَعَـتْ عُمُـدُ الخِيـامِ أم ار ... تفعـتْ قِبـابُهـمُ علـى البُـزُلِ؟
أم غـرّدَ الحـادي بقـافيـةٍ ... منهـا غُـرابُ البيـنِ يَسْتعْلـي؟
فَضَلَتْ دُموعي على مَدَى حَزَني ... فبكيـتُ مَـنْ قَتَـلَ الهـوى قبلي
مـا مـرَّ ذو شَجَـنٍ يَكْتُمُـه ... إلا أقـــول: متيّـمٌ مثلـي

من أراد من العمّال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يُولّيه.

---

(١) حيّة الفم: كناية عن اللسان.

(٢) بتراء: يقال: الأبتر من الحيات قصير الذنب لا يراه أحد إلا فرّ منه، ولا تبصره حامل إلا أسقطت، يقال له: الشيطان، وسمي أبتر لقصر ذنبه كأنه بتر منه.

(٣) القُرْدَح: ضرب من البُرد؛ أي الثياب، والقُردحة: الإقرار على الضيم والصبر على الذل، وقد أوصى عبد الله بن خازم بنيه عند موته فقال: يا بني إذا أصابتكم خُطةٌ لا تُطيقون وقعها فقردحوا لها.

(٤) العين: جمع عيناء؛ وهي واسعة العين.

(٥) قاله لبعض الرؤساء. انظر: الديوان، ص١٥٤ ـ ١٥٥.

الزهادُ عينُ العارفين. الأرواح في الأشباحِ كالأطيار في الأبراج، وليس ما أُعِدَّ للاستفراخ كما هُيئ للسِّباق. مَنْ حَدَّقَ بعين الفكر إلى مطلع الهُدى لاحَ له الهلال. كم أداوي بصرَ بصيرتك وما يَنْجلي. ما أظنُّ الضعفَ إلّا في الوضعِ. ضَعُفَ عينِ الخُفّاشِ ليس برمد، وحِدَّةُ ناظرِ الهدهدِ خِلقةٌ. مصابيحُ القلوب الطاهرة في أصل الفطرة منيرة قبل الشرائع ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ [النور: ٣٥]. وحَدَّ قُسٌّ[1] وما رأى الرسولَ ﷺ، وكفر ابنُ أُبَيٍّ[2] وقد صلّى معه.

مع الصَّبِّ رِيٌّ يكفيه، ولا ماء، وكم مِنْ عطشانَ في اللُّجَّةِ.

إذا سبق الإنعام في القِدَم فذلك غِنَى الأبد. لمّا تقدَّمَ اختيارُ الطينِ المنهبطِ صعدَ على النار المرتفعة، وكانت الغلبةُ لآدمَ في حربِ إبليسَ، فاكتفت جهنّمُ بما جرى فسلّمت يوم «جُزْ يا مؤمنُ»[3]. سبق العلمُ بنبوة موسى، وإيمانِ آسيةَ فسبق تابوتُه إلى بيتها، فجاء طفل منفرد عن أم، إلى امرأة خالية من ولد «قرينان مرتعنا واحد».

دخل الرسولُ ﷺ إلى بيت يهودي يعودُه فقال له: «أَسْلِم»، فنظر المريضُ إلى أبيه فقال له: أجب أبا القاسم، فأسلم[4]، فكان ذلك قريباً من نسبِ «سلمانُ منا»[5]، فصاحت ألسنة المخالفين: ما لمحمد ولنا؟ والقدرُ يقول: مريضنا عندكم (كيف انصرافيَ ولي في داركم شُغُلُ).

لمّا عمَّ نور النبوةِ آفاق الهدى، رآه سلمانُ دونَ العَمّ[6]، قَويت ظلماتُ

---

(١) قُس بن ساعدة الإيادي: أسقف نجران، وكان أحد حكماء العرب.

(٢) عبد الله بن أبي ابن سلول: رأس المنافقين، حالف اليهود في المدينة، وناصب النبي ﷺ العداء، وكاد للدعوة ما استطاع، ومن أفاعيله: رجوعه بثلاثمئة من أتباعه تخذيلاً للمسلمين يوم خرج بهم الرسولُ ﷺ إلى أحد.

(٣) جزء من حديث: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جُزْ يا مؤمنُ فقد أطفأ نورُك لهبي» رواه الطبراني في (الكبير)، وأبو نعيم في (الحلية).

(٤) وتمامه: فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار» رواه البخاري عن أنس.

(٥) رواه الطبراني والحاكم بلفظ: «سلمانُ منا أهلَ البيت».

(٦) أي: أبو لهب.

الشركِ بمكة، فتخبّطتْ قريشٌ في الضلالِ، فلاحَ مصباحُ الفلاحِ من سُجُفِ دار الخَيْزُرَان[1]، فإذا عمر على الباب، ولقد أنارت لإبليس شمس البيان يوم ﴿أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣]، غير أنّ النّهارَ ليلٌ عند الأعشى.

رجعَ الخُفّاشُ إلى عُشِّه، فقال: أوقدوا المصباحَ فقد جُنَّ الليل، فقالوا: الآن طلعت الشمس، فقال: ارحموا مَنْ طلوعُ الشمس عندَهُ ليلٌ، فسبحانَ من أعطى ومنع، ولا يقال: لمَ صنع؟.

سُلِّمُ التوفيق قريبُ العراقي، وبئرُ الخُذْلانِ بلا قعر، ربما أدركَ الوَقْفةَ أهلُ مصر، وفات سكانَ نَخْلة[2]، لا بدَّ واللهِ من نفوذِ القضاءِ فاجْنح للسَّلْم.

بيـــنَ الحطيـــمِ وزمـــزمٍ ... والحِجْـــرِ والحَجَـــرِ المُقَبَّـــلْ
للعـــاشقيـــنَ مـــن الهـــوى ... أبـــداً مصـــارعُ ليـــسَ تُجْهَـــلْ
كـــم بـــالمُحَصَّـــبِ مِـــنْ علـــ ... ـــلٍ هـــوًى طـــريـــحٍ لا يُعَلَّـــلْ
وقتيـــلِ بَيْـــنٍ بيـــنَ خَيْـــ ... ـــفٍ منًى وجَمْـــعٍ ليـــسَ يَعْقِـــلْ

كيف تنقي نبالَ القدرِ والقلبُ بين أصبعين؟![3].

لا تَغْضَبَـــنَّ علـــى قـــومٍ تُحِبهـــمُ ... فليس يُنْجيك من أحبابك الغضبُ
ولا تخاصِمْهُمُ يوماً إذا حكمـوا ... إنَّ القضاةَ إذا ما خُوْصِمُوا غَلَبُوا

كان إبليسُ كالبلدة العامرة، فوقَعَت فيها صاعقة الطردِ، فهلك أهلُها ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: ٥٢].

مَـــنْ لـــم يكـــنْ للـــوصـــالِ أهـــلاً ... فكـــلُّ إحســـانِـــه ذنـــوبُ

أُخِذَ كساءُ تَرَهُّبه[4]، فَجُعِل جِلاً لكلبِ أهلِ الكهفِ، فأخذَ المسكينُ في

---

(١) دار بمكة بنتها الخيزران أم هارون الرشيد، ويشير بها إلى دار فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها.

(٢) نخلة: بطن نخلة موضع بين مكة والطائف.

(٣) إشارة إلى قوله ﷺ: «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف شاء».

(٤) إشارة إلى تعبد إبليس مع الملائكة قبل الطرد.

عداوة آدمَ فكم بالغَ واجتهد! وأبى اللهُ أن يقعَ في البئرِ إلا مَنْ حَفَر، ويحك ما ذنبُ آدم؟! أنتَ الجاني على نفسك، ولكنه غيظ الأسير على القِدّ[1].

لقي إبليسُ عمرَ بن الخطاب فصارعه فصرعَهُ عمر، فقال بلسان الحال: أنا مقتولٌ بلسانِ الخذلانِ قبل لقائك «فإياكَ عنّي لا يكن بك ما بيا»، يا عمرُ أنتَ الذي كنتَ في زمانِ الخطابِ لا تعرفُ البابَ، وأنا الذي كنتُ في سُدّةِ السيادة وأتباعي الملائكة، فوصل منشور ﴿لَا يُسْئَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فعزلني ووَلاّك، فكن على حذَرٍ من تحوُّلِ الحال.

فـإنَّ الحُسـامَ الصقيـلَ الـذي ... قُتِلـتُ بـه فـي يـدِ القـاتـلِ

لمَّا تمكّنت معرفةُ عمر بتقليب القلوب، لعبَ القلقُ بقلبه، خوفاً من قَلْبِه[2] فبادرَ بطرق باب البريد بالعزل والولاية، يا حذيفةُ! يا حذيفةُ![3] المحنة العظمى ارتباطُ أمرِك بمن لا يُبالي بهَلاكِك، فكمْ قد أهلكَ قَبلَك مثلك، كم مُشارفٍ بسفينةِ عملِه على شاطئ النجاة ضربها خَرْقُ الخذلان فغرقت! وما بقي للسلامة إلا باعٌ أو ذِراع، أي تصرفٍ بقيَ لك في قلبك وهو بين إصبعين؟!.

يـا قلـبُ إلامَ تطـالِبُنـي ... بلِقـا الأحبـابِ وقـد رَحلـوا

أرسلْتُـكَ فـي طلبـي لَهُـمُ ... لتعـودَ فَفِبعـتَ ومـا حَصَلـوا

سلِّـمْ واصْبـرْ واخضَـعْ لهـمُ ... كـمْ مِثلُـكَ قبلَـكَ قـد قَتَلـوا

مـا أحسـنَ مـا عَلَّقْـتَ بهـم ... آمـالَـكَ منهـم لـو فعلـوا

* * *

---

(١) القد: السير الذي يقيد به المحبوس.

(٢) قلبه: انقلابه.

(٣) يشير إلى تعرضه إلى حذيفة بن اليمان أمين سرّ الرسول ﷺ ليسأله عن حاله.

الفصل الثاني والأربعون

يا مَنْ قد أسره الهوى فما يستطيع فِكاكاً، أَفِقْ قبل الوهى[1]، وها [هو][2] قد أدركك إدراكاً، قبل أن لا ينفعَ البكاءُ الباكي، ولا التباكي مَنْ تباكى.

(لأبي العتاهية)[3]:

بَليتَ وما تَبْلَى ثيابٌ صِباكا ... كفاكَ نذيرُ الشيبِ[4] فيكَ كفاكا

ألم ترَ أنَّ الشيبَ قد قام ناعياً ... مقامَ الشبابِ الغضِّ ثم نَعاكا

ولم ترَ يوماً مرَّ إلا كأنّه ... بإهلاكه للهالكين عَناكا[5]

ألا أيُّها الفاني وقد حان حَيْنُه[6] ... أَتَطْمَعُ أن تَبْقى فلَستَ هُناكا

تَسَمَّعْ ودَعْ مَنْ أفسدَ الغيُّ سَمْعَهُ ... كأني بداعٍ قد أتى فدَعاكا

وربَّ أمانٍ للفتى نَصَبَتْ له ... المَنِيَّةُ فيما بينهنّ بِسَرّاكا[7]

أراكَ وما تنفكُّ تهدي جَنازةً ... ويوشكُ أن تُهدى كذاك لذاكا

ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى ... وينساكَ منْ خلْفَتِه هو ذاكا

ألا ليت شِعري كيف أنت إذا القُوَى ... وَهَتْ[8] وإذا الكربُ الشديدُ عَلاكا

تموتُ كما ماتَ الذين نسِيتَهم ... وتُنْسَى ويهوى الحيُّ بعدَ هواكا[9]

---

(١) الوهى: الضعف.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) لا توجد هذه القصيدة بكاملها في الديوان. انظر: ديوان شعره، ص٢٦٥ـ٢٦٦.

(٤) في الديوان: (كفاك من اللهو المضرُّ كفاكا).

(٥) عناك: قصدك.

(٦) حينه: هلاكه.

(٧) شراك: ما ينصب للصيد.

(٨) وَهَتْ: ضعفت.

(٩) في الديوان: (وتُنسى وتهوى الجرسُ بعدُ سواكا).

كأنَّ خطوبَ الدَّهرِ لم تجرِ ساعةً عليكَ إذا الخطبُ الجليلُ أتاكا
ترى الأرضَ كم فيها رُهونٌ دفينةٌ غَلِقْنَ فلم يَفْلُلْ لهنَّ فكاكا

كم سكَنَ قبلَك في هذه الدارِ، فحمَّ الموتُ حولَ جماهُم ودارَ، ثم ناهضهم[1] سريعاً وثار، كأنَّه وليٌّ يطلب الثار، وقد خوَّفَك بأخذِ الصديق وسَلْبِ الجار، ومن أنْذَرَ قبل هجومه فما جارَ[2].

يا هذا! العمرُ عمرٌ قليلٌ، وقد مضى أكثرُه بالتعليلِ، وأنتَ تُمرِّضُ البقيةَ للتأويل، وقد آنَ أنْ يرحلَ النزيلُ، ما أرخصَ ما يباعُ عمرُك، وما أغفلك عن الشِّرا[3]، والله ما بَيعُ أخوةِ يوسفَ يوسفَ بثمنٍ بَخْس[4]، أعجبُ من بيعك نفسَك بمعصيةِ ساعةٍ.

متى ينتهي الفسادُ؟! متى يَرْعَوي الفؤادُ؟!.

يا مسافراً بلا زاد، لا راحلةً ولا جواد، يا زارعاً وقد آنَ الحصاد، يا طائراً بالموت يُصاد، يا بَهْرَجَ[5] البضاعةِ أين الجيادُ؟ يا مُصابَ الذنوبِ أين الحِدَادُ؟ لو عرفتَ المُصابَ فَرَشْتَ الرَّمادَ، لو رأيتَ سوادَ السِّرِّ لَبِستَ السَّوادَ، جسمُك في وادٍ وقلبُكَ في وادٍ، تُيِّرَ الدُّرُّ لديكَ وما تنتقي، وقُرِّبَتِ المراقي إليك وما ترتقي، لقد ضَيَّعتَ ما مضى، وشرعْتَ فيما بقي، يا واقفاً في الماء الغَمْرِ[6] وما يستقي.

إنْ قلتُ: قُمْ قال: رجلي ما تطاوعني أو قلتُ: خذْ قال: كفِّي ما تواتيني

واعجباً لنفاسةِ نَفْسٍ رُفِعَتْ بسجودِ المَلَكِ لها[7]، كيف نزلَتْ بالخِسَّةِ حتى زاحمتْ كلابَ الشَّرَهِ على مزابلِ الذُّلِّ، هيهات! لنْ تُفلحَ الأُسْدُ إذا أُنِفَتْ عليها المَيْتاتُ الفُسَّدُ.

---

(١) ناهضهم: قاومهم وناصبهم العداء.
(٢) جار: ظلم.
(٣) الشِّرا: أي الشراء، أي شراء العمر بالعمل الصالح.
(٤) بخس: ناقص.
(٥) بهرج: مزيف.
(٦) الغَمر: الكثير.
(٧) يشير إلى سجود الملائكة لأبينا آدم عليه السلام.

يا هذا! جسدُكَ كالناقةِ يحملُ راكبَ القلبِ، فلا تجعلِ القلبَ مستخدَماً في عَلَفِ الراحلة، تالله إنَّ جوهرَ معناك يتظلَّمُ من سوءِ فِعلِكَ، لأنَّكَ قد ألقيتَه في مزابلِ الذُّلِّ، ماءُ حياتِك في ساقية عمرك قد اغدودقَ[1]، فهو يسيلُ ضائعاً إلى مهاوي الهوى، ويُشْرِبُ في أسْرابِ البطالة، فقد امتلأت به خِرْبات[2] الجهلِ، ومزابلُ التفريط، وشَرِبَتْهُ أدغالُ[3] الغفلات.

ويحك! اردُدْهُ إلى مزارعِ التقوى، لعلَّهُ يحدق[4] نَوْرَ حديقةٍ، إلى متى يمتدُّ ليلُ الغَفْلةِ؟! متى تأتي تباشيرُ الصَّباحِ؟!.

هلِ الدَّهرُ يوماً بوصْلٍ يجودُ ... وأيامُنا باللَّوى هل تعودُ
زمانٌ تَقضَّى وعيشٌ مضَى ... بِنَفْسِيَ ـ والله ـ تلك العهُودُ
ألا قُلْ لسكانِ وادي العقيقِ ... هنيئاً لكم في الجِنان الخلودُ
أفيضوا علينا من الماء فَيضاً ... فنحنُ عَطَاشى وأنتم وُرود

لمَّا سَبقَ الاختيارُ لأقوامٍ في القِدمِ، جُذِبوا بعد الزَّلَقِ في هوّةِ الهوى إلى نَجوة[5] النجاة.

يا (عمر)! كيف كانت حالكَ؟ قال: كنتُ مشغولاً بهُبَلَ، فسمعتُ هاتفَ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، فعرّجتُ على المنادي، فإذا أنا في دار الخَيْزُران.

يا (فضيلُ)! مَنْ أنت؟ قال: أُخِذْتُ مِنْ قَطْعِ الطريق[6]، فأَخَذْتُ في قطْعِ الطريق[7].

---

(١) اغدودق: من الغَدَق: الكثرة.
(٢) خِربات: جمع خِرْبة: المكان الخَرِب.
(٣) أدغالُ: جمع دغل: وهو الشجر الكثيف الملتف الذي يُتوارى فيه للختل والغيلة.
(٤) يحدق: يحيط.
(٥) النجوة: المرتفع من الأرض، يقال: هو بنجوة من هذا الأمر، أي: بعيدٌ عنه، بريءٌ سالم.
(٦) قطع الطريق: يشير إلى حاله قبل التوبة حيث كان ممن يقطعون الطريق ويغيرون على الناس.
(٧) الطريق: طريق السير إلى الله سبحانه وتعالى، وقطعه بالسير فيه بطويه ويحقق مقاماته فيه.

يا (عتبةُ الغلام)[1]! مَنْ أنت؟ قال: كنتُ عبدَ الهوى، فحضرتُ مجلسَ عبدِ الواحد، فصرتُ عبداً للواحد.

يا (سَبْيُ)[2]! مَنْ أنت؟ قال: كنتُ ابنَ الرشيد، فعرض لي رأيٌ رشيد، فإذا عزمي قد أَخَذَ المُرَّ ومَرَّ.

يا (ابن أدهمَ)! مَنْ أنت؟ قال: أخذني حُبُّهُ من مَنظرتي[3]، فصيَّرَني ناطورَ البساتين.

يا (رابعةُ)! من أنتِ؟ قالتْ: كنتُ أضربُ بالعودِ فما سَمِعَ غيري[4].

بـــالله يـــا ريـــحَ الصَّبـــا مُـــرِّي علـــى تلـــكَ الرُّبـــا
وَبلِّغـــي رســـالـــةً بِنَصِّهـــا أهـــلَ قُبـــا
واحْـــرَبـــاً وهـــل يُـــردُّ فـــاتَـــاً وَاحْـــرَبـــا

يا طفلاً في حِجْرِ العادة محصوراً بقِماطِ[5] الهوى! ما لكَ ومزاحمةَ الرجال؟ تمسكتَ بالدِّنيارِ تمسكَ المُرضَعِ بالطُّرَّ[6]، والقومُ ما أعاروها الطَّرْفَ[7]، ما لك والمحبةُ وأنت أسير حَبَّة؟ كم بينَكَ وبينهم؟ وهل تدري أين هم؟.

سـلامٌ علـى تلـك المعـاهـد إنَّهـا شـريعـةُ وِرْدي أو مَهَـبُّ شَمـالـي
ليـاليَ لـم نَحْـذَرْ حَـزونَ قطيعـةٍ ولَـمْ نمـشِ إلا فـي سُهـولِ وِصـالِ

---

(١) عتبة الغلام: هو عتبة بن أبان بن صَعْمة، وإنما سمي بالغلام لِجِدَّه واجتهاده، لا لصغر سنة كما جاء في صفة الصفوة: ٣/ ٣٧٠.

(٢) سبيّ: أحد العباد. وستأتي له ترجمة في آخر الكتاب.

(٣) منظرتي: المكان من البيتِ الذي يعدُّ لاستقبال الزائرين؛ إشارة إلى إمارته وملكه.

(٤) كأن هناك جملة، بها يتضح المعنى، وهي: «كنتُ أضرب بالعود، فنوديت أن إلينا عودي، فما سمع غيري، أو فما سمع غيري أن إلينا عودي: أي ارجعي» واستجابت تائبة.

(٥) القماط: قمطه: شدّ يديه ورجليه، كما يفعل بالصبي في المهد، والقماط: الخرقة تلف على الصبي.

(٦) الظُّر: المرضعة لولد غيرها.

(٧) ما أعاروها الطرف: الطرف: العين، وما أعاروها: ما التفتوا ولا اهتموا.

فقد صِرْتُ أرْضى من سواكِنِ أرضِها بِخُلَّبِ[1] بَرْقٍ أو بطيْفِ خَيال

سار القومُ ورَجعتَ، ووصلوا وانْقَطَعْتَ، وذهبوا وبقيتَ، فإن لم تلحقهم شَقِيتَ.

لبسَ البياضَ بذات عِرْقٍ معشرٌ ولبستُ من حُزْنٍ ثيابَ سوادِ
وصلوا إلى عرفاتَ يبغون الرِّضا وبقيتُ منقطعاً بِبَطْنِ الوادي
رفعوا أكفَّهمُ وضجّوا بالدُّعا وضمَمْتُ مِنْ كَمَدٍ يدي بفؤادي

يا مَنْ كلما استقامَ عثرا يا من كلّما تَقَرَّبَ أَبْعد، استسلمْ مع التوبة، واستَروح إلى دوام البكاء، وصِحْ بصوت القلق على باب دار الأسف.

ليسَ لي فيكَ حيلةٌ غيرَ صَبْري على القَضا
وبكائي على الوِصال الذي كان وانقضى
ليتني تُبتُ توبةً وقضى الله ما قضى

* * *

(١) خلب برق: البرق الخلب: المطمئ المخلف، وفي حديث الاستسقاء: «اللهمّ سقيا غير خلّبٍ برقُها» أي: خال من المطر، والخلب: السحاب يومض برقه حتى يُرجى مطره، ثم يُخْلف وينقشع، وكأنه من الخلابة: وهي الخداع بالقول اللطيف.

الفصل الثامن والأربعون

يا هذا! من اجتهدَ وجدَّ وَجَد، ليس مَن سَهِرَ كمن رَقَد، والفضائلُ تحتاجُ إلى وثبةِ أسَد.

(لمهيار)[1]:

خـاطِـرْ فـإمّـا عِيْشَـةٌ حُـرّةٌ ... يُـرْغِـدُهـا العـزُّ وإمـا الحِمـامْ[2]

زاحِـمْ على بـابِ العُلى واجتهـدْ ... لا بـدَّ أنْ تـدخُـلَ بيـن الـزِحـامْ

رَامِ بهـا الليـلَ فمـا يُـفِـيـرُ ... الصبـاحُ إلا عـن نقـابِ الظَّـلامْ

مُـوَارِقـاً عـن عُقُـلِ أشطـانِهـا ... مـروقَ فُـوْقِ السهم عـنْ قوسٍ رامْ

ميِّـزْ مـن النّـاس علـى ظهـرهـا ... نفسَـكَ لا ميـزةَ تحت الـرجـام[3]

مَـنْ طلـبَ الغـايـةَ خَطْـواً علـى ... ظهـرِ الهـوينـا رامَ صعـبَ المـرامْ

لقد رضيتَ الغَبْنَ الغَبْن[4]، وبعتَ عُمُرَكَ بأقلِّ ثَمن، وأنفقتَ فيما يُرديكَ الزمنَ، وفترتَ في الصحة ولا فتور الزَّمِن[5]، يا مغروراً بخضراء الدِّمَن![6] يا جامعاً مانعاً قُلْ لي لِمَنْ؟ كيف ينال الفضائلَ مستريحُ البدن، سِلَعُ المعالي غاليـاتُ الثمن، وإنْ ساومتَها فَبِزُهْدِ أُويسٍ وفقهِ الحسن.

يا هذا! أوقدْ مصباحَ الفكر في بيت العلمِ تَلْحَ لك الأعلامُ. مَنْ سدَّ ثُغورَ الهوى بجُنْدِ الجدِّ ملأ عينَ راحته من نومِ الطمأنينة. من دقَّ صراطَ ورعِه عن

---

(١) من قصيدة يمدح بها وزير الوزراء زعيم الدين. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٣١٨ ـ ٣٢٢.

(٢) الحمام: الموت.

(٣) في الديوان: «احتشام» ، وفي (أ): «بينا ترى المرء على ظهرها ● حيّاً تراه في بطون الرجام». والرجام: جمع رجم، وهو القبر.

(٤) الغَبْن: من غبنه غبناً: غلبه ونقصه. الغَبْن: من غبن غبناً نقص وضعف.

(٥) الزَّمِن: من أقعده المرض، أو هو المبتلى بآفة بيّنة.

(٦) الدِّمَن: جمع دمنة، وهي آثار الدار وما اختلط من البعر والطين. ويريد هنا ما يبدو من زينة الدنيا ولذائذها.

الشبهات، عَرْض الصراطُ له يوم الجواز. لله دَرُّ أقوامٍ تأملوا الوجود ففهموا المقصود، فالنَّاسُ في رقادهم وهم في جَمْعِ زادهم، والخلائق في غرورهم، وعيونهم إلى قبورهم.

قال (الإمام أحمد): لقد رأيتُ قوماً صالحين، رأيت (عبد الله بن إدريس) وعليه جبةٌ من لُبُود[1] قد أتت عليها سنون، رأيت (أبا داود الحفري) وعليه جبةٌ مخرّقة قد خرجَ منها القطنُ وهو يصلي فيتربَّح من الجوع، ورأيت (أيوبَ النجار) وقد خرجَ مِنْ كلِّ ما يملكه. وكان في المسجد شابٌّ مُضْفَرّ يقال له: (العَوْفي)، يقوم من أول الليل إلى الصباح يبكي.

إذا ما الخيامُ البيضُ لاحتْ لدى مِنًى ... فعَـرِّجْ فـإنّـا بعـدَهـا بقليـلِ
تَرانا لدى الأطنابِ صَرْعى من الهوى ... نُكَفْكِـفُ دمعـاً لافتقـادِ خليـلِ
وكـم أنَّـةٍ أرَدَتْهـا بتنفُّـسٍ ... وكـم عَبْـرةٍ أَتبعْتُهـا بعـويـلِ
قفوا وانظروا ذُلّي وعـزَّ معـذِّبـي ... تـروا عجبـاً مـن قـاتـلٍ وقتيـلِ

عَمِلتْ في قلوبهم معاولُ الحزنِ بِمِنًى[2]، وأَنْبطَتْ[3] من كل رَكِيَّةٍ[4] رَكِيَّةَ ماءٍ أسًى، فجرى من طَرَفِ طَرْقَيْن[5] ماءٌ، فجرى وَسَخاً[6]، فغسل وسخاً.

قد كنتُ أطوي على الوَجْدِ الضلوعَ ولا ... أُبدي الهوى وأسومُ[7] القلبَ كِتْمانا
فخانـنـي الصبـرُ إذ نـاديتُـه ووَفَـت ... لـيَ الشـؤونُ[8] فعـادَ السـرُّ إعـلانـا
أُكَتِّـمُ الـوَجْـدَ والعينـانِ تُظهِـرُهُ ... لَلْحُـبُّ أعظـمُ ممـا رُمْتُـه شـانـا

قال (أبو عمران الجوني): أرتني أمي موضعاً من الدار قد انحفرَ، فقالت:

---

(١) لُبود: جمع لِبْد: كِساء من شعر أو صوف.
(٢) بِمِنى: مسيل الماء بين الحرار، والحرار: جمع حَرّة، وهي أرض ذات حجارة سود.
(٣) أنبطت: أنبعت وأخرجت.
(٤) الركية: البئر لم تطو.
(٥) طَرَف: جانب. طَرَفين: مثنى طَرَف وهي العين.
(٦) سخا يسخو وسخي يسخى سخاء: جاد.
(٧) أسوم: مضارع سام: أي كلفه إياه وألزمه به.
(٨) الشؤون: منابع الدموع في الرأس.

هذا موضعُ دموعِ أبيك.

وكان (حسانُ بن أبي سنان) يحضر مجلسَ مالك بن دينار، فيبكي حتى يبلّ ما بين يديه، ولا يُسْمَعُ له صوتٌ.

(للمتنبي)[1]:

أجابَ دمْعي وما الداعي سوى طَلَلِ ... دعاهُ فلبّاهُ قبلَ الركبِ والإبلِ
ظَلْلْتُ بين أُصَيْحابي أُكَفْكِفُه ... فظلَّ يسفحُ بين العُذْرِ والعَذَلِ
وما صَبابةُ مشتاقٍ على أَمَلٍ ... من اللقاءِ كمشتاقٍ بلا أملِ

دموعُ المحبين غُدران في صحارى الشوق، من عادة القوم إلفُ البراري، والجلوس إلى الشجرِ، فإنْ سمعوا هتاف الحمام استغْنَوْا عن نائحٍ.

شوقي إليكَ مُجاوزٌ وصفي ... وظهورُ وجدي دونَ ما أُخفي
ما دارَ ذكرٌ منكَ في خَلَدي ... إلا طَرَفْتُ[2] بمَدْمَعي طَرْفي

إذا تمكَّنَتِ المحبةُ استحال السُّلُوّ[3]، تعلقتْ يدُ المحبة بتلابيبِ القلبِ فلا يمكنه التخلُّصَ، فيدور معها في دارِ المُداراة.

لِيَكْفِكُمْ ما فيكمُ من جوًى نلقى ... فمهلاً بنا مهلاً ورفْقاً بنا رِفْقا
وحرمةِ وَجْدِي لا سلَوْتُ هواكمُ ... ولا رُمْتُ منه لا فِكَاكاً ولا عِتْقا

وهل للمحبِّ قلبٌ، هيهاتَ! مزقته المحبة، براثنُ أُسودٍ في شِلْوِ[4] ضعيفٍ على شدة جذب مع دوام التقليب.

إن تَرحَّلْتَ أو أقمتَ فَعِندي ... فيضُ دمعٍ يجري ووَجْدٌ مقيمُ
وفؤادي ذاك الفؤادُ المُعَنّى ... وغرامي ذاك الغرامُ القديمُ

انكشفَ اليومَ الستر، افتضحَ العاصي والعارف.

---

(١) مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة عام (٣٤٢هـ). انظر: الديوان، ص٣٢٨.
(٢) طرفت: أصبت عيني بشيء فدمعَتْ.
(٣) السلوّ: النسيان.
(٤) شلو: عضو.

(لتوبة):

خليلَيَّ قد عمَّ الأسى وتقاسَمَتْ ... فنونُ البِلَى عشّاقَ ليلى ودورَها
وكنْتُ إذا ما جئتُ ليلى تَبرْقَعتْ ... فقد رابَني منها الغداةَ سفورُها

وقع الحريقُ في زوايا المجلس، رُشُّوا عليه من مَزادِ[1] الدمع.

يا كثيفَ الطبع، يَبِضُّ الحَمَام يَفْرَقُ من صوتِ الرعد ولا حسَّ له، أفميتٌ أنت وهذه الصواعق حولك؟!.

لو رأيتَ المحبينَ في مأتَمِ الذلِّ ... وقد شُقَّقَتْ جيوبُ الوصالِ
لعذرتَ الذي يُلِيْ بِفِراقٍ ... ورَحِمْتَ المُحبَّ في كلِّ حالِ

هبتِ اليومَ نسمةٌ من أرض كنعانَ إلى مصر، غَنَّت حماماتُ اللِّوى في أرضِ نجدٍ، تنفَّسَ المشتاقُ، فانقشعَ غيمُ الهجر، سعى سمسار المواعظ في الصلح.

(للغزّي):

هبّتْ لنا وبرودُ الليلِ أَسْمالُ ... ريحٌ لها من جيوبِ الوَصْلِ أذيالُ
مرَّتْ بسفحِ اللِّوى والشيحُ مُنْتَشِحٌ ... بلؤلؤِ الطَّلِّ والجرباءُ[2] مِعطالُ[3]
مريضةٌ في حواشي مُرْطِها بَلَلٌ ... يُهْدَى لكلِّ مريضٍ منه إبلالُ[4]
دعْ جَمْرةَ لسويدا القلبِ محرِقةً ... يا لائمي ثمّ قلْ لي كيف أحتالُ
حَدِّثْ عن منحنى الوادي وساكِنِه ... كرِّرْ حديثَك لا حالتْ بك الحالُ
وامزُجْ بماءِ المُنى ما قلتَ منْ خبرٍ ... فإنّ أخبارَ ذاك الحي جِرْيالُ[5]

* * *

(١) مزاد: جمع مزادة: الراوية يُحمل فيها الماء.
(٢) الجرباء: الأرض المقحوطة لا شيء فيها.
(٣) مِعطال: المرأة اعتادت ترك الحلي، ويشير إلى خلو الأرض من حلية النبات.
(٤) إبلال: الخروج من المرض.
(٥) جريال: خمر دون السُّلاف في الجودة.

الفصل الرابع والأربعون

إخواني! شحمُ المنى هزال، وشراب الآمال سرابٌ [وآل][1]، ولذاتُ الدنيا منامٌ وخيال، وحربها قتل بلا قتال.

والمرءُ يُمْليه في الدنيا ويُخْلِقُه ... جِرْصٌ طويلٌ وعُمْرٌ فيه تقصيرُ
يُطَوِّقُ النحرَ بالآمالِ كاذبةً ... ولَهْذَمٌ[2] الموتِ دونَ الطَّوْقِ مَطْرورُ[3]
جذلانُ يَبْسُمُ في أشراكِ ميتِّه ... إن أفلتَ النابُ أردَتْهُ[4] الأظافيرُ

تَيَقَّظْ لنفسِك، واذكُرْ زوالك، ودَعِ الأمل ولو طوى الدنيا وزوى لك، فكأنّك بالموتِ قد حيّرك وأبدى كَلالَك[5]، ونسيك الحبيبُ، لأنّه أرادكَ لهُ لا لَكَ، وخَلوتَ تبكي خِلالَكَ[6] في زمانٍ خَلا لَك، وشاهدتَ أمراً فظيعاً أفظعك وهالَك، تودُّ أن تفتديه بالدُّنيا لو أنها لك، فتنبَّه من رُقادِ الهوى لما هو أولى لك، واحذر أن تكون أعْمالُك أعْمى لك، وأفعالُك كالأعمى لك.

لو كان لك باعثٌ من نفسكَ، ما احتجتَ إلى محرِّكٍ من خارج، هذا الديك يصيحُ في أوقاتٍ معلومةٍ من الليلِ لا تختلفُ، يؤدّي وظائفَها بباعثِ الطبعِ وإن لم يكن في القريةِ ديكٌ غيرُه، وأنتَ تؤخِّرُ وظائفَ صلواتك، وتنقص من واجباتك عباداتك، فإن بكيتَ في المجلس فَلِبكاءِ الجماعة، فإذا خَلَوتَ خلوتَ[7] من محرك.

---

(١) الآل: السراب. ما بين معقوفتين زيادة.
(٢) لهذم: من الأسنة القالع.
(٣) مطرور: من طرَّ الشيء: شقه وقطعه؛ أي: مقطوع بمعنى قاطع.
(٤) أرْدَتْهُ: أهلكته.
(٥) كلالك: ضعفك.
(٦) خِلالك: صفاتك.
(٧) خلوت الأولى: انفردت. وخلوت الثانية: فرغت.

هيهات! من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ، إذا لم يكن للدجاجة همّةٌ للحضن لم تنفع تغطيتُها بمنخل الحاضن، تصابرُ الشقاءَ لما تأملُ من العواقب، والرَّعْناءُ[1] تكسرُ البيضَ قصداً.

الخصائصُ أوضاع، والسوابقُ خواص «هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي»[2]. المغناطيسُ يجذب الحديد بخاصّيةٍ فيه. الظليمُ[3] يبتلعُ الحصى والحجارةَ فيذيبها حَرُّ قانِصَتِه[4] حتى يجعلها كالماء الجاري، ولو طبخَ ذلك بالنار لم يُنْحلَّ، ذَنَبُ الجرادةِ يشُقُّ الصخرةَ وليس بالقوي، إبرةُ العقرب تنفذ في الطست[5]. خرطومُ البعوضةِ يغوصُ في جلد الجاموسِ. من تُعَلِّقُ عليه برادةُ الحديد لم يغطَّ في نومه. إذا ترك الرصاصُ أو الزئبق في تنور سقط الخبزُ كلُّه، فإن ترك الرصاص في قدر لم ينضج اللحم. إذا كان الزعفرانُ في دار لم يدخلها وزَغَةٌ[6]. إذا دُفِن الحديدُ في الدقيقِ زال عنه الصدأ. إذا ترك سراج على شيء في نهرٍ سكنتْ ضفادعُه. إذا دُفنت ذنبةٌ في قرية لم تدخلها الذئابُ. إذا نظر صاحِبُ الثآليل إلى كوكب ينقضُّ فمسح بيده حينئذٍ على ثآليله ذهبتْ[7]. إذا عَسُرَت الولادةُ فصاحت بالمرأة بِكرٌ: يا فلانة! أنا جارية عذراء وقد ولدتُ وأنت لم تلدي، ولدتْ في الحال، للنَّمْلة فضلُ جسٍّ في الشمّ تدرك الأراييح البعيدة.

لما شُقَّ خِتامُ نافجةِ[8] النبوةِ ملأ ريحُها الأرض، فاستنشقها أهل العافية، فوصل إلى خياشيم سَلْمانَ في فارس، وصهيبٍ في الروم، وبلالٍ في الحبشة، وكان ابن أبيّ مزكوماً فما نفعه قرب الدار.

كم مِنْ نَفَسٍ دَخَلَتْ مجلسي، وهي حاملُ جنينِ الإصرار، فلمّا استنشقت ريحَ المواعظ أسقطت.

---

(١) الرعناء: مؤنث أرعن، وهي الهوجاء في المنطق.
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: ٥/ ٢٣٩.
(٣) الظليم: ذَكَرُ النَّعام.
(٤) القانصة: كالمعدة للإنسان.
(٥) الطست: إناء كبير مستدير من نحاس.
(٦) وزغة: سام أبرص (للذكر والأنثى).
(٧) لعل هذا من المجربات عندهم، وإن لم يثبت علمياً.
(٨) النافجة: وعاء المسك في جسم الظبي.

أيها التائب مَنْ حَرّكك؟ وقد كان تحريك الجبلِ دونَ إزعاجك! ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، أتدرون هذا التائب لِمَ انزعجَ؟ أما تجدونَ في نَفْسِه حَرَّ وهْجٍ؟.

صبا[1] لنسيمِ الصَّبا إذ نَفَحْ ... وأَرْقَهُ لمعُ بَرْقٍ لَمَحْ
وأذكَرَهُ عيشَةً بالحمى ... وعَهْداً تقادَمَ بِرَبٍّ سَنَحْ[2]
فَحَنَّ إلى السَّفْحِ سفحِ العقيقِ ... فَسَحَّ لهُ دمْعُه وانسفَحْ
وكان كتوماً لسرِّ الهوى ... ولكنْ جرى دمعُه فافْتَضَحْ
فدعْهُ ينادي طلولَ الحِمى ... ويسألُ رامَةَ عمَّنْ نزحْ

يا غائباً عنا وهو حاضر! أما لك ناظرٌ[3]؟! أما دموعُ الوَجْدِ قد ملأت المحاجر؟! أفٌ لبدوي لا يطربه ذكر حاجر[4]، أقل أحوال الزَّمِنِ[5] أن يبكي إذا رأى المُشاة، انظر إلى التائبين وحُرَقِهم، والتفِتْ إلى العارفين وقَلَقِهم.

اسمَعْ أنينَ العاشقينَ ... إنِ استطعتَ له سَماعا
راحَ الحبيبُ فَشَيَّعَتْهُ[6] ... مدامعٌ تجري سِراعا
لو كُلِّفَ الجبلُ الأصمُّ ... فِراقَ إلْفٍ ما استطاعا

كلّما بكى الخائفون أزعجوني، وكلّما استغاث الواجدون ألهفوني.

وإنّي لمجلوبٌ ليَ الشوقُ كلّما ... تَنَفَّسَ باكٍ أو تألَّمَ ذو وجدِ
تَعَرَّضَ رُسْلُ الشوقِ والركبُ هاجِدٌ[7] ... فأيقظني مِنْ بينِ نُوَّامِهم وجدي

---

(١) صبا: مال.
(٢) سرب: قطيع من الظباء. سنح: عرض.
(٣) ناظر الأولى: العين. وناظر الثانية: بمعنى ترى.
(٤) الحاجر: واد بين بلاد عذرة وغطفان لبني سليم، ويقال كذلك عن منبت الرِّمث، وهو كذلك منزل للحاج في البادية.
(٥) الزَّمِن: الذي أقعده المرض.
(٦) فشيعته: شيع فلاناً: خرج معه ليودعه ويبلغه منزله.
(٧) هاجد: نائم.

يا صبيانَ التوبة! أرْفُقُوا بمطايا أبدانِكم فقد أَلِفَتِ الترف ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦] .

هـبَّ لهـا مـن النسيـمِ رائـدُ ... فعـادَهـا مـن الغَـرامِ عـائِـدُ
نُوقٌ نَفى عنها الحِمَى طيبَ الكَرى ... فهْيَ كما شاءَ الثُّرى سواهِدُ[1]
أنحلَهـا تحـتَ الـذوبِ أينُهـا ... فمـارتِ الأنسـاعُ[2] والقـلائِـدُ
فـلا تخـالِفْهـا إذا مـا التَفَتَـتْ ... شـوقـاً إلى بـانِ الحمى يـا قـائـدُ
وقـلْ لهـا لَعـا[3] إذا مـا عثـرتْ ... فهـي لحِمـلٍ وَجـدِهـا تُكـابِـدُ
مـذْ حَكَـمَ البَيْـنُ عليهـا لـم تـزل ... تبكـي عليهـا البِيـدُ والفـدافِـدُ[4]

يا صبيان التوبة! للنفسِ حظٌّ وعليها حق ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩]، خذوا ما لها، واستوفوا ما عليها ﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥] ، فإن رأيتم من النفوسِ فتوراً، فاضربوهنّ بصوت الهجر ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٣٤] ، عَلَى أني أوصي صبيانَ التوبة بالرفق، وبعيدٌ أن يَقَرَّ خائِفٌ أو يسمعَ العَذْلَ محبٌّ.

ليتَ شعري هل أرى في طريقي ... سَعَـةً تُفْسِـحُ كَـرْبَ المَضيـقِ
قـد رمـاني الحُـبُّ فـي لُـجِّ بحـرٍ ... فخـذوا يـا قـوم كـفَّ الغـريـقِ
حلَّ عندي حُبُّكم في شِغافي[5] ... حـلَّ منـي كـلَّ عقـدٍ وثيـقِ
عفـتُ دنيـايَ اشتيـاقـاً إليكـم ... وتسـاوى خـامُهـا والـدبيقـي[6]
ورفَضْـتُ الكـلَّ شغـلاً بَـوَجْـدي ... فـانجلـى لـي كـلُّ معنًـى دقيـقِ

---

(١) سواهد: جمع ساهدة: قلقة أرقة.
(٢) الأنساع: جمع نِسع، وهو سير عريض طويل تشد به الحقائب ونحوها. ومارت: تحركت وتدافعت.
(٣) لعا: من لعَ، كلمة تقال للعاثر مرة أو مرتين: أقالك الله من عثرتك.
(٤) الفدافد: جمع فدفد، وهي الصحراء الواسعة.
(٥) شغافي: الشغاف: سويداء القلب وحبّته.
(٦) دبيقي: ثياب تنسب إلى (دبيق) قرية في مصر.

يـا صـديقـي! عنـديَ اليـومَ شُغْـلٌ فَـالْـهُ عني واشْتَغِـلْ يـا صـديقـي
بَيْـدَ إنْ تَـذْكُـرْ لـي حِـبَّ قلبـي فـأَعِـدْ ذِكـرهـمُ يـا رفيقـي
غَصَّنـي الشـوقُ إليهـم بِـريقـي وَا حريقي! في الهوى وَا حريقي!

* * *

الفصل الخامس والأربعون

إخواني! البِدَار البِدَار، فما دارُ الدُّنيا بدار، إنما هي حَلْبة لجريان الأعمار، وكم تبقى الفريسة بين النيوبِ والأظفار!.

مـا دارُ دُنيـا للنعيـمِ بـدارِ ... وبهـا النفـوسُ فـريسـةُ الأقـدارِ
مـا بيـنَ ليـلٍ عـاكـفٍ ونهـارِه ... نَفَسـانِ مُـرْتَشِفـانِ لـلأعمـارِ
طـولُ الحيـاةِ إذا مضى كقصيـرِهـا ... واليُسْـرُ لـلإنسـانِ كـالإعسـارِ
والعيـشُ يُعْقِـبُ بـالمَـرارةِ حُلْـوَه ... والصفْـوُ فيـه مخـالِـفُ الأكـدارِ
وكـأنمـا تقضـي بنيـاتُ الـرَّدى ... لفَنَـائنـا وطَـراً مـن الأوطـارِ
ويـرُوقُنـا زهـرُ الأمـانـي نضـرةً ... هـدمُ الأمـانـي عـادةُ المِقْـدارِ
والمـرءُ كـالطيـفِ المُطيـفِ وعُمـرُه ... كـالنَّـومِ بيـن الفجـرِ والأسْحـارِ
خطـبٌ تضـاءلـتِ الخطـوبُ لَهَـوْلِـهِ ... أخطـارُه تعلـو علـى الأخطـارِ
تُلقـى الصـوارمُ والـرمـاحُ لهـولِـهِ ... ونلـوذُ مـن حـربٍ إلـى استشعـارِ
إنَّ الـذيـن بَنَـوْا مَشيـداً وانْتَـوَوْا ... يسعَـوْنَ سعـيَ الفـاتِـكِ الجبـارِ
سُلِبُـوا النضـارةَ والنعيـمَ فـأصبحـوا ... مُتَـوسِّـديـنَ وسـائـدَ الأحجـارِ
تـركـوا ديـارَهـمُ علـى أعـدائهـم ... وتَـوَسَّـدُوا مَـدَراً بغيـر دثـارِ
خلـطُ الحِمـامُ قـويَّهُـم بضعيفهـم ... وغَنِيَّهـم سـاوى بـذي الإقتـارِ
والـدهـرُ يُعْجِلنـا علـى آثـارهـم ... لا بـدَّ مـن صبـحِ المُجِـدِّ الـساري
وتعـاقـبُ المَلَـوَيـن[1] فينـا نـاثِـرٌ ... بـالكـرِّ مـا نَظَمَـا مـن الأعمـارِ

تالله ما صَحَّ مَنْ يطلبُه مرضُه، ولا سُرَّ مَنْ بمسيرِه حُلَّ غَرضُه، ولا استقامَ غصنٌ يَلويه كاسرُه، ولا طابَ عيشٌ الموتُ آخره، إنَّ الطمعَ لعذابٌ، وحديثُ الأملِ كَذَّاب، وفي طريقِ الهوى عقابٌ[2]، وآخر المعاصي عِقاب، فلا يخْدَعنَّكَ

---

(١) المَلَوَين: الليل والنهار.

(٢) عقاب: جمع عقبة، مرقى صعب في الجبال.

ضياءُ ضباب، لا يطمِعَنَّكَ شرابُ سَراب، فمجيءُ الدنيا على الحقيقة ذهابٌ، وعمارةُ الفاني إن فهمت خراب، وفرحُ الغرورِ تبورٌ واكتئاب، ودنوُّ الشيبِ ينسخُ صبا الشباب، وكلّما نادى الأمل ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، صاح الأجل ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].

يـا نائماً في ظُلمةِ ظُلمِه، يا موغِلاً في مفازة تيهِه، يا باحثاً عن مُدْيَةِ حَتْفِه، يا حافراً زُبية[1] مُلْكِهِ، يا مُعمِّقاً مَهْواةَ مصرعِه، بئس ما اخترتَ لأحبِّ الأنفسِ إليك.

ويحك! تطلب الجادة ولست على الطريق، كم فغر الزمانُ بوعظه فَماً، فما سمعت ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾ [يس: ٧٠].

كيف تطيبُ الدنيا لمن لا يأمن الموتَ ساعةً، ولا يتمُّ له سرورُ يوم؟!.

إذا كان عمرُكَ في إدبار، والموتُ في إقبال، فما أسرعَ الملتقى! لقد نُصِبَتْ لك أشراكُ الهلاك، والأنفاسُ أدقُّ الحبائل.

يا ماشياً في ظُلْمة ليل الهوى لو استضأتَ بمصباح الفكر فما تأمَنُ من بئر بَوار، الشهوات مبثوثة في طريق المتقين، وما يسلمُ من شرِّها شَرِهٌ.

الأولياء في حَرَم التقوى ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

الدنيا مثلُ مَنَام، والعيشُ فيها كالأحلام.

قيل لنوح عليه السلام: يا أطولَ النبيين عُمُراً! كيف وجدتَ الدنيا؟.

قال: كدارٍ ذاتِ بابَيْن، دخلتُ من بابٍ وخرجتُ من بابٍ.

فلمـا تَفَـرَّقْنـا كـأنّـي ومـالِكـاً لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

يا ثقيلَ النوم أما تُـنَبِّهُكَ المزعجاتُ؟ الجنةُ فوقك تُزَخْرَفُ، والنارُ تحتك تُوقَدُ، والقبرُ إلى جانبك يُحفَر، وربما يكونُ الكفنُ قد غُزِلَ.

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم؟!.

---

(١) الزبية: حفرة تحفر للأسد، كانوا يحفرونها في موضع عال.

يا حاضراً يرى التائبين وهو في عِداد الغائبين، واقفٌ في الماء عطشانُ، ولكن ليس يُسقى، عاتِبْ نفسك على هواها فقد وَهَاها[1]، قل لها: أُدْرُجي دَرجَ المدرج وقد لاحت منًى، لا يوقفنَّك في الطريق طاقةٌ من أمِّ غيلان[2]، فالخَبْط[3] في المنزِل مهيَّؤٌ لك، تَلَمَّحْ عواقبَ الهوى يهنْ عليك التَّرْكُ، تَفَكَّرْ في حالِ (يوسف) لو كان زلَّ مَنْ كان يكون؟ هل كانت إلا لذةَ لحظةٍ وحسرةَ الأبد؟! عبَرتْ والله أجمالُ[4] الصبرِ سليمةً من مَكْسٍ[5]، وبقيت مديحة ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤).

يا هذا! احبِسِ صبرَ يومك ساعةً نومك، تحظَ في غدك برغدك، البَدارُ إلى الشهوات والندامةُ فَرَسا رهان، والتواني عن التوبةِ والخيبةُ رضيعا لبان[6]، وا عجباً! غرَّتْك حَبَّةُ فخٍّ فحصلت وما حَوْصلْتَ[7]، اليومُ وا طربا للكاس، وغداً واحربا للإفلاس. آهٍ من حلاوةِ لُقَمٍ أورثَتْ مرارةَ نِقَم.

تأمَّلُ العاقبةَ لا يحصلُ إلا لناقِدِ بصيرٍ، مَنْ تلمَّحَ إذا تلا ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وعرف قدر مدح ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؛ علم أنه لم يُبْقِ في فيه شيئاً من مرارة البِلى مرارةُ ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾.

ضَجَّتِ الملائكةُ حين همُّوا بإلقائه في النارِ، فقالوا: ائذن لنا حتى نُطْفِئْ عنه، فقال تعالى: إن استغاثَ بكم فأغيثوه، وإلا فدَعُوه، فلما أُلقي عرضَ له جبريل عليه السلام، وهو يهوي في الهواء، فأراد أن ينْظُرَ هل للهوى فيه أثر؟ فقال: ألكَ حاجةٌ؟ قال: أمَّا إليك فلا، فأقبلَ بمنشور ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧].

---

(١) وهاها: أضعفها.

(٢) أم غيلان: شجر السَّمُر.

(٣) الخبط: ما يسقط من الشجر بالضرب.

(٤) أجمال: جمعُ قلةٍ لجمل.

(٥) مكس: ما يأخذ العشّار ضريبة ممن يدخل البلد من التجار.

(٦) رضيعا لبان: تربان وقرينان.

(٧) فحصلت: الحصل: سف الفرس التراب من البقل فيجتمع منه تراب في بطنه فيقتله، وهو من أدواء الخيل. وحوصلت: حوصل: ملأ بطنه.

قالَتْ لِطَيْفٍ خَيالٍ زَارَها وَمَضَى: بـاللهِ صِفْـهُ ولا تُنْقِـصْ ولا تَـزِدِ
فقال: خَلَّفْتُهُ لـو مَـاتَ مـن ظمَـأ وقلتِ: قفْ عن ورودِ الماءِ لم يَرِدِ
قالت: صدقتَ، الوفا في الحُبِّ عادتُه يا بردَ ذاكَ الذي قالتْ على كبدي

* * *

الفصل السادس والأربعون

يا مجتنباً من الهدى طريقاً واضحاً، افتح عينَ الفِكر ترَ العلَمَ لائحاً، احذر الغفلةَ فكم غالَ ماتحاً[1] ، وتَوَقَّ بحرَ الجهلِ فكم أغرقَ سابحاً.

يـا غـاديـاً فـي غفلـةٍ ورائحـا ... إلـى متـى تَسْتَحْسِـنُ القبـائحـا

وكَـمْ إلـى: كَـمْ لا تخـاف مـوقفـاً ... يستنطِـقُ الله بـه الجـوارِحَـا

يـا عجبـاً منـكَ وأنـتَ مُبْصِـرٌ ... كيـفَ تجنَّبْـتَ الطـريـقَ الـواضحـا

كيـفَ تكـونُ حيـن تَقْـرَا فـي غـدٍ ... صحيفـةً قـد حَـوَتِ الفضـائحـا

وكيـفَ تَـرْضـى أن تكـونَ خـاسِـراً ... يـومَ يفـوزُ مَـنْ يَكـونُ رابحـا

يا معدوماً في الأمس، فانياً في الغد، عاجزاً في الحال! مَنْ أنتَ حتى تَغْتَرَّ بسلامتك، وتَنسى حتْفَك؟ وأملُكَ بين يديك، وأجلُكَ خلفَك، وكتابُكَ قد حوى تفريطَك، كم نُهيتَ عن أمرٍ؟ فما كفَّكَ النهيُ أن تبسطَ كَفَّك.

يا مَنْ قد طالَ زلَلُه وتعثيرهُ، تفكَّرْ في عُمُرٍ قد مضى كثيرُه، يا قلباً مشتتاً قد قلَّ نظيرُه، كَمْ هذا الهوى؟ ولَكَمْ هوى أسيرُه؟.

أيُها القاعِدُ عن أعالي المعالي، سبقَ الأبطالُ، والبَطَّالُ ما يبالي، ستعرفُ خبرك يوم عِتابي وسؤالي، وستقولُ عند الحساب: مَا لِي وما لي، أعمالُك إذا تصفحتْ لهواك لآلي، لو أنَّرَ فيك وعظي ومقالي، لكُنْتَ لَحرّ الحسراتِ على حرّ المقالي.

(للمتنبي):

إلـى أيِّ حيـنٍ أنـتَ فـي زيِّ مُحـرِمٍ ... وحتـى متـى فـي شَقْـوةٍ وإلـى كَـمِ

---

(١) غال: أهلك. ماتحاً: اسم فاعل من متح، والمتحُ: جذبُ رشاء الدلو، واستخراج الماء.

فـإلاَّ تَمُـتْ تحـتَ السيـوفِ مكَـرَّمـاً تَمُـتْ وتقـاسـي الـذُّل غيـرَ مكـرَّمِ
فَثِبْ واثقاً بالله وَثْبَةَ ماجدٍ يرى المـ ـوتَ في الهيجا جنَى النَّحْلِ في الفمِ

ويحك! إنما يكونُ الجهادُ بين الأمثالِ، ولذلك مُنِعَ مِنْ قَتْلِ النساءِ والصبيانِ، فأيُّ قدرٍ للدنيا حتى يحتاجَ قلبُك إلى محاربةٍ لها؟!.

أما علِمتَ أن شهواتِها جيفٌ ملقاةٌ، أفيَحْسُنُ بباشقٍ[1] الملك أن يطير عن كفِّهِ إلى ميتة؟ مهلاً ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٨].

لو علمتَ أنَّ لذةَ قهرِ الهوى أطيبُ من نَيْلِه لما غَلَبَك، أما ترى الهرةَ تتلاعَبُ بالفأرة ولا تقتلها ليبينَ أثرُ اقتدارها؟! وربَّما تغافلتْ عنها، فتمْعِنُ الفأرةُ في الهَرب فتثبُ فتُدركُها ولا تقتلها إيثاراً للذة القهر على لذة الأكلِ.

من ذبحَ حَنْجرةَ الطمعِ بخنجرِ اليأسِ أعتقَ القلبَ من أسْرِ الرِّقِّ.

من رَدَم خندقَ الحِرْصِ بِسِكْرِ[2] القناعةِ ظَفَرَ بكيمياءِ السعادة.

من تَدَرَّعَ بدرعِ الصدقِ على بدنِ الصبرِ هزَمَ عسكرَ الباطِلِ.

من حصَدَ عُشْبَ الذنوبِ بمنجلِ الوَرَعِ طابتْ له روضةُ الاستقامة.

من قطعَ فضولَ الكلامِ بشفرَةِ الصَّمْتِ وجدَ عذوبةَ الراحةِ في القلبِ.

من ركِبَ مركبَ الخوفِ مرَّتْ به رخاء الهدى إلى أرجاءِ النجاةِ.

من أرسى على ساحلِ الخوفِ لاحت به بلادُ الأمن.

ألا عزيمةٌ عُمَريّة، ألا هجرةٌ سَلْمانيّة، جاءت بمركبِ عمرٍ جَنوبُ المجانبة للحق إلى دار الخيزُران، فلمّا فُتِح له الباب انقلب شمالاً، مَدَّ يده لتناول خمر الفتك، فاستحالت في الحال خلاً، جاء وكله كدَرٌ، فلمَّا دنا من الصفا صفا، كان ماءُ قلبه لِمَا جَنى مِلْحاً أجاجاً فلما تلقاه النذير بالعذاب عَذُبَ.

يكـونُ أجـاجـاً دَونكـم فـإذا انتهـى إليكـمْ تَلَقّـى طيّكـمُ قِيطِـبُ

---

(١) باشق: الجارح من الطير يصاد به.

(٢) سِكر: السُّكر ما يسد به.

سَقِمَ قلبُ سلمان من معاناة أمراضِ المجوس، فخرجَ إلى أوديةِ الأدوية، فالتَقَطَتْهُ يدُ ظالمٍ وما عرفت، فهان على يوسفَ البيعُ ليلقى العزيزَ، فبينا سلمانُ على نَخْلةٍ يختَرِفُها(١)، قَدِمَ مخبرٌ بقدوم الرسول عليه الصلاة والسلام فنزل ليصعد، وصاح به: حدثني.

نـزلـوا جبـالَ تِهـامـةٍ فِـلأجْلِهـمْ   يهـوى الفـؤادُ تهـامـةً وجبـالَهـا
يـا صـاحبـيّ قِفـا علـيَّ بِقَـدْرِ مـا   أسْقـي بِـواكِـفِ عَبْـرتـي أطـلالهـا

وا عجباً! أطلبُ الشجاعةَ من حَسّان(٢)، وأسأل عن الهِلالِ ابنَ أمِّ مكتوم، وأتلو سورةَ يوسفَ على روبيل، وأستملي الفصاحةَ من باقلٍ، وأنتظرُ الوفاءَ من عُرْقوب(٣)، لقد رجعتُ إذن بخُفَّيْ حُنين.

يا من نقدُه مردود، وعقله محلولٌ، نِيّتُكَ في الخيرِ نَيّةٌ(٤)، لو أنْضَجَتْها نيرانُ خوفٍ أو شوقٍ لانتفعتَ بها.

ولـي قـوادمُ لـو أنّـي جُـذِبْـتُ بهـا   لأنهضتنـي ولكـنْ أفـرُخـي زُغُـبُ

غَمِّضْ عينَيْكَ على الدواءِ يعمل، وافتحها لرؤيـة الهدى تُبصر، حجرُ المعصيةِ يُطَحْطِح(٥) إناءَ القلب، وضَبَّةُ التوبة شِعاب(٦).

يا من عزمُه في الإنابة جَزْرٌ بلا مدٍّ، وقفَتْ سفينةُ نجاتك، ليلُ كسَلِكَ قد طبَّقَ آفاقَ الترددِ، وقد طَلَبَتْ فيه أطيارُ الهمة أوكارَ الدَّعَة، فلو قد طلعتْ شمسُ

---

(١) يخترفها: يجني ثمارها.

(٢) ما ينسب إلى سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر النبي ﷺ من جبن لا يثبت عند المحققين من العلماء، وبنظرة عامة في ديوان شعره يجد القارئ الدلائل الكثيرة التي تدل على شجاعته وشدة بأسه.

(٣) عرقوب: رجل من العمالقة يضرب به المثل في خلف الوعد، يقال: «مواعيد عرقوب».

(٤) نيّة: أي نيئة: كل شيء شأنه أن يعالج بطبخ، أو شيّ فلم ينضج.

(٥) تطحطح: طحطح الشيء: كسره وبدده إهلاكاً.

(٦) الضبة: حديدة عريضة تضبب بها الكسور. شعاب: من: شَعَبَ المكسور؛ أي: لمه وإصلاحه.

العزيمة في نهارِ اليقظةِ لاتُبَثَّ عالمُ النشاط في صحراءِ المجاهدة.

يا صبيانَ التوبة! تزوّدوا للبادية، تأهَّبُوا لحاجرِ[1]، أنْطِلُوا الإبلَ قبل زَرُود، ولا تَنْسَوْا وقتَ تناول الزادِ جمالكم.

بيـــن العقيـــقِ والكثيـــبِ الفـــردِ ... عـــلاقـــةٌ لـــي مـــن هـــوًى وودي
سلْ هضباتِ الرَّمْل منْ جِزْعِ اللُّوى ... يـومَ النَّـوى عـن قلقـي ووجـدي
واستخبـرِ الأنجـمَ عـن صَبـابتـي ... بِسَـاكنـي نَجْـد وأرض نجـد
فمَـنْ مُجيـري وبمـن أسْتَعْـذِي ... وليـس عنـدَ عـلاَّتِـي مـا عنْـدي

* * *

(١) حاجر: واد بين بلاد عذرة وغطفان لبني سليم، ويقال كذلك عن منبت الرِّمْث، وهو كذلك منزل للحاج في البادية.

الفصل السابع والأربعون

وا عجباً لنفس تُدعى إلى الهدى فتأبى! ثم ترى خطأها بعين الهوى صواباً، كم أذْهَبتْ زَمَناً وكم أفنَت شباباً! وكم سوَّدَت في تبييض أغراضِها كتاباً!

أستغفِرُ اللهَ مِنْ نفسٍ طَغَتْ وأَبَتْ ... آبتْ إلى هذه الدنيا فما اتّأبتْ

جابَت ليَ الشيبَ أوقاتُ الشبابِ فما ... أجابتِ النُّصحَ لكن سيئاً جلبتْ

خانتْ فخابتْ وما طابتْ ولا سعدتْ ... وكم أرابتْ[1] ورابتْ ثم ما رأبتْ[2]

ودأبُها في أمورٍ غيرِ نافعةٍ ... ولو تُوفَّقُ أمستْ للتقى دأبتْ[3]

همّتْ بخيرٍ فلم تعزمْ وريَّثَها[4] ... خطبٌ إذا هي في غيرِ التُّقى وثبتْ[5]

أما طريقُ المعالي فهي واضحةٌ ... لكلِّ طرفٍ سرى عنه الكرى لحبتْ[6]

والعالمون جميعاً عالمونَ بها ... على ركائبَ عن معروفها نكبتْ[7]

ألا يسائلُ أملاكَ[8] الورى فطنٌ ... علامَ جُمّعتِ الأجنادُ واحتربتْ

إنَّ الذي طلبتْهُ لا يدومُ لها ... ولا مسرَّةَ إن فازتْ بما طلبتْ

ألم يَرَوْا دولَ الماضين قبلهمُ ... كانوا بأحسنِ ما كانوا بها ذهبتْ

لا تفرحوا بهباتٍ من زمانهمُ ... سَتَشْتَرِدُّ الليالي كلّ ما وهبتْ

---

(١) أرابت: أوقعت في الشك.
(٢) رأب: أصلح.
(٣) دأب: جد واجتهد.
(٤) ريّث: بطّأ.
(٥) وثبت: قفزت.
(٦) لحبت: وضحت.
(٧) نكب عن معروفها: عدل.
(٨) أملاك: جمع ملك، ويجمع جمع قلة: أملاك، وجمع كثرة: ملوك.

لو علمتْ عِلْمنا الغبراءُ[1] ما ركدتْ[2] تحتَ الأنام أو الخضراءُ[3] ما ثقبتْ[4]
وأمُّ دَفْـرٍ[5] إذا مـِـزْتَ حـالتهـا كـأمِّ صِـلٍّ[6] إذا مـا عضّـتِ انقلبتْ
وكيف ترجو صلاحاً من خلائقها فكلُّ ما الناسُ فيه من أذًى جلبت

لله درُّ أقوام تأمّلوا غِيَّها، وما زالوا حتى رأَوْا عيبها، نزلوا من الدنيا منزلَةَ الأضياف، أخذوا الزاد وقالوا: ما زاد إسراف، وقفوا عند الهموم، والمؤمن وَقّافٌ، رمَوْا فضول الدنيا من وراء قاف[7].

لو رأيتَهم في الدُّجى يراعون النجوم، وخَيْـلُ الفِكْرِ قد قطعتْ حَلَـباتِ الهموم، يشكون جرحَ الذنوب ويبكون الكُلُوم[8]، أحرقتْ أحزانُهم أجسامَهم ويقيت الرسومُ، بَلّغَتْهم البُلَغ[9]، ورمتك التخم في التخوم[10]، سَكروا من مناجاة الكريم لا من بنات الكروم[11]، أصبحتْ عليهم آثارُ الحبيب، والطيبُ نَمُوم[12]، هذه سلْعُ الأسحارِ من يشتري، من يسوم؟ أين قلبُك الغائبُ عنا، قل لي لمنْ تلوم؟ جسمُك في أرض العراق وقلبُك في أرض الروم.

مُهرُ الطبعِ ما رُيِّضَ، إهاب البشرية ما دُبغ، في عين البصيرة عَشا، عرائسُ

---

(١) الغبراء: الأرض.
(٢) ركدت: سكنت.
(٣) الخضراء: السماء.
(٤) ثقبت: أضاءت، أي: نجومها، وذلك أن النجوم لا تزال ثواقب ما لم ينفرط عقدها وتتكدر إيذاناً بيوم القيامة.
(٥) أم دفر: الداهية، والمقصود بها هنا الدنيا.
(٦) أم صلّ: الحية، وقد شبه الدنيا لمن عرفها بالأفعى التي تفرغُ سمها في معضوضها بالانقلاب بعد العض.
(٧) قاف: بشير إلى جبل يحيط بالأرض.
(٨) الكلوم: جمع كَلْم، وهو الجرح.
(٩) البُلغ: جمع بلغة: ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها.
(١٠) التخم: جمع تُخْمَة، وهو داءٌ يصيب الإنسان من امتلاء المعدة. والتخوم: جمع تَخْم: منتهى كل أرض.
(١١) كناية عن الخمر المعصورة من العنب.
(١٢) نَمُوم: صيغة مبالغة من النمّ: وهو الظهور وانتشار الرائحة.

الموجودات ترفلُ في حُللٍ مختلفةِ الصَّنْعةِ والصِّبْغةِ، والصيغة تعبُرُ إلى المعْتَبِر في مَعْبَرِ الاعتبار، فهل حظُّك حظُّها من النَّضارة أنْ تحظى من النَّظَرِ بحظ.

واعجباً لك! لو دخلتَ بيتَ مَلِكٍ لم تزل تتعجبُ من رُقوش نقوشه، فَارفَعْ بصرَ التفكّرِ، واخْفِضْ عينَ البصيرة، فهل ترى أحسنَ من هذا الكون؟!.

تلَمّحْ مخيمَ السقفِ كيف مُدَّ بلا أطناب! ثم زُخْرِفَ نقشُه برَقْم النجوم، والهلال دُمْلُوجٌ[1] في عضد السماء، فإذا جَنَّ الليلُ كُحِلتِ العيونُ بإثمدِ النوم، واجتلاها[2] أهلُ ﴿ نَتَجَافَىٰ ﴾ [السجدة: ١٦]، فإذا جلّى ركبُ الدُّجى، جلا ضوء الشمس عن الأبصار رمدَ الظلام[3].

انظر إلى الأرض إذا تأيَّمت[4] من زوجِ القَطْر، ووَجَدَت لفَقْدِ إنفاقِهِ مَسَّ الجَدْبِ، كيف تُحدُّ[5] في ثياب ﴿ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ [فصلت: ٣٩]، طالما لازمَتْ حسنَ الصبر، وسكنت مَسْكنَ المسْكنَة، لولا ضجيجُ أطفالِ البذر.

فإذا قويَ فَقْرُ القَطْر، امتدتْ أكفُّ الطلب، تستعطي زكاةَ السحاب، فهبت الجَنُوب من جَنَاب اللُّطف، فسحَبَتْ ذيلَ النَّسيم على صَحْصَح[6] الصحارى، فتحركت جوامدُ الجلاميدِ، وانتبهَ وَسْنانُ العيدان لقبول تلقيح اللواقح، فإذا لبس الجوُّ مِطرفَه[7] الأدكَن[8]، أرسل خَيَّالة القِطرِ شاهرةً أسيافَ البرقِ، وأنذرَ بالإقدام صوتُ الرَّعْد، فقام فراشُ الهواءِ يرشُّ خَيْشَ النسيم، فاستعار السحابُ جفونَ العشّاقِ وأكفَّ الأجوادِ، فامتلأت الأوديةُ أنهاراً، كلّما لمستها كفٌّ حكى سِلسالها سلاسلَ الفِضَّة، فالشمسُ تسفِرُ وتنتقب، والغمامُ يرشُّ وينسكب،

---

(١) دملوج: حلية تحيط بالعضد.
(٢) اجتلاها: نظر إليها.
(٣) جلى الأولى: رحل. وجلا الثانية: أزال ومحى.
(٤) تأيمت: من الأيم: المرأة التي مات عنها زوجها.
(٥) من الجدّاد.
(٦) صحصح: الأرض المستوية الواسعة.
(٧) المطرف: رداء من خز مربع ذو أعلام، وأشار به إلى السحاب.
(٨) الأدكن: لون يضرب إلى السواد.

فانعقد بين الزوجين عقدُ حَبِّ الحُبِّ.

فلا يزال السحابُ يسقي ذَرَّ البذر بثدي الندى، وكلّما احتاجَ إلى فضلِ قوتٍ كرَّ الرك(١)، وشطأ الطَّشُّ(٢)، ودقِ الوَدْق(٣)، فطَمَّ إلى أن فُطِم الطفلُ، فإذا وقتُ شمسِ الشتاء في الطَّفَل(٤) ونشأ أطفالُ الزرعِ، فارتبَع الربيعُ أوسطَ بلاد الزمان، فأعارَ الأرضَ أثوابَ الصِّبا، ورَوَّح كربَها بنسيم الصَّبا، فانتبهت عيونُ النَّوْرِ من سَنَةِ الكرى، فكم نهضت من الغُروس عروس، بين يديها الأوراقُ كالوصائف، فصافحت ريحُها الخياشيم، ومنظرُها الحَدَق، فكأنَّ عينَ النَّرْجِسِ عينٌ، ووَرَقَهُ وَرِقٌ، فالشقائقُ تحكي لونَ الخَجَل، والبهارُ(٥) يصف حالَ الوجل، والنَّيْلُوْفَرَ(٦) يغْفَى وينتبه، والأغصانُ تعتنق وتفترق، وقد ضربَ الربيعُ جُلَّ نارِه في جُلَّناره(٧)، بثَّتِ الأراييحُ أسرارها إلى النسيم فنمَّ، فاجتمعَ في عُرْسِ التواصل فنونُ القِيان، فعلا كلُّ ذي فَنٍّ على فَنَنٍ، فتطارحتِ الأطيارُ مناظرات السجوع، فأعربَ كلٌّ بلغته عن شوقه إلى إلفه، فالحمامُ يهدُرُ، والبلبل يخطُبُ، والقُمْري يرجِّعُ، والمُكَّاء(٨) يُغَرِّد، والأغصانُ تتمايل، كلُّها تشكرُ ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، فحينئذٍ تجدُ خياشيمُ المشوقِ ضالةً وجَدِة.

لـي بـذاتِ البـانِ أشجـانُ حبَّـذا مِـنْ أجلِهـا البـانُ
حبَّـذا ريّـاهُ يـوقظُـه مـن نسيـمِ الفجـرِ رَيْعـان
حبَّـذا وُرْقُ الحمـامِ إذا رَنَّحتْهـا منـه أغصـانُ

---

(١) الرك: المطر الضعيف.
(٢) الطش: الرشاش من المطر دون الوابل وفوق الرذاذ.
(٣) الودق: المطر شديده وهينه إذا كان مستمراً.
(٤) الطفَل: غروب الشمس.
(٥) البهار: جنس زهر من المركبات الأنبوبية الزهر، طيب الريح، ينبت أيام الربيع يقال له: العرار.
(٦) النيلوفر: جنس نباتات مائية من الفصيلة النيلوفرية، يزرَعُ في الأحواض، وينبت على ضفاف الأنهار.
(٧) الجلّنار: زهر الرمان.
(٨) المُكاء: طائر صغير يألف الريف، جمعه مكاكي.

داعياتِ بالهديلِ[1] لها ... فيه أسجاعٌ وألحانُ
أعجميـاتٌ إذا نطقتْ ... ليس إلا الشوقُ تبيانُ
كلّما غنيتني هَزَجاً ... هاجني للذكرِ أحزانُ
مالَ بي ميلُ الغصونِ بها ... طربي فالكلُّ نَشوانُ
يا حمامَ البانِ يجمعُنا ... وَجْدُنا إذ نحنُ جيرانُ
يحنُّ بالشكوى إليَّ فما ... بين أهلِ الحُبِّ كِتْمانُ
يتشاكى الواجدونَ جوًى[2] ... واحداً والوجْدُ ألوانُ
أنا مخلوسٌ[3] القرينَ وأنـ ... ـحُزنَ أزواجٌ وأقرانُ
وبعيدُ الدارِ عن وطَنٍ ... شاقَهُ للبَانِ أوطانُ
آهِ منْ داءٍ أكاتِمُه ... والهوى سرٌّ وإعلانُ
لا تزدْني يا عذولُ جوًى ... أنا بالأشواقِ سَكْرانُ

* * *

(١) الهديل: صوت الحمام أو خاص بوحشيّها.
(٢) الجوى: الهوى الباطن، وشدة الوجد.
(٣) مخلوس: مسلوب ومحروم من قرينه وحبيبه.

الفصل الثامن والأربعون

مَنْ علِمَ أنَّ هبّاتِ الدنيا هَبَا[1]، حُلَّ مِنْ غُلِّ[2] ذُلِّ.

الدَّهْرُ مستعجِلٌ يَخُبُّ[3] ... فاختم وطينَ الكتابِ رَطْبُ
إنَّ الذي أنتَ فيه حُلْمٌ ... وسوفَ تنساهُ إذ تهُبُّ
تَوقَّ مكرَ الزمانِ واحذَرْ ... ولا تَثِقْ بالزمانُ خِبُّ[4]
جميعُ أفعالِهِ غرورٌ ... وكلُّ ما نحنُ فيه لُعْبُ
وليس يبقى عليه شيءٌ ... يكرهُه المرءُ أو يُحِبُّ
إسمع أحاديثَ مَنْ تَقَضَّى ... يا مَنْ له ناظِرٌ وقَلْبُ

الدُّنيا تعطي تفاريق، وتسترجعُ جُمَلاً، وتُرضِعُ أفاويق[5]، وتقطعُ عَجَلاً، يُوانِي[6] خيرُها وإنْ وَانى لُمَعاً، ثم يأتي شرُّها حين يأتي دُفَعاً، فترى العبرات عند فقدها تُراقُ ولا ترقا[7]، والزفراتُ عند سلبها تهدُّ ولا تهدأ، ويُحْكمُ أنّ المفروح به من الدنيا هو المحزون عليه.

إخواني! ذودوا[8] هممَكم عن مرعى المُنى، فإنّه يزيدُها عَجَفاً[9]، ولا

---

(١) هبا: أي هباء، وهو الشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس ودقاق التراب.
(٢) غُلّ: القيدُ يوضَعُ في الرقبة.
(٣) يخب: الخبُّ: ضرب من العَدْو، وقيل: هو مثل الرَّمَل.
(٤) خِبٌّ: خَدّاع.
(٥) أفاويق: جمع فيقة: ما يجتمع من لبن في الضرع بين الحلبتين.
(٦) يواني: من ونى: والونا: الفترة في الأعمال والأمور، والنسيم الواني: الضعيف الهبوب، والونا: الضعف والفتور والكلال والإعياء.
(٧) لا ترقا: لا تنقطع.
(٨) ذودوا: ادفعوا عنها، واحموها منها.
(٩) عجفاً: هزالاً.

تُوَلُّوا الهوى على مُدن الأبدان ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

الهوى وثنٌ يُنْصَبُ في جاهلية الشباب، فإنْ صحَّ إسلامُ العزمِ جعلَ أصنامَ الشهوات جُذاذاً.

يا معاشرَ الشباب زيدوا في سَلاسِل الهوى، فإنَّ شيطانَ الصِّبا مارِدٌ، زِنُوا حَلوى المشتهى بِمُرِّ العِقاب بَيْنَ لكم التفاوتُ، إلى متى يقودُكم الهوى؟! إلى كم تستعبدكم الدنيا؟!.

(للشريف الرضي)[1]:

كَمِ اصطبارٌ على ضَيْمٍ ومَنْقَصةٍ ... وكَمْ على الذلِّ إقرارٌ وإذعانُ
ثوروا لها وَلْتَهُنْ فيها نفوسُكُمُ ... إنَّ المناقبَ للأرواحِ أثمانُ

إلى متى جمودُ الإناث؟! أين حركة الرجولية؟!.

(لمهيار)[2]:

قُمْ فانتشطْها حسبُها أن تُعقَلا ... ودَعْ لها أيديَها والأرجُلا
لا يطرحُ الذلَّ وراءَ ظهرِه ... إلا فتًى يُنْضي المطايا الذُّلَّلا

الجدَّ الجدَّ فالطريقُ طويلةٌ، دارِ الناقةَ بِذِكْرِ الدَّار، عَلِّلْها بصوت الحُداة، فإذا لاحَ لها المنزلُ فَشَوْقُها يسوقُها.

(لمهيار):

إرخ لها زِمَامها والأَنْسُعَا[3] ... وارمِ لها من العُلى من شَسَعا
وارحلْ بها مغتَرِباً عن العِدَى ... تُوطِئُكَ[4] من أرضِ العِدَى مُتَّسعا

---

(١) من قصيدة قالها يصف الأسد. انظر: الديوان: ٢/٤٤٨ـ٤٥٣.
(٢) مطلع قصيدة يمدح بها شهاب الدولة بن ديس. انظر: ديوان شعره: ٣/٢٠٠ـ٢٠٦.
(٣) الأنسعا: جمع نِسْع، وهو سير ينسج عريضاً على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال، وتجمع على نسوع.
(٤) توطئك: تنزلك.

يـا رائـدَ الظُّعْـنِ بـأكنـافِ اللِّـوَى ... بلـغْ سـلامـي إنْ وصلـتَ لَعَلَّمـا
مـاذا عليهـم لـو رَثَـوْا لسـاهـرٍ ... لـولا انتظـارُ طيفِهـم مـا هَجَعـا

إخواني! اتباعُ الجوارح في العملِ دليلٌ على قوّةِ العلمِ بالأجرِ، فإذا حصلَ تسليمُ النفوسِ في الجهاد إلى القتلِ كان النهايةُ في كمال اليقين، فإذا وَقَعَ الفرحُ بأسبابِ التلفِ دلَّ على كمالِ المحبةِ، كما قال عبد الله بن جحش[1]: «اللهمَّ سلّط عليَّ غداً عدواً يبقرُ بطني، ويجدعُ أنفي، فإذا لقيتُك قلتَ: هذا فيك ومن أجلك».

وطُعِنَ حَرامُ بن ملحان[2]، فنفذ فيه الرمح فقال: «فزتُ وربِّ الكعبةِ».

لـو رأيتَهـم والمعتـرَكُ قد اعتكَـرَ، وقـد تقدّمـوا في القـدومِ[3]، فـانبلجَ الأمـرُ، وجاشَ جـأشُ الجيـشِ في أُفُرَّةٍ[4]، فلم يتميّـز الهِلْقـامُ[5] السَّـرَعْـرَعُ[6]، من القلهزم[7] الحنزقرة[8]، وإذا الغَضَنْفَرُ[9] الدَّمَكْمَكُ[10]

---

(١) أسلم عبد الله قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، وهاجرَ إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، بُعثَ على سرية إلى نخلة، وفيها تسمّى أمير المؤمنين، فهو أوّلُ من دُعِيَ بذلك، وقد قال قبل أُحدٍ بيوم: «اللهمَّ أُقْسِمُ عليكَ أنْ ألقى العدوَّ غدًا فيقتلوني ثم...» كما في (الحلية: ١/ ١٠٩)؛ وفي (الاستيعاب: ٣/ ٦٣) في القسم الأول من البدريين: «اللهمَّ إذا لاقوا هؤلاء غداً فإنّي أقسمُ عليك لما يقتلوني و...»؛ وترجمته في صفة الصفوة، لابن الجوزي: ١/ ٣٨٥.

(٢) كان مع من أرسلهم الرسول ﷺ إلى بئر معونة، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل، وانتدب حرام ليبلّغ رسالةَ الرسول ﷺ أهلَ ذلك الماء، فأتى الأخيةَ، ونادى بالشهادتين، فخرجَ إليه رجل من كِسْرِ البيت برمح فطعنه به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: «الله أكبر، فزتُ وربِّ الكعبةِ...» أخرجَ قصتهم ابن جرير وابن المنذر وغيرهما.

(٣) القدوس: الملك الضخم.

(٤) أُفرة: بضم الهمزة والفاء وتشديد الراء: الاختلاط.

(٥) الهلقام: الضخم الطويل.

(٦) السرعرع: الطويل.

(٧) القلهزم: كسفرجل، الرجل المربوع.

(٨) الحنزقرة: بكسر الحاء، الرجل الدميم من الناس.

(٩) الغضنفر: الأسد الشديد.

(١٠) الدمكمك: الشديد القوي.

والقِنْخِرُ[1] العلنديّ[2]، والضباضب[3] الدُّلامز[4]، كلُّهم في مقام إجفيل[5].

فلمَّا انزعجت الطبائعُ تذكروا قبيح الجناية، فمدوا أيدي التسليم للودائع، فخضبت الدماءُ محاسنَ وجوهٍ طالما صبرتْ على بردِ الماء وقتَ الإسباغ، وحصدَت مناجلُ السيوفِ زروعَ رؤوسٍ طالَما أطرقتْ في الأسحارِ، وعادت خيولهم خَلِيةً عنهم، فوطئتهم بعدَ السَّنا تحت السنابك، واقتسمَ لحومَهم عُقْبانُ السماءِ وسباعُ الأرض، فكم من رِجْلٍ رَجُلٍ طالما قامَتْ فَصَلَّتْ فُصِلَتْ، وكم من يدٍ بالدعاء رُفِعت وَقَعَتْ، وكم من بطْنٍ حَمَلَ بالصيام ما شَقَّ شُقَّ[6]، وكم من عينٍ كانت تعينُ الحزينَ بالفيض وقعت في منقار طائر!.

هذا حديثُ الأجسام، فأما الأرواحُ ففي دار السلام، والله ما كانتْ إلا غفوةً حتى أعطاهم العفُو عفواً[7] عَفْوَه، وكأنّكم بأجسادِهم التي تفرقت قد تلفقت[8]، وبالقبورِ التي جمعتهم قد تَشَقَّقَت، وقد قاموا بالسلاحِ حولَ العرشِ، ينادونَ بلسانِ الحالِ: عن صاحبه حارِبنا، ولأجلِه قُتِلنا، وكُلومُهم[9] يومئذٍ قد انفجرت فجَرَت، اللونُ لونُ الدمِ، والريحُ ريحُ المسكِ، فيعلمُ الأشهادُ حينئذٍ أنّهم الشهداء.

اسمع يا من لا يحارب الهوى ولا ساعةً، فلو فاتتك الغنائمُ وحدَها قَرُبَ الأمرُ، وإنّما لقبُ جبانٍ قبيحٌ، أين أربابُ العزائمِ القويّةِ؟! امتلأت بالأبرارِ البَرّيةُ[10]، رحلوا عنا وفاتوا، ونحن مِتْنا وهُمْ ماتوا.

---

(١) القنخر: الصلب الضخم والعظيم الجثة.
(٢) العلندي: الغليظ من كل شيء.
(٣) الضباضب: الرجل القوي القصير.
(٤) الدُّلامز: القوي الضخم.
(٥) إجفيل: الجبان.
(٦) شُق: مزق. ما شق: ما صعب، يريد مكابدة الجوع بالصيام.
(٧) عفواً: فضلاً منه ومنّة.
(٨) تلفقت: تجمعت وتألفت يوم البعث.
(٩) كلومهم: جمع كَلْم، وهو الجرح.
(١٠) البرية: المقبرة.

خلّ طرفي والبُكا إن كنتَ خِلّي[1] فالجِمى أقفرَ من جارٍ وأهلِ
وألحِ مَنْ لم يدْرِ ما طعمُ الأسى أنا عن لومِكَ في أشغلِ شغلِ
لم يدعْ وَقْرُ النوى[2] في مسمعي واعتراضاتُ الهوى باباً لِعَذْلِ[3]
غيرَ قلبي إنْ تأسّى عاشقاً للتأسّي، أو تسلى للتسلي
أأنافٍ[4] ما ترى تشكو الصّلا[5] أم قلوبٌ بين حصباءٍ ورملِ
هذِه مِنْ بعدِهم آثارُهم والتجافي عن بِلى الأطلالِ يُبلي[6]
ما وقوفي في محلٍّ ساكنٍ في فؤادي أهلُه لا في المَحلّ
يتمنّى طيفَكُم صَبٌّ[7] لكم مستهامٌ[8] والمُنَى جَهْدُ المُقِلّ
والذي يستجلِبُ الطيفَ الكَرى مَنْ لعيني أن تَرى النومَ ومَنْ لي؟
بِعْتُ حِلمي طائعاً لا كارهاً بسفاهي فاشتَرَوْا عِزّي بِذُلّي
وانقضى أكثرُ عمري في القِلَى جفوةً منكم فَرُقُّوا للأقلّ
حَمّلُوني الخِفّ من هَجْرِكُمُ وارْحَمُوا مَنْ مَا لَهُ طَاقة بِثقل
عجباً لي ولقلبٍ ضائعٍ ضاعَ عني بين باناتٍ وأثْلِ
سل بقلبي عن خيامٍ في اللِّوى تاهَ قلبي في حماها ضَلَّ عَقْلِي
ذاتُ[9] طَوْقٍ مثلُ شَجْوي[10] شجوُها غيرَ أنْ ما شَكْلُها في الحُزْنِ شَكْلي
أنا في النَّوْحِ اضطراراً مثلُها وهي في غيرِ اضطرارٍ فيه مثلي

---

(١) الخِلّ: الصديق المختص، وهو بالكسر والضم، ولا يضم إلا مع الودّ، والخليل: من أصفى المودة.

(٢) النوى: البعاد.

(٣) عذل: لوم.

(٤) أناف: جمع أنْفية، وهي أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القدر.

(٥) الصّلا: النار.

(٦) يبلي: يتلف.

(٧) الصبّ: من الصبابة، وهو الشوق، أو رقته، أو رقة الهوى، والصب: العاشق.

(٨) مستهامٌ: شديد الحبّ، هَيْمان.

(٩) ذات طوق: كناية عن الحمامة.

(١٠) شجوي: حزني.

حَـرَّمَ الله علـى البـانِ الصَّبـا وحَماهُ الغيثُ من طَلٍّ[1] ووبل[2]
مـا علـى السـائِـقِ لـو حـلَّ الثَّقـا وأراحَ العِيْـسَ[3] مـن شـدٍّ وحَـلّ
فعسـى تُـدْنـي المُنـى مِنّـي مِنّـى ولعلّـي أنْ أرى الخَيْـفَ لعلّـي

* * *

(١) طل: مطر خفيف أو أخف المطر وأضعفه، أو الندى، أو فوقه ودون المطر، والجمع: طلال.

(٢) وبل: المطر الشديد الضخم القطر.

(٣) العيس: الإبل البيض مع شُقْرة يسيرة، واحدها: أعيس وعيساء.

الفصل التاسع والأربعون

عجباً لراحلٍ عن قليل، غافلٍ عن زادِ الرحيل، لا يعتبر بأَخْذِ الجيلِ[1]، وإنّما هو تأخيرٌ وتعجيل، أين النزيل؟ أزيل. أين القويم؟ أميل. أينَ المطمئنُّ؟ أغتيلَ.

إنَّ الليـالـيَ لا تَبْقـى علـى حـال ... والنَّـاسُ مـا بيـنَ آمـالٍ وآجـالِ
كيـفَ الســرورُ بـإقبـالٍ وآخـرُه ... إذا تـأمَّلْتَـه مَقْلُـوبُ إقبـالِ[2]

تيقَّظوا فالأيامُ دائبة، وتحفَّظوا فالسهامُ صائبة، واحْذَرُوا دنياكم فما هي مواتيةٌ، واذكروا أُخراكُم فها هي آتيةٌ.

أما رأيتُم الدُّنيا فقد أبانت خُدَعها ومَكْرَها، إذ أبانت مَنْ جَمَعَها مُكرَها[3]، أينَ الارتيادُ للسلامةِ غداً؟! أين الاستعدادُ قبلَ الندامةِ أبداً؟!.

كأنكم بالمسيرِ عن الرَّبْعِ قد أَزِفَ، وبالكثيرِ من الدمع قد نَزِفَ، وبالمقيمِ قد أُبينَ مما أُلِفَ، وبالكريم قد أُهينَ لما تَلِفَ.

يـا طـالـبَ الـدُّنيـا دنـا فِـراقُهـا ... تـزويجُهـا أسـرعُ أمْ طـلاقُهـا
ودينُ مَنْ يخطبُها صَداقُها

عبادَ الله! من تعلَّقَ قلبُه بالجنّةِ لم يصلحْ لنا، فكيفَ بمَنْ يَهْوى الدنيا؟!.

أَرْدَنـاكُـمُ صِـرْفـاً فلمّـا مُـزِجْتُـمُ ... بَعـدْتُـم بمقـدارِ التفـاتِكُـمُ عنّـا
وقلنا لكم: لا تُسْكِنوا القلبَ غيْرَنا ... فـأسكنتـمُ الأغيـارَ، مـا أنتـمُ مِنّـا

السلطانُ لا يزاحَمُ في دارِه «لا يسعني شيءٌ، ويسعني قلبُ عبدي المؤمن»[4]

---

(١) أخذ الجيل: أي بإهلاك أمة بعد أمة.
(٢) مقلوب إقبال: إدبار.
(٣) أي: إن الدنيا تفصل من جمعها عما جمعه من الدنيا مجبراً.
(٤) تقدم تخريجه.

غِبْتُمْ عَنِ العَيْنِ القريحةِ فيكمُ وَسَكَنْتُمُ في القلبِ دارَ مُقامِ
وسلَبْتُمُ جَلَدي التصبُّرَ عَنْكُمُ فالصَّبْرُ أولُ راحلٍ بسلامِ

خرجَ المريدُ الصادقُ من ديار الهوى إلى بادية الطلَب، فجَنَّ عليه ليلُ التَّحَيُّرِ فجُنَّ، فإذا نارُ القِرى تلوح إنْ حمَلتْ رجلُ الرجل.

(لمهيار)[1]:

قد أبصرتْ حقّاً مُناها في الحِمَى وظَنَّها بحاجرٍ يقينا
فَبَلَغَتْ أدعو لها وبَلَّغتْ وخانَني مَنْ لم يقلْ: آمينا

كَرْبُ المُحِبِّ بالنهارِ يَشْتَدُّ لمزاحمة رُقَباءِ المخالَطة، فَبُلْبُلُ بِلْبالِه يتقلقلُ في قفص الكَتْم، فإذا هبّت نسيمُ السحر، وجد روحُه روحاً يصل في قصر مصر المنى إلى أرض كنعانَ الأمل، فيقدم ركبُ الشوق يتحسس النسيمَ من فُرَج الفَرَج وَلَهُ وَلَهٌ، فنهض تَوَقُ الشوقِ، فتكلَّمَ قلمُ الشكوى، ورَقَم وصفَ القوم، وحكى ما حاكى، وكَنّى عن ما كَنَى.

عادَ القلبَ غرامُهُ وجَفا الجفْنَ مَنامُهُ
كلّما قلتُ جَوَى الشوقِ خبَا زادَ اضطرامُهُ
أنا في أَسْرِكَ والمأسورُ قد يُرعَى ذمامُهُ
آهِ من عَتْبِكَ في الليلِ إذا جُنَّ ظلامُهُ
سيدي هائمُك الحيرانُ قد زادَ هُيامُهُ
هو مِتٌّ غيرَ أنْ لم تَبْلَ في التُّرابِ عظامُهُ
كنهاري منذُ فارقْتُكَ ليلي لا أنامُهُ

إذا اعتكرَ الليلُ اعترك الهمُّ، طالَ الدُّجى على الأبدان، وقَصُرَ على القلوب.

شكَوْنا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا: ما أقصرَ الليلَ عِنْدَنا

لو رأيتَ رواحِلَ الأبدانِ قد أنضاها طولُ السهرِ وأضناها، فلمّا هبّتْ نجديةُ

---

(١) من قصيدة كتبها إلى العميد نجم الدولة بن المزرع. انظر: ديوان شعره: ٤/ ٩٣-٩٧.

السحرِ مدَّت أعناقَ الشوقِ فزالَ كلُّ الكَلال.

(الصُّوَدُز)[1]:

تـزاوَرْنَ عـن «أذرِعـاتٍ» يمينـا ... نـواشـزَ ليـسَ يُطِقـنَ البُـرينـا[2]
كَلِفـنَ بنجـدٍ كـأنَّ الـريـاضَ ... أحـذن لنجـدٍ عليهـا يمينـا
وأقسـمـنَ يَحْمِلـن إلا نحيـلاً ... إليـه ويُبْلغـنَ إلا حـزيـنـا
ولـمـا استمعـنَ زفيـرَ المشـوقِ ... ونـوحَ الحمـامِ تَـرَكْـنَ الحنينـا
إذا جئتمـا بـانـةَ الـواديـيـنِ ... فَأَرْخُوا النسوعَ، وحُلّوا الوضينا[3]
فثَـمَّ عـلائِـقُ مـن أجلهـا ... مُلاءُ الدُّجى والضُّحَى قد طَوَيْنا
وقـد أنبـأتْهـم مياهُ الجفـونِ ... بـأنَّ بقلبِـكَ داءً دفينـا

دموع الخائفين يَحْبسُها بالنهار مراقبة الخلق، فإذا جُنَّ الليل انفتحَ سِكْرُ الدموع ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].

أرواحُ الأسحار أقوات الأرواح، وقُّت فَرَقَت[4] حرَّ جدِّ الوَجْدِ، وبلَّغَتْ رسائلَ الحُبِّ، ومكروبُ الشوق يرتاحُ للرياح.

يـا نسيـمَ الـريـحِ هـلْ مـن وِقْفَـةٍ ... تُطفئُ الغُلةَ[5] أو تشفي الأُواما[6]
كـن رسـولاً بسـلام عـائِـداً ... نحـو مَـنْ أنفـذ لي فيـك السلاما
لـم تُثِر شجـوي حمـاماتُ اللِّوى ... بـل غـرامي علَّـمَ الشجـوَ الحمـاما

كانت (بُردةُ العابدة) تنادي في جَوْف الليل: غارتِ النجومُ، ونامتِ العيونُ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِه، وقد خلَوْتُ بك يا خيرَ محبوبٍ، أفتراك تعذّبني وحُبُّك في قلبي؟ لا تفعل يا حبيباه.

---

(١) مطلع قصيدة يمدح بها رئيس الرؤساء ابن المسلمة عام (٤٤٨هـ). انظر: ديوان شعره، ص ١٥.

(٢) أذرعات: بلد في أطراف الشام. البرة: حلقة تجعل في أنف البعير يكون فيها زمامه.

(٣) النسوع: حبل يشد به الرحل. الوضين: بطان عريض منسوج يكون للهودج.

(٤) وقت الأولى: أي لطفت. فرقت: من الترقية والسمو.

(٥) الغُلة: العطش أو شدته أو حرارة الجوف.

(٦) الأُوام: كالظُّراب: العطش، أو حَرّهُ.

إن شئت سألتَ دمعَ عينيَ عني ... يخبرْك بأنني أسيرُ الحُزنِ
منكَ العفوُ والخطايا مني ... ظني حسن فيك فحقق ظني

يا غافلَ القلب! ما هذا الكلام لك، ليسَ على الخرابِ خراجٌ، لا يعرِفُ البَرَّ إلا سائحٌ، ولا البَحْرَ إلا سابحٌ، ولا الزنادَ إلا قادحٌ.

ضَمَّنا يومَ تنادَوْا لِلْقا ... موقفٌ يعرِفُهُ مَنْ عَشِقَا

لما عَشِقَتِ اللبلابةُ[1] الشجرَ، تَقَلْقَلَتْ طلباً لاعتناقِ الرؤوس، ولثمِ الخدودِ، فقيلَ لها: مع الكثافة لا يمكن، فرضيت بالنحولِ، فالتَفَّتْ فالتَفَتْ.

حُبيَ والوجدُ أورثاني سُقْما ... هذا جِسْمي يُعَدُّ عَظْماً عَظْما
دعنيَ والشوقُ قد كفاني خَصْما ... يا سهمَ البَيْنِ قد أصبتَ المَرْمى

* * *

(١) اللبلاب: نبات عشبي معترش يلتف على المزروعات والشجر.

الفصل الخمسون

إخواني! مَنْ تفكّرَ في دنوبه بكى، ومن تلمّحَ سيرَ السابقين وانقطاعه شكا، ولا أقلقَ القلبَ مثلُ الحزن ولا نَكا[1].

عندَ قلبي علاقةٌ ما تُقضى ... وجوًى كلّما ذوى عاد غضّا
وبكاءٌ على المنازلِ أبلتْهُ ... أيدي الأيامِ بَسْطاً وقبضا
مَنْ معيدُ أيامِ ذي الأثْلِ أو ما ... قلّ منها ديناً عليّ وقرضا
سامحاً بالقليلِ مِنْ عهدِ نجدٍ ... رُبّما أقنعَ القليلُ وأرضى
مهدياً لي من طيبِ أرواحِ نجدٍ ... ما يُداوي نفسَ العليلِ المُنَضّى

إخواني! تفكّروا في ذنبِ أبيكم ونزوله بالزلل، ويكفيكم رَمْزٌ إلى آدم بأنك عبد، في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه: ١١٨]، لأنّ العبدَ ليس له إلا ما سدَّ الجَوْعة وسترَ العَوْرة، فجاء إبليسُ يُطمِعُه في الملك، فلمّا خرجَ إلى الطمعِ خَرجَ.

نامَ في الجنة فانتبه، وقد خلقت له حوّاء، فقال: ما هذا؟ قيل: مَنْ يريدُ النومَ يُخلَقُ له ضجيعٌ، كفى بالشوقِ مُسْهِراً، فلمّا وقعَ في الزَّلَلِ طارَ النوم.

متى شُقَّ جَيْبُ الجُنحِ بالبارقِ الوَمْضِ ... وهَبّتْ قَبولٌ فالسَّلامُ على الغُمْضِ

بالأمس جبريلُ يَسجُدُ له، واليوم يُجرُّ بناصيته للإخراجِ، ولسانُ حالِه يستغيثُ:

حُداةَ العيسِ رفقاً بالأسيرِ ... ليغنَمَ نظرةً قبلَ المسيرِ
ويا بانَ الحِمَى هل فيكَ ظِلٌّ ... فعندَ حشايَ مزدَحِمُ الزفيرِ
ويا ريحَ الشمالِ بحقِّ جِسْي ... وصدقي هل مَرَرْتِ على الغديرِ؟

---

(١) نكا: من نكأ، يقال: نكأ القرحة: قشرها قبل أن تبرأ فَنَدِيَتْ، ونكأ العدو: جرحه وقتله.

وهلْ سَحَبَتْ على شِبْحٍ ورَنْدٍ ... ذُيولَكِ يا مُبَلْبَلَةَ الضميرِ؟

بكى من زلته ثلاثمئة حتى سالت الأودية من دموعه[1]، اسمع يا مَنْ يَضحَكُ عند المعاصي:

سلُوا بعدَكم وادي الجِمى ما أَسالَهُ ... دمِيْ ودمُوعي في هواكُم أمِ القَطْرُ
وهل ما أراهُ الموتُ أم حادِثُ النَّوى ... وهل هو شوقٌ في فؤاديَ أمِ الجمرُ؟

كان يقول لولده: يا بُنيَّ طال والله حُزْني على دارٍ أُخرجتُ منها، فلو رأيتَها زهَقَتْ نفسُك.

قِفْ فَتِلْكَ الطلولُ ... وابْكِها يا رسولُ
واقرَ[2] عَنِّي سلامي ... مَنْ عَلَيْها نزولُ
رُبَّ سكانِ دارٍ ... في فؤادي حلولُ
فاسألِ الدارَ عنهم ... واستَمِعْ ما تقولُ
لي وللبينِ فيهم ... شرحُ حالٍ يطولُ
قد كفاني غَرامي ... لا تَزِدْ يا عذولُ
ليتُ أدري إذا ما ... لُمْتني ما أقولُ
خلَّفوني مُعَنّى[3] ... والمُعَنّى حَمُولُ

كانت الجنةُ إقطاعَنا فَحُلَّ الإقطاعُ بجنايةِ لُقمة، فلما غَسلَ آدمُ جَنابَةَ الجِنايةِ رُدَّ الإقطاع عليه، لولا لطف ﴿فَتَلَقَّىٰ﴾ [البقرة: ٣٧]، لقتله الأسف.

مَنْ لي مَنْ لي بَوَصْلٍ حِبٍّ نازحْ ... لو بيعَ بمُهجتي لكنْتُ الرابحْ
صالحْ مَنْ عاشَ بالأمانيّ صَالحْ ... سامِحْ في النقدِ يا حبيبيَ سامحْ

يا مَنْ جرى عليه ما جرى على أبيه، أُسلكْ طريقَه من البكاء.

خَلِّ دمْعَ العينِ يَنْهِلْ ... بانَ مَنْ تهواهُ فاحتملْ

---

(١) هذا من الإسرائيليات الباردة البعيدة.
(٢) واقرَ: أصلها واقرأ: أي: ألق السلام.
(٣) معنّى: متعب.

كـــلُّ دمـــعٍ صـــائـــدُهُ كَلِـــفٌ فهـــو يـــومَ البَيْـــنِ مُبْتَـــذِلْ

اكتبْ قصةَ النَّدم بِمِدَادِ الدُّموع، وابعثها مع ريح الزَّفَرات، لعلَّ الجوابَ يصلُ برفع الجوى[1]:

كيف لا أبكي على عيشٍ مَضى بعـــتُ عمـــري بحقيـــرِ الثَّمـــنِ
كيفَ أرجو البُرْءَ من داء الهوى وطبيبـــي فـــي الهَـــوَى أمـــرَضَـــني

انتبه لنفسك يا مَنْ كلما تَحرَّك تَعَرْقَل، فيك جوهريةُ السِّباق، ولكن تحتاجُ إلى رائض، قَلْبُكَ محبوسٌ في سجنِ طَبْعِك، مقيّدٌ بقيود جهلك، فإذا ترنَّم حادِ تنفَّسَ مشتاقٌ إلى الوطن، فالبَسْ لأمةَ[2] عَزْمِك، وسِرْ بجُنْدِ جِدِّك، لعلّك تُخلِّصُ هذا المُسْلِمَ من أيدي القراعة.

أبـــالغـــورِ تشتـــاقُ تلـــك النُّجـــودا رميـــتَ بقلبِـــكَ مـــرمًـــى بعيـــدا
فـــؤادُ أسيـــرٍ لا يُفْـــدى وجفـــنُ قتيـــلٍ البكـــا ليـــسَ يُـــرْدَى

لك الحديثُ يا مُعْرِضُ، أنتَ المرادُ يا غافلُ، يا مُستلِذّاً بَرْدَ العيش تَذَكَّرْ حرقةَ الفُرْقة، يا مَنْ يُسْلِمُهُ موكّلان إلى موكّلين، ما لانبساطِكَ وَجْهٌ، إنَّما تُملي عليهما رسالةً إلى ربك، وما أراكَ تَملُّ قُبحَ ما تُملي.

يا جامدَ العينِ اليوم، غداً تدنو الشَّمْسُ إلى الرؤوس، فَتَفْتَحُ أفواهُ مسامِّ العروقِ، فتبكي كلُّ شَعَرةٍ بعَيْنِ عُروقِها.

يبرزُ يوسُفُ الهيبة، فيقُدُّ قميصَ الكونِ.

نفخُ الريحِ اليومَ يحرّكُ الشجَرَ، ونفخُ الصورِ غداً يعمَلُ في الصُّوَر.

ريحُ الدنيا بَيْنَ مُثيرٍ ولاقح، تُثيرُ دفائنَ النباتِ، وتلقحُ الثمار، [وتثيرُ الأعمار][3]، وريحُ الأخرى تلقّحُ الأشباحَ للأرواحِ لقراءةِ دفاترِ الأعمارِ.

---

(١) الجوى: الحرقة وشدة الوجد.
(٢) اللأمة: عُدة القتال.
(٣) زيادة من (ب).

أين الذين نَصَبوا الآخرة بين أعينهم فَنَصَبوا[1]، وندَبوا أنفسهم لمحو السيئات وَنَدَبوا[2].

كان (داود الطائي) ينادي بالليل: همُّك عطَّلَ عليَّ الهموم، وحالَف بيني وبينَ السهاد، وشوقي إلى النظرِ إليكَ حالَ بيني وبين اللَّذات، فأنا في سجنك أيها الكريمُ مطلوبٌ.

يـا مـالـكَ مُهجَتـي ووَالـيَ دِينـي ... كـمْ ينشـرُني هـواكَ وكـمْ يطـويني
هِجْـرانُـك مَـعَ مَحبّتـي يُضْنِينـي ... هـل تُـدرِكنـي بنظـرةِ تُحْيِنِّـي

إذا جَرَّ الغاسق[3] جُرَّ العاشق.

طـالَ ليلـي دون صَحْبـي ... سَهـرتْ عينـي ونـامـوا

كانوا يتراسلون بالمواعظ لتقع المساعدةُ على اليقظة، كصياحِ الحارسِ بالحارسِ: يا نيامُ السَّحور[4].

(للمصنف):

عَرِّجـوا بـالـرفـاقِ نحـوَ الـرَّكْـبِ ... وقِفُـوا وقفـةً لأَنْشُـدَ قلبـي
وخـذوا لـي مـن النَّقيب لِماظاً[5] ... أَوْردوا بـي إلـى العُـذَيْبِ وحَبّبي
فهـوبُ الـريـاح مـن أرضِ نجـدِ ... قُـوتُ روحـي وحبَّـذا مـن هَبـبْ
يـا نسيـمَ الصَّبـا ترفَّـمْ على الدَّوْحِ ... بصـوتٍ يُشْجِـي وإنْ طـارَ لُبـي
مَـنْ مُعيـدٌ أيـامِنَـا بِلِـوى الجَـزْعِ ... وهيهـاتَ أيـنَ مِنِّـيَ صَحْبـي

* * *

(١) نصبوا الأولى: جعلوا ووضعوا. ونصبوا الثانية: تعبوا.
(٢) ندبوا الأولى: من الندب، وهو الدعاء؛ أي: دعوا. وندبوا الثانية: من الندبة: أي البكاء.
(٣) جَرَّ الغاسق: أي ستر الليل بظلامه.
(٤) السَّحور: طعام السحر وشرابه، يشير إلى حظ الأرواح من نعمات السحر.
(٥) لماظاً: جمع لُمظة؛ يقال: تلمّظ، إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه أو مسح به شفتيه.

الفصل الحادي والخمسون

أين اللاهونَ بالمُراح زَاحوا؟ أين شَاربوا الراحِ راحُوا؟ وبكَ يا صاحِ صَاحُوا، لقد نَدَبُوا في قبورِهم على الوَنَى[1] وناحُوا:

يـا أيُّهـا الـواقِـفُ بـالقبـورِ ... بَيْـنَ أُنـاسٍ غُيَّـبٍ حُضُـوْرِ
قـد سكنـوا فـي جـدَثٍ مَعْمُـورِ ... بيـن الثَّـرى وجَنْـدلِ الصُّخـورِ
يتنظـرون صَيْحَـةَ النشـورِ ... ولا تَـكُ عـن حَظِّـكَ فـي غـرورِ

أين أربابُ المَناصبِ؟ أبادهم الموتُ المُناصِبُ[2]، أين المتجبِّرُ الغاصبُ؟ أذلَّه عـذابٌ واصـبٌ[3]، لُفَّتْ ـ والله ـ الأكفانُ كـالعَصـائب، على تلْـك العَصائب[4]، وحلَّت بهم آفاتُ المصائب، إذ حلَّ بَلابَلهم[5] سهمٌ صائب، فيا من يأمن هذه النوائب، أحاضرٌ عندنا أنتَ أم غائب؟!.

كم عاصٍ باتَ في دَنوبه، يَتَقَلَّبُ على فراشِ عيوبه، بين مزمارٍ ومِزْهَرٍ، ومُنْكِرٍ ومُنْكَرٍ، فجاءه الموت فجأةً، فأنساهُ ولَدَه ونساءَه، وجلَب مساوِءه ما سَاءَه، فنُقِلَ إلى اللحدِ ذميماً، ولقي من غِبِّ[6] المعاصي أمراً عظيماً.

بينـا تَـراهُ غـادِيـاً رائحـا ... فـي نِعَـمٍ غَـادِيـةٍ رَائِحَـهْ
إذا بيـوم طـالـحٍ مُخـرِجٍ ... مـن خِبْـئِـه آمـالَـه الصـالحـهْ
كـم سـالـمٍ صبَّحَـهُ مـوتُـه ... وقـائـلٍ عَهْـدي بـه البـارحـهْ

---

(١) الونى: التكاسل والتباطؤ.
(٢) المناصب: المعادي.
(٣) واصب: متتابع مستمر.
(٤) العصائب: الأولى جمع عصابة، وهي كالعِمامة. والثانية: جمع عِصابة، وهي الجماعة من الناس.
(٥) لبانهم: جمع لبة، وهو موضع النحر من الصدر.
(٦) غب: عاقبة.

أمسى وأمستْ عندَه قَيْنَةٌ ... فأصبَحَتْ تَنْدُبُهُ نائِحَهْ
فكُنْ من الدُّنيا على صيْحَةٍ ... وأيُّها ليْسَتْ له صائِحَهْ
مَنْ كانت الدُّنيا به بَرَّةً ... فإنَّها يوماً له ذابحَهْ

واعجباً لمن رأى هلاكَ جنسِه ولم يتأهَّبْ لنفسِه!.

قال البازيُّ للديك: «ليسَ على الأرضِ أقلُّ وفاءً منك، أخَذَكَ أهلُك بيضةً فحضنوك، فلما خرجتَ جعلوا مَهدَك حجورَهم ومائدتَك أكُفَّهم، حتى إذا كبرتَ صِرتَ لا يدنو منك أحدٌ إلا طرتَ ها هنا وها هنا وصِحْتَ، وأنا أخذتُ وحشيّاً من الجبالِ فعلَّمُوني ثم أرسلوني، فجئتُ بصيدي».

فقال له الديك: «إنك لم ترَ بازيّاً مشويّاً في سفود، وكم قد رأيتُ في سفودِ منْ ديكٍ».

إخواني! الزهدُ في الدُّنيا زُبْدُ مَحْضِ مَحْضِ الفكر، حظُّ الحريصِ على الدنيا في الحضيض، والقَنُوعُ في أعلى الذُّرَى، سائقُ الحِرْصِ يضربُ ظهرَ الحريص بعصا التَّخريضِ، فلو قد عَصَى الهوى كَفَّتِ العصا، كلّ ما زادَ على القوتِ فهو مستخدِمُ الكاسب!.

يا موغلاً في طلب الدنيا! الحسابُ حَبْسٌ، فإن صحَّ لك الجواب تعوَّقْتَ بمقدار التَّصحيح، وإن لم يصحَّ فمطمورة[1] جهنم.

ويحك! طالعْ دستورَ عَمَلِكَ تَرَ كلَّ فِعْلِك عليك. مَنْ وقَفَ على صراطِ التقوى، وبيده ميزانُ المحاسبةِ، ومَحَكُّ الورع، يستعرضُ أعمالَ النفس، ويرفُّ البَهرجَ[2] إلى كِيرِ التوبةِ، سَلِمَ من رَدِّ الناقدِ يوم التفييض.

ويحك! سلطانُ الشبابِ قد تولّى، وأميرُ الضَّعف قد تولّى[3]، ومِعْوَلُ الكِبَرِ يعرقلُ حيطانَ دار الأجل.

وحسبُك داءً أن تصحَّ وتسلما

---

(١) المطمورة: حفرة يطمر فيها الطعام وغيره.
(٢) البهرج: الزيف المغشوش.
(٣) تولى الأولى: ذهب وانصرف. وتولى الثانية: من التولي والتحكم.

قِفْ على تَنِيةِ الوداعِ نادباً قبل الرحيل على ديارِ الأُلفةِ.

يـا منـزلاً لـم تُبْـلَ أطـلالُـه ... حـاشـى لأطـلالِـكَ أن تَبْلـى
والعشـقُ أولـى مـا بكـاهُ الفتـى ... لابـدَّ للمَحْـزون أن يَسْلـى
لـم أبـكِ أطـلالـك لكنَّنِـي ... بكيـتُ عَيشِـي فِيْـكِ إذ وَلَّـى

كان (ثابت البُناني) يستوحش لفَقْد التعبُّد بعدَ موته، فيقول: «يا ربِّ إن كنتَ أذنتَ لأحدٍ أن يُصلي في قبرِه فأذَنْ لي».

وكان (يزيد الرَّقاشي) يقول في بكائه: يا يزيدُ مَنْ يبكي بعدَك عنك؟! من يترضَّى ربَّك لك؟!.

أحبُّكُـم مـا دمـتُ حيّـاً وإن أمُـت ... فـوا كبـدي مَـنْ ذا يحبُّكـم بَعـدي

لمّا علم المحبونَ أن الموتَ يقطعُ التعبُّداتِ كرهوه لتدومَ الخدمة.

جاء مَلَك الموت إلى موسى عليه السلام ليقبضه فلطَمَ عينَه[1]، فإذا قامت القيامةُ بادر إلى العرش[2]، طالتْ غيبته فاستعجلَ استعجالاً مشوق.

كانوا يحبّون أماكن الذكر ومواطنَ الخلوة، والمؤمنُ أَلْوف للمَعَاهد، عهدٌ عند المُحبِّ لا ينساه، «أسكن حراء»[3].

---

(١) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه الحديث في لطم موسى عليه السلام، وفيه: «... أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكّه، ففقأ عينَه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريدُ الموت! قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إليه فقل له...» الحديث. وللعلماء في اللطم هذا تأويلات تُراجَعُ في الشروح.

(٢) في صحيح البخاري برقم (٢٢٣٤): عن أبي هريرة: أنه ﷺ قال: «لا تخيروني على موسى، فإنّ الناس يُصعقون يوم القيامة، فأصعقُ معهم، فأكونُ أوّلَ من يُفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله». وانظر كذلك برقم (٣١٥٦، ٦٠٣٦، ٦٩١٨).

(٣) تكرر اهتزاز جبل أُحد وحراء تحت النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، انظر كتاب: فضائل المدينة المنورة، للدكتور خليل ملا خاطر: ٣/ ٨٧.

اخْبِسَا الركبَ بوادي سَلَمٍ فبذاكَ المُنْحنَى طُلَّ دَمِي
وانشُدا قلبيَ في سُكَّانِه فمِنَ السُّكانِ أشكو ألَمِي
أخذوا قلبي، وأبَقَوْا جَسَدي فوجودي بعدَهُ كالعَدَمِ
صِلْ مُجِبّاً جفنُه لم يَنَمِ وَا بَلائي إنَّ خَصْمي حَكَمِي

وا عجباً لمحبٍّ يستُرُ ذكرَ الحبيبِ بذكرِ المنازلِ، وما يخفى مقصودُه على السامعِ: «أحدٌ جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه»[1].

ألا اسْقِني كاساتِ دَمْعي وغَنِّني بذكرِ سُليمى والربابِ وتَنَعَّمِ
وإياكَ واسمَ العامريةِ إنني أغارُ عليها مِنْ فمِ المُتكلِّمِ

رياحُ الأسحارِ تحملُ الرسائلَ، وتردُّ الجوابَ.

(للخفاجي):

أفي نجْدِ تجاوزكَ القَبولُ أظنُّ الريحَ تفهمُ ما تقولُ
تَغَنَّتْ في رحالِ الركبِ حتى تَشابَهتِ الذوائبُ والذيولُ
صَحبْنا في ديارهمُ صَبَاها تناوبَها التنفُّسُ والنُّحُولُ
وأطرَبنا سحابَ الدَّمْعِ حتى حَسِبْنا أنها مُهَجٌ تَسِيلُ
وعُجْنا ذاهلينَ فما عَلِمنا أنحنُ السائلونَ أم الطُّلولُ؟

ديارُ الأحباب دِرياق[2] هموم المحبين «على أنني منها استفدت سقامي».

كان قيس إذا ذَكَرَ ليلى تعلَّلَ بالآثارِ، واستشفى بالدِّمَنِ[3]، واستنشقَ الصَّبا، وشامَ برقَ[4] بني عامر.

أَقْتَلُ أدواءِ الرجالِ الوَجْدُ وَ قِ[5] نجداً فالغرامُ نجدُ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) دِرياق: لغة في الترياق: دواء السموم.
(٣) الدمن: جمع دمنة: آثار الديار.
(٤) شام البرق: نظر إلى سحابته أين تمطر.
(٥) قِ: فعل أمر من وقى يقي.

حيثُ الرياضُ والنسيمُ أُنُفٌ ... ودَنِفٌ[1] ما يستفيقُ بعدُ

إنَّ الصَّبا إذا جرتْ قادِحةً ... نارَ الغرام ففؤادي الزَّنْدُ[2]

تُعدي المحبينَ الصَّبا كأنّما ... لها على أهلِ الغرامِ حِقْدُ

لا تتلق نفحةً نَجْديّةً ... هَزلاً فهَزلُ النفحاتِ جِدُّ

دعِ الصَّبا فعلُ الهواء كالهوى ... سِيّانَ منه قصرُه والمَدُّ

ما كبدي بعدك إلا جذوةٌ ... لها بترجيع الحنينِ وَقْدُ

يسترُها الجِلْدُ ولولا أدمُعِي ... ما كان يقوى سترَ نارٍ جلدُ

كيف ببرئي والطبيبُ مُمْرضي ... يصدُّ والداءُ العضالُ الصَّدُّ

النَّارُ قلبي والسَّمومُ نفسي ... والماءُ طَرْفي والترابُ الخَدُّ

قد كدتُ أُخْفي عن عيونِ عُذَّلي ... كذا وجودُ العاشقين فَقْدُ

* * *

(١) دنف: الدنف المرض الملازم.

(٢) الزند: العود الذي يقتدح به النار.

الفصل الثاني والخمسون

العُزلةُ حميةُ البدَنِ، والمناجاةُ قوتُ القلبِ، ومن أَنِسَ بمولاه استوحشَ مِنْ سواه.

يـا متهـى وحشتـي وأُنسـي ... كـنْ لـي إن لـم أكـن لنفسـي
أطمَعَنـي فـي غـدِ نجـاتـي ... حلمُـك عـن سيئـاتِ أمسـي

خُلِقَ القلبُ طاهراً في الأصل، فلما خالطته شهواتُ الحِسِّ تكدَّرَ، وفي العزلةِ يرسبُ الكَدَرُ.

الحيوانُ المميّزُ على ثلاثة أقسام:

- فالملائكةُ خُلِقَتْ من صفاءٍ لا كدرَ فيه.

- والشياطينُ من كدرٍ لا صفاءَ فيه.

- والبشريُّ مركَّبٌ من الضدين.

فالعجبُ أن تقوى عند التقوى.

تقديس الملائكة يدور على ألسنةٍ لا تشتاق بالطبع إلى الفضول، سُبَحُ تسبيحهم عقودٌ ما نظمتها كِلفُ التكليف، ثمراتُ زروعهم نشأت لا عن تعبٍ، سقاها سيحُ العِصْمةِ، فكثر في زكوات تعبُّدِهم قدرُ الواجب ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]. كانت أقدامُ تعبُّدِهم سليمةً، فاستبطؤوا سَيْرَ زَمَنَ[1] الهوى، فقيل: «إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا الله العافية»[2].

وا عجباً! من منحدرٍ في سفنِ التعبدِ يستبطئ مصاعداً في الشمال.

---

(١) زمنى: جمع زَمِن، وهو المبتلى بيّن الآفة.

(٢) لم أجد هذا الحديث بنصه، انظر موطأ مالك، ففيه: «... فإنما الناس مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية» وهذا مروي عن المسيح عليه السلام.

سمعوا بيوسف الهوى وما رأوه، فأخذوا يلومون زليخا الطبع من جنس عتب ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ [يوسف: ٣٠]، فلمّا قالت الدنيا يوم هاروت وماروت: ﴿أَخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣١]، قطعوا أكفّ الصبر، وصاحَ في تلك المواقف مَواقفُ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠].

«إنَّ للحرب رجـالاً خلقـوا»

أَلَهُم أنينُ المذنبين، أو خلُوف الصائمين، أو حُرقة المحبين؟!.

لما عبَّ[1] بحرُ الأمانة يوم ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، توقفتِ الملائكةُ على الساحل، ونهضت عزيمةُ الآدمي لسلوك سبيل الخطر، بل لأقدام المحبِّ إقدام.

يغلبُني شـوقـي فـأطـوي السُّـرى ولـم يـزلْ ذو الشـوقِ مغلـوبـا

لا نحتاجُ أن نناظرَ الملائكة بالأنبياء، بل نقول: «هاتوا لنا مثل عمر، كلُّ الصحابة هاجروا سرّاً، وعمرُ هاجر جهراً، وقال للمشركين قبل خروجه: ها أنا ذا، على عزم الهجرة، فمن أرادَ أن يلقاني فليلقني في بطنِ هذا الوادي».

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي

مذ عزم عمر على طلاق الهوى، أَحَدٌ أهلُه عن زينة الدنيا.

وعـزمـةِ بعثّهـا همـةُ زُحَـلْ من تحتها بمكان التراب مَنْ زَحَلْ

لما ولي (عمر بن عبد العزيز) خَيَّرَ النساءَ، فقال: «من شاءت فلتُقِم، ومن شاءت فلتذهب، فإنّه قد جاء أمرٌ شغلني عنكنّ».

(لمهيار)[2]:

أقَسَـمَ بـالعفـوِ: لا تيَّمـه ظبـيٌ رنـا أو غصـنٌ تـأوَّدى
وكلّمـا قيـلَ لـه: قِـفْ تسـرخ جُزْتَ المدى قال: وهل ثنكَ المدى

---

(١) عبَّ البحر: ارتفع موجه واصطخب.

(٢) من قصيدة يهنئ فيها الوزير أبا المعالي في النيروز. انظر: ديوان شعره، ص٣٣٢ـ٣٣٦.

للعزائمِ رجالٌ ليسوا في ثيابنا، وطّنوا على الموتِ، فحصلت الحياةُ.

إذا ما جرتُ الرمحَ لم يثنني أبٌ ... مُلِحٌّ ولا أمٌّ تصيحُ ورائي
وشيّعني قلبٌ إذا ما أمرتُه ... أطاعَ بعزمٍ لا يروغُ ورائي

يا مختار القدر! اعرف قَدْرَ قدرِكَ، فإنما خُلِقَتِ الأكوانُ كلُّها لأجلك.

يا خزانة الودائع! يا وعاءَ البدائع! يا من غُذِيَ بلبانِ البر، وقُلِّبَ بأيدي الأيادي، يا زَرْعاً تهمي عليه سُحُبُ الألطاف، كل الأشياء شجرةٌ وأنت الثمرةُ، وصوَرٌ وأنت المعنى، وصدَفٌ وأنت الدُّرُّ، ومخضةٌ وأنت الزُّبدُ.

مكتوبُ اختيارنا لك واضحُ الخطِّ، غير أنَّ استخراجَك ضعيفٌ، متى رمتَ طلبي فاطلبني عندك.

ساكنٌ في القلبِ يعمُرُه ... لستُ أنساهُ فأذكُره
غابَ عن سمعي وعن بصري ... فسُويدا القلبِ تُبْصِرُه

ويحك! لو عرفتَ قدر نفسِكَ ما أهنتها بالمعاصي، إنما أبعدنا إبليسَ لأجلك، لأنّه لم يسجد لك، فالعجبُ منك كيفَ صالحته وهجرتنا؟!.

رعى الله من نهوى وإن كان ما رعى ... حفظنا له الوُدَّ القديمَ فضيّعا
وواصلتَ قوماً كنتُ أنهاكَ عنهمُ ... وحَقِّكَ ما أبقيتَ للصلحِ مَوْضِعَا

يا جوهرةً بمضْيَعةٍ، يا لُقْطةً تُداسُ، كم في السماوات مِنْ مَلَكٍ يُسبِّح! ما لهم مرتبة ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ [السجدة: ١٦]، لا يعرفونَ طَعْمَ طعام، وما لهم مقام «ولَخلُوفُ»[1]، أنينُ المذنبين عندنا أوفى من تسبيحهم، سبحان من اختارك على الكلِّ، وجادلَ عنك الملائكةَ قبل وجودِكَ: ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ ﴾ [البقرة: ٣٠]، خلق سبعةَ أبحرٍ، واستَقْرضَ منكَ دمعةً، له ملك السماوات والأرض، واستقرض منك حَبّة.

(للشريف الرضي):

---

(١) من حديث الصيام: «ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» رواه البخاري ومسلم، واللفظ له.

المـــاءُ عنـــدَكِ مبـــذولٌ لـــوارِدِه وليس يرويكِ إلا مَدْمَعِي الباكي

كانت الأمتعةُ المُثَمَّنة واللآلئ النفيسةُ تباعُ بمصر، فلا ينظرُ إليها يوسف، فإذا جاءت أحمالُ صوفٍ من كنعان لم تُحلَّ إلا بين يديه «لا تسأل عن عبادي غيري».

(للخفاجي):

لاحَ وعِقْـــدُ الليـــلِ مسلـــوبُ بـــرقٌ بنـــارِ الشَّـــوقِ مشبـــوبُ
أســـألـــه عنكـــم وفـــي طيِّـــهِ سطـــرٌ مـــن الأحبـــابِ مكتـــوبُ

لو كان في قلبك محبة، لبان أثرُها في جسدِكَ، «عَجِبَ ربُّنا من رجلٍ ثار على وطائه ولحافه إلى صلاته»[1]، تلمّحْ معنى «ثار» ولم يقل قام؛ لأنَّ القيامَ قد يقع بفتور، فأما الثوران فلا يكونُ إلا بالإسراع حذراً من فائت.

إذا هـــزّنـــا الشـــوقُ اضطـــربنـــا لهـــزّه على شُعَبِ الرَّحْلِ اضطرابَ الأراقمِ
فَمِـــنْ صبَـــواتٍ تسْتَقِيْـــمُ بمـــائـــلٍ ومـــن أريحيـــاتٍ تَهُـــبُّ بنـــائـــمِ

إخواني! من نافَرَهُ الوجْدُ، نافرَهُ النوم.

قال (سفيان الثوري): بِتُّ عند الحجاج بن الفرافصة إحدى عشرة ليلة، فما أكلَ وما شربَ ولا نامَ.

اســـأل عينـــي كيـــفَ طعـــمُ الكـــرى عُـــلالـــةً وهـــو ســـؤالُ محـــالِ
وكيـــفَ بـــالنـــومِ علـــى الهجْـــرِ لـــي والنـــومُ مـــن شـــرطِ ليـــالي الـــوصـــالِ

* * *

(١) حديث رواه الإمام أحمد في المسند.

الفصل الثالث والخمسون

يا طويلَ الأملِ في قصيرِ الأجل، يا كثيرَ الزَّللِ في قليلِ العمل، خلاَ لَكَ الزمانُ وما سدَّدت الخلل، أفما عندك وجلٌ من هجوم الأجل؟!.

تجهَّزْ إلى الأجداثِ ويحكَ والرَّمْسِ[1] جَهازاً من التقوى لأطول من حبسِ
فإنَّك ما تدري إذا كنتَ مصبحاً بأحسن ما ترجو لعلّك لا تُمْسي
سأُتعِبُ نفسي كي أُصادِفَ راحةً فإنَّ هوانَ النفسِ أكرمُ للنفسِ
وأزهدُ في الدُّنيا فإنَّ مقيمَها كظاعنها ما أشبَهَ اليومَ بالأمسِ

يا معاشر الأصحّاء! اغتنموا نعمتَي السلامة والإمهال، واحذروا خديْعَتَي المنى والآمال، قد جربتم النفس وتبذيرَها في بضاعةِ العمر، فانتبهوا لانتهاب الباقي: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥].

الدنيا حُلم والموت يقظة، ويوم الحساب تفسيرُ الأضغاثِ، أيامٌ معدودة وسيفنى العدد، وطريق صعبة على قلة العدد، وقد سار الركب ولاح الجُدَدُ[2]، أترى تظن أن تبقى إلى الأبد؟! أما يَعتبِرُ بالوالدِ الولد؟! أين المتحرِّكُ في الهواءِ؟ هَمَد، أين اضطرامُ تلك النار؟ خمد، أين ماءُ الأعراض[3] الجاري؟ جمد، تساوى في الممات الثعلبُ والأسد، وشارك الوَهي[4] بين الحديدِ والمسد! وجمع التلفُ بين عنقاء[5] مَغرب والصُّرَد[6]، واستقام قياسُ النقض للكلِّ واطرد، أفلا ينتبه من رقدته من قد رَقَد؟!.

---

(١) الرمس: الدفن والقبر.
(٢) الجدد: طرائق.
(٣) الأعراض: جمع عِرْض؛ وهي الأودية ذات الشجر.
(٤) الوَهي: الشق والتخرق.
(٥) عنقاء: طائر متوهم لا وجود له.
(٦) الصُّرد: طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار يصيد الحشرات.

يا شاربين من منهل الهوى شربَ الهِيْم[1]، يا جاعلين نهار الهُدى كالليلِ البهيم، يا مقيمين على الدَّنَس وليس فيهم مُقيم، يا سالمين من أمراضِ البدنِ وكلّهم سليم[2]، أتعمرون ربوعَ النِّعَم برُتوع النَّعَم؟ وتستبدلون بالقرآنِ محرّمات النَّغَم، وقد توطنتم ناسين تُروحَ[3] النزوح، فلم تذكروا الممات حتى تروحَ الروح، تالله لِيعودن المستوطِنُ في أهلهِ غريباً، والمُغتبِطُ بفرحه مَغيظاً كئيباً ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج].

أين أرباب البِيضِ والسُّمر، والمراكب الصفر والحمر، والقباب والقب[4] الضمر؟ ما زالوا يفعلون فعلَ الغُمرِ[5]، إلى أن تَقَضّى جميعُ العمر.

يا مَنْ عمرُه قد رحل ووَلّى، كأنّك بك تندَمُ وتتقلّى، والسمع والبصر للموت قد تَلاّ، ويد التناول للتوبة قد شلاّ[6]، والعين تجري وابلاً[7] لا طلا[8]، وعصافيرُ الندم قد أنضجها القلا[9]، وأنت تستغيثُ ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] فيقال: ﴿كَلَّآ﴾ الا كان هذا قبل هذا ألا؟![10].

يا ثقيل النوم، يا بطيءَ اليقظة، يا عديمَ الفهم، أما ينتهك الأذانُ؟! أما تزعجك الحُداة؟! أترى نخاطب عُجْماً، أو نُكَلِّمُ صُمّاً؟! كم نريكَ عيبَ الدنيا! ولكن عينُ الهوى عوراء، كم تكشّفَ للبصرِ قِصَرُ العمر! ولكن حَدقةُ الأمل حولاء.

ليسَ في الدنيا سرورٌ إنّما الدنيا غرورُ

---

(١) الهيم: الإبل المهيومة التي تصاب بداء العطش فلا تُروى مهما شربت.
(٢) سليم: ملدوغ.
(٣) تروح: جمع ترح، وهو الألم.
(٤) القب: الفحل من الإبل.
(٥) الغُمر: الرجل الذي لم يجرب الأمور.
(٦) شلاّ: أي شلاء من الشلل.
(٧) الوابل: المطر الكثير.
(٨) الطل: أضعف المطر.
(٩) القلا: الهجر والبغض.
(١٠) هذا الأولى: إشارة للندم والتوبة. وهذا الثانية: إشارة إلى الموت.

ومـــــآتيـــمٌ إذا فكَّـــــرتَ فيهـــــا وقبـــــورُ

يا من شاب وما تاب ولا أصلح! يا مُعرِضاً عن ما يؤدي إلى الأصلح، ليتَ شعري بعد الشباب بماذا تفرح؟! ما أشنعَ الخطايا في الصِّبا وهي في الشيبِ أقبح، إذ نزل الشيبُ ولم يُزْلِ العيبُ فبعيدٌ أن يبرح.

(للبحتري)[1]:

وإذا تكـامـلَ للفتـى مـن عُمْـرِه خمسونَ وهو إلى التُّقَى لا يَجْنَحُ[2]
عَكَفَتْ عليه المخزياتُ فما لـه متـأخَّـرٌ عنهـا ولا مُتَـزَحْـزَحُ[3]
وإذا رأى الشيطـانُ[4] غِـرَّةَ وجهـهِ حَيَّى وقـال: فَـدَيْـتُ مَـنْ لا يُفْلِحُ

إخواني! فتشوا أحمالَ الأعمالِ قبلَ الرحيل ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، يا مطْلِقي النواظر في محرّم المنظور ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦]، لا يغرنكم إمهالُ العصاةِ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥]، يا من عاهدناه من يوم ﴿أَلَسْتُ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، لا تحلَّ عَقْد العهدِ بأنامل الزَّلل، فما يليقُ بشرفِ قدرك خيانة.

بِحُـرمـةِ الـوُدِّ الـذي بيننـا لا تُفْسِـدِ الأوّلَ بـالآخـرِ

اذكر ملازمةَ المطالبةِ بالوفاءِ في أضيق خناق، يا منكر ويا نكير انزلا إلى الخارج من بساتين الأرواح فانظرا، هل استصحبَ وردةً من اليقينِ أو شوكةً من الشك؟.

قِفوا سَائِلوا بـانَ العقيـقِ هل الهـوى على مـا عَهِدنـا فيـه أم حـالَ حالُـهُ؟

استنكها فمه الذي قال به: ﴿بَلَىٰ﴾ يوم ﴿أَلَسْتُ﴾؟ هل غيَّر طيبه طولُ رقادِ الغفلةِ؟ هل أنجاسُ زللِه مما يدخلُ قليلُها تحتَ العفوِ؟ هل معرفتُه في قليبِ قلبه

---

(١) انظر: ديوان شعره: ١/ ٤٨٢.
(٢) في الديوان: «وإذا مَضَى لِلْمَرْءِ مِنْ أعْوَامِهِ * خَمْسُونَ وَهوَ عَنِ الصِّبا لَمْ يَبْرَحِ».
(٣) في الديوان: «عَكَفَتْ عَلَيْهِ المُخْزِيَاتُ وَقُلْنَ: قَدْ * أضحكتنا وسررتنا لا تبرحِ».
(٤) في الديوان: «إبليس».

يبلغُ قلتين؟ أنا مقيمٌ له على الوفاء في كلِّ حالٍ، فانظر إلى حاله هل حال[1]؟.

(لقيس المجنون):

ألا حبَّذا نجدٌ وطِيْبُ ترابِهِ ... وأرواحُه إنْ كان نجدٌ على العهدِ
ألا ليتَ شعري عن عُوَيْرِضَتَيْ قبا ... بطولِ الليالي هل تغيّرتا بعدي
وعن عَلَويَّاتِ الرياحِ إذا جرتْ ... بريحِ الخُزامى هل تهبُّ على نجدِ

المعرفة غرسٌ في القلب، والتذكار ماء، ومتى جفّتِ المياه عن الغروس جفت، شجراتُ ﴿ أَلَسْتُ﴾ تسقى من مياه « هل من سائل؟»[2].

إذا مَرِضْنَا أتيتُمُ نَزُوْرُكُمُ ... وَتُذْنِبُونَ فَتَأْتِيْكُمْ فَنَعْتَذِرُ

العقلُ ما ينسى إنّما الحسُّ مغفل، سببُ النسيانِ أمراضٌ من التخليطِ، في مطاعم الهوى عَقَدتْ بُخاراً في هام الفهمِ، فإذا عالجها طبيبُ الرياضةِ تحلّلتْ فذكر ما نسي من عهد ﴿ أَلَسْتُ﴾.

قيل للذي النون: أين أنت من يوم ﴿ أَلَسْتُ﴾؟ قال: كأنّه الآن في أذني.

(لمهيار)[3]:

سَلْ أبرقَ الحنانِ واحبسْ به ... أينَ ليالينا على الأبرقِ؟
وكيفَ بانَاكَ بسقطِ الهوى ... ما لم يَجُدها الدمعُ لم تورقِ؟
هل حملَتْ لا حملَتْ بعدنا ... عنكَ الصَّبا عَرْفاً لمستشقِ؟
يا سائقَ الأظعانِ رفقاً وإن ... لم يُغنِ قولي للعَسوفِ: ارفقِ
لولا زفيري خلفَ أجمالهم ... وحرُّ أنفاسيَ لم تنشقِ
سَيَّتَ لي نجداً على بُعْدِها ... يا وَلَّةَ المُشْئِمِ[4] بالمُعْرِقِ[5]

* * *

(١) حال: تغيّر.
(٢) حديث شريف رواه الإمام أحمد في (المسند)، ومسلم.
(٣) في قصيدة يهنئ بها عميد الدولة أبا طالب بالعيد. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٣٧٧.
(٤) المشئم: الذي يأتي الشام، من أشأم.
(٥) المعرق: الذي يأتي العراق، من أعرق.

الفصل الرابع والخمسون

أيها القائمُ على سُوق الشهوات في سُوق الشبهات[1]، ناسياً سَوْقَ[2] المُلِمّات إلى ساقي الممات، إلى كم من الخطأ بالخطواتِ إلى الخطيئات، كم عاينتَ حيّاً فارق حيّاً[3] وكفّاً كُفّتْ بالكِفات![4].

(للشريف الرضي)[5]:

ما أقلَّ اعتبارَنا بالزّمانِ ... وأشدَّ اغترارَنا بالأماني

وقفاتٌ على غُرورٍ وأقدا ... مٌ على مَزلقٍ من الحدَثانِ

في حروبٍ من الردى وكأنا ... اليومَ في هُدنةٍ مع الأزمانِ

وكفانا مُذكِّراً بالمنايا ... عِلْمُنا أننا من الحيوانِ

كلُّ يومٍ رزيةٌ في فلانٍ ... ووقوعٌ من الردى بفلانِ

قل لهذي الهَوَامِلِ استوثقي ... للسيرِ واستبدلي[6] عن الأعطانِ

واستقيمي قد ضمَّكِ اللَّقَمُ النهجُ ... وغَنّي وراء كالحاديانِ

كم مَحيدٍ عن الطريقِ وقد صر ... رَح خَلْجُ[7] البُرَى[8] جَذْبُ العِنانِ[9]

هل مجيرٌ بذابلٍ أو حُسامٍ ... أو معينٌ بساعدٍ أو سنانِ

قد مررنا على الديارِ خشوعاً ... ورأينا البِنا فأين البَاني

---

(١) سُوق الأولى: جمع ساق. والثانيةُ: مكان البيع والشراء.

(٢) سَوق: قيادة.

(٣) حيّاً الأولى: الإنسان الحي. وحيّاً الثانية: الحي والمكان الذي يعيش فيه الإنسان.

(٤) كُفّت: منعت. الكِفات: الموضع الذي يكفت فيه، أي يضم، وهو إشارة للقبر.

(٥) قاله يرثي صديقاً له من بني العباس، هو ابن الإمام المنصوري، الذي توفي سنة (٣٩١هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/٤٥٩.

(٦) في الديوان: «واستنشزي».

(٧) خلج: جذب وغمز.

(٨) البُرَى: جمع بُرَة، وهي حلقة تجعلُ في أنف البعير.

(٩) العنان: سير اللجام. وفي الديوان: «العران».

أين ربُّ السديرِ[1] والحيرةُ[2] البيضاءِ ... أم أيـــنَ صـــاحِـــبُ الإيـــوانِ[3]
والســيــوفُ الحــدادُ مــن آلِ بــدرٍ ... والقنـا الصُّـمُ مـن بنـي الـريّـانِ
ليـس يبقى على الـزمـانِ جَـرِيءٌ ... فـي إبـاءٍ وعـاجـزٌ فـي هَـوَانِ

يا عاصياً بالأمسِ أين الالتذاذ؟ يا مُطالَباً بالجُرْمِ أين المعاذ؟ يا مُتَمَسِّكاً بالدنيا وحبلُها جُذاذ[4]، ما راعثَ مَنْ راعثَ من المحبين ولا الشذّاذ، بل ساوت في الهلاك بين الفقيرِ وكسرى بن قُبَاذ، تخلّص من أسرِها قبل أن يوزُّ الإنفاذ، وقبل أن تجري دموعُ الأسى بينَ وَبْلٍ ورذاذ، إذا نبذوك في القبرِ انتبذوا أيَّ نَبْذٍ وأي انتباذ، فتذكّر ضمةً ما نجا منها سعدُ بن معاذ، ألا يلينُ القلبُ؟ أصخرٌ أم فولاذ؟ تدّعي العجزَ عن الطاعةِ وفي المعاصي أستاذ، وتوزِرُ ما يفنى على ما يبقى وأنت ابن بغداذ[5].

يا مستلَباً عن أهلِه ومالِه! يا خالياً في القبر بأعماله! ليته خلاّك ما منه تخليت، ليته ولّى عنك إثمُ ما عنه توليت، وا أسفاً من حالة حيلتُها ليت.

وكـــلُّ غـنـيٍّ يتبـعُ بـهِ غـنـاءُ ... فمـــرتجَـــعٌ بمـــوتٍ أو زوالِ
وَهَبْ جَدّي[6] زوى لي الأرضَ طيّاً ... أليـسَ المـوتُ يطـوِي مـا زوى لـي

إذا اخضرّ الربيعُ ناحَ الهزارُ، ونَدب القُمْري[7] وأنت تعتقده غناء، إنّما هو بكاء على انتظارِ التكديرِ، ولا يغرنّك صفو العيشِ، فالرسوبُ في أسفلِ الكأسِ، مَنْ لم يسمعْ كلامَ الصامتِ، ولم يسمع عبارة الجامد[8]، فليس بفطنٍ.

---

(١) السدير: بناء، فيه قبة في ثلاث قباب متداخلة.
(٢) الحيرة: بلد ملكها النعمان بن المنذر، وفيها القصور البيضاء.
(٣) الإيوان: قصرٌ عظيمٌ لكسرى، ورد أنه ارتجّ فسقطت منه أربعَ عشرةَ شُرْفةً مع علامات أخرى ليلة مولد الرسول ﷺ. انظر: الإصابة، لابن حجر: ٦ / ٥٢٤، برقم (٨٩٣٤).
(٤) جذاذ: مقطوع.
(٥) بغداذ: اسم من أسماء بغداد. ويقال: تبغدد عليه: زها وتكبر.
(٦) جَدّي: حظي.
(٧) القُمري: طائر حسن الصوت.
(٨) الصامت من المال: الذهب والفضة. والجامد: الحد بين الأرضين والدارين، إشارة إلى عالم القبر، لأنه الحد الفاصل بين عالم الدنيا وعالم الآخرة.

قال (أحمد بن أبي الحواري): رأيتُ شاباً قد انحدرَ عن مقبرةٍ، فقلتُ: من أين؟

فقال: من هذه القافلة النازلة.

قلت: وإلى أين؟.

قال: أتزوّدُ لألحقها.

قلت: فأيّ شيءٍ قالوا لك؟ وأيّ شيءٍ قلتَ لهم؟.

قال: قلتُ: متى ترحلون؟ فقالوا: حتى تَقْدُمون.

وكـم مِـنْ عِبْـرةٍ أصبحـتَ فيهـا ... يليـنُ لهـا الحـديـدُ وأنـتَ قـاسِ
إلـى كـم والمعـادُ إلـى قـريـبٍ ... تُـذكِّـرُ بـالمعـادِ وأنـتَ نـاسِ

ويحك تلَمّحْ عاقبَتَك بعينِ عقلكَ فإنَّها سليمةٌ مِنْ رَمَد، العقلُ مُحْتَسب، إذا وقع بميزانِ الهوى كسر العَلاقة.

يا صبيان التوبة! قد عرفتم شرورَ أعطانِ الهوى، فرحلتم طالبين ريفَ التقى، فحثوا مطايا الجِدّ ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥]، كلّما شَرُفَ المطلوبُ طالت طريقه.

الهرة تحمل خمسينَ يوماً، والختزيرةُ أربعة أشهرٍ، والخفُّ[1] والحافرُ[2] سنةً، فأما الفيل فسبعُ سنين، عمومُ الشجر يحمل في عامه، والصنوبر بعد ثلاثينَ سنة، شرفُ النسل يوجِبُ القِلّة، الشاةُ تلد واحداً أو اثنين، والختزيرةُ تلدُ عشرين.

وأمُّ الصقر مُقلّات نَـزُور[3]

يا هذا! ينبغي أن تكون همتك على قدرك، ولك قدر عظيم لو عرفته.

---

(١) الخف: مجمع فرسن البعير، وقد يكون للنعام.

(٢) الحافر: واحد حوافر الدابة، وهو للخيل، وفي الحديث: «لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر».

(٣) هذا عجز بيت صدره: «بغاثُ الطيرِ أكثرُها فراخا».

إنما خُلِقَتِ الداران لأجلك، أمّا الدّنيا فَلْيَتَزَوّدْ، وأما الأخرى فَلْتَتوطن، أفتراك تعرف مكانة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، أو قيمة ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، أو مرتبةَ «وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً»[١].

تشاغلتمُ عنّا بِصُحْبَةِ غيرنا

إذا صعدت الملائكةُ عن مجلس الذكر، قال الحق: «أين كنتم، فيقولون: عند عبادٍ لك يسبحونك ويمجدونك، فيقول: ما الذي طلبوا ومما استعاذوا؟...»[٢].

يا مَنْ يُسائِلُ عنّي القادمينَ إذا ما كنْتَ بي هكذا صبّاً فكيفَ أنا؟

يا من كان في رفقة ﴿نَتَجَافَىٰ﴾ [السجدة: ١٦]، فصار اليومَ في حزب أهل النوم.

(للشريف الرضي)[٣]:

يا ديارَ الأحبابِ كيفَ تغيَّرتْ ويا عهدُ ما الذي أبلاكا؟
هل تولى[٤] الذين عهدي بهم فيك على عهدهم وأين أولاكا؟
الذّميلَ الذميلَ[٥] يا راكبُ إنّي لضمينٌ أن لا يخيبَ سُراكا

يا هذا! لا تجزع من ذنبٍ جرى، فَرُبَّ زلّةٍ أورثتْ تقويماً، «لو لم تذنبوا...»[٦].

مَنْ لم يَذُقْ مرارةَ الفراقِ لم يدْرِ ما حلاوةُ التلاقي

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء، وقال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً، ولكن ذكره الديلمي في (مسند الفردوس) من حديث أبي الدرداء دون أن يذكر له سنداً.
(٢) روى هذا الحديث بألفاظ متقاربة الإمامان البخاري ومسلم.
(٣) قاله في مدح بهاء الدولة عام (٣٩٧هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٩٩ـ١٠٢.
(٤) في الديوان: «أولاك».
(٥) الذميل: ضرب من السير السريع.
(٦) رواه أحمد في (مسنده) والترمذي والطبراني، وحسنه السيوطي.

ما لم يقع سهمٌ في مَقْتلٍ فالعلاجُ سهلٌ. انحناءُ القوسِ ركوعٌ لا اعوجاجٌ، كانت محبّةُ آدمَ للحبيبِ أصليّةً، وتعبُّدُ إبليسَ تكلُّفاً، والعِرْقُ نزّاع ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]، وإنّما يعالَجُ الرَّمِدُ لا الأكمه[1].

تأمّلوا خسة همّة إبليس إذ رضي بعدَ القرب من السدة بالتقاط القُمامة ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الحجر: ١٨]، إنه ليهجمُ على ساحةِ الصَّدْرِ، فيأخذُ في حديثِ الوسوسةِ، فيصيحُ به حراسُ الإيمان من شرفات قصر «ويسعني»، فيرجع بلقب الخنّاس.

فضائل بني آدم خفيتْ على الملائكة يوم ﴿أَنۢبِئْهُم﴾ [البقرة: ٣٣]، فكيف يعرفها إبليس؟!.

صعد إلى السماء منّا إدريس وعيسى، وجالَ في مجالهم محمد ﷺ، ونزل منهم هاروت وماروت[2]، وتدلّى[3] عندنا إبليس، لو علم المُتَدَلِّ ما قد خُبِّئَ له من البلايا ما سأل الإنظار!.

كلّما غلبَ صاحبَ معصيةٍ، وجلسَ يقسم[4] في تقواه، صدرتْ عن النائبِ نشابةُ ندمٍ، فوقعت في صدرِ إبليس.

أعظم ما على إبليس مجلسي[5]، ما من مجلس أعقِدُه إلا ويقلقُ لما يرى من النفع، واليومَ يُخشى عليه! ما علم أنَّ الجنةَ إقطاعنا، وإنما أُخرجنا عنها مسافرين، كُتُبُ ديارنا تصل إلينا، ورسائلنا تصل إليهم، ويا قرب اللقا!.

كان (فتحُ بن شخرف) يقول: قد طالَ شوقي إليك، فعجّلْ قدومي عليكَ. (لمهيار)[6]:

---

(١) الرمد لا الأكمه: الرمد من بعينه هيجان والتهاب، والأكمه من ولد أعمى.

(٢) سبق التعليق على قصة هاروت وماروت، وأنها لا أصل لها.

(٣) تدلّى: صارت الأرض له داراً.

(٤) يقسم في تقواه: يجزئ ويجفف.

(٥) مجلسي: أي مجلس الشيخ ابن الجوزي في الوعظ.

(٦) مطلع قصيدة كتبها إلى الرئيس أبي طالب بن أيوب. انظر: ديوان شعره: ٢/١٦ ـ ٢٢.

تُمـــدُّ بـــالآذانِ والمنـــاخـــرِ «لحـاجـرٍ» أنّـى لهـا «بحـاجـرِ»[1]؟
أرضٌ بهـا الســائـغُ مِـنْ رَبيعهـا وشـوقُهـا المكنـونُ فـي الضمـائـرِ
ســارتْ يمينـاً والغـرامُ شـامَـةٌ يا سِرْ بها يا «ابنَ الحُداة» ياسِرِ[2]

* * *

(١) حاجر: في لغة العرب: ما يمسك الماء من شفة الوادي، وهو أيضاً موضع قبل معدن النُّقرة، ومنزل من منازل الحاج في البادية.

(٢) في الديوان: «يا بن رواح».

الفصل الخامس والخمسون

يا من شابَ وما تاب! أموقنٌ أنت أم مرتاب؟ مَنْ آمن بالسؤالِ أعدَّ الجواب.

فخُـذْ للسيـرِ أهبتَـه وبـادِرْ وجـوِّدْ جَمْـعَ رحْلِـكَ للـذّهـابِ
فقـدْ جَـدَّ الـرحيـلُ وأنـتَ ممَّـنْ يسيـرُ علـى مُقـدَّمـةِ الـرُّكـابِ

أمّا أندرك بياضُ الشَّمَط؟![1] أما يُبكيك قبحُ ما منكَ فرَط؟![2] إلى متى تجري في الهوى على نَمَط؟! إلى متى تُضيّعُ وقتاً ما مثله يُلتقَط؟! لقد أحاطَ بك المنون وها أنتَ في الوسط، واستلَّ التَّلَفُ سيفَه عليك سريعاً واختَرط[3]. يا من يهفو وينسى، والملَكُ قد ضَبَط. يا منفِقاً نِعَمَ المولى على العصيان ما هذا الشطط؟! امحُ باعترافِك قبحَ اقترافِك وقد انكشط، وقُمْ في الدُّجى والليلُ قد سجى، فربَّ عفوٍ هبط، قد نصحتُك بما أسمعتُك وقد أوقفتك على الخَطَط.

يا مغموراً بالنعم معدومَ الشُّكر، كلّما لَطَفنا بك قابَلْتنا بالمخالفةِ، إنَّه لا عَجَبَ، مِنْ نَزْكِ الشكر إنفاقُ النعم في مخالفة المنعم، هو العجبُ.

هذا عُودُ العنبِ يكون يابساً طولَ السنة، فإذا جاء الربيعُ دبَّ فيه الماء، فاخضَرَّ وخرجَ الحِصْرِمُ، فإذا اعتَصَرَ الناسُ منه ما يحتاجون إليه طول السنة، قُلِبَ في ليلة خَلاًّ، فبانقلابه يوجِبُ للعقلِ الدَّهَش من صنع صانعه، وقدرةَ خالقه! فينبغي أن يُفْرِغَ العقلُ للتفكر، فيأخذُ الجاهلُ العنبَ فيجعله خمراً، فيغطّي به العقلَ الذي ينبغي أن يَحسُرَ عن رأسِه قناعَ الغفلة ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣].

---

(١) الشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده.
(٢) فرط: تقصير في الأمر وتضييع حتى فات.
(٣) اختر ط: استل.

ويحك! قد أطعمتك إياه جِرماً وعنباً وزبيباً وخلاً، فدع الوصف الخامس لي[1]، فقد سمعتَ في كلامي ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١].

أيُّها الضالُّ في بادية الهوى، احذر من بئرٍ بَوَار، وليسَ في كلِّ وقتٍ تتَّفِقُ سيارة[2].

ليل الصِّبا مرخى السُّدْفة[3]، وبخارُ الأماني يعقد دواخنَ الكسل، فانهضْ عن جِفْشِ[4] الكسل، واستنطق ألسن الحِكَم من موضوعاتِ المصنوعات، يُمْلِ عليكَ كَلِماً في دستوره.

يا مقتولاً ما له طالب ثأر، بريد الموت مطلق الأعنّة في طلبك، وما يُخْفيك حصن.

ثوبُ حياتك منسوجٌ من طاقات[5] أنفاسك، والأنفاسُ تسلبُ ذرات ذاتك، وحركات الزمان قويةٌ في النَّسْج الضعيف، فيا سرعةَ التمزيق!.

آن الرحيلُ وما في مزادتك[6] قطرةُ ماء، ولا في مزود[7] عملك قبضةُ زادٍ، وقد أحَلْتَ ناقتَكَ على ما تلقى من العُشب، والجدْبُ عامٌ في العام، ويحك عش ولا تغتر.

يا رابطاً مُناه بخيط الأمل! إنه ضعيف الفَتْل، صياد التلف قد بثَّ الصقور، وأرسل العُقْبان[8] ونصبَ الأشراك[9]، وقطع الجوَادَّ[10]، فكيف السلامةُ؟ تهيَّأ

---

(١) الخامس: أي الخمرة. لي: أي من أجل النهي الذي ورد عن الله.

(٢) سيارة: جماعة تسير في الصحراء.

(٣) السُّدفة: الظلمة.

(٤) الجفش: البيت الصغير.

(٥) طاقات: جمع طاقة وهي كُوّة الخيطان.

(٦) المزادة: آلة يستقى بها الماء كالقربة.

(٧) مزود: وعاء الزاد.

(٨) العقبان: جمع عُقاب، من جوارح الطير وكواسرها.

(٩) الأشراك: جمع شَرَك، وهو الأحبولة تنصب للاصطياد، والفخ.

(١٠) الجواد: جمع جادة، وهو الطريق التي لا تخفى عليك، وهي معظم الطريق.

لصرعة الموت، وأشد منها قَلَقُ[1] القلب، فليت شعري إلى ماذا يؤول الأمر؟.

(للحارثي):

والله ما أدري أيغلبُني الهوى ... إذا جَدَّ جدُّ البَيْنِ أم أنا غالبُهْ
فإن أستطعْ أَغْلِبْ وإن يَغلبِ الهوى ... فمثلُ الذي لاقيتُ يغلبُ صاحِبُهْ

آهٍ من تأوُّهٍ حينئذٍ لا ينفع، ومن عيونٍ صارت كالعيونِ معًا تدمع.

(لمهيار)[2]:

ولمّا خلا التوديعُ مما حَذِرْتُه ... ولم يَبْقَ إلا نظرةٌ تُغْتَنَمُ
بكيتُ على الوادي فحُرِمْتُ ماءَه ... وكيفَ يحلُّ الماءُ أكثرُه دَمُ؟

نُقْلَةٌ إلى غيرِ مَسْكنٍ، وسفرٌ من غير تزودٍ، وقدومٌ إلى بلدٍ ريحٍ بلا بضاعة.

ولمّا تيقنا النوى لم يدعْ لنا ... مسيلُ غروبٍ[3] الدمعِ جفناً ولا خَدّا
فلا صفوةٌ إلا وقد بُدِّلتْ قَذًى[4] ... ولا راحةٌ إلا وقد قُلِّبَتْ كَدّا
فوالله ما أدري وقد كنتُ دارياً ... أغُرِّرَتِ[5] الأظعانُ أم طلبتْ نَجْدًا؟

يا لَساعةِ الموتِ ما أشدَّها، تتمنّى أن لو لم تكن عندَها، وأعظم المِحَنِ ما يكونُ بعدها...

ولم أنسَ موقِفَنا للوداع ... وقد حانَ ممنْ أُحبُّ الرحيلُ
ولم تَبْقَ لي دمعةٌ في الشؤونِ[6] ... إلا غدَتْ فوقَ خدي تسيلُ

---

(١) قَلَقٌ: القلق الهلاك.

(٢) الديوان: ٣/ ٣٤٤.

(٣) غروب: الغَرب عرق في مجرى الدمع يسقي ولا ينقطع كالناسور، يقال: بعينه غرب إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها، والغُروب: الدموع حين تخرج من العين، ومجاري الدمع.

(٤) قذى: ما يقع في العين من تراب دقيق وغيره، مفرده: قَذاة.

(٥) غوّرت: دخلت في الغور ونزلت فيه، وهو ما انخفض من الأرض.

(٦) الشؤون: جمع شأن، وهو مجرى الدمع إلى العين.

فقـالَ نصيـحٌ مـن القـومِ لـي وقـد كـادَ يـأتـي عليَّ الغَلِيـلُ:
تـأنَّ بـدمعِـكَ لا تُفنِـهِ فبيـنَ يـديـكَ بكـاءٌ طـويـلُ

تقسَّم الصالحون عند الموت، فمنهم من صابرَ هجيرَ الخوفِ، حتى قضى نحبه، كعُمَرَ، كان يقول عند الرحيل: «الويل لعُمَرَ إن لم يُغفرْ له».

ومنهم من أقلقه عطشُ الحذرِ، فيرده بماء الرجاءِ كبلالٍ، كانت زوجتُهُ تقول: «وا حَرَاباه»، وهو يصيح: «وا طرباه، غداً نلقى الأحبة محمّداً وحِزْبه»، علمَ بلالٌ أنَّ الإمامَ لا ينسى المؤذِّنَ، فمزجَ كربَ الموتِ براحة الرجاء في اللقاء.

بشَّـرَهـا دليلُهـا وقـالَ: غـداً تَـرَيْـنَ الطَّلْـحَ والجِبَـالا

قال سليمان التيمي لابنه عند الموت: اقرأ عليَّ أحاديثَ الرُّخَص لألقى الله وأنا حَسَنُ الظنِّ به.

إلى متى تُتْعِبُ الرواحل؟ لابد من مَنَاخ.

رفقـاً بهـا يـا أيُّهـا الـزاجـرُ قـد لاحَ سَلْـعٌ ودنـا حَـاجِـرُ[1]
فَخَلْهَـا تخلـعُ أرسـانَهـا علـى الرُّبَـى لا راعَهـا ذاعِـرُ
واذكـر أحاديـثَ ليـالـي مِنًـى لا عُـدِمَ المـذكـورُ والـذاكِـرُ

كان (أبو عبيدة الخواص) يستغيث في الأسواق وينادي: وا شوقاه إلى مَنْ يراني ولا أراه.

جـاء بهـا قـالصـةً عـن سـاقٍ تحـنُّ والجنّـةُ للمشتـاقِ
مـا أولـعَ الحَنيـنَ بـالنيـاقِ تـذكـري رَمْـلَ النَّقـى واشتـاقـي

* * *

(١) حاجر: منزل من منازل الحاج في البادية.

القصيدة السادسة والخمسون

يا مَنْ أيامُ عمُره في حياته معدودة! وجسمُه بعدَ مماته مع دودة!.

رأيتُكَ في النّقصانِ مُذْ أنتَ في المهدِ ... تقرّبُكَ الساعاتُ من ساعةِ اللّحْدِ
ستضحَكُ سِنّاً بعدَ عينٍ تعصَّرتْ ... عليكَ، وإن قالتْ: بكيتُ من الوَجْدِ
أتطمعُ أن يشجَى لفقدِكَ فاقدٌ ... لعلّ سرورَ الفاقدينَ مع الفَقْدِ

يا من عمرُه يمضي بالساعة والساعة، يا كثيرَ التفريطِ في قليلِ البضاعة، يا شديدَ الإسرافِ يا قوي الإضاعة؛ كأنّي بك عن قليلٍ تُرمى في جوفِ قاعة، مسلوباً لباسَ القدرةِ وبأسَ الاستطاعة، وجاء منكر ونكير في أفظع الفظاعة، كأنّهما أَخَوان في الفظاظة من لبّان[1] الرضاعة، وأمسيتَ تجني ثمارَ هذي الزراعة، وتمنيتَ لو قَدرتَ على لحظةٍ لِطاعة، وقلت: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، وما لكَ كلمةٌ مطاعة، يا متخلفاً عن أقرانه قد آن أن تلحقَ الجماعة.

يا ساهياً لاهياً عمّا يُرادُ بهِ ... آنَ الرحيلُ وما قدَّمتَ مِنْ زادِ
ترجو البقاءَ صحيحاً سالماً أبداً ... هيهاتَ أنتَ غداً فيمَنْ غَدا غادِ

مركبُ الحياةِ تجري في بحر البدنِ برُخاءِ الأنفاسِ، ولابد من عاصفِ قاصفِ [تفككه][2] وتُغرق الركاب.

حكمُ المنيةِ في البريةِ جارِ ... ما هذه الدنيا بدارِ قرارِ
جُبِلَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تريدُها ... صفواً من الأقذارِ[3] والأكدارِ
فاقضوا مآربَكم عِجالاً إنما ... أعمارُكم سَفَرٌ من الأسفارِ[4]

---

(١) اللبان: الرضاع، والحاجات من غير فاقة، جمع لِبانة.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في الديوان: «الأقذاء».
(٤) الأبيات لأبي الحسن علي بن محمد التهامي المقتول سنة (٤١٦هـ)، من قصيدة في غاية=

يا لُقَمَ الآجال! يا أشباه الرجال، أما تسمعونَ صريفَ أنيابِ الصروف[1]؟! كم غافل وأكفانُه عند القصّار ولِبْنُ قبره قد ضُرب.

يا سخنةَ[2] عينٍ قرّت بالغرورِ، يا خرابَ قلبٍ عُمِّر بالمُنى، العمرُ زادٌ في بادية، يُؤخذُ منه، ولا يُطرح فيه.

يا من أجله يذوبُ ذوبانَ الثلج، توانيك[3] أبرد.

كان بعضُ من يبيع الثلجَ ينادي عليه: ارحموا من يذوبُ رأسُ ماله.

يا مؤخِّراً توبته حتى شابَ، خرج وقتُ الاختيار.

يا ابن السبعين لقد أُمهل المتقاضي، البدارَ البدارَ فنَقْاضُ البدنِ قد عَرْقَبَ[4] الأساس.

ولم يبقَ من أيامِ جَمْعٍ إلى منًى إلى موقفِ التجميرِ غيرُ أمانيِ

بادرْ بالتوبةِ من هفواتك قبل فواتك، فالمنايا بالنفوسِ فَوَاتك.

أعجبُ خلائقِ الخلائق، محسنٌ في ليل شبابه، فلمّا لاحَ الفجرُ فَجَر.

آه لموسمٍ فاتَكَ، لقد ملأ الأكياسُ الأكياسَ[5]، رَحَلت الرِبَاحة[6] فالْحَقْهُم في المنزل...

= الجودة، يرثي بها ولده. وقد طبع ديوانه، وطبعت مرثيته هذه في كتاب «بلوغ الأرب بشرح قصيدة من كلام العرب».

(١) الصريف: صوت ناب البعير، وإذا كان من الفحول فهو النشاط، وإذا كان من الإناث فهو من الإعياء. والصروف من الدهر: حدثانه ونوائبه.

(٢) سخنة العين: نقيض قرتها، أي: شقاؤها وحزنها.

(٣) توانيك: تكاسلك.

(٤) عرقب: عرقب الدابة: قطع عرقوبها، والعرقوب منها ما يكون في رجلها بمنزلة الركبة في يدها.

(٥) الأكياس الأولى: العقلاء. الأكياس الثانية: الأوعية.

(٦) الرباحة: الرابح في التجارة.

وكـمْ وقفتُ وأصحابي بمنـزلـةٍ ... يبيتُ يقظانُها ولهانَ[1] وهْلانا

فهـاجَنا حين حيَّانا النسيمُ بما ... سُقْناه يومَ النقا بالجزعِ أحيانا

نبكي وتسعدُنا كومٌ[2] المطيُّ فهل ... نَحْنُّ المشوقونَ فيها أم مطايانا

فلا ومن[3] فطرَ الأشياءَ ما وَجَدَتْ ... كوَجْدِنا العيسُ[4] بل رقَّتْ لبلْوَانا

يا هذا! عقلُك يحثُّكَ على التوبةِ وهواكَ يمنعُ! والحربُ بينهما، فلو جهزتَ جيشَ عزمٍ فَرّ العدو، تنوي قيامَ الليلِ فتنام، تحضرُ المجلسَ فلا تبكي، ثم تقول: ما السببُ! ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، عصيتَ بالنهار فنِمتَ بالليل، أكلتَ الحرامَ فأظلمَ القلبُ، فلما فُتِحَ بابُ الوصول للمقبولين طُردْتَ.

ويحك! فِكْرُ القلبِ في المباحات يحدِثُ له ظلمة، فكيف في تدبير الحرام؟!.

إذا غيَّرَ المسكُ الماءَ مُنِعَ التوضؤ به، فكيف النجاسة؟!.

متى تُفيقُ من خُمار[5] الهوى؟! متى تَنْتَهي من رُقادِ الغفلة؟!.

(للشريف الرضي)[6]:

يـا قلـبُ مـا أطـولَ هـذا الغـرام ... يـوم نـوى الحـيِّ ويـومَ المُقـامِ

متـى تَفيـقُ اليـومَ مـن لـوعـةٍ ... وأنـت نشـوانٌ بغيـر المُـدامِ

أين أنتَ من أقوامٍ كُشِفتْ عن أبصارِ بصائرهم أغطيةُ الجهلِ؟ فلاحتْ لهم الجادةُ، فجدُّوا في السلوك.

كان (مسروق) يصلي حتى تتورم قدماه، فتقعد امرأته تبكي مما تراه يصنُع بنفسِه.

---

(١) ولهان: من الوله، وهو الحزن وذهاب العقل. ووهلان: من الوهل، وهو الضعف والفزع.

(٢) كوم: جمع كوماء، وهي الناقة مشرفة السنام عاليته.

(٣) ومن فطر الأشياء: هذا قسم بفاطر الكون سبحانه.

(٤) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.

(٥) خمار: بضم الخاء، بقية السكر.

(٦) من قصيدة طويلة قالها في ذم الزمان في عام (٣٩٢هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٣١٣ـ٣١٧.

أُمسي وأُصبحُ من تذكاركُمْ قَلِقاً ... يَرْثي ليَ المُشفِقانِ: الأهلُ والولدُ
قد خدَّدَ الدمعُ خدّي من تذكّركُمْ ... واعتادني المُضنيانِ: الشوقُ والكَمَدُ
وغابَ عن مقلتي نومي فنافرَها ... وخانني المُسْعِدَانِ: الصبرُ والجلدُ
لا غَرْوَ للدمعِ أن تجري غوارِبُه[1] ... وتحته الخافقان: القلبُ والكَبِدُ
كأنما مُهْجَتي نِضْوٌ[2] يَبِلْقَعةٍ ... يعتادُه الضاريان: الذئبُ والأسدُ
لم يبقَ إلا خَفِيُّ الروحِ من جسدي ... فِداؤكِ الباقيانِ: الروحُ والجَسَدُ

يا هذا أولُ الطريق سَهْل، ثم يأتي الحَزن[3].

في البداءة إنفاقُ البدن، وفي التوسط إنفاقُ النفس، فإذا نزل ضيفُ المحبةِ تناولَ القلبَ فأملق[4] المنفق.

قلقُ القوم بلا سكون، انزعاجهم بلا ثبات، حلَفتْ جفونُهم على جفاء النوم، فلو سمِعْتَ ضجيجَهم في دياجي الليل.

مَنْ لقلبٍ يألفُ الفِكَرا ... ولعينٍ لا تذوقُ كَرَى
ولِصَبٍّ بالغرامِ قَضَى ... ما قَضَى من حُبِّكمْ وَطَرا

أُحصِرَ القومُ في سبيلِ المحبةِ، فأقعدتْهم عن كلِّ مطلوب ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

رأيتُ الحبَّ نيراناً تَلَظّى ... قلوبُ العاشقينَ لها وَقودُ
فلو كانت إذا احترقتْ تفانَتْ ... ولكنْ كلَّما نَضِجَتْ تعودُ

لاحتْ نارُ ليلى ليلاً فنهض المجنونُ، فخَبَتْ فضَلَّ، فضَجَّ.

رُدُّوا الفؤادَ كما عهدتُ إلى الحَشا ... والمقلتين إلى الكَرَى ثم اهجروا

* * *

(١) غواربه: الغرب: الدلو العظيمة، وعِرق في العين أو في مجرى الدمع يسقي ولا ينقطع.
(٢) النضو: البعير المهزول.
(٣) الحزن: ما غلظ من الأرض.
(٤) أملق: افتقر.

الفصل السابع والخمسون

إخواني! قد كفَتِ الكِفاتُ[1] في العبر، ووعَظَ من غَبَر من عبَر، وقد فَهِمَ الفَطِنُ الأمرَ وخَبَر، وما عند الغافل مِنْ هذا خبر.

يـا أيهـا النـاسُ أيـنَ أولُكـم ... أمَـا أتـاكُـمْ للـذاهبيـن خَبَـرْ
اعتبـروا فـالمقـدَّمُـون خَلَـوا ... وكلُّهـم للمـؤخَّـريـن عِبَـرْ
تعبـرُ بـالمِصْـرِ عـابـراً فـإذا ... سـألـتَ عمَّـنْ تـوفَّ قيـل عَبَـرْ
اصبر على العُسْرِ في الزمانِ فكَمْ ... عُسْـرٌ ويُسْـرٌ أتـاك ثمـتَ مَـرْ
والصبـرُ أولـى بكـلِّ مَـنْ صحِـبَ ... العيشَ، ومن جرَّبَ الـزمانَ صَبَرْ
يَـرفـعُ شـأنَ الكـرامِ فعلُهُـمُ ... والفعـلُ إن خـالـفَ الجميـلَ حُـذِرْ
كـادتْ شخوصٌ في الأرضِ بـاليـةٌ ... تنطِـقُ حقّـاً إذا المَقـالُ غَـدَرْ
بـالأمـسِ كُنّـا مـن الأنـامِ فـأمْـا ... اليـومَ فـي تُـربِنـا فَنَحـنُ مَـدَرْ

ابكِ على نفسك قبل أن يُبكَى عليك، وتَفكّرْ في سهمٍ قد صُوِّب إليك، وإذا رأيتَ جِنازةً فاحْسِبْها أنتَ، وإذا عاينتَ قبراً فتوهَّمْه قبرَكَ، وعُدَّ باقي الحياة ربحاً.

(لِمُتَمِّم بن نُوَيرة):

لقـد لامني عنـدَ القبـورِ على البُكـا ... رفيقي لتـذرافِ الـدمـوعِ السـوافـكِ
فقـال: أتبكـي كـلَّ قبـرٍ رأيتَـه ... لقبـرٍ ثـوى بيـن اللّـوى والـدكـادِكِ
فقلتُ له: إنَّ الشّجا يبعثُ الشجا ... فَـدَعْنـي، فهـذا كلُّـه قبـرُ مـالـك

يا بعيدَ التيقُّظِ والموتُ منه قريب! يا من هو عمّا قليلٍ في القبور غريب!

---

(١) الكفات: الموضع الذي يضم فيه الشيء ويقبض، ومنه قولهم للمنازل: كفات الأحياء، وللمقابر: كفات الأموات.

يا راكباً بحرَ الهوى وفي يديه جنيب[1]، يا مارّاً على وجهِه قل لي متى تُنيب؟ ألا تأخذُ قبل الفوْتِ بعضَ النصيب؟ ألا تزودُ ليومِ شوْه شرٌّ عصيب؟ ألا تخرجُ عن وادي الجدب إلى الربع الخصيب؟ أحاضر أنت؟ قل لي: ما أكثرَ ما تغيب! ألا مريضٌ لبيبٌ يقبَلُ رأيَ الطبيب؟!.

إنَّ الرحيل بلا عُدَّةٍ فج، فكيف به على بعد الفج[2]؟! أخرِمْ عن الحرام، وقدِّرْ أنّه حَجٌّ، واسكُبْ دموعَ الأسى واحسبه ثج[3]، واستَفِثْ من الزلل ومثّلْهُ العَجّ[4]، وبادروا فقد تفوتُ الوقفةُ أهلَ وَجّ[5]، اقبل نصحي فمثل نصحي لا يُمَجُّ، كم فَهِمَ وَعْظي ذو فطْنةٍ فهَجّ[6].

يا من يقول: إذا شئتَ تبتُ.

اليـوم عهـدُكُـمُ فـأيـنَ المـوعـدُ هيهـاتَ ليـسَ ليـومِ عهـدِكـمُ غَـدُ

إن خرجتَ اليومَ ولم تَـتُبْ، خرجْتَ من أولي الفهم.

لأي مَـرْمًـى تـزجُـر الأيـانِقـا[7] إنْ جـاوزْتَ نجـداً فلسـتَ عـاشقـا

وقوعُ الذنبِ على القلبِ كوقوع الدُّهن على الثوبِ، إن لم تُعجّل غسلَه، وإلا انبسطَ [﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢].

يـدي فـي قـائـمِ العضـبِ[8] فمـا الإبطـاءُ بـالضـربِ

ما دامتْ نفسُك عند التوبيخ تنكسرُ، وعينُك وقتَ العتابِ تدمعُ، ففي قليلِكَ

---

(١) جنيب: المقود إلى الجنب من الخيل وغيرها.
(٢) الفج: الطريق الواسع.
(٣) ثج: إراقة الدماء في الحج.
(٤) العج: رفع الصوت بالتلبية.
(٥) وج: اسم واد في الطائف.
(٦) فهج: ثار في غفلته وتنبه.
(٧) الأيانقا: جمع نوق.
(٨) العضب: السيف.

بَعدُ حياةً، إنّما المعاصي أوجبتْ سكْتَةً، فانشِقْ[1] هواكَ حُرَّاق التخويفِ وقد عَطَس.

يا من قدْ أبعدتْهُ الذنوبُ عن ديارِ الأنسِ، ابكِ وطرَ الوطنِ عساكَ تَرِدُ.

قال بعض السلفِ: رأيتُ شاباً في سفح جبلٍ عليه آثارُ القلقِ، ودموعُه تتحادرُ، فقلت: من أين؟.

فقال: آبقٌ من مولاه.

قلت: فتعود فتعتذر.

فقال: العذرُ يحتاجُ إلى حُجَّةٍ، ولا حجةَ للمفرِّط.

قلت: فتتعلق بشفيعٍ؟.

قال: كلُّ الشفعاء يخافونَ منه.

قلت: مَنْ هو؟.

قال: مولّى ربَّاني صغيراً فعصيتُه كبيراً، فوا حيائي من حسنِ صنعه وقبحِ فعلي.. ثم صاح فمات، فخرجت عجوزٌ فقالت: مَنْ أعانَ على قتل البائسِ الحيران؟.

فقلت: أقيمُ عندَك أُعينك عليه، فقالت: خلِّه ذليلاً بين يدي قاتله، عساه يراهُ بغيرِ مُعينٍ فيرحَمَه.

بـــالله عليـــكَ يـــا فتـــى الأعـــرابِ إنْ جُـزْتَ علـى مـواطـنِ الأحبـابِ
فـاشـرحْ سَقَمِـي وقـلْ لهـم عَمّـا بـي ذاكَ المضنـى يمـوتُ بـالأوصـابِ

أيُّها الناثبون بألسنتهم، ولا يدرون ما تحت نطقهم، لا يُحْكَمُ بإقراركم ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

---

(١) ما بين معقوفتين زيادة من (ب). وأنشق: النشوق: السعوط، والعاطوس: ينشق في الأنف سالته، وهز الدماغ، وهنا يجعل الهوى أنفاً دعاه فيه إلى إشباعه بسعوط الخوف عسى أن يمسه عطاس فيحمد ويشمت ويستقم.

متى صَدَقَتْ توبةُ التائب بنى بيت التعبد بصخور العزائم، ولم ينتـه في أساسِه دون الماء.

ما ضُرب بسيف العزيمة قط إلا قط[1].

التوبةُ الصادقةُ تقلعُ آثار الذنوب.

إذا قرئ على التائب عهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ذكر الإقرارَ، وعرف الشهودَ، فخجِلَ من الخيانة، فجرتِ العينُ، وأطرقَ الرأسُ، إنَّ التائبين كاتبوا الله بدموعهم وهم ينتظرونَ الجوابَ.

يـا حـاديَ الأظعـانِ عُـجْ مَتـوقفـاً ... وانظـر دَمَ العُشّـاقِ كيـف يـراقُ
صبروا على ألَمِ النهـاجُرِ والقِلى ... وتجـرَّعـوا مُـرَّ الفِـرَاقِ وذاقـوا

يا معاشر التائبين مَنْ أقامكم وأقعدنا؟! مَنْ قرّبكمُ وأبعدنا؟! ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١]، قفوا لأجل زَمِنٍ، ارحموا مَن قد عُطِب.

رُدُّوا المطـايـا وإلا رَدَّهـا نَفَسـي ... وأدمُعـي فهمـا سَيْـلٌ ونيـرانُ
يا سائقَ الظعنِ قلبي في رحالهمُ ... أمـانـةٌ رعْيُهـا والحفـظُ إيمـانُ

يخيّلُ لي أنَّ الحيطانَ تبكي معنا، وأنَّ النسيمَ قد رقَّ لحزننا.

فلا وَمَنْ فَطَرَ الأشياءَ ما وجَدَتْ ... كَوَجْدِنا العِيْسُ بل رقَّتْ لبلوانا

ما أحسنَ هؤلاء التوَّاب! ما أذلّ وقوفهم على الباب فاعتبروا يا أولي الألباب.

بمـا بيننـا مـن حرمـةٍ هـل رأيتـمُ ... أرقَّ من الشَّكوى وأقسَى مِنَ الهَجْرِ
وأفضـحَ مـن عيـنِ المحـبِّ لسـرِّه ... ولا سيَّمـا إن أُطلقـتْ عبـرةً تجـري

وجوههم أضوأُ من البدر، جباهُهم أنورُ من الشمسِ، نَوحُهم أفضلُ من

---

(١) قط الأولى: ظرف لما مضى من الزمان. وقط الثانية: انقطع.

التسبيح، سكوتُهم أبلغُ من فصيح، لو علمتِ الأرضُ قدرَ خوفهم تزلزلتْ، لو سمعتِ الجبالُ ضجيجهم تقلقلت.

(لابن المعتز):

اسقني فاليومَ نشوانُ[1] والرُّبى صادٍ[2] وريّانُ
ونداماى كالنُّجوم سَطَوْا بالمُنى، والدّهرُ جذلانُ
خطروا، والسُّكر ينفضُهم وذيولُ القومِ أردان

كلّما رأيتُ تقلقُل التائبين تقَلْقَلَ قلبي، وإذا تلمَّحتُ اصفرارهم تبلبل لُبي، وإذا شاهدتُ دموعَهم زادَ كربي، وإذا سمعْتُ حنينَهم تبدَّدَ ماءُ عيني.

ما ناحَ في البانِ الحَمامُ إلا وَرَنَّحَني الغَرَامُ
فكأنني ثَمِلٌ تَمشَّتْ في مفاصِلِهِ المُدام[3]
وما لي وباناتِ الحِمَى لولا الصَّبابةُ والهُيامُ

* * *

(١) نشوان: سكران وجَذِل.
(٢) صاد: ظمآن.
(٣) المدام: الخمر.

الفصل الثامن والخمسون

ما زالت المنونُ ترمي عن أقواس، حتى طاحت[1] الجسومُ والأنفس، وتبدلت النَعَمُ بكثرة الأبؤس، واستوى في القبورِ الأذنابُ والأرؤس، وصار الرئيسُ كأنّه قطُّ لم يرؤس.

قُـلْ للمفـرِّطِ يستعـد ... مـا مِـنْ ورودِ المـوتِ بُـدُّ
قـد أخلـقَ الـدَّهـرُ الشبـابَ ... ومـا مَضَـى لا يُسْتَـرَدُّ
فـالامَ يشتغـلُ الفَتَـى ... فـي لَهْـوِه والأمـرُ جِـدُّ
والعمـرُ يقصـرُ كـلَّ يـوم ... بـي وآمـالـي تُمَـدُّ

لقد وعظَتِ الدُّنيا فألغَتْ وقالتْ، ولقد أخبرَتْ برحيلها قبل أن يُقال: زالتْ، وما سفطَتْ جُدرانُها حتى أنذرتْ ومالت.

قَرُبَ الاغترابُ في التُّراب، ودنا سَلُّ السيفِ من القِراب، كم غنَّت رِبابُ برباب[2]، ثم نادت على البابِ بتباب[3].

يا من زمانُه الذي يمضي عليه: عليه، يا طويلَ الأملِ وهو يرى الموتى بعينيه! يا مَنْ ذنبُه أوجبَ أن لا يُلتفتَ إليه، قد مُزِجتْ لكَ كأسُ كُربة، ولا بُدَّ واللهِ من تلك الشَّرْبة، يا منقولاً بعد الأُنسِ إلى دارِ غُربة، يا طينَ تربةٍ وهو يطلبُ في الدنيا رتبة، هذا مجلس (ابن زيد) فأين (عُتبة)؟.

أتلهو برَنْدِ الصِّبا وبَانِه؟ ويروقُكَ برقُ الهوى بلَمَعانِه، وتغترُّ بعيش في غُدْرانه، فتمدُّ يدَ الغفلة إلى جَنْيِ أغصانِه، وتنسى أنَّك في حريمِ خطره وامتحانِه، أما لُقْمةُ أبيك[4] أخرجَتْه من مكانِه؟ أما نودي عليه بالفطر في رَمَضانه؟ أما شأنه

---

(١) طاح: هلك وسقط.

(٢) رباب: آلة وترية ذات وتر واحد.

(٣) تباب: هلاك.

(٤) يشير إلى أكلة آدم عليه السلام من الشجرة.

شانه[1] لولا وَكْفُ شانه[2]؟ أما يُنْتدلُّ على نارِ العقابِ بدخانه؟.

نزل آدمُ عن مقام المراقبةِ درجةً فنزَل، فكان يبكي بقيةَ عُمرِه ديار الوَفَا، بردُ النفسِ بالهوى لحظةً أثمرَ حرارةَ القَلقِ ألف سنة، فاعتبروا، سالت من عينيه عيون، استحالت من الدماء دموع، شغلته عن لذات الدُّنيا هموم.

(لمهيار)[3]:

هـل بعـدَ مُفترقِ الأظعـانِ مجتَمَـعُ ... أم هل زمـانٌ بهم قد فـاتَ مرتَجَعُ
تحمَّلـوا تَسَـعُ البيـداءُ ركبَهُـمُ ... ويحمِلُ القلبُ منهم فـوقَ ما يَسَـعُ
الليـلُ بعـدهُـمُ كـالهَجْـرِ متصـلٌ ... ما شـاء والنومُ مثلُ الـوصلِ منقطِعُ
أشتـاق نَعمَـانَ لا أرضـى بـروضتِـه ... داراً، وإن طـابَ مُصْطـافٌ ومـرتَـبَـعُ

كان آدمُ كلَّما عاينَ الملائكةَ تنزلُ، تذكّرَ المُرتَجع في الرَّبْع، فتأخذُ العينُ في إعانة الحزين.

رأى بـارقـاً مـن نحـو نجـدٍ فـراعَـه ... فباتَ يَسُحُّ الدّمعَ وجداً على نجدِ
هل الأعصرُ اللاتي مضيْنَ يعُدنَ لي ... كما كُـنَّ لي، أمْ لا سـبيلَ إلى الرَّدِّ

ما أمَـرَّ البُعدَ بعد القربِ، ما أشدَّ الهجْرَ بعد الوصلِ، يا مطروداً بعد التقريب، أبلغُ الشافعين لكَ البُكاء.

(للمتنبي)[4]:

وكيف التّذاذي بالأصائلِ والضُّحى ... إذا لـم يَعُـدْ ذاكَ النسيـمُ الـذي هبّـا
ذكرتُ بـه وصـلاً كـأنْ لـم أفُـزْ بـهِ ... وعَيْشـاً كـأنّـي كنـتُ أقطعُـه وثبـا

كان لقوم جارية، فأخرجوها إلى النَّخاس، فأقاموا أياماً تبكي، ثم بعثت

---

(١) شانه: عابه.

(٢) وكف: سيل الدمع. شانه: مجرى دمعه، وقد خففت الهمزة فيها فيقال: شانه.

(٣) مطلع قصيدة يصف فيها مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: ديوان شعره: ٢/ ١٨١ ـ ١٨٤.

(٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة. انظر: الديوان، شرح العكبري: ١/ ٥٧.

إلى ساداتها تقولُ: بحرمةِ الصُّحبة رُدُّوني فقد ألفتُكم.

يا هذا! قف في الدياجي وامدُدْ يدَ الذُّل، وقلْ: قد كانت لي خدمة، فعرّضَ تفريطٌ وأوجَبَ البُعدَ، فبحرمة قديمِ الوصل ردوني فقد ألفتكم.

عَلِّلُونا بوصالٍ نافعٍ ... إنَّما للبُعْدِ كالشيءِ اللَّقا[1]
أو خذوا أرواحَنا خالصةً ... أو ذَرُوا في كلِّ جسمٍ رَمَقا
وارحموا من تنقضي أيّامُه ... غمراتٍ والليالي أرَقا
ويحَ قلبي ما لِقَلْبي كُلَّما ... خفقَ البرقُ اليماني خَفَقا

يا هذا! لا تبرحْ من البابِ ولو طُرِدْتَ، ولا تَزُلْ عن الجنابِ ولو أبعِدْتَ، وقلْ بلسان التَّملق: إلى مَن أذهبُ؟!.

يا رَبْعُ إن وصلوا وإنْ صَرَموا ... فهمُ الأُولى مَلَكوا الفؤاد همُ
شغلوا بحسنهم نواظِرَنا ... وعلى القلوبِ بحبِّهِمْ خَتَموا
أتبعْتُهُم نظراً فعادَ جوًى ... ومن الشفا لذي الهوى سَقَمُ
تمحو دموعي وَسْمَ إثْلهمُ ... وزفيرُ أنفاسي لها يَسِمُ

كان (الحسنُ) شديدَ الحزن، طويلَ البكاء، سُئِل عن حاله، فقال: أخافُ أن يطرحني في النّار، ولا يبالي.

يَمُرُّ عليَّ فراقي لكم ... وإنْ كان سهلاً عليكم يسيرا

يا مَنْ كان له قلبٌ فمات، يا مَنْ كان له وقتٌ ففات، استعِفْ في بَوَادي القلق.

رُدُّوا عَلَيَّ لَيَالِيَّ الَّتِي سَلَفَتْ

أُحضرْ وقت السَّحَر، فإنّه وقت الإذنِ العام، واستصْحِبْ رفيق البكاء، فإنه مساعدٌ صبورٌ، وابعث سائل الصُّعَداء، فقد أقيمَ لها من يتناول.

(للمصنف):

---

(١) اللَّقا: الملقى لهوانه.

عَبَرتْ بريحِكمُ الصَّبا سَحَراً ... فارتاحَ قلبي المدنَفُ الحَرِضُ
ما لي أرَاكِ سقيمةً بهمُ ... يا ريحُ عندي لا بِكِ المَرَضُ
أتبعتُها نَفَساً أُشيّعها ... فإذا جروحُ القلبِ تنتقضُ
قِفْ صاحبي إن كنتَ تُسعِدُني ... عندَ الكثيبِ فثَمَّ لي غَرَضُ
وانشدْ فؤاديَ عند كاظمةٍ ... في كلِّ ركبٍ راحَ يعترِضُ
أشكو ومني مبتدَى ألَمي ... عيني رمتْ وفؤاديَ الغَرَضُ
فَرَضُوا على الأجفانِ إذ هجروا ... لا تلتقي فاصبرْ لِمَا فرضوا
كيف اصطباري بعد فُرقتِهمْ ... يا جرةً ما عنْهمُ عِوَضُ

* * *

الفصل التاسع والخمسون

يا مَنْ سَبَّ قلبَه في مراعي الهوى، وألقى حَبْلَه على الغارب، ستعلمُ من يطول نشدانُه للضَّلالِ!.

(لمهيار)[1]:

دغ ملامي بالحِمَى أو رُخ ودَعْني ... واقفاً أنشدُ قلباً ضاعَ مِنّي
ما سألتُ الدارَ أبغي رَجْعَها ... ربَّ مسؤولٍ سواها لم يُجِبْني
أنا يا دارُ أخو وَحْشِ الفلا ... فيكِ مَنْ خَان فَعَزْمِي لم يَخُنّي
ولئن غالَ مغانيكِ البِلَى ... عادةُ الدَّهرِ فشخصٌ منكِ يُغْنِي
إن خَبَتْ نارٌ فهذي تَجِدي ... أو جَفَا الغيثُ فهذا لَكِ جَفْني

أكثرُ فسادِ القلبِ من تخليط العَيْنِ، ما دامَ بابُ العين موثقاً بالغضِّ فالقلبُ سليمٌ من آفة، فإذا فُتِح البابُ طارَ طائرُهُ وربما لم يَعُدْ.

يا متصرِّفين في إطلاقِ الأبصار، جاء توقيع العَزْل ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، إطلاقُ البصر ينقُشُ في القلب صورةَ المنظورِ، والقلبُ كعبةُ «ويسعني»، وما يَرضَى المعبودُ بعبادةِ[2] الأصنام.

عيناىَ أعانتا على سفكِ دمي ... يا لذةَ لحظةٍ أطالَتْ ألَمي
كم أندمُ حين لَيلَ يُغني ندمي ... وَيْلي ثَبتَ الهوى وزلَّتْ قَدَمي

يا مطلقاً طَرْفَه لقد عَقَلك، يا مرسِلاً سَبْعَ فمِهِ لقد أكَلَك، يا مشغولاً بالهوى مَهْلاً قتلك، بادِرْ رَمَقَك فقد رمَقَك[3] بالرحمة مَنْ عذلَك.

---

(١) مطلع قصيدة كتبها لعميد الكفاة في النيروز. الديوان: ٤/ ٧٢ـ ٧٧.
(٢) في (ب): بمزاحمة.
(٣) رمقك الأولى: بقية الشيء. ورمقك الثانية: نظر إليك.

(لمهيار)[1]:

عثرتَ يومَ العُذيبِ فاستَقِلِ ... ما كلُّ ساعٍ يُحسنُ بالزَّلَلِ
ما سلمتْ قبلك القلوبُ على ... الحُسنِ ولا الراجمونَ بالمُقَلِ
سَافرَ قَلبي يَومَ الظَّعائنِ ... بالسَّفْحِ وآبَ الفُؤادُ بالخبَلِ
نظرةُ غِرٍّ جَنَتْ مُقارَعَةً ... يفتكُ فيها الجبانُ بالبَطلِ
حصلتُ منها على جِراحتها ... واستأثرَ الظاعنون بالثَّقلِ

إذا لاحَتْ للتائبِ نظرةٌ لا تَحِلّ، فاعتدتْ عينُ الهوى، فزلزلتْ أرضَ التُّقى، ونهضَ معمارُ الإيمان ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

لاحَتْ نظرة لبعض التائبين، فصاح:

حَلَفتُ بدينِ الحُبِّ لا خُنتُ عهدَكُم ... وتلك يمينٌ لو علمتَ غَمُوسُ

إذا خَيَّمَ سلطانُ المعرفة بقاعِ القلبِ، بثَّ جندَهُ في بِقاعِ البَدَن، فصارتْ السباحُ رياضاً لرياضة.

ساكنٌ في القلبِ يعمرُه ... لستَ أنساه فأذكره

إذا نزل الحبيبُ ديار القلبِ لم يبقَ فيه نزّالة[2].

وكان فؤادي خالياً قبل حبكمُ ... وكان بذكرِ الخلقِ يلهو ويمرحُ
فلمَّا دعا قلبي هواكَ أجابَه ... فلستُ أراهُ عن فِنائِكَ يَبْرَحُ
رُميتُ ببعدِ منك إن كنتُ كاذباً ... وإن كنتُ في الدُّنيا بغيرِك أفرحُ
فإن شئتَ واصلني وإن شئتَ لا تَصِلْ ... فلستُ أرى قلبي لغيرِكَ يَصْلحُ

أول منازل القوم: «عزفت نفسي عن الدُّنيا»[3]، وأوسطها: «لو كشف

---

(١) مطلع قصيدة كتبها لمعيد الكفاة أبي سعد عبد الرحيم في التيروز. انظر: ديوانه: ٣/ ٨٧.
(٢) نزالة: كثير النزول.
(٣) أخرجه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحارث بن مالك، راجع: كنز العمال، المجلد (١٣)، برقم (٣٦٩٨٨).

الغطاء»[1]، ونهايتها: «ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ اللهَ فيه».

وما تطابقتِ الأجفانُ عن سِنَةٍ ... إلا وجَدْتُكَ بين الجفنِ والحدقِ
وهل ينامُ حزينٌ موجَعٌ قَلِقٌ ... جفونُه وُكِّلَتْ[2] بالسُّهدِ والأرقِ
شغَلْتَ نفسي[3] عن الدُّنيا ولذتِها ... فأنتَ والروحُ شيءٌ غيرُ مُفتَرِقِ
فَلِمْ تُعذِّبُها بالصَّدِّ يا أملي؟ ... ارحمْ بقيةَ ما فيها مِنَ الرَّمقِ

أرواحُ المحبين خرجت بالرياضة من أبدان العاداتِ، وهي في حواصلِ طيرِ الشوقِ ترفرفُ على أطلالِ الوَجْدِ، وتسرحُ في رياضِ الأنسِ، عند المحبين شغلٌ عن الجنة، فكيف يلتفتون إلى الدُّنيا؟! ما ترى عينُ المحبين إلا المحبوبَ «فبي يسمع وبي يبصر»[4].

أنتَ عينُ العينِ إنْ نظرتْ ... ولسانُ الذِّكرِ إن ذكَرا
أنتَ سمعي إنْ سمعتُ به ... أنتَ سرُّ السرِّ إن خطرا
ما بقَى للنفسِ جارحةٌ ... كلُّها يا قاتلي أُسِرَا[5]

باتت قلوبُهم يُقْلقُها الوجدُ، فأصبحتْ دموعُهم يسترُها الجَفْنُ[6]، فإذا سمعوا ناطقاً يهتفُ بذكرِ الحبيبِ، أخذَ جَزْرُ الدمع في المَدِّ.

مَنْ أقلقه الخوفُ كيفَ يسكُن؟! من أنطقَه الحبُّ كيف يسكت؟! من آلمه البعد كيف يصبر؟! سل عنهم الليلَ فعنده الخبرُ، أتدري كيف مرَّ عليهم؟ أبَلَغَكَ ما جرى لهم؟ «أيعلَمُ خالٍ كيف باتَ المتيَّمُ»، افترشوا بساط قيس، وباتوا بليل

---

(١) المشهور أنه من كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. راجع: شرح سنن النسائي، للإمام السندي، بعناية الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله: ٩٦/٨، الحديث برقم (٤٩٨٨): «ثلاث من كن فيه».

(٢) في (ب): أجفانه وكحلت.

(٣) في (ب): قلبي.

(٤) رواه البخاري في «صحيحه».

(٥) أسرا: أي أسرى.

(٦) في (أ): تستر بغنا الجفن.

النابغة، إن ناحوا فأشجى من مُتَمِّم، وإن ندبوا فأفصح من خنساء.

اجتمعت أحزابُ الأحزان على قلب الخائف، فرمَتْ كبدُ[1] الخوف الكبد، فوصلَ سهمُ نَصْل القلق فَفَلَقَ حَبَّةَ القلبِ فانْقَلب، فصاح الوجْدُ: مَنْ شاء اقتطع، فلو رأيتَ فعلَ النَّهَابة[2] لرحمتَ المتمَزِّق.

(لمهيار)[3]:

أيُها الرامي وما أجرى دماً ... لا تجنب قد أصبتَ الغرضا
أطلبوا للعينَ في أثنائِه ... نظرةً تكحِلُها أو غُمُضا

طالَ حبسُ المحبين في الدُّنيا عن الحبيب، فضجَّتْ ألسنُ الشوق، فلو تيَقَّظْتَ في الدُّجى سمعتَ أصواتَ أهلِ الحبوس.

(للمصنف):

طالَ ليلي ودامَا ... وحُرِمْتُ المنامَا
وجدَ الوجدُ عندي ... منذ بانوا مقامَا
ليتهم حين راحوا ... وَدَّعُوا مستهامَا
سارَ قلبي وجِسْمي ... لم يَسِرْ بَلْ أقامَا
ليتُ أدري فُؤادي ... إذ غَدوا أينَ هامَا
حبُّهُم قرَّةُ قلبي ... منذُ كنتُ غلامَا
حمَّلوا ضَعْفَ قلبي ... يَذْبُلاً وشَمَامَا[4]
كم رموني برشقٍ ... وأحَدُّوا سِهَامَا
ما لعينيَّ تبكي ... إنْ سمِعتْ حَمَامَا
كلَّما ناحَ رشَّتْ ... فظنَنتُ الغمامَا
هل نسيمٌ لكربي ... أينَ ريحُ الخُزامَى

---

(١) كبد: القوس يملأ اليدَ مقبضها.

(٢) النَّهَابة: الذين يجتمعون على نهب الشيء وأخذه.

(٣) من قصيدة كتبها في النيروز إلى عميد الرؤساء أبي طالب. انظر: ديوانه: ٢/ ١٥٣ـ١٥٤.

(٤) يذبل وشمام: جبلان.

هجركم يا حبيبي ... كانَ موتاً زُؤاما
أكلَ اللحمَ مني ... ثم أبلى العظاما
صارَ ليلي نهاراً ... ونهاري ظَلاما
إنّما بكُ أشكو ... لوعتي والغراما
فاعذروا أو فلوموا ... ما أُبالي المَلاما
أَفرِجوا عن طريقي ... قد خَلَفْتُ اللجاما
ورمَيْتُ سلاحي ... وكشفتُ اللثاما
أسعدوني[1] فإنّي ... قد فنيت سقاما

* * *

(١) الإسعاد: الإعانة.

الفصل الميتون

إخواني! تفكّروا في الذين رحلوا، أين نزلوا؟ وتذكّروا أنّ القومَ نُوقِشوا وسُئلوا، واعلموا أنكم كما تُعذّلون عُذِلوا، ولقد ودُّوا بعد الفواتِ لو قُبلوا.

(لأبي العتاهية)[1]:

سألتُ الدّارَ تُخبرني ... عن الأحبابِ ما فعلوا
فقالتْ لي: أناخَ القومُ ... أياماً وقَدْ رَحَلوا
فقلتُ: فأينَ أطلبُهم ... وأيّ منازلٍ نزلوا
فقالتْ: بالقبورِ وقَدْ ... لقوا واللهِ ما عَمِلوا
أُناسٌ غرَّهم أملٌ ... فبادَرَهُم به الأجلُ
فَنَوا وبَقِي على الأيّامِ ... ما قالوا وما عملوا
وأُبِتَ في صَحَائِفِهمْ ... قبيحُ الفِعْلِ والزَّلَلُ
فلا يُستَعْتَبون ولا ... لَهُمْ مَلْجَا ولا حِيَلُ
ندامى في قبورِهِمُ ... وما يُغني وقد حَصَلوا

أين مَنْ كانتِ الألسنُ تهذي بهم لتهذيبهم، وأصبَحتْ فُلْكُ الاختبار تجري بهم لتجريبهم، أقامتْ قيامتَهم مناداةُ خَيْلِ الرحيل لتُغري بهم لتَغْريبهم، فباتوا في القبور وخُداناً لا أنيسَ لغريبهم.

أين أهلُ الوداد الصافي في التَّصافي؟ أين الفصيحُ الذي إن شاء أنشأ في القول الصافي؟ أين قصورُهم التي تضَمَّنَتْها مدائحُ الشعراء، صار ذكرُ القوى في القوافي؟ لقد نادى الموتُ أهلَ العوالي والقصورِ العوالي الطوافي: تأهّبوا لقدومي فكم غرثانَ[2] طوَى في طوافي[3]، رحل ذو المال وما أوصى في تفريق كدَرٍ أو صَافي،

---

(١) لم أجد هذا الشعر في ديوانه.
(٢) الغرث: الجوع. والغرثان: الجائع.
(٣) طوى: مات جائعاً. طوافي: تجوالي عليه.

ولقيَ في مَرّه أمراً مُرّاً لا تَبْلُغُه أوصافي، ذاقوا الآمال فانْتزِعَ من أفواههم يوم المآل، وعادَ الخَوى في الخوافي[1]، عَوى في ديارهم ذئبُ السَّقام بتكذيب العَوَافي، وانقطعتْ آمالُهم، وصار كلُّ المنى في دفع المُنافي، تزلزلَ وِدُّ أحبابِهم والتوى، وبِتُّ ألتوي في التوافي[2]، تالله لقد نال الدودُ والبِلى ما أرادَ منهم وأَلْفَيا فِيْ الفيافي، آلت قبورُهم إلى الخراب أوّلاً، فلا يُدْرَى أهذا قبر المولى أوْ لا، وهم سواء في السَّوافي[3]، كم أعرضوا عن نصيحٍ، ورفضوا ما تلا في التَّلافي[4]، كم ندموا على ضياع زِمانهم الذي خَلا في خِلافي، كم رأيتُ عاصيَهم قد أعرَضَ عنّي إلى عدوي والتجأ إلى التَّجافي، أما أخبرتُهم بوصفِ النار أنها ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٦] في الشوافي، فاعتبر بحالهم، فإنه يكفُّ كفَّ الهوى، وهو الواعظ الكافي[5].

أين الأبصارُ الحدائدُ قبل إحضار الشدائد؟ أما اسْتُلِبَتِ القلائد من ترائب الولائد؟ لابدّ من إزعاج هذا الراقد، فيقعُ الفراقُ بين فريق الفراقد، يا موثقاً في حَبالةِ[6] الصائد، واللهِ ما كذَبكَ الرائد، يا عَمِيَّ البصيرة ولا قائد، كم أضربُ في حديدٍ بارد.

أليلـى وكـلُّ أصبـحَ ابـنَ مُلَـوَّحٍ ولُبنـى ومـا فينـا سـوى ابـنِ ذَريـحِ

ذهبتْ أعمارُكم في طِلاب الشهوة، والموتُ قد دَنا، فما هذه السهوة، والقلوب غافلةٌ، فإلامَ القسوة؟!.

والصُّلحُ معروضٌ فحَتّامَ الجفوة؟ أين ربُّ المال؟ أين ذو الثروة؟ أما فرّسَ الموتُ ذا الفرسِ[7] وأخلى الصهوة؟ طوبى للمتَيقظين إنّهم لقدوة، علموا عيبَ

---

(١) الخوى: الضعف. الخوافي: ما خفي من باطن الإنسان.

(٢) التوافي: لم نجد معنى لهذه الكلمة بعد الرجوع للقواميس المعتمدة.

(٣) السوافي: الرياح.

(٤) يريد ما تلى من ذكر يحثُّ على المبادرة والرجوع وترميم ما أفسد.

(٥) في (أ): الشافي.

(٦) حبالة: شَرَك، الأحبولة التي ينصبها الصائد ليقع فيها الفريسة.

(٧) ذا الفرس: ذا قتل، وكل قتل: فرس.

الدُّنيا فما أمسكوا عُرْوة، وأنت في حُبِّها كقيسٍ وعُروة، أيحسنُ بعد الشيبِ لهوٌ وصَبْوة، أأبقى نأيُ الزمانِ طيبَ ناي وقهوة؟ قُرْبتْ نوقُ الرحيلِ مساءَ وغُدْوة، جَذبتْ أيدي المنون كُرْهاً وعُنوة، يا قليلَ التدبير ولا عقولَ النسوة، إلى كم عيبٌ وعتبٌ أما فيكم نخوة؟ وا عجباً لتاجرٍ يرضى بتعب شهر ليتمتّع بربحه سنة! فكيف لا يصبر أيام عُمُره القليلة ليلتذ بربْحها أبداً.

يا من يروحُ ويغدو في طلب الأرباح، ويحك اربحْ نفسك.

يا أطفال الهوى طال مكثكم في مكتب التعليم، فهل فيكم من أنجب؟ اقرؤوا أدلة التوحيد من ألواح أشباحكم، وتلقفُوها من أنفاس أرواحكم قبل أن يَستلِبَ الموتُ من أيدي اللاهين الواحَ الصور، ويمحو مسطورَ التركيب بكفِّ البِلى، وما فُهم المكتوبُ بعدُ، كم يلبثُ مصباحُ الحياةِ على نكباء النكبات.

من رأى بعيْنِ فكرِه معاولَ النقض في هدم المنزلِ ناحَ على السكان.

يا هذا! مشكاةُ بدنك في مهابِّ قواصف الهلاك، وزجاجةُ نفسِك في معرض الانكسار، فاغتنم زمانَ الصفوِ فأيامُ الوصل قصارٌ، كم يلبثُ قنديلُ الحياة على عواصف الآفات، أنفاسُ الحيِّ خطاه إلى أجله، درجاتُ الفضائل كثيرةُ المراقي وفي الأقدام ضعفٌ، وفي الزمانِ قِصَرٌ، فمتى تنال الغاية؟.

وقف قومٌ على راهب، فقالوا: إنا سائلوك أفَمُجيبُنا أنت؟.

قال: سلوا ولا تكثروا، فإنَّ النهار لن يرجعَ، والعمرَ لن يعودَ، والطالب حثيثٌ في طلبه ذو اجتهاد.

قالوا: فأوْصِنا.

قال: تزوّدوا على قدْرِ سفركم، فإنَّ خيرَ الزادِ ما بلَّغَ البُغية.

إخواني! الأيامُ صحائفُ الأعمار فخلّدُوها أحسنَ الأعمال.

الفرص تمرُّ مرَّ السحاب، والتّواني من أخلاق الخوالف[1].

من استوطأ مركبَ العجزِ عثرَ به.

---

(١) الخوالف: النساء.

تزوّجَ الثّواني البطالة[1] فوُلِد بينهما الخسران.

كان عمرُ وعائشة يسردان الصوم، وسرد أبو طلحة أربعين سنة، وصام منصور بن المعتمر أربعين سنة وقام ليلها.

وكان عامر بن عبد الله يصلّي كل يوم ألف ركعة، وختم أبو بكر بن عياش في زاوية بيته ثمانية عشر ألف ختمة، وكان لِكَهْمَس في كلّ شهرٍ تسعون ختمة، وكان عمير بن هانئ يسبّح كلَّ يوم مئة ألفَ تسبيحة:

صافحوا النجمَ على بُعدِ المنازِل ... واستطابوا القيظَ من بَرْد الظلالِ
واستذلّوا الوَغْرَ من أخطارِها ... إنّما الأخطارُ أثمانُ المعالي
ركبوا الضرَّ إليها رُبَّما ... ضَحُتِ الأجسامُ يوماً بالهزالِ
وجرَوْا يوماً إلى غايتها ... بالطوالِ السُّمْرِ والقبِّ[2] العوالي

وكان الأسودُ بن يزيد يصومُ حتى يخضرّ ويصفرّ، وكان ابنُ أدهم كأنّه سَفود[3] من العبادة، وكانت رابعة كأنها شَنٌّ[4] بالٍ، ومات حسّان بن أبي سنان فكان على المغتسل كالخيط، وكان محمد بن النضر لو كُشِطَ جميعُ لحمه لم يبلغ رطلاً.

جَزَى اللهُ المَسِيْرَ إلَيْهِ خَيْراً ... وَإنْ تَرَكَ المَطَايَا كَالمَزَادِ[5]

أكبرُ دليل على الحبِّ نحولُ الجسمِ واصفرارُ اللونِ.

(للحارثي):

سلبتِ عظامي كلَّها فتَرَكْتِها ... مجردةً تُضحي لديكِ وتخضُرُ
وأخلَيْتِها مِنْ مُخِّهَا فكأنّها ... أنابيبُ في أجوافِها الريحُ تصفرُ

---

(١) في (ب): بالكسل.
(٢) الطوال السمر: الرماح. القب: الفحل من الإبل.
(٣) سفود: حديدة يشوى بها اللحم.
(٤) شن: قربة خَلَق.
(٥) المزاد: جمع مزادة، وهي الراوية من الجلد.

إذا سمِعَتْ باسمِ الحبيب تقعقعتْ مفاصلُها من خوفِ ما تنظرُ
خُذي بيدي ثم ارفعي الثوبَ تنظري ضَنَى جسدي لكنني أتسَتَّرُ
وليسَ الذي يجري من العين ماؤها ولكنّها روحٌ تذوبُ فتقْطُرُ

قال الجُنيد: دخلتُ على سَري السَّقطي فمدّ جلدة ذراعه وقد يبست على العظم فما امتدت، فقال: واللهِ لو شئتُ أن أقول هذا من محبته لقلتُ:

وهواكَ ما أبقى هواكَ عليَّ فيكَ ولا تَرَاكْ
أيلومُني فيكَ الذي يُزْرِي عليَّ ولم يَرَاكْ
رِفقاً بعبدِكَ سيّدي هذا عُبَيْدُكَ قَدْ هَلَاكْ

* * *

الفصل الحادي والستون

يا مَنْ أيّامُه تَعِظُهُ! حينَ تبنيه وتنقضُه، يا من صحته تمرضه! وسلامتُه تُخرضُه[1]، يقرّضُ عمره فيفنيه ومَنْ يقرِضُه:

أرى الدهرَ أغنى خطبُه عن خِطابِهِ ... بوعظٍ شَفَى البابَنا بلُبابِهِ

له قلبٌ تُهدى القلوبُ صواديا ... إليها وتعمى عن وشيكِ انقلابِهِ

هو الليثُ إلا أنّه وهو خادرٌ ... سطا فأغابَ الليثُ[2] عن أنس غابِهِ

وميهاتَ لم تسلمْ حلاوةُ شَهْدِهِ ... لصَابٍ إليه من مرارةِ صابِهِ[3]

مبيدٌ مَبادِيه تغرُّ وإنّما ... عواقبُه مختومةٌ بعقابِهِ

ألم ترَ مَنْ ساسَ الممالكَ قادراً ... وسارت ملوكُ الأرضِ تحتَ ركابِهِ

ودانتْ له الدُّنيا وكادتْ تُحلُّه ... على شُهْبِها لولا خمودُ شهابِهِ

لقد أسلمَتْه حصنُهُ وحصونُه ... غداةَ غدا عن كَنْبِهِ باكتسابِهِ

فلا فضةٌ أنجتْهُ عند انقضاضِهِ ... ولا ذهبٌ أغنتْهُ عند ذهابِهِ

سلا شَخْصَه وزّائُه بتُرابِهِ ... وأفردهُ أترابُه بترابِهِ

كم دارسٍ عليك أنَّ الرابع[4] دارس، كم واعظٍ ناطقٍ وآخرَ هامسٍ، كم غَمَستْ حبيباً في الثرى كفُّ رَامس[5]، كم طمسَ وجهاً صبيحاً من البِلى طامس، تاللهِ ما نجا بطبِّه بقْراطٌ ولا أرسطا طالس، صاحَ الموتُ بالقوم فنُكِسَ الفارس، أين الفطنُ اللبيب؟ أين اليقظ القائس[6]؟ أتشتري أخسَّ الخسائس بأنفس النفائس؟

---

(١) تحرضه: تهلكه.

(٢) الليث الأول: تشبيه الدهر بالليث. والليث الثاني: الأسد الحقيقي.

(٣) صاب: مائل من الشوق. صابه: الصاب عصارة شجر مر.

(٤) الرابع: هو النازل في الربع ويقيم معهم.

(٥) رامس: من يتولى دفن الموتى.

(٦) القائس: من القياس، وهو الذي يقدر الأمور.

أتؤثر لَذَّةَ لحظةٍ تَجْني حربَ البسوسِ وداحِس؟ يا مُقترين[1] من التُّقى بل يا مفالس، يا مُنْهمكين في الخطايا ما تنفعُ الملابس، اشتروا نفوسَكم عن الذنوبِ تشتروا لها السنادس[2].

إخواني! لو ذكرتم أنكم تُبادون ما كنتم بالمعاصي تبادون[3]، لقد صَرَتْ فيكم الحادون[4] وما كأنكم للخير تُرادون، وا عجباً تُصادُّون المواعظ ولا تُصادون[5]، إلى متى تراوِحُون الذنوب وتغَادرون؟! يا مقيمين وهُمْ حقّاً غادون، أتعادُون مَنْ يقول: إنكم تعادُون[6]؟! كأنكم بكم تقادُون إلى مقام فيه تُقَادون[7]، أما سمعتم كيف نادى المنادون: كلُّ شيء دون المنى دُون؟!.

يـا نـائـمَ الليـلِ تَنَبَّـهْ للتُّقـى ... وانهـضْ فقد طـالَ بـكَ القُعـودُ
بيـنَ يـديْـكَ حـادِثٌ لمثلِـهِ ... يُعْـسَـلُ عـن أجفـانـه الـرُّقـودُ
مـا جحـدَ الصـامِـتُ مـن أنْشـأه ... ومـن ذوي النطـقِ أتـى الجحـودُ

الدَّهرُ خطيبٌ كافٍ، والفكرُ طبيبٌ شافٍ.

كم قُطِعَ زرعٌ قبلَ التمام، فما ظنُّ المستَحْصَد[8]؟ مَنْ عرفَ الستينَ أنكرَ نفسَه، من بلغ السبعين اختلفَ إليه رسلُ المنيّة.

عواري[9] الزمان في ضمان الارتجاع، يوسُف العقل ينظر في العواقِب، وزليخا الهوى تتلمحُ العاجل.

يا مُقْدمين على الحرام أنتم بعينٍ من حَرَمْ.

---

(١) مقترين: يقال: قتر على عياله: ضيَّق في النفقة، وهنا كناية عن القلة.
(٢) السنادس: إشارة إلى ثياب الجنة.
(٣) تبادون الأولى: تهلكون. وتبادون الثانية: تعالنون وتظاهرون.
(٤) الحادون: الحداة في القوافل.
(٥) تصادون الأولى: من الصد والإعراض. ولا تصادون: أي لا تؤثر فيكم المواعظ.
(٦) تعادون الأولى: من العداة. تعادون الثانية: من الإعادة بعد الموت.
(٧) تقادون الأولى: من السوق والأخذ. وتقادون الثانية: من القَرَد، أي: الحساب.
(٨) المستحصد: حان وقت حصاده.
(٩) عواري: جمع عارية.

ينبغي لمن أُلبِسَ ثوبَ العافية أن لا يدنِّسَه بوسخ الزلل.

زرعُ النِّعَم مفتقِرٌ إلى دوران دولابِ الشكر، فإذا فَتَحَ القلبُ سِكرَ[1] الاعترافِ بالعجزِ، صارَ السقيُ سَيْحاً.

هذا اليومُ يقول: أرضني وعليَّ رضا أمس، السكونُ بالبلادةِ أصعبُ من التحرُّكِ بالهوى، إذا رآك عقلُك وقد تولّى حسُّك تدْبيرَك تولّى[2].

ويحك لا تؤمّر حسَّكَ على عقلك، فإنَّه عكسُ الحكمة. العقل نور والحسُّ ظلمة. الحسُّ أعشى[3] والعقلُ عينُ الهدهد[4]. الحسُّ طفلٌ والعقل بالغ.

العقل يدخلُ في الحقائق والحسُّ أبْلَه، الحسُّ لا يرى إلا الحاضر، والعقلُ يتلمّحُ الآخِر. الصَّبرُ عن الأغراضِ صَبْرٌ[5]، غير أنّ الحازمَ يجعلُ مراقبةَ العواقِب تقويةً. ما خلا قطُّ وجهُ سرورٍ من تَعَبُّسِ مكروهٍ، ولا سلمتْ كأسُ لذةٍ من شائبةِ نَغْصة[6].

(للمتنبي)[7]:

فـذي الـدارُ أخـونُ مـن مُـومِـسٍ ... وأخـدَعُ مـن كِفّـةِ الحـابِـلِ[8]
تَفـانَـى الـرِّجـالُ عـلـى حُبِّهـا ... ومـا يحصلـونَ عـلـى طـائِـلِ

كلُّ صَافٍ من الدُّنيا مقرونٌ بكدرٍ، حتى إنّه في الغيثِ عيثٌ[9]، أتريدُ أن لا تنعكس لك غرضٌ؟ فما هذا موضعه، الهباتُ ذاهباتٌ، والليالي مُناهباتٌ، الدُّنيا قنطرةٌ، واستيطان القناطرِ بَلَهٌ.

---

(١) سِكر: ما يسد به النهر أو غيره.
(٢) تولّى الأولى: من الولاية والتحكم. وتولّى الثانية: انصرف وذهب.
(٣) أعشى: ضعيف البصر.
(٤) عين الهدهد: ترى الحَبّة في باطن الأرض.
(٥) الصبر الأولى: حبس النفس. والصبر الثانية: الدواء المر.
(٦) نغصة: الكدر الذي ينغص حياة الإنسان.
(٧) ختام قصيدة يمدح بها سيف الدولة، الديوان، شرح العكبري: ٣/ ٣٣.
(٨) مومس: المرأة الفاجرة. كِفة: كل مستدير. الحابل: الصائد ذو الحبالة.
(٩) عيث: فساد.

هـل تَجِـدُ إلا منـزلٌ مفـارَقٌ ووطـنٌ فـي غيـرِه يُقضـى الـوطـرْ

الهمُّ فيها أكثر من الفرح، والسرورُ أقلُّ من الحُزْنِ ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةُ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

يا مجتهداً في طلب الدُّنيا، اجعل عُشْرَ اجتهادِكَ للأُخرى، جَهَّزتَ البنات، وزوَّجت البنين، فأنت بماذا تجهزْتَ للرحيل؟.

يا متقاعداً عن أوامرِ الربّ، احذر أن يقْعِدَكَ عن نَهَضاتِكَ تَزَمُّنٌ[1]، واعجباً! إن حُرِمْتَ إلى الطاعة فَزْحَل، وإن لاحَ الهوى فعُطارد، عينُك قد استرقَّها المنظور، ولسانُك يتصرَّفُ فيه اللغو، ويدُك يُحرِّكُها الزَّلل، وخُطَا أقدامِك إلى الخطأ، ثم قد أسكنتَ الهوى قلبَك، فأينَ يكونُ المَلَكُ؟ «وهل ترك لنا عَقيلٌ من منزل»[2].

ويحك! إنَّ الإنسانَ يَشُدُّ في إصبعِه خيطاً يتذكَّر به حاجتَه، وهل في جسدك عرق أو شعرة إلا وهي تُذَكِّرُ بالخالق؟! فما وَجْهُ هذا النسيان البارد؟!.

يا من باعنا نفسَه ثم ماطلَ بالتسليم، لا أنتَ ممن يَفْسخ العقدَ، ولا ممن يُمْضي البيع، تَدَّعي الرحلةَ إلى دار الحبيب، ودهليزُ سرادِقِك إلى بلد الهوى، هيهاتَ لا يُدرِكُ علمَ الربانية إلا مَنْ رُبِّي فيه.

(لمهيار)[3]:

يـا قلـبُ مـا أنـتَ وأهـلُ الحمـى وإنَّمـا هُـمُ أَمْسُـكُ الـذَّاهِـبُ
دونَ نجـدٍ وظبـاءِ الحِمَـى أن يَقـرَحَ المنسِـمُ والغـارِبُ[4]

لابدَّ في سلوكِ الطريقِ من مُصابَرةِ رفيقٍ، البلاءُ له خُلُقٌ صعبٌ، فَاصْبِرْ على مداراته، البلايا ضيوفٌ فأحْسِن قِرَاها، لتَرْحل عنك إلى بلدِ الجزاءِ مادحةً لا قادحةً، من حَكَّ بأظفارِ شكواه جِلْدَ عيشه أدْمى دِينَه، البلاءُ ظُلْمةٌ غَبَش، ويا سرعةَ طلوع

---

(١) تزمن: مرض مزمن مقعد.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الفرائض، برقم (١٠) بلفظ: «هل ترك لنا عقيل منزلاً».

(٣) من قصيدة يمدح بها عميد الدولة ابن عبد الرحيم. الديوان: ١/ ١٣٦.

(٤) المنسم: خف البعير. الغارب: ما بين السنام إلى العنق.

الفجر، اللهمَّ أعنْ أطفالَ التوبة على ما ابتُلُوا به من جوع شديدٍ، فإذا أُعدَّ قرصُ الإفطار نزلَ ضيفُ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ ﴾ [الحشر: ٩]، فزاحم، فأزاح ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ ﴾ [العنكبوت: ٢].

إنَّ هـــواكَ الـــذي بقلبـــي ... صَيَّـرنـي سـامعـاً مطيعـا
أخـذْتَ قلبـي وغمْـضَ عينـي ... سلبْتنـي النـومَ والهُجُـوعـا
فـذَرْ فـؤادي وخُـذْ رُقـادي ... فقـال لا بـلْ هُمـا جميعـا

فإذا تمكَّنَتْ قدمُ المريد، وطابَ له ارتضاعُ ثَدْيِ الوصَال، قُطِعَ عنه في أهنأ ما كان، يُرادُ منه زيادةُ القلق، في الحديث: «يوحي الله تعالى إلى جبريل عليه السلام، أسْلبْ عبدي حلاوةَ مناجاتي، فإنْ تضرَّعَ إليّ فرُدَّها»[1]، فلو سمعتَ استغاثة المحبين، لأوْرَثَتْكَ القلقَ:

علـى بُعْـدِكَ لا يصبـرُ ... مَـنْ عـادَتُـهُ القُـرْبُ
ولا يقـوى علـى هَجْـرِكَ ... مَـنْ تَيَّمَـهُ الحُـبُّ
فمهـلاً أيّهـا السـاقـي ... فقـد أسكـرنـي الشُّـرْبُ
فـإن لـم تَـرَكَ العَيْـنُ ... فقـد يشهـدُكَ القلـبُ

* * *

(١) لم نقف على هذا الأثر فيما رجعنا إليه من كتب الحديث وبرامج الحاسوب.

الفصل الثاني والستون

يا مَنْ قد غَلبتْهُ نفسُه! وبطشَ بعقلِه حِسُّه، استدركْ صُبابَةَ اليقظةِ، وصِحْ في سمعِ قلبك بموعظة.

يا نفسُ! توبي فإنَّ الموتَ قد حانا ... واعْصِي الهوى فالهوى ما زال فَتَّانا
أما تَرَيْنَ المنايا كيفَ تَلْقطُنا ... قَسْراً وتُلْحِقُ أُخرانا بأُولانا
في كلِّ يومٍ لنا مَيْتٌ نُشَيِّعُه ... نرى بمصرعِه آثارَ موتانا
يا نفسُ ما لي وللأموالِ أَثْرُكُها ... خلفي وأَخرجُ من دنياي عُريانا
أبعدَ خمسينَ قد قضَّيْتِها لَعِباً ... قد آنَ أن تَقْصُري قد آنَ آنا
ما بالنا نتعامَى عن مصائرنا ... ننسى بغفلتنا مَنْ لَيْسَ يَنْسانا
نزدادُ جِرْصاً وهذا الدّهرُ يُزْجُرنا ... كأنَّ زاجرَنا بالحرص أغرانا
أين الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ومَنْ ... كانتْ تَخِرُّ له الأذقانُ إذْعَانا
صاحت بهم حادثاتُ الدَّهْرِ فانقلبوا ... مستبدِلين من الأوطانِ أوطانا
خَلَّوا مدائنَ كانَ العِزُّ مَفرشَها ... واستفرشوا حُفَراً غُبْراً وقِيعانا
يا راكضاً في ميادينِ الهوى مَرِحاً ... وَرَافلاً في ثيابِ الغَيِّ تَشْوانا
مضى الزمانُ وولَّى العُمْرُ في لَعِبٍ ... يكفيكَ ما قد مضى قد كانَ ما كانا

أين الزادُ يا مسافر؟! أين دِرْعُ التقوى يا سافر؟! لقد أنشبَ الموتُ فيك الأظافر، ولا تَشُكَّنَّ أنه ظافر، هذا النَّبْلُ فأين المغْافِر[1]؟ كيف تصنعُ إذا غضِبَ الغَافِر؟! يا مبارزاً بالقبيح أمؤمنٌ أنت أم كافر؟!.

إن قُمْتَ سَدَلتَ من ثيابِ كِبْرِك، وإن أقمتَ سدَرْتَ[2] من شراب خمرك، اصْطَفَقَتْ أبوابُ المواعظ وما استفقتَ، تقفُ في الصلاة بغير خضوع، وتقرأُ التخويفَ وما ثَمَّ خشوع، يا نائماً عن صلاحه كم هذا الهُجوع؟! يا دائمَ الحضورِ

(١) المغافر: جمع مغفر، وهو زرد يُسبغ على قدرِ الرأس يلبسُ تحت القلنسوة.
(٢) سدرت: من سدر، أي: لم يهتم بما صنع.

عندنا هل عمرُك إلا أسبوع؟! إنَّ لنَجْمِ الحياةِ الأُفول، ولشمْسِ الممات الطُّلوع، أين أبوك؟! أين جدّك؟! السيف قَطُوع، كيف تبقى مع كسرِ الأصولِ ضعافُ الفروع؟! تَتَمَلَّقُ الدُّنيا بِقَلبِكَ وتعتذر بلفظٍ مصنوع، إصرارُك كالصحيحين[1]، وإقلاعُك حديثٌ موضوع. مَرَّقْ أملك فالعمرُ قصير، حَقِّقْ عملك فالناقد بصير، زِدْ زادَ سَفَرك فالطريق بعيد، ردِّه نظر فكرك فالحساب شديد.

صِحْ بالقلبِ لعلَّه يَرْعَوي[2]، سلِّمْه إلى الرائضِ[3] عساه يَستوي.

يا مؤثرَ البطالةِ! عالمُ الهوى دَنس، عاشقُ الهوى جامدُ الفكرِ، فلو ذاب ما ذابَ[4].

سهرُ العيونِ لغيرِ وَجْهِكَ ضائعٌ ... وبكاؤهنَّ لغَيْرِ وَصْلِكَ باطِلُ

يا هذا! وجِّهْ ناقتَك إلى بادية الزيارةِ، فإنَّ لها بنسيم نَجْدٍ مَعْرِفةً، قِفْها على الجادةِ، وقد هبَّ لها نسيمُ الشيحِ من الحجازِ، إنْ أَعْوزَكَ في الطريق ماءٌ فتيَمَّمْ مَزادَتَك بالبكاء.

(لعلي بن أفلح):

دَعْها لكَ الخيرُ وما بَدا لها ... من الحنين ناشطاً عقالَها

ولا تُعلِّلْها بجوٍّ بابلٍ ... فهُو أهاجَ بالجَوَى بَلْبالَها

ولا تُعفِّها عَنْ عقيقٍ رَامةٍ ... فإنَّها ذاكرةٌ أمالَها

نَشَدْتُكَ الله إذا جئتَ الرُّبَى ... فَرُدْ أضاها[5] واستظِلَّ ضَالَها[6]

---

(١) كالصحيحين: أي البخاري ومسلم، ويقصد أنّ الإصرار على المعاصي ليسَ فيه ضعف البتة.

(٢) يرعوي: ينزجر.

(٣) الرائض: من راض النفس إذا وطأها وذللها، أو علّمها ما به تتزكى، فتصبحُ مرتاضة منقادة، والمقصود هنا من الرائض: شيخ التربية والسلوك إلى الله عزَّ وجل.

(٤) ذاب: نحل وضعف. ما ذاب: ما حصل له مراده.

(٥) أضاها: الأضاة الغدير. ورُدْ: من الفعل يرود ماضيه راد، وأصله الرائد الذي يتقدّم القوم ليصر لهم الكلأ ومساقط الغيث.

(٦) ضالها: الضال الواحد ضالة: شجر من فصيلة النبقيات.

ونـاوحِ الـوُرْقَ بَشَجْـوِ[1] ثُـاكـلٍ أطفا[2] لها ريْبُ الردى أطفَالها

بكى آدمُ في طريقِ ابتلائِهِ ثملاثمئة سنة، وعامَ نوح في دمعه ثلاثمئة عام، وضجَّ داود من دائه حتى ذوى، كان كلّما هاجَ حَرُّ الحزنِ هاجَ نباتُ الفرحِ، فحالت الحال دمعاً، فأجدبَ البصرُ، وأعشبَ الوادي، فلو وُزِنت دموعُه بدموع الخلائق لرجحت.

(للشريف الرضي)[3]:

عندي من الدمعِ ما لَوْ أنَّ واردَه مطيُّ قومِك يومَ الجَزْعِ ما نَزَحَا
غـادَرْنَ أسـوانَ[4] ممطوراً بعبرتِهِ ينحو مع البارقِ العُلويِّ أينَ نَحَا
هل تَبْلُغُنَّهمُ النفسُ التي تلفَتْ[5] فيهم شعاعاً أو القلبُ الذي قَرِحا
إنْ هانَ سفحُ دمي بالبينِ عندهُمُ فواجبٌ أن يهونَ الدمعُ إن سُفِحا

كان (يحيى بن زكريا) يبكي حتى رَقَّ جلدُ خَدِّه وبدت أضراسه، هذا! وقَدْ كان على الجادة فكيف بِمَنْ ضلَّ؟! واعجباً بِمَنْ بكائه وما ثَمَّ[6] مأثم، فكيف بِمَنْ ما انقضى يومٌ إلا وثمَّ مأثم؟!.

يا هذا إن كان قد أصابك داء داود[7]، فَنُحْ نَوْحَ نُوحٍ تحيى حياةَ يحيى.

لا تَحسِـبَنْ مـاءَ العيـونِ فـإنَّـه لـك يـا لـديـغَ هـواهـمُ دريـاقُ[8]

---

(١) الشجو: الحزن، والأصل فيه: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.
(٢) أطفا: أصلها أطفأ وخففت الهمزة، والمعنى: على المحب أن يناوح الورق بحزن مَنْ أخذ ريْبُ الردى أطفالها فثكلها بفقدهم.
(٣) من قصيدة له قالها في مدح أبيه عام (٣٨٧هـ). انظر: ديوان شعره: ١/ ٢٤٣.
(٤) أسوان: من الأسى وهو الحزن.
(٥) في الديوان: «ذهبت».
(٦) ثَمَّ: اسم يشار به إلى المكان البعيد بمعنى هناك، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤].
(٧) داه داود عليه السلام: لا تُلْقِ بالاً لما جاءت به الإسرائيليات عن دواد عليه السلام مما لا يليق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
(٨) درياق: هو الترياق: دواء السموم.

شَنُّوا الإغارةَ في القلوبِ بَأسْهُمِ ... لا يُرتجى لأسيرِها إطلاقُ
واستعذَبُوا ماءَ الجفونِ فعذَّبوا ... الأسرارَ حتَّى دَرَّت الآماقُ

كان (عمر بن عبد العزيز) و(فتح الموصلي) يبكيان الدم، وقليل في جنب ما نطقَ به لسانُ الوعيد.

إذا خلا الفكرُ باليقينِ، ثارتْ عَجَاجةُ الدمع، فإذا أقرعَ الحزنُ القلبَ استحالتِ الدموعُ دماً.

(لمهيار)[1]:

أجارتَنا بالغَوْرِ والركبُ مُتْهِمُ ... أيعلمُ خالٍ كيفَ باتَ المتيَّمُ؟
تناءيتُمُ مِنْ ظاعنينَ وخَلَّفوا ... قلوباً أبَتْ أنْ تعرِفَ الصبرَ عنهُمُ
ولمَّا انجلى التوديعُ عمَّا حَذِرتُه ... ولم يَبْقَ إلا نظرةٌ تُغتَنَمُ
بكيتُ على الوادي فحرَّمْتُ ماءَه ... وكيفَ يَحِلُّ الماءُ أكثُره دَمُ؟

وا عجباً! أُطارِحُكُمْ حديثَ العُذَيبِ، وأنتم من وراءِ النهرِ! يا منقطعينَ عن الأحباب تَعالَوْا نمشي رِفقَةً، فمَجْمَعُنا مأتمُ الأسى، موعدنا مقابر الأسَف.

تعالينَ نعالجْ زفرةَ البَيْنِ تعالَيْنا
نُزوِّدُ أذْناً شكوى ونُودعُ نظرةً عَيْنا
ونبكي من يدِ البينِ عسانا نَعْطفُ البينا
فما زادَ النَّوى إلا لجاجاً ما تباكينا
إلى أين أما تألم يا سائقها الأينا
إذا عرَّسْتَ بالجرعاءِ وسْطاً بَيْنَ ما بينا
فحيَّ اللهُ يبرينَا وعينُ الرَّملِ حيينا

* * *

(١) مطلع قصيدة يعاتب فيها الكافي الأوحد. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٣٤٤ـ٣٤٧.

الفصل الثالث والستون

يا هذا! عاتِبْ نفسَك على تفريطها، ثم حاسِبْها على تخليطها، حَدُّها بما بينَ يديها وأخِّرها، أشِرْ عليها بمصلحتها ودبِّرْها.

اسْتَعِدِّي للمَوْتِ يَا نَفْسُ واسْعَيْ ... لِنَجَاةٍ فَالحَازِمُ المُسْتَعِدُّ
قَدْ تَبَيَّنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ للحَيِّ ... خُلُودٌ ولا مِنَ المَوْتِ بُدُّ
أيُّ مُلْكٍ فِي الأَرْضِ أَوْ أيُّ حَظٍّ ... لامرئٍ حَظُّهُ من الأرضِ لحدُ
كيفَ يَهْوَى امرؤٌ لِذاذةَ أيَّامٍ ... عليهِ الأنفاسُ فيها تُعَدُّ

آه لنفوسٍ بغرور هذه الدُّنيا تُخْدَعْنَ، فإذا فاتهنَّ شيءٌ من فانٍ توجَّعْنَ، شربنَ من مياهِ الغفلةِ وتجرَّعْنَ، فلما بانَت حبةُ الفخِّ أسْرَعْنَ، فما انجلتْ ساعةُ التفريطِ حتى وقَعْنَ، أما عَلِمْنَ أنهنَّ يحصُدْنَ ما زرعنَ، أما تَيَقَّنَّ أنهنَّ في هلاكهنَّ يشرعْنَ، يا قلةَ ما تَنَعَّمْنَ، ويا احتقار ما تمتَّعْنَ، أما هُنَّ عن قليلٍ في اللَّحْدِ يُضْجَعْنَ، أينَ تلك الأقدام المشيَّعةُ لهنَّ تصَدَّعْنَ؟! بئسَ حافظُ الأجسادِ ترابٌ يقولُ: دَعْهُنَّ لما أودِعْنَ، طالَ ما كنَّ يوترْنَ الذنوبَ ويَشْفِعْنَ، فلو رأيتَهُنَّ بعدَ الموتِ يتضرَّعنَ ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، لا والله لا يرجِعْنَ، يا عجباً هذه الآفاتُ لهنَّ ويَهْجَعْنَ، وهذا الحبسُ الشديدُ ويرتَعْنَ، يا لها من مَواعِظَ فهل أزْنَ أو نَجَعْنَ؟.

يا هذا! أخْلِ بنفسِكَ في بيتِ الفِكرِ، واغْذُلها في الهوى، فإنْ لم تَلِنْ فاخرجْ بها على عسكرِ المقابرِ، فإن لم تَرْعَوِ فاضربها بسَوْطِ الجُوْعِ.

يا هذا! العزلةُ تجمَعُ الهمَّ، والمخالطةُ نَهْابة، الهوى مرضٌ كثيرُ التخليطِ، فهذا طفلُ قلبِكَ كثيرُ المرضِ، عَجِّلْ فِطامَه وقد صحَّ.

العزلةُ والقناعةُ والصبرُ والعِفَّةُ والتواضعُ عقاقيرُ كيمياءِ النجاةِ، يتلُفْنَ بمستعملهنَّ مرتبةَ الغِنَى، والحرصُ والشرَهُ والغضبُ والعُجْبُ والكِبْرُ كلُّهم مجانينُ في مارستان العقل، وهو القيِّمُ عليهم، فلتحذرِ الغفلةَ عنهم، فإنّه إنْ أفلَتَ مجنونٌ حَلَّ الباقين.

يا هذا! حِصْنُ السلامةِ العزلةُ، أقلُّ ما في الخروج منه من الأذى مصادمةُ الهواء المختلِفِ المهابِّ في بادية الشهوات، وقد أعْقَبَتْهُ جَنُوبُ المجانَبَةِ للصواب، فصارَ وباءً. وإياكَ أن تتعرّضَ للهواء البوبيء مُغْتَرّاً بصحّة مِزَاجك، فإنّك إن سَلِمتَ من فضول الفِتن لم تأمن من زُكْمَةِ، ومتى تمكَّنتْ زكمةُ الهِمّةِ لم تَشَمّ الفضائل.

يـا قلـبُ إلامَ لا يفيـدُ النُّصْـحُ ... عُمُـرٌ ولّـى وقـد تـوالـى القُبْـحُ
جُـرحٌ دامٍ وقـد تَبـدّى جـرحُ ... مـا تشعرُ بالخُمارِ[1] حتّى تصحو

لمّا انقشعَ غيمُ الغفلةِ عن عيونِ أهلِ اليقين، لاحَ لهم هلالُ الهدى في صحراءِ اليقظةِ، فبيْنُونية الصومِ عن الهوى على عزم «عزّت نفسي عن الدُّنيا»[2].

دخل (محمد بن كعب القُرَظي) على عمرَ بن عبد العزيز وقد غيّره الزهدُ فأنكره، فقال: «يا بنَ كعب! فكيفَ لو رأيتني بعد ثلاثة أيام في قبري؟».

لم تُبْقِ فيهم حراراتُ الهوى وجَوى[3] الأحـزانِ غيـرَ خيـالاتٍ وأشْبـاحِ
نكـادُ نُنكِـرهـم عينُ البصيـرِ بهـم ... لـولا تـردُّدُ أنفـاسٍ وأرواحِ

كان (وُهَيْب بن الورد) قد نحل من التَّعبُّدِ، فكانت خُضْرَةُ البقلِ تَبِيْنُ تحتَ جلدةِ بطنِه.

(لمهيار)[4]:

زَعَمْـتَ لا يُبلـي هـواكَ جَسَـدي ... بَلَـى وحُبِّـي بكـم لقـد بَلـي
دارُكَ تـدري أنّـه لـولا الهـوى ... مـا طُـلَّ دَمْـعُ مقلتـي فـي طَلَـلِ
أو مَـا رأيـتُ أصمـى[5] سهمُـه ... مـن مقلـةٍ قـد فُـوِّقَـتْ[6] للمقتـلِ

---

(١) الخُمار: ألم الخمرة وصداعها وأذاها، وبقية السكر.
(٢) رواه البزار والطبراني.
(٣) الجوى: الحرقة.
(٤) من قصيدة كتبها إلى الصاحب بن عبد الرحيم في عيد النحر. الديوان: ٣/ ٣٢ـ٣٤.
(٥) أصمى: أصابه في مقتل.
(٦) فوّقت: يقال: فوّقت السهم: وضعته في الوتر لأرمي به.

إخواني! من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.

(الصُّرَّدُر)[1]:

وكم ناحلٍ بينَ تلكَ الخيامِ تحسبُه بعضَ أطنابِها[2]

أنضى القومُ رواحلَ الأبدانِ في سفرِ الشوقِ حُبّاً لتعجيلِ اللقاءِ، فكم طَوَوْا منزلاً على الظَّمأ، حتى كَلَّ[3] كَلُّ المطيِّ بتلك الجعجعة، ورفيق الرفق يصيحُ بهم.

(لمهيار)[4]:

دَعُوْها تَرِدْ بعدَ خمسٍ شروعاً وارخوا أزِمَّتَها والنُّسُوْعا[5]

وقولوا دعاءً لها: لا عُقِرْتِ ولا امتدَّ دَهْرُكِ إلا رَبيعَا

حَمَلْنَ نشاوَى[6] بكأسِ الغرامِ فكلٌّ غدا لأخيه رَضِيْعا

إذا أجدبوا خَصَّهم جَدْبُهُمْ وإنْ أخْصَبُوا كان خِصباً مَريعا

طِوالُ السواعدِ شُمُّ الأنوفِ فطابوا أصولاً وطابوا فُرُوْعا

أحبُّوا فُرادَى ولكنَّهم على صيحةِ البَيْنِ ماتوا جميعا

حَمَوْا راحةَ النومِ أجفانَهم وَلَقُّوا[7] على الزفراتِ الضلوعا

أسكَّانَ رامةَ هل من قِرًى فقد دفعَ الليلُ ضيفاً قنوعا

كفاه من الزادِ أن تَمهُدوا له نظراً أو حديثاً وسيعا

قيل لأبي بكر النهشلي وهو في الموت: اشرب قليلاً من الماء.

---

(١) من قصيدة قالها يمدح أبا القاسم بن رضوان. انظر: الديوان، ص١٢٩.

(٢) أطناب: جمع طنب: وهو حبل الخيمة.

(٣) كلّ: الكلّ الإعياء والتعب، وكلّ البعير إذا أعياء، وأكله السير: أضعفه.

(٤) من قصيدة كتب بها إلى عميد الكفاة أبي سعيد بن عبد الرحيم يهنئه بالنيروز. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٦.

(٥) النسوع: جمع نسع: حبل من أدم تشد به الرحال.

(٦) نشاوى: جمع نشوان، وهو السكران في أول أمره.

(٧) في الديوان: «وشدوا».

فقال: حتى تغربَ الشمسُ.

(لمهيار)[1]:

نَفَّرَها عَنْ وِرْدِها بحاجرٍ شوقٌ يعوقُ الماءَ في الحناجرِ
ورَدَّها على الطوى[2] سواغباً[3] ذُلُّ الغرامِ وحنينُ الذاكرِ[4]

وا شوقاه إلى تلك الأشباح، سلامُ الله على تلك الأرواح.

هـا إنّها منازلٌ تَعَوَّدَتْ منّي إذا شارفتُها التَّسْليما
وقفتُ فيها سالِماً رَأْدَ الضُّحَى[5] وَرُحْتُ من وجدٍ بها سَلِيْما
يا نفحةَ الشَّمالِ مِنْ تلقائها رُدّي علَيَّ ذلك النَّسِيْمَا

يا هذا! إن أردتَ لَحاقَ السادةِ فخلِّ مخالَّةَ الوِسادة، واجعل جلدتك بُرْدتَك، وجدّ عن الخلق والزمْ وِحْدتكَ، أكْحِلْ عينيكَ بالسهرِ والدمع، وضعْ على قروحِ الجوعِ مَرهمَ الصبرِ، وتزوَّدْ للسيرِ زادَ العزم، واقطعْ طريقَ الدُّنيا بقدمِ الزُّهد، واخرجْ إلى خِصْبِ الأخرى عن ضَنْكِ المَحْلِ، وسُحْ في بوادي التقى لتنزلَ بوادي الفخر، فإن وصلتَ إلى دوائِك تناولتَه من يدِ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وإن مُتَّ ببدائك فمقابرُ الشهداء ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥].

* * *

(١) مطلع قصيدة كتب بها إلى عميد الرؤساء أبي طالب في المهرجان. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٦٣ـ٦٦.
(٢) الطوى: الجوع.
(٣) سواغب: جمع ساغبة، وهي الجائعة.
(٤) في الديوان: «ذل الغريب وحنين الزاجر».
(٥) رأد الضحى: رائده وأوله.

يا مشغولاً بتلفيق مالِهِ عن تحقيق أعماله، مَنْ خَطرَ ذكرُ الرحيلِ بباله قنعَ بالبُلَغِ[1] ولم يُبالِهِ.

مـالُـكَ للحـادثـاتِ نَهْـبٌ أو للـذي حـازَه وِرَاثَـه
أوْلـك أن تتَّخِـذَهُ ذُخْـراً فـلا تكـنْ أعجـزَ الثـلاثَـه

لا بدَّ واللهِ مِنَ العبورِ إلى منزلِ القبورِ، يَنْفي عليك الصَّبا والدَّبور، وأنتَ تحتَ الأرضِ تبور، آهٍ من طول الثبور، بَعْدَ طيبِ الحُبورِ، يا لَكْسرِ بعيدِ الجبُور، لا ينفعُ فيه صبرُ الصبور، يندمُ على عثرته العَثُور. ويفترش الدَّثُورَ حتى يثور، أينَ كسرى وبهرامُ جُور؟! أين المتقلّبون في حِجْرِ الفجور؟! أين الحليمُ؟! أين الضجور؟! أين المهرُ العربي والناقةُ العيسجور[2]؟! أين الظباءُ الكُنَّس والأتراب الحور؟! كُنَّ يُزَيِّنَّ دُرَّ البحورِ بالنحورِ، غرقَ الكلُّ في يمٍّ من التلف زَخُور، واستوى الوضيعُ والفخورُ تحتَ الصخور، لا فرق بين ذوات الإماء وذوات الخدور، في ذلك المهبط الحَدُور.

لقد بان للكل أنَّ الدُّنيا غرور، وعرفوا أنَّ في المصيرِ شرورَ السرور، وتَيقَّنوا أن تزويرَ الأمل للخُلد زور، وتفصّلت أعضاؤهم ولا تفصيلَ لحمِ الجزور، ودُكّت بهمُ الأرض ولا كما دُكَّ الطور، وبانَتْ حسباناتُهم وفيها قصور[3]، وتأسفوا على مُساكَنةِ القصور في مساكن القصور[4]، وهذا المصيرُ ولو عُمِّرتُم عُمْرَ النسور، والرامي مصيبٌ وما يدفَعُ السُّور[5].

---

(١) البلغ: جمع بلغة: ما يتبلّغ به من العيش.
(٢) العيسجور: الناقة الصلبة. وقيل: السريعة القوية.
(٣) قصور: من التقصير.
(٤) القصور الأولى: من التقصير. والقصور الثانية: الأبنية الفخمة.
(٥) وما يدفع السور: أي لا يستطيع السور والبرج المشيد أن يمنع الإنسان من الموت.

فإذا انقضت بعده تلك العصور ونفخَ في الصور، وخرجت أطيارُ الأرواح من أعجبِ الوُكور، وباتت الأرضُ تموجُ والسماءُ تمور، ولقي الكَفُور ناراً تلتهِبُ وتفور، انزعجَ الخليلُ والكليم، فَمَنْ بِشرٌ وطيفور[1]؟!.

كَـمْ لِلمَنَـايَـا فـي بَنِـي آدم ... تـوسـعُ مِنْـهُ تَغِيْـظُ الصـدور
فـالـوقـتُ لا تُحـدِثُ سـاعـاتُـهُ ... إلا الرَّدى المحضَ بَوَشْكِ المرور
أيَّـامُـنا السَّبعـةُ أيـسارُنـا[2] ... وكلُّنـا فيـه شبيـهُ الجـزور
طهَّـرتَ ثـوباً واهياً ثـم مـا ... قلْبُـكَ إلا عـادِمٌ للطُّهـور
لـو فَطِـنَ النـاسُ لـدنيـاهُـمُ ... لاقْتَنَعوا منهـا اقتنـاعَ الطيـور

ويحك إنّ الدُّنيا تَغرّ، ولا بدّ لك منها، فخُذْ قدرَ الحاجة على حذر، أما ترى الطائر كيف يختلس قوته؟!.

هذا العصفور يألفُ الناس فلا يسكنُ داراً لا أهلَ بها، وهو مع هذا الأنسِ شديدُ الحذرِ ممن جَاور.

هذا الخُطّافُ يقطعُ البحرَ لطلَبِ الأُنس بالإنسِ، ثم يتخذُ وَكْرَه في أحصنِ الأماكنِ في البيتِ، ولا يحملُه الأُنسُ بهم على تركِ الحذرِ منهم، بل يُعطي الأُنسَ حقَّه، والحزمَ حقَّه.

أما عرفتَ أدبَ الشرعِ في تناولِ المطعمِ، ثُلثٌ طعامٌ، وثلثٌ شرابٌ، وثُلثٌ نَفَسٌ.

شره الجرص يحبِسُ بلاَغِمَ البلادة، ولا يسهل شربُ المُسهلِ إلا على مَنْ تأذّى بحركاتِ الأخلاط، لا يقدِرُ على الحمية إلا من تلمَّحَ العافيةَ في العاقبةِ. شُغلُ العقلِ النظَرُ في العواقب، فأما الهوى فإيثارُه لذة قليلة تُعقبُ ندامةً طويلةً، فمُلتبس في قضاياه.

المؤمن بين حربٍ وبِحراب، وكلاهما مفتقِرٌ إلى جمع الهمّ، ويريدُ

---

(١) بشر: هو بشر الحافي. وطيفور: هو أبو يزيد البسطامي.
(٢) أيسارنا: من يَسرتُ الناقة: قطعتها أجزاء.

المحرابُ القيام بأشراط الوضوء، والدُّنيا في مقام امرأة واللمْسُ ناقضٌ، طريقُ المتقين تفتقر إلى رواحل، وإبلُ عزائِمكم كلُّها كالٌّ، إنّما يَصْلحُ للمَلِك قلبٌ فارغٌ ممن سواه.

وقلبُكَ خـانٌ كـلَّ يـومٍ وليلـةٍ يفـارِقُـه ركـبٌ وينـزلُـه ركـبُ

في كلِّ يوم تَرْهُنُ قلبَك على ثمنِ شهوةٍ، فيستعملُه المُرتهِن، فقد أَخْلَقَ[1]، أنتَ توقَدُ نارَ التوبةِ في المجلس في الحَلْفاء[2]، فإذا أردتَ منها قَبَساً بعد خروجِكَ لم تجِدْ، تَبْكي ساعةَ الحضورِ على الخيانة والمسروقُ في جيبك.

يا مُظهراً من الخيرِ ما ليسَ فيه! لا تَبِعْ ما ليسَ عندك، كم نهاكَ عن نظرةٍ وتعلم أنَّه بالحضرة، أفلا تراقبُ الناظرَ بردَّ الناظرِ[3]، وكأنَّك لا تعرفُ أنَّ الحاضرَ حاضرٌ.

وا عجباً لك! تَعُدُّ التسبيحَ بسبحةٍ، فهلا جعَلتَ لعدِّ المعاصي أخرى، يا مَنْ يَختارُ الظلام على الضوء! الذباب أعلى همةً منك، متى أظلمَ البيتُ خرجَ الذبابُ إلى الضوء، أما ترى الطفلَ في القِماط يناغي المصباح؟!.

ويحك! خُذْ بتلابيبِ نفسِكَ قبل أن يجذبها ملكُ الموت، وقُلْ: أيتها النفس الحمقاء! إن كان محمدﷺ صادقاً[4] فالمسجدُ، وإلا فالدَّير.

النـاسُ مِـنَ الهـوى علـى أصنـافِ هـذا نَقَـضَ العهـدَ وهـذا وافِ
هيهاتَ مـن الكُدورِ تَنْجي الصافي لا يصلُـحُ للحضـرةِ قلـبٌ جـافِ

يا هذا! أكبرُ دليل لك علينا أنك كنتَ مُبَدَّداً في ظهورِ الأصول[5]، فنُظِمْتَ بالقُدرة نظماً عجيباً خالياً من العيب، فما تَنْقُضُ إلا لأمرٍ هو أعجبُ منه، مُدَّت

---

(١) أخلق: بلي.

(٢) الحلفاء: نبت في الماء.

(٣) الناظر الأولى: الرقيبُ المطلع عليك وهو الله. بردُّ الناظر: أي بغض البصر.

(٤) يريدُ إذا اعتقدتَ بصدق رسالة الرسولﷺ فاعمل باعتقادك والزم طاعته، ولو قال: (إذا كان) أولى من (إن كان) لإفادة «إذا» التحقق، دون «إن».

(٥) ظهور الأصول: أصلاب آبائك.

أطنابُ العروق، وحُفِرتْ خنادقُ الأعصابِ، وضُربت أوتادُ المفاصلِ، وأقيمَ عُمُد الصُّلْبِ، ثم مُدَّ السرادقُ، فنُصِبَ سريرُ القلب في الباطنِ للملك «ويسعني قلب عبدي المؤمن»[1].

إذا لم يجدْ صَبٌّ على النَّأيْ مُخْبِراً ... على الحيِّ بَعْدَ البَيْنِ أينَ أقاموا
فعندَ النَّسيمِ الرَّطْبِ أخبارُ منزل ... به لسُليمى بالعقيقِ خِيامُ

يا هذا! إن كنتَ محبّاً؛ فحبيبُك معك في كلِّ حالٍ، حتى عند الموت، وفي بطن اللحد.

(للغزّي):

يا حبَّذا العَرْعَرُ النجديُّ والبانُ ... ودارُ قومٍ بأكنافِ الحِمَى بَانُوا
وأطيبُ الأرضِ ما للقلبِ فيه هوًى ... سَمُّ الخياطِ مع الأحبابِ مَيْدانُ

إذا أقفرَ قلبُك مع ساكنٍ «ويسعني»، فَتَحتِ النفسُ باباً لعناكبِ الغفلةِ، فنسجَتْ في زواياه من لُعابِ الأمَلِ طاقاتِ المُنى.

اللهمَّ أجرِ القلوبَ من جَوْرِ النفوس، يا سُلطان القلبِ، نشكو إليك النازلة.

* * *

(١) لا أصل له، وقد مرّ.

الفصل الخامس والستون

إخواني! اعرفُوا الدُّنيا وقد سلمتم، ثم اعملوا بما علمتم، لا يغرنَّكم منها الوَفْر، فإنَّكم فيها على سَفَر، أمَا بعدَ توطِئةِ المِهادِ الحُفَر؟ أتوطن مِنًى وتنسى النَّفَر؟!.

أرى الدُّنيا وما وُصِفَت بِبِرٍّ ... متى أَغْنَتْ فقيراً أرهَقَتْهُ

إذا خُبِّيتْ لشرٍّ عَجَلَتْهُ ... وإن رُجِيَتْ لخيرٍ عَوَّقَتْه

تعلقَها ابنُ جهلٍ في صِبَاهُ ... فهامَ بفارِكِ[1] ما عَلِقَتْهُ

سقتْهُ زمانَه مَقْراً[2] وصَاباً[3] ... وكأسَ الموتِ آخرَ ما سَقَته

أبادتْ قصرَ قيصرَ ثم جازت ... بأيوانِ ابنِ هِرْمِزَ فارتَقَتْهُ

أما افتَتَحَتْ له في الأرضِ بيتاً ... فآوتهُ النزيلَ وأطبقته

إذا انفلتَ ابنُها عنها بِزُهْدٍ ... تَنَتَّهُ بزُخْرفٍ قد نَمَّقته

أترى لم تنفع التجارب؟ أما تَرَوْنَ الدُّنيا كيف تحارب؟ ألا تُلْقون حَبْلها على الغارب؟ أمَا سيفُ الهلاكِ في يدِ الضارب؟ تالله لقد جلا صبحُ اليقينِ ظلامَ الغياهِب، ألاَ عَزْمُ زاهِدٍ يتوكأ على عصا راهب.

ودنيـاكَ إنْ وَهَبَتْ باليمينِ ... يسارَ الفتى سلبتْ باليسارِ

إخواني! احذروا الدُّنيا، فإنّها أسحرُ من هاروت وماروت، ذانك يفرّقان بين المرء وزوجه، وهذه تفرّقُ بينَ العبدِ وربه، وكيفَ لا؟ وهي التي سحرت سحَرة بابل، إن أقبلت شَغَلت، وإن أدبرت قتلت.

نَظَرتْ فأقصَدتِ[4] الفؤادَ بَسَهْمها ... ثم انثنتْ عنهُ فكادَ يَهِيْمُ

---

(١) فارك: مبغض.

(٢) مقراً: السم.

(٣) الصاب: عصارة الشجر المرّ.

(٤) أقصدت: طعنت أو رمت السهم فأصاب مقتلاً.

ويلاهُ إنْ نظرتْ وإنْ هِيَ أعرضتْ وَقْـعُ السهـامِ ونَـزْعُهـنَّ أليـمُ

كم في جَرْعِ[1] لذّاتها مِنْ غُصَص، طالبُها معها في نَغَص.

بكى عليها حتّى إذا حصلتْ بكَى عليهـا خـوفـاً مِـنَ الغِيَـرِ[2]

إنّها إذا صفَتْ حلالاً كدَّرت الدينَ، فكيفَ إذا أُخذتْ مِنْ حرام؟! إنَّ لحمَ الذبيحةِ ثقيلٌ على المِعاء، فكيفَ إذا كان مَيْتةً؟!.

الظَّلَمَةُ في الظُّلْمةِ يمشون في جَمْعِ الحطام، يصبحونَ ويمسونَ على فراش الآثام ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَرَتُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٦].

مَنْ نبتَ جسمُه على الحرام، فمكاسبُه كبريتٌ به يوقَدُ، الحجرُ المغصوبُ في البناءِ أساسُ الخراب، أتراهم نسُوا طيَّ الليالي سالفَ الجبّارين، وما بلغوا معشارَ ما آتيناهم؟! فما هذا الاغترار ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ [الرعد: ٦]، فهم ينتظرون مَنْ لهم إذا طَلبُوا العَوْدَ ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ: ٥٤]؟، كم بكتْ في تنعُّم الظالم عينُ أرْمَلة، واحترقَتْ كبدُ يتيم ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص: ٨٨].

ما ابيضَّ لونُ الرغيفِ حتّى اسودَّ وجهُ الضعيفِ، ما تروّقت المشاربُ حتى ترنَّقتِ المكاسب[3]، ما عَبَل[4] جسمُ الظالمِ حتّى ذَوَتْ دوابُّ ذاتُ قُوَّة.

لا تحتقر دعاء المظلوم، فشررُ قلبِه محمولٌ بعجيج صوتِه إلى سقفِ بيتك، نبالُه مصيبٌ، ونَبْله غريبٌ، قوسُه حُرُقُه، ووتره قلقه، ومرماه هدف «لأنصرنك»[5]، وسهمُ سهمِه الإصابة.

---

(١) جرع: الجرعة من الماء: حَسوة منه، وجَرع الماء: بلعه.

(٢) الغير: تقلبات الزمان وتصاريف الدهر.

(٣) تروقت: تصفت. ترنقت: تكدرت.

(٤) عبل: امتلأ.

(٥) رواه الترمذي في باب الدعاء، برقم (١٢٨)؛ والإمام أحمد في مسنده: ٢/ ٣٠٥ـ ٤٤٥ بلفظ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تحمل على الغمام يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين».

كم مِنْ دارٍ دارَت بنَعِمِ النِّعَم، دارتْ عليها دوائرُ النِّقَم ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ [يونس: ٢٤]، كم جارٍ في حلبةِ المُنَى قد استولى طرفه على الأمد، صدَمَه قهرُ عقوبة، فألقاه أسرعَ من طَرْف، بَيْنَا القوم ينْبَسطونَ في بسيطةِ البسطِ، كُفَّتْ أكفُّهم بمقامِع القَمْعِ، لسبتهم[1] عقاربُ ظلمهم، نفخَ عليهم ثعبانُ جَوْرِهم، عقرنُهُم أسودُ بطشِهم، نَسَفَتْهم عواصفُ كِبْرِهم، وفي الغِيَرِ[2] عِبَر.

ويحك! إذا كانت راحةُ اللذةِ تُعقب تَعَبَ العقوبة، فدع الدَّعَةَ تمضي في غَيْرِ الدَّعة، واللهِ ما تساوي لذةُ سنةٍ غَمَّ ساعة، فكيفَ والأمر بالعكس؟ كم في يمّ الغرور من تمساحٍ فاحذرْ يا غائص، يا مَنْ قد أمكنَهُ الزمان من حركات التصرّف في العدل لا تجُر، فما يؤمن من الزَّمن الزمِن.

ومتى بلغتَ إلى الرئاسةِ فاستلب كـرةَ العُلـى بصـوَالـجِ المعـروفِ

كان عمرُ يخافُ مع العدلِ، يا مَنْ يأمنُ مع العدول، رُئي بعد موته بائنتي عشرة سنة، فقال: الآن تخلّصت من حسابي، واعجباً! أقيمَ أكثرَ من سِني الولاية، أفيتبهُ بهذا راقدُ الهوى؟!.

أحسنُ شعائر الشرائع العدلُ، الظلمُ ظُلمةٌ في نهار الولاية، وجَدْبٌ يرعى لحومَ الرعية، والعدلُ صوتٌ في صُورِ الحياة، يُبعث به موتى الجَوْر.

أيُها الظالِمُ! تذكَّرْ عند جَوْرِك عدلَ الحاكِم، تَفَكَّرْ حين تصرفِك في سَرَفِك، عجباً لك! تدَّعي الظَّرف[3] وتأخذ المظروف والظَّرف، كلا، أوَ في الظَّرافةِ رأفة؟! ستعلمُ أيُها الغريمُ قدر غرامِكَ إذا يلتقي كلُّ ذي دين وماطِله، من لم يتتبّع بمنقاشِ العدلِ شوكَ الظُّلمِ من أيدي التصرف، أثّرَ ما لا يؤمن تعديه إلى القلب.

يا أربابَ الدول! لا تُغربدوا في سُكْرِ القدرة، فصاحِبُ الشُّرطَةِ بالمرصاد.

---

(١) لسبتهم: لسب أي لدغ.

(٢) الغير: التغيرات وتقلبات الزمان.

(٣) الظرف: الكياسة.

سليمانُ الحُكم قد حَبَس آصِفَ المُقوبة في حصنٍ ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ [مريم: ٨٤] ، وأجرى رُخاء الرجاء ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾ [النساء: ١٦٥] ، فلو قد هبّت سمومُ الجزاءِ من مهبِّ ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾ [الأنبياء: ٤٦] .

قلعت سُكْرَ ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ، فإذا طوفانُ التلف ينادي فيه نوح ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ [هود: ٤٣] ، فالحذرَ الحذرَ قبل ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَتَىٰ ﴾ [الزمر: ٥٦] ، ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص: ٣] ، وأنتَ أيُّها المظلومُ فتَذكَّر مِنْ أين أُتيتَ؟ فإنّك لا تلقى كَدَراً إلا من طريقِ جنايةٍ ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] .

كان لبَّانٌ[1] يخلطُ اللبنَ بالماء، فجاء سَيْل فذهبَ بالغنمِ، فجعلَ يبكي ويقولُ: اجتمعت تلكَ القطرات فصارت سيلاً، ولسانُ الجزاءِ يناديه «يداك أوكتا وفوكَ نفخ»[2].

اذكر غفلتَك عن الآمرِ والأمْرِ وقت الكسب، ولا تنسَ أطْراحَ التقوى عند معاملة الخلق، فإذا انْقَضَّ غاصِبٌ فسمعتَ صوتَ سَوْطه يضربُ عِقْدَ الكسبِ جزاءً لخيانة العقود، فلا تستطرف ذلك، فأنتَ الجاني أولاً و«البادي أظلم».

* * *

---

(١) لبّان: صاحب اللبن.

(٢) يداك أوكتا: مثلٌ يضرَبُ لمن يجني على نفسه الهلاك، وأصلُه ـ كما قال المفضّل ـ أنَّ رجلاً كان في جزيرة، فأراد أن يعبر على زقّ نفخ فيه فلم يحسنْ إحكامه، حتى إذا توسَّطَ البحرَ خرجت من الزق الريحُ لانفلاتِ الوعاء، فغرقَ الرجلُ، فلما غشيه الموتُ استغاثَ برجلٍ رآه حين نفخَ وربطَ، فقال له: يداك أوكتا وفوك نفخ. انظر: مجمع الأمثال، للميداني: ٢ / ٤١٤، رقم (٤٦٥٥).

القصيدة السادسة والستون

يا مشغولاً بأملِهِ عن ذكرِ أجلِه، راضياً في صلاح خِلالِه بخَلَلِه[1]، هل أُنبِئَ المُساكنَ لكَسله إلا مِنْ قِبَله؟!.

أَضْحَى لكَ في قبضةِ المطامعِ آمالُ ... ترجو دَرَكاً والرَّدَى لعُمْرِكَ مُغْتَال

هل أنتَ مُعِدٌّ ليوم حشرِكَ زاداً ... يوماً يجدُ الفوزَ بالقيمة عمّال

إن أغفلكَ الدَّهْرُ برهةً فسياتيـ ... ـكَ على غفلة بحتْفكَ معْجال

بادِرْ بمتابٍ فربَّما طرقَ المو ... تُ بهمٍ مِنَ المنيّةِ قَتّال

أينَ المتحامُون عن زخارفِ دنيا ... إن أوطنتِ المرءَ أعْقَبَتْهُ بترحال

خلابةُ عقلٍ ببـاطلٍ متمادٍ ... غرارةُ صادٍ رأى المطامعَ كالآل

إن شِيمَ[2] سحابٌ لها فذاكَ جَهَامٌ[3] ... أو ظُنَّ بها وابلٌ[4] فذلك خال[5]

دعْ عنك حديثَ الركابِ أينَ تولّتْ ... أو ذِكْرَ ديارٍ بها العِفَاء[6] وأطلال

يا حسرةَ من أنفقَ الحياةَ غروراً ... قد باعَ لها الفرصةَ الرخيصةَ بالغال

لا تحقرِ الذنبَ فالصحائفُ تُحصي ... ما كنت تَنَاسيتَ من قبائحِ أفعال

ياضاحكاً ملءَ فيه سروراً واغتباطاً، وقد ارتبطتْ له المنونُ خَبلَ التَّلفِ ارتباطاً، أمَا بَسَطَ الإنذار على بابِ الدَّارِ بساطاً؟! أما الحادي مجدٌّ فما للمنادَى يتباطأ؟! أيحسُنُ بالكبير أن يتمرسَ[7] باللهو أو يتعاطى؟! عجباً لعالمٍ بقربِ

---

(١) خِلاله: جمع خلة وهي الخصلة. خلله: من الخلل، وهو الفساد في الأمر.

(٢) شيم: شام البرق: نظر إليه أين يقصد؟ وأين يمطر؟.

(٣) جهام: السحاب الذي فرغ ماؤه.

(٤) وابل: مطر شديد.

(٥) خال: يقال: تستخيل الجهام. أي: لا تتخيل في السحاب خالاً إلا المطر وإن كان جهاماً لشدة حاجتنا إليه.

(٦) العفاء: ذهاب الأثر أو التراب.

(٧) يتمرس: يتعود، يصير محتكاً.

المنايا كيف لا ينتهب التُّقى التقاطاً؟ ولجسدٍ بالٍ جرّ بالعجبِ والرِّياءِ رِياطاً[1].

إلى كمْ هذا الإسراعُ في الهوى والوجيف[2]؟! وباب البقاءِ في الدُّنيا قد سُدَّ وجِيفَ[3]، إن الأمن في طريقٍ قد أخيف، رأيٌ رذيلٌ، وعقلٌ سخيف، يا من يَجْمعُ العيبَ إلى الشيبِ ويُضيف، لا الماءُ باردٌ ولا الكورُ نظيف، إنَّ إيثارَ ما يَفْنى لمُزَهَّقٌ لا ظَريف، كم أتى خريف، وكم أناخ ريف[4]، ويكفي مِن الكلِّ كلَّ يومٍ رَغيف، أيجوعُ بِشْرُ الحافي ويشبعُ وصيف[5]؟! وبِئْسَ هذا ومَن هذا مِنْهُ وصيف، وما أدرك هذا مُدَّ هذا ولا النَّصيف، ألا أريبٌ ألا لبيبٌ ألا حَصِيف؟! لا يُعْجِبَنَّكُم استقامةُ غصنِ الهوى، فالغُصنُ قَصِيف[6]، ها نحن قد شَتَوْنا ولعلّنا لا نَصِيف.

سَلِ الأيامَ ما فعلَتْ بكسرى ... وقيصرَ والقصورَ وساكنيها
أما استدعتْهُمُ للموتِ طُرّاً[7] ... فلم تدعِ الحليمَ ولا السَّفيها
دنَتْ نحو الدَّنيّ بسهمِ خَطْبٍ ... فأصمَتْهُ وواجَهَتِ الوَجيها
أما لو يبعتِ الدُّنيا بفَلْسٍ ... أَنِفْتُ لعاقلٍ أن يَشْتريها

يا من عُمُرُه يذوبُ ولا يتوبُ، إذا خرَقْتَ ثَوْبَ دينِكَ بالزللِ فارقعه بالاستغفار، فإنَّ رفّاء[8] الندم صَناعٌ[9] في جَمْعِ المُتمزق.

يا هذا إنّما يَفِلُّ المسافرُ في سَفَرِه يوماً أو يومين، ثم يقعُ على الجادةِ، واعجباً من تيه خمسين سنة!.

يا واقفاً مع الصُّوَرِ خالِطْ عالَمَ المعنى، أما علمتَ أن تغريدَ الحمامِ نياحةٌ،

---

(١) رياطاً: جمع ريطة: وهي المُلاءة وكل ثوب لين رقيق.
(٢) الوجيف: ضَرْبٌ من سيرِ الإبل والخيل.
(٣) جيف: أغلق.
(٤) ريف: السعة في المأكل والمشرب.
(٥) الوصيف: الخادم.
(٦) قصيف: مكسور.
(٧) طرّاً: جميعاً.
(٨) رفاء: خياط.
(٩) صناع: ماهر.

أنتَ تظنُّ البلبلَ يُغنّي، وإنّما يبكي على أحبابه.

ليتَ شعري عن الذين تَرَكْنا ... بعدَنا بالحجازِ هل يذكرونا
أم لعلَّ المدى تطاولَ حتّى ... بَعُدَ العهدُ بيننا فَنَسُونا
أرْجِعوا حُرْمَةَ الوصالِ فإنّا ... لهم في الهوى كما عهدونا

لو صفَتْ لك فِكْرةٌ، كان لك في كلِّ شيءٍ عِبْرة، كلُّ المخلوقاتِ بين مَخوفٍ ومَشوقٍ.

حَرُّ الصيف يُذكّر حَرَّ جهنم، وبردُ الشتاءِ مَحذِّرٌ من زمهريرها، والخريفُ ينبِّه على جني ثِمارِ الأعمارِ، والربيعُ يحثُّ على طلب العيشِ الصافي.

أوقاتُ الأسحارِ ربيعُ الأبرارِ، وقوةُ الخوفِ صيفٌ، وبرودة الرجاء شتاء، وساعاتُ الدُّعاء والطلب خريفٌ.

إذا استحرَّ[1] الحرُّ تَقَحَّم القَحلُ، فطلّق القَطْرُ الأرضَ، فَلبِسَتْ سِربالَ الجدب، وأخذَتْ في جِفْشٍ[2] الذُّلِّ، فلما طالت أيامُ الأيمة[3] أوْماً إلى المُراجعة الرجعُ[4]، فبكت قطراتُه لطولِ الهجرِ، فضحكَ لكثرةِ بُكائه رَوْضُ الأرضِ، فبنى البَنّاءُ ريعَ[5] الربيعِ، فنهضتْ ماشِطةُ القدرةِ، لإخراجِ بناتِ النباتِ من مَخْدرِ الثَّرى، وفَرشَتِ الخُلَلَ بمصبغات الحُلل، فسمع الوردُ هُتافَ العندليبِ، وحَنينَ الدواليبِ، ففتحَ فاهُ مُشتاقاً إلى مشروبٍ، فإذا الطلُّ[6] صَبوحٌ[7]، فقالَ: ألا مُنادم؟ فأبتِ الأزهارُ مصاحبةَ مَنْ لا يقيم، فأجابه بعدَ اليأسِ الياسمين، فقال: أنا نظيرُكَ في قِصَرِ العُمر، والمؤانسةُ في المجانسة، فأشِرْ أنتَ إلى المُذنب بإحمرارِ الخجلِ، حتى أشيرَ أنا إلى الخائفِ باصفرارِ الوَجَلِ.

---

(١) استحرّ: اشتد.
(٢) حفش: البيت الحقير القريب السقف من الأرض.
(٣) الأيمة: من التأيم ومفارقة الزوج.
(٤) الرجع: المطر.
(٥) ريع: النماء والزيادة.
(٦) الطل: أخف المطر وأضعفه.
(٧) الصبوح: كل ما أكل أو شرب غدوة، وهو خلاف الغبوق.

فرأى البُلْبُلُ طيبَ الاجتماعِ فغَنّى، فَرَنَّتْ ديارُ اللهو، فدخلَ الناطورُ والصيادُ، فاقتطفَ الناطورُ رأسَ الوردِ، واختطفَ الصيادُ البُلْبُلَ الوَغْد[1]، فَذُبِحَ في الحال العصفورُ، وحُبِسَ الورد في قوارير الزُّور[2]، وقيل للياسمين: لم اغتَرَرْتَ بزُورٍ؟! : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] .

فلمَّا بكى الوردُ بكاءَ نادمٍ على الاغترار صَلَحَ للمُتَظَيِّين «أنينُ المذنبين أحبُّ إلينا من زَجَلِ المسبِّحين»[3] .

فانتبه يا مخدوع، فالعُمُرُ الوَرْدُ، والزجاجةُ القبرُ، والنفسُ البُلبلُ، والقَفَصُ اللَّحْدُ.

* * *

(١) الوغد: ضعيف الجسم.

(٢) الزُّور: مجلس اللهو والغناء.

(٣) انظر: كشف الخفاء، برقم (٨٠٥). وقال بعد أن أورده: «لينظر»، ولم نستطع الوقوف عليه.

الفصل السابع والستون

إخواني! المستقرُّ يزول، والمقيمُ منقول، والأحوالُ تحول، والعتابُ على الفاني يطول، وكم نَعْذُلُ وكَمْ نقول؟!.

سيقطَعُ رَيْبُ البَيْنِ بَيْنَ الفريقينِ ... لكلٍّ اجتماعٍ فرقةٌ من يدِ البَيْنِ[1]
وكلٌّ يقضي ساعةً بعدَ ساعةٍ ... تُخاتِلُهُ عن نفسِه ساعةُ الحَيْنِ
وما العيشُ إلا يومُ موتٍ له غدٌ ... وما الموتُ إلا رقدةٌ بَيْنَ يومينِ
وما الحشرُ إلا كالصَّباحِ إذا انجلى ... يقومُ له اليَقْظانُ مِنْ رَقْدةِ العَيْنِ
أيا عجباً منِّي ومن طولِ غَفْلتي ... أُؤَمِّلُ أنْ أبقى وأنّى ومِنْ أينَ؟

أينَ قُطّانُ الأوطان؟ أينَ الأطفالُ والشُّمْطان[2]؟ أينَ الجاثمُ والمِبْطان؟ أين حَطّان وقحطان؟ أين العبيدُ والسلطان؟ أين الباني وما طان[3]؟ أين السقوفُ والحيطان؟ أين المروجُ والغيطان؟ أين المهاري والأشْطان[4]؟ أين الآجال والخيطان[5]؟ أين المُحب والحبيب في الثرى خطان؟ تَعرفُ وتَصْدِف[6] ﴿هَذَا مِن صَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥].

الطريقُ الهاديةُ واسعةُ الفجاج، والدليل ظاهر لا يحتاج إلى احتجاج، وأنّا بحرُ الهوى فما يفارقه ارتجاج، ما فيه ماءٌ للشربِ بل كلُّه أجّاج، والعَجَبُ من

---

(١) البين الأولى: الفراق. والبين الثانية: الوصال.

(٢) الشمطان: جمع أشمط، وهو الرجل الكبير.

(٣) ما طان: أي ما طين وبناه.

(٤) المهاري: نجائب تسبق الخيل. الأشطان: الحبل الذي تشد به الدابة، وهو جمع شَطَن.

(٥) الآجال: جمع إجل: القطيع من بقر الوحش والظباء. الخيطان: جمع خيط، وهي الجماعة من البقر والنعام والجراد.

(٦) تصدف: من صدف أي أعرض.

راكبٍ فيه يتَّجرُ في الزجاج، كم مزجورٍ عنه غرَّقته في لُجّةِ لُجاج.

يا معاشرَ العصاةِ! قد عمَّ الجدْبُ أرضَ القلوب، وأشرفت زروعُ التقوى على التَّوى(١)، فاخرجوا من حُصُر الذنوب إلى صَحراء الندم، وحوِّلوا أرديةَ الغَدْرِ عن مناكب العهود، ونكِّسوا رؤوس الرياسة على أذقان الذُّل، لعلَّ غيومَ الغُموم على ما تَلف تأتلف.

إخواني! قد بشَّر الرَّشَاش فاثبُتوا، وقد سال الوادي.

واحبسِ الركبَ علينا ساعةً … نَنْدُب الرَّبعَ ونَبْكِ الدِّمَنا
فلذا الموقفِ أعدَدْنا البُكا … ولذا اليومِ الدموعُ تُقْتنى
زَمَناً كان وكُنَّا جيرةً … يا أعادَ اللهُ ذاكَ الزَّمَنا
بيننا يومُ أُثَيْلاتِ النَّقا … كان عن غيرِ تراضٍ بيننا

إذا خرجَت القلوبُ بالتوبةِ من حَبْس الهوى إلى بيداءِ الإنابةِ، جَرت خيولُ الدمع في حلبات الوجد كالمرسَلات عُرفاً.

إذا استقامَ زرعُ الفكرِ، قامتْ العبراتُ تَسقي، ونهضت الزّفراتُ تَحصُد، ودارت رحا التحيُّر تَطْحن، واضطرمت نارُ القلقِ تُنضِج، فحصلت للقلب بُلَّةٌ، يتقوّى بها في سَفَرِ الحُبِّ.

يا من لم يصبِرْ عن الهوى صبرَ يوسُف، تعيَّنَ عليكَ حُزْنُ يعقوب، فإن لم تُطِقْ فذلَّ إخوته يوم ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨].

خوفُ السابقةِ؛ وحذَرُ الخاتمة قَلْقَلَ قلوبَ العارفين، وزادهم إزعاجاً ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، كلّما دخلوا سِكَّةً من سِكَكِ السكون، شرعَ بهم الجزعُ في شارعٍ من شَوارع القلق، كلّما حركَ نسيمُ السَّحرِ أغصانَ الشجر، أخذتْ ألسنُ قلوبهم في بَثِّ القَلَقِ، فكاد نفَسُ النَّفْسِ يقطعُ الحيازيم(٢)، لولا حَزْمُ التمسُّك.

---

(١) **التوى**: الهلاك.

(٢) **الحيازيم**: جمع حيزوم: وسط الصدر.

(للشريف الرضي)[1]:

وإنّي لأُغرى بالنسيم إذا سَرَى ... وتُعْجِبُني بالأبرَقَينِ ربوعُ
ويَحْنِي على الشوقِ نجديُّ مُزْنَةٍ ... وبَرْقٌ بأطرافِ الحجازِ لَمُوعُ
ولا أعرِفُ الأشجانَ حتّى تَشُوقَني ... حمائمُ ورقٍ في الديارِ وقوعُ[2]

في كلِّ الليل تهبُّ الرياح، ولكنّ لنسيمِ السحرِ خاصّيّة، ما أظنُّه تعطّرَ إلا بأنفاسِ المستغفرين، لِنَفَسِ المُحبِّ عِطْرِيةٌ تنمُّ على قَدْرِ طِيْبِه.

أحبُّ الثرى النجديَّ مِنْ أَجرِعِ الحِمَى ... كأنّي لِمَنْ بالأجرَعينِ نَسيبُ
إذا هبَّ علويُّ الرياحِ رأيتَني ... أغضُّ جفوني أنْ يُقالَ مُريبُ

المحبون على شواطئ أنهار الدمع نُزول، فلو سرْتَ عن هواك خطوات لاحَت لك الخيام:

وصلوا إلى مولاهمُ وبِقِينا ... وتَنَعّمُوا بوصالِهِ وشَقِينا
ذهبتْ شَبِيبتُنا وضاعَ زمانُنا ... ودَنَت منيتُنا فمن يُحيِنا
فتجمّعوا أهلَ القطيعةِ والجَفا ... نَبكي شهوراً قدْ مَضَت وسنينا

كان بعضُ السلف يقول: اللهم إنْ منعتني ثوابَ الصالحين، فلا تحرمني أجرَ المصابِ على مصيبتِه.

وكان آخرُ يقول: إن لم ترضَ عني فاعفُ عني.

كان القوم زينةَ الدُّنيا، فمُذْ سلبوا تسلبت[3].

خلت والله الديار وباد القوم، وارتحل أربابُ السهر، وبقي أهلُ النوم، واستبدل الزمانُ آكلي الشهوات بأهل الصوم:

كَفَى حَزَناً بالوالِهِ الصَّبِّ أن يَرى ... منازلَ مَنْ يَهْوى معطَّلةً قَفْرا

---

(١) انظر: ديوان شعره: ١/٦٢١.

(٢) الشطر الثاني في الديوان: «حمام بيطن الوادين سجوع».

(٣) تسلبت: أي لبست السلاب: وهو ثوب أسود أو أبيض تلبسه المرأة في الحداد والحزن.

يا مَنْ كان له في حديثِ القومِ ذوقٌ، أين آثار الوجدِ والشوق؟! إذا طال لبثُ الطين في حافَاتِ الأنهار تكاملِ ريُّه، فإذا نَضبَ الماءُ عنه استلبت الشمسُ جميعَ ما فيه من رطوبةٍ، فيَقوى شوقُه إلى ما فارق، فلو تَرَكْتَ قطعةً منه على لسانِك لأمسكته شوقاً إلى ما فارقَت من رطوبةٍ.

أنشدُ الناسِ حُبّاً لحديث الحجاز مَنْ سافر:

فكـانـتْ بـالفُـراتِ لَنَـا لـيـالٍ سَـرَقْنَـاهُـنَّ مِـنْ رِيَـبِ الـزَّمـانِ

يا هذا! كنْتَ تدَّعِي حبّنا، وتؤثرُ القُرْبَ منّا، فما هذا الصبر الذي قد عنَّ[1] عنا؟!.

كنتَ تستطيبُ رياحَ الأسحارِ، وما تغيَّرَ المهبُّ، ولكن دخلَ فصلُ بَرْدِ الفتور ولم تحترز، فأصابكَ زُكامُ الكَسَلِ.

كنْتَ في الرَّعيلِ الأول، فما الذي ردَّك إلى الساقة[2]؟!.

قف الآن على جادَّةِ التأسُّفِ والزم البكاء على التخلّف، فأحقُّ الناسِ بالأسى من خُصَّ بالتعويقِ دونَ الرُّفقاء:

يـا صـاحِـبَـيّ أطيـلا فـي مـؤانَـسَـتـي وعلِّـلانـي بِخِـلَّانـي وعُشّـاقـي
وحَـدِّثـانـي حـديـثَ الخَيْـفِ إنَّ لَـهُ روحـاً لقلبـي وتسهيـلاً لأخـلاقـي
مـا ضرَّ ريحَ الصَّبا لو نَاسَمَتْ حُرَقي واستَنْقَذَتْ مُهجتي من أسرِ أشواقي
داءٌ تقـادمَ عنـدي، مَـنْ يُعـالجُـه؟ ونَفْثَـةٌ بلَغَـتْ مني، مَـنِ الـرَّاقي؟
يَمضـي الـزمـانُ وآمـالـي مُصَـوَّمَـةٌ مِمَّـن أُحِـبُّ علـى مُطْـلٍ وإمـلاقِ
وَاضيْعَةَ المُمْرِ لا الماضي انتفعتُ بِهِ ولا حَصَلْتُ على عِلْمٍ منَ الباقي
بلـى علمتُ وقـد أيقنْتُ يـا أسفـاً أنـي لكـلِّ الـذي قـدَّمْتُـهُ لاقِ

* * *

(١) عنَّ: طرأ.
(٢) الساقة: المؤخرة.

الفصل الثامن والستون

إخواني! مَنْ عامل الدُّنيا خَسِر، ومن حَمَل في صفِّ طلبها كُسِر، وإنَّ خلاصَ مُحبِّها منها عَبر، وكُلُّ عاشقيها قد قُبِرَ وأُسِرَ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ (الأحزاب: ٢٣).

أرى الشهدَ يرجعُ مثلَ الصَّبرِ ... فما لابنِ آدمَ لا يَعْتَبِرْ
ومُخبِرُه صادقٌ في الحديثِ ... فإن شكَّ في ذاكَ فليختبِرْ
ودنياكَ فانٍ بطولِ الهوانِ ... فهلْ هي إلا كَجِسْرٍ عُبِرْ

يا طالباً ما لا يُدرَك، تَمنَّى البقاء وما تُتْرك، كأنك بالحادي قد أبرك[1]، وهل غير الحصاد لزرع قد أفرك؟![2].

وكيفَ أُشيدُ في يومي بناءً ... وأَعلمُ أنَّ في غدِ عنه ارتحالي
فلا تَنصُبْ خيامَكَ في محلٍّ ... فإنَّ القاطنينَ على احتمالِ[3]

يا من أعماله رياءً وسمعة، يا من أعمى الهوى بصرَه وأصمَّ سمعَه، يا من إذا قام إلى الصلاة لم يُخلص ركعة، يا نائماً في انتباهه إلى متى هذه الهَجعة؟! يا غافلاً عن الموتِ كم قلعَ الموتُ قَلْعة! كم دخل دارَك فأخذ غيرك وإنَّ له لرجعة! كم شَرى شخصاً بنقد مَرَض وله الباقون بالشُّفعة[4]! كم طرَق جباراً فشتت شَمْلَه وأخْرَبَ ربعه، أفلا يتَّعِظُ البيدق بسلب شاه الرقعة[5].

يا عامرَ الدُّنيا! إنّما الدُّنيا دار قُلْعة[6]، كم مزَّقت قلباً بُحبِّها فرجع ألفَ

---

(١) أبرك: يقال: أبرك في عدوه: أسرع فيه مجتهداً.
(٢) أفرك: صار صالحاً للحصاد.
(٣) احتمال: رحيل.
(٤) الشُّفعة: مصدر بمعنى التملك، وقد عرفها الفقهاء بأنها تمليك البقعة جبراً على المشتري بما قام عليه، أو هي حق تملك قهري يثبت للشريك القديم على الحادث فيما ملك بعوض.
(٥) بيدق: بيدق الشطرنج: الجندي. وشاه الرقعة: الملك.
(٦) دار قُلْعة: دار تحول وارتحال.

قطعة، إنْ خُصَّتْ بطيب المَذاقِ أَغَصَّتْ وسْطَ الجُرعة، يومُ تَرجِها سنة، وسنةٌ فَرجها جمعة، إنَّها لَمُظلمةٌ، ولو أوْقدت ألفَ شَمْعة، وهي مع هذا خاتنةٌ، ولو حلفت بِرَبَعة[1]، [والمطبوع على طبعه فمن يُغيّر طبعه][2].

كم دَرَّسَتْ عليكم مُجلدات تقولُ: ما هذه الأنفُس مُخلّدات! أين الأقاربُ، أين اللِّدات[3]؟! أفلا روائدُ ذهنٍ للأخبار مُتَسِمات! آهٍ للقاعدينَ عن طلبِ المَكْرُمات، آهٍ للمستريحين لقد رضوا بمؤلِمات.

يـــا أسيـــرَ الشهـــوات ذهـــبَ العمـــرُ وفـــات
ومضَـــى وقتُـــكَ فـــي لهـــوٍ وسهـــوٍ وشتـــات
بينمـــا أنـــتَ علـــى غيّـــكَ حتـــى قيـــل مـــات

إخواني! ما لقلب العزم قد غَفَل، ولنَجمِ الحَزْمِ قد أَفَل، مهلاً فشمسُ العمرِ في الطَّفَل[4]، ومن لم يحضر الوغى لم يُحرِزِ النَّفَل:

ثَـــوانـــيَ[5] هَـــمٌّ فَلـــم أُقْـــرِه أوائـــلَ مـــن عـــزمتي أو ثـــوانـــي[6]
فيـا هنـدُ وانٍ[7] عـن المكـرمـات مَـنْ لا يســاور بـالهُنـدوانـي[8]

يا معاشرَ العلماءِ! أتقنعونَ من الصفات بالأسماء؟! أتؤثرون الأرضَ على السماء؟! أفي السُّكرِ أنتم أم في الإغماء؟! أترضون بالثريّا الثرى؟! أتغمضون العيونَ مِنْ غير كرى؟! أتنامون فمن يحمَدُ السُّرى؟!.

أتحيدون وفي الأنفِ البُرَى[9]؟! أتحلّون عقد ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ﴾ [التوبة:

---

(١) ربعة: صندوق أجزاء المصحف.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) اللدات: جمع لدة: من ولد معك في وقت واحد.
(٤) الطفل: الوقت قبيل غروب الشمس، أو بعد العصر إذا طفلت الشمس للغروب.
(٥) ثواني: من الثواء: الإقامة.
(٦) ثواني: ما يأتي ثانية.
(٧) وانٍ: ضعيف فاتر متباطئ.
(٨) هندواني: السيف.
(٩) البرى: جمع برة: حلقة من نحاس في أحد جانبي أنف البعير للتذليل.

١١١]؟! إنكم لأحقُّ بالحزن فيما أرى، أَحْضِروا نائحة لا تُكَفْكِفُكُمُ الكِرا[١].

يـا قـومَنـا هـذه الفـوائـدُ جَمَّـةٌ فتخيّـروا قبـلَ النّـدامـةِ وانتقُـوا
إنْ مسَّكـم ظمـأٌ يقـولُ نـذيـرُكُـمْ: لا ذنبَ لي قد قلتُ للقومِ اسْتَقُوا

يا معاشرَ العلماء! قد كتبتم ودرستم، ثُمَّ إنْ طَلَبْكُم العلمُ فَلَسْتُم في بيتِ العمل، ثم لو ناقَشْتكم الإخلاصَ لأفْلَسْتُم.

شجرةُ الإخلاص أصلُها ثابتٌ، لا يضرُّها زَعْزعٌ[٢] ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [النحل: ٢٧]، وأما شجرة الرياء فاجْتُثَّتْ عند نَسْمةٍ ﴿وَقُوفُوهُمْ﴾ [الصافات: ٢٤].

كم متشبِّهٍ بالمخلصين في تَخَشُّعِه ولِباسه، وأفواهُ القلوبِ تنفرُ من طَعْم مذاقه! واأسَفي ما أكثر الزُّور!

أمّا الخِيامُ فإنَّها كخيامهم

ليسَ كلُّ مستديرٍ يكون هلالاً، لا لا، وما كلُّ مَنْ أَوْمَى إلى العزِّ نالَه.
ودون العُلى ضربٌ يُذَمِّي النَّواصيا

كم حولَ معروفٍ من دفينٍ، ذهب اسمُه كما بَلِيَ رسْمُه، ومعروفٌ[٣] معروف:

فمـا كـلُّ دارٍ أقْفَـرتْ دارةُ الحِمـى ولا كـلُّ بيضـاءِ النَّـرائـبِ زينـبُ

ريحُ المُخلصينَ عطريةُ القبول، والمرائي سمومِيُّ النسيم، نفاقُ المنافقين صَيَّرَ المسجدَ مَزْبلةً ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، وإخلاص المخلصين رفع قدر الوَسَخ «ربَّ أشعثَ أغبر»[٤].

أيُّها المرائي قلبُ من ترائيه بيدِ مَنْ تَعْصِيه[٥]، لا يُنْقَشُ على الدرهم الزائفِ

---

(١) الكراء: بالقصر والمد: الأجر.
(٢) زعزع: الريح الشديدة.
(٣) أي: معروف الكرخي.
(٤) رواه مسلم.
(٥) ترائيه: أي من تعمل لأجله من الناس. بيد من تعصيه: أي بيد الله عزَّ وجلَّ.

اسمُ الملك، فما يتبهرجُ الشحمُ بالورمِ، المرائي يتبَرْطل[1] على بابِ السلطان، يدّعي أنّه خاصٌّ وهو غريب! أتدرون ما ذنب المرائي؟ دعا باسم ليلى غيرَها فيا أسَفي! ذهبَ أهلُ التحقيق وبقيت بُنَيّات الطريق، خَلَتِ البقاعُ من الأحباب، وتَبدَّلت العمارةُ بالخراب، يا ديارَ الأحباب عندك خبرٌ! المخلصُ يُبَهْرِجُ على الخلقِ بستر الحال، وبَهْرَجته يَصعُ النقدُ.

كان في ثوبِ أيوب السختياني بعضُ الطولِ لِسَتْرِ الحال، وكان إذا وَعَظ فَرَقَّ، فَرَقَ قلبه من الرياءِ فيَمْسحُ وجهَه ويقول: ما أشدَّ الزكام.

(لِصُرَّدُرّ)[2]:

أحبــــسُ دمعــــي فينــــدُّ شــــارِداً ... كــــأنّنِــــي أحبــــسُ عبــــداً آبقــــا
ومِــنْ محــاشــاةِ الــرقــيــبِ خِلْتُــني ... يــومَ الــرحــيلِ فــي الهــوى منــافقــا

كان (أيوبُ) يُحيي الليلَ كلَّه، فإذا كان عند الصباح رفعَ صوته كأنه قام تلك الساعة:

(لِصُرَّدر)[3]:

أُكَلِّفُ القلــبَ أن يَهْــوى وأُلــزِمُــهُ ... صبــراً وذلــكَ جمــعٌ بيــن أضــدادِ
وأكتمُ الركبَ أوطاري[4] وأسألُه[5] ... حاجاتِ نفسي لقدْ أتعبتُ رُوّادي
هــل مــدلِجٌ عنــدَه مــن مُبكِــرٍ خبــرٌ ... وكيــفَ يعلــمُ حــالَ الرائــحِ الغــادي
وإنْ رويتُ أحاديثَ الذين مَضَوْا[6] ... فعــن نسيــمِ الصَّبــا والبــرقِ إسنــادي

كان (إبراهيم النخعي) إذا قرأ في المصحف فدخل داخلٌ غطّاه.

وكان (ابن أبي ليلى) إذا دخل داخلٌ وهو يصلي اضطجع على فراشه.

---

(١) يتبرطل: أي لبس البُرطل، أي القلنسوة.

(٢) قاله يمدح عفيفاً القائمي. انظر: الديوان، ص١٤٩.

(٣) قاله في مدح الوزير أبي نصر بن جهير، وهو آخر شعر قاله. انظر: الديوان، ص١٠٥.

(٤) في الديوان: «أسراري».

(٥) في الديوان: «وأسألهم».

(٦) في الديوان: «نأوا».

أَفـدي ظبـاءَ فَـلاةٍ مـا عَـرَفْـنَ بهـا مضغَ الكلامِ ولا صَبْغَ الحواجِبِ[1]

مرض (ابنُ أدهم) فجعلَ عند رأسِه ما يأكله الأصحّاء، لئلا يتشبه بالشاكين، هذه والله بَهْرجةٌ أصحُّ من نقدك.

(للعباسِ بن الأحنفِ)[2]:

قد سـخَّبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا وفـرّقَ النـاسُ فينـا قـولهـم فِـرَقا
فكـاذبٌ قـد رَمَـى بـالظّـن غيـرَكُـمُ وصـادقٌ ليـس يـدري أنّـه صَـدَقا

اشتُهِرَ (ابن أدهم) ببلد، فقيل: هو في البستان الفلاني، فدخل الناسُ يطوفون ويقولون: أين إبراهيم بن أدهم؟ فجعل يطوفُ معهم ويقول: أين إبراهيم ابن أدهم.

(لمهيار)[3]:

ضنّاً بأنْ يعلمَ الناسُ الهوى ولمَن وهبـتُ للسـرِّ فيـه لـذّةَ العَلَـنِ
عـرّض بغيـري ودَعْنـي في ظنونهـمُ إنْ قيلَ: من يُكُّ يُخفي الحبَّ في الظَّنَنِ

قرئ على (أحمد بن حنبل) في مرضِهِ أنَّ طاووساً كان يكره الأنين، فما أنَّ حتى مات.

(لِصُرَّدُرّ)[4]:

تفيـضُ نفـوسٌ بـأوصـابِهَـا وتكتـمُ عـوّادَهـا مـا بهـا
ومـا أنصفـتْ مهجـةٌ تشتكـي هـواهـا إلـى غيـر أحبـابهـا

لما همَّ الطبيعُ بالتأوِّه من البلاء كشفت الحقائقُ سُجُفَ المحبوبِ، فلم يبقَ

---

(١) يريدُ بالظباء نساء العرب، وأنهن فصيحات لا يمضغن الكلام، ولا يصبغن حواجبهن كعادة نساء الحضر، فهو تفضيل للعربيات.

(٢) انظر: ديوان شعره، ص١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٣) مطلع قصيدة يمدح بها الوزير ابن أردشير. الديوان: ٤/ ٢٧ ـ ٢٩.

(٤) من قصيدة يمدح بها أبا القاسم بن رضوان. انظر: ديوان شعره، ص١٣٨.

لتقطيع الأيدي أثر:

بـدا لهـا مِـنْ بعـدِ مـا بـدا لهـا روضُ الحِمَـى أن تشتكي كَـلالَهـا

رحل ـ والله ـ أولئك السادة، وبقِيَ والله قرناء الرياء والوسادة.

ذمَّ المنـازلَ بعـد منـزلـة اللـوى والعيـشَ بعـد أولئـك الأقـوام

أسمع أصواتاً بلا أنيس، وأرى خشوعاً أصله من إبليس.

(لمهيار)[1]:

تشبهـتْ حـورُ الظبـاءِ بهـم إذ سكنـتْ فيـكَ ولا مثـلُ سكـنْ

أصـامِت بنـاطـقٍ، ونـافـرٌ بـآنـسٍ وذو خـلاً بـذي شَجَـنْ

مُثْنَيَـةٌ أعـرفُـه وإنّمـا مغـالطاً قلتُ لصَحْبي: دارُ مَنْ؟

قِـفْ بـاكيـاً فيهـا وإن كنـتَ أخـاً مُـؤانسـاً فبكِّهـا عنـك وعـن

لـم يُـقِ لـي يـومُ الفـراقِ فضلـةً مِـنْ دمعـةٍ أبكي بهـا على الـدِّمَـنْ

* * *

(١) من قصيدة أنشد بها ابن هرثمة الكاتب. الديوان: ٤/ ٤٧.

الفصل التاسع والستون

التفكُّر في عجائب خلق الله

يا مَنْ قد أُرخيَ له في الطَّوَل[1]، وأُمْهِلَ له بِمَدِّ الأجل، اخلُ بنفسِكَ وعاتبْها، وخُذْ على يدها وحاسبها، لعلَّها تأخُذُ عدَّتَها قبل أن تستوفيَ مُدَّتها:

وجـدتُ أيـامـي بـي رَواحـلاً ... متى ترى ينحطُّ عنها الراحلُ
وصيحَ بي: عَرِّسْ[2] فقد طالَ المدى ... وكـل ركـبٍ فـي التّـرابِ نـازلُ
يهـدُّهُ الحَيْـنُ[3] فهل من سامعٍ ... وجـاءَ بـالنصـحِ فـأيـنَ القـابـلُ
وكـلُّ شـيءٍ زاجـرٌ مُحـدِّثٌ ... يفهـمُ مـا قـالَ الحصيفُ العـاقِـلُ

إخواني! بادروا قبل العَوائق، واستدركوا، فما كلُّ طالبٍ لاحق، واشكروا نعمةً من سَتَرَكُم عن الذُّنوب، واعرفوا فضلَه فقد أعطاكم كلَّ مطلوب، ما أعمَّ جودَه لجميع خلقه! وما أكثرَ تقصيرَهم في حقِّه! عمَّ إحسانُه الآدميَّ والبهائمَ، والمستيقظَ والنائمَ، والجاهلَ والعالمَ، والمتّقي والظالم.

من تأمَّلَ حسنَ لطفه لخليقتِه حيَّرَهُ الدَّهَش، خلقَ الجنينَ في بطنِ الأمِّ فجعل وجهه على ظهرِها لئلا يجري الطعامُ عليه، وجعل أنفَه بين ركبتيه ليتنفَّس في فراغ[4]، وسبق قوتَّه في مِصْران السرة، وليس العجبُ تَغذِّيه لأنَّه متّصلٌ بحيٍّ، إنما العجبُ خلقُ الفرخ في البيضةِ المنفصلةِ، فإنَّه من البياضِ يخلَقُ ومن المُحِّ[5] يغتذي، فقد هيَّأ له زادَ الطريقِ قبل سيرِ الإيجاد.

---

(١) الطَّوَل: الحبل يرخى للدابة لترعى. وهنا كناية عن فسحة الأجل.
(٢) عرِّس: هو نزول القوم في السفر من آخر الليل، وفي (أ): عرج.
(٣) الحين: الهلاك.
(٤) هذه المعارف كانت شائعة في عصرهم، ولا تصح.
(٥) المح: ما في جوف البيضة من صفرة.

إذا تفقأت بيضةُ الغرابِ خرجَ الفرخُ أبيض، فتنفرُ عنه الأمُ لمبايتِه لونها، فيبقى مفتوحَ الفمِ لطلبِ الرزقِ، فيسوقُ القدرُ إلى فيه الذباب، فلا يزالُ يغتذي به حتى يسوَدَّ، فتعود أمه إليه.

خلق الطيرِ ذا جؤجؤ[1] مخدد، لتجري سفينة طيرانه في بحر الهوى، وجعل في جناحه وذنبه ريشاتٍ طوالاً لينهض للطيران، ولمَّا كان يختلِسُ قوتَه خوفاً من اصطياده، جُعِلَ منقارُه صلباً لئلا ينسحج[2]، ولم يُخلق له أسنان، لأنَّ زمانَ الانتهاب لا يحتمِلُ المضغَ، وجُعِلَتْ له حَوْصلة كالمِخْلاة، فينقل إليها ما يسلُبُ، ثم ينقلُه إلى القانصة في زمان الأمن، فإن كانت له فراخٌ أسْهَمهم قبل النَّقْل.

كلَّما طالَتْ ساقا الحيوان طالَ عنقُه، ليمكنه تناولَ طُعْمِه من الأرض.

هذا طائرُ الماءِ لا يقف إلا في ضحضاح[3]، فيتأمّل ما يَدُبُّ في الماء، فإذا رأى ما يريدُ خطا خطواتٍ على مهل فيتناول، ولو كان قصيرَ القوائم، كان حين يخطو يضرب الماء ببطنه فيهربُ الصيدُ.

هذه العنكبوتُ تبني بيتها بصناعة يعجزُ عنها المهندس، إنَّها تطلبُ زاويةً فجعلت فيها خيطاً، ووصلت بين طرفيها بخيطٍ آخر، وتُلقي اللعاب على الجانبين فإذا أحكَمَتِ المعاقدَ، ورتّبت القُمُط[4] كالسدى أخذت في اللُّحمة[5]، فيظنُّ الظانّ أنَّ نسجَها عبثٌ، كلا، إنَّها تصنعُ شبكةً لتصيدَ قوتَها من الذباب والبقِّ، فإذا أتمَّت النَّسجَ انزوت إلى زاويةٍ ترصدُ رصْدَ الصائِد، فإذا وقع صيدٌ قامت تجني ثمارَ كسبها فتغتذي به، فإذا أعجزَها الصيدُ طلبتْ زاويةً ووصلت بين طرفيها بخيط، ثم علَّقَتْ نفسَها بخيطٍ آخر، وتنكّست في الهواءِ تنتظرُ ذبابةً تمرُّ بها، فإذا

---

(١) جؤجؤ: صدر.

(٢) ينسحج: من سحج جلده فانسحج، أي: قشره فانقشر.

(٣) ضحضاح: ماء قليل قريب القعر.

(٤) القمط: جمع قماط، وهو الحبل ونحوه يقمط به.

(٥) السدى: ضد اللحمة وهو ما يمد طولاً في النسيج. اللُّحمة: ما ينسج عرضاً.

دنَتْ منها دبت إليها، واستعانت على قتلها بلدف الخيط على رجلها، أفتراها عَلِمَتْ هذه الصنعة بنفسها؟ أو قرأتها على بعض جِنْسِها؟ أفلا يُنظَرُ إلى حكمةِ مَنْ علَّمَها وتثقيف من ألهمها؟!.

فإن لم يكن لك نظرٌ يُعجبُك منها فتعجَّبْ من عدم تَعَجُّبِكَ، فإنَّ أعجبَ أفعالِ القَدَرِ ﴿ وَأَسَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

القلبُ جوهرٌ في مَعْدِنِ البدن، فاكشف عنه بمعوّلِ المجاهدة، ولا تُطَيِّنْهُ بترابِ الغفلةِ، رَمَيْتَ صخرةَ الهوى على يَنْبوعِ الفِطنة، فاحتبسَ الماءُ، انقُبْ تحتَها إن لم تُطِقْ رفعها لعلّ الجُرفَ[1] ينهار.

في قُربنا نَيْلُ المنى ... فتنبّهُوا يا غافلينا
عَجَباً لقومٍ أعْرَضوا ... عَنَّا وقِدْماً واصلونا
نَقَضُوا العهودَ وبارزونا ... بالصدودِ وكاشفونا
واستعذبُوا طَعْمَ القطيعةِ ... والجفا حتى نسُونا
يا ويحهم لو قد رأوا ... ما فاتهم لاستعطفونا

إلهي! ما أكثر المعرضين عنك والمعترضين عليك! وما أقلَّ المُتعرضين إليك يا روحَ القلوب! أين طُلّابك؟ يا نور السماوات! أين أحبابُك؟ يا ربَّ الأرباب! أين عُبّادُك؟ يا مُسَبِّبَ الأسباب! أينَ قُصّادُك؟ من الذي عاملك بلبه فلم يربَح؟ مَنْ الذي جاءَك بكربه فلم يفرح؟ أي صدْرٍ صدَرَ عن بابك ولم يَنْشَرِح؟ مَنْ ذا الذي لاذَ بجنابك فاشتهى أن يَبرح؟ يا مُعْرِضاً عنه إلى مَنْ أعرضتَ؟ يا مشغولاً بغيرِه بمَنْ تعوّضت؟!.

مُتْ على مَنْ غبتَ عنه أسفا ... لستَ عنه بمصيبٍ خَلَفا
لن ترى قُرَّةَ عينٍ أبدا ... أو تُرى نحوَهُمُ مُنْصَرِفا

بِعْتَ قيامَ الليلِ بفضلِ لُقمة! شربتَ كأسَ النعاسِ ففاتَكَ الرفقة، ضُرِبَ على أذنك لا في مرافقة أهلِ الكهفِ، تناولتَ خَمْرَ الرُّقاد، فوقعَ بكَ صاحِبُ

---

(١) الجرف: شق الوادي إذا حفر الماء في أسفله.

الشرطة، فعمل في حقك بمقتضى «أقم وأنِمْ»، فجعل حدَّكَ الحبسَ عن لحاقِ المتهجدين.

واللهِ لو بعتَ لحظةً من خلوةٍ بنا بِعُمْرِ نوح في ملك قارون لَغُبِنْتَ، لا بل بما في الجنان كلِّها ما ربحتَ، ومن ذاقَ عَرَف.

إخواني! اسمعوا بحُرمةِ الوفاء، فما كلُّ وقتٍ يطلعُ سُهَيل[1]، فإذا خرجتم من المجلسِ، فاقصدوا المساجد الخراب، وضعوا وجوهكم على التراب، وابعثوا أنفاسَ الأسَفِ، وكفى بها شفيعاً في الزَّلل، فإن وجدتُم قلوبَكم قد حضَرَتْ فاذكروني معكم.

(للشريف الرضي)[2]:

وقولوا لجيران على الخَيْفِ من مِنًى ... تراكُمْ مَن استبْدَلْتُمُ بِجِواريا

ومَنْ وَرَدَ الماءَ الذي كُنْتُ وارداً ... به وَرَعَى العُشْبَ[3] الذي كنتُ راعيا

فوا لهفتي! كم لي على الخَيْفِ شهقةٌ ... تذوبُ عليها قطعةٌ من فؤاديا

* * *

(١) سهيل: نجم يماني، قيل: عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي الغيظ.

(٢) من قصيدة قالها عند توجّه الناس إلى الحج عام (٤٠٠هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٥٧٠ ـ ٥٧١.

(٣) في الديوان: «الروض».

الفصل السبعون

يا تائهاً في بوادي الهوى، انزل ساعة بوادي الفكر، يخبرْكَ بأنَّ اللذةَ قصيرةٌ والعقابَ طويل، واعجباً لمن يشتري لذّةَ ساعةٍ بَغَمِّ الأبد! كانت المعصيةُ ساعةً، لا كانت، فكم ذلَّت بعدها النفسُ! وكم تصاعدَ لأجلها النَّفَسُ! وكم جرى لتَذْكارِها دمعٌ.

(للشريف الرضي)[1]:

قَضَتِ المنازلُ يومَ كاظمةٍ ... أنَّ المَطِيَّ يطولُ موقفُها
سبقتْ مدامعُنا برَشَّتها ... من قبلِ أن يُومي مُكفكفُها
إن كنتُ أنفدتُ الدموعَ بها ... فالوجدُ بعدَ اليومِ يخلُفُها
لا تنشُدَنَّ الدارَ بعدهُمُ ... إنِّي على الإقواءِ أعرِفُها
رفقاً بقلبيَ لا تُعذِّبه[2] ... العينُ منك وأنتَ تطرِفُها
في القلبِ منكَ جراحةٌ عَظُمَتْ ... ما زلتُ أُدمِلُها وتقرِفُها[3]
هل يعطِفنّكمُ توجُّعُها ... أو يُثْبِلَنّ بكُمْ تلهُّفُها

يا من قد هبّتْ على قلبه جَنوبُ المجانبة، فلفَّقَتْ غيمَ الغَفْلة، فأظلمَ أُفُقُ المعرفة، لا تيئس فالشمسُ تحت الغيم.

لو تصاعدَ نفسُ أسِفٍ، دارَتْ شمالاً فتقطعَ السحاب.

أنفعُ دواءٍ أجدُه لكَ نقض أخلاطِ التخليط بالدموع.

بضاعةُ المُذنِبِ دمعُه، رأسُ مال المُقِرِّ حُزنُه، راحةُ الأوّابِ قلقُه، عيشةُ التوّاب حُرَقُه.

---

(١) من قصيدة قالها في معاتبة صديق له. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٣٠ـ٣٣.

(٢) في الديوان: «رفقاً بقلبي يا أبا الحسن».

(٣) تقرفت: يقال: تقرفتْ القرحة: تقشرت.

كان آدم عليه السلام يبكي بعد هبوطه حتى يخوض في دمعه، فكان جبريل يأتيه فيقول: كم هذا البكاء؟ ولسان حاله يجيب:

(للشريف الرضي)[1]:

يا عاذلَ المشتاقِ دَعْهُ فإنَّهُ ... يطوي على الزفراتِ غيرَ حشاكا
لو كان قلبُكَ قلبَهُ ما لُمْتَهُ ... حاشاكَ مما عندَهُ حاشاكا

يا جبريل! ما تغيَّرَ عليكَ أمرٌ، وأنا نُقِلْتُ من بردِ عيشٍ إلى حر، ما سَكَنْتَ قط مَسْكَني، ولا توطَّأتَ موطني، فاقرأ على ربعي سلامي، وقل له: لا تنسَ أيامي.

(للمصنف):

إذا جزْتَ بالغَوْرِ عرّجْ يمينا ... فقد أخذَ الشوقُ منّا يَمينا
وسلّم على بانةِ الواديين ... فإنْ سَمِعَتْ أوْشَكَتْ أنْ تبينا
وروِّ ثرى أرضهم بالدموع ... وخلِّ الضلوعَ على ما طُوِينا
وصِحْ في مغانيهم أينَ هُمُ ... وهيهاتَ أنُّوا طريقاً شَطُونا
أراكَ يشوقُكَ وادي الأراكِ ... أللدارِ تبكي أم الساكنينا
سقى اللهُ مرْتَعَنا بالحِمَى ... وإن كانَ أورثَ داءً دفينا
وعاذلةٍ فوقَ داءِ المُحِبِّ ... ورويداً رويداً بِنَا قَدْ بُلِينا
فمَنْ تعذلينَ أما تعذُرِينَ ... فلو قَدْ نَقَفْتِ دفعتِ الأنينا
إذا غلبَ الحُبُّ ضاعَ العتابُ ... تعبتِ وأتعبتِ لو تَعْلمينا

ما زال آدم يشيم[2] برقَ العفوِ، فلمّا طالَ عليه الزمانُ، حمَّلَ صُعَداءَ[3] الوجْدِ رسالةَ الجوى، ما علمتْ بمضمونها الرياحُ.

إذا بدا البرقُ من نجدٍ طربتُ له ... وكِدْتُ من طربي أقضي لذكرهمُ

---

(١) انظر: ديوان شعره: ٢/١٠٩.

(٢) يشيم: ينظر إلى البرق أين يقصد، وأين يمطر سحابه.

(٣) صعداء: يقال: تنفس الصعداء: نفساً ممدوداً من توجع.

وتحمِلُ الريحُ إنْ هبَّتْ شآميةً ... منّي السلامَ إلى أطلالِ ربعهمُ
فرضٌ عليَّ أراعيهم وأحفظهم ... على البِعادِ ويرعوني بفضلهمُ

يا معاشر المذنبين! تأسَّوا بأبيكم في البكاء، تفكَّروا كيف باع داراً قد رُبِّيَ فيها وضاعَ الثمن، لا تبرَحُوا من باب الذلِّ، فأقربُ الخطائين إلى العفو المعترِف بالزَّلَلِ.

ما انتفعَ آدمُ في بلية ﴿وَعَصَىٰ﴾ [طه: ١٢١] بكمال ﴿وَعَلَّمَ﴾ [البقرة: ٣١]، ولا ردّ عنه عزّ ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ [البقرة: ٣٤]، وإنما خلّصه ذلّ ﴿ظَلَمْنَآ﴾ [الأعراف: ٢٣].

قال سَرِيّ: بتُّ ببعض قرى الشام، فسمعتُ طائراً على شجرةٍ يقول طوال الليل: أخطأتُ لا أعود، فقلتُ لأهل القرية: ما اسم هذا الطائر؟ فقالوا: فاقدُ إلْفِه.

(لمهيار)[1]:

تأوَّهتْ تأوّهَ[2] الأسيرِ ... ورقاءُ ذات وَرَقٍ نضيرِ
تنطقُ عن قلبٍ لها مكسورِ ... كأنّها تنطِقُ عن ضميرِ
لبيكِ يا حزينةَ الصفيرِ ... إن استجرتِ بي فاستجيري
لكِ الخيارُ أنجدي أو غوري ... وحيثما صارَ هواكِ صيري

قصَّ جناحي زمنٌ فطيري

إخواني! نفترقُ على هذه الحال، غفلةٌ شاملة، ودموعٌ جامدة، لا، بالله لا تفعَلوا.

يا حاديَ العيسِ لا تَعْجَلْ بنا وقِفِ ... نُجري دموعَ هواهُم ثم ننصرف
فما يزالُ نسيمٌ من يمانيَةٍ ... يأتي إلينا بريّا[3] روضةٍ أُنُفِ[4]

---

(١) انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٤٥.
(٢) في الديوان: «ترنمت ترنم».
(٣) ريّا: الرائحة الطيبة.
(٤) روضة أنف: جديدة النبت لم ترع.

إذا رأيتم باكياً في المجلس فارحموه، وإذا شاهدتم قلقاً فاعذروه، لا تعجبوا من واجدٍ ما لم تجدُوه.

(لابن المعتز):

دعُوهُ ليُطْفِي بالدموعِ حرارةً ... على كَبِدٍ حَرَّى دَعُوهُ دَعُوهُ
سلوا عاذليه يعذروه هُنَيْهَةً ... فبالعَذْلِ دونَ الشوقِ قد قَتَلُوهُ

لا تلوموا صاحبَ الوجد فما يرى بحضرتِه أحداً.

ظنَّ الأراكَ لدى واديه أظْعانا ... فما استطاعَ لما أخْفاه كِتمانا
فبان للرَّكْبِ ما قد كان يستره ... عن كلِّ مستخبِرٍ عن حُبِّ مَنْ بَانا

كان (أبو عبيدةَ الخواص) يمشي في الطريق ويصيح: وا شوقاه إلى من يراني ولا أراه.

هذا وَلَهي وكم كتمتُ الولَها ... صوناً لحديثِ مَنْ هوى النفس لها
يا آخرَ مِخْتَبي ويا أوّلها ... أيْامُ عَنايَ فيك ما أطولَها

ليسَ للمحبِّ قرار، ولا من الحبِّ فرار، تعرقَلَ وفات، وخُنِقَ فمات.

ولي عبراتٌ تَسْتَهِلُّ صبابةً ... عليكم إذا بَرْقُ الغمامِ تألّقا
أَلِفْتُ الهوى حتى خَلَتْ لي صروفُه ... وربَّ نعيمٍ كان جَالبُه شَقَا
وأذهلُ حتى أحسَبَ الصدَّ والنوى ... بمعترَكِ الذكرى وصالاً وملتقى
فها أنا ذو حالين أما تلذُّذي ... فحيٌّ وأما سَلْوَتي فلَكَ البَقا

لو أشرَفْتَ على وادي الدُّجى، لرأيتَ خيمَ القومِ على شواطئ أنهار الدموع، خلَوْا ـ والله ـ بالحبيب، وطالَ الحديث، عينٌ تبكي من المحبوب، وأخرى تبكي عليه، لفظةٌ تشكو منه، وأخرى تشكو إليه، ريٌّ تام بمحبّته، وعطشٌ مُحرِقٌ إلى رؤيته.

(للمصنف)

الماءُ عندي قد طَمَا ... وأنا الذي أشكو الظَّمَا

جِنْسِي معي لكنَّ قلبي ... عندَ سكّانِ الحِمى
واهاً لهمْ لو أنّهم ... عادُوا وجادُوا لي فما
أرجو نَوَال سوائمُ ... هيهاتَ همْ حَسْبي وما
مَيْلِي إلى غيرِ الأُلى ... سلبوا فؤادي إنّما
أشكُو إليهم منهمُ ... كَلْماً يزيدُ وكُلَّما
هجروا تَفَاقَم أمرُهُ ... يا ليتهم داوَوْا كَما
جَرَحوا فلو طَبُّوا شَفَوْا ... هيهاتَ لولاهُم لما
ذهبَ الزمانُ بأنْ أقول ... عسى وأرجُو رُبّما
يا أيها المضنَى بهم ... لم يبقَ منكَ سوى الذُّما[1]
فألَذُّ ما كانَ الوصالُ ... فعادَ مُرًّا علقَما
تركوكَ بعدَ فراقهم ... متحيِّراً تبكي دَمَا
يا بانةَ[2] الوادي ارحمي ... مَن لا يزالُ مُتَيّما
يا نسمةَ الريحِ الشمالِ ... ألا ابلِغيهم بعضَ ما
ألقى فحرُّ سمائمِ الـ ... أنفاسِ يكفي مَعْلَما
نفسي تكابدُ وجدَها ... بكمُ فما فقَرت فما
لكنَّ آثارَ المحبةِ ... ليسَ تَخْفى أينَ ما
كانت فلا زالَ الفؤادُ بها ... طولَ الزمانِ منعّما

* * *

(١) الذما: بقية الروح.
(٢) بانة: ضرب من الشجر.

القصل الحادي والسبعون

إخواني: ألا ناظرٌ لنفسه قبل الموت؟! ألا مُستدركٌ زادَ رَمْسِه قبل الفوت؟! ألا مُزدَجِرٌ بواعظِ أمسِه؛ فقد أسمعه الصوت؟!.

ما ضرَّ عبدٌ نَفْسَه قبلَ خروجِ نفسِه
هل يومُه أو غدُه إلا نظيرَ أمسِه
وعلَّه يلقى الرَّدى قبل غروبِ شمسِه
كم مدلِجٍ[1] مُهجِّرٍ[2] يسعى لبَغْلِ عُرْسِه
وأكيسُ الناس امرؤٌ جَدَّ ليومِ رَمْسِه

إخواني! حبال الآمال رِثاث[3]، وساحرُ الهوى نَفَّاث، والأمانيُّ على الحقيقة أضغاث[4]، والمال المُدَّخَرُ رِزْقُ الوُرّاث، عجباً لأجسامٍ ذكورٍ وعقولِ إناث.

إلامَ الرواحُ في الهوى والتغليس؟! وحَتَّامَ السعي في صحبة إبليس؟! وكم بَهْرَجَةٍ في العملِ وكم تدليس! أين الأقران؟! هل لهم من حسيس[5]؟! أما تعلمُ أنهم نَدِموا على إيثار الخسيس؟! تَاللهِ لقد وَدُّوا اطلاعَ الدنيا قبل المَسِيس.

لقد أسمعَكَ الموتُ وعيدَك، وكأنَّكَ به قد ضَعْضَعَ مَشِيْدَك، وأخلى منك دارَك، وملأ بك بِيْدَك، لقد أمرضَكَ الهوى وفي عزمه أن يزيدك.

---

(١) مدلج: اسم فاعل من أدلج: سار أول الليل.

(٢) مهجّر: من الفعل هجّر: أي سار في الهاجرة، وفي الحديث: «المهجّر إلى الجمعة كالمهدي بدنة».

(٣) رثاث: مهترئة مقطوعة.

(٤) أضغاث: جمع ضِغْث، وهو قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس، ويقال عن الرؤيا التي لا يصحُّ تأويلها لاختلاطها: أضغاث أحلام.

(٥) حسيس: صوت خفيض.

هل لَذَّتْ لذّةُ الدنيا فضفَتْ؟! هل عافت إلا وعافت وعَفَتْ[1]؟! هل تبعت غرَضاً و قفت فوقفت[2]؟! هل سقت[3] رشفةً من رُضابها[4] فشفت؟! بينا محبُّها يناجيها بألفاظ المنى خَفَت[5]، ما بلغَ المرادَ إلا مَنْ صدَّ عنها والتفت.

عيـرُ المنيَّـةِ يَقْطَـى غيـرُ مُطـرِفَـةٍ ... وطَـرْفُ مطلـوبِهـا مُـذْ كَـانَ وسنـانُ
جهـلاً تمكَّـنَ منـه حيـنَ مـولـيـه ... فالـلُّطفُ صاحٍ، ولبُّ المرءِ سكرانُ

كم نرمي هدفَ سمعِكَ برشْقِ كلام، كم نلدغُ أصلَ قلبك بحُمة[6] مَلام، لا تنفعُ الرياضةُ إلا في نجيب، لو سُقِيَ الحنظلُ بماءِ السكر لن يخرج حلواً، شَجَرُ الأثل - وإن دام الماءُ تحته - لم يُثْمِرْ، سحابُ الهدى قد طَبَّقَ بيدَ الأكوان، وأظنُّ أرضَ قلبك سَبْخاً! إنّما يغلِبُ هذا على ظنّي لبعد صلاحك، وقد يستحيلُ الخمرُ خلاً، كم تحضر المجلسَ وتخرج وما علقتَ بشيء!.

ويحك! هذا البنفسجُ يُطرَحُ في الشيرج فَيَعْبَقُ به طولَ السنة، وكذلك الورد في الأشنان:

ومِـنَ البليـةِ عَـذْلُ مَـنْ لا يـرعـوي ... عـن غَيِّـهِ وخِطـابُ مَـنْ لا يفهـمُ[7]

ويحك! إلى كم تعدو خَلْف موكب الهوى وما تربح إلا الغبارَ، دعْ حبلَ الرعونة من يد التمسُّك، فإنّه لا مِرّة[8].

ما قُتِلَ أحدٌ بأحدّ من سيف سوف، ومواهب الأعمارِ مسترجَعَةٌ بالأنفاسِ حتى تُسْتَوْفى، ألستَ نقضتَ عهدَ ﴿أَلَسْتُ﴾ [الأعراف: ١٧٢] بعد عَقْدِ عُقَدِه؟! فكيف حلَّ لك الحَلُّ؟!.

---

(١) عافت الأولى: من العافية. وعافت الثانية: كرهت. عَفَتْ: مَحَتْ.
(٢) قفت: من القفو وهو الإدبار. فوقفت: ثبتت ولم تتمادَ.
(٣) في (ب): أرشفت.
(٤) رضابها: الريق.
(٥) خفت: سكن وضعف.
(٦) حُمة: حُمة العقرب: سمها وضررها.
(٧) للمتنبي.
(٨) مِرّة: قوة.

بحرمةِ ما قَدْ كان بيني وبَيْنَكُمْ من الوَصْلِ إلاّ ما رجعتُم إلى الوصْلِ

نحنُ لك على الوفاءِ ما زلنا، وأنت ما تَبَثُّ يومين.

(الكثيِّر):

وكنا ارتقينا في صعودٍ من الهوى فلمّا عَلَوْنَاهُ تَبَثُّ وزلّتِ
وكُنّا عَقَدْنا عُقْدةَ الوصلِ بيننا فلمّا تَوافينا شَدَدْتُ وحلّتِ

وا عجباً! تتنبّهُ الحيواناتُ بالليل فَتُصَوِّت، وأنت غافل، ويحك! إذا فتحتَ عينيك في الدجى فَصِحْ بقلبِك.

قُمْ بنا يا أخي لمّا تَنَمّنى واطرِدِ النومَ بالعزيمةِ عنّا
قُمْ فقد صاحتِ الديوكُ ونادَتْ لا تكونُ الديوكُ أطربَ منّا

إخواني! مصيبتُنا في التفريطِ واحدةٌ، وأهلُ الأحزانِ أهلُ:

إنّا ليجمعُنا البُكاءُ وكلُّنا نبكي على شَجَنٍ[1] من الأشجانِ

مجلسُ الذكرِ مأتمُ الأحزانِ، هذا يبكي لذنوبه، وهذا ينْدُبُ لعيوبِه، وهذا على فواتِ مطلوبِه، وهذا لإعراضِ محبوبِه.

يتشاكى الواجدونَ جَوًى واحداً والوجْدُ ألوانُ

يا نائحَ الفكرِ نَضِّدْ[2]، يا نادبَ الحُزْنِ عدِّدْ، يا لائمَ النفسِ شُدَّدْ، يا راميَ القلبِ سدِّد، يا جامعَ الدمعِ بدِّد، يا مطربَ السرِّ ردِّد.

(لمهيار)[3]:

نَفَدْتُكِ يا بانةَ الأجرعِ متى رفَعَ الحيُّ من لَعْلَعِ
وهل مرَّ قلبي في التابعينَ أم حارَ ضعفاً فلم يُتْبَعِ

---

(١) شجن: همٌّ وحزن.

(٢) نضد: يقال: دار منضد، أي: مرصف، ورأي منضد كذلك مرصف، أي: محكم رصين.

(٣) من قصيدة طويلة كتبها للوزير ذي السعادات. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٤٢ ـ ٢٥٠.

وأنَّـةٌ لـكِ بيـن تلـك القلـوبِ ... إذا اشتبهـتْ أنَّـةُ المـوجَـعِ
أدز يـا نـديمي كـأسَ الحديـثِ[1] ... فكـأسـي مـن بَعْـدِهـم مـدمَعي

يـا مقيَّداً عن السيرِ بقيودِ الشواغل! أيطمعُ في لَحاقِ الطَّيْرِ مقصوصُ القوادم[2]؟!.

صَوْتْ في الأسحارِ بالسائرين، لعلّ عطفاً ينعطِفُ إليك رحمة، فقد تَرِقُّ الساقة[3] لأهل الفاقة.

(لمهيار)[4]:

ردُّوا لنـا يـومـاً ولـو سـاعـةً ... علـى الغضـا مـن عيثِنـا الـزائـلِ
لـي ذلـةُ السـائـلِ مـا بينكـم ... فـلا تُفْتِكُـمْ عِـزَّةُ البـاذِلِ

سلِ الليلَ عن الأحبابِ فعندَه الخبرُ، خلا الفكرُ بالقلبِ في بيت التلاوة، فجَرَتْ أوصافُ الحبيب، فنهض قلقُ الشوقِ يضرِبُ بطوْنَ الرواحل، لينْهَرَ السهرَ، فلا وجْهَ لنومِ القوم.

(للخفاجي):

أتَـرى طيفَكُـمُ لعَّـلَ سـرى ... أخـذَ النـومَ وأعطـى السهـرا
مـا نلـومُ الليـلَ بـل نَعْـذُرُه ... إنَّمـا طـوَّلَـه مَـنْ قَصَّـرا
يـا عيـونـاً بـالغضـا راقـدةً ... حـرَّمَ اللهُ عليكـنَّ الكَـرى
لـو عَـدَلْـتُـنَّ تَـسـاهَمْنَـا جـوًى ... مثـلَ مـا كُنّـا اشتركنـا نَظَـرا
حبَّـذا فيـكَ حـديـثٌ بـاطِـنٌ ... فَطِـنَ الـدمـعُ بـه فـانتشـرا

مَنْ لم يكن له مثلُ تقواهم، لم يعلم ما الذي أبكاهم؟.

---

(١) في الديوان: «المدام».

(٢) القوادم: جمع قادمة، كبار ريش الطير، ويقابلها الخوافي، وهي الريش الصغار.

(٣) الساقة: مؤخرة الجيش، وفيها مَنْ يجمع ويتتبع ما سقط منهم من أمتعة الجيش ثُيلحقه بهم.

(٤) من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن. الديوان: ٣/ ٢١٨.

من لم يشاهدْ جمالَ يوسفَ، لم يعلم ما الذي آلمَ قلبَ يعقوب؟.

مَنْ لـم يَبِتْ والحُبُّ حشْوُ فـؤادِه لـم يـدرِ كيـفَ تَفَتُّتُ الأكبـادِ

لو دمْتَ على سلوكِ البادية طابَتْ لك ريحُ الشِّيحِ.

تقـرُّ لعينـي أن أرى رَمْلَـةَ الحِمـى إذا مـا بَـدَتْ يـومـاً لعينـي قِـلالُهـا
ولسْتُ وإن أحببْتُ مَنْ يسكُن الغضا بـأوّلِ راجٍ حـاجـةً لا ينـالُهـا

* * *

القصر الثاني والستون

يا مَنْ كانت له معنا معاملة، وطالت بيننا وبينَهُ المواصلة، ثم اختارَ الهجرَ والمفاصلة، إنْ لم يكن جَميلٌ، فلتكن مُجاملة، تفكَّرْ! تعرِفْ قدرَ ما فاتَكَ، وابكِ لذنْبِ حرَمَكَ القربَ وأفاتَك.

اسكُبْ دموعَ أسفِك، فربَّ دمٍ بالأسى سُفِك، واندُبْ أطلالَ مألفِكَ، لعلكَ تُغاثُ في موقفك.

(لمهيار)[1]:

تظنُّ ليالينا عُوَّدا ... على العهدِ مِنْ بَرْقَتَيْ ثَهْمَدا
ويا صاحبي أين وجهُ الصباحِ؟ ... وأينَ غدٌ؟ صِفْ لعيني غدا
وخَلْفَ الضلوعِ زفيرٌ أبى ... وقد بَرَدَ الليلُ أن يبرُدا
خَليليَّ، لي حاجةٌ ما أخفُّ ... برامَةَ لو وَجَدَتْ مُبْعِدا
أريدُ لأكتُمَ وابنُ الأراك ... يفضَحُها كلَّما غَرَّدا
أُحبُّ وإن أخْصَبَ الحاضرون ... ببادية الرمل أن أَخْلُدا
أرى كبدي قُسِّمَتْ شُعْبَتَيْنِ ... معَ الشوقِ غَوْرَ أوْ أنجَدا
تمنّاكَ عيني وقلبي يَراكَ ... بشوقي حاشاكَ أن تَبعُدا

اللهمَّ نَوِّرْ دُنيانا بنورِ من تَوْفيقِك، واقطع أيامَنا في الاتصال بك، وانظم شَتَاتنا في سِلْكِ طاعتِك، فأنتَ أعلمُ بتلفيق المُتَرفِ.

اللهمَّ قوِّ مُنَنَ[2] أطفالِ التوبةِ بلبّان الصَّبر، ارفُقْ بمرضى الهوى في مارستان البلاء، افتحْ مسامعَ الأفهام لقبول ما ينفع، سلِّمْ سيارةَ الأفكار من قاطِعِ طريق، أحْرِسْ طلائعَ المجاهدةِ من خديعة كمين، احفظ شجعانَ العزائم من شرّ هزيمة، وقِّعْ على قصص الإنابة بقلم العفو، لا تُسَلِّطْ جاهلَ الطبعِ على عالِمِ

---

(١) من قصيدة قالها للكاتب أبي الحسين بن عبد الله متشوقاً أيام اجتماعه ومستوحشاً لبعده. انظر: ديوان شعره: ١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٧.

(٢) مُنَن: جمع مُنة، وهي: القوة.

القلب، لا تُبَدِّلْ نعيم عيشِ الروح بجحيم حِرصِ النفس، لا تُمِتْ حيَّ العِلْمِ في حيِّ الجهل، أخرجنا إلى نور اليقين من هذا الظلام، لا تجعلْنا ممن رأى الصبحَ فنام، لا تؤاخذْنا بقدرِ ذنوبنا، فإنَّكَ قلت: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، واعجباً لمن عَرَفَك ثم أحبَّ غيرَك، ولمن سمعَ مناديَك ثم تأخَّرَ عنك!.

حرامٌ عليَّ العيشُ ما دمتَ غضبانا ... وما لم يَعُدْ عني رضاكَ كما كانا
فأخْبِرْ فإنّي قد أسأتُ ولم تَزَلْ ... تُعَوِّدُني عند الإساءةِ غُفرانا

إلهي! لا تُعذِّبْ نفساً قد عذَّبها الخوفُ منك، ولا تُخرِسْ لساناً كُلُّ ما يَروي عنك، ولا تُفْدِ بصراً طالما يَبْكي لك، ولا تُخَيِّبْ رجاءً هو منوطٌ بك.

إلهي! ضَعِ في ضَعْفي قوةً من مَنِّك[1]، وَضَعْ عني كَفِّيَّ كَفِّي عن غيرك، ارحم عَبْرَةً تَرقْرَقُ على ما فاتَها منك، بَرْدُ كَبِدٍ تحترق على بعدِها عنك.

(للشريف الرضي)[2]:

أشكو إليكَ مَدامِعاً نَكِفَتْ[3] ... بعد النوى وجوانِحاً نَجِفَتْ[4]
ما كان أسرعَ ما نَبَا[5] زمنٌ ... وتكدّرتْ مِنْ وُدِّنا نُطَفٌ[6]
حبلٌ غدا بالُكُمْنا طَرَفٌ ... منهُ، وفي أيدي النَّوى طَرَفُ
لَهَفي على ذاكَ الزمانِ وهَلْ ... يَثْني زماناً ماضياً لَهَفُ

وا أسفي لمنقطعٍ دونَ الرَّكب، متأخّرٍ عن لحاقِ الضَّخبِ، يَعُدُّ الساعاتِ في متى ولَعَلَّ، ويخلو يُفَكِّرُ في عسى وهل.

(لقيس المجنون):

---

(١) مَنِّك: إنعامك.
(٢) من قصيدة قالها في الوزير أبي علي الحسن بن أبي الريان عاتباً عليه. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢١ـ٢٤.
(٣) نكف: تسح وتنزل.
(٤) نجف: تضطرب وتخفق.
(٥) نبا: تجافى وتباعد.
(٦) نطف: جمع نُطْفَة: اللؤلؤة الصغيرة الصافية.

أعـدُّ الليـالـي ليلـةً بعـدَ ليلـةٍ ... وقـد عِشْـتُ دَهْـراً لا أَعُـدُّ الليـاليـا
وأخـرجُ مِـنْ بيـن البيـوتِ لعلَّنـي ... أحدِّثُ عنكِ النفسَ بـالليل خاليـا
إذا سـرتُ أرضـاً بـالفضـاءِ رأيْتُنـي ... أصـانِـعُ رَحْلـي أن يميـلَ جِيـاليـا
يمينـاً إذا كـانـت يمينـاً وإن تكـنْ ... شِمَالاً ينازعُني الهوى عن شِمـاليا
ألا يـا حَمـامَيْ بطنِ نَعمَـانَ هِجْتُمـا ... علـيَّ الهـوى لمـا تَغَنَّيْتُمـا ليـا
وأبكيْتُماني وَسْـطَ صحبي ولـم أكُـنْ ... أُبـالي بـدَمْعِ العينِ لـو كنتُ خاليا
ذكَتْ نارُ شوقي في فؤادي فأصْبَحَتْ ... لهـا وَهَـجٌ مستضـرَمٌ فـي فـؤاديـا
خليليَّ ما أرجو مِنَ العَيْشِ بَعْدَمـا ... أرى حاجتي تُشْرى ولا تُشْتَرى ليا
وقـد يجمـعُ اللهُ الشتيتيـنِ بعـدمـا ... يظنـانِ كـلَّ الظَّـنِّ ألاَّ تَـلاقيـا

أيها المتخلِّفُ في أعقابِ الواصلين استغث بهم، علِّق على قطارهم، فلعلَّ جَمَلَكَ يَصِل.

يـا صـاحِ والصاحـبُ لا يُـدْعى بـه ... إلاَّ إذا لَـجَّ الغـرامُ واعتـدى
خـذْ بيـدي مـن سَطْـوَةِ البيـنِ فمـا ... أظُـنُّ أنَّ البَيْـنَ أبقـى لـي يَـدا
أيـن ليـالينـا القِصَـارُ بـالحِمـى ... وا كبـداً علـى الحِمـى وا كبـدا

يا مَن قد مشتُ له ليالي مناجاة، ثم طبق الدستورَ[1]، وقطع المعاملة، اندُبْ زمانَ الوصال لعلَّ حالاً حالٌ يعودُ.

(لمهيار)[2]:

يـا ليلتـي بحـاجـرٍ ... إنْ عـادَ مـاضٍ فـارجعـي
بِثْنـا علـى الأحقـافِ[3] تَنْـ ... ـهـالُ بكـلِّ مضجَـعِ
قـالـوا الصبـاحُ فـانتبـه ... فقـالَ لـي الطيـفُ اسمَـعِ
فقُمْـتُ مخلـوطـاً أظـنُّ ... البـازلَ ابـنَ الـرُّبَـعِ[4]

(١) الدُّستور: بضم الدال: النسخة المعمولة للجماعات، وهي معربة.
(٢) من قصيدة كتبها للأستاذ أبي طالب. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٠٤ ـ ٢١١.
(٣) الأحقاف: جمع حقف: ما اعوجَّ من الرمل واستطال، والأحقاف أيضاً: بلاد معروفة في اليمن كانت ديار عاد قوم هود عليه السلام.
(٤) البازل: المسن من الإبل. والربع: الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج.

حيرانُ طرفي دائرٌ أطلبُ ما ليسَ معي
أرضى بأخبارِ الربا حِ والبروقِ اللُّمَّعِ
وأينَ مِنْ بَرْقِ الحِمَى شائمةٌ بلَعْلَعِ
أفرشني الجمرَ وقا ل: إنْ أردْتَ فاهْجَعِ

ذكرُ الوصالِ في زمانِ الهجرِ تلفٌ، خصوصاً إذا لم يكن للحبيب خَلَف.

قال ابن مسروق: كنتُ أمشي مع الجُنيد في بعض دروب بغداد، فسمع منشداً يقول:

منازلُ كُنتَ تهواها وتألفُها أيامَ أنتَ على الأيامِ منصورُ

فبكى الجنيد بكاءً شديداً، وقال: ما أطيبَ منازلَ الأُلفةِ والأُنس، وأوْحشَ مقاماتِ المخالفة! لا أزالُ أحرُّ إلى أول بدءِ إرادتي وجِدَّةِ سعيي.

(لمهيار)[1]:

يا ليلتي بذاتِ الشّيحِ والضَّالِ ومَنبَتِ البانِ من نَعمانَ عُودا لِيْ
ويا مرابِعَ أطلالي بذي سلَمٍ لهْفي على ما مضى من عَصْرِكِ الخالي
ويا مآربَ نفسي والذينَ همُ بالوَصْلِ والهَجْرِ إغلالي وإبلالي
قد كان قلبي بكم مأوى السرور فَمُذْ نأيْتُمُ صارَ مأوى كلِّ بَلْبالِ[2]
فلو شربْتُ بعمري ساعةً سَلَفَتْ من عيشتي معكم ما كان بالغالي
ما لي أُعلِّلُ نفسي بالوقوفِ على منازلَ أقْفَرْتَ منكُم وأطلالِ
مَنْ لي بكِتْمانِ ما ألقاهُ من ألَمٍ وظاهري مُعْرِبٌ عن باطنِ الحالِ
قالوا تَشاغَلْ عنّا واصطَفَى بدلاً منّا وذلكَ فعلُ الخائنِ السالي[3]
وكيفَ أُشغلُ قلبي عن مَحبَّتِكم بغيرِ ذِكْرِكُمُ يا كُلَّ أشغالي

* * *

(١) لم أجد هذا الشعر في ديوان مهيار الديلمي.
(٢) بلبال: شدة الهم والوسواس.
(٣) السالي: من سلا، يقال: سلاه، أي: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

الفصل الثالث والسبعون

وا شوقاه إلى أرباب الإخلاص! وا تَوْقاه إلى رؤية تلكَ الأشخاص، إنّي لَأحضُرُ ذكركم فأغيب، وإنَّ وقتي بِتَذَكُّرِكُم ليطيب.

(للشريف الرضي)[1]:

إذا هَـزَّنـا الشـوقُ اضطـربنـا لهـزّهِ ... على شُعَبِ الرَّحلِ اضطرابَ الأراقمِ[2]

فمِـنْ صَبَـواتٍ تستقيـمُ بمـائـلٍ ... ومـن أريحـاتٍ تهـبُّ بنـائـمِ

وأستشـرفُ الأعـلامَ حتـى يَـدُلَّنـي ... على طِيْبِها مَـرُّ الـرياحِ الهـواجِـمِ

ومـا أنسـمُ الأرواحَ إلا لأنَّهـا ... تهبُّ[3] على تلك الرُّبا والمعالِمِ

الإخلاصُ مِسْكٌ مصونٌ في مَسْكِ[4] القلب، تُنَبِّهُ[5] ريحُه على حامله.

العملُ صورةٌ والإخلاصُ روح. المُخْلِصُ يَعُدُّ طاعتَه لاحتقاره لها عَرَضاً، وقَلَم القبول قد أثْبَتَها في الجَوْهَرِ خالصاً، الإخلاصُ اليسيرُ كثيرٌ، ووجودُ عملِ الرياءِ عدم. قَرَّاضةُ[6] الأماني لا تقف، وصحيح الشُّبَهِ مردود، خليجٌ صافٍ أنفعُ من بحرٍ كدر، إذا لم تُخلِصْ فلا تَتَعَبْ، لا يكثِّرُ الجوزُ بالعفصِ[7]. أتحدُّ وما لكَ بَعير؟! أتمدُّ القوسَ وما لها وتر؟! أتَتَجَشَّأُ من غيرِ شبعٍ؟! وا عجباً من وَحْمَى[8]

---

(١) من قصيدة قالها مفتخراً. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٤٢٩ ـ ٤٣٥.

(٢) الأراقم: جمع أرقم: حية فيها سواد وبياض.

(٣) في الديوان: «تجوز».

(٤) مِسْك الأولى: الطيب. ومَسك الثانية: الجلد.

(٥) تنبه: من نبّه باسمه: نوّه به.

(٦) قرّاضة: دويبة تقرض الصوف وتسمى (العثّ).

(٧) العفص: ثمر شجرة البلوط، وكذلك هو دواء قابض مجفف، وربما اتخذوا منه حبراً أو صبغاً.

(٨) وحمى ولا حبل: مَثَلٌ يُضرب في الشهوان أنه لا يُذْكَرُ له شيءٌ إلا اشتهاه.

بلا حَبَل! كم يُذِلُّ نفسَه مُراءٍ لتمدحَه الخلق! فذهبت والمدحُ، ولو بَذَلها للحقّ لبَقِيَتْ والذكرُ، عملُ المرائي بَصلةٌ كلُّها قشور، المرائي يحشو جِرابَ العمل رملاً فيثقله ولا ينفعه، ريحُ الرياءِ جيفةٌ، تتحاماها مشامُّ القلوب، وما يخفى المرائي على مَسانِح[1] الفَطِن.

لمَّا أخذ دودُ القزِّ ينسجُ، أقبلتِ العنكبوتُ تَتَشَبَّه، وقالت: لك نسجٌ ولي نسج.

فقالت دودة القزّ: ولكنَّ نسجي أرديةٌ للملوك، ونَسْجُكِ شبكة للذباب، وعند مسِّ النسيجين[2] يَبِيْنُ الفرق.

إذا اشتبكتْ دموعٌ في خدودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بكَى ممن تباكا

شجرةُ الصنوبرِ تثمرُ في ثلاثين سنة، وشجرة الدُّباء[3] تصعَدُ في أسبوعين، فتقول لشجرة الصنوبر: إنَّ الطريقَ التي قَطَعْتِها في ثلاثين سنة قد قطعتُها في أسبوعين، فيقال لي: شجرة، ولكِ: شجرة.

فتجيبُها: مَهْلاً إلى أن تَهُبَّ ريحُ الخريف!.

قال الذِّئبُ للآدمي: أنتَ تمشي على رجلين وأنا أيضاً.

فقال الآدمي: ولكنَّ صَدْمَةً تركُكَ إلى أربع، وكم أُصدَمُ وأنا مُنتصِبٌ.

كان الأشياخُ في قديمِ الزمان أصحابَ قَدَم[4]، والمريدون أرباب ألم، فذهبَ القدمُ والألمُ.

كان المريدُ يسألُ عن غُصَّة، والشيخ يعرف القصة، فاليوم لا غُصَّة ولا قِصَّة.

كان الزهدُ في بواطن القلوب، فصار في ظواهر الثياب.

كان الزُّهدُ خِرْقة فصار اليومَ خُرقة، ويحك! صُوِّفْ[5] قلبكَ لا جِسْمَك،

---

(١) مسانح: خواطر، من سنح: عرض وخطر.

(٢) في (ب): الحاجة.

(٣) الدُّباء: القرع.

(٤) القدم هنا: السابقة في الأمر، والمرتبة في الخير.

(٥) صوِّف: من التصوّف، أي: صفْ قلبك ولا تكتفِ بلباس الصوف، تشبّهاً بالزهّاد العبّاد.

وأصلح نبْتكَ لا مُرَقِّمَتَكَ، غَيِّرْ زيّكَ أيها المرائي فهو يصيحُ: خذوني، لا تَخملَنَّ السيفَ وما تُحسنُ القتال! سيفٌ ودرعٌ لزَمِنٍ هُتْكَةٌ، يا ثاراتِ لمُقْعَدِ[1] فَضيحةٌ، البَهْرجُ يتبيَّنُ عند الحَكِّ، إذا كان العَلَويُّ ثابتَ النَّسَبِ لم يحتج إلى صفيرتين، ولا يصيرُ المخنَّثُ تُركياً بلبس القِباء، ولا المرائي وليّاً بلبس العباء، هذه من النكت الخفايا، وفي الزوايا خبايا.

واعجباً ما للدواعي إلى الدعاوي[2]، الباطن ينطق.

لمّا علمَ الصالحون خطرَ البَيّات، أدلجوا بأجملِ الأعمالِ في ليلِ الكَتْمِ[3]!.

كان البُكاءُ إذا غلبَ أيوب قال: ما أشدَّ الزكام!.

هَبيني أستُرُ النَّجْوى ... أليسَ الدَّمْعُ يَفْضَحُني
لساني فيكِ أَمْلكُه ... ودمعُ العينِ يملِكُني

صام (داود بن أبي هند) أربعين سنة لم يعلم به أحد، كان يأخذُ غداءَه ويخرج إلى الدكان، فيتصدَّق به في الطريق، فيظنُّ أهلُ السوق أنه قد أكل في البيت، ويظنُّ أهلُه أنّه قد أكل في السوق.

(لجابر الجرمي):

ومُنْتَخِبٍ عن سرِّ ليلى ردَدْتُهُ ... فأصبحَ في ليلى بغَيْرِ يقينِ
يقولونَ: خَبِّرْنا، فأنتَ أمينُها ... وما أنا إن أخبرتُهم بأمينِ

كان ابنُ سيرين يتحدَّثُ بالنهارِ وَيَضحك، فإذا جاء الليلُ أخذَ في البكاء والعويل.

نَهَاري نهارُ الناسِ حتى إذا بدا ... ليَ الليلُ هَزَّتْني إليكَ المضاجعُ

---

(١) المقعد: العاجز الذي أقعده المرض، والفضيحة تتأتى من حيث إنه على عجزه ينادي بالأخذ بالثأر، وهو لا يطيق حتى القيام، بله الانقضاض!.

(٢) دواعي: جمع داعية وهي الباعث. دعاوي: جمع دعوى، أي: ما الداعي للدعوة للرياء والمظاهر.

(٣) الكتم: كتمان العمل والخفاء وعدم حب الشهرة.

أُقَضِّيْ نهاري بالحديثِ وبالمُنى ويجمعُني والهمُّ بالليلِ جامعُ

كان خوفُهم من الرياءِ يوجِبُ مدافعةَ النهار، فإذا خَلَوا بالحبيبِ لم يصبر المشوقُ.

أَحِنُّ بأطرافِ النهارِ صبابةً وبالليلِ يدعوني الهَوى فَأُجيبُ

لو قدروا على استدامةِ الكتمان ما أذاعوا.

وكم يقدِرُ المشتاقُ أنْ يكتُمَ الوجدا

إذا جنَّ الليلُ وظلامُه، ثارَ شَجَنُ المحبِّ وبِقَامُه، ورمى الوجدَ فأصابَتْ سِهامُه، واستطلقَ مَرَادُ العَينِ فانهلَّ سِجامُه، وطال بالحزين قعودُهُ وقيامُه.

كمْ بذكراكَ ولُوعي يا جوًى بين الضلوعِ
هجَعَ العاذِلُ لكِنْ مَنْ لِعيني بالهُجوعِ
هي في شُغْلٍ عن النَّوْ م بِمُرْفَضِّ الدُّموعِ
أتَغَنَّى بكَ في الحيْ يِ كورقاءَ سَجوعِ

لو أبصرْتَ طلائعَ الصديقين في أوائل القوم، أو شاهدتَ ساقةَ المستغفرين في أواخر الركب، أو سمعْتَ استغاثةَ المحبين في وسط الليل.

مَنْ رأى البرْقَ بِنَجْدٍ إذْ تراءى سلبَ النَّومَ وأهدى البُرَحاءَ
فاضَ فيضاً كجفني ماؤُه والتظى وَهْناً كأنفاسي التظَاءَ
نامَ سُمَّارُ الدُّجَى عن ساهرٍ اتَّخذَ الهمَّ سميراً والبكاءَ
أسعَدَتْه أدمعٌ تَفْضَحُه وإذا ما أحْسَنَ الدمعَ أساءَ

إذا رأيتم حزيناً فارحَمُوه، وإذا شاهدتم قلقاً فاعْذُروه، وإذا رأيتم باكياً فوافقُوه.

الدَّمعُ يخونُ كلَّ كاتِمٍ والحُبُّ يُحَلِّلُ العزائمْ
القلبُ بحبِّكم لديغ ما أقلقني مِنَ الأراقمْ
والوَجْدُ يغالِبُ المقاوي والسالمُ فيه مَنْ يُسالِمْ

هـذا وَلَعَيـن فـي هـواكـم ... سَلِمَتْ لكم فما أُحاسِمْ
سـالَـتْ بكـم دمـوعُ عينـي ... والـدَّمْـعُ بِمُقلَتـي يُـزاحِـمْ
أبكـي أثـرَ الحبيـبِ عنـدي ... والحـزنُ تُهيجُـه المعـالِـمْ
يـا مـانـعَ مُقلتـي كَـرَاهـا ... مَـرَّ الليـلُ ولَـنْـتُ نـائـمْ
قـد ضُمْـتُ عـن الهـوى لأحظَى ... فـي الحُـبِّ لكم بـأجرِ صـائـمْ
هـل يُـنْـذَلُ وردُكـم[1] لظـامٍ[2] ... حـيـرانَ علـى الـورودِ حـائـمْ
نـاحَـتْ فـزَجَـرَتْهـا حمـامٌ ... مـا بـالـي تـزعجـني الحمـائـمْ
يَـرْقَبْـنَ إلـى ذرى غُصـونٍ ... أنَّـى تحمِلُـكِ القـوائـمْ
تبكيـنَ ومـا شجـاكِ شـوقٌ ... شكـواكِ إذاً مِـنَ العَظـائـمْ
إنْ كنـتِ صَـدَقْـتِ فـاسعـديـني ... لا نَسْمَـعُ لـومـةَ اللـوائـمْ
طـارتْ وبَقِيـتُ فـي ضَمـانـي ... لا أبـرَحُ والـزعيـمُ غـارِمُ[3]

* * *

(١) وِردكم: الوِرد: الماء الذي يورد.
(٢) ظام: اسم فاعل من ظمي، اشتدّ عطشه.
(٣) غارِم: الزعيم هنا الكفيل، وكونه غارماً يعني التزامه بما ضمنه وتكفّل به أن يؤديه.

الفَصْلُ الرَّابِعُ والسَّبعُونَ

إخواني! سار المتقون ورجَعَنا، وَوَصلوا وانقطعنا، وأجابوا الدَّاعي وامتنعنا، ونجوا من الأشْراكِ ووَقعنا، تعالَوْا ننظرْ في آثارهم، ونَدْرُس دارسَ أخبارهم، ونبكي من التفريطِ ما نَابَنا، وننْدُب ما لحِقَنا وأصابنا.

(للمصنف):

ودَّعـوا يـومَ النَّـوى واستَقَلُّـوا ... ليْـتَ شِعْـري بعـدَهـا أيـنَ حَلُّـوا

يـا نسيـمَ الـرِّيـحِ بلِّـغْ إليهـم ... أنَّ عَقـدي معهـم لا يُحَـلُّ

لـي مِـنَ الـريـحِ الشَّمـالِ انتهالٌ ... فـإذا هبَّـتْ سُحيـراً فَعَـلُّ[1]

عَـرَّضـوا قلبـي لِسُقْـمٍ طـويـلٍ ... بـاطـنٍ يظهـرُ منـه الأفـلُّ

لو بكتْ عيني على قَدْرِ الجَوَى[2] ... صـارَ واديهـم دَمـاً لا يَجِـلُّ

سافر القومُ على رواحلِ الصدقِ، فقطعوا أرضَ الصبرِ حتّى وقعوا برياضِ الأُنس، فعَبَقَتْ قلوبُهم بِنَشْرِ القُرْبِ، وتَعَطَّرَتْ بنسيمِ الوصلِ، فعادَتْ سَكْرَى من صِرْفِ[3] سُلافِ[4] الوجدِ، وعربدَتْ على عالمِ الجسمِ، فكلما رَبَا الحُبُّ ذابَ.

خُذي بيدي ثم ارفعي الثوبَ فانظري ... ضَنَـا جسَـدي لكنَّنـي أتَسَتَّـرُ[5]

حمائمُ أزواجِهم محبوسةٌ[6] في أقفاصِ أشباحهم، تُصوِّتُ لشَجْوِ شوقها، وتَقْلَقُ لضيقِ حَبْسِها.

---

(١) فعلّ: من العَلّ: وهي الشربة الثانية. والانتهال: أول الشرب.

(٢) في (ب): وجدي.

(٣) الصِّرْف: الصافي الخالص.

(٤) سُلاف: الخمر.

(٥) في (ب): أتكتم.

(٦) في (ب): مسجونة.

(المهيار)[1]:

بـالغَـوْرِ دارٌ وبنجـدٍ هـوًى ... يـا لهـفَ مـن غـارَ بِمَـنْ أنجـدا
يـا حبَّـذا الـذكـرى وإن أسْهـرتْ ... بَعْـدكِ والـدَّمْـعُ وإنْ أزْمـدا

البكاء دأبُهم، والدَّمْعُ شرابُهم، والجوعُ طعامُهم، والصَّمْتُ كلامُهم، فلو رأيتَهم وعُذَّالَهم، وقد زادوا بالعَذْلِ أثقالهم.

سَلِمْتَ ممَّا عنـاني فـاستَهْتَ بـهِ ... لا يعرفُ الشَّجْوَ إلا كلُّ ذي شَجَنِ
شتَّـانَ بيـن خَلـيٍّ مُطلَـقٍ وشَـجٍ ... في رِبْقَةِ الحُبِّ كالمصفودِ في قَرَنِ
[أمسيتُ تشهدُ بادٍ من ضنى جسدي ... بداخلٍ من جَوًى في القلبِ مكتمِنِ][2]
إنْ كـانَ يـوجِـبُ ضُـرِّي فـرطَ ضَنًى ... بسـوءِ حـاليَ وحَـلَّ للضنى بَـدني
منحتُكَ القلـبَ لا أبغـي بـه ثمنـاً ... إلاَّ رضـاكَ وَوَافَقْـري إلـى الثمـنِ

أعندك من حديثهم خبر؟ ألك في طريقهم قدم[3]؟.

(لخالد الكاتب):

رَقَـدْتَ ولـم تَـرْثِ للسَّـاهـرِ ... وليـلُ المُحـبِّ بـلا آخـرِ
ولـم تَـدْرِ بعـدَ ذهـابِ الـرُّقـا ... دِ مـا فَعَـلَ الـدَّمْـعُ بـالنَّـاظِـرِ

نازلهم الخوفُ فصاروا وَلِهِيْن، وفاجأهُمُ الفِكْرُ فعادوا متحيّرين، وجُنَّ عليهم الليلُ فرآهم ساهرين، وهبَّتْ رياحُ الأسحارِ فمالوا مستغفرين، فإذا رجعوا وقتَ الفجرِ بالأجرِ نادى منادي الهجرِ: يا خيبةَ النائمين!.

ولمَّـا وَقَفْنـا والـرسـائـلُ بَيْنَنـا ... دمـوعٌ نهـاهـا الـوَجْـدُ أنْ تـرقُـفَـا
ذكـرنـا الليـالـي بـالعقيـقِ وظِلِهـا ... الأنيـقِ فقطَّعْـنَ القلـوبَ تـأسُّفـا

جُلِيَتْ أوصافُ الحبيبِ في حليةِ الكمالِ، فقاموا على أقدامِ الشوقِ يَسْبِحون

---

(١) في قصيدة كتبها إلى صاحب أبي القاسم في عيد الفطر. انظر: الديوان: ١/ ٢٤٣.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ب): أثر.

في فَلَواتِ الوجدِ، فلو رأيتموهُم لقلتُم: مجانين.

هيهاتَ مَنْ لا يعرفُ مناسكَ الحجِّ، نَسَبَ المُحْرِمين إلى الخَبَل، الناسُ يضحكونَ وهم يبكون، ويفرَحونَ وهم يحزنون، وينامونَ وهم يسهرون.

تـرَكْـتُ ليلـى أمـدَّ مـن نفسـي وا أسفـي للفـراقِ وا أسفـي

لما تمكنتِ المعرفةُ من قلوبهم أثَّرتْ شدةَ الخوفِ، فارتفعَ ضجيجُ الوجدِ يتمنون العدم.

رأى الصدِّيقُ طائراً فقال: طوبى لك يا طائرُ! تقعُ على الشجرِ، وتأكلُ من الثمرِ، ولا حسابَ عليك، ليتني كنتُ مثْلَك.

وقال عمر: ليتني كنتُ تِبْنَةً، وليتَ أمي لم تَلدْني.

وقال ابن مسعود: وددْتُ أني إذا مِتُّ لا أُبعَثُ.

وقال عمران بن حصين: ليتني كنتُ رماداً.

وقال أبو الدرداء: ليتني كنتُ شجرةً تُعْضَدُ.

وقالت عائشة: ليتني كنتُ نسياً مَنْسياً.

ودخلوا على عطاء السُّلمي وحوله بَلَل، فظنوه قد توضأ، فقالت عجوزٌ في داره: هذه دموعه.

(لِصُرَّدُر)[1]:

كـلُّ سحـابٍ أمطـرتْ أرضَكُـم حـاملَـةٌ للمـاءِ مِـنْ أَدْمُعـي
وكـلُّ رِيـحٍ زَعْـزَعَـتْ تُـرْبَكُـم فـإنَّهـا الـزفـرةُ مِـنْ أضْلُعـي

أتاهم من عندِ اللهِ وعيدُ وَقْدِهِمْ، فباتوا على حُرَق، وأكلوا على تَنغيص، فنَوْمُهم نومُ الغرقى، وأكلُهم أكلُ المرضى، عَجَزَتْ أبدانُهم عمّا حملتْ قلوبُهم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

قال (فرقد): دَخَلَتْ بيتَ المقدسِ خمسمئة عذراء، لباسُهنّ الصوفُ

---

(١) في قصيدة كتبها إلى رئيس بن المطلب. انظر: ديوان شعره، ص١٦٢ ـ ١٦٦.

والمسوخُ، فتذاكرْنَ ثوابَ اللهِ وعقابَه، فَمِتْنَ جميعاً في مقامٍ واحدٍ.

قال (أبو طارق): شهدتُ ثلاثين رجلاً دخلوا مجالسَ الذكر يمشون بأرجلهم صحاحاً إلى المجلس، وأجوافُهم واللهِ قَرِحَةٌ، فلمّا سمعوا الذكرَ، انصدَعَتْ قلوبهم.

قُصُّوا عَلَيَّ حديثَ مَنْ قَتَلَ الهوى ... إنَّ التأسِّي روحُ كلِّ حزينِ

قال (عبد الواحد بن زيد): لو رأيتَ الحسنَ لقلتَ: قد بُثَّ عليه حُزْنُ الخلائقِ، ولو رأيتَ يزيدَ الرقاشي لقلتَ مُثْكَلٌ.

أقبلَ يزيدُ يوماً يعاتبُه على كثرة بكائه، فجعل يصرخ ويبكي حتى غُشِيَ عليه. فقالت أمُّه: يا بني ما أردْتَ بهذا؟ فقال: إنّما أردتُ أن أهوّنَ عليه.

صِحّةُ الشوقِ أحدثَتْ عِلّةَ الصبرِ ... وبُعْدُ المَزَارِ أدنى الشُّهادا
كمْ عذولٍ عليكُم رامَ إصلاحي ... فكانَ الملامُ لي إفسادا
كلّما زادَ عَذْلُهُ زادَ وَجْدِي ... فكلانا في أمرِهِ قَدْ تمادَى
مَنْ لِقَلْبٍ أصابَتْموهُ لظَى الجمرِ ... وجَنْبٍ أفرشتموه القَتادا

المحبُّ إن تذكّرَ الرَّبْعَ حَنَّ، وإنْ تفكّرَ في البعدِ أنَّ، وإن جُنَّ عليه الليلُ أظهر ما أجنّ، قُطِعَ عليه رضاعُ الوصالِ فلم يَنْهَنَّ.

(للمصنف):

يا بريقَ الحيِّ حَرَمْتَ المنامَا ... فانقضى ليلي قعوداً وقياما
أتَرى ما قَدْ أرى يا صاحبي ... كيفَ والشوقُ بروحي يترامَى
يا سقى اللهُ حماهمْ مُزْنَةً ... حَلَبَتْ أشْطُرَها[1] أيدي النَّعامى[2]

---

(١) حلبت أشطرها: يقال: حلب فلانٌ الدهرَ أشطرَه: مرَّ به خيره وشرّه، وشطّر بناقته تشطيراً: صرَّ خِلْفَيْها، وترك خِلْفَين، وشاة شطور: يبس أحد خِلْفيها، فالأشطر: جمع شَطْر وهو خِلْف الناقة، وللناقة أربعة، وعليه فيقال: حلب فلان الدهرَ أشطرَه: اختبر ضروبه من خيره وشره تشبيهاً بحلب جميع أخلاف الناقة ما كان منها حَفِيلاً وغير حَفِيل، ودارّاً وغير دارٍّ، وحلبُ أشطرِ الرجلِ: عجمه واختباره وسبر أغواره للتعرف عليه.

(٢) النعامى: ريح الجَنوب، أو بينه وبين الصّبا، وهذه الريح أبلّ الرياح وأرطبها.

يـا نسيـمَ الـريـحِ بَلِّـغْ واعِـدْ ... إنَّ نفسـي مع أنفاسِ الخُزامى[1]
آو لـو عـادَ زمـانـي بِهِـمُ ... عندَ جَرْعاءِ الحمى عَوْداً لِماما[2]
يـا لياليـنا بـذي الأثْـلِ[3] ارْجعي ... أسفـاً لـو أنَّـه يَشْفـي النَـدامـا
يـا صحـابـي بلِّغـوا إنْ جُـزْتُـمُ ... بنقـا الرّملِ عـن الجسـم السلامـا
إنَّ قلبـي يـومَ طُفْنـا بـاللّـوى ... ورَحَلْنـا عنـه بـالـوَجْـدِ أقـامـا
ما غرامي إنْ شَدَتْ[4] وُرْقٌ، وهَلْ ... عَلَّمَ الوُرْقَ سوى وجدي الغراما؟
قلقـي فـي حُـرَقـي مِـنْ أرْقِـي ... يَـرْمُقِـي بـلْ يَتَقِـي منّـي العِظَـامـا
طَـرَبِـي فـي كُـرَبِـي مـن حَـرَبـي ... تـاهَ بـي فيكـمْ ولـم أَشْـرَبْ مُـدَامـا
لـو جَـرَتْ عيني على قَـدْرِ الأسَـى ... رجَـعَ المـاءُ بـواديهـم حَـرّامـا

* * *

(١) الخزامى: نبتٌ طيِّبُ الريح، وقال أبو حنيفة الدِّيْنَوَري: هو عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الرائحة، لها نَوْر كَنَوْرِ البنفسج، قال: لم نجد من الزهر زهرةً أطيبَ نفحةً من نفحتها.

(٢) لماماً: تقول: فلان يزور لماماً: أي في الأحايين.

(٣) الأثل: شجر، واحده أثلة، وذي الأثل: مكان قرب المدينة.

(٤) شَدَتْ: من الشدو: النشيد والغناء.

الفَصْلُ الخَامِسُ والسَّبْعُونَ

إخواني! الخلوةُ مَهْرُ بكرِ الفكرِ، وسُلَّمُ معارجِ الهِمَّةِ، حريمُ العزلةِ مصونٌ من عَيْبِ غَيْثِ عَبَث، [إذا خَلتْ دارُ الخلوةِ عن الصور، تفرَّغَ القلبُ لملاحظةِ المعاني][1].

أوحشتنـــي خَلـــواتـــي ... بـــكَ مِـــنْ كـــلِّ أنيـــسِ
وتفـــرَّدتُ فعـــايَنْتُـــكَ ... بـــالغيـــبِ جليـــسي
ودَعَـــانـــي الـــوجـــدُ والحُـــبُّ ... إلـــى المَعْنـــى النفيـــسِ
فبـــدا لـــي أنَّ مَهْـــرَ الحُـــبِّ ... أنفـــاسُ النفـــوسِ
فكتبـــتُ العهـــدَ للحِـــبِّ ... علـــى طِـــرْسِ الرَّئِيـــسِ[2]

يا هذا! إذا رُزِقْتَ يقظةَ فَصْنِها في بيتِ عزلة، فإنَّ أيدي المُعاشرة نَهَّابَة، احذر معاشرةَ الجُهَّال، فإنَّ الطبعَ لِصٌّ، لا تصادقَنَّ فاسِقاً، فإنَّ مَنْ خانَ أولَ مُنْعِم عليه لا يفي لك.

يا أفراخَ التوبةِ! لازموا أوكارَ الخلْوة، فإنَّ مِرَّ الهوى صَيُّود، إيَّاكَ والتقرُّبَ من طرَفِ الوَكْر، والخروجَ من بيت العُزلةِ، حتى يتكاملَ نباتُ الخوافي[3]، وإلا كنتَ رزقَ الصائد.

الأُنسُ بالإنسِ دَبَق[4]، المخالطةُ توجب التَّخليط، وأيسرُ تأثيرِها تَشْتيتُ الهمِّ.

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) الطرس: الصحيفة. رسيس: الثابت الذي لزم مكانه.
(٣) الخوافي: جمع خافية: ما دون الريشات العشر من مقدَّم الجناح في الطائر.
(٤) دبق: مادة كالغراء لازقة تلزق بجناح الطائر فيُصادُ بها.

أقلُّ ما في سُقوطِ الذَّنبِ في غَنَمٍ إنْ لم يُصبْ بعضها أنْ ينفِرَ الغنمُ

قطعُ العلائقِ أصلُ الأصولِ، فَرُغْ لي بيتاً أسكنه، إنَّ الطائرَ إذا كان زاقّاً لم يُرَسّل في كتاب.

تأمّلوا إلى الفَرَسِ إذا قدمَ إلى الماء الصافي كيف يضربُ بيديه فيه حتى يتكدّر! أتدرون لِمَ؟ لأنه يرى صورة نفسِه في الماء الصافي وصورةَ غيره، فيكدره حتى لا تَتَبَيَّنَ فيه الصورُ فيتهنّى بالشرب، لا يظهر في خلوة المتيقِّظِ إلا الحق.

كان أويسٌ يهربُ من الناسِ فيقولون: مجنون، وصفَ الرسولُ ﷺ لأصحابِهِ حِلْيَةَ حُلَّتِه[1]، فقويَ تَوْقُ[2] عمر، وكان في كلِّ عامٍ يسألُ عنه أهلَ اليمنِ.

ألا أيُّها الركبُ اليمانون عَرِّجُوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيَا
نُسَائِلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمانُ بعدَنا وحَبَّ إلينا بطنُ نَعمانَ واديا

لما كانت آخرُ حجةٍ حجَّها عمر، قام على أبي قُبَيْس فنادى بأعلى صوته: أفيكم أويس؟.

(للشريف الرضي)[3]:

وإنِّيَ للشَّوقِ مِنْ بعدِهِمْ أُراعي الجَنوبَ مراحاً ومَغْدى
وأفرحُ من نحوِ أوطانِهِمْ بِغَيْثٍ يُجَلْجِلُ برقاً ورعدا
إذا طلعَ الكوكبُ يمْنُهُم أحيِّي الوجوهَ كهولاً ومُرْدا
وأسألُهم عن عقيقِ الحِمَى وعن أرضِ نجدٍ ومَنْ حَلَّ نَجْدَا
نشدتُكُم اللهَ فليُخبِرَنَّ مَنْ كانَ أقربَ بالرملِ عَهْدا
هل الدارُ بالجزعِ ماهولةٌ أثارَ الربيعُ عليها وأَنْدَى
وهل جَلَبَ الغيثُ أخلافَه[4] على مَحضَرٍ من زُرُودٍ ومِيدا؟

---

(١) حلية: زينة. حُلَّته: الثوب الجيد الجديد.

(٢) توق: شوق.

(٣) من قصيدة قالها يفتخر بقريش ونزار على قحطان واليمن. انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٦.

(٤) أخلاف: جمع خِلف: ما يخلفه الغيثُ من آثار.

كان (أويس) يأتي المزابل إذا جاع، فأتاها يوماً فنبحَ عليه كلبٌ، فقال: يا كلبُ! لا تؤذِ من لا يُؤذيك، كُلْ مما بليك، وآكل مما بليني، فإنْ دَخَلْتُ الجنةَ فأنا خيرٌ منك، وإنْ دخلتُ النارَ فأنت خيرٌ منّي.

ذلُّ الفتى في الحُبِّ مَكْرُمَةٌ ... وخضوعُهُ لحبيبِهِ شَرَفُ

كان الصبيانُ يرمونه بالحجارة، والعُقلاء عند نفوسهم يقولون: مجنون، والمحبةُ تنهاهُ أنْ يُهَسِّرَ ما استُعْجِمَ.

أبُثُّهم وجدي وهمْ بي أعلمُ ... وأرجو شِفَائي منهمُ وهمُ هم
وكمْ كِدْتُ مِنْ شَوْقٍ أُبَيِّنُ مَنْ هُمُ ... ويمنَعُني مِن ذاكَ خوفي منهمُ
وكم عذَلوني فيهمُ غَيْرَ مرةٍ ... فقلتُ لهم، واللهُ بالصدقِ أعلمُ:
إذا كانَ قلبي مُوْثَقاً في حِبَالكم ... وجسمي لديكم كيفَ أنَّهمَ عَنكُمُ
فإن شِئتُمُ أنْ تَعْدِلوا فَتَوَصَّلُوا ... إلى أن يعودَ القلبُ ثم تَكَلَّموا

صاحِبْ أهلَ الدِّينِ وصَافِهِم، واستَفِدْ من أخلاقِهم وأوصافِهِمْ، واسكُنْ معهم بالتأدّبِ في دارهم، وإن عاتبوكَ فاصبرْ وذَارِهم، إن لم يكن لكَ مَكَنَةُ البَذْرِ، ولَمْ تُطِقْ مراعاةَ الزرعِ، فقِفْ في رفقة ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء: ٨]، أنتَ في وقتِ الغنائمِ نائمٌ، وقلبُكَ في شهواتِ البهائمِ هائمٌ.

وإن صدقتَ في طِلابهم فانهضْ وبَادِرْ، ولا تستصعب طريقَهم، فالمُعينُ قادر.

تَعَرَّضْ لمن أعطاهم، وسَلْ، فمولاكَ مولاهم، رُبَّ كنزٍ وقعَ به فقير، ورُبَّ فضلٍ فازَ به صغير، عَلِمَ الخضرُ ما خَفِيَ على موسى، وكُشِفَ لسليمانَ ما غُطِّيَ عن داود.

يا هذا! لا تَحْتَقِرْ نفسكَ فالتائبُ حبيبُ اللهِ، والمنكسِرُ مستقيمٌ، إقرارُكَ بالإفلاسِ غِنًى، اعترافُكَ بالخطأ إصابة، تنكيسُ رأسِكَ بالندمِ رِفْعَةٌ.

عُرِضتْ سِلْعَةُ العبودية في سوق البيع، فبذلتِ الملائكةُ نَقْدَ ﴿ وَنَحْنُ

نُسَبِّحُ ﴾ [البقرة: ٣٠]، فقيل: ما تُؤثِّرُ سَكةٌ(١) دراهمكم، فإنَّ عُجْبَ الضاربِ بسرعة الضربِ أوجب طمساً في النَّقْشِ، فقال آدم: ما عندي إلا فلوسُ إفلاسٍ نقشُها ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ [الأعراف: ٢٣]، فقيل: هذا الذي ينفق على خزَانة الخاص، أنين المذنبين أحبُّ إلينا من زجل المسبحين.

واستعـذبـوا مـاءَ الجفـونِ فعـذَّبـوا الأسـرارَ حتّـى دَرَّتِ الآمـاقُ

يا معاشرَ المذنبين! إنْ كانَ يأجوجُ الطبْعِ، ومأجوجُ الهوى، قد عاثوا في أرضِ قلوبكم، ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [الكهف: ٩٥]، اجمعوا لي عزائِمَ قوية، تشابهُ زُبَرَ الحديدِ، وتَفَكَّروا في خطاياكم، لتثور صُعَداءُ الأسَفِ، فلا أحتاجُ أن أقولَ ﴿ ٱنفُخُواْ ﴾ [الكهف:٩٦]، شَيِّدوا بنيان العزائم بِهَجْرِ المألوف ليَسْتَحْجِرِ البناء، فَنَسْتَغْني أن نُفرِغَ عليه قطراً(٢)، هكذا بناءُ الأولياء قبلكم، فجاء الأعداء ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ [الكهف: ٩٧].

ليسَ عَـزْمـاً مـا مَـرِضَ المـرءُ فيـه ليـسَ همّـاً مـا عـاقَ عنـه الظـلامُ

الجدَّ الجدَّ، فما تَحْتَمِلُ الطريق الفتور، ضاقتْ أيامُ الموسمِ، فجعجعوا بالإبل(٣).

كان (أُسيد الضَّبّي) إذا عوتب في كثرة بكائه يقول: كيف لا أبكي وأنا أموتُ غداً؟! واللهِ لأبكِيَنَّ، فإنْ أدركتُ بالبكاءِ خيراً، فَمِنْ مَنِّ اللهِ عليّ، وإن كانتِ الأُخرى فما بكائي في جَنْبِ ما ألقاه؟!.

كانت عابدةٌ لا تنامُ من الليل إلا يسيراً، فعُوتِبَتْ في ذلك فقالتْ: كَفَى بطولِ الرَّقدةِ في القبورِ رُقاداً.

أيُّها العُـذَّالُ لا تَعْـذلُـوا إنَّمـا العَـذْلُ لمَـنْ يَقْبَـلُ
وأرى ليلـيَ لا ينقضِـي طـالَ ليلـي والهَـوى أطـولُ

---

(١) سكّة: حديدة منقوشة تُضْرَبُ عليها النقود.
(٢) القطر: النحاس الذائب، أو ضرب منه.
(٣) جعجع بالإبل: حركها للنهوض.

تزوّجَ رَباحُ القيسيُّ امرأةً، فَرَأَتْهُ قائماً طولَ الليلِ، فقالت: ليت شعري من غَرَّني بك يا رباح؟.

يـا عقيـقَ الحِمَـى اللهُ مَغْنـاكَ ... وروَّى ثـراكَ مـن مُـزْنِ دَمْعِـي
مَـن لصَـبٍّ يشـوقُـه لامـعُ البَـرْقِ ... فيـرتـاحُ قلبُـه للجـزْعِ
يـا خَلِيلَـيْ مـا أنـتَ لـي بخليـلٍ ... ورفيـقٍ إن لـم تَقِـفْ بـالـربـعِ

هذه طريقُهم فأينَ السالكُ؟ هذه صفاتهم فأينَ الطالبُ؟.

هـذه المنـازلُ والعقيـقُ ... فـأيـنَ سلمـى والخيـامُ
لـم يبْـقَ مـذْ صـاحـوا النـوى ... لمُبَيِّـمٍ فيهـا مقـامُ

* * *

الفصل السادس والسبعون

أيها المُقَصِّرُ عن طلبِ المَزاد، كيفَ تُدرِكُ المعالي بغيرِ اجتهاد؟ أينَ أهلُ السَّهَرِ من أهلِ الرُّقاد؟ أينَ الراغبونَ في الهوى من الزُّهّاد؟ رحلَ المتيقظون مستظهرينَ بكثرة الزاد، كلُّ جوادٍ لهم يعرِفُ الجَوادَ[1]، فساروا فزاروا والكسلانُ عاد.

(للشريف الرضي)[2]:

يا قلبُ ما أنْتَ مِنْ نَجْدٍ وساكِنِه ... خلَّفْتَ نجداً وراءَ المُدْلِجِ الساري

أعهو إلى الركبِ تَعلُو لي ركائبهم ... من الحِمَى في أُسَيْحاقِ[3] وأطْمَارِ

تفوحُ[4] أرواحُ نَجْدٍ مِنْ ثيابِهِمُ ... عندَ القدومِ[5] لقُرْبِ العهدِ بالدارِ

يا راكِبانِ قِفا لي فاقضيا وَطَرِي ... وحَدِّثاني[6] عن نجدٍ بأخبارِ

هل رُوِّضَتْ قاعةُ الوعْساءِ[7] أم مُطِرَتْ ... خَميلةُ الطَّلْحِ[8] ذاتِ البانِ[9] والغارِ[10]

أم هل أبيتُ ودارٌ عند كاظمةٍ ... داري وسُمّارُ ذاكَ الحيِّ سُمّاري؟

فلم يزالا إلى أن نَمَّ بي نَفَسي ... وحدَّثَ الركبَ عني مدمعي الجاري

لما صَفَتْ خلواتُ الدُّجى، نُودي آيَةُ الوصول: أقم فلاناً وأنمْ فلاناً. خرجَتْ بالأسماءِ الجرائد، وفازَ الأحبابُ بالفوائد.

---

(١) الجوادّ: جمع جادة، وهي الطريق.

(٢) قصيدة قالها متغزّلاً. انظر: ديوان شعره: ١/٥١٧.

(٣) أسيحاق: مصغر إسحاق، وهي الثياب البالية.

(٤) في الديوان: «تضوع».

(٥) في الديوان: «عند النزول».

(٦) في الديوان: «وخبراني».

(٧) الوعساء: الأرض الليّنة ذات الرمل تنبت البقول الجيدة.

(٨) الطلح: شجر عظام من شجر العضاه ترعاه الإبل.

(٩) البان: ضرب من الشجر سبط القوام ليّن، وشبّه به الحسان في الطول واللين.

(١٠) الغار: شجر طيب الرائحة، ورقُه دائمُ الاخضرار، وخشبُه عَطِرٌ.

قال (أحمد بن أبي الحواري): قلت لامرأتي رابعة ـ وقد قامتْ من أولِ الليل ـ: قد رأينا أبا سليمان وتعبّدنا معه، ما رأينا مَنْ يقومُ من أول الليل، فقالت: سبحان الله! مثلُكَ يقول هذا؟! إنّما أقومُ إذا نُوديت.

(للمتنبي):

تقولينَ: ما في الناسِ مثلُكَ وامقٌ[1]
جِدي[2] مثلَ مَنْ أحْبَبْتُه تجِدي مثلي
ذريني أنَلْ ما لا يُنالُ مِنَ العُلى
فَصَعْبُ العُلَى في الصَّعْبِ، والسَّهْلُ في السَّهْلِ
تريدينَ لقيانَ المعالي رَخِيْصَةً
ولا بدَّ دونَ الشَّهْدِ مِنْ إبَرِ النَّحْلِ

لما دارتْ كؤوسُ النوم على أفواهِ العيونِ، فسكرت بالشرابِ الألبابُ، فطُرِحَت الأجسادُ على فراش ﴿يَتَوَفَّى﴾ [الزمر: ٤٢]، صاحت فصاحةُ الحُبِّ بالمُحِبِّ «كلُّ مُسكرٍ حرام»[3]، فلمّا نُفِخَ في صورِ الإيقاظِ في إبّان ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [الزمر: ٤٢]، قامَ أمواتُ النوم، وقد رحَلَ سَفْرُ[4] الوصال، فلم يرَوْا إلا آثار القُرْبِ في مَنَاخِ الأحباب، وأثافيَّ[5] ﴿نَتَجَافَىٰ﴾ [السجدة: ١٦].

سترَ القومُ قيامَهم بالليل، فسترَ جزاءَهم أن يطّلعَ عليه الغير ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ [السجدة: ١٧]، فلو عاينتهم وقد دارت كؤوسُ المناجاةِ بين مَزَاهِرِ التلاوة فأسكرتْ قلبَ الواجد، ورقّمَتْ في صحائفِ الوَجَنات ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

---

(١) وامق: محب.

(٢) جِدي: فعل أمر من المضارع (يجد) ماضيه (وجد).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب والأحكام والمغازي؛ ومسلم في الأشربة: ٣/ ١٥٨٧؛ وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي.

(٤) السَّفْر: المسافرون إلا أنها جمع لسافر، كصحب وصاحب، ومسافرون جمع مسافر.

(٥) أثافي: جمع أثفية، حجارة يوضع عليها القِدْر، وهي ثلاث، ثالثها القطعة من الجبل يجعل إلى جنبها اثنتان، فتكون القطعة متصلة بالجبل، ويقال: رماه بثالثة الأثافي، بالشر كله، جعل الشر أثفية بعد أثفية، حتى إذا رماه بالثالثة لم يترك منها غاية.

وتَمَشَّتْ في مفاصلهم كَتَمَشّي البُرْءِ في السَّقَمِ

اشْهُرَ بقيامِ الليلِ كلِّه، وصلاةِ الفجرِ بوضوءِ العشاء: سعيدُ بن المسيب، وصفوانُ بن سليمان، ومحمد بن المُنْكَدِر المدنيون، وفُضَيْلُ ووهب المكّيان، وطاوُس ووهب اليمانيان، والربيع بن خُثيم والحكم الكوفيان، وأبو سليمانَ الداراني وأبو جابر الفارسيان، وسليمان التميمي ومالك بن دينار ويزيد الرقاشي وحبيب العجمي ويحيى البكّاء وكهمس وربابة البصريون.

قالت أمُّ عمرو بن المنكدر: يا بُنيَ أشتهي أراك نائماً.

فقال: يا أُمّاه إنَّ الليلَ ليردُّ عليَّ فيَهُولني، فينقَضي عنّي وما قضيتُ منه مآربي.

وصحبَ رجلٌ رجلاً شهرين، فما رآهُ نائماً، فقال له: ما لَكَ لا تنام؟.

فقال: إنَّ عجائبَ القرآنِ أطَرْنَ نومي، ما أخرُجُ من أعجوبةٍ إلا وقعتُ في أخرى.

لا تَلُمْهُ إنْ كنتَ من سُجَرائه[1] عَذْلُ المحبِّ يزيدُ في إغرائِهِ
ودعِ الهَوَى يقضي عليهِ بِحُكْمِهِ ما شاءَ فهو مسَلَّمٌ لقضائِهِ
فشَقاؤُه فيما يراهُ نعيمُه ونعيمُه في ذاكَ عينُ شقائِهِ
كُحِلَتْ مآقيه بطولِ سُهادِهِ وحَنَتْ أضالعُه على بُرَحائِهِ
ذَنِفَ ببابلَ جِسْمُهُ، وفؤادُه بالخَيْفِ وا عجباً لطولِ بقائِهِ

قال سفيانُ: إنَّ لله ريحاً تُسمَّى الصُّبْحيَّة، مخزونةً تحتَ العرشِ، تهبُّ عند الأسحارِ، فتحملُ الأنين والاستغفار.

(لمهيار)[2]:

يا نسيمَ الريحِ مِنْ كاظِمةٍ شَدَّ ما هِجْتِ الأَسَى والبُرَحا

---

(١) سجرائه: أصحابه وأصفياؤه.

(٢) كتبها إلى أبي المعمر بن الموفق علي بن إسماعيل في النيروز سنة (٤١٤هـ). انظر: ديوان شعره: ١/٢٠٢-٢٠٥.

الصَّبا إنْ كانَ لا بدَّ الصَّبا ... إنَّها كانتْ لِقَلْبِي أزوحا

اذكرونا ذِكْرَنا عهدَكُمُ ... ربَّ ذِكْرَى قَرَّبَتْ مَنْ نَزَحا

وارحموا صَبّاً إذا غَنَّى بِكُمْ ... شَرِبَ الدَّمْعَ وعافَ القَدَحا

يا طويلَ النوم، فاتتكَ مِدْحةُ ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ [السجدة: ١٦]، وحُرِمْتَ منحةَ ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، ولست من أهل عِتابِ «فإذا جَنَّهُ[1] الليلُ نامَ عَنِّي»، ليس في ليلِ الهجرِ منامٌ، ومتى رأيتَ محبّاً ينامُ؟!.

(للمتنبي)[2]:

فإنَّ نهاري ليلةٌ مُذْلَهَمَّةٌ ... على مُقلةٍ مِنْ فَقْدِكُم في غَيَاهِبِ

بعيدةٍ ما بَيْنَ الجفونِ كأنَّما ... عَقَدْتُمْ أعالي كلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبِ

ثَوَّرت في الليلِ الحُداةُ، وعُجِمَتْ[3] أحمالُ الأعمالِ، وسارتْ رفْقَةُ المتهجّدين، وترنَّمَ كلُّ ذي صوتٍ بشجوٍ، وأنتَ في الرقدةِ الأولى بعدُ.

لم يخلُ مَزْجَانُ دمعٍ مِنْ عَقيقِ دمٍ ... شوقٌ بلا عَبْرَةٍ ساقٌ بلا قَدَمِ

يا هذا! كيفَ تُطِيْقُ السَّهَرَ مع الشَّبعِ؟! كيف تزاحِمُ أهلَ العزائمِ بمناكِبِ الكَسَل؟!:

دعِ الهَوى لأُناسٍ يُعرَفُونَ بِهِ ... قد مارسوا الحُبَّ حتى لانَ أصعبُه

بَلَوْتَ نَفْسَكَ فيما لستَ تَخْبُرُه ... والشيءُ صعبٌ على مَنْ لا يُجرِّبُه

فافْزَ اصطباراً وإن لم تستطع جَلَداً ... فَرُبَّ مدركِ أمرٍ عزَّ مطلَبُه

أَحْنُو الضلوعَ على قلبٍ يُحيّرُني ... في كلِّ يومٍ ويُعْيِني تقلُّبُه

تَناوُحُ الريحِ مِنْ نَجْدٍ يُهَيِّجُهُ ... ولامِعُ البرقِ مِنْ نُعْمانَ يُطْرِبُه

* * *

---

(١) جنه: ستره.

(٢) من قصيدة طويلة له. انظر: ديوان شعره، ص٢٠٩.

(٣) عجمت: ربطت.

الفصل السابع والسبعون

إذا هبَّتْ رياحُ المواعظِ، أثارتْ من قلوبِ المتيقظين غيمَ الغَمِّ على ما سلفَ، وساقتهُ إلى بدلِ الطبعِ المُنحَرِفِ برعدِ الوعيدِ وبرقِ الخشيةِ، فتترقى دموعُ الأحزانِ مِنْ قَعْرِ بحرِ القَلْبِ إلى أَوْجِ الرأسِ، فتسيلُ في ميازيبِ الشؤونِ على سطوحِ الوجناتِ، فإذا أَعْشَبَ الرُّواعتُّ فرحاً بالإنابة.

مَحَتْ بعدَكم تلك العيونُ دموعَها ... فهل مِنْ عيونٍ بعدَها نستعيرُها

رَحَلْنا وفي سِرِّ الفؤادِ ضَمَائرٌ ... إذا هَبَّ نجديُّ الصَّبا يستثيرُها

أتنسى رياضَ الغَوْرِ بعد فراقها ... وقد أخَذَ الميثاقَ منك غديرُها

يُجعْدُه مرُّ الشَّمالِ وتارة ... يغازِلُه كرُّ الصَّبا ومرورُها

ألا هَلْ إلى شَمِّ الخُزامى وعَرْعَرٍ ... وشيحِ بوادي الأثْلِ أرضٌ نسيرُها

ألا أيها الركبُ العراقيُّ بلِّغوا ... رسالةَ محزونٍ حواهُ سطورُها

إذا كتَبَتْ أنفاسُه بعضَ وَجْدِها ... على صفحةِ الذِّكرى محاهُ زفيرُها

ترفَّقْ رفيقي هل بدَتْ نارُ أرضِهم ... أم الوجدُ يُذْكِي نارَه ويُثيرُها؟

أعدْ ذكرَهم فهو الشفاءُ وربَّما ... شفى النفسَ أمرٌ ثم عادَ يَضيرُها

ألا أينَ أزمانُ الوِصالِ التي خَلَتْ ... خلا ما خَلا منها وجاءَ مَريرُها

سقى اللهُ أياماً مَضَتْ وليالياً ... تَضوَّعَ ريَّاها وفاحَ عبيرُها

مَنْ تفكَّرَ في تفريطِهِ أنَّ، ومَن تذكَّرَ أيامَ وصلِه حَنَّ، ومَنْ سمعَ صوتَ الحَمامِ ظنَّه لِحُسْنِ الصوتِ[1]...

... كلا بل لَذَكَرَ ما مرَّ من العيش[2].

إذا نظر الأسيرُ إلى نفسِه في ضيقِ القِدِّ[3]، ولم يَقْدِرْ على فَكِّ القيد، قطع

---

(١) يوجد نقص في الجملة كما لا يخفى.

(٢) يوجد نقص في صدر الجملة.

(٣) القِدّ: سيرٌ من جلد غير مدبوغ يربط به الأسير.

حُزْنُه حيازيمَ القلب، فَنَفَسُه بالأسَفِ في آخر نَفَسٍ.

تهيمُ ريحُ الصَّبا نَسَمَتْ لها ... وتبكي إذا الوَرْقاءُ في الغُصْنِ غنَّتِ
إذا جذَبَ الصبحُ اللثامَ تأوَّهَتْ ... وإنْ نشرَ الليلُ الجناحَ أرَنَّتِ

كان داودُ يُوتى بالإناء ناقصاً، فلا يشربُه حتى يُتمّمَه بالدموع.

يا ساقيَ القومِ إنْ دارَتْ عليَّ فلا ... تَمْزُجْ فإنّي بدَمْعي مازجٌ كأسي

كان في خَدِّ (عمرَ بن الخطاب) خَطَّان أسودانِ من البكاءِ، وكان في وجه (ابن عباس) كالشِّراكَيْنِ البالِيين من الدمع.

(لمهيار):

ألا مَنْ لِعَيْنٍ من بُكاها على الحِمَى ... تجفُّ ضروعُ المُزْنِ وهي حَلُوبُ
بكَتْ وغَديرُ الخَيِّ طامٍ وأصبحتْ ... عليهِ العِطَاشُ الحائماتُ تلوبُ
وما كنتُ أدري أنَّ عَيْناً رَكِيَّةٌ ... ولا أنَّ ماءَ المآقِيْنِ شَرُوبُ

كان (الحسن) يبكي حتى يُرْحم.

وكان (الفضيلُ بن عياض) يبكي في النوم حتى ينبّه أهلَ الدار ببكائه.

وكان (عطاءُ السُّلمي) يبكي في غرفة له حتى تجري دموعُه في الميزاب، فقطرَتْ يوماً إلى الطريقِ على بعض المارّين، فصاحَ يا أهلَ الدار: أماؤكم طاهِرٌ؟ فصاحَ عطاء: اغسلْهُ، فإنّه دمْعُ عينٍ مَنْ عَصَى الله.

ومَنْ لُجُّهُ مِغ غيرِه كيفَ حالُه ... ومَنْ سِرُّهُ في جَفْنِه كيفَ يكْتُمُ؟

وقالوا لعطاء السُّلمي: ما تشْتَهي؟.

فقال: أشتهي أن أبكي حتى لا أقدرَ أن أبكي.

وإنَّ شفائي عبرةٌ مُهْراقةٌ ... فهل عندَ رسمٍ دارسٍ مِنْ مُعوَّلِ

كان أشعثُ الحرّاني وحبيبُ العَجمي يتزاوران فيكيانِ طولَ النهارِ.

وكان حزام وسهيل وعبدُ الواحد كلُّ واحدٍ في بيتٍ يتجاوبون بالبكاء.

(للخفاجي):

ركبُ هوًى تجاذبُوا حديثَه ... فأثرعوا[1] من الغرام أكؤسا
وأسبَلوا من الجُفونِ أدمُعاً ... ظَنَنْتُها ماءً وكانَتْ أنفُسا
لقد سمِعتُ في الرِّحالِ أنَّةً ... أظنُّها نَشْطَةَ[2] وَجْدٍ حُبِسا

البكاءُ موكل بعيون الخائفين، كلّما همَّتْ بفَتْح طَرْفٍ لتنظرَ إلى طَرَفٍ من طُرَفِ الدنيا طَرَّقَتْهُ دمعة[3].

قال عليه الصلاة والسلام: «عينان لا تمسُّهما النارُ أبداً، عينٌ بكتْ مِنْ خشيةِ الله، وعينٌ باتَتْ تحرسُ في سبيلِ الله»[4].

قال الحسن: لو بكى عبدٌ من خشية الله لرُحِمَ مَنْ حولَه ولو كانوا عشرين ألفاً.

وقيل لثابت البُناني: عالِجْ عينيكَ ولا تبكِ. فقال: أيُّ خيرٍ في عينٍ لا تبكي.

(لصُرَدُر):

إذا لم أفُزْ منكمْ بوعْدٍ ونَظْرَةٍ ... إليكم فما نَفْعي بسمعي وناظري
متى غُدُّتِ الوَرْقاءُ كانتْ مُدامتي ... دموعي وزفَراتي حَنينَ مَزاهري

البُكاءُ لأجل الذنوب مقامُ المُريد، والبكاءُ على المحبوب مقام العارف.

رُوحي إليكَ بكُلِّها قد أجمَعَتْ ... لو كانَ فيكَ هلاكُها ما أقْلَعَتْ
تبكي عليكَ بكلِّها عن كلِّها ... حتى يقالَ: من البُكاءِ تَقَطَّعَتْ
فانظرْ إليها نظرةً بتعطُّفٍ ... قد طالما مُتِّعْتَها فتمتَّعتْ

---

(١) أترعوا: ملؤوا.

(٢) نَشْطة: انطلاقة.

(٣) **الطَّرْف**: العين. طَرَف: جانب، وطائفة من الشيء. طُرَف: جمع طُرْفة: كل مستحدَثٍ عجيب. طرَّقته: أصابته فأطبقت أحدُ جَفْنَيه على الآخر.

(٤) رواه أبو يعلى في (مسنده)، والضياء عن أنس رضي الله عنه، وصححه السيوطي. انظر: الجامع الصغير، برقم (٥٦٤٧)؛ ورواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما دون قوله: «أبداً» وقال: حديث حسن.

إخواني! حرُّ الخوفِ صيفُ الدَّوبان، وبرودةُ الرَّجاء شتاءُ الغفلة، ومَنْ لُطِفَ به كان زمانُه كلُّه فصلاً.

عيـنٌ تُسَـرُّ إذا رأتْـكَ وأُخْتُهـا ... تبكِـي لطـولِ تبـاعُـدِ وفـراقِ
فـاحفـظْ لـواحـدةٍ دوامَ سُـرورِهـا ... وَعِـدِ التـي أبكيتهـا بتـلاقِ

سبحانَ من روَّحَ أرواحَ الخائفين بريحِ الرجاءِ الضعيفِ، إذا لم يُلافَ تَلِف لا بدَّ للمكروبِ من نسيمٍ بارد.

بـاللهِ يـا رِيـحَ الشَّمـالِ ... إذا عَـزَمْـتِ علـى الهُبُـوبِ
فتحمّلـي شكـوى المُحِـبِّ ... المستهـامِ إلـى الحبيـبِ
قَـرُبَ الضَّنَـى[1] مِـنْ مُهْجَتِـي ... لمـا بعُـدْتُ عـن الطبيـبِ

وقف (عتبةُ الغلامُ) ليلةً على ساحلِ البحرِ إلى الصباحِ يقول: إنْ تُعَذِّبني فإنِّي لك محبٌّ، وإن ترحَمْني فإنِّي لك محب.

يا قومَنا! المحبُّ مع بَذْلِ روحِه يرتاحُ إلى المنى والتعليل[2]، لأنَّه لا يرى ما بذلَ يصلحُ ثمناً لما طلَب:

بِقَلْبـي منهُـمُ عُلَّـقٌ[3] ... ودمعـي فيهـمُ عَلَـقٌ[4]
وبـي مِـنْ حُبِّهِـمْ حُـرَقٌ ... لهـا الأحشـاءُ تحتَـرِقُ
ومـا تـركـوا سـوى رَمَقـي[5] ... فليتَهُـمُ لـهُ رَمَقـوا[6]

كان (عبد الواحد) يقول لعتبة: ارفُقْ بنفسِك، فيبكي ويقول: إنَّما أبكي على تقصيري.

---

(١) الضنى: المرض والتعب والهزال الشديد.
(٢) في (ب): عسى ولعل.
(٣) عُلَّق: محبة ملازمة.
(٤) عَلَق: دم.
(٥) رمقي: الرمق: بقية الحياة.
(٦) رمقوا: نظروا.

قالوا: تصبَّرْ فما هذا الجنونُ بِهِمْ فقلتُ: يا قومِ ليسَ القلبُ من قِبَلي

واعجباً! أَوَيقدِرُ المحبُّ على التصرُّفِ في قلبه؟ كلاّ، دينُ المحبِّ الجَبْرُ[1].

(لأبي الشيص الخزاعي):

وقفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي متــأخَّــرٌ عنــه ولا مُتَقَــدَّمُ

أجــدُ الملامَــةَ فــي هــواكِ لــذيــذةً حُبّــاً لِــذِكْــرِكِ فليُلُمْنــي اللُّــوَّمُ

دخلوا على رابعةَ فقالَتْ: لقد طالتْ عليَّ الأيامُ بالشوقِ إلى لقاءِ الله تعالى.

ودخلوا عليها مرّةً أخرى فقالوا: أتشتاقين إليه؟.

فقالت: هو حاضرٌ معي.

قالوا: يا رابعةُ! هذا ضدُّ الأول.

أجابَتْ بلسان الحالِ: هكذا تحيُّرُ المُحبّ.

ومِــنْ عجــبٍ أنّــي أحــنُّ إليهــمُ وأســألُ شــوقــاً عنهُــمُ وهــمُ معــي

وتطلُبُهــمْ عيني وهــم فــي ســوادِهــا ويشتــاقُهــم قَلْبي وهــمْ بَيْنَ أضلُعي

إذا بدَتْ رابعةُ في يوم القيامة مُخَمّرة، وقعتْ لهيبةِ خمارِها طيالسةُ[2] العلماء.

كان سفيانُ يتأدّبُ لرابعةَ، وكان هو صاحبَ مَخزنِ العلمِ، فتردَّدَ إلى القَهرَمانة[3]، لأنَّ لها دخولاً أكثر منه.

رحلَ المُلّاكُ وبقي المُدّعون، أترى أيَّ طريقٍ سلكوا؟ نحن مُلِكْنا والقوم مَلَكوا.

(للشريف الرضي، ولمهيار)[4]:

---

(١) الجبر: أن المحبّ لا اختيار له مع محبوبه.

(٢) طيالسة: جمع طيلسان، وهو كساء من خَزّ غليظ، (فارسي معرب).

(٣) القهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه، (فارسية معربة).

(٤) من قصيدة قالها الشريف الرضي خلال ذهابه إلى المدينة عام (٣٩٤هـ). انظر: ديوان=

يا صاحِبَيْ رَحْلي قِفَا ... فَسَائِلا لي الدِّمَنا
وأمطِرا دمعَكما[1] ... ذاكَ الكثيبَ الأيمَنا
ما الدارُ عندي سكنٌ ... إذا عَدِمْتُ السَّكَنا
كانَ فؤادي وهُمُ ... فظَعَنوا فَظَعَنا
مُنَى لعيني أن ترى ... تلكَ الثَّلاثَ من «منى»
ويومَ «سَلْعٍ» لم يكن ... يومي بـ«سَلْعٍ» هيّنا
ويومَ «ذي البانِ» تبا ... يعنا فحُزْتُ الغَبْنا[2]
كان الغرامُ المشتري ... وكان قلبي الثمنا
وبارقٌ أُومِئُهُ[3] ... كالطَّرْفِ أغضى وَرَنا[4]
ذكَّرَني الأحبابَ والـ ... ـذي تُهيجُ الحَزَنا
مِنْ بطنِ مرٍ والشُّرى ... تؤمُّ عُسْفانَ بنا
وبالعراقِ وطَري يا ... بُعْدَ ما لاحَ لنا

* * *

= شعره: ٢/ ٤٨٠، وفي قصيدة قالها مهيار يهنئ كمال الملك أبا المعالي. انظر: الديوان: ٤/ ١٤٢.

(١) في الديوان لمهيار: «من سائل لي بالحمى».

(٢) الغَبْن: يقال: غبنه في البيع: خَدَعَهُ وأوقعَ به ضرّاً، ويكون في البيع والشراء. والغَبَن: يكون في الرأي.

(٣) أشيمه: أنظر إلى البرق أين يقصد؟ وأين يمطر؟.

(٤) رنا: أطال النظر.

الفصل الثامن والسبعون

المُحِبُّ يتعلَّقُ بكلِّ شيء، ويهيمُ في كلِّ وادٍ، على القلَقِ يَمشي، وعلى الحُرَقِ يُمسي:

بقيتُ على الأطلالِ مِنْ بعدكُمْ مُلْقى ... أهيمُ بكمْ وأطلبُكُمْ شرقا
وأسألُ أنفاسَ الرياحِ إذا جَرَتْ ... يمانيةً عنكم وأستَنْبِئُ البَرْقا

كان رسولُ الله ﷺ يَخرجُ إلى جراء، ويبدو إلى التلاع[1]، مقاساةُ الخلق ظلمة، والحبيبُ لا يَتجلّى إلا في خلوة.

وأخرجُ مِنْ بينِ البيوتِ لَعلّني ... أحدّثُ عنكِ النفسَ في الليلِ خاليا

المحبُّ مقتولٌ بلا سيفٍ، مُلقًى في مِنًى المُنى لا عندَ الخَيْفِ[2]، إذا سمع صوتَ منشدٍ قد غرَّد، خلعَ لجامَ الصبرِ وتَشرَّد.

ولمّا غرَّدَ الحادي ... وسارَ القومُ في الوادي
وراحَ القلبُ يتْبَعُهم ... بِلا ماءٍ ولا زادِ
رأيتُ قتيلَ بَيْنِهم[3] ... صريعاً ما لَه فادِ[4]

---

(١) التلاع: ما ارتفع من الأرض وما انهبط، وهو من الأضداد كما في (مختار الصحاح). وحديثُ: كان رسولُ الله ﷺ في أول أمره يتبتل في غارِ حراء وينزلُ إليه. رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: «فكان يخلو بغار حراء يتحنّثُ فيه..». وفي (الجامع الصغير) برقم (٦٩٥٨): «كان يبدو إلى التلاع» رواه أبو داود وابن حبان في (صحيحه) عن عائشة، ورمز له السيوطي بالحسن.

(٢) الخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، وغرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس وبها سمي مسجد الخَيْف، وهو في ناحية من منى.

(٣) بينهم: من البَيْنِ، وهو البعد.

(٤) فاد: أي من يدفع ديته، وهو اسم فاعل من فدى يفدي، أي: دفع الدية.

أولُ علاماتِ المحبّةِ دموعُ العينِ، وأوسطُها قلقُ القلبِ، ونهايتها احتراقه.

(لقيس بن ذريح):

هل الحُبُّ إلا زفرةٌ بعد زَفْرَةٍ ... وَحَرٌّ على الأحشاءِ ليسَ لهُ بَرْدُ
وفيضُ دموعٍ تَسْتَهِلُّ إذا بدا ... لنا عَلَمٌ من أرضكمْ لمْ يكنْ يبدو

قال ذو النون: لقِيتُ امرأةً متعبّدةً فوعظتني فبكيتُ.

فقالت: لمَ تبكي؟.

قلت لها: والعارفُ لا يبكي؟.

قالت: إذا بكى استراحَ، ولا راحةَ للمؤمن دونَ لقاءِ ربِّهِ.

لا وحُبِّكَ لا أصافحُ ... بالدَّمْعِ مَذْمعا
مَنْ بكى شَجْوَه استرا ... حَ وإنْ كان مُوجَعا
كَبِدِي في هَواكَ أهـ ... ـونُ من أنْ تَقَطَّعا
لم تدعْ سَوْرةُ[1] الضَّنى[2] ... فِيَّ للسُّقْمِ موضِعا

المحبةُ نَزَّالةٌ، وقُوتُها المُهَجُ.

كانت أضلاع (عمرَ بن عبد العزيز) تُعَدُّ، وكان جَسَدُ سَرِيٍّ كالشَّنِّ[3].

وقف أبو يزيد في المحراب فكبّر فتقَمْقَمتْ عظامُه.

وإنّي لَتعرُوني لذكراكِ لوعةٌ ... لها بين جلدي والعظامِ دبيبُ
فما هو إلا أنْ أراها فجاءةً ... فأبْهَتُ حتى لا أكادُ أُجيبُ

إذا رأيتَ محباً ولم تدرِ لمن؟ فضع يدكَ على نَبْضِه، وسَمِّ كلَّ من تظنُّهُ المحبوب، فإنَّ النبضَ لا يتزعزعُ إلا عندَ ذكره ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

---

(١) سَوْرة: شدة.
(٢) الضنى: المرض والتعب.
(٣) الشن: القربة الخَلَقة.

(المهيار)[1]:

ألا فتًى يسألُ قلبي ما لَهُ ... يَنْزو إذا بَرقُ الحِمَى بَدَا لَهُ
فهبَّ يرجو خبراً من الحِمى ... يُنْبِئُهُ عنه فما رَوَى لهُ
أرادَ نجداً معه ببابلٍ ... إرادةً هاجَتْ له بَلْبالَهُ
وانتسم الريحَ الصَّبا ومَنْ لهُ ... بِنَفْحَةٍ من الصَّبا طُوبى لهُ

المحبُّ في قلقٍ لا سكونَ له، والعجبُ أنه يَتكَلَّفُ الثباتَ.

الوجدُ يُخرِقُه، والليلُ يُقْلِقُه ... والصبرُ يُسْكِتُه، والحبُّ يُنْطِقُه
ويسترُ الحالَ عَمَّنْ ليسَ يعذُرُه ... وكيفَ يستُرُهُ والدَّمْعُ يَسْبِقُه

المحبُّ يُبالِغُ في كِتمان وجْدِهِ، غيرَ أنَّ الدَّمْعَ نمَّامٌ.

آفةُ السِرِّ مِنْ جُفُو ... نِ دوامٍ[2] دَوَامِعِ
كيفَ يَخْفَى مِنَ الدمو ... عِ الهوامي[3] الهوامعِ[4]

كان أكثرُ القومِ إذا جاءَه البكاءُ دافعَه اتقاءً للاحي[5] له، فيغلبُه ولا حيلة.

(للمتنبي)[6]:

حاشى الرقيبَ فخانتْه ضمائرُه ... وغَيَّضَ الدمعَ فانهلَّتْ بوادرُهُ
وكاتمُ الحبِّ يومَ البَيْنِ مُفْتَضَحٌ ... وصاحِبُ الوَجْدِ لا تَخْفَى سرائرُهُ

إذا أقلقه الحب ضجَّ، وإذا أرَّقَهُ الشوقُ عَجَّ، وكلَّما حبس دمعَهُ نَجَّ[7]، وإذا

---

(١) مطلع من قصيدة كتبها إلى كمال الملك أبي المعالي في النيروز. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٢٢٧.
(٢) دوام: جمع دامية.
(٣) الهوامي: جمع هامية، من همى يهمي، وهمت العين: صبّت دمعها.
(٤) الهوامع: جمع هامعة، من همع يهمع، وهمعت العين: أسالت الدمع.
(٥) اللاحي: المنازع المخاصم.
(٦) مما قاله في صباه. انظر: الديوان، ص٣٦.
(٧) نجّ: سال.

استوحشَ من الخَلْقِ هَجَ[1]، فالهموم تنوبُه من كلِّ فجٍّ.

حُشِيَتْ قلوبُ المحبين بالغُموم، حشوَ الوَرْدِ في قوارير الزَّوْر[2]، وكلما التهبتْ نارُ الحَذَرِ جَرَتْ عيونُ الدَّمْعِ في جداولِ العيونِ، فَرَشَّتْ على الخدودِ ماءَ، [ما] مَاءُ الوردِ عِنْدَه بِطيب.

(لابن المعتز):

أَسَرَ القلبَ فأمسى لديهِ ... فَهْوَ يَشْكُوه ويشكو إليه
عذَّبَ الأحبابَ بالهجرِ حيناً ... فهمُ يبكونَ بينَ يديهِ

واعجباً لضَعْفِ بدنِ العارفِ كم يَحمِل! واأسفاً لقلبِ المحبِّ كم يَصْبِرُ!.

نعم تُحملُ الأشواقُ والعيسُ ظُلَّعُ[3] ... ويمشي الهوى والناقلاتُ قُعُودُ

ما أقوى جَلَدَ جِلْدِ القلبِ على نارِ الحُبِّ، كأنّه قد أُلبِسَ السَّمَنْدل[4]، على أنّه لا بدَّ من لَذْعٍ يَبِينُ أثرُه، في صُعُودِ الصُّعَداءِ، دلالةٌ تدلُّ على الحريقِ، اشتطَّ اللهيبُ فشاطتِ القلوب، لولا أنَّ القومَ على شواطئِ بحرِ الدموع نزول.

(للشريف الرضي)[5]:

خُذي حديثَكِ في نَفْسٍ من النَّفَسِ ... وَجْدُ المَشوقِ المعنَّى غيرُ مُلْتبِس
الماءُ في ناظري والنارُ في كَبدي ... إنْ شئتِ فاغرفي أو شئتِ فاقتبسي

أشدُّ ما على المُحبِّ من مقاساة الحُبِّ سماعُ اللَّوْم، واعجباً من خليٍّ يعذِلُ ذا شجًى، ويحك! خلِّ شأنَه وشانه.

---

(١) هجَ: لعله يريدُ: شرد منهم وفرّ عنهم ونأى، وإن لم نجد معنى لكلمة هجَ في المعاجم.
(٢) الزور: وسط الصدر، أو ما ارتفع منه إلى الكتفين.
(٣) ظَلَّع: من ظلع أي: عرج وغمز في مشيه.
(٤) السمندل: طائر في الهند لا يحترق في النار فيما زعموا، أو نسيجٌ منه ريش بعض الطيور لا يحترق.
(٥) مطلع من قصيدة قالها في شكوى الزمان. انظر: ديوان شعره: ١/ ٥٥٧.

فيا حُبَّهُم زدني جوًى كلَّ ليلةٍ ... ويا سَلْوةَ الأيامِ موعدُكِ الحَشْرُ

لما أسلم سعدُ بنُ أبي وقاصٍ قالت له أمُّه: واللهِ لا آكلُ ولا أشربُ، ولا يُظلُّني سقفُ بيتٍ حتى تكفرَ بمحمدٍ.

فقال: اسمعي يا أماه! لو كان لكِ مئةُ نَفْسٍ فخرجتْ واحدةً بعد واحدةٍ، لم أكفر بمحمدٍ.. ويحها! ما خَبَرَتْ خبرَ المحبة! متى وقع السُّلُوُّ في حبِّ صادق!

(للمتنبي):

عذلُ العواذلِ حَوْلَ قلبي التائهِ ... وهوى الأحبة منه في سَوْدائه

القلبُ أعلمُ يا عذولُ بدائِه ... وأحقُّ منكَ بجَفْنِهِ وبمائه

فوَ مَنْ[1] أُحبُّ لأعصينَّك في الهوى ... قسماً بهِ وبحُسْنهِ وبهائِه

أأحبُّه وأحبُّ فيه ملامةً ... إنَّ الملامةَ فيه من أعدائِه

لا تعذلِ المشتاقَ في أشواقِه ... حتى تكونَ حشاكَ في أحشائِه

واعجباً لعاذل في حُبِّ ما ذاقه، وآمرٍ بهجرِ حبيبٍ ما شاقه.

وماذا على مُفْرِدٍ بالعراقِ ... تذكَّرَ بالرملِ عهداً فَحَنَّا

وإنِّي لكلِّ شجٍّ[2] عاذرٌ ... إذا ناحَ من طَرَبٍ أو تَغَنَّى

كانت أمُّ الربيع بن خُثَيْم إذا رأت قلقَه بالليل قالت: يا بُنيَّ لعلَّك قتلتَ قتيلاً! فيقولُ: يا أماه! قتلتُ نفسي.

قيل لعابد كان ينتحب: إنَّكَ تُفْسِدُ على المصلين صلاتهم بارتفاع صوتِكَ!.

فقال: إنَّ حزنَ القيامةِ أورثني دموعاً غِزاراً، فأنا أستريحُ إلى ذَرْفِها أحياناً.

مهلاً عذولُ صَليتَ[3] نارَ جَوانحي ... وغَرِقْتَ في تيارِ دَمْعِي المسبلِ

هذي حشايَ لديكَ فانظرْ هل ترى ... قلباً فإنْ صادفْتَ قلباً فاعذِلِ

---

(١) فوَ من: الواو واو القسم، والمقسَم به هو المحبوب «مَنْ أحبّ».

(٢) شجٌّ: من الشجو؛ أي: الحزن، شجي يشجي فهو شجٍ.

(٣) صليت: هذا أسلوب دعاء، دعا على العذول بأن يذوقَ ما ذاق، ليعذره فيما هو فيه.

غايةُ العاذلين إيصالُ اللوم إلى الأسماع، فأما القلوب فلا سبيلَ إليها.

سِيَّانَ إنْ لاموا وإنْ عَذَرُوا ... ما لي عن الأحبابِ مُضْطَبَرُ
لا غَرْوَ أنْ أُغرى بحبهمُ ... إذ ليسَ لي في غيرِهمْ وَطَرُ
لابدَّ لي منهم وإنْ تركوا ... قلبي بنارِ الهَجْرِ يَسْتَعِرُ
وعليَّ أن أرضى بما صنعوا ... وأُطيعُهم في كلِّ ما أَمَروا

لو رأيتَ المُحِبَّ يهرُبُ من العذْلِ إلى فلواتِ الخلواتِ، فإذا ناوله الوجدُ كأسَ الدموعِ اقترحَ عليه غناء الحمائم.

ذَكَرَ الأحبابَ والوطَنا ... والصِّبا والإلفَ والسَّكَنا
فبكى شجواً وحُقَّ لهُ ... مُذْنفٌ بالشوقِ جِلْفُ ضنى
أبعَدَتْ مَرْمَى بهِ رَجَمَتْ ... بِنْ خُراسانَ بهِ اليَمَنا
مَنْ لِمُشْتاقٍ تُمَيِّلُه ... ذاتُ سَجْعٍ مَيَّلَتْ فنَنَا
لم تُعَرِّضْ في الحنينِ بمَنْ ... مُسعِدٌ إلا وقلتُ أنا
لكِ يا ورقاءُ أسوةُ مَنْ ... لم تذيقي طرفَهُ الوسَنا
بكِ أُنسي مثلُ أُنسكِ بي ... فتعالَيْ نُبْدِ ما كَمَنا
تَتَشاكى ما نُجِنُّ إذا ... بُحْتِ شكوى صِحْتُ وا حزنا
أنا لا أنتِ البعيدُ هوًى ... أنا لا أنتِ الغريبُ هنا
أنا فَرْدٌ يا حمامُ وها ... أنتِ والإلفُ القرينُ ثُنا
اسرحا رادَ[1] النهارِ معاً ... واسكُنا جُنْحَ الدُّجى غُصُنا
وابكيا يا جارتي لمعا ... لعِبَتْ أيدي الفراقِ بنا
أينَ قلبي ما صَنَعْتِ بهِ ... ما أرى صَدْري لهُ سكنا
كانَ يومَ النَّفْرِ وهو معي ... فأبى أن يصْحَبَ البَدَنا
أيِّ حادي الرفاقِ حَدا ... أم لهُ داعي الفراقِ عَنَى؟

* * *

(١) راد: انبساط الشمس وارتفاع نهاره.

الفصل التاسع والسبعون

يا هذا: قد سمعتَ أخبارَ المُتْقين، فَسِرْ في سِرْبِهم، وقد عَرَفْتَ جِدَّهُم، فتناول مِنْ شِرْبِهم[1]، ثم سَلْ مَنْ أعانَهم يُمْنَكَ فيما كان بهم.

(لابن هند):

لا يـؤيسَنَّـكَ مِـنْ مجـدٍ تَبَـاعُـدُه ... فـالمَجْـدُ يُـدرَكُ تـدريجاً وتـرتيبا
إنَّ القَنـاةَ التـي شـاهَـدْتَ رِفْعَتَهـا ... تَنْمـى وتُنْبِـتُ أُنبـوبـاً فـأنبـوبـا

استغنى القومُ بطيبِهم عن مدح خطيبهم، فاسلُك طريقَهم تَكُنْ رفيقهم.

(لابن الرومي):

وسـائـلٌ عَنْهُـمُ: مـاذا يُقَـدِّمُهـم ... فقلتُ: فضلٌ به عن غيرِهم بَانُوا
صانوا النفوسَ عن الفحشاءِ وابْتَذَلوا ... منهنَّ في سبلِ العلياءِ ما صانوا
المُنْعِمـونَ ومـا مَنُّـوا علـى أحـدٍ ... يوماً بنُعمى ولو مَنُّوا لما مَانوا[2]
قـوم يَعِـزُّون إنْ كـانَـتْ مغـالبـةً ... حتـى إذا قـدَرَتْ أيـديهـمُ هَـانـوا

أطارَ خوفُ النارِ نومَهم، وأطالَ ذِكْرُ العطشِ الأكبرِ صومَهم، يحسبُهم الناظرُ مرضى الأبدان، وإنَّما بهم سِقَامُ الأحزان.

مكتـئـبٌ ذو كبـدٍ حـرّى ... تَبْكـي عليـه مقلـةٌ عَبْـرى
يـرفـعُ يُمْنـاه إلـى ربّـه ... يَشْكـو وفـوْقَ الكَبِـدِ اليُسْـرى
يبقـى إذا حـدَّثَتْـهُ بـاهتـاً ... ونفسُـه ممـا بـه سَكْـرى
تحسبُـه مُسْتَمِعـاً نـاصتـاً ... وقلبُـه فـي أُمَّـةٍ أُخـرى

---

(١) شربهم: أي شَرابهم الذي يتناولونه، ويدخل فيه معاني المجد والشوق والأنس والواردات الإلهية.

(٢) مان مؤناً: احتمل مؤونته وقام بكفايته.

[إذا ذكروا العفوَ طابَ العيشُ، وإذا تَصَرَّروا العذابَ جاء الطَّيْشُ.

أَمُـدُّ بِـإحـدى مُقْلَتَـيَّ إذا بَـدَتْ إليها وبـالأُخـرى أُراعـي رقيبَـها
وقـد غَفَـلَ الـواشي ولـم يـدرِ أنّـني أَخَذْتُ لعَيْنِي من حبيبي نَصِيبَها](1)

قال صالحُ المريّ: كان عطاءُ السُّلمي قد اجتهدَ حتى انقطعَ، فصنعتُ له شَرْبَةَ سُوَيقٍ فلم يشرب فلُمْته، فقال: إنّي واللهِ كلَّما هَمَمْتُ بِشُرْبِها ذكرت قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٣] فلم أقدر، فقلت: أنا في وادٍ وأنتَ في وادٍ:

أَطَلْـتَ وعَـذَّبْتَنـي يـا عَـذُولُ بُليـتُ فـدَعْنـي حـديثي يطـولُ
أبِـيْـتُ أُراقِـبُ نَجْـمَ الـدُّجـى إلـى الصُّبْـحِ وَحْـدي ودَمْعِـي يسيلُ

انبعَثَتْ غيومُ الغموم من أوديةِ القلوبِ، فاستَتَمَّتْ قُبَيْلَ الصبح فهطلتْ، فلها مع الشؤونِ شؤون(2)، فجرت الأرواحُ في مَوْتى العيدان، فَقَدَحَتْ [فَحَرَقَتْ](3)، فارتَقَتْ وُرْقُ الشوقِ منابرَ الشدو فأطربتْ، فصدَحَتْ بَلابِلُ المحبّةِ بين مَنْثورِها ومَنْظومِها [قَبْلَبَتْ [قلبَ الواجدِ](4).

يـا نفحـاتِ الـريـحِ مُـرّي سَحَـراً قَبْلَبلـي طـرةَ أرضٍ بـابـلِ
صفـي لأهـلِ بـابـلٍ بَـلابلـي وبَلِّغيهـم فـي الهَـوى رسَـائلـي
كـم مـن دمٍ طـاحَ بغيـرِ ثـائـرٍ وكـم قتيـلٍ كَلِـفٍ بـالقـاتِـلِ

قلبُ المحبِّ تحتَ فَحْمةِ الليلِ جمرة، كلَّما هبَّ النسيمُ التَهَبَتْ.

تمرُّ الصَّبا صَفْحاً بساكنِ ذي الغَضَا ويصـدَعُ قلبـي أن يَهُـبَّ هُبُوبُهـا
قـريـبـةُ عهـدٍ بـالحبيـبِ وإنَّمـا هوى كلِّ نَفْسٍ حيث حلَّ حبيبُها

(1) زيادة من (ب).
(2) الشؤون: الأحوال. شؤون: دموع.
(3) زيادة من (ب).
(4) زيادة من (ب).

سهر القوم يقعُ ضرورةً، لأنَّ القلقَ مانعٌ من النوم، وليس لهم في تلك الشدائد راحةٌ سوى جَريانِ الدموع.

(للسّري بن أحمد الكِنْدي):

بـلانـي الحُـبُّ فيـك بمـا بَـلانـي ... فَشَأني أنْ تَفيضَ غَروبُ شاني[1]
أبيـتُ الليـلَ مـرتقبـاً أُنـاجـي ... بِصِـدقِ الـوجـدِ كـاذبـةَ الأمـانـي
فتشهـدُ لـي علـى الأَرَقِ الـدُّرَيّـا ... ويعلـمُ مـا أُجِـنُّ الغـرْقـدانِ
فيـا ولـعَ العـواذلِ خـلِّ عنـي ... ويـا كَـفَّ الغرامِ خُـذِي عِنـاني[2]

من صلى بالليل حَسُن وجهه بالنهار، شِيْمَةَ المحبِّ لا تَخْفى، وصحائفُ الوجوهِ يقرؤها من لم يكتب.

خذي حديثَك في نفْسي من النَّفَس

قطعت نياقُ جِدِّهم بادية الليل، ولم تَجِدْ مسَّ تعب، الطريق إلى المحبوب لا تطول.

(للشريف الرضي):

بَـدَا لهـا مـن بعـد مـا بَـدالهـا ... روضُ الحِمَـى أنْ تشْتَكي كَـلالَهـا
فخلَّهـا تَمْـرَحُ فـي زِمَـامهـا ... فـإنَّهـا قـد سِئِمَـتْ عقـالهـا
أذكـرَهـا مـرُّ النسيـمِ سَحَـراً ... مَـراتعـاً تفيَّـأَتْ ظـلالهـا
رنَّحها الشـوقُ المُبِـغُّ والسُّـرى ... فَسَحَبَـتْ مِـنْ وَجْـدِهـا جـلالَهـا
تحسبُهـا سكـرى ومـا ذاكَ بِهـا ... وإنَّمـا شـوقُ الحِمـى أَمَـالهـا

يا ربُّ! قَرِّبْ أرضَ كَنْعانَ من مصر، فَقد نَفَدَ صبرُ يعقوب.

كان أبو زيد يقول: إلـهي إلى متى تحبس أعضاءَ مُحِبِّيكَ تحت التراب؟ احشُرْهم، واجعلني جسراً ليعبروا إليك.

---

(١) غَروب: بمعنى الدلو الكبير. شاني: مجرى الدمع.
(٢) عِناني: سير لجامي، أي: أذن للغرام أن يقوده إلى حيث الأحبة.

وا ويلاه أنا أشرَبُ وأنا أطرب، يتركوني أسيرَ وجدي، أسيرُ وحدي، هلاَّ سَعَتْ معي رِجْلُ رَجُل، أو أعانني ساعدُ مُساعد، أين شَرْطُ الرِّفْقَة؟ أوَما العزاءُ للكل.

(للخفاجي):

لـو عَـدَلْـتُـنَّ تسـاهَمْنـا جـوًى مثـلَ مـا كنّـا اشتـركنـا نَظَـرا

يا حاضرين عندنا بِنِيَّةِ التَّنَزُّهِ لستم معنا، عُودوا إلى أوطانِ الكسل، فالحربُ طعْنٌ وضربٌ، يا مُدَّعين ارجعوا فقد عبَرْنا الغُدَيب[1]، دَعُونا نَخُلُ بالوجدِ في صحراء نجد، ستأتيكم أخبارُنا عن قريب بعدَ فَيْدٍ[2]، وأنتَ أيها الحادي عـرِّضْ بـالمأزِمَيْن[3] والخَيف، تعلَّمك الدموعُ كيف تُرمى حصى الحَذَف[4].

ألا غَنِيـانـيْ بـالـدِّيـارِ فـإنّـنـي أحـبُّ زرُوداً مـا أقـام ثَـرَاهـا
وبيـن النَّقَـى والأنْعُمَيْـنِ مَحِلـةٌ حبيـبٌ لقلبـي قـاعُهـا ورُبـاهـا
ونَعمانُ يا سقياً لنَعْمانَ ما جرَتْ عليهِ النُّعامَى[5] بَعدَنا وصباها
وللقلبِ عنـد المـأزِمَيْـنِ وجَمْعِهـا ديـونٌ ومَقْضَـى خَيْفِهـا ومُنـاهـا

* * *

(١) الغُدَيب: ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة.
(٢) فيد: منزل بطريق مكة.
(٣) المأزِمين: مثنَّى مأزم: موضع بين المشعر الحرام وعرفة.
(٤) الحذف: رميك حصاةً بين سبابتَيْكَ.
(٥) النعامى: ريح الجنوب؛ لأنها في جزيرة العرب أندى الرياح وأرطبها.

الفصل الثمانون

يا مقيماً في دائرةِ دارِ الغِيَرِ! كمْ حَضَرْتَ فيها مُحتضَر[1]، كم عايَنْتَ عينُكَ قبراً يُحتفر، لقد الانت مواعظُها كلَّ صَلْدٍ[2] حجر، عجباً لفَرْخها ما عَيَّدَ حتى نُجِر.

إنَّ فـي نـأيِ زمـانـي عِظَـةً ... تشغلُ العـاقـلَ عـن نـأيِ زُنـامْ[3]
ومُـدامُ الفِكْـرِ فيمـن قـدْ مَضَـى ... مُنكرٌ يُغنيك عـن شُـرْبِ مُـدامْ[4]
عَرَّسَ[5] القومُ، وغُرْبانُ الدُّجى ... إنَّما صـاحَـتْ بتقـويـضِ الخِيـامْ
وحمـامـاتُ الضُّحَـى صـادحـةٌ ... نَوْحُها ينـذرها صِرفَ الحِمامْ[6]
ومطـايـا الخَيْـفِ قـد زُفَّـتْ لكـم ... وَدَعُـوا يـا قـومِ وامضُـوا بسـلامْ
وَدَعـوا عنكـم أبـاطيـلَ المُنـى ... ليسـتِ الـدُّنيـا لنـا دارَ مُقَـامْ
أقسَـمَ السـاقـي بكـاسـاتِ الرَّدَى ... لَيَـدُورَنَّ علـى كـلِّ الأنـامْ

يا مَنْ إذا عامل خان وظلَم! يا مَنْ أُمِرَ بما ينفعه فَلَم، هذا القَتير[7] في الرأسِ كالعَلَم، أبَقِيَ بَعْدَ نُوره يا ظالمُ ظُلَم، ألمْ يَقلْ لك: ألَمْ[8] الضَّعْفُ انتبه؟ ألمْ؟ أين رفيقُكَ؟ أدْلَجَ[9] وقد عرفتَ المنهج، والرحيل قد أزعج، وهذا فرس

---

(١) المحتضَر: من حضره الموت، أي: ملكه ليقبض روحه.
(٢) الصَّلْد: الصلب الأملس.
(٣) زنام: كغُراب: الداهية.
(٤) المدام: الخمرة.
(٥) عرّس: نزل في وجه السحر من سفر، والتعريس: النزول في آخر الليل.
(٦) الحِمام: الموت.
(٧) القتير: الشيب.
(٨) ألَمَّ: نزل.
(٩) أدلج: سار في أول الليل (مختار الصحاح).

مُسْرَج، والبضاعة كلُّها بَهْرج[1].

ويحَكَ! تعاهدْ قلبَكَ، فإذا رأيتَه قد مالَ إلى الهوى، فاجعل في الجانب الآخر ذكرَ العِقاب ليستقيمَ، فإنْ غلبكَ الهوى، فاستعِنْ بصاحب القلبِ، وإن تأخَّرتِ الإجابةُ فابعثْ رائدَ الانكسارِ خلفَها «مجلدي عند المنكسرة قلوبُهم»[2].

يا هذا! أَمَا عَلِمْتَ أنَّ اللُّطفَ مع الضعيف أكثر؟

لمّا كانت الدجاجةُ لا تحنو على الولدِ أُخْرِجَ كاسباً.

ولما كانتِ النملةُ ضعيفةَ البصرِ أُعينَتْ بقوةِ الشَّمِّ، فهي تجدُ ريحَ المطعومِ من بعيدٍ فتطلُبُ.

لما كانَ التِّمساحُ مختلفَ الأسنان، صارَ كلَّما أكلَ حصَلَ بين أسنانه ما يؤذيه، فيخرجُ إلى شاطئِ البحرِ فاتحاً فاه[3]، طالباً للراحة، فيأتي طائرٌ فينقُرُ ما بين أسنانه، فيكونُ ذلك رزقاً للطائرِ، وترويحاً عن التمساح.

هذه الخُلْد[4] دويبةٌ عمياء قد أُلْهِمَتْ وقتَ الحاجة إلى القوتِ أن تفتحَ فاهاً، فيسقطُ الذبابُ فيه فتَتناولُ منه.

هذه الأطيارُ تَتَزَيَّمُ طولَ النَّهارِ، فيُقالُ للضفدعِ: مالكِ لا تنطقين؟!.

فتقول: مع صَوتِ الهَزازِ يُسْتَبْشَعُ صَوْتي، فيقال: هذا الليل بحُكْمِكِ «أنا عند المنكسرة قلوبهم».

لمّا خُلِقَ الأخرسُ لا يقْدِرُ على الكلامِ سُلِبَ السَّمْعَ لئلاّ يسمعَ ما يكره، ولا يمكنه الجواب، فكلُّ أخرسٍ أُطروش[5].

---

(١) بهرج: زائف.

(٢) قال في (كشف الخفاء: ١/٢٠٣): ذكره الغزالي في (البداية) بلفظ: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» ولا أصل له في المرفوع، وقال المناوي في (فيض القدير): جاء في بعض الكتب الإلهية.

(٣) فاه: أي فمه.

(٤) الخلد: نوع من الجرذان خلقت عمياءَ تسكن القَلَوات.

(٥) الأطروش: الأصم.

لمَّا تَـوَلَّجَ الجُذامُ[1] بأظفارِ أصحابِه، صَعُبَ عليهمُ الحَكُّ فمُنِعَ منهم القَمْل، فليس في ثياب المجذومين قَمْلة، سبحان مَنْ هذا لطفُه.

سبحانَ مَنْ لا يَعْطِفُ عنّا[2] عطفَه، ثَكِلَتْ خواطرَ أَنِسَتْ بغيرك، عَدِمَتْ قلباً يُحِبُّ سواك:

لا أذاقَ اللهُ عينـــاً أَبْصَـــرَتْ ... بعدكُم ـ يا قوتَ[3] روحي ـ وسنا[4]
لا وَلا كـانـــتْ قلـــوبٌ سَكَنَـــتْ ... عِنْـدَ ذكـراكـم ولا نـالَـتْ مُنـى

إلـهي أَدِلَّنا[5] من نفوسنا التي هي أقربُ أعدائنا منا، وأعطِهُمهم نكايةً فينا.

إلـهي تلاعبتْ خوادعُ آمالِنا ببضائعِ أعمارِنا فصَرَعْنا مفاليس، أغارتْ علينا خيـولُ الهوى فاستَأسَرَتْنا بأَسْرِنا[6]، وأَوْثَقَتْنا في أَسْرِنا، ورَمَتْنا في مطاميرِ طردنا[7].

فيا مالكَ المُلكِ أنقِذْ حبيسَنا، وخَلِّصْ أسيرنا، وسَيِّرْ أَوْبَتَنا من بلادِ غربتنا، كم عُدْنا مريضاً وما عُدنا! كم رأينا الألحاد[8] تُبْنى وما تُبنا[9]! كم أبصرْنا وما أَقْصَرْنا[10]! وانتهينا وما انتهينا[11]! كم بادرنا إلى ما يضرُّنا، وانتهينا وما هِبْنا!.

يا ملاذَ العارفين! يا مَعاذَ الخائفين! خُذْ بيدِ مَنْ قدْ زَلَّتْ قدمُ فطنتِه في مَزْلَقِ فِتْنَتِه، أقِمْ مَنْ قَعَدَ به سوءُ عَمَلِه.

---

(١) الجذام: مرض جلدي خطير حذّر منه رسول الله ﷺ؛ إذ جاء عنه: «فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد».
(٢) لا يعطف عنا: لا يصرف عنا.
(٣) القوت: المسكة من الرزق، وقد جعل المحبوبَ قوتَ روحِه، وناداه بذلك.
(٤) وسنا: النوم.
(٥) أَدِلَّنا من نفوسنا: انصرنا عليها، من أدال إدالة.
(٦) بأسرنا: أي كلّنا.
(٧) مطامير طردنا: أي سجون الإبعاد والقطيعة.
(٨) الألحاد: جمع لحد: الشَّقُّ في جانب القبر.
(٩) ما تبنا: من التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.
(١٠) أقصرنا: يقال: أقصر عن الشيء: أمسك عنه مع القدرة عليه.
(١١) انتهينا الأولى: فنيت أعمارنا. وانتهينا الثانية: لم ننتهِ عما نُهينا عنه.

كم أشكو وأين نفعُ الشكوى ... قد قلَّ تَصَبُّري وحَلَّ البَلْوى
ما لي جَلَدٌ على جفاهُم يقْوى ... أهْوَى فَلقي إذا جَفا مَنْ أهوى

يا مَنْ أصلحَ السَّحَرَة فجعلهم بَرَرة، جاؤوا يحاربون، وخِلَعُ الصُّلح قد هُيئت[1]، وتيجانُ الرضا قد رُصِّعَتْ، وشرابُ الوصالِ يُرَوَّقُ[2]، فمدُّوا أيديهم إلى ما اعتصروا من خَمْر الهوى، فإذا به قد استحالَ خلاًّ، فأفطروا عليه.

وا عجباً لسكارى من شرابِ الحُبِّ عَرْبَدَتْ عليهمُ المحبة، فَصُلِّبوا في جذوعِ النخل، ارتقى سُلطانُ عَزْمِهم إلى سماوات قلوبهم ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢].

وا عجباً لَعَزم صُلْبٍ ما هاله الصَّلْبُ، لا تَتَعرَّضْ بنار المحبة إلا أن يكون لقلبك جِلْدُ السمندل[3] أو صبرُ الفراش.

يا هذا! الاحتراقُ على قدر الاشتياق، لما اشتدَّ شوقُ الفراشِ إلى النارِ، تعجَّلَ احتراقَه، وهجمَ بيتغي الوصالَ فصالَ عليه المحبوب.

لاذَ بِهِمْ يَشْتَكي جَواهُ ... فلم يجدْ في الهوى مَلاذَا
ولم يزلْ ضارِعاً إليهم ... تَهْطُلُ أجفانُه رَذاذا
فقرَّبُوه فَحَادَثُوه ... وأتلَفُوه فكان ماذا؟

لما علمَ المحبُّونَ أنَّ الصبرَ محبوبُ المحبوبِ شَمَّروا لِحَمْلِ البلاءِ، ثم حَلَى[4] لهم فعدُّوه نِعْمةً.

سقَمِي في الحُبِّ عافيتي ... ووجودي في الهوى عَدَمي
وعذابٌ ترتضونَ بهِ ... في فَمِي أحْلَى مِنَ النَّعَمِ

كان الربيعُ بن خُثَيْم يقولُ في شِدَّةِ مَرَضِه: ما أُحِبُّ أنَّ اللهَ نقصني منه قُلامَةَ ظُفْرٍ.

---

(١) في (ب): خبئت.
(٢) يُرَوَّقُ: يُصفى.
(٣) السمندل: طائر إذا انقطع نسله وهَرِمَ ألقى نفسه في الجمر.
(٤) حَلَى: من الحلاوة، أي: صار البلاء حلواً.

مَرَضُ الحبِّ شفائي في الهوى كلَّما أكربني أطربني
فبقائي مِنْ فنائي فيكمُ وسروري منكمُ في حَزَني
وشربتُم بوصالي مُهْجَتي وأنا منتظرٌ للثمنِ
كيفَ أرجو البُرءَ من داءِ الهوى وَطَبيبي في الهَوى أمرضني
وإذا البلوى أفادتْ قُربَكُمْ فمن النُّعْمى دوامُ المِحَنِ

إخواني! لَسْنا من رجالِ البلاءِ، فسلوا اللهَ العافية، يُضيِّقُ الخِناقُ على المُحبِّ، ويُمنع مِنَ التَّنَفُّسِ «لئن قلتَ: آه، لأمحونَّك».

الحبُّ يقول لا تُشِعْ أسراري والدَّمْعُ يسبلُ هاتكاً أستاري
فالشوقُ يزيدُني على المِقْدارِ وا ناري إذنْ من الهوى وا ناري

* * *

الفصل الحادي والثمانون

يا مَنْ أنفاسُه عليه معدودة، وأبوابُ التُّقى في وجهِه مسدودة، وأعمالُه بالرياءِ والنفاقِ مردودة، غيرَ أنَّ محبةَ التفريطِ معهُ مَوْلُودَة.

حياتُكَ أنفاسٌ تُعَدُّ فكُلَّما ... مضى نَفَسٌ منها انتَقَصْتَ بِهِ جُزْءا
فتصبحُ في نَقْصٍ وتُمسي بمثلِهِ ... أما لكَ معقولٌ تُجِنُّ بِهِ رُزْءا[1]
يُمِيتُكَ ما يُحييكَ في كلِّ ساعةٍ ... ويَخدوكَ حادٍ ما يُرِيدُ بكَ الهُزْءا

كم أسرَعْتَ في ما يؤذي دينَك ودَأَبْتَ! كم خرَّقْتَ ثوبَ إيمانِكَ وما رَأَبْتَ[2]! كم فرَّقْتَ قلبكَ وما شَعِبْتَ[3]! كم فاتكَ من خيرٍ وما اكتأبْتَ!.

يا كاسبَ الخطايا! بئسَ ما كسبت، جمعتَ جُمْلةً من حسناتِكَ ثم اغْتَبْتَ، وجصنَ دينِكَ ثَلمتَ لمَّا ثَلَبْتَ[4]، وأنت الذي بدَّدْتَ[5] ما حَلَبْتَ، إنْ لاحَ لكَ أخوكَ عِبْتَه، وإن لاحى[6] سَبَبْتَه.

يا عقربَ الأذى كَمْ لَدَغتَ! كم لسبتَ[7]؟ تَعْلَمُ أنَّ مولاكَ يراكَ وما تأدَّبْتَ! توْترُ ما يَفْنى على ما يبقى! ما أصبْتَ، تصبح تائباً فإذا أمسيتَ كَذَبْتَ، تمشي مع اليقين فإذا قاربتَ انقلبْتَ، تعمُرُ ما لا يبقى وما يبْقَى خَرَّبْتَ، تأنسُ بالدُّنيا وغرورِها وقد جَرَّبْتَ.

---

(١) رزءاً: مصيبة.
(٢) رأبت: من رأب، أي: لأم وأصلح.
(٣) شعبت: أي ما أصلحت صَدْعه.
(٤) ثلمت: ثَلَم الشيء: أحدث فيه شقّاً، ثلبت: أي عبت وانتقصت.
(٥) بدّدتْ: فرقت.
(٦) لاح: ظهر. ولاحى: نازع وخاصم.
(٧) لسبت: لسعت.

كأنَّكَ بِكَ في القبرِ تبكي ما كَسَبْت، لقد حَسِبْتَ حساباً كثيراً وهذا ما حَسَبْتَ.

يا واديَ الشيح! كيف يُمالُ لو أَغْشَبْت؟!.

يا هذا! أكبرُ الإنعام عليك، كيفَ كَفَّ[1] فضولَ الدنيا عنك.

إذا رأيتَ سِرْبال[2] الدنيا قد تَقَلَّصَ[3] فاعلم أنَّه قد لُطِفَ بك، لأنَّ المُنعمَ لم يُقَلِّصه عليك بخلاً أن يتمزق، لكن رِفقاً بالماشي أن يَتَعَثَّر، أحْرِمْ عن الحرامِ بنَزْعِ مَخِيط الهوى، لعلَّ جذبَ القدَرِ يقارنُ ضعفَ كَسْبِك.

إنَّ المقاديرَ إذا ساعَدَتْ ألحقتِ العاجزَ بالحازمِ

يا تائهاً في فلاةِ الغفلات، أعُلْ بأقدامِ الرُّهْدِ نَشَزَ[4] الفكرِ، تُلْحِ لك البلدُ.

ويحك! تركبُ البحارَ في طلبِ الدُّنيا، فإذا أُمرتَ بخيرٍ قلتَ: إن وفَّقني. أصمَّ اللهُ سمعَ الهوى فما يَسْمَعُ إلا ما يريد.

يا مولاً كلَّما ثُقِّفَ[5] بالعذلِ[6] التوى[7]
عَتَتاً تطلبُ في فالوذَجِ[8] الهَوى نَوى

ما أحسنَ قولَكَ! وما أقبحَ فعلَكَ! كم يشكو حزيران[9] نُطْقِكَ من

---

(١) كَفَّ: منع.
(٢) سربال: كل ما يُلبَس.
(٣) تقلص: قصر.
(٤) نَشَز: المرتفع من الأرض.
(٥) ثقف: قُوِّم.
(٦) العذل: اللوم.
(٧) التوى: اعوجّ.
(٨) فالوذج: نوع من الحلوى.
(٩) حزيران نطقك: حزيران: الشهر السادس من الشهور الميلادية وفيه شدة الحر، نطقك: لسانك، وهذا كناية عن كثرة الشكوى.

كانون[1] عزمِك!.

ويحك! بادِرْ دُرَّ الأرباحِ ما دام يُنْثَر، فسينادي عن قليل: «يا سماء أقلعي»، أتحسَبُ تحصيلَ المعالي سهلاً؟! نيلُ سُهَيْلٍ[2] أسهلُ، مَنْ أدلجَ في ليلِ الصبرِ فاتَ المَكَاس[3]، يا مَنْ يتعبُ في التعبدِ ولا يجدُ له لذّةً، أنتَ بعدُ في سواد البلدِ[4]، اخرجْ إلى البادية تجدْ نسيمَ نَجْد.

الاعتبارُ عندنا بالأعمالِ القَلْبِيّة.

غلَبَتْ حراراتُ الخوفِ قلبَ داودَ فصارَ كفُّهُ كِيراً ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، وقويت روحانية محمدٍ ﷺ فنبعَ الماءُ من بين أصابعه.

لـولا مـدامـعُ عُشّـاقٍ ولـوعتُـهم ... لبـانَ فـي النّـاسِ عِـزُّ المـاءِ والنـارِ
فكـلُّ نـارٍ فَمِـنْ أنفـاسِهـم قَـدَحَـتْ ... وكـلُّ مـاءٍ فَمِـنْ طَـرْفٍ لهـم جـارِ

أيُّها المُصلِّي! طهِّرْ سرَّكَ قبل الطُّهور[5]، وفتِّشْ على قلبِكَ الضائع قبلَ الشروع، حضورُ القلبِ أوّلُ منزلٍ، فإذا نَـزَلْتَهُ انتقَلْتَ إلى بادية المعنى، فإذا انتقلتَ عنها أنختَ بباب المُناجي، وأول قِرَى[6] الضيف اليَقِظِ كَشْفُ الحجابِ لعينِ القَلبِ، وكيفَ يطْمَعُ في دخولِ مكّةَ منقطعٌ قبلَ الكوفة.

همُّكَ في الصلاةِ مُتَشَبِّثٌ[7]، وقلبُكَ بمساكنة الهوى متلبِّثٌ، ومن كان متلطِّخاً بالأقذار لا يُتْلَفُ، أُدخلْ دارَ الخلوةِ لمَنْ تُناجي، وأحضِرْ قلبَكَ لفهم ما تتلو، ففي خَلواتِ التلاوةِ تُرَفُّ أبكارُ المعاني، إذا كانت مشاهدةُ مخلوقٍ يومَ

---

(١) كانون عزمك: كانون: الشهر الثاني عشر من الشهور الميلادية، وفيه شدة البرد، عزمك: همتك، وفيه كناية عن فتور العزم.
(٢) سهيل: نجم عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ.
(٣) المكاس: من المكس: وهو جوامع الضرائب.
(٤) سواد البلد: قراها.
(٥) الطهور: مصدر بمعنى التطهر واسم لما يُتَطهَّر به.
(٦) قِرى: طعام الضيف.
(٧) متشبث: متعلق.

﴿ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف: ٣١] استغرقتْ إحساسَ الناظرات ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف: ٣١] ؛ فكيف بألبابٍ عَلِقتْ فَعُلِّقَتْ على الباب؟!.

لها بوجهِكَ نورٌ تستضيءُ بهِ ... ومِنْ نَوالِكَ في أعقابِها حادِ
لها أحاديثُ من ذكراكَ تشغلُها ... عن الشرابِ وتُلهيها عن الزادِ

لو أحبَّتْ المخدومَ لحضرَ قلبُكَ في الخِدمةِ.

ويحك! هذا الحديدُ يعشقُ المغناطيس، فكيف ما التَفَّتْ التفَّتْ، إن كنتَ ما رأيتَ هذا الحجر فانظر إلى الحرابيّ[1] تواجِهُ الشمسَ فكيف مالت قابَلَتها.

(للشريف الرضي)[2]:

وإنّي إذا اصطَكَّتْ رقابُ مطيّكم ... وَثَوَّرَ حادٍ بالرفاقِ عَجُولُ
أخالِفُ بين الراحتين على الحشى ... وأنظُرُ أنّى مِلْتُمُ فأميلُ

قيل (لعامر بن عبدِ قيسٍ): أما تسهو في صلاتِك؟.

قال: أوَحديثٌ أحبُّ إليَّ من القرآن حتى أشتغلَ به؟!.

هيهات! مناجاةُ الحبيبِ تستغرقُ الإحساسَ.

كان (مسلم بن يسار) لا يلتفتُ في صلاتِه، ولقد انهدمت ناحيةٌ من المسجدِ فزِعَ لها أهلُ السوقِ فما التفَتَ، وكان إذا دخلَ منزلَهُ سكتَ أهلُ بيته، فإذا قام يصلّي تكلّموا وضحكوا عِلْماً منهم أنَّ قلبَه مشغول.

وكان يقول في مناجاته: إلهي! متى ألقاكَ وأنت عني راضٍ.

إذا اشتغلَ اللاهونَ عنكَ بشُغلِهِمْ ... جعلتُ اشتغالي فيكَ يا مُنْتهى شُغلي
فمَنْ لي بأنْ ألقاكَ في ساعةِ الرِّضا ... ومَنْ لي بأنْ ألقاكَ والكلُّ لي مَن لي؟

كان (الفُضيل) يقول: أفرحُ بالليل لمناجاةِ ربي، وأكرهُ النهارَ للقاءِ الخلق.

---

(١) الحرابي: جمع حرباء: دويبة تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت وتتلون ألواناً.
(٢) من شعره في النسيب. انظر: الديوان: ٢/ ٢٢٠.

المـوتُ ولا فـراق مَـنْ أهـواهُ هـذي كَبِـدي تـذوبُ مِـنْ ذِكْـراهُ
وا شـوقـي مَتـى تُـرى ألقـاهُ مـا مَقْصـودي مـن المُنى إلا هـو

كان (أبو يزيد) يقول: وَدِدْتُ أنَّ اللهَ تعالى جعلَ حِسَابَ الخلق عليّ.

قيل: لماذا؟.

قـال: لعلَّه يقول في خـلال ذلك: يـا عبدي. فأقـول: لبيك، ثم لَيَضَنَعْ بي ما شاء.

هل الطَّرْفُ يُعْطِي نظرةً من حبيبِـه أم القلـبُ يَلْقَى رَوْحـةً مـن وَجيبِـه
وهـل لِلَّيـالـي عطفـةٌ بعـد نفْـرةٍ تَعـودُ فتُلْهـي نـاظـراً عـن غُـروبِـه
أحِنُّ إلى نَوْرِ[1] الرُّبى في بطاحِهِ وأظمأُ إلى ريّا اللِّوى[2] في هُبوبِه
وذاكَ الحِمـى يغـدو عليـلاً نسيمُـه ويُمْسـي صحيحـاً مـاؤُهُ فـي قَليبِـهِ
هو الشَّوقُ مدلولٌ على مَقْتَلِ الفتى إذا لـمْ يَعُـدْ قلبـاً بِلُقيـا حَبيبِـه

يا واقفاً في صلاته بجسدِهِ والقلبُ غائبٌ، ما يصْلُح ما بذلْتَه من التَّعبُّد مهراً للجنّة، فكيفَ يصلحُ ثمناً للمحبة؟!.

رأتْ فارةٌ جملاً فأعْجَبَها، فَجَرَّتْ خِطامَه فتبعها، فلمَّا وصلَ إلى بابِ بيتها وقفَ، ونادى بلسان الحالِ: إمَّا أن تتخذي داراً يليق بمحبوبك، أو محبوباً يليقُ بدارِكِ.

خُذْ هذه إشارةً إما أن تصلي صلاة تليقُ بمعبودِك، أو تتَّخِذ معبوداً يليقُ بصلاتك.

* * *

(١) النَّور: بفتح النون؛ الزهر.
(٢) اللوى: منقطع الرمل، والجدد بعد الرملة.

الفصل الثاني والثمانون

عجباً لمن رأى فعلَ الموتِ بصحبه ثم ينسى قربَ نَحْبِه[1]، واستبدالَه ضيقَ المكانِ بعد رحْبِه، مَنْ لم ينتبه بوكْزِه، فسيَنْتبِه بِسَحْبِه:

ما لبني الدُّنيا غدَوْا أهلَ ضلالٍ وعَمَهْ
بصيرُهم مِنْ جَهْلِهِ كأنَّهُ جِلْفُ كَمَهْ[2]
أنتَ مقيمٌ سائرٌ فلا تَقُلْ لِمْ ولِمَهْ
ولا تُكَلِّمْ أحداً في غَيْرِ بِرٍّ كلِمَهْ
فكلُّ مُعْطَى مَهَلٌ أوقاتُه مُنْصَرِمَه
ولا تدومُ للفتى شؤونُه المنتظِمَه
يأتي على الأرضِ مَدًى وما عليها نَسَمَه[4]
ضاقَ رحيبُ العمرِ عَنْ حاجاتنا المزدَحِمَه

أين الأقران؟! وأين سلكوا؟! تاللهِ لقد فَنَوْا وهلكوا، اجتمعَ الأضدادُ في الألحادِ واشتركوا، وخانهم حبلُ الأملِ بعدما امتسكوا، ونُوقشوا على ما خَلَّفُوا وتَركوا، وصارَ غايةُ الأماني أن لو تُرِكُوا.

تاللهِ لقد سَعِدَ مَنْ تَدَبَّرَ، وسَلِمَ من الأذى من تَصَبَّر، وهلك مؤثرُ الهوى وأدبر، فكأنكم بالفراقِ يا ركَّابَ المَعْبَر.

يا نائماً في لَهْوِه وما نام الحافظُ، لاحظْ نورَ الهدى فلا حظَّ إلا لِمُلاحِظِ، ولا تغْتَرَّ ببَرْدِ العيشِ[5] فزمانُ الحسابِ قائِظ، يا مُدْبِراً أمرَ دُنياهُ ينسى أُخراهُ فخف

---

(١) نحبه: يقال: قضى نحبه، أي: مات.
(٢) العمه: التردد في الضلال، والتحير في منازعة أو طريق أو أن لا يعرف الحجة.
(٣) الكمه: العمى يولد به الإنسان.
(٤) نسمة: إنسان.
(٥) برد العيش: سعته.

النداءَ اللافِظ[1]، وعجائبُ الدنيا تُغْني عن وَعْظِ كلٍّ واعظ.

يا مَنْ قد رأينا يدَ التفريطِ قد وَلِعَتْ به، فأتينا لِلَوْمِه ولِعَتْبِه، أما مصيرُ السلف نذيرُ الخَلَفِ، أما مهدُ الطِّفْلِ عنوانُ اللَّحْدِ، يا مَنْ لمعَ له سرابُ الأملِ، فبدَّدَ ماءَ الاحتياطِ، أتُراكَ ما علِمْتَ أنَّ الأمانيَّ قِمار[2]، مدَّ نهرُ الهوى وقلبُكَ على الشاطئ، فمرَّ به، ثُمَّ مَسْمَعُ اليقظةِ فصَمَّمْتَ على الزَّلَل، أكلُّ الزمان ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]؟ أما تقع في يوم ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]؟.

الورعُ عن الذنوبِ يُوجِبُ قوةً قلبية. قال بعضُ السَّلَف: ارتكبْتُ صغيرةً، فغضبَ عليَّ قلبي، فلمْ يرجعْ إليّ إلا بعدَ سنة.

إخواني! إطلاقُ البصرِ سيفٌ يقعُ في الضارب:

يا للرِّجالِ لنظرةٍ سفكَتْ دماً ... ولِحادثٍ لَمْ ألْفَه مُسْتَسْلِما

وأرى السهامَ تزوُّ[3] مَنْ يُرْمَى بها ... فعلامَ سَهْمُ اللَّحْظِ يُصْمِي[4] مَنْ رَمى

المحرَّمات حَرَمٌ، ونَظَرُ المملوكِ إلى حرمِ المالك مِنْ أقبحِ الخِيانة.

يا بني آدم! تلمَّحوا تأثير ﴿وَعَصَىٰٓ﴾ [طه: ١٢١]، لقمةٌ أَثَّرَت إن عثرَت، فعيرِيُّ المُكْتَسِي، ونزل العَالِي، وبكى الضاحك، وقامَ المترفُّهُ يخدمُ نفسَه، فاشتدَّ بكاؤه، فنزل جبريلُ يُسَلِّيه، فزاد برؤيتِهِ وَجْدُهُ.

(للشريف الرضي)[5]:

رأى على الغَوْرِ وَمِيْضاً فاشتاق ... ما أجلبَ البرقَ لماءِ الآماقْ

ما للوميضِ والفؤادُ الخَفَّاقْ ... قد ذاقَ مِنْ بينِ الخليطِ ما ذاقْ

داءُ غرامٍ ما له من إفراقْ ... قد كَلَّ آسيهِ وَقَدْ مَلَّ الراقْ

---

(١) النداء اللافظ: صيحة الصور التي يُلفظ بها الأمواتُ من قبورهم.

(٢) قمار: كل لعب فيه مراهنة.

(٣) تزوّ: تقصد.

(٤) يُصمي: من أصمى الرمية: أنفذ فيها السهم.

(٥) مطلع قصيدة يهنئ فيها الملكَ قِوام الدين بالنيروز سنة (٤٠١هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/٤٢ـ٤٥.

قلبي وطرفي من جوًى وإملاق ... في غرقٍ ما ينقضي وإحراقْ[1]
يا ناقُ[2] أداكِ المؤدّي يا ناقْ ... ماذا المقامُ والفؤادُ قد تاقْ[3]

هل حاجةُ المأسورِ إلاّ الإطلاقْ

كان آدمُ كلّما عاينَ الملائكة تصعَدُ إلى السماء وجناحُه قدْ قُصّ زاد قَلَقُهُ.

وأصبحتُ كالبازيّ المُنَتَّفِ ريشُهُ ... يرى حَسَراتٍ كلّما طارَ طائرْ
يرى خارقاتِ الجوِّ يَخْرِقْنَ في الهوى ... فيذكرُ ريشاً من جناحيه وافرْ
وقد كان دهراً في الرياض منعّماً ... على كلّ ما يهوى من الصيدِ قادرْ
إلى أن أصابتْهُ من الدّهرِ نكبةٌ ... فأصبحَ مقصوصَ الجناحين حاسرْ

أعظمُ البلايا تركُكَ الركْبَ إلى بلدِ الحبيبِ يودعونَ عند فراقهم الزَّمنَ[4]:

ولم يبقَ عندي للهوى غيرَ أنّني ... إذا الركبُ مرُّوا بي على الدارِ أَشْهَقُ

كانت الملائكةُ إذا نَزَلَتْ إليه، استنشقَ ريحَ الوصالِ من ثيابِ الواصلين، وتعرّفَ أخبارَ الديارِ من نسماتِ القاصدين.

خَبِّراني عن العقيقِ خُبَيراً ... أنتُما بالعقيقِ أحدثُ عهدَا

يا ناقضي العهودِ! دومُوا على البكاءِ، فَمَنْ أشبَهَ أباهُ فما ظَلَم.

---

(١) جاء في الديوان تكملة الشطر: ألهاكِ عن ليل السرى والإعناق.

(٢) يا ناقُ: نداء مرخّم على لغة من ينتظر إذا قلت: يا ناقُ، وعلى لغة من لا ينتظر إذا قلت: يا ناقُ. وللترخيم حذف الحرف الأخير، وهو هنا التاء المربوطة من المنادى، فكان «ناقة» وصار «ناقُ» ثم تنقل علامة الإعراب إلى القاف، وهي (الضمة) أو تبقى الفتحة على ما قبل التاء المحذوفة.

(٣) تاق: اشتاق.
وهذا البيت لم يذكر في القصيدة الواردة في الديوان لكن جاء على الشكل التالي:
من منصفي من الملوك المذاق ... قلبي وطرفي من جوى وإقلاق
في غرق ما ينقضي وإحراق ... يفضُّ حتى بالخيال الطراق

(٤) الزَّمن: المُقْعَد.

كانت عابدة من أحسن النساء عيناً، فأخذت في البكاء، فقيل لها: تذهبُ عيناكِ!.

فقالتْ: إن يكنْ لي عندَ اللهِ خيرٌ فسيُبْدلُني خيراً منهما، وإن تكن الأخرى فوالله لا أحزنُ عليهما.

(للمتنبي)[1]:

قد علَّمَ البينُ منا البينَ أجفانا ... تدمَى وألِفَ في ذا القلبِ أحزانا
قد كنتُ أشفِقُ منْ دَمعِي على بصري ... فاليومَ كلُّ عزيزٍ بعدَكُم هانا
تُهدِي البوارِقُ أخلافَ المياهِ لكم ... وللمحبِّ مِنَ التذكارِ نيرانا

من سعى إلى جنابِ العزِّ بأقدام المسكنةِ، ووقفَ ببابِ الكرمِ على أخمَصِ المسألةِ، ووصفَ ندمَه على الذنبِ بعبارة الذُّلِّ، لم يَعُدْ بالخيبة.

ملكتُمُ قلبي فما ... لي عنكمُ مُنْصَرَفُ
فَؤُدُّكُمْ مِنْهُ مكا ... نَ كبدي أو ألْطَفُ
فلا بَرَى وجدي بكم ... ولا أفاقَ الشَّغفُ
[لستُ وإن أعرضتُمُ ... أيئسُ من أن تعطفوا][2]
وصبرُ يعقوبَ معي ... حتى يُردَّ يوسُفُ

يا معاشر التائبين[3]! اسمعُوا وصيَّتي، إذا قُمْتُمْ من المجلس فادخلوا دارَ الخلوة، وشاوِرُوا نصيحَ الفكر، وحاسبوا شريكَ الخيانة، وتلمَّحُوا تفريطَ التواني في بضاعَةِ العمر، ويكفي ما قَدْ مضى، فليحذر الأعورُ الحَجَر.

إذ نُقِّيَ خاطرُ المذكِّرِ من دَغَل[4] هوًى، وصُفِّي مَعينُ معنى كلامِه من كدر طمَعٍ، انكشفَ الغشاءُ عن عينه، فرأى بالفِطنَةِ موضعَ قُطْنَةِ مَرْهمِ العافية، فرقَّى

(١) مطلع قصيدة يمدح فيها أخاه أبا سهل. انظر: الديوان، ص١٦٧.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ب): المذنبين.
(٤) دغل: مثل الدخل: الفساد.

حشائشَ الحِكَم، ورتَّب فيها معاجينَ الشفاء، ففتحَتْ سُدَد الكَسَل، واستفرغَتْ أخلاط الشواغل.

فأما مجتلِبُ الدنيا بنطقِهِ، فإنَّه كُلَّما حفَرَ قليبَ قلبه، فأمعنَ لاستنباطِ معنى طمَّ الطمَعُ، إذا صَدَرَ العلمُ من عاملٍ به كان كالعربية يَنْطِقُ به البدويُّ، وأحلى أبياتُ الشِّعْرِ ما خرجَ من أبيات الشَّعر.

جَمَعْتُ بين الكتاب والسُّنَّة، ففتحا لي هذه المعاني، فهي تنادي السامعين «وُلدتُ مِنْ نِكاحٍ لا مِنْ سِفَاحٍ»[1].

ومن جَمَع بين الجهلِ والبدعة هذى الهذيان، فكلامُه في مرتبةِ ابنِ زانية.

إذا فَتَحَتِ الوردةُ عينَها رأتِ الشَّوكَ حَوْلَها، فلتصبرْ على مجاورته قليلاً، فوحدها تُجْتَنَى وتُقَبَّلُ.

وا عجباً لألفاظي وعملِها، بطلَ السحرُ عندها، كلُّ المذكرين رَجَّالَةٌ وأنا فارس، أخرج إلى المعاني في كمينٍ، فأصيدُها لا بأُحْبُولة، إذا حَضَرْتُ ملكْتُ العيونَ، وإذا غبتُ استَرْهَنْتُ القلوبَ.

(لمهيار)[2]:

طَرْفُ نجديةٍ وظَرفُ[3] عِراقي ... أيُّ كاسٍ يديرُها أيُّ ساقِ
سَنَحَتْ والقلوبُ مطلقةٌ ترعَى ... غابتْ[4] وكلُّها في وثاقِ
لم تَزَلْ تخدعُ العيونَ إلى أنْ ... عَلَّقَتْ دمعةً على كلِّ ماقِ

* * *

(١) رواه البيهقي بلفظ: «خرجت من نكاح لا من سفاح» في الدلائل، عن أنس: ١/١١٨؛ وابن كثير في البداية والنهاية: ٢/٢٥٥، وقال: حديث غريب جداً.

(٢) مطلع قصيدة قالها في تهنئة نقيب النقباء أبي القاسم بعقد النكاح. انظر: ديوان شعره: ٢/٢٩٠.

(٣) ظرف: الحسن والأدب والكياس.

(٤) في الديوان: «وعاشت» بدلاً من «غابت».

الفصل الثامن والثمانون

إخواني! أعجبُ العجائب أنَّ النقادَ[1] يخافون دخولَ البَهْرجِ في أموالهم، والمُبهرجُ آمن.

هذا الصدِّيق رضي الله عنه يمسِكُ لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وهذا عمر رضي الله عنه يقول: يا حذيفةُ! هل أنا منهم؟[2].

والمُخلِّطُ على بساط الأمن.

النـــاسكـــونَ يحـــاذرو ... نَ ومـــا بِسيِّئـــةِ ألمّـــوا
كـــانـــوا إذا رامُـــوا كـــلامـــاً ... مُطلَقـــاً خَطمُـــوا وزِمُّـــوا
إنْ قيلـــتِ الفحشـــاءُ أو ... ظهَـــرَتْ عَمُـــوا عنهـــا وصَمُّـــوا
فمَضَـــوْا وجـــاءَ معـــاشِـــرٌ ... بـــالمُنكـــراتِ طَمُـــوْا وطُمُّـــوا[3]
ففـــمٌ لطُعْـــمٍ فـــاغـــرٌ ... ويـــدٌ علـــى مـــالٍ نُضَـــمُّ
عـــدلـــوا عـــن الحَسَـــنِ الجميـــلِ ... وللخَنَـــا عَمَـــدُوا وأمُّـــوا
وإذا هـــــمُ أعيَنُهـــــمُ ... أعمـــالُهُـــم[4] كـــذبـــوا وأمُّـــوا
فـــالصـــدرُ يغلـــي بـــالهـــوا ... جـــرِ مثـــلَ مـــا يَغْلـــي المُحَـــمُّ

لله دوُّ أقوامٍ شغلهم حُبُّ مولاهم عن لذّاتِ دنياهم، اسمعْ حديثَهم إن كنتَ ما تراهم، وخوفُهم قد أزعجَ وأقلَقَ، وحِذرُهم قد أتلفَ وأحرَقَ، وحادي جِدِّهمْ

---

(١) النقاد: من يعمل في الصرافة وبيع النقود.

(٢) أي: من المنافقين، إذ إنّ النبيَّ ﷺ أسرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، فلم يكن غيرُه يعرفهم.

(٣) طَمُّوا: خفوا وأسرعوا. طُمُّوا: أكثروا حتى غُمِروا بها.

(٤) في (ب): شنعاؤهم.

مُجِدٌّ لا يَتَرَفَّق، كلَّما رأى طول الطريق نصَّ وأعنق[1]، وكيف يحسن الفتور أوقاتُ السلامةِ تُسْرَق؟ دموعُهم في أنهار الخدودِ تجري وتَتدفَّق، يشتاقون إلى الحبيب، والحبيبُ إليهم أشْوَقُ، يا حُسْنَهم في الدُّجى ونورُهم قد أشرق، والحياءُ فائضٌ والرأسُ قد أطرقَ، والأسيرُ يَتلظَّى ويترجَّى أن يُعتق.

إذا جُنَّ الليلُ تَغَالَبَ النومُ والسهرُ، والخوفُ والشوقُ في مُقَدَّم عسكرِ اليقظةِ، والكسلُ والتَّواني في كتيبة الغفلة، فإذا حَمَلَ[2] العزمُ حمَلَ على القيام فانهزمتْ جنودُ الفتورِ، فما يطلعُ الفجرُ إلا وقد قُسِمَت السُّهمان[3]، سفرُ الليلِ لا يطيقُه إلا مُضَمَّرُ المجاعة، النجائبُ في الأوَّلِ، وحاملاتُ الزادِ في الأخير.

قام المتهجِّدون على أقدامِ الجِدِّ تحت سترِ الدجى يبكون على زمانٍ ضاع في غيرِ الوصال.

سَقَـــوا بمـيـــاهِ أعينهـــم هنـــاكَ الضَّـــالَّ والـــرَّنْـــدا
بـــأنفـــاسٍ كبـــرقٍ فـــي أنيـــنٍ يُنْبِـــهُ الـــرَّغْـــدا

إن ناموا توسَّدُوا أذرعَ الهِمَمِ، وإن قاموا فَعَلى أقدامِ القلق، لما امتلأت أسماعهم بمعاتبة «كذب من ادّعى محبّتي، فإذا جنَّهُ الليلُ نام عنّي» حلفَتْ أجفانُهم على جَفَاءِ النوم.

إنْ كـــانَ رِضـــاكُـــم فـــي سَهَـــري فســـلامُ اللهِ علـــى وَسَنـــي[4]

ما زالت مطايا السَّهرِ تَذْرَعُ بِيْدَ[5] الدُّجى، وعيونُ آمالها لا ترى إلا المنزل، وحادي العزم يقول في إنشاده: يا رجالَ الليلِ جُدُّوا، إلى أن نمَّ النسيمُ بالفجرِ، فقام الصارخُ يُنْعى الظلامَ، فلمَّا همَّ الليلُ بالرحيلِ، تَشَبَّثوا بذيلِ السحر.

---

(١) نص وأعنق: ضربان من السير.
(٢) حمل: أغار.
(٣) السهمان: جمع سهم، وهو النصيب والقسم.
(٤) الوسن: شدة النوم أو أوّله، أو النعاس.
(٥) تذرع: تسير وتقطع. بيد: جمع بيداء، وهي الصحراء.

فاستوقف العيسَ لي فإنَّ على خِلَبِ[1] فؤادي تَشُدُّ أَرْحُلَها
إن دُثِرَتْ دارُها فما دُثِرَتْ منازلُ في القلوبِ تنزلُها

قال علي بن بكّار: منذ أربعين سنةً ما أحزنني إلا طلوعُ الفجر.

لو قمتَ في السَّحَرِ لرأيتَ طريق العُبَّادِ قد غُصَّ بالزحام، لو وردتَ ماءَ مدين، وجدتَ عليه أمّةً من الناسِ يسقون.

بانوا وخُلِّفْتُ أبكي في ديارِهمُ قلْ للدِّيارِ: سقاكِ الرائحُ الغادي
وقُلْ لأظعانِهم: حُيِّيْتِ من ظَعَنٍ وقُلْ لواديهمُ: حُيِّيْتَ من وادِ

يا بعيداً عنهم! يا مَنْ ليسَ منهم! ألك نيةٌ في لحاقهم؟ أَشرِجْ كُمَيْتَكَ، واجرُرْ زِمَامَك، يقف بكَ على المرعى.

يا مَنْ يستَهْوِلُ أحوالَ القوم! تَنَقَّلْ في المراقي تَعْلُ.

قال أبو يزيد: ما زلتُ أسوقُ نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سُقتُها وهي تضحك.

(للمتنبي)[2]:

ما زلتُ أُضْحِكُ إبْلي كُلَّما نظَرَتْ إلى من اختضبتْ أخفافُها بدمِ
مَنْ اقتضى بِسِوَى الهنديِّ حاجته أجابَ كلَّ سؤالٍ عَنْ هلٍ بِلَمِ

قال أبو يزيد: كنْتُ ابْنَي عشرة سنة حدّاد نفسي، وخمسين سنة مرآة قلبي، ولقد أحببتُ اللهَ حتى أبغضْتُ نَفْسي.

(للخفاجي):

تَوَزَّعَتْها ناشطةٌ عقالَها قَدْ ملأتْ مِنْ بَذْلِها جِلالَها
فلم تزلْ أشواقُها تسوقُها حتى رَمَتْ من الوَجَى رحالَها

---

(١) خِلب: حجاب ما بين القلب والكبد.
(٢) من قصيدة قالها بعد خروجه من مصر عام (٣٥٢هـ). انظر: الديوان، ص٥١٠ ـ ٥١٣.

ماذا على الناقةِ من غرامهِ ... لوْ أنَّه أنصفَ أو رثى لها
أراد أنْ تشربَ ماءَ حاجرٍ ... أريُّها تطلبُ أم كلالَها؟
إنَّ لها على القلوبِ ذِمَّةً ... لأنَّها قد عَرَفَتْ بَلْبَالها
كانت لها على الصَّبَا تحيةٌ ... أعْجَلَها السائقُ أنْ تنالَها
وامتدَّتِ الفلاةُ دونَ خَطوها ... كأنَّها قد كَرِهَتْ زوالَها
فعلَّلُوها بحديثٍ حاجرٍ ... ولُتْضَنَعِ الفلاةُ ما بدا لها

* * *

الفصل الرابع والثمانون

إخواني! قد دنا رحيلُكم، وقد بان سبيلُكم وسيهجركُم خليلُكم، وقد نصحكم دليلُكم.

يـا مقيمـيـنَ ارحلـوا للـذهـابِ ... بشفيـرِ القبـورِ حَـطُّ الـركـابِ
نَعْمُـوا هـذه الأوجـةَ الحسـانَ ... فما صنتموها إلا لعَفْـرِ[1] الترابِ
والبَسُـوا نـاعـمَ الثيـابِ ففـي ... الحفـرةِ تعـرَوْنَ عـن جميعِ الثيـابِ
قـد نَعَتْكُـمُ الأيـامُ نَعْيـاً صَحيحـاً ... بفـراقِ الإخـوانِ والأصحـابِ

تذكَّر يا مَنْ نَسِيَ[2] ركوبَ الجنازة، وتصوَّر ما مِنْ مأوى في طول المفازة، ودعِ الدُّنيا مودِّعاً للحلاوةِ والمرازة[3]، ارقُمْ من قلبك ذكر الجزاء على جُزَازة[4]، كم ظالم تعدَّى وجار، فما رعى الأهل ولا الجار، [حلّ به الموتُ فحلَّ الأزرار[5]، وأدبرَ عن الأوامرِ فأحاطَ به الإدبار[6]][7]، ودارَ عليه بالدوائر[8]، فأخرجَه من الدار، وخلا بعملِه ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠] ولكن لا ﴿فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، فانتبهوا فإنما هي جَنَّةٌ أو نار:

تَعَلَّقْـتَ بـآمـالٍ ... طِـوَالٍ أيَّ آمـالِ
وأقبلـتَ علـى الـدُّنيـا ... مُلِحّـاً أيَّ إقبـالِ

---

(١) العَفَر: ظاهر التراب، والعَفْر كذلك.
(٢) في (ب): جنى.
(٣) المرازة: بين الحموضة والحلاوة.
(٤) جُزازة: الوريقة تكتب فيها قطعة من صوف.
(٥) حل الأزرار: كناية عن خلع الثياب المحيطة استعداداً للكفن.
(٦) الإدبار: الهزيمة.
(٧) زيادة من (ب).
(٨) الدوائر: الدواهي.

فيـا هـذا تجهَّـزْ لـ ـفـراقِ الأهـلِ والمـالِ
فـلا بـدَّ مـن المـوتِ علـى حـالٍ مـن الحـالِ

يا مَن يحدُّثُه الأملُ فَيَسْتَمِع، ويُخَوِّفُه الأجلُ فلا يرتدِع، وصلَ الصالحونَ إلى المُنى يا مُنْقَطِع، وجُوزُوا على صبرهم ـ إي واللهِ ـ لم يَضِعْ، تَلَمَّحِ العواقِبَ فَتَلَمُّحُها للعَقْلِ وُضِع، كأنَّه ما جاعَ قطُّ مَنْ شَبِع.

إذا تلاقَحَتْ غُروسُ المجاهدةِ تلاحقتْ ثمارُ المدائح.

أفلـحَ قـومٌ إذا دُعـوا وَثَبُـوا لا يَحْسِبُـونَ الأخطـارَ إنْ رَكِبُـوا
سـارُون[1] لا يسـألونَ مـا فَعَـل الـ ـفجْـرُ، ولا كيـفَ مـالـتِ الشُّهُـبُ
عَـوَّدَهُـم هجـرُهُـم مطـالبـةَ الـراحـةِ أن يظفَـرُوا بِمـا طَلَبُـوا

أشرافُ الأوصافِ أوصافُ الأشراف، وساداتُ العاداتِ عاداتُ السادات، أحرارُ الشِّيَمِ[2] شيمُ الأحرارِ، أقدموا على الفضائل وتأخَّرَتْ، وقدَّموا الأهمَّ وأخَّرَتْ، الشجاعُ يلبسُ القلبَ على الدِّرع، والجبانُ يلبسُ الدِّرع على القلب.

(للمتنبي)[3]:

وتكـادُ الظُّبا[4] لمـا عـوَّدوهـا تنتضـي نفسَـها إلـى الأعنـاقِ
وإذا أشفـقَ الفـوارسُ مـن وَقْـعِ القَنـا[5] أشفَقُـوا مـن الإشفـاقِ
ومعـالٍ لـو ادَّعـاهـا سِـوَاهُـم لـزِمَتْـهُ جنـايَـةُ السُّـرَّاقِ

لوَّحَ للقومِ فأجابُوا، وكرَّرَ الصياحَ بكَ وما تَلْتَفِت، إذا سمعوا موعظةً غَرَسَتْ في قلوبهم نخيلَ العزائم، ونباتُ عزمِكَ عند الزواجرِ كنبات الكشوثا[6]، كم بَيْنَ ثالِثَةِ الأثافي[7] وسادسةِ الأصابع! بِعْ باعاً من عَيْشِكَ بِفِتْرٍ من حَيَاتهم، لو

---

(١) سارون: جمع سارٍ، والسُّرى: سير عامة الليل.
(٢) الشيم: جمع شيمة، وهي الطبيعة والميزة والعادة.
(٣) من قصيدة قالها يمدح بها أبا العشائر. انظر: الديوان، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧.
(٤) الظبا: جمع ظبة، وهي حدُّ السيف والسنان والخنجر.
(٥) القنا: الرماح مفردها قناة.
(٦) الكشوثا: بالقصر وبالمد: نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض.
(٧) الأثافي: جمع أثفية: أحد أحجارٍ ثلاثة توضع عليها القِدْر، وثالثة الأثافي: حرف الجبل يجعل إلى جنبه أثفيتان، ويقال: رماه بثالثة الأثافي، أي: بداهية كالجبل.

صَدَقَ عزمُك قَدَفَتْكَ ديارُ الكسَلِ إلى بيداءِ الطلب، كان سلمانُ أعْجمياً فلمّا سمعَ بنبيٍّ عربيٍّ صارَ بدويَّ القلبِ.

(المهيار)[1]:

ولقد أجِنُّ إلى زرودَ وطينتي ... مِنْ غيرِ ما فُطِرَتْ عليه زرودُ
وَيشُوقُني عَجَفُ[2] الحجازِ وقد ضَفا ... ريفُ العراقِ وظِلُّه الممدودُ
ويُطَرِّبُ الشادي وليسَ يَهُزُّني ... وينالُ مِنِّي السائقُ الغِرِّيدُ

أين وصفُكَ من هذه الأوصاف؟! أين شجرةُ الزيتون من شجرِ الصَّفْصاف؟! صَعَدَ القومُ ونَزَلْتَ، وجَدُّوا في الجدِّ وهَزَلْتَ.

شُمُّ[3] العرانينِ في آنافِهم[4] أَنَفٌ ... من القبيحِ وفي أَعْناقِهم صِيَدُ[5]
إنْ تلْقَهُمْ تلقَ منهم في مجالسِهم ... قوماً إذا شُئِلوا جادوا بما وَجَدُوا
نالوا السماءَ وحَطُّوا من نفوسِهمُ ... إنَّ الكرامَ إذا انحطُّوا فقد صَعَدوا

إنَّ بينَكَ وبينَ القومِ كما بينَ اليَقَظَةِ والنوم، أين مِسْكٌ من حَمْأةٍ[6]؟! وبخور من بُخَار؟! وصفوة من قَذًى؟!.

دخلوا على عابدٍ فقالوا له: لو رفَّقْتَ بنفسِكَ.

فقال: مِنَ الرِّفْقِ أُتِيتُ.

اسمعْ يا كسلانُ! كانوا في طلبِ العُلا يجتهدون ولا يرضون بدون، على أنَّهم يُعانون فيما يُعانون، القوم مع الحق حاضرون، عن الخلق غائبون، فقولوا لعاذليهم: لمن تعذلون؟.

---

(١) من قصيدة كتب بها إلى الوزير كمال الملك أبي المعالي. انظر: ديوان شعره: ١/٣٢٦ ـ ٣٣٠.
(٢) عجف: قحط.
(٣) شم العرانين: مرتفعو الأنوف، كنايةً عن العزّة والشموخ.
(٤) أنف: حمية. والآناف: جمع أنف.
(٥) صيد: جمع أصيد: المتكبر المزهو بنفسه.
(٦) حمأة: الطين الأسود المنتن.

(المهيار)[1]:

كَثُـرَ فيـكَ اللُّـوَّمُ ... فـأيـنَ سمعـي منهُـمُ؟
قَلْبِـيَ واللـومُ عليـ ... ـكِ مُنْجِـدٌ ومُتْهِـمُ
قـالـوا: سهـرتَ والعيـ ... نُ الـسـاهـراتُ نُـوَّمُ
وليـسَ مِـنْ جسمِـكَ إلْـ ... لا جلـدةٌ وأعظـمُ
ومـا عليهـم سهـري[2] ... ولا رُقـادي لهـمُ
وهـل سمـاتُ الحـبِّ إلْـ ... لا سَهَـرٌ وسَقَـمُ
[خُـذْ أنـتَ فـي شـأنِـكَ يـا ... دمعـي، وخـلِّ عنهـم][3][4]

كان بِشْرٌ لا ينامُ الليلَ، ويقول: أخافُ أن يأتيَ أمرٌ وأنا نائم.

رقَـدَ الشُّـعَّـارُ وأرَّقَـهُ ... هـمٌّ لِلَبَّيْـنِ يُـبَـرِّدُه
فبكـاهُ النجـمُ ورَقَّ لـه ... ممـا يـرعـاهُ ويـرصُـدُه
وغـداً يقْضِـي أو بعـد غـدٍ ... هـل مِـنْ نظـرٍ يَتَـرَوَّدُه
يَهْـوَى المشتـاقُ لقـاءَكُـمُ ... وصـروفُ الـدَّهْـرِ تُقَيِّـدُه

بقيَ بِشْرٌ خمسينَ سنةً يشتهي شهوةً، فما صفاله درهمُها، وبضائعُ أعمارِكُم كُلُّها مُنْفَقَةٌ في الشَّهَواتِ من الشبهات، أبشِرُوا بطولِ المرضِ يا مُخَلِّطين.

وا ويـلاه مـن ضيـاع كـلِّ العُمـر ... قـدْ مـرَّ جميعُـه بِمُـرِّ الهَجْـرِ
ضـاعَـتْ حِيَلي وضلَّ عنّي صَبْـري ... يـا قـومُ عَجَـزْتُ عـن تـلافي أمـري

يا مَنْ فاتُوه وتَخَلَّفَ، بُلَّ ثَراهُم من دَمْعِ الأسف.

دعْ شـأنَ عينِـكَ يـا حَـزِيْـنُ وشـأنَهـا ... وَضَعِ اليدينِ على الحَشا وتَمَلْمَلِ

---

(١) مطلع قصيدة يمدح بها عميد الرؤساء أبا طالب ويهنئه بالمهرجان. انظر ديوان شعره: ٣/ ٣٢٢ـ٣٢٦.

(٢) في الديوان: (أرقي).

(٣) في الديوان: (وخذ ودعهم).

(٤) زيادة من (ب).

هـذا أوانُ فـراقهـمْ ولعَـلَّ مـا يُغْني وقـوفُك ساعـةً في المنـزل

جُزْ بنادي المحبّة، ونادِ بالقوم تَراهُم كالفراشِ تحتَ النيرانِ.

(للشريف الرضي)[1]:

يـا دارُ مَـنْ قَتَـلَ الهـوى بعـدي وَجَـدُوا ولا مثـلَ الـذي عنـدي

لـو حَـرَّكَـتْ ذاكَ الرَّمـادَ يـدٌ لـرأَتْ بقـايـا الجَمْـرِ والـوَقَـدِ

يشتدُّ عليهم حرُّ الخوفِ، فيشرفون على التلف «لولا نسيمٌ بذكراهم يُرَوِّحُني» يَنْبَسِطون انبساطَ المحبِّ، ثم ينقبضون انقباضَ الخائفِ.

هذا النِّيْنُوْفَرُ[2] ينشرُ أجنحةَ الطَّرَبِ في الدُّجى، فإذا أحسَّ بالفجرِ جمعَ نفسَه، واستحيى من فارط[3]، فإذا طلعتِ الشمسُ نكَّسَ رأسه في الماءِ خَجِلاً من انبساطه:

أبـاسِطُـه علـى جَـزَعٍ كشُـرْبِ الطـائـرِ الفَـزِعِ

رأى مـاءً فـأَطْمَعَـهُ وخـافَ عـواقـبَ الطَّمَـعِ

فصـادفَ فُـرْصَـةً فـدنـا ولـم يلْتَـذَّ بـالجَـرَعِ

كلَّما جاء كلامي صَعَّد، كلَّما زادتِ الوَقودُ فاحَتْ ريحُ العود، أفيكم مُسْتَنْشِق؟! أوَ كلّكم مزكومٌ؟! «إني لأجدُ نَفَسَ الرحمنِ من قِبَلِ اليَمَن»[4].

---

(١) مطلع قصيدة قالها في أبي سعيد بن خلف. انظر ديوان شعره: ١/ ٣٢١.

(٢) النيلوفر: جنس من نباتات مائية من الفصيلة النيلوفرية يُزرع في الأحواض، وينبت على ضفاف الأنهار.

(٣) الفارط: السابق المتقدم، السابق إلى الماء ليهيئه ويُمِدّه.

(٤) أخرجه أحمد بلفظ: «وأجدُ نَفَسَ ربِّكُم من قبل اليمن» عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال الحافظ العراقي: رجاله ثقات. وبالرجوع إلى إحياء علوم الدين، كتاب قواعد العقائد: ١/ ١٠٣، وجدنا تخريج الحافظ العراقي المذكور، وفي الإحياء: ٣/ ٢١٧: جاء تعليق العراقي التالي: أشار به (أي: نفس الرحمن) إلى أويس القرني، وقد تقدَّم في كتاب قواعد العقائد، ولم أجد له أصلاً!! علماً أنه هناك قال: أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة. ولعل الطابع الأول للكتاب وضع تخريج حديث آخر، هذا وقد ذكر بعض=

باح مجنون عامرٍ بهواه.

وما بُحْت حتى استنطقَ الشوقُ أدمعي وأذكَـرَنـي عهـدَ الحِمـى المُتقـادِمِ

أتجدونَ يا إخواني ما أَجِدُ من ريحِ النسيم؟.

ألا يـا نسيـمَ الـريـحِ مـا لـكَ كُلَّمـا تجـاوزتَ ميـلاً زادَ نشـرُكَ طيبـا

أظـنُّ سُليمـى خُبِّـرَتْ بِسقـامِنـا فـأعطَـتْـكَ ريَّـاهـا فَجِئْـتَ طبِيبـا

* * *

= الفضلاء أن المقصود «بنفس ريكم» تلك الكتائب اليمنية المجاهدة التي انطلقت إلى الشام داعية مجاهدة. انظر: إتحاف السادة المتقين: ٢/ ١٣٠، للزبيدي، شرح الإحياء.

الفصل الخامس والثمانون

يا مَنْ كلُّ يوم يقْدُم إلى القبرِ فارط[1]، لا تغْتَرَّ بالسلامةِ فربَّما قَبَضَ البابط، انهض للتجافِ بِقَلبٍ حاضرٍ وجاشٍ[2] رابط، قبلَ أن يكفكَ[3] على بساطِ العجْزِ خابط[4]، ونفسُ النَّفْسِ تخرجُ من سَمِّ إبرةِ خَائط.

قُلْ للمؤمِّلِ: إنَّ الموتَ في أثَرِك ... وليسَ يَخْفَى عليك الأمرُ من نَظَرِك
فيمَنْ مضى لكَ إنْ فكَّرْتَ معتبرٌ ... ومَنْ يَمُتْ كلَّ يوم فهو مِنْ نُذُرِك
دارٌ تسافِرُ عنها من غدٍ سَفَراً ... فلا تؤوبُ إذا سافرتَ من سَفَرِك
تُضحي غداً سَمَراً للذاكرين كما ... صارَ الذين مَضَوْا بالأمسِ مِنْ سَمَرِك

أُخْلُ بنفسِكَ في دارِ المعاتبة، وأحْضِرْها دستورَ المحاسبة، وارْفَعْ عليها سوطَ المُعاقَبة، وإنْ لم تفعلْ خسرتَ في العاقبة.

خُلِقْتَ جِسْماً سوياً ثم زُرْتَ ثرًى ... فَصِرْتَ خطّاً وطالَتْ مدةٌ فُمُحي
قِفْ بالمنازلِ من عادٍ وغيرِهِمُ ... فما ترى ثَمَّ مِنْ شَخْصٍ ولا شَبَحِ
كُلٌّ مجازى بما أسداهُ من حَسَنٍ ... وسَيِّئٍ فاهجُرِ السَّوْءاتَ وانْتَزِحِ

لقد وعظك أمسُ واليوم، وأنتَ من سَنَة[5] إلى نَوْم! أين العشارُ؟ أين القوم؟ اشتراهُم البِلى بلا سَوْم[6]، لا فِطرَ عندهم ولا صَوْم، بل بلابلُ التعابِ واللَّوْم، هذا رشاشُ الموجِ يُنْذِرُ بالعَوم، ويخبرُ بالحادثاتِ إشمامُها[7] والرَّوم[8].

---

(١) الفارط: السابق المتقدم.
(٢) جاشٍ: القلب.
(٣) في (ب): يلقيك.
(٤) خابط: نازلة تلقيه في العرض أو العجز.
(٥) سنة: النعاس من الوسن.
(٦) سوم: يقال: سام المشتري السلعة: طلب بيعها.
(٧) إشمامها: الإشمام في علم التجويد هو تحريك الشفتين بلا صوت، إشارة إلى الضمة المحذوفة بُعيد الوقف على الكلمة، ولا يكون إلا على الضم.
(٨) الرَّوم: هو إسماع الحركة للقريب دون البعيد ولا يكون إلا في الكسرة أو الضمة.

اغْتَنِمْ صَفْوَ الليالي إنَّما العَيْشُ اختلاسُ
تلبِسُ الدَّهرَ ولكنْ متعةٌ ذاكَ اللباسُ

يا جامعَ الحطام ولا يدري ما جَنَى، كلَّما نَقَضَ الواعظُ أصلاً مِنْ حرصِكَ بنى[1]، بادر الفَوْتَ[2] فإن الموتَ قد دنا، هذا بشيرُ القَبول وإياكَ عنا، النُّثار[3] كثير فما هذا التوقُّفُ والوَنَى[4]؟! امدُدْ يدَ الصدقِ وقد نلتَ كلَّ المنى، هذه الخَيفُ وهاتيك مِنى.

أمَا تهزُّكَ هذه المواعظُ أيها المهزوزُ؟! أمَا يوقظُكَ التصريحُ ولا الرموزُ؟! أمَا كلُّ وقتٍ عودُ الهلاكِ مغموزٌ[5]؟! أما كلُّ ساعةٍ غصنٌ مقطوعٌ ومَخزوز؟! أما تراهم بين مدفوعٍ وموكوز[6]؟! كلُّ أفعالك إذا تأمَّلْتَ ما لا يجوز، أين أربابُ القصور؟! أين أصحابُ الكنوز؟! هلَكَ القومُ كلُّهم وضاع المكنوز، وحِيْزَ في حُفَرِ البِلى مَنْ كان للمالِ يحوز[7]، بينا تغرّهم الإناءةُ وقعتِ النواةُ في الكوز! أين كِسْرى؟! أين قَصيرُ[8]؟! أين فيروز[9]؟! عَرَوْا عن الأكفانِ وما كانوا يَرضَوْن الخُزوز[10]، وأبرزَ الموتُ أوجهاً عزَّ عليها البروز، وساوى بين العرب والعجم

---

(١) بنى: من البناء، أي: بنى الحرص.
(٢) الفوت: الفراغ والعمر.
(٣) النُّثار: ما نثر في حفلات السرور من حلوى أو نقود.
(٤) الونى: الضعف والفتور.
(٥) مغموز: معصور ومعضوض، يقال: غمز المثقف القناة: عضها وعصرها (المعجم الوسيط).
(٦) موكوز: المضروب بجمع اليد على ذقنه (المعجم الوسيط).
(٧) يحوز: يجمع ويملك.
(٨) قصير: هو قصير بن سعد صاحب جذيمة الأبرش، ومن المثل: (لا يطاع لقصير أمر).
(٩) فيروز: في كتاب الإصابة: ٥/ ٣٥٠برقم (٧٠١٤): فيروز الديلمي، يكنى أبا الضحاك، ويقال: أبا عبد الرحمن، يماني كناني من أبناء الأساورة من فارس، كان كسرى بعثهم إلى قتال الحبشة، وفي الصفحة(٣٨٠): وفد على رسول الله ﷺ وأعان بعد ذلك على قتل الأسود العنسي. وروى عنه أولاده الثلاثة. ومن شاء معرفة أوسع فليرجع إلى الإصابة.
(١٠) الخزوز: جمع خز، وهو الثياب المنسوجة من صوف وحرير.

والنَّبَط[1] والخُوز[2]، ونَسخَ[3] بِحَسراتِ يومَ الرحيلِ لذاتِ النيروز[4]، وكشفَ لهم نِقابَ الدنيا فإذا المعشوقةُ عجوز، ما رَضيتْ إلا قَتْلَهم، وكم تدلَّلَتْ بالنشوز[5]، لقد أذاقتهم بردَ كانون الأول فإذا هُم في تموز، وإنَّما قصدَتْ غرورَهم لتقتلهم في كالوز[6].

وا عجباً! بحرُ الوُجودِ قد جمع الفنونَ: العلماءُ جوهرُه، والعبَّادُ عَنبَرُه، والتجارُ حيتانُه، والأشرارُ تماسيحُه، والجهَّالُ على رأسِه كالزَّبَدِ، فيها مَنْ يجري به على هواه، وهو عليه كالقفيا.

قِفْ يا قُفَيّا، كم تحضُر مجلساً وكم تتردّد، وكم تُخوِّفُ عقبى الذنوبِ وكم تُهدِّدُ! يا مَنْ لا يلينُ لواعظٍ وإن شدَّدَ، يا راحلاً عن قريبٍ ما عليها مُخلَّد، تلمَّحْ قبرَكَ لا قصرَكَ المُشيَّد، وتعلَّمْ أنَّ المطلِّقَ إذا شاءَ قيَّد، أترى تَقَعُ في شَرَكي، فإني جئتُ أتصيَّدُ.

يا مَنْ يَسألُ عن مراتب الصالحين ما لَكَ ولَها؟! تساومُ في راحلة، وما تَمْلِكُ ثمنَ نعلٍ، تجمعُ من جوانبِ الحافات خُبازي[7] وتريد أن تطعم أخضر، تطلب سهماً من الغنيمة وما رأيتَ الحربَ بعينيك!.

يحاولُ نيلَ المجدِ والسيفُ مُغْمَدٌ ... ويأملُ إدراكَ العُلى وهو نائمُ

البلايا تُظهِرُ جواهرَ الرجال، وما أسرعَ ما يُقْتَضحُ المُدَّعي.

تنامُ عيناكَ وتَشكو الهَوى ... لو كنتَ صبّاً لم تكُنْ نائما

رأى فقيرٌ في طريق مكة امرأةً فتَيَمَّها فقالت: ما لَكَ؟.

---

(١) النبط: جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين كالنبيط والأنباط.
(٢) الخوز: جيل من الناس واسمٌ لجميع بلاد خوزستان.
(٣) نسخ: أزال.
(٤) النيروز: عيد من أعياد الفرس يكون في أول فصل الربيع.
(٥) النشوز: الترفع والتمنع.
(٦) كالوز: قوم يخرجون بالسلاح للماء إذا تشاحُّوا عليه.
(٧) خبازي: جنس نبات من الفصيلة الخبازية، منه نوع يُطهى ورقه فيؤكل.

فقال: قد سَلَبَ حُبُّكِ قلبي.

قالت: فلو رأيتَ أُختي؟ فالتفتَ فلم يَرَ أحداً.

فقالت: أيها الكاذب في دَعْوَاهُ، لو صدقتَ ما التفتَ.

والله لو عَلِمَتْ روحي بمَنْ عَلِقَتْ قامَتْ على رأسِها فضلاً عن القدم

إذا كنتَ تشتغِلُ اليوم عنّا بسوداءَ، فكيف تَذْكُرُنا إذا أعطيناك الحور؟!.

يا مؤثراً ما يَفْنى على ما يَبْقى، هذا رَأْيُ طبعِكَ، هلاّ استشرْتَ عقلكَ لتسمع أصحَّ النصائح، مَنْ كان دليله اليوم كان مأواهُ الخَراب.

ويحك! اعزمْ على مجنون هواكَ بعزيمة، فرُبَّ شيطانٍ هاب الذكر، تلمَّحْ غِبَّ[1] الخطايا لعلّه يكُفُّ الكَفَّ، لا تحتقِرَنَّ يسيرَ الطاعات «فالذَّودُ إلى الذَّودِ إبل»[2]، ورُبما احتيجَ إلى عويد[3] منبوذ. لا تحتقرنَّ يسيرَ الذنب، فإن العُشْبَ الضعيف يُفْتَلُ منه الحبل القوي، فَيَخْتَبِق به الجملُ المغتلِم[4]، أوما نفذت في سَدِّ سبأ حيلةُ جُرَذٍ[5]، مَنْ عرفَ شَرَفَ الحياة اغتنَمَها، من عَلِمَ أرياحَ الطاعاتِ لزِمَها، العمرُ ثوبٌ ما كُفَّ، والأنفاسُ تَسْتَلُّ الطاقات، كَمْ قد غَرِقَتْ في بحرِ سَوْفَ سفينةُ نَفْسٍ!.

يا هذا! أنتَ أجيرٌ وعليكَ عَمَل، فإذا انقضى الشُّغْلُ فالبَسْ ثيابَ الراحة.

قال رجلٌ لعامر بن عبدِ قَيْسٍ: كَلِّمْني، فقال: أمسِكِ الشَّمس.

دخلوا على الجنيدِ عند الموت وهو يصلّي، فقيل له: في هذا الوقت؟! فقال: الآنَ تُطوى صحيفَتي.

---

(١) الغبّ: العاقبة.

(٢) الذود إلى الذود إبل: مثلٌ عربي معناه: القليل يضم إلى القليل يصير كثيراً. و(إلى) في العبارة بمعنى (مع)، والذود: جمع لا واحد له من لفظه كالنعم.

(٣) عويد: تصغير عُود.

(٤) المغتلم: الهائج بسبب شدة الشهوة.

(٥) الجُرَذ: الذكر من الفئران.

خُذُوا المَطِيَّ فهذه نجدُ ... بلغَ المدَى وتجاوزَ الحدُّ
يا حبّذا نجدٌ وساكنُه ... لو كان يَنْفَعُ حَبّذا نجدُ

يا دارَ الأحبابِ! أين السكان؟ يا منازلَ العارفين! أينَ القُطّان؟ يا أطلالَ الواجدين! أين البُنْيان؟.

تعامَدْتكَ العُهَّادُ يا طَلَلُ ... خَبِّرْ عن الظّاعنينَ ما فَعَلُوا
فقال: ألا اتَّبَعْتَهم أبداً ... إن نزلوا مَنْزِلاً وإن رَحَلُوا
تَرَكْتَ أيدي الهوى تقودُهمُ ... وجِئتَنِي عن حديثهم تَسَلُ

رحَلَ القومُ يا مُتَخَلِّف، وسبقوكَ بالعزائمِ يا مُسَوِّف، فَقِفْ على الآثار وقوفَ مُتلهِّف، وصِحْ بالدمعِ: سِرْ يا مُتَوقِّف.

(للشريف الرضي)[1]:

يا قلبُ جِدَّ كمَدَا ... فموعدُ البَيْنِ غدا
لم أرَ فَرْقاً بعدهُمْ ... بينَ الفِراقِ والرَّدى
يا زفرةً هَيَّجَها ... حادٍ مِنَ الغَوْرِ حدَا
أزعَى الحُمُولَ ناظراً ... أو أُلزِمُ القلبَ بدا
وأطردُ الطَّرفَ على ... آثارهم ما انطَرَدا
مُذ أوقَدوا بأضلعي ... حَرَّ الجَوى ما بردا[2]
ومُذ أذابُوا ماءَ عيني ... للأسى ما جَمَدا
كنتُ أُداوي كبدي ... لو تركوا لي كبدا

* * *

(١) انظر: ديوان شعره: ١/٣٥٣ـ٣٥٦.
(٢) الشطر الثاني من هذا البيت في الديوان: «جمع الغضا ما خمدا».

الفصل السادس والثمانون

إخواني! المفروحُ بِهِ من الدُّنيا هو المحزونُ عليه، وبِقَدْرِ الالتذاذِ يكونُ التأسُّف، ومَنْ فَعَلَ ما شاءَ لَقِيَ ما ساء.

ما آلَ ما كانَ المُنى ما آلما ... صارَ ما واصلتَه قد صارَما

بَيْنَما أضحكُ مسروراً به ... سالَ ماءُ العينِ إذا ما سالَما

الدنيا فلاةٌ فلا تَأْمَنِ الفَلا[1]، بل تَيَقَّنْ أنها مارستان بَلا[2]، ولا تَسْكُنْ إليها، وإن أظْهَرَتْ لكَ الوَلا[3]، على أنها تَخْفِضُ مَنْ عَلا.

فلينظرِ الإنسانُ يَمْنَةً فهل يرى إلا مِحْنَةً؟! ثم ليَعْطِفْ يَسْرَةً فهل يرى إلا حَسْرةً؟!.

أمَّا الربْعُ العامِرُ فقد دَرَس[4]، وأما أسَدُ الممات فَفَرَس[5]، وأما الراكبُ فكَبَتْ[6] به الفرس، وأما الفصيحُ فاستبدلَ الخَرَس، وأما الحكيمُ فما نفعه إن احتَرَس، ساروا في ظلام ظُلْمِهم ما عندهم قَبَس، ووقفَتْ سفينةُ نجاتهم لأنَّ البحرَ يَبَس، وانقلبَتْ دُوَلُ النفوسِ كُلُّها في نَفَس، وجاء (مُنْكَرٌ)[7] بآخرِ (سبأ)[8]، و(نكير) بأول (عبس)، أفلا يقوم لنجاتِهِ مَنْ طالَ ما جَلس؟!.

آهٍ لِنَفْسٍ رَفَلَت[9] مِنَ الغفلةِ في أثوابِها، فثوَى بها الأمرُ إلى عدمِ ثَوابِها، آهٍ

---

(١) الفلا: الأرض الواسعة المقفرة، وأيضاً الفلا: الانقطاع.

(٢) مارستان: دار المرضى. بَلا: بلاء وفناء.

(٣) الولا: الولاء والمحبة.

(٤) الربْع: الدار بعينها حيث كانت. درَسَ: عفا وذهب آثاره.

(٥) فرس: يقال: فرس الأسدُ فريسته: صادها وقتلها.

(٦) كبت: عثرت.

(٧) منكر ونكير: ملكان يسألان الميت بعد دفنه.

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤].

(٩) رفلت: رفل في ثيابه: أطالها وجرّها متبختراً.

لعيونٍ أغشاها الأملُ، فسَرَى[1] بها إلى سَرَابِها، أو لقلوبٍ قَلَبَها[2] الهوى عن القرآنِ إلى ربَابها[3] فربا بها[4]، أو لمرضى قد علمَ الطبيبُ قَدْرَ ما بها، وقَدْ رُمِي بها.

(لأبي العتاهية):

يا نَفْسُ ما هي إلا صبرُ أيامِ ... كأن مُدَّتَها أضغاثُ أحلامِ
يا نفسُ جُوزي عن الدنيا مبادِرَةً ... وخلِّ عَنْها فإنَّ العيشَ قُدَّامي

يا مغرورين بِحَبَّةِ الفخِّ! ناسينَ خَتْلَ الشَّرَك، تَذَكَّروا فواتَ المُلْتَقَط[5] مَعَ حصولِ الذَّبحِ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٣٣].

الحذرَ الحذرَ من صيَّادٍ يسبق الطيرَ إلى مهابِطِه بِفِخَاخٍ مختلفة الحِيَلِ، قدَّروا أنكم لا تَرُوْنَ خَيْطَ فَخِّه، أما تُشاهدون ذبائحَهُ في خَيْط ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]؟!.

(للشريف الرضي)[6]:

يا قلبُ كيفَ عَلِقْتَ في أشراكِهم ... ولقد عَهِدْتُكَ تُفْلِتُ الأشْرَاكا
لا تَشْكُرَنَّ إليَّ وَجداً بعْدَها ... هذا الذي جَرَّتْ عَلَيْكَ يداكا

ألا يصبِرُ طائرُ الهوى عن حَبَّةٍ مجهولةِ العاقبة! وإنّما هي ساعة ويصلُ إلى بُرْجِ أمْنِهِ، وفيه حبّات.

فإنْ حَنَّتْ للحِمَى وطِيْبِهِ ... فبالغَضَا ماءٌ وروضاتٌ أُخَرْ

وا عجباً أن يكون حاملُ الكتابِ من الطيرِ أقوى عزيمةً منك، لعلَّ وضعَكَ

---

(١) سرى: سار بها ليلاً. سرابها: أي سراب الدنيا، ما فيها من لذات فانية.
(٢) قلبها: صرفها.
(٣) ربابها: الربابة آلة لهو، وفيه إشارة إلى نمو الهوى وتضخمه في تلك القلوب.
(٤) رَبا: اشتد.
(٥) الملتقط: الحبة الملتقطة. الشرك: الفخ وشبكة الصيد.
(٦) انظر: ديوان شعره: ١٠٩/٢.

على غيرِ الاعتدال، الخَلْقُ يدلُّ على الخالقِ، لا تكونُ الروحُ الصافيةُ إلا في بدنٍ مُعتدِلٍ، ولا الهمّةُ الوافيةُ إلا لنفسٍ نفيسةٍ.

لا يصلُحُ لحملِ الرسائل إلا الطيرُ الأخضرُ أو الأنمر[1]، لأنّه إذا كان أبيضَ، كان كالغلامِ الصَّقْلابي[2]، والصقلابي فَطِيرٌ[3] خام، لم ينضج في محل الحمل، وإذا كان الطائرُ أسودَ دلَّ على مجاوزة حدِّ النُّضج إلى الاحتراق، فإن اعتدلَ اللونُ على نَقَاسَةِ النَّفْس، وشَرَفِ الهِمَّة، فحينئذٍ يعرفُ الطائرُ سِرَّ الجناح، فيقول بلسان الحال: عَرِّفوني الطريقَ بتَذْريج، ثم حَمِّلوني ما شِئْتُم، فإذا أدْرَجَ فَعَرَفَ، حُمِّلَ فَحَمَلَ، فصابَرَ الغُربَةَ، ولازمَ بُطونَ الأودية، وسارَ مع الفراتِ أو دجلة.

فإنْ خَفِيتِ الطريقُ تَنَسَّمَ الرياحَ وتَلَمَّحَ قُرْصَ الشَّمس، وتراهُ مع شدَّةِ جُوْعِه يحذَرُ الحَبَّ المُلْقَى، خوفاً من دَفينة فَخٍّ توجبُ تَعَرْقُلَ الجَناح، وتَضْييعَ المحمُولِ، فإذا بَلَّغَ الرِّسالةَ أطلقَ نفسَه في أغراضِها داخلَ البُرج.

فيا حاملي كتبِ الأمانةِ إلى عَبّادان[4] التعبد، أكثرُكُم على غيرِ الجادَّةِ، وما يَسْتَقِلُّ منكم مَنْ قد رَاقَهُ حُبُّ حَبّ، فنزلَ ناسياً ما حُمِّل، فارْتُهِنَ بفَخٍّ [قد نُفِخَ][5] فذُبِح، ومنكم من بَانَ[6] لِتَعَرْقُلِ جَناحِه، وما قصَده الذَّابحُ بَعْدُ، فلا الحبّةَ حصَّلتَ، ولا الرسالةَ وصَّلتَ.

قطاةٌ عَزَّهـا شَـرَكٌ فبـاتَـتْ تُجـاذِبُـهُ وقـدْ عَلِـقَ الجَنـاحُ

---

(١) الأنمر: ما فيه نمرة بيضاء، وأخرى على أي لون كان.

(٢) الصقلابي: الصقلاب: الرجل الأبيض، والصقالبة: جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون الخزر وبعض جبال الروم.

(٣) فطير: كل ما أعجل قبل نضجه، يقال: رأيٌ فطير: خطر في البال وأُبدي بلا تثبت.

(٤) عبّادان: جزيرة أحاط بها شِبْها دجلةُ ساكبتين في بحر فارس، وهي معبد العباد، وملقى عصي النساك، وفي المثل: «ما وراء عبادان قرية» سمّيت بعبادان بن الحصين التميمي. (تاج العروس).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) بان: من الأضداد: ظهر واختفى، وتأتي بمعنى: انقطع.

فـلا فـي الليـلِ نـالَـتْ مـا تَمَنَّـتْ ولا فـي الصُّبْـحِ كـانَ لهـا بَـراحُ

لو صابرتُم مشقَّةَ الطريقِ لانتهى السفر، فتَوَطَّنتُم مستريحينَ في جنَّاتِ عدنٍ.

فيا مُهْمِلينَ النظرَ في العواقبِ! سَلَفُوا وقتَ الرُّخَصِ، فما يُؤمَنُ تَغَيُّرُ السعرِ. سَلْسِلوا سِباعَ الألسُنِ، فإنِ انحلَّتْ افتَرَسَتْكُم. لا تَرْمُوا بأسهُمِ العيونِ ففيكم تَقَعُ. رُبَّ راعٍ مُغْلَقٍ أهْمَلَها، فأُغِيرَ على السَّرْحِ. من رأى الحقائقَ رأيَ عينٍ غَضَّ طرفَه عن الدارين. لو حضرتم حَضْرَةَ القُدْسِ لَعَبَقَتْكُم بنشرِ الأُنس.

اطلبُـــوا لأنفُسِكُـــم مثـلَ مـا وجـدْتُ أنـا

قـدْ وجَـدْتُ لـي سَكَنـا ليـس فـي هـواهُ عَنَـا

إنْ بعُـدْتُ قـرَّبَنـي أو قَـرُبْـتُ منـه دنَـا

يا هذا! إعْرِفْ قَدْرَ لُطفنا بك، وحِفْظِنا لَك، إنَّما نهيناكَ عن المعاصي صيانةً لك، لا لحاجَتِنا إلى امتناعِك، لمّا عَرَفْتَنا بالعَقْلِ حَرَّمْنا الخمرَ لأنّها تَسْتُرُه، ومثلُ يوسفَ لا يُخبّأ.

يا متناولاً للمُسْكِرِ! لا تَفْعَل، يكفيكَ سُكْرُ جهْلِكَ، فلا تجْمَعْ بين خَليطَيْن، اجعلْ مراقبَتَكَ لِمَنْ لا تَغيبُ عنهُ، وشكرَكَ لمن لا تَغُبُّكَ[1] نِعَمُه، وطاعتَك لمن لا ترجو خيراً إلا منه، وبُكاءك على قَدْرِ ما فاتك منه، وارفع إليه يدَ الذُّلِّ في طلبِ حوائجِ القلبِ تأتي وما تشعر.

يا هذا! عندَكَ بضائعُ نفيسةٌ، دموعٌ ودِماء، وأنفاسٌ وحركات، وكلماتٌ ونَظَراتٌ، فلا تبذلْها فيما لا قَدْرَ له، أيصْلُحُ أن تبكيَ لِفَقْدِ ما لا يبقى؟ أو تَتَنَفَّسَ أسفاً على ما يَفْنى، أو تَبْذُلَ مُهجةً لصورةٍ عن قليلٍ تُمْحى، أو تتكلَّمَ في حصولِ ما يَشين ويَتْوى[2].

وا عجباً! من مجنونٍ بلا ليلى، ويحك! دمعةٌ منك تُطْفي غَضَبَنا، وقطرةٌ من دمٍ في الشهادةِ تمحُو زَلَلَك، ونَفَسُ أسَفٍ يذيبُ ما سَلَف، [وخُطواتٌ في

---

(١) تغبك: يقال: أغب في الزيارة: أتى يوماً وانقطع آخر، فتغب: فتتقطع.

(٢) يتوى: توى: هلك، والتوى: الهلاك.

رياضِنا تَغْسِلُ الخطيئات][1]، وتسبيحةٌ تَغْرِسُ لك أشجارَ الخُلْدِ، ونظرةٌ بِعِبْرة تثمرُ الزُّهدَ في الفاني، ولكنّ تَصْحيحَ النقدِ شرطٌ في العَقْدِ.

سِلَعُ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ [طه: ٨٢] لا تُباعُ إلا بدينار ﴿لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢] إذا كان خارجاً من سبيكة ﴿وَءَامَنَ﴾ [طه: ٨٢] عن سِكّة[2] ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه: ٨٢] من دَارِ ضَرْب[3] ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

يا هذا! لو استَشْعَرْتَ زُرْمانِقَةَ[4] الزُّهْدِ، تحتَ مُطْرَفِ[5] «رُبَّ أشعَثَ أغبَرَ»[6]، وسُحتَ[7] في بادية «يُدْفعون» لأفضْنا عليك خِلَعَ[8] «إذا رؤوا ذُكِرَ الله»[9].

يا هذا! إن لم تقْدِرْ على كثرةِ العملِ، فقِفْ على بابِ الطلبِ، تعرَّضْ بجَذْبَةٍ من جذَبات الحق، ففي لحظةٍ أفلحَ السَّحَرَةُ.

لا تجزَعَنْ مِنْ كلِّ خَطْبٍ عَرا[10] ولا تُـري الأعـداءَ مـا يُشمِتُ
يـا قـومِ بـالصَّبْـرِ يُـنالُ المُنـى إذا لقيتُـم فِئَـةً فـاثبتـوا

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) السِّكَّة: قالب لسكّ العملة.
(٣) دار ضرب: المكان الذي تسبك فيه الدراهم والدنانير.
(٤) زُرْمانِقة: جبة من صوف، وفي الحديث: أنّ موسى عليه السلام كان عليه زُرْمانِقة من صوف يوم قال له ربه: ﴿وَٱدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ [النمل: ١٢].
وفي الصحاح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أنه عليه السلام لما أتى فرعون أتاه وعليه زُرْمانِقة، يعني: جبة صوف. (انظر: لسان العرب).
(٥) مُطْرَف: رداء من خزّ مربع له أعلام.
(٦) رواه الحاكم وأبو نعيم في (الحلية)، وصححه السيوطي في (الجامع الصغير).
(٧) سحت: من ساح يسيح سياحة: ذهب في الأرض وسار، والسائح: المنتقل في البلاد للتنزّه والاستطلاع والبحث والاعتبار.
(٨) خِلَع: جمع خلعة، وهي المنح من ثياب وغيرها.
(٩) رواه الطبراني في (الكبير) عن عبد الله بن مسعود بلفظ: «إنَّ من الناسِ مفاتيح لذكرِ الله إذا رُؤوا ذُكِرَ الله». وذكره في (الجامع الصغير) برقم (٢٤٦٦).
(١٠) عرا: حلّ ووقع.

طريقُ الوصولِ صعبة، وفي رِجْلِكَ ضَعْفٌ، ويحَك! دُمْ على السلوكِ تَصِلْ، أوّلُ النَّخْلَةِ السَّحُوقِ[1] فَسيلةٌ[2]، بدايةُ الآدمي الشريفِ مُضْغَةٌ، ثمنُ المعالي جَدُّ الطالبِ، والفُتورُ مُزْمِنٌ، بلدُ الرياضةِ سحيقٌ ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧]، سحابةُ الصيفِ أثْبَتُ مِنْ قولِكَ، والخطُّ على الماءِ أبقى منْ عَهْدِكَ.

مِنَ السَّلْوَةِ في عينَيْـ ـكَ آياتٌ وآثارُ
أراها منكَ بالذِّهْنِ وفي الألبابِ أبصارُ
إذا ما بَرَدَ القلبُ فما تُسَخِّنُهُ النارُ

يا هذا! إذا حضرَ قلبُكَ فنسيمُ الريحِ يُذَكِّرُك، وإنْ غابَ فمئة ألفِ نبيٍّ لا يُوصلون التذكرةَ إليك، تَاللهِ لقد ألَمَمْنا المعنى، وما ألَمَّنا الزَّمنى[3].

ولي ألفُ بابٍ قد عرفْتُ طريقَه ولكن بلا قلبٍ إلى أينَ أذْهَبُ

* * *

(١) السَّحوق: الطويلة.
(٢) فسيلة: النخلة الصغيرة.
(٣) الزَّمنى: جمع زَمِن، وهو المريض بداء عُضال.

الفصل السابع والثمانون

يا مَنْ يَرْحلُ في كلِّ لَحْظَةٍ عن الدُّنيا مَرْحلةً، وكتابُه قد حَوَى حتى قَدْرَ خَرْدَلة، كُنْ كيف شئتَ، فبيْن يديك الحسابُ والزلزلة، يا عجباً من غفلةِ مؤمنٍ بالجزاءِ والمسألة، أيَقِيْنٌ بالنجاةِ أمْ غرورٌ وبَلَه؟.

تبني وتجمعُ والآثارُ تَنْدرسُ ... وتأمُلُ اللُّبثَ والأرواحُ تُخْتَلَسُ

ذا اللُّبُّ! فكِّرْ فما في الخلدِ مِنْ طمَعٍ ... لا بدَّ ما ينتهي أمرٌ ويَنْعَكِسُ

أينَ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ومَنْ ... كانوا إذا الناسُ قاموا هيبةً جَلَسُوا؟

ومَنْ سيوفُهُمُ في كلِّ مُعْتَرَكٍ ... تُخْشى، ودونَهُمُ الحُجَّابُ والحَرَسُ

ماتوا جميعاً ولم يظهرْ لهم أثرٌ ... وتحتَ أطباقِها في التُّرْبِ قدِ درَسُوا

أضحَوْا بمَهْلَكَةٍ في وَسْطِ معركةٍ ... مَوْتى وماشِيهِ الورى مِنْ فوقِهم يَطِسُ[1]

وعمَّهُم حدَثٌ وضمَّهم جَدَثٌ ... باتوا وهم جُثَثٌ في الرَّمْسِ قد حُبِسوا

كأنَّهم قَطُّ ما كانوا وما خُلِقوا ... وماتَ ذكرُهمُ بينَ الوَرَى ونُسُوا

واللهِ لو نَظَرَتْ عيناكَ ما صَنَعَتْ ... يدُ البِلى بِهِمُ والدودُ يَفْتَرِسُ

مِن أوجهٍ ناضراتٍ حارَ ناظرُها ... في رَوْنَقِ الحُسْنِ منها كيف تَنْطَمِسُ

وأعْظُمٍ باليةٍ ما بها رَمَقٌ ... وليسَ تَبْقى وهذا وهي تُنْتَهَسُ

وألسنٍ ناطقاتٍ زانها أدَبٌ ... خَفَتْ[2] وما شانَها[3] بالآفةِ الخرَسُ

لسبتهم[4] الشَّرُّ للذِّعْرِ فاغرةٌ ... فاهاً فآهاً لهم إذْ بالردى وُكِسُوا

عَرُوا عن الوَشْيِ لمّا أُلبِسُوا حُللاً ... من الرُّغامِ على أجسادِهم وكُسُوا[5]

حتَّامَ يا ذا النُّهى لا تَرْعَوي سَفَهاً ... ودمعُ عينِكَ لا يَهْمي وينحبِسُ

---

(١) يطس: الوطس: الضرب الشديد بالخف وغيره.

(٢) في (ب): ما شأنها.

(٣) شانها: عابها.

(٤) لسبتهم: يقال: لسبته الحية وغيرها: لدغته، واللسب واللسع واللدغ بمعنى واحد.

(٥) كسوا: من الكسوة، أي: الثياب.

أيها المطمئنُّ إلى دنيا وهي تطلبُه بِدَخَلٍ[1]، قد مَرِضَتْ عَينُ بصيرتِه فيها فما يَنْفَع الكُحْلُ، يَتَبَخْتَرُ في رِيَاضِها وما يُصْبِح إلا في الوَحْلِ[2]، انتبه للرحيل، ثم اشدُد الرَّحْلَ[3]، واستبدلْ خِصْبَ المَرادِ[4] عن قَحل المَحْلِ، وتأثَّرْ على نَفْسِك فللتَّحْلِ فَحْل.

اتـركِ الشَّـرَّ ولا تـأنَـسْ بِشَـرّ ... وتـواضَـعْ إنَّمـا أنـتَ بَشَـرْ
هـذه الأجـسامُ تُـربٌ هـامـدٌ ... فمـن الجهـل افتخـارٌ وأشَـرْ[5]
جسـدٌ مـن أربـعٍ يَلْحظُهـا ... سبعـةٌ مِـنْ فـوقِهـا فـي اثنَـيْ عَشَـر
فـي حيـاةٍ كخيـالٍ طـارقٍ ... شَغَـلَ الفِكْـرَ وخَـلاَّكَ ومَـرّ

تَاللهِ! لقد كَشَفَتِ الغِيَرُ ما انسَدَل، فلم يبقَ مِراءٌ ولا جدَل، [هذا حَمامُ الحِمامِ قد هَدَل[6]]، فكم صَرَخَ صوتُه وكم جَدَل[8]؟ يا جائرين احذروا ممّن إذا قَضَى عَدَل، واعلموا أنَّ الآخرةَ ليس منها بدَل، هذا هو الصوابُ لو أنَّ المزاجَ اعتدَل.

يا مَنْ عُمْرُه كزمانِ الوَرْدِ، النُّقطَ واعتُصِرَ لا في زور، يا شمسَ العصرِ على القَصْرِ، قد بلغَ مركَبُكَ ساحلَ الحياة، ووقف بعيرُك على ثَنِيَّةِ الوداع، وقاربتْ شمسُ عُمُرِكَ الطَّفَل[9]، وبقي من ضوء الأجلِ شَفَقٌ، فاستدركْ باقي الشعاعِ قبلَ غروب الشمس.

---

(١) الدخل: المكر والخديعة، وفي (ب): الدَّخل: وهو طلب الثأر أو طلب مكافأة بجناية أو عداوة.

(٢) الوحل: الطين الرقيق.

(٣) الرحل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب.

(٤) المراد: بفتح الميم: موضع التردد، يقال: مَراد الإبل: موضع رعيها مقبلةً ومدبرةً فيه.

(٥) الأشر: البطر.

(٦) هدل: صوّت.

(٧) زيادة من (ب).

(٨) جدل: يقال: جدَلْتُه تجديلاً: ألقيته على الجَدالة، وطعنه فجدّله.

(٩) الطفل: يقال: طفلت الشمس: مالت إلى الغروب.

أَيْنَفَقُ العُمْرُ في الدُّنيا مجازَفَةً والمالُ يُنْفَقُ فيها بالموازينِ

البِدارَ البِدارَ قبلَ الفَوْتِ، الحَذارَ الحَذارَ قبلَ المَوْتِ، ما في المقابرِ مِنْ دَفينٍ إلا وهو متألِّمٌ منْ «سوف»[1].

يا هذا! متى ثَبَتَ بلسانِكَ، وما حَلَلْتَ عُقَدَ الإصرارِ مِن قلبِكَ؛ لم تَصِحَّ التوبةُ، كما لَوْ سَكَنَتِ الأمراضُ بغْتَةً من غيرِ استفراغٍ، فإنَّ المرضَ على حاله.

يا هذا! إذا لم يتحقَّقْ قصدُ القلبِ لم يُؤَثِّرِ النطقُ باللفظ، إنَّ المُكْرَه على اليمينِ لا تنعقدُ يمينُه «إنَّما الأعمال بالنيّات»[2] وقلبُكَ كلُّه مع الهوى، «إنَّ في البدن مُضْغةً، إذا صَلَحَتْ صَلحَ البدن، وإذا فَسَدَتْ فسدَ البَدَن، ألا وهي القلب»[3].

أكثرُ الأمراضِ أمراضُ الهوى، وأكثرُ القتلى بسيفه. أربابُ الهوى أطفالٌ في حُجورِ العاداتِ وإنْ شابوا. [انحدَرَتْ عزيمتُكَ في جَرَيانِ نَهْرِ الهوى، فاصبرْ صبرَ مَدَّادٍ لعلَّكَ تَرُدُّها][4].

ويحك! انتبهْ لإصلاحِ عيوبِكَ، لعلَّ المُشْتَري يَرْضى، تَاللهِ إنَّ المُشتري ما يحبُّ تَتَبُّطَ رُحَلِ. اكفُفْ ثوبَ الكلامِ بالصمتِ وإلا تَنَسَّلْ[5]. اِطْفِ حريقَ[6] الهوى وإلا عَمِل. ارفُقْ بزجاجِ العُمْرِ فما يَشْعِب[7] إذا انكسر.

واعجباً! الظاهرُ غيرُ طاهر، والباطنُ باطل. الأمل بخارٌ فاسد. الرعونةُ علةٌ صعبة. منامُ المُنى أضغاثُ أحلام. رائدُ الآمالِ كذوب. مرعى المشتهى هَشِيم[8]. العجزُ شريكُ الحرمان، التفريطُ مضاربُ الكسل. ديجورُ[9] الجهلِ مُعْتِم.

---

(١) سوف: يشير إلى التسويف في الأعمال.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ولفظه: «وإنَّ في الجسد مضغة... وإذا فسدت فسد الجسد».

(٤) زيادة من (ب).

(٥) تنسل: تساقطت خيوطه وانقطعت.

(٦) في (ب): حرّاق.

(٧) يشعب: يقال: شَعَبَ الصدعَ: لَمَّهُ وأصْلَحَه.

(٨) هشيم: النبات اليابس المتكسر.

(٩) ديجور: ظلام.

سؤر[1] الهوى مُعرِق. رَوْضُ اللهو وَبِيء[2]. غديرُ اللذاتِ غَدِر[3].

ظَلَلْتُ أُكْرُ عليه الرُّقَى وتأبَى عريكتُه[4] أنْ تلينا

كَمْ قَدْ لُمْتُكَ وما نَفَعا كم قَدْ نَصَبْتُ لك شَرَكاً وما تَقَع، قُفْلُ قلبك روميٌّ ما يقع عليه فَشٌ[5].

يا هذا! المجاهدةُ حربٌ لا يصلُحُ لها إلا بطل، متى تَغَيَّر من جنودِ عَزْمِكَ على الإنابةِ قلبٌ واحدٌ، لمْ آمَنْ قَلْبَ الهزيمة عليك.

وإذا كانَ في الأنابيبِ[6] خُلْفٌ وقعَ الطيشُ[7] في رؤوسِ الصّعادِ[8]

أيها المريدُ! تلطَّفْ بنفسِك في الرياضةِ تَصِل. مشيُ القَطا بتدبير[9]، ومشي العصفور نقزان، العنكبوت الفَطِنُ ينسجُ في زاوية، والمغفَّلُ ينسجُ على وجه الأرض.

كنْ قَيِّماً على جوارِحِك، وفُّها الحظوظَ، واستوفِ منها الحقوق، أما ترى حاضِنَ البيضِ يقلِّبُه بمنقارِه، لتأخذَ كلُّ بيضةٍ حظَّها من الحَضْنِ، ثمَّ أكثر ساعات الحضن على الأنثى، لاشتغال الذَّكر بالكسب، فإذا صار البيضُ فراخاً كان أكثرُ الزَّقِّ على الأب ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ [طه: ١١٧].

ما لَقِيَتْ حواءُ عُشْرَ ما لقي آدم، لأنَّها وإن شاركته في العلم بفقد صورة النعيم، فهو منفردٌ عنها بملاحظة المعنى، ﴿بَعْدَ عِزٍّ﴾ ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [طه: ١١٦] يقْبِضُ جبريل على ناصيتِه للإخراجِ، والمدنَّفُ يقول: ارفق بي.

---

(١) سؤر: بقية الماء.
(٢) وبيء: وخيم.
(٣) غدر: من الغدر والخيانة.
(٤) عريكته: طبيعته.
(٥) فش: يقال: فَشَّ القفلَ فشاً، أي: فتحه بغير مفتاح.
(٦) الأنابيب: جمع أنبوب: ما تصنع منه الرماح.
(٧) الطيش: يقال: طاش: عدل وانحرف.
(٨) الصّعاد: جمع صَعْدة: وهي الرماح.
(٩) التدبير: النظر في عاقبة الأمر.

يا سائقَ البَكَراتِ[1] استَبْقِ فَضْلَتَها على الغُويرِ[2] فظهرُ البَكْرِ معقُورُ

كان يتوقَّفُ في خروجه لو ترك، ويتشبّث بذيلِهِ لو نَفَع، ولسانُ الأسَى يصيحُ بمن آسا[3]:

تَزَوَّدْ مِنَ الماءِ الثُّقاخ[4] فَلَنْ تَرى بوادي الغَضى[5] ماءً نُقاخاً ولا بَرْدا
وَنَلْ منْ نسيمِ البَانِ والرَّنْدِ نَفْحةً فَهَيْهاتَ وادٍ يُنْبِتُ البَانَ[6] والرَّندا[7]
وكُرَّ إلى نجدٍ بطرْفِكَ إنَّهُ متى تَسْرِ[8] لا تنظرْ عقيقاً[9] ولا نجدا

ما زال مُذْ نزل، يرفعُ قِصَصَ الغُصصِ، على أيدي أنفاسِ الأسفِ، فتصعد به صُعداءُ اللَّهَفِ[10]:

ألا يا نَسيمَ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ بابلٍ تَحَمَّلْ إلى أهلِ الحجازِ سلامي
وإنِّي لأهوى أنْ أكونَ بأرضِهِم على أنّني مِنْها استفدتُ سِقامي

واعجباً! مَنْ قلقِ آدمَ بلا مُعينٍ على الحزنِ، هوامُ الأرضِ لا تَفهمُ ما يقول، وملائكةُ السماءِ عندها بقايا ﴿أَتَجْعَلُ﴾ [البقرة: ٣٠] ؛ فهو في كربة، وحيدٌ بدارِ غربة:

ألا راحمٌ مِنْ آلِ لَيْلَى فاشْتكي غرامِي لَهُ حتّى يَكِلَّ لِسانيا

* * *

---

(١) البكرات: جمع بَكْرة: الفتية من الإبل.
(٢) الغوير: كزبير، ماء لبني كلب بن وبرة بناحية السماوة.
(٣) الأسى: الحزن. وآسا: أحزن، يقال: آساه، أي: أحزنه.
(٤) الثُّقاخ: بضم النون، الماء العذب الذي ينقع الفؤاد بيرده، أي: ينقعه، أي يكسره.
(٥) الغضى: شجر من الأثل خشبه أصلب الخشب، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ، واحده غضاة، وأهل الغضى أهل نجد.
(٦) البان: جمع بانة: ضرب من الشجر.
(٧) الرَّند: شجر طيب من شجر البادية.
(٨) تسْر: السير في الليل.
(٩) العقيق: الوادي الذي شقّه السيل قديماً فأنهره.
(١٠) صعداء: تنفس ممدود. اللَّهف: الحزن والتحسّر.

الفصل الثامن والثمانون

إخواني! أيامُ العافيةِ غنيمة باردة، وأوقاتُ السلامةِ لا تُشْبِهُها فائدة، فتناولْ ما دامتْ لديكَ المائدة، فليستِ الساعاتُ الذاهباتُ بعائدة:

مَضَى أَمْسُكَ الماضِي شهيداً مُعَدَّلاً[1] وأتبعهُ يومٌ عليكَ شهيدُ
فإنْ تَكُ بالأَمْسِ اقترَفْتَ إساءةً فبادِرْ بإحسانٍ وأنتَ حميدُ
ولا تُبْقِ فِعلَ الصالحاتِ إلى غدٍ لعلَّ غداً يأتي وأنتَ فقيدُ
إذا ما المَنَايا أخطأَتْكَ وصادَفَتْ حَمِيَمَكَ فاعْلَمْ أنَّها ستعودُ

كأنَّكُم بالقيامةِ قد قَامَتْ، وبالنفسِ الأمَّارة بالسوءِ قد لامَتْ، وانْفَتَحَتْ عيونٌ طالَما نامت، تحيَّرتْ قلوبُ العصاةِ وهامَتْ.

غداً تُوَفَّى النفوسُ ما كسبَتْ ويحصدُ الزارعون ما زَرَعوا
إنْ أحسَنُوا أحْسَنُوا لأنفسِهم وإن أساؤوا فبئسَ ما صَنَعوا

شبكَةُ الحساب ضيّقةُ الأعين[2]، لا يعبُرها شيءٌ، وَكِيلُ المطالبةِ خصمٌ أَلَدُّ[3]، أَيْنطِقُ باقلُ[4] عُذْرِكَ بين يَدَيْ سَحبانَ[5] المناقشة، كلاّ أيقِنْ بالسجنِ.

يا هذا! إنَّكَ لم تَزَلْ في حَبْس: فأول الحُبُوس: صُلْبُ الأب، والثاني: بطنُ الأمّ، والثالث: القِماط[6]، والرابع: المكتب، والخامس: الكدُّ على

---

(١) شهيداً: أي شاهداً على عملك. معدّلاً: من العدالة وهو مَنْ قبلت شهادته.
(٢) الأعين: أي الفتحات.
(٣) الدُّ: شديد الخصومة.
(٤) اسم رجل من العرب، وكان اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً، فقيل له: بكم اشتريته؟ ففتح كفيه، وفرق أصابعه وأخرجَ لسانه، يشير بذلك إلى أحد عشر، فضربوا به المثل في العيّ فقالوا: «أعيا من باقل» يريد أنَّ عذره لا يقوم للمحاسِب الذي شبهه بسحبان.
(٥) سحبان: رجل من وائل مشهور بفصاحته وبلاغته.
(٦) القماط: ما يُشَدُّ به الصبي في المهد.

العيال، والسادس: الموت، والسابع: القبر، فإن وَقَفْتَ في الثامن[1]، نسيتَ مرارةَ كلِّ حَبْس.

يا هذا! أَدْخُلُ حَبْسَ التقوى باختيارِك أياماً، ليَحْصُلَ لك الإطلاقُ في الأغراضِ على الدوام، ولا تُؤْثِرُ إطلاقَ نفسِك فيما تُحِبُّ، فإنَّه يورِثُ حَبْسَ الأبدِ في النار.

إلى متى تسجنُ عقلَكَ في مطمورةِ[2] هواك؟! أوَيُحبس طاووس في ناووس[3]؟!.

ويحكَ! تفكَّرْ فيما بينَ يديك، وقد هان الصَّبْرُ عليك، لما خفيت العواقبُ على المتّقين، فَزِعُوا إلى القلقِ، وأكثروا من البكاء، فعذلَهُم من يشفقُ عليهم، وما يدري العاذلُ أنَّ العذلَ على حَمْلِ الحُزنِ عِلاوَة[4].

قيل لبعضِ العُبّادِ: لِمَ تبكي؟.

قال: إذا لم أبكِ فما أصنع؟:

ما كانَ يقرأُ واشٍ سطرَ كِتْماني ... لو أنَّ دمْعيَ لم يَنْطِقْ بتبْيانِ
ماءٌ، ولكنَّه ذَوْبُ النفوسِ، وهَلْ ... ماءٌ تَوَلَّدُهُ مِنْ حَرِّ نيرانِ
ليتَ النَّوى إذ سقَتْني سُمَّ أَسْوَدِها ... سَدَّتْ سبيلَ امرئٍ في الحُبِّ يَلْحاني
قد قلتُ بالجِزْعِ لما أنْكَروا جَزَعي: ... ما أبعدَ الصبرَ ممن شوقُهُ دانِ
عُجْنا على الرَّبْعِ نستسْقي له مطراً ... وفاضَ دمْعي فأرواهُ وأظْماني

قَوِيَ حَصَرُ الخوفِ، فاشتدَّ كربُ القوم، فكلَّما هبَّ نسيمٌ من الرجاءِ وَلَّوا وجوهَهُم شَطْرَه[5].

---

(١) الثامن: يشير إلى الموقف يوم الحساب.
(٢) مطمورة: حفرة يطمر فيها الطعام، أي: يخبأ.
(٣) ناووس: صندوق من خشب توضع فيه جثة الميت عند النصارى.
(٤) عِلاوة: ترقية.
(٥) شطره: نحوه، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠].

يـا طـربـا لنفحـةِ نَجْـدِيَّـةٍ أعـدلُ حَـرَّ القلـبِ بـاستبـرادِهـا
ومـا الصَّبا ريحـيَ لـولا أنّهـا إذا جَـرَتْ مَـرَّتْ علـى بـلادِهـا

عبارةُ النسيمِ لا يفهمها إلا الأحبابُ، وحديثُ البروقِ لا يروقُ إلا للمشتاق.

ومـرنَّـحٍ[1] فَطِـنَ النسيـمُ بـوجْـدِهِ فروى له خبرَ العُذَيْبِ[2] مُعَرْضا[3]

العارِفُ غائبٌ عند ذكرِ الدنيا، وحاضرٌ عند ذكر الأُخرى، وطائشٌ عند ذكر الحبيب، ويحضر المجلس موثقاً بقيودِ الهمِّ، فإذا ذُكِرَ الحبيبُ قطعَ الوجدُ السلاسلَ، إنَّ مداراةَ قيس تمكنُ[4]، ولكن لا عندَ ذكر ليلى.

(للخفاجي):

رَمـتْ بـالحِمَـى أبصـارَهـا مطمئنـةً فلمَّـا بـدَتْ نجـدٌ وهبَّـتْ جَنـوبُهـا
بَخِلْنـا عليهـا بـالبُـرى[5] فتقطَّعـتْ وقـلَّ لِنَجْـدٍ لـو تفـرّتْ[6] قلُـوبُهـا

لو برزتْ ليلى ليلاً، لصارَ الظلامُ عند قيسٍ أوضحَ من الضحى.

إذا ما وَنَتْ[7] نادى الشوقُ فانبرَتْ[8] تَجِدُّ[9]، ومَنْ نادى به الشّوقُ أسرعا

مَنْ سمعَ ذِكْرَ الحبيب، ولم يَـثُـرْ قلبُه عن مستقرِّهِ فهو مدَّعٍ.

---

(١) العرنَّح: المتمايل من السكر وغيره.
(٢) العذيب: تصغير العذب؛ ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة.
(٣) معرضاً: التعريض ضد التصريح، يقال: عرَّض لفلان: إذا قال قولاً وهو يعنيه. والمعاريض في الكلام: التورية.
(٤) تمكن: أي ممكنة.
(٥) البُرى: جمع بُرة، وهي حَلْقة من نحاس في أنف البعير، أي: أنه لما بدت نجد شددنا على النوق أزمّتها فتقطعت.
(٦) تفرت: تشققت.
(٧) ونت: ضعفت وفترت وكلت.
(٨) فانبرت: تعرضت وتصدت.
(٩) تجدّ: تجتهد في السير.

(لمهيار):

إذا ذُكِـرَ المحبـوبُ عنـدَ مُحبِّـهِ ... تـرنَّـحَ نشـوانُ وجُـنَّ طَـروبُ
إذا قيـل: مَيٌّ لـم يسغْنِي لـذكْرِهـا ... خِبـاءٌ، ولـم يحِـنْ بُكايَ رقيـبُ

كلامي صحيحُ المزاج، خفيفُ الرُّوح، أنا صائغٌ صانعٌ بابليٌّ[1]، لفظي يُبَـلْبِل[2]، أنا ماشطةُ[3] القوم، أنا لسان الوقت.

فكـأنَّ قُسّـاً فـي عُكـاظٍ[4] يخطُـبُ ... وكـأنَّ ليلـى الأخيليـةَ تنـدُبُ
وكُثَيِّـرَ عَـزَّةَ يـومَ بَيْـنٍ يُطْنِـبُ ... وابـنَ المقفَّـعِ في (اليتيمـة) يُسْهِـبُ

أنا طبيبٌ لبيب، أمزجُ التحذيرَ بالتشويقِ للعاملين، وأجعلُ كأسَ التخويفِ صِرْفاً للغافلين، وأجتهدُ في التَّلَطُّفِ جَهْدي بالعارفين.

الخام[5] يعجِبُ البدوي، وأما الحضري فَدِقُّ[6] مِصْرَ. الأودِيةُ الحادَّة تؤذي الأبـدانَ النَّحِيفة. الزاهدُ ملاَّحُ الشَّـطِّ. والعارفُ ناتائيٌّ[7] المركبِ. الزاهدُ مُقْتِبٌ[8]، والعارفُ في مَحْمِل[9]، نفسُ الزاهدِ تسيرُ به، وقلبُ العارفِ يطيرُ به. العارفُ خالٍ في الزحمة، غريبٌ في الوطن، خلوتُه بمعْرُوفه، طُورُه[10] متى تقاضَاه[11] الشـوقُ، حَضَرَ لا عن ميعـاد، إذا وطئ بِسـاطَ الانبساط قال: ﴿أَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا سمع صاعقةَ الهَيْبَةِ قال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

---

(١) بابلي: نسبة إلى بابل، يريد أن لبيانه سحراً كسحر بابل.
(٢) يبلبل: من بلبل: فرّق وبدّد، ويريد أن عبارته تؤثر في النفوس.
(٣) ماشطة: امرأة تحسن المَشط وتتخذه حرفة.
(٤) عكاظ: سوق للعرب بناحية مكة كانوا يجتمعون بها كل سنة يتناشدون الأشعار.
(٥) الخام: النبات الغض الرطب.
(٦) الدق: الخلطة من الأبزار والتوابل.
(٧) ناتائي: أي النوتي، وهو الملاح الذي يدير السفينة في البحر، جمعه نواتي.
(٨) مقتب: مأخوذ من القتب: وهو الرحل الصغير على قدر السنام.
(٩) المحمل: الهودج.
(١٠) طوره: يشير إلى جبل الطور الذي خوطب عنده موسى عليه السلام.
(١١) تقاضاه: طلب منه أن يقضيه حقه.

ويأبى الجَوى[1] أنْ أُسِرَّ الهوى إذا امتلأ القلبُ فاضَ اللسانُ

إذا رأيتم ناطقاً بالحكْمَةِ قد طَرِبَ لها فاعذروه، فإنّه قد صَدَرَ ولم تَرِدُوا بعدُ[2].

العالمُ المُحَقِّقُ قد اعتصَرَ مِنْ كروم المعارفِ خَنْدَريسَ[3] المعاني، فشَرِبَ منها حتى غُلِبَ، فإذا عَرْبَدَ بالطَّرَبِ، فلم يَعْذُرْهُ الصاحِي، أمرَ ساقي النطقِ أن يدوِّرَ بكأسِ اللَّفْظِ على أرباب الألباب، فإذا القومُ نشاوى من الشمل[4]، فيصبح حينئذٍ موافقَ ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ [يوسف: ٣٠]، ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، عَبَرْنَاكم يا منقطعين، وعَلَيْنا أن نَرِدَ.

لا بدَّ للأمير أنْ يقفَ للسَّاقة[5]، عودوا إلى أوكارِ الكسلِ، فنحنُ على نيّة دخُولِ الغلاة.

اسمعوا وصايانا يا مُرَدِّعينَ، إذا جُنَّ الليلُ فسيروا في بوادي الدُّجى، وأنيخُوا بوادي الذُّلِّ، واجلِسُوا في كِسْرِ[6] الانكسار، فإذا فُتِحَ البابُ للواصلين دُونَكم، فاهجُموا هجومَ الكذَّابين، وابسُطوا كفَّ ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨] لعلَّ هاتفَ القبول يقول: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وإذا جِئْتُمْ ثَنِيَّاتِ اللّوى فلِجُوا رَبْعَ الحِمَى في خَطَري[7]
وصِفُوا شوقي إلى سُكّانِه واذكُروا ما عندكُمْ من خَبَري
وَا حنيني نَحْوَ أيامٍ مَضَتْ بالحِمَى لم أَقْضِ منها وَطَري
كلَّ ما اشتقْتُ تَمَنَّيْتُكُمُ ضاعَ عُمْري بالمُنى وا عُمُري

* * *

(١) الجوى: الحرقة وشدة الوجد.
(٢) صدر: رجع بعد شربه. تردوا: من الورود على الماء.
(٣) الخندريس: الخمر القديمة.
(٤) الشمل: بقية الكأس.
(٥) الساقة: ساقة الجيش: مؤخره.
(٦) كِسْر: بكسر الكاف وتسكين السين: جانب الخباء.
(٧) خطري: يقال: خَطَر في مشيته خَطْراً، أي: اهتزَّ وتبختر.

الفصل التاسع والثمانون

آهٍ لنفسٍ أقبلتْ على العدوِّ وقَبَّلَتْ، وبادرَتْ إلى ما يؤذيها من الخطايا وعَجَّلَتْ، مَنْ لها إذا سُئِلَتْ عن قبيحِها فخجلتْ، وسُلَّ عليها سيفُ العِتابِ فَقُتِلَتْ؟!.

ما لِنَفْسي عَنْ معادِي غَفَلَتْ؟! أَثْراها نَسِيَتْ ما فَعَلَتْ

أيها المغرورُ في لهوِ الهَوَى كلُّ نفسٍ ستَرى ما عَمِلَتْ

أفٌّ لدُنيا فكمْ تخدَعُنا كم عزيزٍ في هواها خَذَلَتْ

رُبَّ ريحٍ لأناسٍ عَصَفَتْ ثمَّ ما إنْ لِبَثَتْ أنْ سَكَنَتْ

فكذاكَ الدَّهْرُ في تصريفِهِ قَدَمٌ زلَّتْ وأُخرى ثَبَتَتْ

أينَ مَنْ أصبَحَ في غفلتِهِ في سُرورٍ ومُرَاداتٍ خَلَتْ

أصبحتْ آمالُه قد خسِرَتْ وديارُ اللهوِ منه خربَتْ

جُزْ على الدارِ بقلبٍ حاضرٍ ثم قل: يا دارُ ماذا فَعَلتْ؟

أوْجهٌ كانتْ بُدُوراً طُلَّعاً وشموساً طالَما قد أشرَقَتْ

قالتِ الدَّارُ: تفانَوا ومَضَوْا وكذا كلُّ مُقيمٍ إنْ ثَبَتْ

عايَنُوا أفعالَهم في تُرْبِهم فَسَلِ الأجداثَ[1] عمَّا استُودِعَتْ

إنَّما الدُّنيا كظلِّ زائلٍ أو كأحلامِ منامٍ ذَهَبَتْ

يا مَنْ هوَ في هُوَّةِ الهوى قد هَوَى[2]، كم مسلوبٍ بكفِّ النَّوى[3] عمَّا نوى، أين المستقِرُّ عيشُهُ، أدركَه النَّوى فالتوى[4]؟!.

أين الجبَّارُ الذي إذا عَلَقَ بالشَّوى شَوَى[5]؟! أين شبعانُ اللذاتِ أدركَهُ

---

(١) الأجداث: القبور.

(٢) هوى: تردَّى وسقط.

(٣) بكف النوى: كناية عن الموت.

(٤) النَّوى: الهلاك. فالتوى: ذهب وهلك.

(٥) الشوى: الرِّجْلان وسائرُ الأطراف. شوى: أحْرَقَ.

الطوى لما طَوى[1]، ليته لما ذهب الأصلُ، تيقَّظَ الفرعُ[2] فارعوى[3]، إلى متى خَلْفٌ[4] ووعد الدنيا كله خُلْفٌ؟!.

يا مُتْعِباً نَفْسَه بالحرص والقدر ما يتغير، الراضي مُرفَّهٌ، كم غرقت سفينةُ مهجة في لُجَّةِ حِرْصٍ، الطمع يخنقُ العصفور قبل الفخِّ، لما قَنَعَتِ العنكبوتُ بزاوية البيت سيق لها الحريصُ وهو الذبابُ، فصار قوتاً لها، وصَوَّتَ بها لسانُ العِبرة: رُبَّ ساعٍ لقاعِدِ.

ترسلُ قلبَكَ مع كل مطلوبٍ من الهوى، ثم تبعثُ وراءه وقتَ الصلاةِ ولا يلْقاه الرسولُ، فتُصَلي بلا قَلْب.

خَلَّفْتَ قَلْبَكَ في الأظعانِ إذ نَزَلَتْ ... بالمأزِمَيْنِ زمانَ النَّفْرِ بالنَّفَرِ[5]

ورُحْتَ تطلبُ في أرضِ العراقِ ضُحًى ... ما ضاعَ عند مِنًى فاعجَبْ لذا الخبرِ

لمَّا طرَقْنا الثَّقا كان الفؤادُ معي ... فَضَلَّ عنِّيَ بين الضَّالِ والسَّمُرِ

يا أرجلَ العيسِ تُهنيكِ الرمالُ فما ... أعْدُو بوجْدِي غداً إلا على الأثَرِ

عليَّ تفصيلُ الأمورِ والجُمل، وما يُرضَى للقبرِ بهذا العمل، يا مَنْ قد حمل الخطايا وبئسَ ما حمل، أفي سكرٍ أنتَ أم في ثمل[6]؟! لو علمتَ أنَّ مكاوي الحديد قد أُحْمِيَتْ للسَّمل[7]، ولم تفرّق من اللِّباس بين الجديدِ والسَّمَل[8]، يا ثقيلَ الطبعِ كالرَّملِ[9]، فما يطربه الثقيل[10] ولا

---

(١) الطوى: الجوع. طَوى: كناية عن الموت.

(٢) الأصل: إشارة إلى الآباء والأجداد. الفرع: الأبناء.

(٣) فارعوى: انزجر.

(٤) خَلْفٌ: متخلف عن الأولين.

(٥) المأزمين: موضع بين المشعر الحرام وعرفة، والأصل في المأزم: كل طريق ضيّق بين جبلين. وزمان النفر: اليوم الذي ينفرُ الناسُ فيه من منى بعد الرمي. بالنَّفَر: عدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة.

(٦) ثمل: الثِّمل: من سكر فأخذ فيه الشراب.

(٧) للسمل: يقال: سمل العين: فقأها بحديدة محماة.

(٨) السمل: الخَلَق من الثياب.

(٩) كالرمل: فتات الصخر.

(١٠) الثقيل: ضرب من النغم.

الرَّمل[1]، تعصي ثم تُصوِّ فتضيف إلى صفّينَ الجَمَل[2]، يا مَنْ قدْ فقدَ قلبَهُ لا تيئسْ من عَوْدِه.

وقـدْ يجمـعِ اللهُ الشتيتيـنِ بعـدمـا يظنـانِ كـلَّ الظَّـنِّ ألاَّ تـلاقيـا

الهوى قاطن[3]، والصوابُ خاطرٌ، وقلعُ القاطنِ صعبٌ، وإمساكُ الخاطرِ أصعب، الهوى متديّر[4]، والمواعظ نزّالة[5]، ومع مداراةِ الجملِ تصلُ[6].

لما تزيّنَتْ زخارفُ الدُّنيا، توانبتْ جُهّالُ الطبعِ لاتِّباعِ الهوى، فبُعِثَ العقلُ كافّاً لهم، فأقام عندهم، مُوكَّلاً بهم، وكلَّما زادَ في قيودِهم فكُّوا السلاسلَ، وكلّما تلا عليهم النصائح، أسمعوا القبائح.

فوا عجباً لمعرَّفٍ بُلِيَ بمقاساةِ أنذال، ما يزالُ العقلُ يضرِبُ الأمثالَ، ويشرحُ العواقبَ، ولكن من يسمع؟! اخْضُر معه في خَلوةٍ، واستحضر صديقَ الفكرِ، فإنَّه ثقة، فإن خرجتم إلى المقابرِ قويَ دليلُ النُّصح، مرّوا[7] بقصور المذنبين، تجدوا طَعْمَ أخبارِهم مُرّاً[8]، وجوزوا على قبور الصالحين، فقد جُوزوا[9] في العاجل ذكراً، «إذا مات المؤمنُ بكى عليه مُصلاّه من الأرض، ومصعدُ عملِه من السماءِ أربعين صباحاً»[10]،

---

(١) الرمل: إشارة إلى بحور الشعر، وقد زاد شيوعه في العصر الحديث.

(٢) صفّين: إشارة إلى معركة صفين بين سيدنا علي ومعاوية رضي الله عنهما. والجمل: أي معركة الجمل بين أم المؤمنين عائشة وسيدنا علي رضي الله عنهما.

(٣) قاطن: مقيم.

(٤) متدير: من تدير المكان اتخذه داراً، يشير إلى تمكن الهوى من النفس.

(٥) نزالة: كثرة النزول.

(٦) إشارة إلى حسن سياسة النفس.

(٧) مروا: من المرور.

(٨) مرّاً: من المر وهو العلقم.

(٩) جوزوا الأولى: مُروا. وجوزوا الثانية: أثيبوا.

(١٠) رواه ابن المبارك في الزهد، وعبدُ بن حُميد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وابن المنذر دون قوله: «أربعين صباحاً» بلفظ: «إذا ماتَ العبدُ الصالحُ بكى عليه مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء، ثم قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]» كنز العمال (٤٢٩٦٦).

واعجباً للبِقاع تبكي عليهم، وتبكي منكم[1].

أمَّا الوقوفُ فقد وَقَفْتُ بدارِهم ... وسألتُها لو أنَّ داراً تفهمُ
وإذا رأيتُ طلولَهم أيقنتُ أنْ ... نَ الدَّارَ يُخْرِبُها البلى ويتمِّمُ
نَحَلَتْ لِبينهمُ ولم أكُ عارفاً ... أنَّ الديار بهم تصحُّ وتَسقمُ

يا له من عذل، لو كان للمعاتَبِ فَهْم، لقد نفختُ ـ والله ـ لو كان ثَمَّ فحم.

(للشريف الرضي)[2]:

والحُرُّ مَنْ حَذَرِ الهوانِ ... يُزايلُ[3] الأمرَ الجسيما
والعاجزُ المأفونُ[4] ... أقعدُ ما يكونُ إذا أُقيما

العباراتُ حظُّ النفوس، والإشاراتُ قوتُ القلوب.

نزلَ بعضُ أرباب المعاملة إلى الشطِّ فصاح: يا ملاحُ تحملني؟.

فقال: إلى أين؟.

قال: إلى دار الملك؟.

فقال: معي ركاب إلى القطيعة[5].

فصاح الفقير بالملاح: لا بالله لا بالله، أنا منذُ سبعينَ سنةً أفِرُّ منها.

دخل ذو فطنة إلى دار قوم، فرأى حُبّاً[6]، وإلى جانبه مَرْكَن[7] قد زُرِعَ فيه صَبْر، فتواجد فقال: حُبٌّ إلى جانبه صَبْرٌ.

---

(١) في (أ): تبكي منهم.
(٢) من قصيدة عاتب فيها الوزير البرقومي. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٤٢٨.
(٣) يزايل: يحاذر.
(٤) المأفون: الضعيف العقل.
(٥) الظاهر أنه اسم مكان، وهذا المحب منعه الركوب في السفينة خوفاً من القطيعة حتى من ذكر اسمها.
(٦) حُبّاً: بضم الحاء: الخابية.
(٧) مركن: وعاء يغسل فيه الثياب.

يا نازلينَ الحِمَى رفقاً بقلبٍ فتًى ... إنْ صاحَ بالبينِ داعٍ باحَ مُضْمَرُهُ
وقد يميلُ إلى المغنى يُسَائِلُهُ ... أخو الغرامِ ولكنْ مَنْ يخبّره
وما ذكرتُكُمُ إلا وَهِمْتُ جوًى ... وآفةُ المُبْتَلَى فيكُم تذكُّرُه
ولا عزمْتُ على سُلوانِ حُبِّكُمُ ... إلاَّ ويخذُلُني قلبي ويَنْصُرُه

أين الذين كانوا نجوم الدنيا وأقمارَ الآخرة، قياماً كالأعلام[1]، على جوادِ الهوى، تقوى بأنفاسهم نفوسُ أنفاسِ أهل التقوى، يُصَوّتون بالمنقطِع، ويُرْشدونَ المتحير، ما بقي في الديار ديّار.

نسيمَ الصَّبا إنْ زرْتَ أرضَ أحبّتي ... فخُصَّهُمُ عنّي بكلِّ سلامِ
وبَلِّغْهُمُ أنّي رهينُ[2] صبابةٍ[3] ... وأنَّ غرامي فوقَ كلِّ غرامِ
وإنّي لَيَكْفيني طروقُ خيالِهم ... لو انَّ جفوني مُتْعَتْ بمنامِ
ولستُ أُبالي بالجنانِ وباللظى ... إذا كان في تلكَ الديارِ مَقامي
وقد صُمْتُ عن لذّاتِ دَهْري كلِّها ... ويومَ لِقاكُم ذاكَ فِطْرُ صيامي

رحلَ القومُ وتخلّفنا، وبادَرُوا[4] أيامَهم وسوّفْنا، وعرفنا طريقَهم لكنّا انقطعنا، فسيروا بنا، فإنْ لحقنا وإلاّ تأسَّفْنا.

يا صاحبي إنْ كنتَ لي أو معي ... فعُدْ إلى روضِ الحِمَى نرتعِ
حيثُ كثيبُ الرملِ رملِ الحِمَى ... وقِفْ وسلِّمْ لي على لعلعِ
وسلْ عن الوادي وأربابِه ... وانشُدْ فؤادي في رُبى المجمَعِ
وابكِ فما في العينِ من فَضْلةٍ ... وَيْبَ[5] فَدتْكَ النفسُ عنْ مَدْمَعي
واسمعْ حديثاً قد رَوَتْه الصَّبا ... تُنْبِئُهُ عن بانةٍ[6] الأجْرَعِ
وانزِلْ على الشِّيحِ بواديهمُ ... واشمِمْ عُثَيْبَ البلدِ البَلقعِ
بَلِّغْ تحيّاتي إلى رَبْعِهم ... وقلْ ديارَ الظاعنينَ اسْمعي

---

(١) الأعلام: الجبال.
(٢) رهين: مرهون، وهو ما وضع عندك ليثوب منك ما أُخذ منك.
(٣) صبابة: عشق.
(٤) بادروا: سارعوا وسابقوا.
(٥) ويْبَ: فعل أمر من ناب ينوب نيابة.
(٦) بانة: ضرب من الشجر.

رِفقاً بِنِضْوٍ[1] قد بَراهُ[2] الأسى ... يا عاذلي لو كانَ قلبي معي
لَهْفي على طِيْبِ ليالٍ خَلَتْ ... عُودِي تَعودي[3] مُذْنَفاً قد نُعي
إذا تذكرتُ زماناً مَضَى ... فويحَ أجفانيَ مِنْ أدْمُعي
أراجِعٌ لي وصلُهم بعدها ... يا نفسُ إنْ لم يَصِلوا ودّعي
يا نفسُ كم أتلو حديثَ المُنى ... ضاعَ زماني بالمنى فاقْطعي
يا قلبُ لا تسْكُنْ على بُعْدِهم ... وأنتِ يا عينُ فلا تهْجَعي

* * *

(١) نضو: مهزول، بالٍ.
(٢) براه: أنحله وجعله هزيلاً.
(٣) تعودي: من عيادة المريض، وهو مجزوم بالطلب. (عُودي) بمعنى: ارجعي.

الفصل التسعون

إخواني! ألا ذو سمعٍ وبصرٍ، يعلمُ أنَّ الأعمارَ فيها قِصَر، ألا مُتلمّحٌ ما في الغِيَرِ من العِبَرِ، ألا ذاكرٌ بيتَ الترابِ والمَدَر.

تَنَبَّـهْ فـإنَّ الـدَّهْـرَ ذو فَجَعَـاتِ وشَمْـلُ جميـعٍ صـائـرٌ لِشَتـاتِ
نُخَلِّـفُ مـامـولاتِنـا وكـأننـا نسيـرُ إليهـا لا إلـى الغَمَـراتِ(١)
هل المرءُ في الدُّنيا الدنيّةِ ناظِرٌ سـوى فَقْـدِ حِـبٍّ أو لقـاءِ ممـاتِ
وما حركـاتُ الدَّهْـرِ في كـلِّ طَرْفَةٍ بـلاهيـةٍ عـن هـذه الحـركـاتِ
سَيُسْقى بنو الدُّنيا كؤوسَ حتوفِهم(٢) إلـى أنْ ينـامـوا لا منـامَ سُبـاتِ
وما فوجِئَتْ نفسٌ بِبَلْوى وقد رأتْ عِظـاتٍ مـن الأيـامِ بعـدَ عِظـاتِ
إذا بغَتَـتْ أشيـاءُ قـد كـانَ مثلُهـا قـديمـاً فـلا تَعْتَـدَّهـا بَغَتَـاتِ
وأعقـبْ مـن النَّـومِ التَّنبـهَ راشـداً فـلا بـدَّ للنُّـوَّام مـن يقظـاتِ

يا مَنْ يجولُ في المعاصي قلبُه وهمُّهُ! يا معتقداً صحّتَه فيما هو سَقَمُه! يا مَنْ كلّما طال عمرُه زادَ إثمُه! أين لذةُ الهوى؟ رَحَلَ المطعومُ وطعمُه، يا من سيجمعُه اللّحدُ عن قريبٍ ويَضمُّه، كيف يُوعظُ من لا يعِظُه عقلُه ولا فَهمه؟! كيف يُوقَظ مَنْ قد نامَ قلبُه لا عينُه ولا جِسْمُه؟!.

ويحَكَ! تداركْ أمرَكَ قبلَ الفَوْتِ، أتنفعُ الاستغاثةُ والسمُّ قد وَصَلَ إلى القلبِ؟! إنَّ الدِّرْياقَ(٣) يَصْلُحُ قبلَ اللسعِ، ومذهبُ ابن سُريجٍ يُستعمَلُ قبلَ الطَّلاقِ(٤).

---

(١) الغمرات: الشدائد: كناية عن شدائد الموت.

(٢) حتوفهم: جمع حتف، وهو الموت.

(٣) الدرياق: دواء السموم، (فارسيٌّ معرب).

(٤) مذهب ابن سُريج: يشير إلى مذهب ابن سُريج في المسألة المشهورة بالسُّريجية، وصورتها أن يقول الزوج لزوجته: «متى طلقتُكِ فأنتِ طالقٌ قبله ثلاثاً، فطلقها» فمذهبُه=

لِمَ أحدُّثُ والقلبُ غائبٌ؟! لِمَ أُعاتِبُ والفكرُ ذاهلٌ؟! وا أسفا من ضربِ الخراجِ[1] على بلدِ خرابٍ.

ويحك! أجمادٌ أنتَ أم حيوان؟! هذا الفهدُ على خساسةِ خُلقِهِ يُصَادُ بالصوتِ الحسنِ، ومتى وثبَ على الصيدِ ثلاثَ مراتٍ ولم يدركه، غضب على نفسه، كم قد وثبْتَ على هوالكَ مرةً فلم تقدر عليه، فأينَ غضبُك على التقصيرِ؟! هيهاتَ، ليس عند الطاووس إلا حُسن الصورة، تُفيقُ في المجلسِ لحظةً، ثم تذكر الشهوات فيُغمى عليك، وإنَّ الغرابَ إذا سَكِرَ بشَراب الجرْصِ تَنَقَّلَ بالجيفِ، فإذا صحا من خُماره نَدَبَ على الطَّلَلِ[2]، لما عزَّت نفسُ البيغاءِ زاحَمَتِ الآدميين في النطق، وهي تتناول بكفِّها مِنْ جِنسِ مَطاعِمهم.

وا عجباً لبهيم يتشبّه بالناس، ولإنسانٍ يتشبّه ببهيم، كلُّ هذا سببه الهمّة[3]، لا يطمعَنَّ البطالُ[4] في منازِلِ الأبطالِ، إنَّ لذّةَ الراحةِ لا تُتَناول بالراحةِ[5]، من زرع حصد، ومن جَدَّ وجد.

(لأبي فراس):

وكيفَ يُنالُ المجدُ والجسمُ وادعٌ[6] وكيف يُحازُ الحمدُ والوَفْرُ[7] وافِرُ[8]

= عدم وقوع الطلاق المعلّق ولا المنجز، وقد ذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى في (منهاج الطالبين) ثلاثةَ أقوال: وقوع المنجز فقط، وقيل: ثلاث، وقيل: لا شيء. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا يجوزُ التقليدُ في عدم الوقوع. وقال ابن الصباغ: وددتُ لو مُحيتْ هذه المسألة، وابن سريج بريءٌ مما نُسِبَ إليه. انظر: مغني المحتاج شرح المنهاج، للخطيب الشربيني: ٣/ ٣٢٤.

(١) الخراج: ما تفرضه الدولة على الأرض المفتوحة غلة يؤدونها مع إقرار أهلها عليها.

(٢) التنقل: أكل النُّقْل، والنقل: المكسّرات. خُماره: سكره. ندب: يقال: ندب الميت: بكى عليه وعدّد محاسنه. الطلل: بقايا الديار.

(٣) الهمة: العزم القوي.

(٤) البطّال: المتعطّل عن العمل.

(٥) الراحة: ضد التعب.

(٦) وادع: أي ذو دَعَةٍ وراحة، أي: مستريح.

(٧) الوَفر: المال الكثير.

(٨) وافر: مخزون، مدّخر موفّر، والموفور: التام.

أيُّ مطلوب نِيْلَ مِنْ غيرِ مشقّةٍ؟! وأيُّ مرغوبٍ لم تَبْعُدْ على مؤثِرِهِ الشَّفقة؟! المالُ لا يَحصلُ إلا بالتَّعبِ، والعلمُ لا يُدرَكُ إلا بالنَّصَبِ[1]، واسمُ الجوادِ لا يناله بخيلٌ، ولقبُ الشجاعِ بعدَ تعبٍ طويلٍ.

(للمتنبي):

لا يُـدرِكُ المجـدَ إلا سيـدٌ فطـنٌ ... لِمـا يَشُـقُّ علـى السـاداتِ فَعّـالُ

لـولا المشقّـةُ سـادَ النّـاسُ كلُّهُـمُ ... الجـودُ يُفْقِـرُ والإقـدامُ قَتّـالُ

يا أعجميَّ الفهمِ! متى تَفْهمُ؟ يا فَرِحاً بلذّةِ عُقباها جهنّمُ! ستدري متى تبكي ومتى تندم؛ إذا جئـا الخليلُ وتزلـزل ابنُ مريم[2]! يا عاشقَ الدنيا كم ماتَ مُتَيَّمٌ! ما للفلاحِ فيكَ علامةٌ، واللهُ أعلمُ. إنْ كانَ ثَمَّ[3] عُذْرٌ، فقُلْ وتكَلَّمْ.

غابَ الهدهدُ عن سليمانَ ساعةً فتواعدَه[4]، فيا غائباً عَنَّا طولَ عُمُرِه، أما تحذَرُ غضَبَنا؟!.

خالفَ موسى الخضرَ في طريقِ الصحبةِ ثلاثَ مرّات، فحلّ[5] عُقدةَ الوَصْلِ بكفِّ ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨]، أما تخافُ يا مَنْ لم يَقِ لنا قطّ، أنْ نقولَ في بعضِ زلّاتِك: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

أعظم عذابِ أهلِ النارِ جهلُهم بالمعذِّب، لو صحَّتْ معرفتُهم بالمالكِ، لما استعفَوا ﴿يَٰمَٰلِكُ﴾ [الزخرف: ٧٧][6].

وَقَعَ بينهم شخصٌ ليس مِنَ الجنْسِ[7]، كانت في باطنِه ذرةٌ مِنَ المعرفة،

---

(١) النصب: التعب.

(٢) الخليل: أي إبراهيم عليه السلام. وابن مريم: سيدنا عيسى عليه السلام، وذلك عندما يؤتى بجهنّم يومَ القيامة، فتزفر زفرة تجثو لها الأمم في أرض المحشر.

(٣) ثَمَّ: هناك.

(٤) تواعده: هدّده.

(٥) فحلّ: أي حلّ الخضر عليه السلام عقد المصاحبة.

(٦) سورة الزخرف، الآية ٧٧: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾.

(٧) وقع بينهم: أي بين أهل النار. ليس من الجنس: ليس من الكافرين المخلدين.

فكلَّما حمَلَتْ عليه[1] النارُ اتّقاها بِذِرْع «يا حنّانُ يا مَنّانُ»[2] كان موتُه في المعاصي سكْتَةً، فَقُبِرَ في جهنّم، فلمّا تحرّكَ الروحُ في الباطنِ أُخرِج، رأى الأسباب بيدِ المسبِّبِ، فتعلّقَ بالأصلِ.

إخواني! اليومَ رجاؤنا للرحمةِ قويٌّ، فكيف نصنعُ غداً إن ضَعُفَ؟!.

هـذا جَـزَعِـي ومـا خـلا معنـاكُـمُ ... مـا أصنـعُ يـومَ بينِكـم حـاشـاكُـمُ
أقسمْتُ بكم لكـم وحسبي ذاتُـكُـمُ ... لا أذكـرُ غيـرَكـم ولا أنسـاكُـمُ

أزعجتموني بتقلقلكم يا تائبين، أخرجتموني عن الحدّ يا خائفين.

يـا صَبـا نجـدٍ وبـانـاتِ الغَضَـى ... أُرْفُقا بي في التَّثَنّي[3] والهبوبِ[4]

يتقوَّمون بمقالي، ويقومون على حَرِّ المقالي[5]، ويخرجُ عاطِلُ البطالةِ وهو خالي، وأنا أدري ما حالي ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

يـا غـادياً نحـوَ هضـابِ الحِمَـى ... بلِّـغْ رسـومَ الـدارِ مـا عنـدي
كـم لـي بتلـكَ الـدّارِ مِـنْ وِقْفَـةٍ ... أشكـو مِـنَ الهِجْـرانِ والصَّـدِّ

يا ركبَ التوبةِ! إن تزودتم فالتقوى، وإن سرتم إلى اللهِ فاحملوا معكم

---

(١) حملت عليه: أغارت.

(٢) أخرجه أحمد وأبو يعلى من رواية أبي ظلال القسملي عن أنس، وأبو ظلال ضعيف، ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء بلفظ: «إنَّ رجلاً يدخلُ النارَ فيمكث فيها ألفَ سنة ينادي: يا حنّانُ يا مَنّانُ! فيقول الله تعالى لجبريل: اذهب فأتني بعبدي، قال: فيجيء به، فيقفُه على ربه، فيقول الله تعالى: كيف وجدتَ مكانك؟ فيقول: شرُّ مكان، قال: فيقول: رُدّوه إلى مكانِه. قال: فيمشي ويلتفتُ إلى ورائه، فيقول الله عزَّ وجلَّ: إلى أيّ شيء تلفّتَ؟ فيقول: لقد وجوتُ ألّا تعيدني إليها بعد إذا أخرجتني منها! فيقول الله تعالى: اذهبوا به إلى الجنة»، ورواه البيهقي في (الشعب) وضعّفه، وابن أبي الدنيا في كتاب (حُسن الظن بالله).

(٣) التثني: إشارة إلى حركة البان بهبوب الصبا عليه.

(٤) الهبوب: يشير به إلى حركة الصبا.

(٥) المقالي: جمع مقلاة، وهي ما يقلى فيها.

رسالةٌ متلهِّفٍ تحتوي على حسرةِ مُحْصَرٍ[1].

يـا حـاديَ العيـسِ تـرفَّـقْ واستمعْ ... منـي وبلِّـغْ إنْ وصلْـتَ عنـي
وَقِـفْ بـأكنـافِ الحِجـازِ نـاشـداً ... قلبـي فقـدْ ضـاعَ الغـداةَ منـي
وقـلْ إذا وصلْـتَ نحـو أرضِهِـمْ ... ذاكَ الأسيـرُ مـوثَّـقٌ بـالحُـزْنِ
عَـرِّضْ بـذكري عنـدَهُـمْ عسـاهُـمُ ... إن سمعـوكَ سـائلـوكَ عنِّـي
قل: ذلك المحبوسُ عن قصدِكُم ... معـذَّبُ القلـبِ بكـلِّ فَـنِّ
يقـول: أمَّلْـتُ بـأنْ أزورَكـم ... فـي جملـةِ الـوَفْـدِ فخـابَ ظنِّـي

يا معاشرَ التائبين! بحُرمةِ الصحبةِ لا تنسَوْني غداً، بايعتُكم على المُلكِ فلا تنسَوْا كرامةَ الدَّلالِ، أعوذُ بك يا إلهي أن تجعلَ حَظِّي لفظي، وا أسفي أصف وأُصَفِّي، ويَشربُ غيري.

(للشريف):

فَعِنْدي زفيرٌ ما ترقَّى إلى الحشى ... وعنـدي دمـوعٌ مـا بَلَغْـنَ المـآقيا

وا حسرتا! أأكونُ كالقوسِ دفَعتِ السهمَ فمرَّ ولم تبرخ؟! أأصيرُ كالإبرةِ تكسو غيرَها وهي عُريانةٌ؟! أأُشْبِهُ حالَ الشمعةِ أضاءَتْ غيرَها باحتراقِ نَفسِها؟!.

أتُـرى يـرجـعُ لـي دهـرٌ مضـى ... أتُـرى ينفعنـي قـولـي تُـرى
وَيْـكِ يـا عيـنُ أعينـي فَلَقـي ... إنْ تـوانيْـتُ فـلا ذُقْـتِ الكَـرى

إلهي! أيقظْتَني في الصِّبا، وأقمتَني أدلُّ الخلقَ عليكَ، ومزجْتَ كأسَ نطقي بعذوبة، وجعلْتَني في إخباري معروفاً بالأمانة، فركَنَ إليّ أهلُ المعاملةِ، ولو عَرَفُوا إفلاسي ما عُوملتُ.

إلهي طالَ ما اجتذبْتُ العصاةَ بعد أنْ تهافتوا في النارِ، أفَيَصْدُرُون وأَرِدُ؟!.

سيدي إنْ لم أصلُحْ للرِّضا فالعفوَ العَفْوَ.

* * *

(١) محصَر: الذي حبس عن أداء النسك.

القَصْرُ الحَائِرُ والمُتَسَبِّعُونَ

إخواني! أما يُنبِّهُ على استعدادِ الزادِ سلبُ الآباءِ وأَخْذُ الأجداد؟! أما يُحرِّكُ إلى التيقُّظِ ونفي الرقادِ عكسُ المُشْتَهي وردُّ المرادِ؟!.

(للشريف الرضي)[1]:

لنا كلُّ يومٍ رنَّةٌ خَلْفَ ذاهبٍ ومُسْتَهْلَك بين النَّوى[2] والنوائبِ[3]
ونامَلُ مِنْ وَعْدِ المُنَى غيرَ صادقٍ ونامَنُ مِنْ وَعْدِ الرَّدَى غيرَ كاذِبِ
نُراعُ إذا ما شِبْتُ[4] أخمصُ بَعْضِنا وأقدامُنا ما بَيْنَ شَوْكِ العَقَارِبِ
نَعَمْ إنَّها الدُّنيا سِمَامٌ لِطاعِمٍ وخَوْفٌ لمطلوبٍ وهمٌّ لِطَالِبِ
وإنَّا لنهواها على الغَدْرِ والقِلَى[5] وَنَمْدَحُهَا مع عِلْمِنَا بالمعايِبِ

أيُّ مطمئنٌّ لم يُزْعَج؟! أيُّ قاطنٍ لم يُخرَج؟! فَرَسُ الرَّحيلِ لنا مُسْرَج، وما جرى على الأقرانِ أنموذج.

يا مختالاً في ثوبِ الصِّبا مُعْجَباً بِمُرْطِه[6]، شَرْطُ المقامِ الرَّحيلُ، وقد تقاضَى بشرطِهِ، أما لكَ عبرةٌ في رَفْعِ الزَّمانِ وحَطِّهِ، أما ترى رُقومَ[7] المنايا مكتوبةً بخطِّهِ، أما أَعْرَبَ[8] المسطورُ بشَكْلِ المرضِ ونَقْطِه، هلاَّ تصوَّرَ العاصي

---

(١) من قصيدة قالها يرثي خاله أحمد بن الحسين الناصر، سنة (٣٩١هـ). انظر: ديوان شعره: ١/١٣٦.

(٢) النوى: البعد.

(٣) النوائب: المصائب.

(٤) شِبْتُ: غرزه شوكة: أي دخلت في أخمصه.

(٥) القِلى: البغض.

(٦) مرطه: المرط: كساء من صوف أو خز يؤتزر به.

(٧) رقوم: جمع رقم، وهو النقش.

(٨) أعرب: أفصح وأبان.

ساعةَ إنزالِهِ إلى القبرِ وحَطِّه، أفلا يتذكَّرُ الفتى أخذَ مالِه على رَغْمِه ومِنْ أَصْلِ قرطه.

يا مَنْ قد قاده بلا خِزامةٍ[1]، لو قبلْتَ مشورَةَ العقلِ لم تَتَجَرَّعْ مرَّ (لو) و(لَيْتَ)[2]، قدّرَ أنَّ الزُّلَل يخفى على الخلق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]، صوّر أنّه قد عفا عنك فأين الحياء مما جنيتَهُ؟!.

هبِ البعثَ لم تأتِنَا رُسْلُهُ ... وجامحةُ النارِ لم تُضْرَمِ
أليسَ من الواجبِ المُستَحِقِ ... حياءُ العبادِ مِنَ المُنْعِمِ؟!

أقلُّ نعمِهِ أنْ أَوْسَعَ عَرْصَةَ[3] الوجودِ، لئلا يضيقَ نَفَسُ النَّفْسِ بالحَصْرِ، وأجرى بَحْرَ الهواءِ في جوِّ الفَضاء يُقْتَسَمُ بمكاييلِ الخياشيم، فيَصِلُ بالعَدْلِ إلى ذواتِ الذوات، وا عجباً للغافلينَ عن هذا المنعمِ!.

بماذا استغلوا؟! أجهلاً بوجوده؟! فهو أوضحُ من ضُحى. أم ميلاً إلى الدنيا؟ فهي أغدرُ من تاء بتَمْتام[4]؛ إنْ سَلِمَتْ فَتَنَتْ، وإنْ تَلِفَتْ أهلكت!.

وقعَ نَخلٌ على نيلوْفَرَ[5] منتشرِ الورقِ، فأحبَّ ريحَهُ، فأقامَ، فلمَّا تقبّضَ الورقُ وغاصَ؛ هَلَكَ العاشقُ.

إخواني! إيّاكم والذنوبَ، فإنّها أذلّت عزيزَ ﴿اسْجُدُوا﴾ [البقرة: ٣٤]، وأخرجَتْ مُقْطَعَ ﴿اسْكُنْ﴾ [البقرة: ٣٥]، لولا لطفُ ﴿فَتَلَقَّى﴾ [البقرة: ٣٧] كان العجب، استراحَ آدمُ إلى بعضِ العناقيدِ، فإذا به في العنا[6] قيد.

جاءَ جبريلُ فسلَّم عليه فبكى وبكى جبريل، ثم قال: يا آدمُ! ما يبكيك؟ قال: كيفَ لا أبكي وقد حوّلني ربي من دارِ النعيم إلى دارِ البؤس؟! وا عجباً بمجيء جبريل زاد المريض ألماً.

---

(١) الخزامة: حلقة من الشعر تُجعل في وَتَرةِ أنفِ البعيرِ يُشَدّ بها الزمام.
(٢) (لو، وليت): حرفان للتمني، وهو تعلق القلب بمرغُوب مع تعذر نواله.
(٣) عرصة: كل بقية بين الدور واسعة ليس فيه بناء، جمعها: عراص وعرصات.
(٤) التمتام: من يتعثر لسانُه بالنطق بحرف التاء.
(٥) النيلوفر: نبات ذكي الرائحة.
(٦) العنا: التعب.

آهِ لِبَـــرْقٍ لَمَعَـــا ... مـــاذا بِقَلْبِـــي صَنَعَـــا

أَيْقَـــظَ مِنِّـــي للغـــرا ... مِ مُستهامـــاً مُـــرْجِعا

فَبِـــكَ مِـــنْ إيمـــاضِـــهِ ... أَنْكُـــبُ دَمْعِـــي دُفعـــا

يـــا بَـــرْقُ أمـــا تُـــريني ... للعَنِيْـــعِ مَـــرْضِعَـــا

فخَيِّـــي عَنِّـــي أَرْبُعـــاً[1] ... أَكْـــرِمْ بِهِـــنَّ أربعـــا

يـــا نـــاظـــراً أُقْسِـــمُ مِـــنْ ... بَعْـــدِ النَّـــوى لا هَجَعـــا

كَيْـــفَ مُـــذْ فـــارَقْتُهُـــمْ ... علـــى الـــرُّقـــادِ أَرْبَعـــا

كَـــمْ كَبِـــدٍ قَطَّعهـــا ... بَيْـــنُ الحبيـــبِ قِطَعـــا

حَمَّـــلَ وَجْـــدِي جَلَـــدِي ... أكثـــرَ مِمَّـــا وَسِعـــا

خرجَ آدمُ يؤمُّ الكعبةَ، فلمّا وصلَ طافَ أسبوعاً[2]، فما أتمَّه حتى خاضَ في دموعِه.

دُمـــوعُ عينـــي مُـــذْ جـــدَّ بينُهُـــمُ ... مِثْـــلُ الـدَّوالـي وهـي الـدّوا لـي[3]

فَشَمِتَ به إبليسُ حين نزلَ، وما عَلِمَ أنَّ نزولَه إلى دارِ التعبُّدِ صُعودٌ، كنزولِ الغائصِ خَلْفَ الدُّرِّ صُعود. رأى في بدايتِهِ طِيناً قد صَلْصَل، وبذارٍ قد عَفِن، ونَسِيَ أنَّه ستهتزُّ طاقاتُه في ربيعِ ﴿فَتَلَقَّىٰ﴾ [البقرة: ٣٧].

ويلَكَ يا إبليسُ! ما جرى على آدمَ هو المرادُ من وجودِه «لو لم تذنبوا»[4]، قَدَحٌ أُريدَ كسرُه فَسُلِّمَ إلى مُرتعِشٍ.

(لمهيار):

فلولا غَلِيْلُ الشَّوْقِ أو لَوْعَةُ الأَسَى ... لمـا خُلِقَـتْ لـي أعيـنٌ[5] وجفـونُ

---

(١) أربع: جمع ربع: وهي الدار.

(٢) أسبوعاً: سبعة أشواط.

(٣) الدوالي الأولى: العرائش. والثانية: أي: الدواء المناسب لي.

(٤) رواه الإمام أحمد في (المسند)؛ ومسلم في (صحيحه) في كتاب التوبة بلفظ: «والذي نفسي بيده! لو لم تذنبوا لذهبَ اللهُ بكم، ولجاءَ بقومٍ يذنبونَ فيستغفرون اللهَ فيغفرَ لهم».

(٥) في (ب): أضلع.

لا يهُولنَّكَ قوله: ﴿ اهْبِطُوا مِنْهَا ﴾ [البقرة: ٣٨] فلكَ خَلَقَها، وإنَّما أُخرِجْتَ إلى مزرعةِ المجاهدةِ، فإذا حصدْتَ فَمُدَّ.

إنْ قيلَ لك مرةً: ﴿ اهْبِطْ ﴾ [هود: ٤٨] ففي كلِّ يومٍ تُنادى ألفَ ألفِ مرَّةٍ ﴿ وَأَنَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾ [يونس: ٢٥]، إن أُبعِدْتَ عن الحضرةِ مرَّةً، فزيارَةُ الحبيبِ ما تَنقطعُ «هل من سائل»[1].

الكُرةُ تُلقى من صاحب الصَّوْلجان صولَ جانٍ، ثم هو يطلبُها.

تَرْجُو في المُحبِّ عَتْقَ مَنْ أنتَ له ... إنْ كانَ كذا الحُبُّ فَمَا أعْدَلَهْ
هيهاتَ الحُبُّ يعتريهِ وَلَهْ ... مِن حُكْمِهِ قَضَى عَلَيْهِ وَلَهْ

يا آدمُ! قَدْ ذُقْتَ حلاوةَ الذنبِ، وتطعَّمْتَ مرارةَ الندمِ، فهل وقَّتَ هذه بتلك؟! أين لَذَّاتُكَ إذا نزل الموتُ؟! كيف حسراتُكَ إذا وقَعَ الفوتُ؟!.

ما أسرعَ ما انْقَضَى زمانُ الوَصْلِ ... هَلْ يَرْجِعُ ما مَضَى بِرَدِّ الشَّمْلِ
مَنْ لي بِهِمْ وَهَلْ مفيدٌ مَنْ لي ... يكفُّ ما بي فلا تزدْ في عذلي

يا صبيانَ التوبةِ! اشكروا من نجّاكم بالإنابةِ ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، تذكّروا عظمةَ مَنْ عاهدتُّم ﴿ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل: ٩١].

لا تزدروا أثوابَ الفقرِ فعليها أنوارُ المهابةِ ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [النحل: ٦]، لا يَضْعُبَنَّ على الخيلِ تضميرُها، فستفرحُ به يومَ السِّباق.

إنْ قال لك رُفقاؤكَ: امْشِ معنا ساعةً، فقل: أقعدني الخوفُ.

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (١٧٠ ـ ١٧٢)، والإمام أحمد: ١/ ٣٨٨ و٣/ ٣٤ و٤/ ٢٢، عن أبي سعيد وأبي هريرة بلفظ: «إنَّ الله يمهل حتى إذا ذهبَ ثُلُثُ الليلِ الأوّل نزلَ إلى السماءِ الدنيا فيقول: هل من مستغفرٍ؟ هل من تائبٍ؟ هل من سائلٍ؟ هل من داعٍ؟ حتى ينفجر الفجر».

يـا نَـديمَـيَّ صَحَـا القلـبُ صَحَـا فـاطـرُدَا عَنّـي الصِّبا والمَـرَحـا
شمِّـرا بُـرديَ للسُّـلـكِ ولا تَعْجَبَـا مِـنْ فـاسِـدٍ انْ صَلَحـا
زَجَـرَ الحُلْـمُ فـؤاداً فـازْعَـوَى وَلَحَـا الـدَّهـرُ امرأً فـي مَـنْ لَحَـا

أيها الثائب! قلْ لقلبكَ الراعي في رياضِ الهُدى، احذر مِنْ لفتةٍ إلى خضراءِ دِمَنِ الهوى[1]، فَمَرْعاكَ أطيبُ، وشرابُكَ أعذَبُ ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ﴾ [يوسف: ٣٢]، نسيمُ الريحِ يقوّي الروحَ ما لم يختلط به بخارٌ رَدِيء، كذلك كلامُ المذكّرين، إذا سَلِمَ مِنْ بدعةٍ كان فوتاً للنفس، وإنْ مازجهُ هـوًى، هوى[2] بصاحبه إلى العلل.

كلامي نهرٌ يأخذُ من بحر الكتاب والسُّنّة، صافٍ ما تغيَّرَ قطُّ، فلا أحتاجُ أن أُكرى[3]، يَسقي قلوبكم سَيْحاً بلا كَلَف[4]، وقد قنع من الخراج[5] بالدّعاءِ، هل في مجلسي نقصٌ فيقال: لو أنّه؟ أو عيبٌ إلاّ أنّه؟ أوَ رأيتم مثله فيقال: كأنّه؟ أو لو كانَ أعجمي ولكنه[6].

أَبِلُغُ بلفظي منزلَ المعنى وما طالَ سَفْرُ العبارةِ.

المعاني واسعةُ الفيافي، والألفاظُ ضيّقةُ العراص[7]، وما يقدرُ على حَشْو العَرْصة فوق ما تَسَعُ إلا مهندسٌ. لاَنْ هذه المعاني لِطافٌ، فأيُّ سِلْكٍ فَهْمٍ دقَّ انتظمَتْ فيه، وإنّما يُنْظَمُ اللؤلؤُ في خيطٍ لا في حَبْل.

كلامي ثوبٌ فُصِّلَ على قَدْرِ أسماعِكم، فهو لا يصلحُ إلا لكم، لا تنكروا

---

(١) خضراء الدمن: ما ينبت على المزابل من أعشاب.
(٢) هوى: سقط.
(٣) أكرى: كرى النهر: عزّله من الأوحال والأوساخ.
(٤) سيحاً: الماء الجاري. بلا كلف: بلا مشقة.
(٥) الخراج: أجرة الأرض ببعض غلتها يؤديها الفلاحون من النبط الذين أقروا عليها.
(٦) لَكْنه: لكِنّ كفَرِحَ لَكَناً، فهو أَلْكَنُ: لا يُقيمُ العربيةَ لِعُجْمَة لسانه، أو «ولكنّه» استدراك، أي: ولكنّه عربي.
(٧) العراص: جمع عرصة؛ وهي البقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

مدحي لأهل بغداد فَهُمُ فُهُم[1]، ألهذا البلد بَدَل؟! إذا مرضَتِ الأفهامُ السليمةُ من وباءِ طعام العباراتِ الركيكةِ عَمِلَ لفظي في شفائها، ولا رُقَى[2] الهندِ، كَلِمٌ تُداوي كلَّ كَلِم، ظُلَم قياسُها بِعُذوبةِ الظُّلم[3].

جَـــوَاهِـــرُ كلُّهـــا يُتَـــمٌ ... تُـــوْجَـــدُ مفقـــودةَ المثـــالِ
تجنَّـــبَ الغـــائصـــون عنهـــا ... عَجْـزاً وجـاشَـتْ بحـارُهـا[4] لـي

* * *

(١) فَهُمُ فُهُم: أي هم الناس الأكياس.
(٢) رقى: جمع رقية.
(٣) الظُّلم: ماء الأسنان وبريقها.
(٤) جاشَتْ: جاش الماءُ جيشاً: تدفّق وجرى، وجاش البحر: هاج فلم يُستطع ركوبه.

القصل الثاني والتسعون

يا دارَ الأحبابِ أقْوى[1] جديدُها، أين أسودُها؟! أم أينَ غِيدُها[2]؟! أينَ ظباءُ الهوى مَرَتْ؟! ومن يصيدُها؟! تساوَى في القبورِ مواليها وعبيدُها.

قفْ يا حبيبي بالرسوم، وانظر نَسْخَ النسيمِ بالسَّموم[3]، وتبديلَ الأفراحِ بالغموم، هيهاتَ إنَّ الدُّنيا لا تدومُ، إنَّها على قَتْلِكَ تَحوم، إيثارُ مثلِ هذه لَوْم.

(للخفاجي):

سَلْ بِغَمْدانَ[4] أينَ ساكنُه سَيْفُ ... وَقُلْ لنُعمانَ[5] أينَ أينَ السَّدِيرُ[6]

أيُّها الظاعنونَ لا زالَ للغَيْثِ ... رواحٌ عليكمُ وبكورُ

قد رأينا ديارَكُمْ وعليها ... أثَرٌ مِنْ عِفائِكُم[7] مَهْجُورُ

وسألنا أطلالَكُمْ فَأجَابَتْ ... وَبِنَ الصَّمتِ وَاعِظٌ ونَذِيرُ

عَجَباً كيفَ لم تَمُتْ في مغانيها[8] ... أسًى ما القلوبُ إلا صخورُ

يا ديارَ الأحبابِ غَيْرَكِ الدَّهرُ ... وكانتْ بعدَ الأمورِ أمورُ

أيُّها الباكي على أقاربه الأموات، ابكِ على نفسِكَ، فالماضي قد فاتَ، وتأهَّبْ لنزولِ البلايا، وحلولِ الآفاتِ، وتذكَّرْ قولَ من إذا ذَكَرَكَ قال: مات،

---

(١) أقوى: خلا.

(٢) غيدها: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة.

(٣) نسخ: أزال. النسيم: الريح الطيبة اللينة. السَّموم: الريح الحارة.

(٤) غمدان: حصن في اليمن، معروف. وسيف: هو سيف بن ذي يزن ملك اليمن.

(٥) نعمان: أي نعمان بن المنذر بن ماء السماء.

(٦) السدير: قصرٌ قريب من الخورنق، اتخذه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم (معجم البلدان: ٣/ ٢٠١).

(٧) عفائكم: العفاء: ما كثُر ووطال من الشعر والوبر والريش.

(٨) مغانيها: جمع مغنى، وهو المنزل الذي غَنِيَ به أهله.

كأنَّكَ بما أتى الماضين[1] قد أتاك، ولقد صاحَ بك نذيرُهم: أنتَ غداً كذاك، وليُخْرِسَنَّ الموتُ بسطوتِه فاكَ إذا وَافاك[2]، إنَّما اليومُ لهذا وغداً لذاكَ، تُرِيْ على قبرِ:

أنـا فـي القبـرِ وحيـدٌ ... قـد تَبَـرَّا الأهـلُ مِنِّـي
أَسْلَمُـونـي بِـذُنُـوبـي ... خِبْـتُ إنْ لـم تَعْـفُ عَنِّـي

يا هذا! لاحَتِ الغايةُ[3] عين الشَّيْبِ فَصِحْ بخَيْلِ البِدَارِ، مرحلةُ الشَّيبِ تحطُّ على شفير القبر «وقد أنجد من رأى حضناه»[4]، أتحمِلُ مشاقَّ السَّفَرِ مِنْ وراءِ النَّهرِ، وتخاطِرُ بالوقْفَةِ من نخلة؟!.

يـا هذا! إذا ركبْتَ مركبَ الهوى، فاجعل ناتاتيَ[5] المركبِ لمحاسبةِ النفسِ، فإنَّه يَشَمُّ كلَّ يومٍ ريحَ ثَرى الأرضِ، فيعلَمُ هَلْ هو على خطأ أو صواب؟ ومتى لم يعرِفِ الطَّريقَ صدَمَهُ حجرٌ فغَرِق.

يا مَنْ يُحَدِّثُ وكأنَّه ما يسمَعُ، متى لم يُنْصِتْ سمعُ القلبِ ضاعَ الحديثُ، أتُرى ينْطَبِعُ في شَمْعِ سَمْعِك من هذا حرف، تحضرون المجلسَ فُرْجةً! وتجعلون رجاءَ النَّفْعِ حُجَّةً، ولا تسلكونَ إلى العملِ مَحَجَّة[6] ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ [يوسف: ٥٣].

وا عجباً! تَجْتَمِعُ العزائمُ في المجلسِ اجتماعَ الثُّريا[7]، فإذا خرجنا صارتْ

---

(١) ما أتى الماضين: كناية عن الموت.
(٢) فاك إذا وافاك: أي فمك إذا جاءك الموتُ أخْرِس.
(٣) الغاية: نهاية الشوط، إشارةٌ إلى نهاية طريق الحياة.
(٤) في كتاب: مجمع الأمثال، للميداني، برقم (٤٢١٢) تمثَّلُ يُضْرَبُ في الدليلِ على الشيءِ: أي: قد ظهرَ حصولُ المرادِ وقربُه، و(أنجد): بلغَ نجداً من رأى (حضناً)، وحضناً: اسمُ جبلٍ، وعليه وجَّه الفارسي روايةَ مَنْ روى قولَ الأعشى:
نَبِـيٌّ يَـرى مـا لا تَـرونَ وذِكْـرُهُ ... أغـارَ لَـعَـمْـرِي فـي الـبِـلادِ وأَنْـجَـدَا
(٥) ناتاني: أي النوتي، وهو الملاح الذي يديرُ السفينةَ في البحر، جمعه: نواتي.
(٦) محجة: طريقاً.
(٧) الثريا: نجم سمي بذلك لكثرة أنجمه مع صغر منظره.

كبناتِ نَعْش[1]، لو تَأمّلتمُ عَيْبَ الدُّنيا لهان طلاقُها:

سـرورُ الـدَّهـرِ مقـرونٌ بِحُـزْنٍ فكُـنْ مِنْـهُ على حَـذَرٍ شَـدِيْـدِ
ففـي يُمْنـاهُ تـاجٌ مِـنْ نُضـارٍ[2] وفـي يُسْـرَاهُ قَيْـدٌ مِـنْ حـديـدِ

آهٍ للدنيا! مَلَكتِ القلبَ حين مُلِكَتْ، وأبْقَتِ الهَمَّ ثم أبِقَتْ[3].

(للشريف الرضي):

تـزودْنَ مِنّـا كـلَّ قَلْـبٍ ومُهْجـةٍ ورَوَّدْنَنَـا للـوجْـدِ عَضَّ الأبـاهِـمِ[4]

كَمْ تألّقَتْ بحلوِ مَذَاقِها، ثم أتْلَفَتْ بمُرِّ فِراقِها.

(للشريف الرضي):

فليـتَ عهْـدكَ إذْ لـم يَبْـقَ لـي أبـداً لـم يَبْـقِ عنـدي عقابيلاً[5] مِنَ السَّـقَمِ

لما كان الصانعُ غائباً عن الإحساسِ[6] سطَّرتْ قدرتُه في ألواحِ التكوينِ عجائبَ الكائنات، ثم وُضِعَتِ الألواحُ في حجورِ[7] العقولِ، ليقرأها أذهانُ أطفالِ الطباعِ، فإذا حَذَقَ[8] الصبيانُ، وحُفِظَ المكتوبُ محا السطورَ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير].

إخواني! عيونُ يقينِكم رَمِدةٌ[9]، والفكرُ تبريد[10]، مَنْ أيقنَ بالموتِ كيفَ

---

(١) بنات نعش: سبعةُ كواكب تشاهَدُ جهةَ القطب الشمالي، شُبِّهَت بحملةِ النعشِ، أي سرير الميت.

(٢) النُّضار: الذهب.

(٣) أبْقَتْ: تركت. وأبِقَتْ: هربت.

(٤) الأباهم: جمع إبهام، وهي الإصبع الخامسة الغليظة.

(٥) عقابيل: جمع عُقبول: بقية العلة والمرض.

(٦) أي: لا تدركه الحواس.

(٧) حُجور: جمع حِجْر، وهو الكنف والحضن.

(٨) حذق الصبي العمل: إذا مهر فيه.

(٩) رمدة: فيها داء الرمد، يقال: رمدت العين رمداً: هاجت وانتفخت.

(١٠) تبريد: من برد عينه بالبرود كحلها به تكحيلاً.

يفرح؟! من علم قربَ الحسابِ كيف يلهو؟! من عرفَ تقلبَ القلوبِ كيف يأمن؟!.

كان سفيانُ الثوري من شدَّةِ خوفِه يبولُ الدَّمَ، فَحُمِلَ ماؤه إلى الطبيبِ فقال: هذا ماءُ رُهبان، هذا ماءُ رجلٍ قد فتَّتَ الحزنُ كَبِدَهُ.

وحُمِلَ ماءُ سَرِيٍّ إلى الطبيب، فلمَّا نظرَ إليه قال: هذا بولُ عاشقٍ، قال حامله: فصعقتُ وغُشِيَ عليَّ، ثم رجعتُ إلى سريٍّ فأخبرته فقال: قاتله الله ما أبصرَه!.

إذا أنا واجهتُ الصَّبَا عادَ بردُها ... مِنْ حَرِّ أنفاسي عليه لَهِيْبُ
وقد أكثَرَتْ فيَّ الأطباءُ قولَهم ... وما ليَ إلا أنْ أرالَكَ طبيبُ

قيل لبعضِ عُقلاءِ المجانين: لم سُمِّيْتَ مجنوناً؟ قال: لمَّا طالَ حَبْسِي عنه في الدُّنيا صِرْتُ مجنوناً لخوفِ فراقِه:

قلبي بِحُبِّكَ ما يُفيقُ ... وجَفْنُ عينيَ ما يَنامُ
قد طالَ فيكَ الليلُ حتَّى ... ما يُقالُ لَهُ انصرامُ
والنَّجمُ فيهِ راكدٌ ... والفجرُ يمنعُه الظَّلامُ
ليلٌ بغيرِ نهايةٍ ... ولكلِّ مفتاحٍ خِتامُ
في وصلِكَ العيشُ الهنيُّ ... وهجرُكَ الموتُ الزؤامُ[1]

إنْ لم تكن مع القومِ في السَّحَرِ تَلْمَحْ آثارَ الحبيبِ عليهم وقتَ الضحى، ترى في صحائفِ الوجوهِ سطورَ القبولِ بمدادِ[2] الأنوارِ:

وجوه زهاها الحسنُ أن تترفّعا

قال أحدُ الصالحين: لقيتُ غلاماً في الطريق إلى مكةَ فقلتُ له: أما تستوحشُ؟.

فقال: إنَّ الأُنسَ باللهِ قطعَ عَنِّي كلَّ وحشةٍ.

قلتُ: فأين ألقاكَ؟.

---

(١) الزؤام: الموت السريع.

(٢) بمداد: بحبر.

قال: أمّا في الدنيا فلا تُحدِّثْ نفسَكَ بلقائي، وأمّا في الآخرةِ فإنّها مجمَعُ المتقين.

قلتُ: فأينَ أطلبُكَ في الآخرة.

قال: اطْلُبْني في جملةِ الناظرين إلى الله.

قلتُ: وكيف علمتَ؟.

قال: بِغَضِّ طَرْفي عن كلِّ محرَّم، واجتنابي فيهِ كلَّ مُنْكَرٍ ومأثَمٍ، وقد سألتُه أن يجعلَ جنّتي النظرَ إليه. ثم صاح، وأقبل يسعى حتى غاب عن بصري.

(للشريف الرضي)[1]:

وما تلـوَّمَ جسمـي عـن لقـائكـمُ ... إلاَّ وقلبـي إليكـم شيِّـقٌ عَجِـلُ
وكيـفَ يَقْعُـدُ مشتـاقٌ يُحـرِّكُـه ... إليكـمُ الحـافـزانِ الشـوقُ والأمـلُ
فـإنْ نهضتُ فما لي غيركم وَطَرٌ ... وإنْ قعدتُ فما لي غيركُمْ شغُلُ
وكـم تعـرَّضَ لـي الأقـوامُ بَعْـدَكُـمُ ... يستـأذنـونَ على قلبي فما وصلوا

* * *

(١) شعر كتبه إلى الملك بهاء الدولة وضياء الملة. انظر: ديوانه: ٢/ ٢٢٨.

القصار الثلاثون والتسعون

سبحانَ من فاوتَ[1] بينَ القلوب، فمنها ما لا يصلحُ إلا لخدمة الدنيا، ومنها ما لا يصلحُ إلا للتعبّد، ومنها روحاني مشغولٌ بمحبّةِ الخالق.

(للمتنبي):

أروحُ وقدْ ختمتُ على فؤادي ... بحبِّكَ أنْ يَحُلَّ بهِ سواكا
فلو أنّي استطعتُ غَضَضْتُ طرفي ... فلمْ أُبْصِر بِهِ حتّى أراكا
أحبُّكَ لا ببعضي بَلْ بِكُلّي ... وإنْ لم يَبْقَ حُبُّكَ لي جِراكا
ويَقْبحُ من سِواكَ الفِعْلُ عِنْدِي ... فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذاكا
وفي الأحْبابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدٍ ... وآخرُ يَدَّعي مَعَهُ اشْتِراكا
إذا اشتبَكَتْ دُموعٌ في خُدُودٍ ... تبيَّنَ مَنْ بَكَى ممَّنْ تَباكا
فأمّا مَنْ بَكَى فيذوبُ شَوْقاً ... ويَظْلِمُ بالهَوَى مَن قدْ تباكى

النهارُ يزيد في كُرَبِ المُحِبِّ، والليلُ يُرُوحُه السَّحَرُ، روضة نجدية يجدُ فيه المحبُّ ضالَّةَ وَجْدِه، شرابُ المناجاةِ يَرْوي ظمأَ العُشّاقِ.

لو رأيتَ المُحِبَّ في الليلِ يتقلّقلُ، ويناجي حبيبَه ثم يتململُ، وكلّما أزعجَه الشوقُ تحيَّرَ وتَبَلْبَلَ[2]، وما ألذَّ ما يصِفُ حالَه ولا يتعمّل[3]!.

أحبّايَ أمّا جَفْنُ عيني فمَقْروحُ ... وأمّا فؤادِي فهْوَ بالشوقِ مَجْروحُ
يُذكّرُني مرُّ النَّسِيْمِ عهودَكم ... فأزدادُ شوقاً كلّما هبَّتِ الريحُ
أراني إذا ما الليلُ أظلمَ أشرقَتْ ... بقلبيَ مِنْ نارِ الغرامِ مَصَابيحُ

---

(١) فاوت: جعلها متفاوتة متباينة في الاستعداد.
(٢) تبلبل: تفرق وتبدد.
(٣) يتعمل: يتكلف الوصف.

أُصَلِّي بِذِكراكم إذا كُنتُ خالياً ... ألا إنَّ تَـذْكـارَ الأحِبَّـةِ تَسْبِيـحُ
يَشُـحُّ فـؤادِي أنْ يخـامِـرَ سِـرَّهُ ... سِوَاكم وبَعْضُ الشُّحِّ في المرءِ ممدوحُ

لو لبس أحدُ المحبين حُلَّةً، عُلِمَ أنَّه من الزهّاد «كيف يُخفي الليلُ بدراً طالعاً»، كَمْ بالغوا في كتم الحال، وسترُ الحبِّ مُحال:

أُسـائِـلُ عَمَّـنْ لا أُرِيـدُ وإنَّمـا ... أريـدُكُـمُ مـن بينهـم بسـؤالـي
فيعثُـرُ مـا بيـنَ الكـلامِ ورَجْعِـهِ ... لسـاني بِكُـمْ حتّـى يَتـمَّ[1] بحـالـي
وأطوي على ما تعلمونَ جَوَانحي ... وأُظْهِـرُ للعُـذّالِ أنّـيَ سَـالٍ[2]

كلَّما قَوِيَ حاملُ المحبّة، زِيْدَ في حِمْلِه «نحن معاشر الأنبياءِ أشدُّ الناسِ بلاءً ثمّ الأمثلُ فالأمثل»[3]، فَوراناُ قِدْرِ القلبِ من قَدْرِ شدَّةِ الإيقاد.

كان يُسْمَعُ لصدر الخليلِ[4] أزيزٌ من بعيدٍ خوفاً مِنَ اللهِ تعالى، وكذلك نبيّنا ﷺ يصلّي ولجوْفِهِ أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ من البكاء[5]، كان الوحيُ إذا نزلَ عليه، وهو على ناقتِهِ أثَّرَ فيها، فربّما وَتِدَتْ بيدَيها في الأرضِ، وربّما بَرَكَتْ لِثِقَلِ الوحي[6].

---

(١) يتم: يكشف.
(٢) جوانحي: ضلوعي. سالٍ: مِنْ سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.
(٣) رواه الترمذي: ٢/ ٦٤ وقال: حسن صحيح؛ وابن ماجه رقم (٤٠٢٣)؛ والدارمي: ٢/ ٣٢٠؛ والطحاوي: ٣/ ٦١؛ وابن حبان برقم (٦٩٩)؛ والحاكم: ١/ ٤٠، ١٣١؛ وأحمد: ١/ ١٧٢، ١٧٤ ولفظه: «أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثل فالأمثل».
(٤) الخليل: هو سيدنا إبراهيم ﷺ.
(٥) أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي في (الشمائل) من حديث عبد الله بن الشّخّير، وصححه النووي.
(٦) روى الإمام أحمد في (المسند): ٦/ ١١٨، وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه عن عائشة: أنها قالت: إنْ كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرّانها (أي: بصدرها) فما تستطيعُ أن تتحرّكَ حتى يُسرَّى عنه. وتَلَتْ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]. وروى ابن سعد في (الطبقات): ١/ ١٩٧، عن أبي أروى الدوسي رضي الله عنه قال: رأيتُ الوحيَ ينزلُ على رسول الله ﷺ وإنَّه على راحلته، فترغو وتفتل يدَيْها حتى أظنَّ أنَّ ذراعها تنقصم، =

(للشريف الرضي):

أَحَنَّتْ بنارٍ في ضلوعي فأصبحَتْ ... يَخُبُّ بها حَرُّ الغرام ويُوْضِعُ[1]
تَجنَّبَ إلا أنَّ بي لا بِكِ الهوى ... ولِيْ لا لكِ الإلفُ الخليطُ المُوَدَّعُ
وباتتْ تشكّى تحت رَحْلي ضامراً ... كلانا إذن يا ناقُ نِضْوٌ[2] مُفجَّعُ

انماعت[3] قلوبهم بالخوف، فهابتهم الجوامد، «فالحجرُ يسلّمُ على الرسول ﷺ»[4]، والسكينُ لا تعملُ في الذبيح[5].

ما لك أيتها المُدية وعادتُكِ القطعُ؟!.

قالتْ بلسانِ الحالِ: أخواتي تَحُزُّ رِقَاب الكفّارِ، وأنا قد ابتُليتُ بقَطْعِ عُنُقِ إسماعيلَ، فقد وقفتُ مدهوشةً بالبلوى فعندي شُغْلٌ.

قطعُ يدِ زليخى يجوزُ، فأما يدُ يوسُفَ فمُشكِلٌ.

أتُراك تحلو لك عبارَاتي؟ أوَتنفَهَمُ إشارتي؟ كيف أجلو عليك عرائسَ المحبة ولستَ كُفؤاً؟ وإنّما يحلُّ النظرُ لمن يعْقِد، أقلُّ أحوالِ القوم رفضُ الهوى وهذا كالمستحيل عندك، كانوا إذا ابتُلُوا صبروا، ثم صاروا إذا ابتُلوا شكَروا، ثم رأَوْا في البِلا[6] المُبْتلي فسَكِروا، أين الذين أصفهم؟ مرّوا وعبروا.

= فربّما بَرَكَتْ، وربّما قامت موتدةً يَدَيها حتى يُسَرّى عنه من ثِقَلِ الوحي، وإنّه ليتحدّرُ منه مثل الجُمان. ورووى الإمام أحمد في (المسند): ٦/ ٤٥٥؛ والطبراني وابن كثير في السيرة: ١/ ٤٢٤، عن أسماء بنت يزيدَ: كنتُ آخذةً بزمام ناقةِ رسول الله ﷺ حين أُنزِلَتْ عليه سورة المائدة، فكاد ينكسر عضُدُها من ثِقَلِ السورة.

(١) يخب ويوضع: الخب والإيضاع ضربان من السير.

(٢) النضو: البعير المهزول. يا ناقُ: نداء من يا ناقة، وهذا على لغة من لا ينتظر، لو قلت: يا ناقٌ، لكان على لغة من ينتظر.

(٣) انماعت: ذابت.

(٤) روى الإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٨٩، ٩٥، ١٠٥؛ ومسلم في كتاب الفضائل حديث رقم (٢)؛ والترمذي عن جابر بن سمرة، قال ﷺ: «إني لأعرفُ حجراً بمكة كان يسلّمُ عَلَيَّ قبل أن أُبعث».

(٥) أي: إسماعيل عليه السلام.

(٦) البلا: البلوى والبلاء.

لِيسَ بالصَّبِّ مَنْ يُحَرِّكُ بالشَّكوى ... لساناً ويودِعُ الدَّمْعَ خدَّا[1]

أيُّها الوامِقُ الذي جعلَ الكتمانَ ... بينَ الوُشَاةِ والحِبِّ سدَّا[2]

صاحِ لولا صَوْنيَ الغرامَ لأجريتُ ... دموعاً تُوفي على البَحْرِ مَدَّا

قل لحيٍّ على اللوى والكثيب الفَرْدِ ... جادَ الحَيا الكثيبَ الفَرْدا[3]

قَدْ وَقَفْنا مِنْ بَعْدِكُمْ نَسْألُ البانَ ... ضَلالاً عَنْكُم ونشكو الوَجْدا[4]

أين تبغي يا حادِيَ الرَّكبِ أفنيتَ ... المطايا سَيْراً ذَمِيلاً ووَخْدا[5]

قِفْ قليلاً في الرَّبْعِ وارفُقْ فما أبقيتَ ... مِنْهـا إلا عِظَـامـاً وجِلْـدا

فلـدارِ الهَـوَى علينا حقـوقٌ ... إنْ تـركْنا أداءَهـا كـانَ إدَّا[6]

يـا بني الوِدِّ والـوفـاءِ ومـا أسمعُ ... إلا قـولاً وفـاءً ووُدَّا

كَمْ نَقَضْتُم مِنْ غيرِ جُرْمٍ عهوداً ... ما نَقَضْنا منها على الرَّمْلِ عهدا

كم أنشُرُ بزّاً[7] المحبّة ولا أرى إلاَّ مُفْلِساً، تَنزَّهُوا في السّلَعِ، فسهْلٌ عليَّ طيُّ المنشورِ، ما أحلى ذكرَ الأحبابِ، ما أطيبَ حديثَ أولي الألبابِ!.

(لصُرَّدُرّ)[8]:

إيهِ أحاديثَ نَعْمانَ[9] وساكِنِه ... إنَّ الحديثَ عن الأحبابِ أسمارُ

أفَتْشُ الرِّيحَ عنكم كلَّما نفحتْ ... من نحوِ أرضِكُمُ نكباءُ معطارُ[10]

---

(١) الصب: المحب، وهو من لذعته حرارةُ الشوق ورقته.

(٢) الوامق: المحب. الوشاة: جمع واشٍ، وهو هنا العذول الذي يفشي السر. الحِبّ: المحبوب.

(٣) اللوى: الملتوي والمنقطع من الرمال. الحيا: الغيث.

(٤) البان: جمع بانة: ضرب من الشجر. الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية.

(٥) ذميلاً ووخداً: الذميل والوخد ضربان من سير الإبل.

(٦) إدّاً: داهية وأمراً فظيعاً.

(٧) بزّ: البزّ الثياب.

(٨) من قصيدة يمدح بها الوزير ابن فسنجس. انظر: الديوان، ص٢٧.

(٩) نعمان: واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات، ويقال له: نَعمان الأراك.

(١٠) نكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين كالصَّبا والشمال. مِعطار: عطرة.

تمكَّنَ الحبُّ من حَبّاتِ[1] قلوبهم، فأخرجَهم إلى الوَلَهِ[2] فلو رأيتموهم لقلتم: مجانين.

قَدْ لَجَّ بيَ الغرامُ حتى قالوا: قَدْ جُنَّ بهم وهكذا البلبالُ[3]
الموتُ إذا رضيتُه سِلْسالُ[4] في مِثلِ هواكَ ترخُصُ الآجالُ

كانت رابعةُ تقول: لقد طالتْ عليَّ الأيامُ والليالي بالشوقِ إلى الله تعالى.

أُمِرتُ عنكَ بصبرٍ ولِينَ لي عنكَ صبرُ
يا آمري بالتسلّي ما لي مَعَ الشَّوْقِ أمرُ

قال الشبليُّ: رأيتُ جاريةً حبشيةً فقلتُ: من أين؟.

قالت: مِنْ عندِ الحبيب.

قلت: وإلى أين؟.

قالت: إلى الحبيب.

قلتُ: ما تريدين من الحبيب؟.

قالت: الحبيب.

وَجْدي بكمو وصَفْوُ وُدّي لكُمُ والقلبُ مذْ نأيتُمُ عندكمُ
عينيَ عَيْنٌ[5] لبُعْدِكُمُ لو شَقُّوا قلبي لما رأوْا غيرَكمُ

* * *

(١) حبات القلوب: سويداء القلوب.
(٢) الوله: ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد.
(٣) لج: تمادى. البلبال: شدة الهم والوسواس.
(٤) سلسال: يقال: ماء سلسال: سهل المرور في الحلق لعذوبته وصفائه.
(٥) عين: أي عين ماء جارية.

الفصل الرابع والتسعون

يا هذا! اشتغلتَ بفنونِ تَعليلِك عن ذكرِ تَخويلك، وستُسْلَبُ من أخيك وخَليلِك، وعلى تَخْيِيطِكَ وتخييلِك.

كـأنَّـكَ بـالمضيِّ إلـى سبيلـكْ ... وقـد جَـدَّ المجهِّـزُ فـي رَحيلِـكْ
وجـيءَ بغـاسـلٍ فـاستعجلـوه ... بقـولِهِـمُ لـهُ افـرغْ مِـنْ غَسيلِـكْ
ولـم تحمِـلْ سِـوى كَفَـنٍ وقُطْـنٍ ... إليهـم مِـنْ كثيـرِكَ أو قليلِـكْ
وقـدْ مَـدَّ الـرِّجـالُ إليـكَ نَعْشـاً ... فـأنـتَ عليـهِ ممـدودٌ بِطُـوْلِـكْ
وصلَّـوْا ثـمَّ إنَّهُـمُ تَـداعَـوْا ... لِحَمْلِكَ في بكورِكَ أو أصيلِكْ[1]
ولمَّـا أسلمـوكَ نـزلْـتَ قبـراً ... ومَـنْ لـكَ بـالسلامةِ في نـزولكْ
أعـانَـكَ يـومَ تـدخلُـهُ رَجيـمٌ ... رؤوفٌ بـالعبـادِ علـى دُخُـولِـكْ
فـسوفَ تجـاوِرُ المـوْتَـى طـويـلاً ... فـدعْنـي مِـنْ قصيْـرِكَ أو طـويلِكْ
أخي إنِّـي نَصَحْتُـكَ فـاستمِعْ لي ... وبـاللهِ اِستعنْـتُ علـى قَبُـوْلِـكْ
ألسْـتَ تـرى المنـايـا كـلَّ يَـوْمٍ ... تصيبُـكَ فـي أخيكَ وفـي خَلِيْلِـكْ

إخواني! ما مِنَ الموتِ بُدٌّ، وبابُ البقاءِ في الدُّنيا قدْ سُدَّ، كَمْ قَدَّ في القبرِ قدْ قُدَّ[2]! كم خدٍّ في الأخدودِ قد خُدَّ[3]! يا مَنْ ذنوبُه لا تُحصَى! إنْ شَكَكْتَ عُدَّ، يا مَنْ أتى بابَ الإنابةِ كاذباً فَرُدَّ.

لقد حَمَّلْتَ على نفسِكَ ما يثقلُها، فحسبُكَ ما قَدْ مَضَى، أتقتُلُها؟! يا طولَ سَفْرَتِهَا! الموتُ أوَّلُها، أين جَزَعُ النفسِ؟ أين تَمَلْمُلُها؟ كأنَّها بالمرَضِ قدْ نزلَ

---

(١) أصيلك: الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب.
(٢) قَدَّ الأولى: القامة. وقُدَّ الثانية: شُق وقطع.
(٣) خَدَّ الأولى: وجنة الوجهِ. خُدَّ الثانية: الشق.

يزلزلُها، وبعثَ إليها رائدَ الأسَفِ يَسْتعْجِلُها، الحذرَ الحذرَ! فقد فوّقَ السِّهامَ[1] مُرسِلُها، الدُّروعَ الدُّروعَ فقد جلا السيوفَ صَيْقلُها.

ما هذه الخصالُ المذمُومةُ؟! أثُؤثِرُ العقولُ لذَّةً مسمومةً؟! ما هذا الحِرْصُ والأرزاقُ مَقْسُومةٌ؟! أنسيتَ يوم تُنْشَرُ الصحفُ المختومةُ؟! أما تَعْلَمُ أنَّها ستَظْهَرُ القبائحُ المكتومةُ؟! يا لها موعظةٌ بين المواعِظِ كالأيام المعلومة، أحسنُ من اللآلئ المنثورة، وأعجبُ من العقودِ المنظومةِ.

العلمُ والعملُ توءمان أمُّهُما علوُّ الهمّة.

أيّها المعلمُ تَبَتَّتْ[2] على المُبْتَدي ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١]، فللعالِمِ رسوخٌ وللمُتعلِّمِ قَلَقٌ.

ويا أيها الطالبُ تواضَعْ في الطَّلَب، فإنَّ الترابَ بَيْنا هو تحتَ الأخمصِ صار طهوراً للوجه، السهرُ مَرْقى إلى أطيب مَرْقِدٍ.

الهُونُ[3] في ظِلِّ الهُوينا كامنٌ وجلالةُ الأخطارِ في الأخطارِ[4]

قلبُ العالم بحرٌ ما لِلُجّتِه قرارٌ، إذا نَزَلَ غواصُ الفكرِ، تَرَقَّى إلى ساحِلِ اللسانِ قدْرَ الممكنِ، مياهُ المعاني مخزونةٌ في صَدْرِ العالِمِ تُفْتَحُ منها لزرعِ قلبِه، سيحاً بعد سَيْحٍ[5]، ويدَّخرُ أصفاها قوتاً للوُضوء، فإذا تكاثَرَتْ عليه صاحَ السيلُ[6].

العالِمُ يَنْفُخُ في صُورِ فيْهِ[7] بعبارة التخويف، فيموتُ هوَى العاصي، ثم ينفخُ في صُورِ التشويقِ، فيُحيي روحَ المعرفةِ، فيَخْرُجُ التائبُ من قَبْرِ غَفْلَتِه في كفنِ يقظتِه، وقد بُدِّلتِ الأرضُ غيرَ الأرض، فيَفْتَحُ له رضوانُ الرِّضا بابَ جَنَّةِ الوَصلِ.

---

(١) فوّق السهام: وضع السهام في القوس ليرميها.
(٢) تبتّت: يقال: تثبت في الأمر: تأنّى ولم يتعجّل.
(٣) الهُون: الخزي. الهوينا: الخفض والدّعة.
(٤) الأخطار الأولى: جمع خطر: الشرف والرفعة. الأخطار الثانية: جمع خطر: الإشراف على الهلاك.
(٥) سيحاً بعد سيح: السيح: الماء الجاري.
(٦) صاح السيل: فاض.
(٧) صور فيه: الصور: القرن، فيه: الفم.

لا تظنوا العالِمَ شخصاً واحداً، العالِم عالَمٌ تصَانيفَ، العالِم أولادُه المخلَّدون دون أولادِه، من خُلِقَ للعلم شَفَّ جَوْهَرُهُ من الصِّغَر، فتراهُ يُثْقِفُ في الجِدِّ بضاعَةَ الشَّبيبة، ويُسابِقِ سائقَ العَجْزِ، يصل الكَدْودُ[1] ليلَه بنهاره، كدُودِ القَزِّ في زمانِ الشِّدَّةِ، فإذا امتلأ وعاءُ قلبه بما وَعَى، نَسَجَ الفَهْمُ في زوايا الذهنِ من المعاني المستنبطة نَسْجَ القَزِّ[2].

فإذا رأى عُرياناً من العلم فأرادَ كِسْوَتَه، بَعثَ الفكرَ، فسلَّ من لطائفِ اللُّطفِ طاقاتٍ، ثم أرسلَها إلى صانِعِ القوَّة، فبالَغَ في تَحْسينها، وتَأنَّقَ في تَلْوينها، ثم يَنْسجُها اللسانُ على مِنْوالِ البلاغة، فتَظْهَرُ رقومُ نقوشِها عَنْ شُدود عُقْدتِها الفِطَن الباطِنَة، فإذا الثوبُ نسيجُ وحْدِه. ومثلُ تلكَ المطارفِ[3] الطرائفِ[4] لا تبتذلُ إلا في عيدِ مجلسِ الذكرِ.

ليسَ كلُّ مَنْ ربّى دودَ القزِّ سلَّالاً[5]. ولا كلُّ قزّاز سقلاطونيّاً[6]. آهٍ من اشتراكِ الأسماءِ، وتلقيبِ القصديرِ بالبيعِ، ليسَ كلُّ مَعْدِنٍ عِرْقَ الذَّهَبِ، ولا في بَطْنِ كلِّ غزالٍ مسكٌ.

ليس مَنْ غاصَ[7] في قرارِ البحرِ حتّى وقعَ بالدُّرِّ اليتيم[8]، كمن قعدَ على الساحلِ يجمعُ الصَّدَفَ.

أمراءُ العباراتِ رعيةٌ لفصاحتي، وَيْكَ[9] إنَّه كَيْلٌ بلا ثمنٍ.

---

(١) الكدود: صيغة مبالغة من الكد: وهي الشدة في العمل.

(٢) القزّ: الحرير.

(٣) المطارف: جمع مِطْرف: رداء من خزٍّ له أعلام.

(٤) الطرائف: جمع طُرْفة، وهي كلُّ مستحدَث عجيب.

(٥) سلالاً: السَّلُّ: نزع الشيء برفق. والسلال: صانعُ السلال.

(٦) قزاز: بائع القز. سقلاطونيّاً: السقلاط: الياسمين أو شيء من صوف تلقيه المرأة على هَوْدَجِها، أو ثياب كتّانٍ موشاة، وكأنّ وشيه خاتم.

(٧) غاص: نزل تحت الماء.

(٨) الدر اليتيم: الدر المتفرد بنفاسته.

(٩) ويك: من وي: اسم فعل مضارع بمعنى أعجب.

سَقْيُ فصاحتي سَيْحٌ، فقد تضاعَفَتْ عَليَّ زكاةُ الشُّكْرِ.

سافرَ لفظي ببضائعِ فكري من أرضِ قلبي إلى باديةِ فمي، فَسَلَّمَ سِلَعَ النُّطْقِ إلى منادي لساني، هيهاتَ، فواهِيةُ الألفاظِ اللذيذةِ في مَذاقِ الأفهامِ السليمةِ ليسَ لها ثمنٌ؛ فهو يَعْرِضُها في موسمِ النُّصْحِ على تُجَّارِ الإرادةِ، فمَنْ منكم يشتري حِكْمَةً بِقَبول؟.

قد يرى علوٌّ مكاني وينسى الدَّرَجَ، كم خُضْتُ بحراً مَلِحاً حتى وقَعْتُ بعَذْبٍ! كَمْ قطعْتُ مَهْمَهاً وَحْدِي حتى سُمِّيتُ بالدَّليلِ! انْضَيْتُ[1] مركَبَ الجسمِ، ورَفَضْتُ شهواتِ الحسِّ، وواصَلْتُ الليلَ بالنّهارِ في الجِدِّ، وأوقدْتُ في دُجى الهوى نارَ الصَّبْرِ، فإن وثَقْتُم بأمانتي فهذا تخييرُ[2] الشراء:

شربتُ لأغلالي رَحِيقاً بسَلْسَالِ ... مِنَ الشاهِقِ العالي على غَيْرِ تَصْرِيدِ[3]

فأصبحْتُ نَشْواناً مِنَ الشُّرْبِ سكراناً ... وأطربُ أحياناً بلا نَغْمةِ العُودِ

وكم جُبْتُ[4] مِنْ وادٍ وسِرْتُ بلا حادٍ ... وبتُّ بلا زادٍ سوى ذكرِ مَعْبودي

* * *

---

(١) انضيت: أهزلت.

(٢) تخيير: هو تخيير أحد المتابعين ليقطع خيار المجلس.

(٣) أغلالي: حرارة العطش. الرحيق: صفوة الخمر. سلسال: العذب الصافي سهل المرور في الحلق. تصريد: تناول الماء جرعات متفرقة.

(٤) جبت: قطعت.

الفصل الخامس والتسعون

كم تُنذِرُ الدُّنيا ولا تَسْمَعُ! وكم تُوْبِسُ مُحبَّها من وصلِها ويَطمَعُ! فالعجبُ مِنْ فَطِنٍ غرَّهُ سرابٌ يَلْمَعُ.

يـأتي على النـاسِ إصباحٌ وإمساءُ ... وكلُّنـا لصـروفِ الـدَّهْـرِ نَسَّـاءُ[1]

خَسِسْتِ يـا دارَ دُنيـانـا وربَّمـا ... يَرْضَى الخسيسةَ أوباشٌ أخِسَّاءُ

إذا تَعَطَّفتِ يـومـاً كنْتِ قـاسيـةً ... وإن نظرتِ بعينِ فَهْيَ شَوْساءُ[2]

وقـد نَطَفْتِ بأصنافِ العظاتِ لنا ... وأنتِ فيما يـراكِ النـاسُ خَرساءُ

أينَ الملـوكُ وأبنـاءُ الملـوكِ ومَـنْ ... كانتْ لهم عِزَّةٌ في المُلكِ قَعْساءُ[3]

نـالوا يسيراً من اللـذّاتِ وارتحلوا ... بِـرَغْمِهِـم فـإذا النَّعمـاءُ بـأسَـاءُ

الدنيا دارُ كَدَرٍ، بذلك جرى القدرُ، فإنْ صَفَا عيشٌ لحظةً نَدَر، ثم عادَ التخليطُ فيذرُ الورودَ فيها كالصَّدَر[4]، ودمُ قتيلها هَدَر[5].

المـرءُ مِـنْ دُنْيـاهُ فـي كَلَـفٍ[6] ... ومـالُـه فيهـا إلـى التَّلَـفِ

ولكـلُّ شـيءٍ فـائـتٌ خَلَـفٌ ... وحيـاتُنـا فـوتٌ بـلا خَلَـفِ

يـا لاحقاً بآبائه وأمهاته! لا بـدَّ أن يصيرَ الطَّلا إلى مهاتِه[7]، يا مَنْ جُلُّ همَّتِهِ شَغْلُ خَيَّاطِهِ وطُهَاتِه[8]، يغلبُه الهوى وهو غالبُ دُهَاتِه[9]، إنْ كان

---

(١) نسَّاء: كثير النسيان.

(٢) شوساء: يقال: شاس فلان: نظر بمؤخر عينه تكبّراً وتغيّظاً.

(٣) قعساء: يقال: عزة قعساء: ممتنعة ثابتة.

(٤) الورود: المجيء للماء. الصَّدَر: الرجوع عن الماء.

(٥) هدر: باطل لا قَوَد فيه.

(٦) الكَلَف: المحبة والولع.

(٧) الطلا: ولد ذوات الظلف، مهاته: مفرد جمعها مها، وهي البقرة الوحشية.

(٨) طهاته: طباخو طعامه.

(٩) دهاته: الرجل الداهية: جيد الرأي بيّن الدَّهاء.

لك عذرٌ في تفريطك فهاتِه.

إخواني! مَرُّ الزمانِ وَعَظَ الألبابَ، ويكفي في الإنْذَارِ مَوْتُ الأصحاب، كم تَرى في التُّرابِ مِنْ أتراب[1]؟ أُغمِدَتْ تلكَ السيوفُ في شَرِّ قِرَاب[2]، تناولتهم يدُ البِلى مِنْ كفِّ اسْتِلاب[3].

ويحك! ضياءُ الدنيا ضباب، وشرابُ الهوى سَراب، أترضى أن يقال: قد خَاب؟ أما لهذا عندكَ جواب؟ كلَّما دخلنا من بابٍ خرجْتَ من باب.

(للشريف الرضي):

أَذْكُرُ تَصَابِ والمشيبُ نِقَابُ ... وغيرُ الغواني للمشيبِ صِحابُ
أَوْمَلُ ما لا يبلغُ العمرُ بعضَه ... كأنَّ الذي بعدَ المشيبِ شبابُ
وطُعْمٌ لبازي الموتِ لا شكَّ مُهْجتي ... أَسَفٌ[4] على رأسي فطار غرابُ[5]
وأثقلُ محمولٍ على العينِ ماؤها ... إذا بانَ[6] أحبابٌ وعزَّ إيابُ

لله درُّ أقوامٍ عَلِمُوا قُرْبَ الرحيلِ، فهيَّؤوا آلة السَّفَر، وهَوَّنُوا بالدنيا، فَقَنَعوا منها بما حَضَر، واستوثَقُوا بقُفْلِ التَّقوى من أذى النطقِ والنَّظَرِ! مالك خيرٌ بحالهم، ولا عِنْدَكَ منهم خبر، قامُوا في الجِدِّ وقَعَدْتَ، وسهروا في الدُّجى ورقَدْتَ، طالما نَصَبُوا[7] في خدمة المالك، وناقشوا أنفسَهم مناقشةَ مماحِك[8]، وآثروا بالزادِ فزادُوا على البرامك، واخْتُبِرُوا بالبِلا كالتِّبرِ عن السابك[9]، هذه طريقُهم فأين السالكُ؟! أترضى بالتأخرِ عنهم؟! هذا برَأْيك، كأنَّكَ بهم وقدْ دَخَلْتَ على

---

(١) أتراب: جمع تِرْب، وهو المماثل في السنّ.
(٢) قِراب: غمد السيف، والمقصود ـ هنا ـ القبر يضم الأجساد.
(٣) استلاب: اختلاس.
(٤) أسف: أسف الطائر: دنا من الأرض في طيرانه.
(٥) غراب: طائر أسود ينعب.
(٦) بان: اختفى.
(٧) نصبوا: تعبوا.
(٨) مماحك: مجادل.
(٩) التبر: الذهب. السابك: الصائغ.

الملأ الملائكةُ: كُلْ يا مَنْ لم يأكل[1]، هذا بذلك.

لما أُريدوا أُفيدوا، لما شُكَروا النِّعَم زِيدُوا، ولو فَتَرُوا عن التعبّدِ قِيدوا.

نام (العلاءُ بنُ زيادٍ) ليلةً عن وِرْدِه فَجُذِبَ في نومه بنَاصيتِهِ وقيل له: قم إلى صلاتِك، فما زالتْ الشَّعراتُ قائمةً باقي حياته ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً ﴾ [الواقعة: ٧٣].

قال أبو سليمان: غلبتني عَيْني، فإذا أنا بالحوراءِ قدْ رَكَضَتْني بِرِجْلِها وهي تقولُ: أَتَرْقُدُ عَيناكَ والمَلَكُ يقظان؟! قال: ونمتُ ليلةً أخرى، وإذا بها توقظُني وتقول: أتنامُ وأنا أُرَبِّي لك في الخُدور منذ خمسمئة عام؟!.

(للنابغة الذبياني)[2]:

أقولُ والنَّجْمُ قدْ مالتْ أَوَاخِرُهُ ... إلى المَغِيبِ تَبَيَّنْ نظرةَ حارِ[3]

أَلمحةً مِنْ سَنا برقٍ رأى بصري ... أَمْ وَجْهُ نُعْمٍ بَدَا لي أم سَنا نارِ

أُثْنِيْتُ نُعْماً على الهِجْرانِ عاتبةً ... سُقْياً ورُعياً لذاكَ العاتبِ الزاري[4]

قلوبُ القوم في الدُّجى قِلَقَة، وأفئدتُهم من الخوفِ مُخْتَرِقة، والنفوسُ من هَجْرِ الحبيب فَرِقَة[5]، وجفونُهم من البكاءِ غَرِقَة، وعروقُ المحبّةِ في سويدائهم عَلِقَة، شفاهُهم بكأسِ المناجاةِ مُصْطَبِحَةٌ مُنْتَبِقَةٌ[6]، والآمالُ إليه كلَّ وقتٍ مُنْطَلِقة، وما عادَتْ قطُّ إلا وهي بالرَّجاء عَبِقَةٌ.

---

(١) ورد أنَّ بِشْراً الحافي رؤي في المنام جالساً على أريكته وملك يطعمه ويقول: كل يا من لم يأكل لأجله. من محاسن الإسلام، لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري، ص٢٠.

(٢) انظر: ديوان النابغة، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٣) حارِ: أصلها حارث، وهو منادى بإسقاط أداة النداء على لغة من ينتظر، و(حارُ) على لغة من لا ينتظر.

(٤) سقياً ورعياً: دعاء بالسقيا والرعاية. الزاري: المتهاون.

(٥) فرِقة: وجلة خائفة.

(٦) مصطبحة منتبقة: الاصطباح: شرب الصَّبوح. والانتباق: شرب النَّبوق في المساء.

قـلْ للمقيمينَ على وادي الحِمَى ... عنّـي إذا أتَيْتَهُـم مُسَلِّمـا

قد صارَ طِيْبُ العيشِ مُذْ فارقْتُكُم ... عَلَيَّ مِـنْ بَعْـدِكُـمُ مُحَـرَّمـا

وكـلُّ شَهْـدٍ ذُقْتُـه فـي وَصْلِكـم ... قـدْ عـادَ مِـنْ بَعْـدِ الفِـراقِ عَلْقما

لا عِـشْ لـي إن غِبْتُـمُ عَـن نَـاظِري ... وإنْ حَضَـرتُـم رُبَّمـا ورُبَّمـا

إنْ سـألـوكَ عـن سقـامٍ قـدْ رَثَـى ... لي فيه أهلُ الأرضِ مَعْ أهلِ السَّمَا

فقـل لهـم مـا يَشْتَكـي مِـنْ سَقَـمٍ ... لأنَّـه يَـذْكُـرُ قِيْـبِ المُسْتَقِمـا

وا حسرةً مَنْ مَضَوْا وخَلَّفُوا، لقد استبدلَ بالعَسَل الخلَّ فُوْه[1]، آهٍ على عيشٍ ولّى ولا عَوْدة، وعلى حادٍ سَرَى ولا وِقْفَة، تَاللهِ لو صارتِ العينُ عيناً[2] ما وَفَتْ.

(لمهيار)[3]:

يـا نَسِـيـمَ سَحَـرٍ بحـاجـرِ ... ردَّتْ بـه عهْـدَ الصِّبـا ريحُ الصَّبَـا

سلْ مَـنْ يدلُّ الناشـدين بالغضا ... علـى الطـريـقِ ويـرُدُّ السَّلَبـا

أرَاجِـعٌ لـي والمنـى هَلهلـةٌ ... أوْ طـالِـعٌ نجـمُ زمـانٍ غَـرَبـا

إذا اطمـأنَّـتْ أضْلُعـي تـذكَّـرَتْ ... نَـوَالَكَ[4] فاهتـزتْ جَـوًى لا طـرَبـا

تَاللهِ ما تُعْشَقُ الأماكنُ لذاتِها، بل لسالِفِ لذّاتها.

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ[5]

للمعاهدِ عهدٌ عند المُعاهَدة، كلَّما تذكَّرَه الصَّبُّ صَبَّ الدموعَ.

(للمتنبي)[6]:

---

(١) بالعسل: بالباء دخلت على المتروك. فوه: فمه.

(٢) عيناً: نبع ماء.

(٣) من قصيدة كتب بها إلى صديقه أبي منصور الحسن بن علي بن مزروع. انظر: ديوان شعره: ١/١٢٠، ١٢٥.

(٤) نوالك: بعدك.

(٥) صدر بيت للمتنبي، وعجزه: أقفرتِ أنتِ وهنّ منكِ أواهلُ.

(٦) من قصيدة قالها عام (٣٤٢هـ). الديوان، ص٣٤٧ـ٣٥٢.

وما شَرَقي بالماءِ إلاَّ تذكُّراً لماءٍ بهِ أهلُ الحبيبِ نُزولُ
وما عِشْتُ مِنْ بعدِ الأحِبَّةِ سُلْوةً ولكنني للنائباتِ حَمُولُ
أمَا في النُّجومِ السائراتِ وغيرِها لعيني على ضوءِ الصَّباحِ دليلُ

أَعْرَفُ الناسِ بالطريقِ مَنْ قَدْ سلك، إذا ذُكِرَتْ منازلُ مكَّةَ حَنَّ الحاجُّ.

(المهيار)[1]:

وإذا هببتُ صَبَا أرضِكُم حمَلَتْ تُربَ الغَضَى بانـاً ورندا
رُدَّ لي يوماً على وادي مِنًى[2] إنْ قضى اللهُ لأمرٍ فاتَ رَدَّا
عَجَباً لي كيفَ أَبْقى بعدَهُمْ غيرَ أنْ قَدْ خُلِقَ الإنسانُ جَلْدا[3]

* * *

(١) من قصيدة كتبها للوزير أبي المعالي يهنئه بالنيروز. انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٣٢ـ ٣٣٦.
(٢) في الديوان: «كاظمة».
(٣) جَلْداً: يقال: جَلدَ جلادة: قوي وصبر.

القصار السادس والتسعون

يا مَنْ قَدْ مَلَكَتْهُ نفسُه، وغلبهُ حسُّه، وقد دنا حَبْسُه، وسَتُكْفَتُ خَمْسُه، ولقد أنذرَه جِنْسُه، عاتِبْ نفسَكَ لعلَّها تَرْعَوي، وسلُمْها إلى رائض العلم عساها تستوي، أَحْضِرْ دستورَ المحاسبة وحاسِبْها، واندُبْها إلى الخيرِ فإن أبَتْ فاندُبْها[1].

(للمصنف):

يا ويحَ نفسٍ رضِيَتْ بالسَّقَمِ ... وفرَّطَتْ في عُمُرٍ مُنْصَرِمِ
تُسَرُّ بالَّلهوِ وتنْسَى حتفَها ... وتُؤْثِرُ البعدَ على التقدُّمِ
وكلَّما أصبَحْتُ أبكي فِعْلَها ... أَضْحَتْ عِناداً ليَ في تَبَسُّمِ
تَفرحُ بالفاني فما تطلبُ ما ... يبقى لها فَمَنْ يكونُ حَكَمي
أقولُ: يا نفسُ اتقي مَنْ لم يَزَلْ ... معروفُهُ يفوقُ وَكْفَ الدِّيَمِ[2]
كم مِنْ ذنوبٍ لكِ قد ستَرَها ... وعادَ بالفَضْلِ وبالتَّكَرُّمِ
وكم له مِنْ نعمةٍ جادَ بها ... وكَمْ وكَمْ أولاكِ طيبَ النَّعَمِ
كم واعظٍ في كلِّ يومٍ زاجرٍ ... وكم نذيرٍ زائرٍ مُسَلِّمِ
وكم يناديكِ لسانُ عِبْرَةٍ ... وأنتِ عن قولِ الهُدى في صَمَمِ
أين الذين شيَّدوا واحتَرَسُوا ... مضى الجميعُ هل تَرَيْ من أثرِ
تبدَّلوا بالتُّرْبِ تُرْباً كلُّهم ... وفُصِّلَتْ أوصالُهم، وحُصِّلَتْ
وباشَروا التُّرابَ بعدَ تَرفٍ ... أعمالُهم، وأصبحوا كالعَدَمِ
وشَرَفٍ وحُجُبٍ وخَدَمِ ... وشَرَفٍ وحُجُبٍ وخَدَمِ

---

(١) اندبها الأولى: ادعها. اندبها الثانية: ابكِ عليها.

(٢) وَكْف: سال وقطر. الديم: جمع ديمة، وهي السحاب الممطر.

وسُـــرُرٍ ودُرَرٍ وطُـــرَفٍ ... وتُحَـفٍ وَصَـوْلَـةٍ وكَـرَمِ
ولَـذَّةٍ فـي شهـوةٍ لَـذيـذةٍ ... وعِـزَّةٍ فـي عَـزْمَـةٍ وهِمَـمِ
لو قيلَ: قولوا ما مُناكُمْ طَلَبُوا ... حياةَ يـومٍ ليتـوبـوا فـاعْلَـمِ
ويحَـكِ يـا نَفْـسُ الا تَبَفَّـظُ ... يَنفعُ قبـلَ انْ تَـزِلَّ قـدمـي
مضى الزَّمـانُ فـي تَـوانٍ وهـوًى ... فاستدركي ما قَدْ بَقِي واغْتَنِمي
انتظري الموتَ سِـاتـي بغتـةً ... وأنـتِ بيـنَ أسَـفٍ ونَـدَمِ
وحُـــرَقٍ وقَـــرَقٍ وحَسْـــرَةٍ ... وفيضِ دمعِ العَيْنِ في تَسَجُّمِ[1]
وترحيلـيَ عـن ديـارٍ أُلِفَـةٍ ... فـانتبهـي مـن رَقَـداتِ النُّـوَمِ
مَنْ لـي إذا نَـزَلْـتُ لحـداً مُظلماً ... هـذا وكـمْ مِـنْ نـازلٍ لـم يَسْلَـمِ
مَنْ لـي إذا قـرأتُ مـا أمْلَيْتُـه ... أقبـحَ مسطـورٍ جـرى بـالقلـمِ
مَنْ لـي إذا أزعـجَ قلبـي حسـرة ... وهـلْ تـرى يُشْفـى بفَـوزِي ألمـي
كيفَ الخلاصُ والكتابُ قد حوى ... كـلَّ فِعَـالـي وجميـعَ كَلِمـي
يـا نَفْـسُ فـازَ الصالحـونَ بـالتُّقى ... فـابْسُرُوا الرُّشْـدَ وقلبي قَـدْ عَمِي
يـا حسنَهـم والليـلُ قـدْ جَنَّهـمُ ... ونـورُهُـم يفـوقُ نـورَ الأنْجُـمِ
تـرنَّمـوا بـالـذِّكْـرِ فـي ليلِهـمُ ... فَعَيْشُهُـمُ قـدْ طـابَ بـالتَّـرَنُّـمِ
قلـوبُهـمْ للـذِّكْـرِ قـدْ تَفَـرَّغَـتْ ... دمـوعُهـم كلـؤلـؤٍ مُنْتَظِـمِ
أسحارُهـم بهـم لـه قـدْ أشْـرَقَـتْ ... وجِلَـعُ الغُفْـرَانِ خيـرُ القِسَـمِ
ساروا وعُـدْتُ عنْ طريقٍ واضحٍ ... دَلَّ علـى الـرُّشْـدِ دليـلُ العَلَـمِ
دعنـيَ أبكـي مـا حَيِيْـتُ أبـداً ... فحُـقَّ لـي أبكـي فـلا تَلُـمِ

يا عجَباً لكَ! تَسَمَّى باسمِ تاجرٍ، وتُخاصِمُ على الدِّرْهَمِ وتُشاجِر، وتُصابِرُ لربحِ القيراطِ الهواجِرَ[2]، وتَغْضَبُ لأجلِ الحَبَّةِ وتُهاجِر[3]، وتَرْضى في أفعالِكَ باسمِ فاجِر، أما لَكَ من عقلِكَ ناهٍ ولا زَاجِر؟! يا مَنْ نَومُه كثيرٌ وانتباهُه نادر! إن

(١) تسجم: مطول.
(٢) الهواجر: جمع هاجرة، والهاجرة: نصف النهار عند زوال الشمس، أي: وقت اشتداد الحر.
(٣) تهاجر: تقاطع.

دُعيتَ إلى التَّوبةِ سَوَّفْتَها، وإنْ قُمْتَ إلى الصلوةِ سَفَفْتَها[1]، وإن لاحَ وجهُ الدُّنيا تَرَشَّفْتَها[2]، أمّا هيَ دارُ بُلْغَةٍ[3] لضَيْفِها تَضيفُنْتَها[4]، أوليسَ قدْ شِبْتَ وما عَرَفْتَها؟! كَمْ باديةٍ في أرياحِ غير بادية تَعسَّفْتَها[5]، لقد استَشْعَرْتَ مَحَبَّتَها إي واللهِ والتَحَفْتَها[6]، تالله لو علمتَ جِناياتِها لِعِفْتَها[7]، أنسيتَ تلكَ الذُّنوبَ التي أسْلَفْتَها، آهِ لبضائعِ عُمُرٍ بذَرْتَ فيها وأتْلَفْتَها، كم تَعِدُ بالإنابةِ؛ وكلُّ الوعودِ أخلفْتَها.

فما تلينُ قناتُكَ لغَامِز[8]، ولا تَرى ما يُشْتَهى فتُجاوِز، ويحك! بين يديك أهوالٌ وَهَزَاهِز[9]، كم تُقَوِّمُ ولا تَستَوي؟! مَنْ يُغيِّرُ الغَرائزَ؟![10].

ابكِ لما بكَ، واندُبْ في شَبِيكَ على شَبَابِكَ، وتَأَهَّبْ لسيفِ المَنونِ فقد عَلَّقَ الشَّبا[11] بِكَ:

قَـدْ كَـانَ عُمْـرُكَ مِيـلاً فَـأَصبَـحَ الجِيْـلُ شِبْـرا
وأصبَـحَ الشِّبْـرُ عُقْـداً فَـاخْفِـرْ لِنَفْسِـكَ قَبْـرا

عجباً للطَّرْفِ كيف اغْتَمَضَ! ولِمُكَلَّفٍ ما أدّى المُفْتَرَضَ، يا مَنْ كلَّما بنى على أن يلوذَ بنا نَقَضَ، يا مَنْ إذا أدّى حقّاً فعلى مَضَضٍ[12]، يا مَنْ إذا لاحَ له صَيْدُ

---

(١) سففتها: يقال: سَفَفْتَ العمل: لم تبالغ في إحكامه.
(٢) ترشفتها: اشتفت ما فيها واستقصيته.
(٣) البلغة: ما يتبلغ به من العيش.
(٤) تضيفتها: نزلْتَ عليها ضيفاً.
(٥) البادية الأولى: الصحراء. غير بادية: غير ظاهرة. تعسفتها: العسف: الأخذ على غير الطريق.
(٦) استشعرت: الشعار: ما يلي البدن من اللباس. التحفتها: جعلتها لحافاً.
(٧) لعفتها: لتركتها كراهية.
(٨) قناتك: رمحك. لغامز: يقال: غمز المثقّف القناةَ: إذا عصّها وعصرها ليختبرها.
(٩) هزاهز: جمع هزعزة: الفتنة يهتز فيها الناس ويُبتلون.
(١٠) يُغير: يبدّل. الغرائز: جمع غريزة: طبيعة الإنسان وشهواته.
(١١) المَنون: الموت. الشبا: جمع شباة، وهي من كل شيء حدُّ طَرَفِه.
(١٢) المضض: الألم والكراهية.

الغاني جَدّ ورَكّض! يا مَنْ إذا قَدِرَ على جيفةِ الهوى جَثَمَ ورَبَضَ! يا مشغولاً عن الجَوْهَرِ بغاني العَرَض، إيثارُ ما يُفْنى أشدُّ العرض:

ألا يـا غـافـلاً تُحْصَـى عليـه ... مـن العَمَـلِ الصغيـرةُ والكبيـره
يُصـاحُ بـه ويُنْـذَرُ كـلَّ يـومٍ ... وقـدْ أنْسَتْـهُ غفلتُـه مَصِيْـرَه
تـأمَّـبُ للـرحيـلِ فقـد تَـدَانـى ... وأنـذَرَكَ الـرحيـلَ أخٌ وَجيـره
وكـم ذنـبٍ أتيـتَ علـى بَصيـره ... وعَيْنُـكَ بـالـذي تـأتـي قَـريـرَه
تحـاذِرُ أنْ تَـراكَ هُنـاكَ عَيْـنٌ ... وإنْ عليـكَ لَلْعَيْـنُ البَصيـره
وكـمْ مِـنْ مَـدْخَـلٍ لـو مُـتَّ فيـهِ ... لكنـتَ بـهِ نكـالاً فـي العشيـره
وُقِيـتَ السـوءَ والمكـروهَ منـهُ ... ورُحْـتَ بِنِعمـةٍ فيـه سَتِيْـرَه

هذا حادي المَمَاتِ قد أسْرَع، هذه سيوفُ المُلِمَّاتِ تقطع، هذه قصورُ الإخوانِ بَلْقع، إنْ وصلَتِ الدُّنيا فعلى نِيَّةِ أن تَقْطَع، وإنْ بَذَلْتَ فعلى عَزْمِ أن تَمْنَع، أفيها حيلةٌ أم في وصْلِها مَطْمَعٌ؟ يا مُمْرِقاً[1] في البلى قل لي: لمَنْ تجمع؟! إذا خَلَوْتَ وتَخَلَّيْتَ فكيفَ تصنع؟! أتُرى: أنتَ عندنا أوْ مَا تَسمَع؟!.

يا محبوساً في سجنِ هَواه متى تَتَخلَّص؟! لو عَرَفْتَنا أنْفَتنا، لنا أحبابٌ لهم ألبابٌ هم اللُّباب[2]، شَغَلهم على الدوامِ المحراب، حاضرون معكم بالأبدانِ وبالقلوب غُيَّابٌ:

وشُغِلْتُ عـن فهـمِ الحديـثِ سِوَى ... مـا كـانَ منـكَ فـإنَّـه شُغُلـي
وأديـمُ نحـوَ محـدِّثـي نَظَـري ... أنـي[3] فَهِمـتُ وعنـدَكَ معقلـي

ما نالَ الصالحونَ ما نَالُوا إلا بِتَرْكِ ما نَطْلُبُه وما نَالوا، كانت هِمَمُهم في طلبِ الفَضائلِ تَغْلي في القلوبِ غليانَ الماءِ في القدور، تخايلَ القومُ لذَّةَ الثواب فَسَهُلَتْ عليهم مراراتُ الصبر، وتَصَوَّرُوا خلودَ الأبدانِ فهانَ عليهم بذلُ النفوسِ،

---

(١) يا ممرقاً: يقال: أمرق فلان: له أصل ممتد في الكرم وغيره.
(٢) ألباب: أي لهم عقول راجحة. اللباب: الخالص من كل شيء.
(٣) في نسخة: أن قد.

جدُّوا في الجِدِّ فما سكنوا حتى سكنوا الجنة[1]، وراحةُ المؤمنِ في الدنيا صفرٌ من راحة[2]، فلو رأيتَهم في رياض الجِنانِ يَسْرَحُون، منطلقين في أغراضِهم يَمْرَحون، لا يدرُون بأيّ مطلوبٍ يفرحون، بالنجاةِ من النيران؟ أم بالخلودِ في الجِنان؟ أم بالخيراتِ الحِسان؟ أم برضا المليكِ الدَّيّان؟ لقد نالوا بالمُرادِ ما لم يكنْ في الحُسْبان، من تَلَمُّحَ جولانَ مُضَمَّرِ الصَّبْرِ في لذيذِ العافية، وفَرحَةَ المُفْطِرِ بعد أنصاب[3] الصوم، وتناول العَذْبِ بعد عذاب الظمأ، وسلامة الغريقِ بعد الإغراقِ في أذَى الأذى، وخلاص التَّجْرِ في مِصْرِ ماصِرِ المُكْسِ[4]، وتلاقي الأحبابِ على بابِ الطَّوْلِ بعد طُول الفراق، رأى من قوةِ قُرَّةِ العين ما لا يدخلُ تحت حدٍّ قياس، بعد أنْ حَدَّقَ ياسٌ، وقد وصَفْنا ما حصلَ للقوم، وجُمْلةُ المبذولِ من الثمن ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤].

قفْ بالمُحَصَّبِ[5] واسألْ أيُّها الرَّجُلُ ... تلْكَ الرسومَ عن الأحبابِ ما فَعَلُوا
فما أُسائِلُ عن آثارِهم أحداً ... إلا أجابَ غُرابُ البَيْنِ: قَدْ رَحَلُوا

* * *

(١) سكنوا الأولى: اطمأنوا. سكنوا الثانية: استقروا.
(٢) صفر من راحة: إشارة إلى استحالة راحة المؤمن في الدنيا.
(٣) أنصاب: جمع نصب، أي: متاعب ومشاق.
(٤) مصر: ناحية ومكان. ماصر: الحبل يلقى في الماء ليمنع السفن من السير حتى يؤدي صاحبها حق السلطان. المكس: الجباية وما يأخذه العشار من الضرائب.
(٥) المحصَّب: موضع رمي الجمار بمنى.

الفصل السابع والتسعون

مَنْ رَكِبَ الهوى هَوَى[1] به، والنفسُ إذا اسْتَمْلَتِ التَّقوى تقوى به[2].

إنْ كنتَ يا صاحِ لبيباً حَازِما ... فكُنْ لأسبابِ الهوى مُراغِمَا[3]
لا تهوَ دنياكَ فإنَّ حُبَّها ... رأسُ الخطايا تُكْبِبُ المآثِما
غدَّارةٌ فكُلُّ مَنْ حَلَبْتَ لهُ ... لا بُدَّ أنْ تُذيقَهُ العَلاقِما[4]
وأنها تَخْدِمُ مَنْ أهانَها ... كما تُهينُ مَنْ أتاها خَادِما
فكُنْ بها مثلَ غريبٍ مُضْلِحِ ... أزوادُهُ على الرحيلِ عازِما
وبادِرِ الأيامَ قبلَ فَوْتِها ... مخاصِماً للنَّفْسِ أو مُسالِما
فإنَّما عُمْرُ الفتى سُوقٌ لَهُ ... يَرُوحُ عنها خاسِراً أو غانِما

يا مَنْ يُخطي[5] على نَفْسِه ويقْترف! متى تندمُ وتعترف؟! يا مَنْ يحُبُّ العاجل قد كُلِفَ[6] ستعلمُ غداً جَفْنَ من يَكِف[7]، يا محبوساً في سِجْنِ الهوى لو ازعوى أنِف[8]، يا متردّداً في التَّوبةِ سارِعْ ولا تقِفْ.

إلى متى أعمالُكَ كلُّها قِباح؟! إلى كم فسادٍ؟! متى يكون الصلاحُ؟! ستفارقُ هذه الأجسادَ الأرواحُ، إما في غَدٍ وإمَّا في رَوَاح، سَيَفْنى هذا المساءُ والصباحُ، وسيخْلُو البلى بالوجوه الصِّباح[9]، أفي هذا شكٌّ والأمرُ صُراح[10]؟! أين

---

(١) هوى: سقط.
(٢) تقوى به: صارت به قوية.
(٣) مراغماً: مغاضباً.
(٤) العلاقم: جمع علقم: الشيء المر.
(٥) يخطي: يقع في الخطيئة والآثام.
(٦) كَلِف: أحب وعلق.
(٧) يكف: يسيل.
(٨) ازعوى: كف وارتدع. أنف: ترفع.
(٩) الصباح: الحسان.
(١٠) صراح: ظاهر بيّن.

شارب الراح[1]؟! راحَ إلى القبرِ تَسْفي[2] عليه الرياح، حلّ للبلى وللدودِ مُباح، لهما اغتباقٌ به ثم اصْطِباح[3]، عليهِ نِطاق من التُّرابِ ووِشاح[4]، عنوانُه لا يزالُ مفهومُه لا بَراح[5]، مشغولٌ عمّنْ بكى عليه وناح، أمَا هذا لنا عن قَليل؟ إنَّا لَوَقاح[6]، كأنَّك بملكِ الموتِ قدْ صَوَّتَ[7] بالروحِ وراح، فنَهَضْتَ للثُّقْلَةِ على غَفْلَةٍ، إما في المساءِ أو في الصَّباح.

لم أدرِ بالبَيْنِ حتى أزمَعُوا ظَعَناً كلُّ الجمالِ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مَزْمُومُ[8]

هذا حادي الرحيلِ قد اسْتَعْجَلَكُم، فالبدارَ البدارَ، ثُلُّوا كسلَكُم، ودَعُوا التواني[9]، فالتواني قد قتلكُم، وا أسفي! سبقَ الصالحون، فماذا شَغَلَكُم ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ [غافر: ٤٤].

ما على حادي المَطَايا لوْ تَرَفَّقْ رَبَّمَا أسكُبُ دَمْعِي ثم أَعْتَقْ[10]
يا فؤاداً كلَّما قُلْتُ خَبَتْ نارُه ألهبَهُ الوَجْدُ فأحْرَقْ[11]
ذلك العيشُ الذي فاتَ به سانقُ الدَّهْرِ فولَّى أين يُلْحَقْ[12]
زالَ إلا خَطْرةً من ذِكْرِهِ كادَ إنسانيْ لها بالدَّمْعِ يَشْرَقْ[13]

---

(١) الراح: الخمر.
(٢) تسفي: من سفت الريح الترابَ: أذرته.
(٣) اغتباق واصطباح: شراب المساء والصباح.
(٤) نطاق: حزام يشدُّ الوسط. ووشاح: نسيج عريض يرصّعُ بالجواهر وتشده المرأة بين عاتِقها وكَشْحِها.
(٥) مفهومه: مضمونه. لا براح: لا زوال.
(٦) وَقاح: من الوقاحة: الاجتراء على اقتراف القبائح.
(٧) صوَّت: صاح.
(٨) مزموم: وضع لها الزمام والخطام تأهّباً للسير.
(٩) البدار: المسارعة. التواني: التباطؤ والتكاسل.
(١٠) حادي المطايا: سائق الإبل. أعتق: العنق: ضرب سريع من السير.
(١١) خبت: سكَنَت. الوجد: المحبة.
(١٢) فات به سائق الدهر: أخذ به الزمان.
(١٣) إنساني: بؤبؤ العين. يشرق: يغص.

يلـذعُ القلـبَ إذا غنَّـى علـى فَنَـنٍ أو نـاحَ قُمْـرِيٌّ مُطـوَّقُ[1]

يـا معدوداً مـع الشَّـيبِ فـي الصِّبْيان! يا محبوساً مع البُصراءِ في المُنْيان! يا واقفاً في الماءِ وهو ظمآن! يا عارفاً بالطريقِ وهو حَيْران! أما وُعِظْتَ بآي القرآن؟! أما زُجِرْتَ بنَاْيِ[2] الأقران؟! أما تعتبرُ بصروفِ[3] الزَّمان؟! أتُعَمِّرُ المنزلَ وعلى الرحيلِ السُّكان؟! أما يكفي وَعْظُ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦]؟!.

تسافرُ ببضائعِ الأمانةِ وما تنزلُ إلاَّ في خانِ مَنْ خَان[4]، أفعالُكَ كلُّها مكتوبةٌ فيا لَيْتَ ما كانَ ما كان[5]، تدفُنُ الميت ولا وَعْظَ كالميان، ثم تعودُ غافلاً يا قُرْبَ ذا النِّسْيان، ويحك! أما تدري أنَّ الهوى هَوَان[6] ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ [يس: ٦٠].

نُـراعُ[7] إذا الجنـائـزُ قـابَلَتْنـا ونسْكُـنُ حيـنَ تَخفـى ذاهبـاتِ

كـرَوْعَـةِ ثُلَّـةٍ لظهـورِ ذِئْـبٍ فلمَّـا غـابَ عـادَتْ راتعـاتِ[8]

يا مُسْتَأْنِساً بظِلٍّ مُتَقَلِّص[9]! يا حريصاً على الهوى، والموتُ عليه يَحْرِصُ! يـا مَنْ إن كانَ مُطَفِّفٌ، وإنْ وزنَ فَمُتَلَصِّصٌ[10]، ما يتخلَّصُ من معامل إلا مَنْ هـو عند اللهِ مخلص، تفكَّر فيمن أصبحَ مسروراً فأمسى وهو متنغِّص[11]،

---

(١) يلذع: يحرق. فنن: غصن. قمري: ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت. مطوق: الحمامة التي في عنقها طوق.

(٢) بنأي: النأي: البعد، وهو كناية عن الموت. الأقران: الأصحاب.

(٣) صروف: نوائب.

(٤) خان الأولى: النزل والفندق. خان الثانية: من الخيانة.

(٥) ما كان الأولى: الذي كان. ما كان الثانية: لم يكن.

(٦) هوان: ذل.

(٧) نراع: نفزع.

(٨) ثلة: جماعة. راتعات: لاعبات لاهيات.

(٩) ظل متقلص: أي ظل منقبض وناقص، وهذا إشارة إلى الدنيا وما فيها.

(١٠) مطفف: منقص من المكيال. متلصص: سارق.

(١١) متنغص: مُنكدّر.

ومتى ازدَدْتَ لـذّةً فاذكر قبلها المُنَغِّص، حاسِبْ نفسَكَ وخُذْ على يدها[1] لا تُرَخِّصْ[2]، حائطُ الباطنِ خَرابٌ فلماذا تُجَصِّص[3]؟!.

يـا بْنَ آدمَ! أنتَ بين ذنبٍ لا تَدْري أَغُفِرَ؟ وحَسَنَةٍ لا تعلَمُ أقُبِلَتْ؟ فأينَ الانزِعـاجُ؟ لمَّا سُيِّرَتْ عن الصالحين العـواقبُ[4]، استراحوا إلى الأحـزان، وفَزِعوا[5] إلى البكاء، كانوا يتزاوَرُون فلا تجري في خلوة الزيارة إلا دموعُ الحذَرِ، كان أشعثُ الحراني يزورُ حبيباً العَجَمِيّ فيبكيان طولَ النهار.

بـاحَـثْ بِسِـرِّي فـي الهـوى أدْمُـعـي ودَلَّـتِ الـوَاشـي علـى مَـوْضِـعـي
يـا قـومِ إن كتَمْـتُ علـى مَـذْهَـبـي فـي الـوَجْـدِ والحـزنِ فنُـوحُـوا معي
يَحِـنُّ لـي أبكـي علـى زلَّـتـي فـلا تلـومُـونـي علـى أدْمُـعـي

إخواني! أتدرونَ ما أقْلَقَ هذا التائبَ؟ أعَلِمْتُم ما أقْدَمَ هذا الغائبَ؟.

سرى نسيمُ الصَّبا من حاجرٍ فَصَبا فباتَ يشكو إلى أنفاسِه الوَصَبا[6]
ما يَبْرَحُ البارقُ والنجديُّ[7] يُذَكِّرُهُ نجـداً ويُلْهِبُـه وَجْـداً إذا التَهَبـا

يَحِقُّ لمن رأى الراحلينَ إلى الحبيبِ وهو قاعدٌ أن يبكي، ولِمَنْ سمعَ بأخبارِ الواصلين وهو متباعدٌ أن يَقْلَق.

أبْصرَ الرَّكْبُ على الجِزْعِ ضُحًى فتـوالَـى دمعُـه مُنْسَفِحـا
يـا خَلِيلَـيَّ بجَـرْعَـاءِ الحِمَـى سَـائـلا مَـنْ حَـلَّ ذاكَ الأبطحا
وخُـذا عنـي أحـاديـثَ الغَضَـا بَخِـلَ الـراوي بهـا أو سَمَحـا

---

(١) خذ على يدها: أي امنعها.
(٢) لا ترخص: لا تأخذ بالرخص.
(٣) تجصص: تطلي بالجص.
(٤) العواقب: خواتم الأعمال.
(٥) فزعوا: لجؤوا.
(٦) نسيم الصبا: ريح مهبّها من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. فصبا: جن واشتاق. الوصب: المرض.
(٧) البارق: سحاب ذو برق. النجدي: من أنجدت السماء: إذا صحت.

وَاسْتَمِلاَّهـا بِـدَمْعـي واكْتُبـا عَـنْ أخي الشـوقِ إذا مـا شَـرَحـا
وإذا هَـبَّ الصَّبـا قـولا لـه: عُـدْ فقـد هيَّجْـتَ قلباً مـا صَحَـا
يـا أُمَيْـلَ الحـيِّ مـن كـاظمـةٍ عـادَ مستـورُ الهـوى مُفْتَضَحَـا

إذا رأيتُم قَلِقاً فارحمُوه، وإذا شاهدتُم باكياً فوافِقوه، وإذا عايَنْتُم واجِداً فاتركوه.

خَلِّنـي مِـنَ العَـذْلِ مـا الفُـؤادُ مِـنْ قِبَلـي
لا تَسَـلْ ففـي كَبِـدي شُعْلَـةٌ مِـنَ الشُّعَـلِ

يا أطفالَ الهوى أين أنتم والرجال؟!.

كَمْ مَنْ حثَّ وما أرى غيرَ بَطَا[1] لوْ حَرَّكْتَ العَزْمَ نحوَنا فَضْلَ خُطا
تَعْصِـي فَصْـداً وتـدَّعيـهِ غلطـا تُصْمي عَمْداً وتَزْعُمُ القتلَ خَطا[2]

يا هذا! إذا هَمَمْتَ بخيرٍ فبادر لئلا تُغْلَب، وإذا هَمَمْتَ بشَرٍّ فَسَوْف هَواك لعلَّكَ تَغْلِب، ثَقِّفْ نفسك[3] بالآدابِ قبل صحبةِ الملوك، فإنَّ سياسةَ الأخلاق مراقي المعالي.

قال بُزُرْجَمْهَر[4]: أخَذْتُ من كلِّ شيءٍ أحسنَ ما فيه، حتى من الكلبِ والهرِّ والغراب.

قيل: ما أخَذْتَ من الكلب؟.

قال: ذبِّه عن حريمِهِ وإلْفِه لأهله.

قيل: ما أخَذْتَ مِنَ الهِرِّ؟.

---

(١) بطا: من التباطو.
(٢) تُصمي: من أصميتُ الصيدَ: إذا رميته فقتلته. خطا: من الخطأ.
(٣) ثقف: هذّب وقوّم.
(٤) بزرجمهر: وزير كسرى أنوشروان، كان حكيماً، ومن أقواله: كن شديداً بعد رفق، لا رفيقاً بعد شدة، لأنَّ الشدةَ بعد الرفق عز، والرفقُ بعد الشدّة ذل. انظر: فيض القدير، رقم (٤٥٢٩ و١٩١).

قال: رفقُها عند المسألة، ولينُ صِيَاحها.

قيلَ: ومن الغراب؟.

قال: شدَّةُ حذَرِه.

لولا سَخَطُ نفسِ أبي بكرٍ عليه لمُفَارقةِ هَوَاهـا، ما نَال مرتَبَةَ «أنـا عنكَ راضٍ»[1].

لولا عُرْيُ أويسٍ ما لبسَ حُلَّةَ «يشفع مثلَ ربيعةَ ومضر»[2].

يا كثيرَ الذنوبِ متى تَقْضِي؟! يا مقيماً وهو في المعنى يَمْضي، اتركِ الهوى محمُوداً قبل أن يترككَ مذموماً، إن فاتَكَ قصباتُ السَّبْقِ في الزهدِ، فلا تفُوتَنَّكَ ساعاتُ الندمِ في التوبة، يا مَنْ كلَّما حُرِّكَ إلى الجِدِّ[3] سوَّف، يا مَنْ شدَّدَ عليه الوعيدُ وما تخوَّف، يا مَريضَ الهوى بل يا مُدْنَفَ[4]، إن كنتَ لا تعرِفُ الدواءَ فالطبيبُ قد عَرَف، هذا مُمْكن النصائح[5] ثم أنتَ بنفسك أعْرف.

* * *

---

(١) رواه ابن حبان والعُقيلي في كتاب (الضعفاء)، وقال الذهبي في (الميزان): هو كذب، وذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، باب فضل الألفة والأخوة.

(٢) عن أبي برزة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من أمّتي لمن يشفعُ لأكثرَ من ربيعة ومضر» رواه الإمام أحمد في (المسند)؛ وانظر: صفة الصفوة: ٣/٤٤٩ وذكره الحافظ في (ميزان الاعتدال) في ترجمة أويس عن عمر: «يدخل الجنة بشفاعته ـ أي أويس ـ مثل ربيعة ومضر».

(٣) الجِدّ: معالي الأمور وعظمتها.

(٤) مدنف: الدنف: المرض الملازم.

(٥) ممكن النصائح: ما تيسر من النصائح.

الفصل الثامن والتسعون

إخواني! من عَرَفَ ما بين يديه لم يُؤْثِرِ الهوى ولَمْ يَلْتَفِتْ إليه، ومَنْ تَفَكَّرَ في رحيلِ مَنْ كان لديه صارَ النهوضُ للتزوُّدِ متعيِّناً عليه.

رَحَـلَ الأَحِبَّـةُ عـنْ ديـارهـمُ ... أهْـوِنْ بمـا أَخَـذُوا ومـا تَـرَكـوا
وعلمْتُ أينَ مَضَى الخليطُ[1] فما ... أرى بـالمنـاديِ أيّـةَ سَلَكُـوا
ونفـوسُنـا كحمـائِـمٍ رُفِعَـتْ ... للصـائـديـنَ وَدُونهـا الشَّبَـكُ
مُتَضَـرِّبـاتٌ فـي حبـائِـلِهـا ... وَوَهَـى جَنَـاحُ ضمَّـهُ الشَّـرَكُ
إنَّ الملـوكَ إذا هـمُ احتُضِـرُوا ... ودُّوا هنـالـك أنَّهـم نَسَكُـوا

كم فَرِحٍ بشَهْرٍ وإهلالِه، مُتَهَلِّلٍ[2] لرؤيةِ هلاله، إختطَفَهُ الموتُ في خِلالِه، كم مائلٍ إلى جمعِ ماله، تركَهُ تَرِكَةً ومَرَّ بأثقاله، هل رَحِمَ الموتُ مريضاً لِضَعْفِ أوصَالِه؟! هل ترك كاسباً لأجل أطفالِه؟! هل أمْهَلَ ذا عيالٍ من جَرَا[3] عياله؟! كم راعَ قَصْراً وماراعى عِزَّ أبطالِه[4]، كم أشْرَفَ على شريفٍ فلم ينظر في جَلالِه[5]، كم خَرَقَ دِرْعاً نبيلاً[6] بِوَقْعِ نبالِه، كم أيْتَمَ طفلاً صغيراً ولم يُبالِهِ[7]، كم سَلَّ سَليماً من سَعَةِ نعماه وشمالِه، كم بَغَتَ عليلاً بالبِلى بعد التّراقي إلى إبْلاله[8] فرقَّى

---

(١) الخليط: المخالط (يطلق على الفرد والجمع).
(٢) متهلل: فرح مسرور.
(٣) جرا: أصلها جراء: أي لأجل.
(٤) راع: أخاف. راعى: لاحظ واهتم.
(٥) جلاله: عظمته.
(٦) نبيلاً: عظيماً.
(٧) يباله: لم يهتم به.
(٨) البلى: الهلاك والقبر. بعد التراقي: بنْ الرقي: أي ارتقى وتسامى. إبلاله: شفائه.

روحَه إلى التَّراقي[1] ولم ينظر في حاله!.

أليسَ إلى الآجالِ نَهْوِي وخَلْفَنا ... منَ الموتِ حادٍ لا يُثِبُّ عَجُوْلُ[2]
دعِ الفِكْرَ في حُبِّ البقاءِ وطولِه ... فهيْهاتَ لا العمْرُ القصيرُ يَطُولُ
ومَنْ نظَرَ الدُّنيا بعينِ حَقِيقةٍ ... تيقَّنَ أنَّ العيشَ سوفَ يَزولُ
وما هذه الأيامُ إلا فوارسٌ ... تُطارِدُنا والنائباتُ[3] خيولُ

بَيْنَا محبُّ الدنيا في اختيالٍ ومَرَح، وكلَّما جاءَ باباً من أبوابِها فُتِح، وكلَّما عانَى أمراً من أمرِها صَلَح، فبَيْنا هو في لَذّاتِه يُديرُ القَدَح[4]، قُدِحَ زنادُ العمرِ في حَرَاقِ القِدَح[5]، فمَنْ يستدرِكُ ما فات؟! ومَنْ يُداوي ما جُرِح؟!.

بينما المرءُ غافلٌ إذ أتاهُ ... مِن يَدِ الموتِ سالبٌ لا يُصَدُّ
فتأهَّبْ لِمَا لَه كلُّ نَفْسٍ ... عُرْضةُ الأسرِ إنَّما الأمرُ جِدُّ

إلى كم تَعْصِي وتتمرَّد؟! وأقبحُ من قبيحِكَ أنَّك تتَعَمَّد، يا رَدِيَّ العَزْمِ! يا سيِّئَ المَقْصِدِ! يا نَقِيَّ الثَّوب، والقلبُ أسودُ! ما هذا الأملُ ولستَ بمُخلَّد؟ يا مسرُوراً على القبيح أتَقِرُّ أم تَجْحَدُ؟! أمَا الطريقُ طويلةٌ فمتى تَتَزَوَّدُ؟ تَخَلَّصْ مِنْ أسْرِ الهوى فإلى كم مُقَيَّدٌ؟! أتَشْتَري لذَّةَ ساعةٍ بعذابِ سَرْمَدٍ؟!.

سَبِيْلُكَ في الدُّنيا سبيلُ مُسافِرٍ ... ولا بُدَّ من زادٍ لكلِّ مُسافِرِ
ولا بدَّ للإنسانِ من حَمْلِ عُدَّةٍ ... ولا سيَّما إنْ خِيْفَ صَوْلَةُ قاهرِ[6]

يا مدْمِنَ الذُّنوبِ منذ كانَ غلاماً! عَلامَ عَوَّلْتَ قل لي علام[7]؟! أتَأمَنُ مأتى[8] مَنْ أتى حراماً؟! قَدْ ترى ما حلَّ بهم إليكَ قَدْ تَرامى، أينَ المجتمعون على

---

(١) التراقي: جمع ترقوة، وهي العظام المكتنفة نقرة النحر موضع الحشرجة.
(٢) لا يُثِبُّ: لا ينقطع. عجول: صيغة مبالغة من العجلة.
(٣) النائبات: المصائب.
(٤) القدح: إناء يشرب به الماء.
(٥) القدح: قدح زناد العمر: القِدْحة: اسم اقتداح النار. والزَّنْد: عودٌ يقدح به النار، وكأنه يشير إلى انتهاء العمر بإيراثه المستمر، واستنفاده في اللذات والغفلات.
(٦) عُدة: العدة، ما أعددته لحوادث الدهر. صولة: وثوب.
(٧) علام: على أي شيء. عوّلت: اعتمدت.
(٨) مأتى: عاقبة.

خمورهم والنَّدامى[1]؟! كلُّ القوم في قبورهم نَدَامى[2]، أما جرى على المُصاةِ يكفي إماماً[3]؟! لقد ضيَّعْنَا حديثاً طويلاً وكلاماً، وما أرى ذلك إلا دَاء عُقاماً[4]:

يـا ليـتَ شعـري مـا ادَّخَـرْتَ ... ليـومِ بـؤْسِـكَ وافتقـارِكْ
فَلَنَنْـزِلَـنَّ بمنـزلٍ ... تَحْتـاجُ فيـهِ إلـى ادّخَـارِكْ
أفنيـتَ عُمْـرَكَ بـاغتـرارِكَ ... ومُنـاكَ فيـهِ بـانتظـارِكْ
ونَسِيـتَ مـا لا بُـدَّ مِنْـهُ ... وكـانَ أَوْلـى بـادِّكَـارِكْ[5]
ولـو اعتبـرتَ بمـا تَـرى ... لكفـاكَ عِلْمـاً بـاعتبـارِكْ
لـكَ سـاعـةٌ تـأتيـكَ مِـنْ ... سـاعـاتِ ليلِـكَ أو نَهـارِكْ
فتصيـرُ مُحْتَضَـراً بهـا ... فَتهيَّ[6] مِـنْ قَبْـلِ احتضـارِكْ
مِـنْ قَبْـلِ أنْ تُقْـلى[7] وتُقْصَـى ... ثُـمَّ تُخـرَجَ مِـنْ ديـارِكْ
مـن قبـلِ أنْ يتـأقَـلَ ... الـزُّوَّارُ عَنْـكَ وعَـنْ مَـزارِكْ[8]

متى تُفِيقُ من هذا المَرَضِ المُراض[9]؟! متى تستَدْرِكُ هذه الأوقاتَ الطِّوالَ العِراض؟! يا غَرَضَ المنونِ كيف تتقي الأغراض[10]؟! أمَا الأعمارُ في كلِّ يومٍ في انقراضٍ؟! لقد نَبَّهْتُ قبلَ شكَّةِ السَّهمِ صكة المِعراض[11]، أما ترى الراحلينَ

---

(١) الندامى: جمع نديم: وهو المصاحب على الشراب المسامر.
(٢) ندامى: جمع ندمان: أي آسفون.
(٣) إماماً: مثالاً وعبرة.
(٤) عقام: أي عقيم: لا برء منه.
(٥) ادكارك: تذكرك.
(٦) فتهيَّ: فتهيَّأ: استعد.
(٧) تقلى: تُهجر.
(٨) مزارك: قبرك.
(٩) المُراض: داء يقع في الشعر فتهلك.
(١٠) الغرض: الهدف الذي يرمى إليه والبغية والقصد. الأغراض: الأهداف التي تُصوَّب إليها المنايا سهامها.
(١١) شكة: الغزة، يقال: شكَّ فلاناً بالرمح طعنه. صكة: ضَربة. المِعراض: سهمٌ بلا ريشٍ غليظُ الوسطِ يصيبُ بعُرْضِه دونَ حدِّه.

ماضِياً خلفَ ماضٍ[1]؟! كم بُنْيان ما تَمَّ حتى تَمَّ مأتَم[2]؟! وهذا قدِ استَفَاضَ، إنَّ الموتَ إليك كما كان إلى أبويك في ارتكاضٍ[3]، إن لم تقدر على مشارع[4] الصالحين فَرِدْ[5] باقيَ الجياض، إن لم يكنْ لكَ ابنُ لَبونٍ فلتكنْ بنتَ مَخاض[6]، إلى متى؟ وحتى متى؟ أنعِبْتَ الرُّوَاض[7]، كلَّما بَنَيْنا نَقَضْتَ، ولا بِنَاءَ مع نَقَّاض، يا مَنْ قَدْ باعَ نفسَه بلذّةِ ساعةٍ بيعاً عن تراضٍ، لبئسَ ما لَبِستَ أندي ما تَغْتَاضُ؟ يا عِلّةً لا كالعِلل! ويا مَرَضاً لا كالأمراض!.

لقد أخبرتْكَ الحادثاتُ نُزُولها ... ونادَتْكَ إلا أنَّ سمعَكَ ذو وَقْرِ[8]

تنوحُ وتبكي للأحبةِ إنْ مَضَوْا ... ونفسُكَ لا تبكي وأنتَ على الإثرِ[9]

يا مخالِفاً مَنْ نهاه وأمَرَه! يا مُضَيِّعاً في البطالةِ عُمُرَه! الزمانُ صولجان[10] والعُمُر كُرَة، الدنيا بحرٌ والساحلُ المقبرة، احذَرْ نوائبَها فإنَّ مشاريَها كَدِرة، على أنّها مزرعةٌ يحصُدُ كلُّ ما بَذَرَه، فلا تَحْتَقِرْ معصيةً فربّما أحرقَتْ شَرَرَةُ[11]، أما عَرَفْتَ سِرَّ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، لو اقتَنَعَ اكتفى، ولكنَّ المحنةَ الشَّرَه[12].

إخواني! كلُّ مقاتلٍ ليسَ معهُ سلاحُ عَزْمٍ مغلوبٌ، إذا برزَ شجاعُ اليقظَةِ بسلاحِ الجِدِّ، هَشَّمَ وجهَ الأملِ، وهَزَمَ جيوشَ الزَّلَلِ، إذا اسْتَشْعَرَتِ النفسُ

---

(١) ماضياً: ذاهباً.

(٢) مأتم: الجماعة من الناس في حزن أو فرح، وغلب استعماله في الأحزان.

(٣) ارتكاض: إسراع.

(٤) مشارع: جمع مشرع، وهو مأخذ الماء.

(٥) فرِدْ: من الورود، أي: الإتيان إلى الماء.

(٦) ابن لبون: ولد الناقة إذا استكملَ السنة الثانية ودخل في الثالثة، لأنَّ أمّه وضعتْ غيره، فصار لها لبن. بنت المخاض: ولد الناقة إذا استكمل الحول ودخل في الثانية.

(٧) الرواض: جمع راقض: أي مُرَبٍّ ومهذِّب.

(٨) وقر: ثقل.

(٩) الإثر: الأثر، أي على أعقابهم.

(١٠) صولجان: المِخجن، وهو عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرةَ.

(١١) شررة: أصغر ما يتطاير من النار.

(١٢) الشَّرَهُ: غلبة الحرص.

زُرْمانِقة[1] الرُّهبِ، ودخلَتْ مترَهْبِنةٌ[2] دَيرَ العُرُوف[3]، وجَدتْ أنيسَ «أنا جليسُ مَنْ ذكرني»[4].

الخلوةُ شَرَكٌ لصيد المُؤانسة، فاخْفَى الصيادين شخصاً، وأقلُّهم حركةً أكثرُهم التقاطاً للصَّيْد، ما صادَ هرٌّ صَاحَ.

وَحْلُ المُخالطةِ يُلْزِمُ المتهذِّبَ المُتَمَذْهِب رفْعَ أذيالِ قميصِ الدين.

قيل للحَسَن: ما بالُ المتهجّدين بالليلِ من أحسَنِ الناسِ وجوهاً؟

قال: لأنَّهم خَلَوْا بالرَّحْمنِ فألْبَسَهُم من نورِه.

أبـــداً نفـــوسُ الطـــالبيـــنَ إلـــى طُلُـــولكـــمُ تَحِـــنُّ
وكـــذا القلـــوبُ بـــذكـــرِكُـــمْ بعـــدَ المخـــافـــةِ تَطْمَئِـــنُّ
جُنَّـــتْ بحبِّكُـــمُ ومَـــنْ يَهْـــوى الحبيـــبَ ولا يُجَـــنُّ؟
بحيـــاتِكُـــمْ يـــا ســـادتـــي جـــودوا بـــوصلكُـــمُ ومُنُّـــوا[5]

رَحِمَ اللهُ أعْظُماً طالما نَصَبت وانتَصَبَتْ[6]، جُنَّ عليها الليلُ، فلمَّا تمكَّنَ وثَبَتَ وَثَبَتْ[7]، إنْ ذَكَرَتْ عَدْلَهُ زَهِبَتْ وهَرَبَتْ، وإنْ تصوَّرَتْ فَضْلَهُ فَرِحَتْ وطَرِبَتْ، عَرَفَتْ إذْ نَبَتْ[8] عن خدمتِه أنها قد أذْنَبَتْ، هبَّتْ على قلوبهم عقيمُ الحذر، فاقشعرَّتْ ونَدَبَتْ[9]، فبكَتْ عليها سحابُ الرجاءِ، فاهتزَّتْ وزَبَتْ،

---

(١) زرمانقة: جبة صوف، وفي الحديث: أنَّ موسى عليه السلام لما أتى فرعون أتاه وعليه زرمانِقة.

(٢) مترهبنة: سلكت مسالك الرهبان العازفين عن الدنيا.

(٣) العزوف: يقال: عزفت نفسي عنه: زهدت فيه، وانصرفتُ عنه.

(٤) رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعاً، وعند البيهقي في (الشُّعَب) عن أُبَيّ بن كعب بلفظ: «قال موسى: يا رب أقريبٌ أنتَ فأناجيك، أو بعيدٌ فأناديك؟ فقيل له: يا موسى! أنا جليسُ مَنْ ذَكَرَني» راجع: كشف الخفاء: ١/ ٢٠١.

(٥) مُنّوا: تكرّموا وأنعموا.

(٦) نصبت: تعبت. انتصبت: قامت لله.

(٧) وثبت الأولى: من الثبات. وثبت الثانية: من الوثوب.

(٨) نبت: من نبا: أي تجافى وتباعد.

(٩) ندبت: بكت وصاحت.

حَسْبُكَ أنَّ قوماً موتى نَحْيَا بذكرهمُ النُّفُوس، وانّ قوماً أحياء تقشعرُّ برؤيتهم القلوبُ، سلامُ الله على تلكَ القبور، ورضوانُ الله حَشْوُ تِلْكَ اللُّحود.

(للغزي):

طلولٌ إذا دَمْعي شكى البَيْنَ بَيْنَها[1] شكَى غيرُ ذي نُطْقٍ إلى غَيْرِ ذِي فهْمِ[2]

أماكنُ تَعْبُدِهم باكيةٌ، ومواطِنُ خَلَواتِهم لِفَقْدِهم شاكيةٌ، زالَ التعبُ وبقي الأجرُ، وذهبَ ليلُ النَّصَبِ وطَلَعَ الفَجْرُ.

جاء في الحديث: «تحتَ شجرةٍ طُوبى مُسْتَراحُ العابدين»[3]، إنّما يطيبُ مكانُ الاستراحةِ بإجْرَاء حديثِ التَّعَبِ، وإنَّما يَلَذُّ الظِّلُّ البارِدُ لمن تأذَّى بِحَرّ الهجير[4].

إخواني! مثِّلوا الاستراحةَ تحتَ شَجَرَةٍ طوبى يهُنْ عليكم السَّفَر، ادأبوا في السَّيْرِ، فقدْ لاحَ العَلَم:

لمّـــا وَرَدْنَ القَـــادسيّـــةَ حيـــثُ مُجْتَمَـــعُ الـــرفـــاقِ
وشَمَمْنـــا مِـــنْ أرضِ الحجـــازِ نَسيـــمَ أرواحِ العِـــراقِ
أيْقَنْـــتُ لـــي ولمَـــنْ أُحِـــبُّ بجَمْـــعِ شَمْـــلٍ واتفـــاقِ
وضحِكْـــتُ مِـــنْ طيـــبِ الـــوصـــالِ كمـــا بكيـــتُ مِـــنَ الفِـــراقِ
مـــا بينَنَـــا إلاَّ تَصَـــرُّمُ[5] هـــذه السَّنْبـــعُ البـــواقـــي
حتّـــى يطـــولَ حـــديثُنـــا بصنـــوفِ مـــا كنّـــا نُـــلاقـــي

* * *

---

(١) بينها: أي فيما بين الطلول.

(٢) في (أ): راحم.

(٣) لم نقف على هذا الأثر فيما رجعنا إليه من كتب الحديث.

(٤) الهجير: نصف النهار عند اشتداد الحرّ.

(٥) تصرّم: انقضاء.

الفصل التاسع والتسعون

يا هذا! هَوِّنْ بأمرِ الدُّنيا تَهُنْ، وقدِّرْ أنها قطُّ لم تَكُنْ، واحفظْ دينَكَ مِنْ مَكْرِها وَصُنْ، فمتى وفَّتْ؟! ومتى لم تخُنْ؟!.

(للمتنبي):

لا تلـقَ دَهْـرَكَ إلاَّ غيـرَ مكتَـرِثٍ ... مـا دامَ يَصْحَبُ فيهِ روحَكَ البدنُ

فمـا يـدومُ سـرورٌ مـا سُـرِرْتَ بـهِ ... ولا يَـرُدُّ عليـكَ الفـائـتَ الحَـزَنُ

ممـا أضِـرَّ بـأهـلِ العِشْـقِ أنَّهُـمُ ... هَوَوْا، وما عَرَفُوا الدُّنيا ولا فَطِنُوا

تَفْنـى عيـونُهـم دمعـاً وأنفسُهُـم ... فـي إثْـرِ كـلِّ قبيـحِ وجهُـهُ حَسَـنُ

تَحَمَّلـوا حَمَلَتْكُـم كُـلُّ نـاجيـةٍ ... فكـلُّ بَيْـنٍ عليَّ اليـومَ مُـؤْتَمَـنُ[1]

ما في هوادِجِكُم[2] مِنْ مُهْجَتي عِوَضٌ ... إنْ بِـكُ شـوقـاً ولا فيهـا لهـا ثمـنُ

سَهِـرْتُ بعـد رحيلـي وحشـةً لكُـمُ ... ثم استمرَّ مَريري، وارعوى الوَسَنُ[3]

إنَّما الدنيا حلمُ نائمٍ، وقائِلَةُ[4] راقِدٍ، ومَعْبَرُ مُعْتبِرٍ، وضِحْكَةُ مُسْتعبِرٍ[5]، تَاللهِ ما أُعْجِبَ بمالها من نَظَرَ في مآلِها[6]، ولا بنى قصورها من عرف غرورها، ولا مدَّ باعَ الأملِ فباعَ وشرَى بها مَنْ تذكَّرَ مُرَّ شرابِها، إنَّها إذا طَغَتْ على الطُّعام تُطغي، وإذا بُغِيَ نكاحُها على العفافِ تَبْغي[7]، وكأنَّها تَقْصُدُ هَلاكَ مُحبِّها

---

(١) ناجية: الناقة المسرعة. بين: فراق، ويقصد أنَّ الفراقَ مؤتمن عليّ، أي: أرضى بحكمه، ولا تفرني غائلته، أي لا أحزن على فراقكم.

(٢) هوادجكم: جمع هودج، وهو مركب النساء.

(٣) مريري: المرير: جمع مريرة، وهي القوة من الحبل. استمر: استقام. ارعوى: ازجر. الوسن: النعاس.

(٤) قائلة: قيلولة: أي النوم عند الظهيرة.

(٥) مستعبر: باك.

(٦) نظر في مآلها: أي نظر فيم تصير إليه.

(٧) تبغي: تتعدى وتظلم.

وتبغي[1]، وكم عذلتْ في فتكِها بالفتى الفتي وتُلغي.

أمّا درُّ دَرُّها[2] فغَرَّت[3]؟ فلمَّا قَرَغتْ[4] فَغَرَتْ[5] فاهاً فرغت[6] للظَّعنِ، أما سَحَبت قرونَ قارونَ مع أقرانِه إلى القرارِ في قَرَنِ[7]، أما كفكَفَتْ[8] بكفِّها كَفَّ مكفوفِ حُبِّها[9] فأرتكَ فَرْ ما يكونُ في كفنٍ، تاللهِ لقد لَقِيَ الغبيُّ غِبَّ[10] غباوته، فلمَّا انجلى غَيْهَبُ عَيْبَتِهِ[11] رأى الغَبْنَ والغَبَن[12].

يا أرباب اللِّمَم[13] الشِّماطِ[14] الموتُ بكم قد أحاط، هذا العدوّ مُنازِلٌ[15] فالزموا الرباط، ما هذا الفتورُ[16]! ومهورُ الحورِ الجِدُّ والنشاط، إياكم والزَّلَل فكم من دَمٍ أشاط[17].

أما سمعتم مناديَ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ [الكهف: ٥٩]؟! أما يُنذرُكم أعلامُ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠٢]؟! أما يقْصِمُ عُرى عزائمِكم ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ١١]؟! أما يقصُرُ من قُصوركم[18] ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ

---

(١) تبغي: تقصد وتريد.
(٢) دَرُّ: كثر. درها: لبنها.
(٣) فغَرَّتْ: خدَعَتْ.
(٤) فرغت: انتهت.
(٥) فغرت: فتحت.
(٦) فرغت: من رغا يرغو: أي صوت وضج.
(٧) القَرَن: الحبل يقرن به البعيران.
(٨) كفكفت: منعت.
(٩) مكفوف حبها: الأعمى في حبها.
(١٠) غب: عاقبة.
(١١) عيبته: وعاء من خُوص ينقل فيه الزرع إلى الجرين، أو من أدَم توضع في الثياب.
(١٢) الغَبْن: بسكون الباء، وهو ـ في البيع ـ النقص، وبفتح الباء الغَبَن يكون في الرأي: الضعف.
(١٣) اللمم: جمع لِمّة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.
(١٤) الشِّماط: جمع شَمَط: اختلاط بياض الشعر بسواده.
(١٥) منازل: مقاتل.
(١٦) الفتور: التقصير والضعف.
(١٧) أشاط: أهدر.
(١٨) يقصر: يكف. قصوركم: تقصيركم.

مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]؟! أما سمعتم هاتفَ العِبَر ينادي ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠]؟! إذا رأيتم المبارزين بالخطأ قد اتّسعَ لهم مجالُ الإمهالِ فلا تستعجل لهم ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، بينَا القومُ على غرور سرورهم ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]، يا سالكي سبيلهم انحرفوا عن هذه الجادة.

يا هذا! ظُلْمُكَ لنفسكَ غايةٌ في القبح، إلاَّ أنَّ ظُلْمَكَ لغيرِكَ أقبحُ.

ويحك! إن لم تَنْفَعْ أخاكَ فلا تؤذِه، وإنْ لم تُعْطِه فلا تأخذْ منه، لا تُشابِهَنَّ الحيةَ، فإنَّها تأتي إلى الحَفْرِ الذي قد حَفَرَهُ غَيْرُها فتَسْكُنه، ولا تتمثَّلَنَّ بالعُقاب، فإنَّه يتكاسَلُ عن طلب الرزق، ويَصْعَد على مَرْقبِ عالٍ، فأيُّ طيرٍ صاد صيداً اتّبعَه، فلا تكونُ له همّةٌ إلا لقاء صَيْدِه والنجاةُ بنفسه.

في الحيواناتِ أخيارٌ وأشرارٌ كبني آدم، فالتقطْ خيرَ الخِلال وخلَّ خسيسَها، ولا تكنِ العصافيرُ أحسنَ منك مروءةً، إذا أُوذي أحدُها صاحَ، فاجتَمَعْنَ لنُصْرَته، وإذا وقعَ فَرْخُها طِرْنَ حوله يعلِّمْنَه الطيران.

يا هذا! تخلَّقْ في إعانةِ الإخوانِ بخُلُقِ النملةِ، فإنَّها قدْ تَجدُ جرادةً لا تطيقُ حملها، فتعودُ مستعينةً بأخواتها، فترى خَلْفَها كالخيطِ الأسودِ قد جئنَ لإغاثتها، فإذا وصَلْنَ بالمحمولِ إلى بيتِها، رفهنه عليها[1].

هيهات إنَّ الطبعَ الرديَّ لا يليق به الخيْر، هذه الخنفساء إذا دُفنت في الورد لم تتحرك، فإذا أعيدت إلى الروث رَتَعَتْ. وما يكفي الحيَّةَ أنْ تشربَ اللبنَ حتى تمجَّ سمَّها فيه، وكلٌّ إلى طبعه عائد، إلا أنَّ الرِّياضَةَ قد تُزيلُ الشرَّ جملةً، وقد تخفف، كما أنَّ غَسْلَ الأثَرِ إن لم يُزِلْهُ خَفَّفَ، إنْ دمتَ على سلوكِ الجادة رجونا لك الوصول، وإن طال السُّرى[2].

يا هذا! الفيلُ والجملُ يَسْبَحَان، ولكنَّ الفيلَ مليحُ السباحة، والجملَ يسبحُ على جنب فيُفْتَضَحُ عند سباحة الفيل، ثم كلاهما يَعْبُرُه.

إذا لم تُطِقْ منازلةَ الحرب، فكن من حُرَّاسِ الخيم.

---

(١) رفهنه: تركته طعاماً لها.

(٢) السُّرى: سير الليل.

إذا رأيتَ البابَ مسدوداً في وجهك، فَارْضَ بالوقوف خارجَ الدار مع السؤال.

إذا لم تُظْفِرْكَ الحروب فَسَالِم، أترى يصلحُ هذا القلبُ بعد الفساد؟! أترى يتبدَّلُ بالبياض هذا السواد؟! كم أقولُ: عسى أصْلُح ولعلَّ! وكلَّما استوى قدمي زَلّ، كم تتغيَّرُ الأحوال وما أتغيّر! كم تتضح ليَ الطريقُ وأتحيَّر:

للهِ أمـــرٌ مـــنَ الأيّـــامِ أطلبُـــهُ هيهَـاتَ أطلبُ شيئاً غَيْرَ مطلوبِ
وحـاجـةٌ أتقـاضَـاهـا وتَمْطُلُنـي كـأنَّهـا حـاجـةٌ فـي نفسِ يعقـوبِ

إلى كم تقولُ سأتوبُ؟! متى يخجَلُ اللسانُ الكذوبُ؟!.

كلَّمـا أمّلـتُ يـومـاً صـالحـاً عـرضَ المقـدورُ لـي فـي أمَلـي
أقطـعُ الـدهـرَ بظـنٍّ حَسَـنٍ وأُجَلِّـي غمـرةً مـا تَنْجلـي
وأرى الأيّـامَ لا تُـدنـي الـذي أرْتجـي منـك وتُـدنِـي أجلـي

إذا كانت كرةُ القلبِ بحُكْمِ صولجان التقليب بطَلَتِ الحِيَل. لما قُرِّبَ جبريلُ وميكائيل اهتزَّت الملائكةُ فخراً بقرب جِنْسِها من جناب العزّة، فقُطِع من بين أغصانها شجرةُ هاروتَ، وكُسِرَ فَنَنُ[1] ماروت[2]، وأُخِذَ من لُبِّها كُرة

---

(١) فنن: الغصن.

(٢) قال القاضي عياض في شأن القصة المذكورة على هاروت وماروت على اختلاف رواياتها: «وأما ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت، وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما؛ فاعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يُرْوَ منها سقيمٌ ولا صحيحٌ عن رسول الله ﷺ، وليس هو شيئاً يؤخذ من القرآن، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافتراءاتهم.

وقال الحافظ ابن كثير: وقد رويت قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني اسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال. انظر تفسير: المحرر الوجيز، لابن عطية: ١/ ٤٢٠.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي﴾ [صٓ: ٧٨]، فتزوَّدت الملائكةُ في سَفَرِ العبودية بزاد الحذر، وقادت في سُبُلِ معروفها نُجُبَ[1] التطوع للمنقطعين ﴿وَسَٰرِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾ [الشورى: ٥]، نودي مِنْ نادي الأفضال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فسارت نجائبُ الأعمالِ إلى باب الجزاءِ فَصِيحَ بالدليل ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٧٤] فقال: «ما منكم مَنْ يُنْجِيهِ عَمَلُه»[2].

فيا لسانَ القَلَقِ تكلَّم بعبارة الدَّمع، لعلَّهُ يقعُ في سَمْعِ القبول، فمُرادُ المُمْرِض أنينُ المبتلى. النظرُ في هذه الأمورِ أقلقَ قلوبَ العارفين، فكانوا يبكون الدماء.

اجتمعت أحزانُ القوم على القلوب فأوقَدَتْ حولها نارَ الحذر، وكان الدمعُ صاحبَ الخير فنَمَّ.

أقْلَقَهُم الخوفُ والفَرَقُ، أطافَتْ بقلوبهم الحُرَقُ، لباسُهم ملفقاتُ الخِرَق، طعامُهم ما حضَرَ واتَّفَق. يا نورَهم إذا جَنَّ الغَسَق، يا حُسْنَ دمْعِهم محدقاً بالحدَق، انقطَعَ السِّلْكُ فسَالَتْ على نَسَق، فكتبتْ عُذْرَها في الخدِّ لا في الوَرَق، ذابتْ أجسامُهم فلم يَبْقَ إلاَّ رَمَقٌ، فلاحظَهُمُ العفوُ لطفاً بهم ورَفَق، لو رَأَيْتَهم يتشبَّثونَ بذيْلِ الظلام، ويأنسونَ بنَوْحِ الحمام، ويهربُونَ إلى الفلوات، وغايةُ لذَّاتهم الخلوات.

نُواحُ الحمامِ مُسَخَّرٌ للمشتاق، لا يريدُ منه أُجرةً، بينهما أُنسٌ ممزوجٌ بمنافرة:

إنْ كنتَ تنوحُ يا حَمَامَ البَانِ ... للبَيْنِ فأيْنَ شاهدُ الأحزانِ
أجفانُكَ للدُّموعِ أم أجْفاني ... لا يُقْبِلُ مُدَّعٍ بلا بُرْهانِ

* * *

---

(١) نجب: جمع نجيب، وهو الفاضل من كل حيوان، ويطلق على البعير إذا كان كريماً عتيقاً خفيفاً سريعاً.

(٢) رواه البخاري ومسلم بلفظ: «ما مِنْكُم مِنْ أحدٍ يُنجيهِ عملُهُ» قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ الله؟ قال: «ولا أنا، إلاَّ أنْ يتغمَّدني اللهُ برحمتِهِ».

القصر الثاني

يا مَنْ أنفاسُه محفوظة، وأعمالُه مَلْحُوظة، أُتنفِقُ العمرَ النفيسَ في نيلِ الهوى الخسيس؟!.

جِدُّ الزمانُ وأنتَ تلعبُ ... والعمرُ لا في شيءٍ يذهبُ
كمْ كم تقول غداً أتوبُ ... غداً غدا والموتُ أقربُ

أمَا عمرُكَ كل يوم يُنْتَهَبُ؟! أما المُعْظَمُ مِنْهُ قد ذهَبَ؟! في أي شيءٍ؟ في جمع الذهب! تبخلُ بالمالِ والعُمرَ تَهَبُ، يا مَنْ إذا خَلا تَفَكَّرَ وَحَسَبَ، فأما نزولُ الموتِ فما حَسِبَ، لك نَوْبَةٌ لا تُشْبِهُ النُّوَبَ[1]، بين يديك كربةٌ[2] لا كالكُرَب، تطلبُ النجاةَ ولكنْ لا مِنْ بابِ الطَّلَب[3]، تقفُ في الصلاة إنَّ صلاتَكَ عجب، الجسمُ حاضرٌ والقلبُ في شُعَب[4]، الجسدُ بالعراق، والقلبُ في حَلَب، الفهمُ أعجمي واللفظُ لفظُ العرب، أنا أعلم بكَ منك، حبُّ الهوى قد غَلَب، ومتى أَسَرَ الهوى قلباً لم يُفْلِح وكَتَب[5].

يا آدميُّ أَتَدْرِي ما مُنِيْتَ بِهِ ... أمْ دونَ ذِهْنِكَ سِتْرٌ ليس يَنْجابُ[6]
يومٌ ويومٌ ويفنى العُمْرُ منطوياً ... عامٌ جَديدٌ وعامٌ فيه إخصابُ[7]
فلا تغرنَّكَ الدنيا بزُخْرُفِها ... فأربُها أن بلاها عاقلٌ صابُ[8]

---

(١) النَّوب: جمع نوبة: وهي النازلة.

(٢) كربة: شِدَّةٌ، وهي إشارة إلى سكرة الموت.

(٣) لا من باب الطلب: إشارة إلى النجاة الحقيقية تطلب بالإيمان والعمل الصالح وإعداد العدة.

(٤) شُعَب: متفرق.

(٥) في (أ): بسبب. وكتب: ربط وأوثق.

(٦) ما منيت به: ما ابتليت به. ينجاب: ينكشف.

(٧) جديب: قاحل. إخصاب: نماء وبركة ورغد العيش.

(٨) عاقل: الواعي الحصيف. صاب: شجر مر له عصارة يبغاه كالبن بالغة المرارة إذا=

والحزمُ يجني أموراً كلُّها شرفٌ والخُرْقُ[1] يجني أموراً كلُّها عابُ[2]

كأنَّكم بالدُّنيا التي تولَّتْ قد تولَّت[3]، وبالنفوسِ الكريمةِ قدْ هانَتْ وذلَّتْ، وبكؤوسِ الأسى قد أنْهلتْ وعَلَّتْ[4]، وبحُمولِ الظاعنين على الأسَفِ قد استقلَّت[5]، متى يُقالُ لهذه الغمرةِ التي جَلَّتْ: قد تجلَّتْ[6]؟ وا عجباً لنفسٍ ما تنتبهُ وقد زلَّتْ، كلَّما عَقَدْنا عُقْدَةً تَنْقُضُها حَلَّت.

كم مستيقظٍ وقد فاتَ الوقتُ، ينْظُرُ إلى نفيسه بعين المَقْت[7]، ويَصيحُ بنَصِيحِه لقد صدَقْت، وينادي الكَسَلُ: أنْتَ الذي عَوَّقْت! فيجيبُه: أنتَ من سُكْرِك[8] ما أفَقْت، كم قدِمَ إلى القبورِ قادمٌ! كلُّهم على فراش النَّدَمِ نادم.

أطاعُوا ذا الخِداعِ وصدَّقوه وكمْ نَصَحَ النصيحُ فكذَّبوه
ولم يرضَوْا بما سَكَنوا مَشيداً إلى أنْ فَضْفَضوه وأذْهَبُوه
ألَفُّوا بالقبيحِ وتابعوه ولو أُمِرُوا بهِ لتَجَنَّبُوه
نهاهُم عن طِلابِ المالِ زُهْدٌ ونادى الحِرْصُ ويْلَكُمُ اطلُبُوه
فألقاها إلى أسْماعِ غُفْرٍ[9] إذا عرفوا الطريقَ تنكَّبُوه[10]
وحبلُ العيشِ مُنْتَكِثٌ ضعيفٌ ونِعمَ الرأيُ أن لا تجذبوه
حسبتُم يا بني حَوَّاءَ شيئاً فجاءَكُمُ الذي لم تحسبُوه

= أصابت العين أتلفتها. والأري: العسل.

(١) الخُرق: الجهل والحمق.

(٢) عاب: وصمة.

(٣) تولَّت الأولى: من الولاية والسيادة. وتولت الثانية: من الذهاب والانصراف.

(٤) أنهلت: من النهل وهو الشرب الأول. علت: من العلل: وهو الشرب ثانية أو تياعاً.

(٥) حمول: جمع حِمْل: وهو ما يُحمل على الظهر وغيره. الظاعنين: الراحلين، إشارة إلى الرحيل عن الدنيا. استقلت: أي مضت وارتحلت.

(٦) الغمرة: الشدة. جلّت: عظمت. تجلّت: جَلَتْ وزالت.

(٧) المقت: أشد البغض.

(٨) سُكرك: غيبوبة العقل.

(٩) غُفْر: جمع أغفر: وهو الأحمق.

(١٠) تنكبوه: حادوا عنه.

أُديل[1] الشر منكم فاحذروه ومات الخيرُ فيكم فانْدُبوه

إلى كَمْ بالهوى تُغْري وتَلْهَج! أنسيْتَ أنك عن محبوبك تُزْعَج؟ تَفَكَّرْ في حلة من البِلى لك تُنْسَج، يا مَنْ بضاعته كلُّها بَهْرَج[2]، ضيَّقْتَ على نفسِكَ فلا مَخرج، انتبهْ سريعاً فالخيولُ تُسْرَج.

(للشريف):

ولم يَبْقَ من أيامِ جَمْعٍ[3] إلى متى إلى موقف التَّجْمير[4] غيرُ أماني

يا عُبَيْدَ فلْسِه! يا عدوَّ نفسِه! تُعانقُ الدنيا بيدِ الحِرْصِ عِنَاقَ اللامِ للألف! وتُنْزِلُ الدرهمَ من القلبِ منزلةَ البُرءِ مِنَ الدَّنِف[5]، ترشُّ ماءَ الغِشِّ حولَ الحانوتِ، وتَنْظُرُ إلى الدرهم لا فيه، وتنصبُ ميزانَ البَخْسِ[6] وميكال التطفيف[7] «والغَدْرُ ثالثةُ الأثافي»[8].

ويحك! أتَبْحَثُ عن حَتْفِكَ بظُلْفِك[9]؟ وتجدَعُ بسيفك مارِنَ[10] أنْفِك.

ما أكرمَ نفسَه قطُّ مَنْ لم يُهِنها، فاحذَرْها فكلُّ ما يجري عليك منها، حاسِبْها قبلَ يومِ الحسابِ وَ زِنْها، وخَفْ شَيْنَ شَيِنِها[11] إن شئتَ عِزَّها وَ زِنْها[12]، واحفزْ

---

(١) أديل: من الإدالة وهي الغلبة.

(٢) بهرج: مزيفة.

(٣) أيام جمع: أي ليلة مزدلفة لاجتماع الحجيج فيها بعد الإفاضة.

(٤) التجمير: رمي الجمار.

(٥) الدنِف: من اشتدّ مرضه.

(٦) البخس: النقص.

(٧) التطفيف: الزيادة.

(٨) الأثافي: جمع أثفية: وهي ما يوضع عليه القِدْر، وإنما يوضع على ثلاثة أحجار.

(٩) الحتف: الموت. الظلف: يقال للبقرة والشاة والظبي: ذوات الظلف. وأصل هذا المثل: أنَّ رجلاً كان جائعاً بالفلاة القفر، فوجدَ شاةً ولم يكن معه ما يذبحها به، فبحثت الشاة الأرض بظلفها فظهر فيها مُدية، فذبحها بها، فصار مثلاً لكلِّ مَنْ أعانَ على نفسِه بسوء تدبيره.

(١٠) مارن: ما لانَ مِنَ الأنف.

(١١) شين: عيب.

(١٢) وزنها: زينها بالتقوى والعمل الصالح.

لها زُبيةُ[1] العزلة، وإن أبَتْ فادفِنْها، وأحضِرْها على الرُّغْم[2] في رَغَام[3] مَسْكِها[4] ومَسْكَنِها[5]، دِنْها[6] بما التذّت آلاتُها لا تهادنها. هذه قِصَصُ النَّجاةِ، قد أمليتُها فَعَنْوِنْها، هذه جوامِعُ منشآتُ المواعظِ قد جمعتُها فاعْجِنْها.

يا مُوَثِّقَ الأقدامِ بقَيْدِ العوائق، أجود ما للعصفور قطعُ السِّباق[7]، لو تفكَّرَ الطائرُ في الذَّبح ما حامَ حولَ الفَخِّ، من طَلَبَ المعالي سهرَ الليالي، لولا صبرُ المُضَمِّرِ على قلّةِ العلفِ ما قيل: سَبّاق.

هَوِّنْ[8] في الليلِ عليها الغَرَرا[9] إنَّ العُلى مقيداتٌ بالسُّرى[10]
فركبتْ بُسُوقِها رؤوسَها حتى تَخَيَّلْنا الحجولَ الغُرَرا[11]
عَلِّمْها النومَ على رباطِها ذليلةً أنْ تستطيبَ السَّهرا
قد تركَتْ مطعَمَها لشَوْقِها تقول: كلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا[12]

---

(١) زبية: الحفرة تحفر للأسد، سُميت بذلك لأنهم يحفرونها في موضع عال.
(٢) الرغم: الكره والذل والهوان.
(٣) رغام: تراب.
(٤) مَسكها: جلدها.
(٥) مسكنها: منزلها.
(٦) دنها: حاسبها وألزمها.
(٧) السباق: قيد يوضع في رجل الطير.
(٨) هوّن: خفف وسهل.
(٩) الغرر: الخطر.
(١٠) السرى: السير في الليل.
(١١) الحجول: التحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس كلّها، ويقال: فرس محجّل وفرس بادِ حجولُه. والغُرر: جمع غُرّة، وهي بياض في جبهة الفرس.
(١٢) كل الصيد في جوف الفرا: الفرا: الحمار الوحشي، وهذا مثل قاله النبيُّ ﷺ لأبي سفيان ابن الحارث، وقال السهيلي: إنه قاله لأبي سفيان بن حرب يتألفه به، وذلك لأنه استأذن على النبيّ ﷺ فحُجِبَ قليلاً، ثم أذِنَ له، فلما دخل قال للنبيّ ﷺ: ما كدْتَ أن تأذنَ لي حتى كِدْتَ أن تأذنَ لحجارة الجلهمتين (الجلهمتان: حافة الوادي ونواحيته) قبلي. فقال له النبيّ ﷺ: «يا أبا سفيان! أنت كما قيل: كل الصيد في جوف الفرا»، وأصل المثل: أنَّ جماعةً صادَ أحدُهم: ظبياً، والآخر: أرنباً، والثالث: حمارَ وحش، فاستبَرَ الأوّلان=

سينْقَشِع[1] غيمُ التعبِ عن فَجْرِ الأجْرِ، كم صبرَ بِشْرٌ عن شهوةٍ حلوة، حتى سمعَ كلمةَ حُلوة: «كُلْ يا مَن لَمْ يأكل»[2].

ما مُدَّ سِجافُ[3] ﴿يَتَمَّ ٱلْعَبَدُ﴾ [صَ: ٤٤] على قُبَّةٍ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾ [صَ: ٤٣] حتى جُرِّبَ في أمانة ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [صَ: ٤٤].

مَنْ لم تَبْكِ الدُّنيا عليه لم تَضْحَكِ الآخرةُ إليه.

كان بعضُ النجّارين يبيعُ الخشَبَ، وكان عنده قطعةُ آبنوس ملقاةٌ تحت الخشبِ، فاشْتُرِيَتْ منه، فدخلَ دارَ الملكِ بعد مُدَّة، فإذا بها قد جُعِلَتْ سريراً للملك، فوقف متعجِّباً وقال: لقد كنْتُ لا أعبأُ بهذه، فكيف وَصَلَتْ إلى هذا المقام؟! فهتف به لسانُ المُفْهِمِ نائباً عنها: كم صَبَرْتُ على ضرْبِ الفؤوسِ ونَشْرِ المناشيرِ، حتى بَلَغْتُ إلى هذا المقام!.

* * *

= بما نالاه، فقاله الثالث. يعني: أنَّ ما رُزِقْته يشتمل على ما عندكما لأنه أعظم، ثم اشتهر في كل شيء كان جامعاً لغيره. انظر: كشف الخفا والإلباس، للعجلوني: ٢/ ١٧٨ رقم (١٩٧٧). هذا وقد رواه الرامهرمزي في (الأمثال). وسنده جيد، لكنه مرسل، ونحوه عند العسكري، وذكره الدميري في (حياة الحيوان الكبرى).

(١) سينكشف.

(٢) سبق تخريجه في الفصل الخامس والتسعين.

(٣) سجاف: الستر، وجمعه سجُف.

الفصل الأول [بعد المائة]

إخواني! الموتُ مُقاتِلٌ، يقْصِدُ المَقاتل[1]، فما ينفعُكَ أن تُقاتل.

(للمتنبي)[2]:

نُعِدُّ المَشْرفيَّةَ[3] والعَوالي[4] ... وتَقْتُلُنا المنونُ بلا قِتالِ

ونَرْتَبِطُ السَّوابقَ مُقْرِباتٍ[5] ... وما يُبْقِينَ من خَبَبِ[6] الليالي

ومَنْ لم يَعْشَقِ الدُّنيا قديماً؟ ... ولكنْ لا سبيلَ إلى الوِصالِ

نَصيبُكَ في حياتِكَ مِنْ حَبيبٍ ... نصيبُكَ في مُنامِكَ مِنْ خَيالِ

يُدقُّنُ بعضُنا بعضاً وتمشي ... أواخرُنا على هامِ الأوالي[7]

وكَمْ عينٍ مُقَبَّلَةٍ النَّواحي ... كَحيلٍ بالجَنادِلِ[8] والرِّمالِ

لقد وعَظَ الزمانُ وما قصّر، وتكلّم الصامتُ[9] وما أَقْصَر، ولاحَ الهُدى وإنَّما الشأنُ فيمَنْ أبْصَر، ونطقَتِ المواعظُ بزجرٍ لا يُحْصَر، هلَكَتْ ثمودُ بصيحةٍ، وعادٌ بريحٍ صَرْصَر[10]، وكُسِر كسرى وقُصِرَ[11] قيصر، تَالله ما يبالي ميزانُ

---

(١) المقاتل: جمع مقتل، وهي المواضع الخطرة في الجسم التي يؤدي ضربها إلى الموت.

(٢) ديوان المتنبي: ٣/ ٨، رقم (١٧٥) يرثي والدة سيف الدولة.

(٣) المشرفية: السيوف منسوبة إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف.

(٤) العوالي: الرماح.

(٥) مقربات: الخيول الكرام التي ترتبط لكرامتها أو لفرط الحاجة إليها.

(٦) الخبب: عَدْوٌ لا يستفرغ الجهد.

(٧) هام الأوالي: رؤوس الأوائل.

(٨) كحيل: مكحلة. الجنادل: جمع جندلة، وهي الحجارة.

(٩) الصامت: الذهب والفضة، يقال: ما لَه صامتٌ ولا ناطقٌ، الصامت: الذهب والفضة، والناطق: الحيوان من الإبل والغنم، وفي الحديث: «على رَقَبَتِهِ صامت»، أي: ذهب وفضة.

(١٠) صرصر: باردة.

(١١) قصر: من القصر، أي: الحبس، يقال: قصر بهم الليل: أي حبسهم.

الجزاءِ أَرْبَحَ أم أخْسَر ، ولا حاكمُ العَدْلِ مَنْ أَفْلَسَ وأعْسَر ، هذا أمرٌ مُجْمَلٌ وفي غدٍ يُفَسَّر .

أيها المُتَحرِّكُ في الدُّنيا! لا بدَّ مِنْ سكون[1]، لا يغرنَّكَ سَهْلُها فبعدَ السَّهْلِ حُزون[2]، كَمْ سَلَبَتْكَ من حَبيبٍ! وبعضُ القُبْحِ يَهُون، ما فَرَحُها مُستقيمٌ، ولا تَرَحُها[3] مأمون، إنَّها الدارُ الغَرور ودائرة الهُوْن[4]، كم تَلَوَّن[5]، ولكن أينَ العقلُ مِنْ مجنون؟ فهلا أصغتما الحديثَ، قلبُ هذا مفتون:

أيُّهـا السكـرانُ بـالآمـالِ ... قـدْ حـانَ الـرحيـلْ
ومشيـبُ الـرأسِ والفَـوْ ... دَيْـنِ[6] للمـوتِ دليـلْ
فـانْتَبِـهْ مِـنْ رَقْـدَةِ الغَفـ ... ـلَـةِ والعمْـرُ قليـلْ
واطَّـرِحْ سَـوْفَ وحتَّـى ... فهمـا داءٌ دخيـلْ

كأنَّكَ بما يُزْعِجُ ويَرُوعُ[7]، وقد قَلَعَ الأُصولَ وقطعَ الفُروعَ، يا نائماً في انتباهه! كم هذا الهجوع[8] أيَنْفَعُكَ حينَ الموتِ جَرْيُ الدموع؟ إذا رُشِقَ سَهْمُ التَّلَفِ فطاحَتِ الذُّروع، وأتى حاصدُ الزَّرْعِ وأين الزروع؟! وخَلَت منك المنازلُ وفَرَغَتِ الرُّبوع، ونابَ غُرابُ البَيْنِ عن الوَرْقا السَّجُوع[9].

قَـرْنٌ مَضَـى ثـم نَمَـى غيـرُه ... كـأنَّـه فـي كـلِّ عـامٍ نبـاتْ
أقـلُّ مَـنْ فـي الأرضِ مُسْتَيْقِـظٌ ... وإنَّمـا أكثـرُهـم فـي سُبـاتْ

---

(١) سكون: إشارة إلى الموت.
(٢) حزون: جمع حَزْن: ما غَلُظَ من الأرض.
(٣) ترحها: حزنها.
(٤) الهون: المذلة.
(٥) تلوّن: أي تتلون: لا تثبت على خلق.
(٦) الفودين: مثنى فود، وهو معظم شعر اللمة، مما يلي الأذنين، ويطلق على الضفيرة.
(٧) يروع: يخيف.
(٨) الهجوع: الرقاد.
(٩) الورقا: أي الورقاء: وهي حمامة في لونها بياضٌ إلى سوادٍ. والسجوع: التي تردد صوتها على طريقة واحدة.

حَـوْلٌ خصيـبٌ إثـرُه مُجـدِبٌ فـادَّخِرْ من المُخْصِب للمُجْدِبات

أما عَلِمْتَ أنَّ الدنيا غدّارة؟! أما بَرْدُ لذّاتها ينقلبُ حرارة؟! أما ربحُها على التحقيق خسارة؟! أما يُنْقِصُ الدينُ كلَّما زادَتْ عِمَارة؟! أما قتلَتْ أحبابَها وإليكَ الإشارة؟! إذا قال محبّها: هيَ لِي ومعي، أهلَكَتْه وقالت: «اسمعي يا جارة».

إنَّمـا الـدُّنيـا بـلاءٌ ليـسَ للـدُّنيـا ثبـوتُ
إنَّمـا الـدُّنيـا كَبَيْـتٍ نسجَتْـه العنكَبـوتُ
إنَّمـا يكفيـكَ منهـا أيُّهـا الـراغـبُ قـوتُ

يا مَنْ عاهَدَنا على الطاعةِ في الإعلان والإسرار، كيف استحلَّ حَلُّ[1] عَقْدِ التوبة، وعَقَدَ الإصرار؟! متى يخرجُ العاصي من هذه الدّار؟! شَيبٌ وعَيْبٌ ونهايةُ الإدبار، ضدان بعيدان: ثلجٌ ونارٌ، كم بَيْنَكُم وبين المتقين الأبرار! مَلَكَتْكُم الدنيا ومَلَكوها فالقومُ أحرارٌ، كانت لهم أَنَفَةٌ فاخْتَمَوْا من العار، وعرَفوا قدرَ الزّمانِ فانْتَهَبوا الأعمار، فلو مَدَدْتُم أبواعَكم[2]، ما كانتْ منهم كأشبارٍ، لو اطّلَعْتُم عليهم في أوقاتِ الأسحارِ لرأيتم نجومَ الهُدى لا بَلْ هي أقمارٌ، قاموا جميعَ الدُّجى على قدمِ الاعتذارِ، ثم تسانَدوا[3] إلى رَوَاجِلِ البكاء والاستغفار، وقَوِيَ كربُهم فهبّتْ لهمُ نَكْباء[4] لطفٍ مِعطارٌ[5]، رفعوا رسائلَ الجوى[6] فعادَ جوابُ الأبرار.

لا تُـوقِـدوا في القلـبِ نـارَ الجحيـمِ كفـى سِقـامـي لفـؤادي غـريـم
مـا زلْـتُ[7] عَـنْ حُبِّكُـم لحظـةً وحَقِّكُـم إنِّـي عليـه مقيـم
وكلَّمـا هبَّـتْ نسيـمُ الصَّبـا مِـنْ نحـوِكُـم عِشْـتُ بـذاك النسيـم

وا أسفى! متى رَحَلوا؟ ليت شعري، أين نَزَلوا؟.

---

(١) استحل: جعله حلالاً ومباحاً. حلّ: فكّ.
(٢) أبواعكم: جمع باع، وهو قدرُ مدِّ اليدين.
(٣) تساندوا: ركنوا إليه واعتمدوا عليه.
(٤) نكباء: ريح انعطفت وانحرفت ووقعت بين ريحين كالجنوب والشمال.
(٥) معطار: معطرة زكية.
(٦) الجوى: شدة الوجد من العشق.
(٧) ما زلْتُ: لم أتغيّر.

أَنْجَـــدَتِ الـــدَّارُ بهـــم وأَتْهَـــمَ الـــوَجْـــدُ معـــي

مالَتْ بالقوم ريحُ السحرِ ميلَ الشجرِ بالأغصان، فهزَّ الخوفُ أفنانَ[1] القلوب، فانتشرتِ الأفنان[2]، فاللسانُ يتضرَّعُ، والعينُ تدمعُ، والوقتُ بستان، خَلْوَتُهم بالحبيب تَشْغَلُهم عَنْ نُعْمَ وَنَعمان[3]، سُوَرُهُم أساوِرُهم، والخشوعُ يتِجان، خضوعُهم حُلاهُم، فما دُرٌّ ومُرْجانٌ! أخذوا قَدْرَ البلاغ[4]، وقالوا: نحن ضِيفانٌ، باعُوا الجرْصَ بالقناعة، فما مُلْكُ أنُوشروان[5]؟ زَفَضُوا حتى زِمَامَ المبيع، وما باعوا بثُبيان[6]، طالَتْ عليهم أيامُ الحياة، والمحبُّ ظمآن. اطَّلَعْ من خَوْخَةِ التيقُّظِ بِعَيْنِ التأمُّلِ ترَ الرهبان، أين أنتَ منهم؟! ما نائم كيقظان، كم بينكَ وبينهم؟ أين الشُّجاعُ من جَبان؟!.

ما للمَوَاعظ فيك موضع، القلب بالهوى ملآن، يا هذا! قِفْ على باب النجاح، ولكن وقوفَ لهفان، واركبْ سَفِيْنَ الصلاح، فهذا الموتُ طُوفان، أيكونُ بعدَ هذا إيضاحٌ؟ أوَ مِثْلُ هذا تِبْيان؟ يا لها من موعظةٍ سحبَتْ ذيْلَ الفصاحةِ فحارَ سَحْبانُ[7]، بغدادية إمامية مستضيئة لا تعرفُ ضَرْبَ خُراسان[8].

* * *

---

(١) أفنان: جمع فنن، أي: أغصان.

(٢) الأفنان: جمع فن، وهو النوع والحال.

(٣) نُعْم: اسم المحبوبة من النساء. نَعمان: وادي قرب عرفة.

(٤) البلاغ: من البُلْغة، وهو ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها.

(٥) أنوشروان: خسرو أنوشروان ملك ساساني (٥٣١ ـ ٥٧٩م) عقد هدنة مع البيزنطيين، استولى على اليمن سنة (٥٧٠م)، واستشهر بعدله وإصلاحاته.

(٦) ثبيان: كرُغفان: الاسم من الاستثناء، والثنيا المنهي عنها في البيع: أن يستثنى منه شيء مجهول فيفسد البيع، وذلك إذا باع جزوراً بثمن معلوم، واستثنى رأسه وأطرافه، فإن هذا البيع فاسد.

(٧) سَحْبان: اسم رجل من وائل، كان لَسِناً بليغاً، يضرب به المثل في البيان والفصاحة فيقال: «أفصحُ من سَحْبانَ وائل» ومن شعره قوله:

لقـد عَلِـمَ الحـيُّ اليمانـيونَ أنني إذا قلت: أما بَعْدُ، أني خطيبُهـا

(٨) ضرب خراسان: أي بعيدة عن العجمة واللكنة.

الفَصْلُ الثَّاني [بَعْدَ المِئَة]

إخواني! أينَ الذين سَلَبوا؟ سُلِبوا[1]! طال ما غَلَبوا فَغُلِبوا، عمّروا ديارَهم فلما تمّتْ خَرِّبوا، وديفتْ[2] لهم كؤوسُ المنايا فأُكرِهوا وشَرِبوا:

سَيْرُ الليالي إلى أعمارِنا خَبَبُ[3] ... فما تَبِينُ ولا يَعتاقُها[4] تَعَبُ
وهل يؤمِّلُ نيلَ الشَّمْلِ ملتئِماً ... سَفْوٌ[5] لهم كلَّ يومٍ رِحلةٌ عَجَبُ
وما إقامتُنا في منزلٍ هَتَفَتْ ... فيهِ بنا قَدْ سَكَنَّا رَبْعَهُ النُّوَبُ
وآذَنَتْنا وقَدْ تمَّتْ عِمارَتُه ... بأنَّه عن قليلٍ دائرٌ[6] خَرِبُ
ليستْ سِهامُ قسيِّ الموتِ طائشةً ... وهل تطيشُ سِهامٌ كلُّها صِيَبُ[7]
ونحنُ أغراضُ[8] أنواعِ البلاءِ بها ... قبلَ المماتِ فمَرْمِيٌّ ومرتَقِبُ
أينَ الذينَ تَناهَوْا[9] في ابتنائهم ... صاحَتْ بهم نائباتُ الدَّهْرِ فانْقَلَبوا

أين أربابُ الأماني والأملِ؟ أُخِذُوا بين سُكْرِ الهوى والثَّمَلِ[10]. والذي علا[11] عَلى عُلى[12] العَلا[13] نزل. وكأنّه في الدنيا لم يكن، وفي القبرِ لم يزل.

---

(١) سَلَبوا: انتزعوا ما لغيرهم قهراً بغير حق. سُلبوا: انتُزعوا قهراً، أي: أميتوا.
(٢) ديفت: من داف، أي: خلط ومزج، وجاء في (ب): وذيفت.
(٣) خبب: ضرب من المشي السريع.
(٤) يعتاقها: يسبقها ويقدمها.
(٥) سَفْر: مسافرون.
(٦) دائر: هالك فانٍ.
(٧) صيب: من صاب السهمُ الهدفَ يصيبه، وجاء في لسان العرب: أن (صيب) من قولهم: صابت السماء الأرض: أصابتها بصَوْبٍ فكأنَّ المنيةَ كانت صابت الحميم فأصابته بصَوبها (مادة صوب).
(٨) أغراض: جمع غرض، وهي الدريئة التي يُرمى إليها السهم.
(٩) تناهوا: بلغوا النهاية والغاية.
(١٠) الثمل: أن يأخذ الشراب منه كل مأخذ. والثمالة: البقية في أسفل الإناء ونحوه.
(١١) عَلا: صعد وارتقى.
(١٢) عُلى: جمع العُليا.
(١٣) العَلا: المنزلة الرفيعة في الدنيا.

كـلُّ حـيٍّ فقُصـاراه[1] الأجـلْ ... ليـسَ للخلـقِ بـذا المـوتِ قِبَـلْ[2]

نُـوَبٌ[3] أبـدَتْ لعـادٍ قَبْلَنـا ... إنَّ مِـنْ ذاتِ العِمـادِ المُـرتَحَـلْ

فـانْثَنَوْا عـن ذلـك الشـربِ الـذي ... صـارَ عَـلاً[4] لسـواهـم ونهَـلْ[5]

ألبَسَـتْ قـومـاً سِـواهـم حلْيَهُـم ... ثـمَّ بَـزَّتْـه[6] فَعَـادوا بـالعَطَـلْ[7]

فـاسـألِ الإيـوانَ عـنْ أربـابِـه ... كيـفَ جـدَّتْ بهـمُ تلـك الرُّحَـلْ

نقلَتْهـم عـن فضـاءٍ واسـعٍ ... يمـرحُ الطَّـرفُ بِـهِ حتـى يَمَـلْ

نحـنُ أغـراضُ خُطـوبٍ إنْ رَمَـتْ ... عـادت الأدرُعُ لِيْنـاً[8] كـالحُلَـلْ[9]

وإذا مـا أخْلَفَـتْ أسْهُمهـا ... فـأصـابَـتْ بَطَـلَ القـومِ بَطَـلْ[10]

جُزْ على القبورِ بقلبٍ حاضرٍ، وسَلْها ما فَعلَ الوجهُ الناضرُ؟ ثم افتحْ ناظرَ ناظرٍ، وخاصِمْ نفسَكَ على التوانِي[11] وناظِرْ[12].

ومسنَدون[13] تعاقَرُوا كأسَ الرّدى ... وَدَعـا بسيرِهـمُ الحِمامُ فـأسْرَعـوا

خُـرْسٌ إذا نـاديـتَ إلاَّ أنَّهـم ... وَعَظُوا بما يُرْضي اللبيبَ فأسمعوا

والـدَّهْـرُ يَغْتِـكُ بـالنفـوسِ حِمـامُه ... فَلِمَـنْ تُعِـدُّ كـريمـةً[14] أو تَجْمَـعُ

---

(١) فقصاراه: نهايته.
(٢) قِبَل: طاقة ووسع.
(٣) نُوَبٌ: جمع نائبة: نوازل ومحن.
(٤) علًّا: العلّ: الشرب الثاني.
(٥) النهل: الشرب الأول.
(٦) بزته: سلبته.
(٧) العطل: الخلو عن الزينة.
(٨) ليناً: طرية ناعمة.
(٩) الحلل: جمع حلة، ولا تكون إلا من ثوبين من جنس واحد.
(١٠) بطل القوم: قويهم. بطل: هلك.
(١١) التواني: التقصير.
(١٢) ناظر: من المناظرة، أي: المباحثة والمحاجة.
(١٣) مسندون: جمع مسنّد، وهو الدعي.
(١٤) كريمة: جمعها كرائم، وهي نفائس الأموال.

عجَباً لمَنْ تَبْقَى ذخايرُ مالِه ... وَيَظَلُّ يحفظهُنَّ وهو مُضيَّعُ
ولعاقلٍ ويرى بكلِّ ثنيةٍ ... يُلْفى له بطنُ الصفائحِ مَضْجَعُ
أثْراهُ يحسِبُ أنَّهم ما أسأرُوا[1] ... منْ كأسِهم أضعافَ ما يَتَجَرَّعُ

كم صاحَ بك واعظاً! وما تَسمع، وكم حصَّلْتَ ما يَكفي! ما تقنَع، لقد استَفْرَضَك مولاكَ مالَكَ، فما لك تجمَع! وضَمِنَ أنَّ نَبْتَ الحبَّةِ سبعُمئةٍ وما تَزْرَع!

تشتغلُ عن القرآنِ وتَسْتَمتِع من مغنٍّ يُغَرِّدُ! تمشي إلى نجاتك مشيَ أفزل[2]، وتخرجُ إلى الحربِ وأنتَ أعزل! ويحك! إنَّ والي الحياةِ عن قليلٍ يَعزِل، كأنك بالسماءِ تمورُ، وبالأرضِ تُزَلْزَل، تُنْصَب[3]، ولا تدري أيُّ الكفَّتينِ أثْقَل.

إخواني! غَرقَتِ السفينةُ ونحن نِيامٌ، أبوكم لم يُسامَحْ في لُقْمتِه، وداودُ عُوتِبَ على نظرته[4].

يا مظهرينَ خِدَّ ما ... بهِ الكتابُ وارِدُ
إلى متى تُبْهرجُو ... نَ والبصيرُ ناقِدُ
كيفَ يكونُ حالُكُمْ ... وهْوَ عليكمْ شاهِدُ
عجِبْتُ مِن مستيقظٍ ... والقَلْبُ مِنْهُ راقِدُ
مضيِّعٌ لدينِهِ ... وللذنوبِ رَائِدُ
كأنَّه على مَدا ... هُ مُهْمِلٌ وخالِدُ
فحبَّذا أعمالُكُمْ ... فَهْيَ لكُمْ قلائِدُ
ولا تُضيعوا واجباً ... واجْتَهِدُوا وجَاهِدُوا

إخواني! أفيكم عازمٌ على الصلح؟ أمنكم محبٌّ يضبعُ من الهجر؟ أفيكم ذو وَجْدٍ قَلِقٌ من البَيْن؟ الوقتُ يقْتَضِيكَ[5] يا عاصي، منادِي القَبولِ على منازلِ

---

(١) أسأر: إذا شرب فَتَرَكَ سؤراً، أي: بقية الكأس.
(٢) مشية الأفزل: مشية المقطوع الرِّجْل.
(٣) تُنْصَبُ: أي: تُنْصَبُ الموازينُ يومَ القيامة.
(٤) ما ذكره المؤلف عن عتاب داود على نظرة ليس بثابت، وهو من الإسرائيليات التي تتنافى مع عصمة الأنبياء.
(٥) يقتضيك: يطالبك.

الوصول يقول: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا﴾ [آل عمران: ١٣٣].

الغَيْمُ رَطْبٌ ينادي: يا غافلينَ الصَّبوحُ
فقلتُ: أهلاً وسهلاً ما دامَ في الجِسْمِ روحُ

قد قَيَّدَ الطردُ قَدَمَيْك، وغلَّ[1] الإبعادُ يديك، أفمالكَ عينٌ تبكي عليك؟!.

وفي نظرِ الصَّادي[2] إلى الماءِ حسرةٌ إذا كان ممنوعاً سبيلَ المواردِ

على نوحِ نَحْتٍ[3] السفينةِ، وأن يصيحَ: اركبوا، فما ذنبُه إنْ تخلَّفَ كنعان؟![4].

إذا وقعت عزيمةُ العاصي على فِراقِ دار المعاصي، هيّأ مركبَ القصدِ، وزوَّدَ سَفَرَ العَزْمِ، وقامَ على أقدامِ الجِدِّ، وسعى على طريقِ الرجاءِ، خائفاً من عارِضِ رَدٍّ، فيصيحُ به حينئذٍ هاتفُ القَبول:

لئنْ قَدِمَتْ من سَفْرةِ الهَجْرِ عيسُكُمْ تلقيتُها بالوَصْلِ مِنْ كلِّ جانبِ

إخواني! ما قعودُكم وقد سارَ الرَّكْبُ؟! الحقوهم في المنزل، النجاءَ النجاءَ من شرِّ الخِلاف[5]، الوحا الوحا[6] قَبْلَ لحاقِ الأسلاف، الحذرَ الحذرَ من خُطوات الخطايا، الهَرَبَ الهرَبَ قبلَ بتِّ[7] الأماني بالمَنايا، قبل أن تنزلوا الكِفات[8] وتَلْحقوا الرُّفات[9]، وما بينكم وبين ماذا حلَّ من آفاتٍ آفاتٌ، إلا أنْ تعاينوا الوفاةَ وفات.

* * *

---

(١) غلّ: جعل الغُلّ في يديه، وهو الطوق من الحديد.
(٢) الصادي: العطشان.
(٣) نَحْتٌ: صُنْع.
(٤) كنعان: ولد سيدنا نوح عليه السلام الذي رفض الركوب مع أبيه في السفينة.
(٥) الخلاف: التخلف.
(٦) الوحا: السرعة.
(٧) بت: قطع.
(٨) الكِفات: القبر.
(٩) الرفات: بقايا العظام.

الفصل الثالث [بعد المئة]

عبادَ الله! إنّما الأيامُ طُرُقُ الجِدِّ، والساعاتُ ركائبُ المجد، وأيامُ العافيةِ أوقاتٌ تُستدرَك، وأحيانُ السلامةِ تنادي «مَنْ جَدَّ أدْرَك»:

كَمْ للمنيّةِ مِنْ ضُروبٍ ... بينَ الحوادثِ والخُطوبِ
تدعُ الحبيبَ بلا مُحِبٍّ ... وكذا المُحبُّ بلا حَبيبِ
لا والذي هو قاذفٌ ... بالحتْفِ عَلّامِ الغيوبِ
وبحكمِهِ يُمْلي[1] لِمَنْ ... يُمْلي[2] القبيحَ على الرّقيبِ[3]
ما للنفوسِ معَ المنيّةِ ... في السلامةِ مِنْ نصيبِ
هيهاتَ أينَ يفوتُها ... لا بدَّ مِن سَهْمٍ مُصيبِ
مَنْ دَبَّ فوقَ الأرضِ أصبحَ ... دارجاً[4] بعدَ الدبيبِ
فإذا تغيَّبَ تحتها ... فكفاه بُعداً بالمغيبِ
ولَكَمْ طويلُ العُمْرِ ليسَ ... لعَيْشِه بالمُسْتَطيبِ
ولربَّما انتُزِعَ القصيرُ ... العمرِ مِنْ سَعَةٍ وطِيبِ
ولا تيئَسَنَّ مِنَ البعيدِ ... وخَفْ مُباعدةَ القريبِ
فلَكَمْ حَمَلْتَ معَ المريضِ ... إلى الثَّرى نَعْشَ الطبيبِ

إخواني! احذروا دُنْياكم فإنّها خادعةٌ، وانتظروا حُتُوفَها فهي لا ريْبَ واقعة. أيها العبدُ! إلى متى تشتغلُ بها عن مولاكَ وَهُوَ غَيُّور؟! وكيفَ تَغْتَرُّ بغَرِير[5] هَوًى يُغري[6] ويَغُور[7]؟! وكم عدلْتَ[8] عن العَدْلِ وحاضَرْتَ[9] المحظور!

(١) يُملي: من أملى، أي أمهل.
(٢) يُمْلي: من أمللت الكتاب وأمليته عليه: ألقيته.
(٣) الرقيب: الملك الموكل بكتابة الأعمال.
(٤) دارجاً: يقال: درج الصبي، أي: أخذ في الحركة ومشى أول ما يمشي.
(٥) غرير: من غرّ، وهو الخداع والإطماع بالباطل.
(٦) يغري: يخدع.
(٧) يغور: يقال: غار الماء: ذهب في الأرض.
(٨) عدلت: انحرفت.
(٩) حاضَرْتَ: قَارَفْتَ المحظور وتوغَّلتَ فيه.

أتظنُّ البقاءَ وقلائدُ الفراقِ[1] كالأطواقِ في النحور[2]؟! أما تعتبرُ بأقرانٍ[3] قُرِنوا[4] بقرائن[5] أعمالهم في القبور؟! أمّا مواضعهُم تَفضَحُكَ على وَضْعِ الوضَائعِ[6] والفتور؟! أما حَلَوا[7] اللحودَ[8] فحالَتْ[9] حُلَى[10] تلكَ البُدور؟! أما منازلُهم نازلَهم مُنازِلُهم[11] زال عنهم السرور؟! أبالى بفخرِهمُ الموتُ لا بلْ بَلْبَلَ[12] تلك القصور!.

أين همُ الآن؟! قل لي خلا خاليهم[13] بالثبورِ[14]، مالَ بهم عن المالِ ما لا يُرُؤُ[15]، وصرفَهم صَرْفُ الدُّهور، جرى[16] بهم ما جارَ[17] كما جارى الجارَ[18] جاري[19] المقدور، أصبحَتْ وجوهُهم الصبيحةُ مصطَبِحةً[20] شرابَ

---

(١) قلائد الفراق: شبه الفراق بالقلائد تحيط بالعنق ولا تفارقها، إشارة إلى لزوم الفراق وتحققه.

(٢) النحور: جمع نحر، وهو أعلى الرقبة.

(٣) أقران: جمع قِرن: الكفؤ والنظير في الشجاعة والحرب.

(٤) قرنوا: شدوا وربطوا.

(٥) قرائن: جمع قرينة مأخوذة من قرن الشيء بالشيء، وهي ما يدلّ على المراد من غير كونه صحيحاً. كما في قوله ﷺ: «والبِكْرُ تُستَأذَن وإذْنُها صُمُوتُها» فجعل السكون قرينةً دالة على الرضا.

(٦) الوضائع: جمع وضيعة، وهي الحطيطة والخسارة والثقل.

(٧) حلوا: نزلوا واستقرّوا.

(٨) اللحود: جمع لحد، وهو الشق يكون بجانب القبر للميت.

(٩) حالت: تغيّرت وتبدّلت.

(١٠) حُلى: جمع حلية: كل حلية حليت بها امرأة، والمقصود محاسن الوجه.

(١١) مَنازِلهم: بيوتهم. مُنازِلهم: كناية عن الموت. والمُنازل: المقاتل.

(١٢) بلبل: أزلَ فيها الافتراق والاضطراب.

(١٣) خاليهم: المغادر والتارك.

(١٤) الثبور: الهلاك.

(١٥) ما لا يُرُؤ: كناية عن الموت.

(١٦) جرى بهم: أذهبهم.

(١٧) وما جار: ما ظلمهم.

(١٨) كما جارى الجار: أي كما جرى مع الجار أي أخذه.

(١٩) جاري المقدور: ما يقع من المقادير (وهو فاعل الفعل جرى).

(٢٠) مصطبحة: شاربة شراب الصباح.

الدُّثور(١)، مبانيهم أبينت، فلو أُبينت لم تَبِنِ الإناثُ من الذكور، انفصَمَتْ عُرى الأوصالِ وَخَلَوْا بالخصالِ، فذو الوصالِ منهم مَهْجور، سكنوا بعد الودودِ معَ الدودِ في اللحودِ كمأسور، تكدَّرَ صافيهم فمُصافيهم يُجافيهم، وما فيهم معذور، علا أعلامَهم علاءُ ترابٍ كثيرٍ موفورٍ، وسكنَ المكينُ في كمين إمكانِهِ فاستكانَ في مكانٍ مَخْفور.

بينا مترفُهم قد اطمأنَّ و﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]؛ إذا الأذى كالحذاء، وكذا كلُّ محتذٍ الغرور، وكم قال واعتذرَ، فلمّا لم يَذَرْ قيل: هذا الهَذَرُ زُور.

صبَّ الصابُّ في فِيِّ مَنْ صَبا، فالصَّبا تَسفي على مَنصِبه والدَّبُورُ، وسيأتيكَ يا فتًى ما أتى مَنْ عتا حتى في الرَّواحِ أو في البُكور، فانتبهْ فإنَّ الموتَ يدورُ على ساكني الدور، ويلتقط أربابَ القصورِ بلا فُتورٍ ولا قُصور، وكأنَّكَ بالأمرِ قد فُصل ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠]، فمن جازَ قنطرةَ الهوى آبَ بتجارةٍ لن تبور، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

أينَ أهلُ الديارِ مِنْ قومِ نوحٍ　　ثم عادٍ مِنْ بعدِهِمْ وثمودُ
بينما القومُ في النَّمارقِ والديباجِ　　أفضَتْ إلى الترابِ الخدودُ
وأطباءٌ بعدَهم لَحِقوهم　　ضلَّ عنهم سَعُوطُهُمْ واللَّدودُ(٢)
وصحيحٌ أضحى يعودُ مريضاً　　وَهْوَ أدنى للموتِ مِمَّنْ يعودُ

يا قليلَ البضاعةِ! بل يا مفلسُ! ترجو النجاةَ بالمعاصي؟! لقد وسوس، أتلبس ثوبَ الشيب؟ ثم تُلَبِّسْ، جاء الصباحُ فَنَسَخَ حكمَ الخَنْدَس(٣)، وأطرق النَّيْلَوْفَرُ لما حدَّق النَّرْجِس، يا مَنْ يقومُ من المجلسِ كما يَجْلِس، كن كيف شئتَ، فإنَّما تجني ما تَغْرِس، ألكَ عذرٌ؟ قل لي؟ الباطلُ يُخْرِس:

---

(١) الدثور: الانقراض والزوال.

(٢) اللدود: ما يُصَبُّ من دواء في أحد شقي الفم فيمر على اللديد، وفي الحديث: «خيرُ ما تَداوَيْتُم به اللُّدود والحِجامَة والمشي»، وقال الأصمعي: اللدود: ما سقي الإنسان في أحد شقي الفم.

(٣) الخندس: الليل.

كيفَ الرحيلُ بلا زادٍ إلى وطنٍ ... ما ينفعُ المرءَ فيه غيرُ تقواهُ
مَنْ لم يكنْ زادُه التقوى فليسَ لهُ ... يومَ القيامةِ عُذْرٌ عندَ مولاهُ

يا ربِّ! إليكَ منا نَتَظلَّم، أحوالُنا تَنطِقُ عنّا وما نتكلَّم، وقلوبُنا من ذنوبنا تبكي وتتألم، وأنت العالمُ الذي لا تُعَلَّم.

أتَتْرُكُنا للجهل؟ وأبونا منك تعلَّم. يا من أخَّرَ ما شاءَ كما شاءَ وقدَّم. لا تجعلْنا ممَّنْ إذا رَحَلَ تَندَّم. يا مَنْ نبّهَ الفُضَيْلَ وابنَ أدْهَم. قد تركتنا الذنوبُ لا نُشْتَرى بدرهم:

يا عمادِي في شِدَّتي ورجائي ... عندَ فَقْري وكوكبي في المعامي
ساعتي إنْ نَأيْتَ يومٌ ويومي ... مثلُ شهرٍ والشهرُ مثلُ العامِ

يا صاحبَ الخطايا لستَ معنا، يا مقبلاً على الهوى ما أنتَ عندنا، ضاعَتْ حِبَلي في تحصيلِ قلبك، اشتدَّتْ حَيْرَتي في تَلافي أمرِك، وا عجباً! أُخَوِّفُكَ عواقبَ الأمور، وما تتوب، وأشرَحُ لكَ أحوالَ الصالحين وما تؤوب، ومتى سقطَتْ شهوةُ العليل دنا الموتُ، قد أوقدْتُ نارَ المواعظِ إلى جانبِ كَسَلِكَ، ونَفَسُ عزيمتكَ شديدُ البرودةِ، وقد اتَّفقَ الأطباء على أنَّ النَّفَسَ البارِدَ في المرضِ الحادِّ دليلُ الهلاك:

الموتُ في كلِّ حينٍ يَنْشُرُ الكَفَنا ... ونحنُ في غفلةٍ عمّا يُرادُ بنا
كأنَّ ما قد رأينا في أحِبَّتِنا ... من الرَّحيلِ ونأيِ الدارِ ليس لنا

واللهِ ما فاز سوى الزاهدين، ولا نالَ الربحَ غيرُ العابدين، ونهايةُ الكمال للمحبين، كان هَمُّ القومِ طلبَ النجاةِ، وكانتْ لذَّتُهم في المناجاة، فارتَفَعَ لهم القَدْرُ وعلا الجاه، لو رأيتَهم في الأسحارِ، وقد حار الخائف بين اعتذارٍ واستغفارٍ ولطائف، ويتخلَّلُ ذلك دمعٌ غزيرٌ ذارفٌ[1]، يَرمز إلى شوقٍ شديدٍ متكاثِف.

كانَتْ عابدةٌ تقومُ من أول الليلِ، وتقول: تشاغلَ الناسُ بلذّاتِهم، وقد جئتُ إليك يا محبوبُ:

---

(١) ذارف: سائل وجارٍ.

سُروري بِـنَ الـدَّهْـرِ لقيـاكُـم ... ودارُ سـلامـيَ مَغنـاكـم

وأنـتُـمْ مَـدَى أملـي مـا حييـتُ ... ومـا طـابَ عيشـيَ لـولاكـم

جنابُكُمُ الرَّحبُ مَرْعى الكرامِ ... فـلا ضَـوَّحَ[1] الـدَّهْـرُ مَـرْعـاكـم

حشا البينُ يومَ رَحَلْتُم حَشايَ ... بنارِ الهُمومِ وحاشاكُمُ[2]

فيا ليتَ شِعْري ومَنْ لي بأنْ ... أعيشَ إلى يومِ ألقاكم

إذا ازدَحَمَتْ في فؤادي الهمومُ ... أُعَلِّلُ قلبي بذكراكُم

وأستنشِقُ الريحَ مِنْ أرضِكُمْ ... لعلّي أحظى بريّاكُم

فلا تَنْسَوا العَهْدَ فيما مضى ... فَلَسْنا مدى الدهرِ نَنْساكُم

تاللهِ لقد حصل للقومِ فوزُ الدَّارَيْن، ورضيتُم أنتم بالبَيْنِ من البَيْن[3].

تنبَّهوا يا نيامُ! كم ضَيَّعْتُم من عام! الدنيا كلُّها منام، وأحلى ما فيها أحلامٌ، غيرَ أنَّ عقل الشيخ بالهوى غُلام، علامَ قَتْلُ النفوسِ عَلام؟! هل هو إلا ثوبٌ وطعام؟! ثم يتساوى خزٌّ[4] وخام[5]، ولذّاتٌ طيّباتٌ وَوِخام[6]، إنما يَعْرِفُ الفُطَناءُ لا الطُّعام[7]، آهٍ للغافل! إلى كم يُلامُ! أما توقظُكَ الليالي والأيام؟! أين سُكّانُ القصورِ والخيام؟ دارت على الكُلِّ كأسُ الحِمام[8] ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

إلى متى مزاحمةُ الأنعام؟! رُدُّوا هذه الأنفسَ بزمام، ازجُرُوا هذه القلوبَ عن الآثام، اقرؤوا صحائفَ العِبَرِ[9] بألسنة الأفهام[10]، موتُ الجبران شَكْلٌ[11]

---

(١) ضوَّح: يبس.

(٢) حشا: ملأ. حشاي: أي أحشائي، وهو الجوف. حاشاكم: من حاشا وهي أداة استثناء، والمعنى: براءةً ومعاذاً.

(٣) البين الأولى: البعد. البين الثانية: الوصال والمودة.

(٤) خز: ما ينسج من الثياب من صوف وحرير خالص.

(٥) خام: الخام من الثياب الذي لم يُبَيِّضه القَصّار.

(٦) وخام: غير مستمرأ من الطعام. والطعام الوخيم: غير الموافق لآكله.

(٧) الطُّعام: أراذل الناس وأوغادهم.

(٨) الحِمام: قضاء الموت وقدره.

(٩) العِبَر: جمع عِبْرة مواضع الاتعاظ والاعتبار.

(١٠) الأفهام: جمع فَهْم: حسن تصور المعنى أو جودة استعداد الذهن للاستنباط.

(١١) شَكْل: الشكل: الحركة توضع على الحرف. يقال شكلَ الكاتبَ: ضبطه بالشكل =

واخذُ الأقرانِ[1] إعْجام[2]، يا مَنْ أجَلُهُ خَلْفَه، وأمَلُهُ قُدَّام، ربَّ يومٍ له بِفتاح، ما لَهُ خِتام.

يا مقتحماً على الحرامِ أيَّ اقتحامٍ، ستعلمُ مَنْ يبكي في العُقبى عُقبى الإجرام[3]، ويشاركُ النَّدامى على النَّدامى[4] والمُدام، يا طويلَ المرضِ! متى يَبرأ السُّقام؟! يا من إنْ قَعَد فللدنيا، وكذا إنْ قام، أولُ الدُّنيا همٌّ، وآخرُها مَوْتٌ زُؤام[5]، حَلَّ لها الفراقُ، وحُرِّمَ عليها الدوامُ، سحابُها لا يُمطر، وسماؤها قَتام[6]، كلُّها عيبٌ في عَيْبٍ، وذامٌ في ذام، أتعيبُها عندَ مُحِبِّها؟! متى يسمعُ العَذْلَ مُسْتَهام[7]؟!.

خلِّها واخرجْ عنها بسلامٍ إلى دارِ السلام؛ فالجنَّةُ رخيصةٌ[8] ثم ما تغلو على مُستام، خُذْها إليكَ نصيحةً من طَبٍّ[9] يداوي الأسقام[10]، يضع الهناء[11] موضع النَّقْبِ[12]، ويعرفُ أصلَ الآلام، ويُرَكِّبُ المرهمَ عن خُبْرٍ، ويديرُ كيفَ شاءَ الكلام، ما بعدها[13] نصيحةٌ تكفي والسلام.

* * *

= لتسهُّلَ قراءته.

(١) الأقران: جمع قِرْن، وهو المثل في الشجاعة والعلم وغير ذلك.

(٢) إعجام: يقال: أعجم الكتاب، أي: أزال إبهامه بالنقط.

(٣) العقبى الأولى: الآخرة. وعقبى الثانية: العاقبة.

(٤) الندامى الأولى: النادمين. والندامى الثانية: من المنادمة والمسامرة.

(٥) زؤام: عاجل سريع.

(٦) القَتام: الغبار الأسود.

(٧) العذل: اللوم. مستهام: المشغوف محبةً.

(٨) رخيصة: ناعمة ولَيِّنة.

(٩) طَبٌّ: طبيب.

(١٠) الأسقام: الأوجاع.

(١١) الهناء: القَطِران.

(١٢) النقب: الجرب يصيب الإبل.

(١٣) ما بعدها: ليس وراءها.

آخر كتاب المدهش

الحمد لله عددَ أنفاس أهل الجنة

وصلواتُه على محمدٍ وآله ، وسلم كثيراً وشرّف وكرّم

وفرغ منه ناظمه عبد الرحمن بن علي بن الجوزي يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وخمسمئة، حامداً الله سبحانه، ومصلّياً على رسوله محمد وعلى آله ومسلّماً، يرحم الله من نفع به وانتفع، ودعا لمؤلفه بالعفو والغفران[1].

* * *

(١) جاء في خاتمة (أ): وافق الفراغ من نسخه في أواخر شهر ربيع الثاني لسنة (١١٤٢هـ) اثنتين وأربعين ومئة وألف على يد الفقير مصطفى بن بكتاش، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وفي آخر (ب): تم كتاب المدهش بحمد الله وعونه، وصلاته على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ، وكان الفراغ من نسخه في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبعمئة، غفر الله لكاتبه وقارئه ولجميع المسلمين يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ملحق التراجم

الحمد لله الذي جعلَ في السماءِ نجوماً لنهتديَ بها في ظلماتِ البرِّ والبحر، وجعلَ من البشرِ نجوماً لنهتديَ بها في ظلمات الغفلات والأهواء والفتن.

والصلاة والسلام على النبيّ الهادي، السراج المنير، وعلى آله وأصحابه مصابيح الهُدَى، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فعلى الصفحات القليلة التالية، نستعرض مقتطفاتٍ من سِيَرِ أُناسٍ عاشوا فوق هذه الأرض، أشاعوا فيها الخيرَ، ونشروا فيها المعرفة، وأضَّلوا فيها المنهاجَ التطبيقيّ لحقائقِ الغيبِ في عالم الشهادة.

هم إشاراتُ هدايةٍ على طريق السير إلى الله، هم أطواقُ نجاةٍ للغارقين في بحارِ الشهواتِ والبعدِ عن الله.

عرفوا اللهَ فأحبُّوه، وجعلوه في قلوبهم، وعرفوا الدنيا فجعلوها في أيديهم وسيلةً للأُنس بمحبوبهم.

هم بشرٌ.. إلا أنهم تخرَّجوا في مدرسة الإسلام، وتربوا على تعاليم وهدي المصطفى رسول الله ﷺ.

* * *

● **أبو علي لدقاق:**

أبو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري.

كان يعظُ الناسَ، ويتكلَّم عن الأحوال والمعرفة، ومن كلامه:

- من تواضع لأحد لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه، لأنّه خضعَ له بلسانه وأركانه، فإن اعتقدَ تعظيمَه بقلبه، أو خضعَ له به؛ ذهب دينه كله.

- وقال في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]: اذكروني وأنتم أحياء، أذكركم وأنتم أموات تحت التراب، وقد تخلَّى عنكم الأقارب والأصحاب والأحباب.

- وقال: البلاء الأكبر أن تريدَ ولا تُراد، وتدنو فتردَّ إلى الطردِ والإبعاد.

- وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، أنشد يقول:

جُنِنا بليلى وهي جُنَّتْ بغيرِنا ... وأُخرى بنا مجنونةٌ لا نريدُها

- وفي قوله ﷺ: «حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِه»[1] قال: إذا كان هذا المخلوقُ لا وصولَ إليه إلا بتحمّل المشاقّ، فما الظنُّ بمن لم يزل؟!.

- وقال في الحديث: «جُبِلَتِ القلوبُ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها»: يا عجباً لمن لم يَرَ مُحْسِناً غيرَ الله، كيفَ لا يميلُ بكلّيته إليه؟!.

قال ابن كثير في (البداية): «كلامه على هذا الحديث جيّدٌ، والحديثُ لا يصحُّ بالكلية». توفي أبو علي سنة (٤١٢هـ).

● **أبو العتاهية:**

أبو إسحاق، إسماعيلُ بنُ قاسم بن سُويد بن كَيسان العَنزي، رأسُ

---

(١) حديث صحيح.

الشعراءِ، الأديبُ الصالحُ الأوحدُ، نزيلُ بغداد، لُقِّبَ بأبي العتاهيةِ لاضطرابٍ فيه، وقيل غيرَ ذلك. سار شعرُه لجودَتِه وحُسْنِه وعدم تَقَعُّرِه. وكان أبو نُواس يُعظِّمُه، ويتأدَّبُ معه لدينه، ويقولُ: ما رأيتُه إلا وتوهَّمتُ أنَّه سماويٌّ، وأنّي أرضي. وهو القائل:

إنَّ الشَّبابَ والفَراغَ والجِدَه ... مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أيُّ مَفْسَده
حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ القُوتُ ... ما أكْثَرَ القُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ
هيَ المَقاديرُ فلُمني أوْ فَذَرْ ... إنْ كُنْتُ أخْطَأْتُ فما أخطا القَدَرْ

توفّي أبو العَتاهية في جُمادى الآخرة سنة إحدى عشرة ومئتين. وقيل: سنة ثلاث عشرة ومئتين. وله ثلاث وثمانون سنة، أو نحوِها، ببغداد.

● **أبو العلاء المعري:**

أحمدُ بنُ عبد اللهِ بنِ سليمانَ.

وترجعُ أصولُ نسبه إلى النبيِّ هُود عليه السلام، التَّنوخيُّ المَعَرِّيُّ الأعمى، اللُّغوي، الشاعرُ، صاحبُ التصانيف السائرة، والمُنَّهَمُ في نِحْلَتِهِ. شيخُ الآداب. وُلد سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمئة.

وأصرَّ بالجُدَرِيِّ وله أربعُ سنين وشهر؛ سالتْ واحدةٌ، وابيضَّتِ اليُمنى، فكان لا يَذْكُرُ من الألوانِ إلا الأحمرَ لثوبٍ أحمر ألبسوه إياه. وقد جُدِّرَ، وبقي خمساً وأربعين سنةً لا يأكلُ اللحمَ تزهُّداً فلسفيّاً.

وكان قَنوعاً مُتعفِّفاً، له وَقْفٌ يقومُ بأمره، ولا يَقبلُ من أحدٍ شيئاً، ولو تكسَّبَ بالمديح لحصَّلَ مالاً ودُنيا، فإنَّ نظمه في الذروة، يُعَدُّ مع المتنبي والبُحتُري.

وأخذ الأدبَ عن بني كوثر، وأصحابِ ابنِ خالويه، وكان يَتوقَّدُ ذكاءً.

كان يَحْفَظُ كلَّ ما مرَّ بسمعِه، ويُلازم بيتَه، وسمى نفسَه رهينَ المَحْبَسَين، للزومه منزلَه والعمى، وقال الشِّعْرَ في حداثته، وكان يُملي تصانيفَه على الطَّلَبَةِ من صَدْرِه.

ودخل أبو الفتح القاضي عليه بَغْتَةً، فسمعه يُنشد:

كَمْ غُدِيرَتْ غادَةٌ كَعابٌ ... وعُمِّرَتْ أمُّها العَجوزُ

أحرَزَهَا الوالِدانِ خَوْفاً والقبرُ لها حِرْزٌ حَريزُ
يجوزُ أن تُخْطِئَ المَنَايا والخُلْدُ في الدَّهرِ [عزيزُ]

ثم تأوَّهَ مرات، وتلا قولَه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود]. ثم صاح وبكى، وطرح وجهه على الأرضِ زماناً، ثم مَسَحَ وجهَه، وقال: سبحانَ مَنْ تكلَّمَ بهذا في القِدَم، سُبحانَ مَنْ هذا كلامُه. فصبرتُ ساعةً، ثم سَلَّمْتُ، ثم قلتُ: أرى في وَجْهِكَ أثَرَ غيظٍ؟ قال: لا، بل أنشدتُ شيئاً من كلام المخلوق، وَتَلَوْتُ شيئاً من كلامِ الخالق، فلْحِقَني ما ترى.

قال أبو المكارم ـ وكان من أفراد الزمان ـ: لما تُوفي أبو العلاء اجتمع على قبرِه ثمانون شاعراً، وخُتِمَ في أسبوعٍ واحدٍ مئتا ختمة.

وفي الجُملة: فكان من أهلِ الفضلِ الوافرِ، والأدبِ الباهر، والمعرفةِ بالنسبِ وأيامِ العرب، قرأ القرآنَ بروايات، وسَمِعَ الحديثَ على ثقات، وله في التوحيد وإثبات النبوات، وما يَخُصُّ على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة شعرٌ كثير، والمُشكِلُ منه فله على زَعمه تفسير. مات في أوائل شهر ربيع الأول سنة تسعٍ وأربعينَ وأربعمئة، عن ستٍّ وثمانينَ سنة.

● **ابو بكر النَّهْشَلي:**

الكوفي: من علماء الكوفة، في اسمه أقوال، ولا يُعرف إلا بكنيته.

تكلَّمَ فيه ابنُ حِبَّان، فقال: كان شيخاً صالحاً فاضلاً، غلبَ عليه التَّقَشُّفُ حتى صارَ يَهِم ولا يعلم، ويُخطئ ولا يفهم، فبطل الاحتجاجُ به.

قال الذهبي في (السير): «بل هو صدوق، احتجَّ به مسلم وغيره».

وكان صالحاً، يثب للصلاة في مرضه ولا يقدِر، فيقال له، فيقولُ: أُبادِرُ طيَّ الصَّحيفة. توفي النَّهْشلي سنة ست وستين ومئة.

● **ابو بكر بن عياش بن سالم الأسَدي:**

المقرئ، الفقيهُ، المحدِّثُ، شيخُ الإسلام، وبقيةُ الأعلام، مولى واصل الأحدب، وُلد سنة خمس وتسعين.

قرأ القرآن، وجوَّده ثلاثَ مراتٍ على عاصم بن أبي النَّجود.

سُئل: قد بلغكَ ما كان من أمر ابن عُلَيَّة في القرآن.

قال: ويلك، مَنْ زعمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو عندنا كافرٌ زِنْديقٌ عدوُّ الله لا نجالِسُه ولا نكلِّمه.

مكث نحواً من أربعين سنة يختِمُ القرآن في كلِّ يومٍ وليلةٍ مَرَّة.

لما حَضَرَتْ أبا بكر الوفاة، بكت أخته، فقيل لها: ما يُبكيكِ؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوكِ فيها ثمانية عشر ألف ختمة.

مات أبو بكر في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومئة، عن ستٍّ وتسعين سنة.

● **أبو تمّام:**

حَبِيبُ بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي.

شاعر عصره، من حَوْران، من قرية جاسم. مدحَ الخلفاءَ والكُبَراء. وشعره في الذِّرْوَة. كان أسمرَ طُوالاً فصيحاً، عَذْبَ العبارةِ، مع تَمْتَمةٍ قليلةٍ.

وُلِدَ في أيام الرشيد، وكان أولاً حدثاً يَسقي الماءَ بمصر، ثم جالسَ الأدباء، وأخذَ عنهم، وكان يتوقَّدُ ذكاءً. وسَحَّتْ قريحتُه بالشعر البديع. فسمع به المعتصم، فطلبه، وقدَّمَهُ على الشعراء، وله فيه قَصائد. وكان يُوصَفُ بطيب الأخلاق والظَّرْف والسماحة. وقد كان البحتريُّ يرفعُ من شأن أبي تمام، ويقدِّمُه على نَفْسِه، ويقول: ما أكلتُ الخبزَ إلاَّ به، وإنِّي تابعٌ له.

وهو القائل:

وَلَو كانَتِ الأَرْزاقُ تُجْرَى عَلى الحِجَى ... هَلَكْنَ إذاً مِنْ جَهْلِهِنَّ البهائِمُ
وَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وغَرْبٌ لقاصِدٍ ... ولا المَجْدُ في كفِّ امرئٍ والدَّراهِمُ

وله أيضاً:

ألم ترني خَلَّيْتُ نَفْسِي وَشأنَها ... فَلَمْ أحْفِلِ الدُّنيا ولا حدثانَها

لقد خَوَّفتني الحادِثاتُ صُرُوفَها ... وَلَـوْ أمْتَنَّتِـي مـا قَبِلْـتُ أمَـانَهـا
يقولونَ: هَلْ يَبْكِي الفَتَى لخريدةٍ ... مَتَى ما أرادَ، اغتاضَ عَنْراً مَكانَها؟
وَهَلْ يَسْتَعِيضُ المَرْءُ مِنْ خَمسِ كَفِّه ... وَلَـو صـاغَ من حُـرِّ اللُّجَينِ بَنـانَها؟

لمَّا مات رثاه محمد بن عبد الملك الوزير فقال:

نَبَـأٌ أَلَـمَّ مُقَلْقِـلُ الأحْشَـاءِ ... لَمَّـا أتَـى بِـنْ أعظَـمِ الأنْبـاءِ
قَالُوا: حَبِيبٌ قَدْ ثَوى، فأجَبْتُهم: ... نَـاشَـدْتُكُـمْ لا تَجْعَلُـوهُ الطَّـائي

كان واحدَ عَصرِه في دِيباجةِ لفظه، وفصاحةِ شِعْرِه، وحُسْنِ أسلوبه. أَلَّفَ (الحماسة) فَدَلَّتْ على غَزارةِ معرفتِهِ بحُسْنِ اختيارِه، وله كتاب (فحول الشعراء)، وقيل: كان يحفظُ أربعةَ عشر ألف أرجوزة للعرب.

مات في المحرَّم سنة اثنتين وثلاثين ومئتين.

● **ابو جَنْدَل رضي الله عنه:**

اسمه: العاصُ بنُ سُهَيْل بن عَمْرو بن عَبْدِ شَمْس بن عَبْدِ وُدٍّ بن نَصْر بن حِسْل بنِ عَامِر بن لُؤَيّ بن غالِب بن فِهْر العَامريُّ القُرَشيُّ.

كان من خِيار الصحابة، وقد أسلمَ، وحبسَه أبوه وقيَّدَه، فلمَّا كان يومَ صُلحِ الحديبية، هربَ يَحْجِلُ في قيودِه، وأبوه حاضِرٌ بين يدي النبيِّ ﷺ لكتاب الصلح. فقال: هذا أَوَّلُ مَنْ أقاضيك عليه يا محمّد. فقال: هبه لي، فأبى. فردَّه وهو يصيحُ ويقول: يا مسلمون أُرَدُّ إلى الكُفر؟ ثم إنَّه هرب. وله قصّة مشهورة مذكورة في (الصحيح) وفي المغازي. ثم خلصَ وهاجر، وجاهد، ثم انتقل إلى جهاد الشام، فتوفي شهيداً في طاعون عَمَواس بالأردن سنة ثماني عشرة.

● **ابو سُليمان الدَّارانيّ:**

عبدُ الرحمن بنُ أحمد، الإمامُ الكبيرُ، زاهدُ العصر وُلد في حدود الأربعين ومئة. قال يعجَبُ ممن يتعلَّق بالدّنيا: إنَّ مِنْ خَلْقِ اللهِ خلقاً لو زُيِّنَ لهم الجِنانُ ما اشتاقوا إليها، فكيف يُحِبُّون الدنيا وقد زَهَّدهم فيها؟!.

قال أحمد بن أبي الحَوَارِي: سمعتُه يقولُ:

لولا الليلُ لما أحببتُ البقاءَ في الدُّنيا، ولربَّما رأيتُ القلبَ يضحكُ ضِحكاً.

قال أحمدُ: ورأيتُ أبا سُليمان حين أراد أن يُلَبِّي غُشِيَ عليه، فلما أفاقَ

قال: بَلَغني أنَّ العبدَ إذا حجَّ من غير وجهة، فقال: لَبَّيك، قيل له: لا لَبَّيكَ ولا سَعْدَيْك حتى تطرَحَ ما في يديك، فما يُؤْمِنُنَّا أن يُقال لنا مثل هذا؟! ثم لبَّى.

ومن أقواله: إنَّ مَن وَثِقَ بالله في رِزْقِهِ زادَ في حُسن خلقه، وأعقبَهُ الحِلْمَ، وسَخَتْ نَفْسُهُ، وقلَّتْ وساوسُه في صلاتِه.

قال أحمد بن أبي الحَواري: تمنَّيْتُ أن أرى أبا سُليمان الداراني في المنام، فرأيتُه بعد سنةٍ، فقلتُ له: يا معلِّمَ ما فعلَ اللهُ بكَ؟ قال: يا أحمدُ دخلتُ من باب الصَّغير، فلقيتُ وَسْقَ شِيحٍ، فأخذتُ منه عوداً، فلا أدري تخللتُ به أم رَميتُ به! فأنا في حِسابه من سنة.

توفّي أبو سُليمانَ سنةَ خمس عشرة ومئتين. وقال أحمدُ: مات سنةَ خمسٍ ومئتين.

● **أبـو عبيدة الخواص:**

هو عَبَّاد بن عبّاد، واشتهر بأبي عبيدة، وإنَّما هو أبو عتبة، كما ذكره البخاري وغيره.

كتب مرةً إلى إخوانِه يعظهم فقال: إنكم في زمانٍ قد رقَّ فيه الورع، وقلّ فيه الخشوع، وحمل العلم مفسدوه، فأحبّوا أن يعرفوا بحمله، وكرهوا أن يُعرفوا بإضاعة العمل به، فنطقوا فيه بالهوى ليتزيّنوا ما دخلوا فيه من الخطر، فذنوبهم ذنوبٌ لا يُستغفر منها، وتقصيرهم تقصيرٌ لا يُعترف به، أحبّوا الدنيا، وكرهوا منزلة أهلها، فشاركوهم في العيش، وزايلوهم بالقول.

وامتنع عن الضحك، فسُئل: لم لا تضحك؟ فقال: كيف أضحك وفي أيدي المشركين من المسلمين أحد؟!.

وكان يمشي في طريق البصرة وهو يقول: وا شوقاه إلى مَنْ يراني ولا أراه.

ونقل أحمد بن الحواريّ أنَّ عبداً دخل على إبراهيم بن صالح أمير فلسطين، فقال له: يا شيخ! عظني، فقال: بِمَ أعظكَ أصلحكَ الله؟ بلغني أنّ أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ما يعرض على رسول الله ﷺ من عملك. فبكى حتى سالت الدموع على لحيته.

وعن بشر بن الحارث قال: رأيتُ على جبالِ عرفة رجلاً قد ولع به الوله، وهو يقول:

سبحانَ مَنْ سَجَدْنا بالعيونِ لهُ ... على شبا الشوكِ والمُحمَّى مِنَ الإبرِ
لم نبلغِ العُشْرَ مِنْ مِعْشَارِ نعمتِهِ ... ولا العُشَيْرَ ولا عُشْراً مِنَ العُشْرِ
هو الرفيعُ فلا الأبصارُ تُدْرِكُهُ ... سبحانَهُ مِنْ مَليكٍ نافذِ القَدَرِ
سبحانَ مَنْ هو أُنسي إذ خَلَوْتُ بِهِ ... في جوفِ ليلي، وفي الظَّلْماءِ والسَّحَرِ
أنتَ الحبيبُ وأنتَ الحبّ يا أملي ... مَنْ لي سِوَاكَ وَمَنْ أرْجُوْهُ يا ذُخْرِي

قال: ثم غاص في خلال الناس، فلم أرَه، فسألت عنه، فقيل: هذا أبو عبيدة الخواص، منذ سبعين سنة لم يرفع رأسَه إلى السماءِ حياءً منَ الله عزَّ وجلّ.

وسمع عقبة بن فُضالة أبا عبيدة بعدما كبر وهو آخذٌ بلحيتِهِ يبكي ويقول: قد كبرتُ.. فأعتقني.

● **أبو عِمران الجَوني:**

عبدُ الملك بن حبيب البصري.

الإمام الثقة، كان الغالبُ عليه الكلامَ في الحِكَم، وكان يقول: أما والله لئن ضيَّعْنا، إنَّ لله عِباداً آثروا طاعةَ الله تعالى على شهواتهم.

ويقول: أجرى اللهُ علينا وعليكم محنته، وجعلَ قلوبَنا أوطاناً تَجرُّ إليه.

توفي في سنة ثلاث وعشرين ومئة، وقيل: سنة ثمان وعشرين عن سنٍّ عالية.

● **أبو نُواس:**

أبو علي الحسنُ بنُ هانئ الحكَمي، وقيل: ابن وهب.

رئيسُ الشعراء، وُلِدَ بالأهْواز، ونشأ بالبصرةِ. قيل: لُقِّبَ بهذا لِضَفْرَتين كانتا تَنوسان على عاتِقَيْه، أي: تَضْطربان. وهو القائل:

سُبحانَ ذي الملكوتِ أيَّةُ لَيْلَةٍ ... مَخَضَتْ صَبيحتُها بِيَومِ الموقِفِ
لو أنَّ عَيْناً وَهَّمَتْها نَفْسُها ... ما في المَعادِ مُحَصَّلاً لَم تَطْرُفِ

وله:

ألا كُلُّ حيٍّ هالِكٌ وابنُ هالكِ ... وذو نَسَبٍ في الهالكينَ عَريقِ
إذا امْتَحَنَ الدُّنيا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَهُ عَنْ عَدُوٍّ في ثيابِ صَديقِ

قال أبو العتاهية: قلت في الزهد عشرين ألف بيت، ووددتُ أنَّ لي مكانها الأبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس، وكانت مكتوبة على قبره:

يا نُواسيُّ تَوقَّرْ ... أو تغيَّرْ أو تصبَّرْ
إنْ يكنْ ساءَكَ دهرٌ ... فَلَعَلَّ سَرَّكَ أكثرْ
يا كثيرَ الذَّنْبِ عفوُ اللهِ من ذَنْبِكَ أكبَرْ

وممَّا يدلُّ على تمكّنه في الشعر أنَّه سمع حديثَ سهيل عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «القلوبُ جنودٌ مجنَّدةٌ، فما تعارَفَ منها ائتلف، وما تناكَرَ منها اختلَفَ» فنظم ذلك في قصيدة له فقال:

إنَّ القلوبَ لأجنادٌ مجنَّدةٌ ... للهِ في الأرضِ بالأهواءِ تَنْتَسِفُ
فما تناكَرَ منها فهو مختلِفٌ ... وما تعارَفَ منها فهو مُؤْتَلِفُ

وجلس أبو العتاهية القاسم بن إسماعيل على دكّان ورّاق، فكتبَ على ظهر دفتر هذه الأبيات:

أيا عَجَباً كيف يُعصى الإلـهُ ... أم كيفَ يجحدُهُ الجاحِدُ؟
وفي كلِّ شيءٍ لـه آيةٌ ... تدلُّ على أنَّه الواحِدُ

ثم جاء أبو نواس فقرأها فقال: ما أحسنَ قائلَه واللهِ، واللهِ لوددتُ أنَّها لي بجميعِ شيءٍ قلتُه، لمن هذه؟ قيل: لأبي العتاهية. فأخذ فكتب في جانبها:

سبحانَ مَنْ خَلَقَ الخَلْقَ ... مِنْ ضَعْفٍ مهينِ
يسوقُهُ مِنْ قرارٍ ... إلى قرارٍ مكينِ
يخلُقُ شيئاً فشيئاً ... في الحُجْبِ دونَ العيونِ
حتى بَدَتْ حركاتٌ ... مخلوقةٌ في سكونِ

قال ابن كثير في (البداية والنهاية): ومن شعره المستجاد قوله:

انْقَطَعَتْ شِدَّتي فعُفْتُ الملاهي ... إذْ رَمى الشيْبُ مفرقي بالدَّواهي
ونهتني النُّهى فَمِلْتُ إلى العَدْلِ ... وأشفقْتُ مِنْ مقالةِ ناهي
أيُّها الغافِلُ المقرُّ على السّهو ... ولا عُذْرَ في المعادِ لِسَاهي
لا بأعمالِنا نُطِيْقُ خلاصاً ... يومَ تبدو السماءُ فوقَ المياهِ
على أنَّا على الإساءةِ والتفريطِ ... نرجو من حُسْنِ عفوِ الإلهِ

وقوله:

نموتُ ونبلى غيرَ أنَّ ذُنُوبَنا ... إذا نحنُ مِتْنا لا تموتُ ولا تَبْلَى
ألا رُبَّ ذي عينيْنِ لا تنفعانِه ... وما تنفَعُ العينانِ مَنْ قلبُه أعمى

وذكرَ أنَّه لما أراد الإحرامَ بالحج قال:

يا مالكاً ما أعدَلَكْ ... مليكَ كلُّ مَنْ مَلَكْ
لبيكَ إنَّ الحمدَ لكْ ... والملكَ لا شريكَ لكْ
عبدُكَ قد أهلَّ لكْ ... أنتَ له حيثُ سلكْ
لولاكَ يا ربُّ هَلَكْ ... لبيكَ إنَّ الحمدَ لكْ

ومما أملاه قوله:

إذا خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ ... خلوتُ، ولكن في الخلاءِ رقيبُ
ولا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً ... ولا أنمأً يخفى عليه يغيبُ

وعن الشافعي قال: دخلنا على أبي نواس في اليوم الذي ماتَ فيه وهو يجودُ بنفسِه، فقلنا: ما أعددتَ لهذا اليوم؟ فأنشأ يقول:

تعاظمني ذنبي فلمّا قرنتُه ... بعفوِكَ ربّي كان عفوُكَ أعظما

مع أبيات.

ومما نقل أنَّه كان قد نقشَ على خاتمه «لا إله إلا الله مخلصاً»، فأوصى أن يجعل في فمه إذا غسّلوه، ففعلوا به ذلك. ورآه بعضُ أصحابِه في المنام بعد موته

فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بأبياتٍ قلتُها في النرجس:

تفكَّـرْ فـي نبـاتِ الأرضِ وانظُـرْ ... إلـى آثـارِ مـا صَنَـعَ المليـكُ
عيـونٌ مـن لُجَيـنٍ شاخصـاتٌ ... بـأبصـارٍ هـي الـذَّهَـبُ السَّبِيْـكُ
على قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شاهِداتٌ ... بـأنَّ اللهَ لَيْـسَ لـه شـريـكُ

مات رحمه الله سنة خمس أو ست وتسعين ومئة.

● **أبو يَزيد البِسْطامي:**

طَيْفُور بن عيسى بن شَرْوسان البِسْطامي.

سُلْطانُ العارفين، أحدُ الزهَّاد، وله كلامٌ نافعٌ، منه: ما وَجدْتُ شيئاً أشَدَّ عَليَّ من العِلْمِ ومتابعتِه، ولولا اختلافُ العلماءِ لبقيتُ حائراً.

ومن مناجاته الربَّ تبارك وتعالى:

ـ هذا فَرحي بكَ وأنا أخافُكَ، فكيفَ فَرَحِي بكَ إذا أَمِنْتُكَ؟!.

ـ ليسَ العجبُ من حُبِّي لكَ، وأنا عَبْدٌ فقيرٌ، إنَّما العَجَبُ من حُبِّكَ لي، وأنتَ ملِكٌ قديرٌ.

ـ الجنّة لا خَطَرَ لها عند المحِب، لأنه مَشْغولٌ بمَحبِّيه.

ـ ما دامَ العَبْدُ يَظُنُّ أنَّ في الناسِ مَنْ هو شَرٌّ مِنْهُ، فهو مُتَكَبِّر.

قيل له: عَلِّمْنا الاسم الأعظم.

قال: ليسَ له حَدٌّ، إنَّما فَرَاغ قَلبك لوحدانيَّتِه، فإذا كنتَ كذلك، فارفَع له أيَّ اسمٍ شِئْتَ من أسمائه إليه.

توفي أبو يَزيد رحمه الله تعالى عن ثلاث وسَبعين سنة بِبِسْطَام، سنة إحدى وستين ومئتين.

● **أسيد الضبي:**

بكى أسيد الضبي حتى عميَ، وكان إذا عُوتب على البكاء، قال: الآن حين لا أعدا وأنا أموتُ غداً أأا والله لأبكينَّ، ثم لأبكينَّ، ثم لأبكينَّ، فإن أدركتُ بالبكاءِ خيراً فبمنّ اللهِ وفضلِهِ عليّ، وإن تكنِ الأخرى فما بكائي في جنبِ ما ألقى

غداً؟ قيل: فكان ربّما بكى حتى يتأذّى به جيرانُه من كثرة بكائه.

● **أوَيْسُ القَرَنيّ:**

هو القدوةُ الزاهدُ، سيّدُ التابعين في زَمانه. أبو عَمْرو، أُوَيْسُ بنُ عامر بن جَزْء بن مالك القَرَنيّ المُراديُّ اليمانيُّ. كان من أولياء اللهِ المتّقين، ومن عِبادِه المُخلَصين.

عن أُسَيْر بن جابر، قال: لمّا أقبلَ أهلُ اليمن، جعل عمرُ رضي الله عنه يستقرئ الرُّفاقَ فيقول: هل فيكم أحدٌ من قَرَن؟ فوقع زِمامُ عُمَر أو زِمامُ أُويس فناوله ـ أو ناول أحدُهما الآخر ـ فعرفه، فقال عُمَر: ما اسمُكَ؟ قال: أنا أُويس، قال: هل لك والدة؟ قال: نَعَم. قال: فهل كان بكَ مِنَ البياضِ شيءٌ؟ قال: نعم، فدعوتُ اللهَ فأذهبه عنّي إلاّ موضعَ الدِّرْهم مِنْ سُرَّتي لأذْكُرَ به ربّي. قال له عمر: استغفرْ لي. قال: أنتَ أحقُّ أنْ تَسْتَغْفِرَ لي، أنت صاحبُ رسول الله، فقال عمر: إنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ خَيْرَ التّابعينَ رَجلٌ يُقالُ لهُ: أُوَيسٌ، ولَهُ والِدَةٌ وكان بِه بَياضٌ، فَدَعا الله، فأذهبَهُ عَنْه إلاّ مَوْضِعَ الدِّرْهَمِ في سُرَّتِه، فاسْتَغْفَرَ لهُ، ثم دَخَلَ في غِمارِ الناسِ، فلَمْ نَدْرِ أين وقع؟! قال: فَقَدِم الكوفة. قال: فكُنّا نجتمع في حَلْقة، فنذكُر اللهَ، فيجلسُ مَعَنا. فكان إذا ذَكَرَ هو وَقَعَ في قلوبنا، لا يقعُ حديثٌ غَيْرُه».

ذكرَ ابن القيّم في كتاب (الروح) أنَّ أبا يعقوب القاري قال: رأيتُ في منامي رجلاً آدمَ طوالاً، والناس يتبعونه، قلت: مَنْ هذا؟ قالوا: أويس القرني، فاتّبعته فقلتُ: أوصني يرحمكَ الله، فكلح في وجهي (كلح: عبس) فقلتُ: مسترشِدٌ فأرشِدْني رحمَكَ الله، فأقبلَ عليّ فقال: ابتغِ رحمةَ الله عند محبته، واحذَر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءَكَ منه في ذلك، ثم ولّى وتركني.

اختُلِفَ في وقتِ وفاتِه، فعن عبد الله بن سالم قال: غزونا أذربيجان زمنَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا أويس القرني، فلمّا رجعنا مرضَ علينا، فحملناه فلم يستمسك فمات.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى منادٍ يوم صفّين: أفي القوم أويس القرني؟ فوُجِدَ في قتلى علي. قال ابن الجوزي: هذا هو الصحيح.

● **ابنُ ابي لَيْلى:**

محمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

العلاّمة، الإمام، مفتي الكوفة وقاضيها، أبو عبد الرحمن الأنصاري، الكوفي. ولد سنة نيف وسبعين. ومات أبوه وهو صبي.

كان فقيهاً ونظيراً للإمام أبي حنيفة في الفقه، صاحِبَ سنّة، صدوقاً، جائز الحديث، وكان قارئاً للقرآن، عالماً به. قرأ عليه حمزة الزيات فكان يقول: إنَّا تعلَّمنا جودةَ القراءةِ عند ابن أبي ليلى. وكان مِنْ أحسنِ الناس، ومن أنقطِ النَّاسِ للمصحف، وأخطِّهِ بقلم. وكان جميلاً نبيلاً.

ماتَ ابنُ أبي ليلى رحمه الله في سنة ثمانٍ وأربعين ومئة في شهر رمضان.

● **ابن اذْهَم:**

ابراهيم بن أَدْهَم بن منصور بن يزيد بن جابر.

القدوةُ الإمامُ العارف، سيّدُ الزُّهّاد. كان من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب والجنائب والبُزاة. وكان أنْ أثارَ ثعلباً أو أرنباً، فهتف به هاتف: ألهذا خُلِقْتَ؟ أم بهذا أُمِرْتَ؟ فنزلَ، وصادفَ راعياً لأبيه، فأخذ عباءته، وأعطاه فرسَه، وما معه، ودخل البادية، وصحب الثّوري، والفُضَيل بن عِياض. **ومن أقواله:**

ـ من أراد التّوبة، فليخرجْ من المظالم، وليدعْ مخالطةَ النَّاس، وإلا لم ينلْ ما يريد.

ـ وفي الزهد قال: الزُّهْدُ فرضٌ، وهو الزُّهدُ في الحرام. وزهدُ سلامةٍ، وهو الزُّهدُ في الشُّبُهات. وزهدُ فضلٍ، وهو الزُّهدُ في الحلال.

ـ ويُروى أنَّه كان مع جماعةٍ في البحر، فهاجت ريح، واضطربت السَّفينة، وَبَكوا، فقالوا: يا أبا إسحاق ما ترى؟ فقالَ: يا حيُّ حينَ لا حيّ، ويا حيُّ قبل كلِّ حيّ، ويا حيُّ بعدَ كلِّ حيّ، يا حيُّ، يا قَيُّومُ، يا مُحسنُ، يا مُجْمِل قد أريتَ قدرتَك، فأرنا عفوَك. فهدأت السفينة من ساعته.

ـ ومن حِكَمِه قال: كلُّ ملك لا يكون عادلاً، فهو واللصُّ سواء، وكلُّ عالمٍ لا يكون تقيّاً، فهو والذّئبُ سواء، وكلُّ من ذَلَّ لغير الله، فهو والكلبُ سواء.

وتوفي سنة اثنتين وستين ومئة، وقبرُه بِزُار، وترجمته في (تاريخ دمشق) في ثلاث وثلاثين ورقة.

● **ابن المُعْتَزّ:**

الشيخ أبو الحسن، عبيدُ الله بنُ المُعْتَزّ بن منصور بن عبد الله بن حمزة، النيسابوريُّ. راوي الأجزاءِ الأربعةِ من حديث عليّ بنِ حُجْر.

توفي سنةَ سبعٍ وأربعين وأربعمئة، وهو أخو منصور شيخ إسماعيلَ بنِ المُؤذِّن.

● **ابنُ مَرْزُوق:**

الإمامُ المحدِّثُ الرحّال، أبو الخير عبدُ الله بن مرزوق الهروي، مولى شيخُ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري. قيل: وُلِدَ سنةَ إحدى وأربعين وأربعمئة.

قرأ العلم، ورُزِقَ الفهم، وسَمِعَ الكثيرَ، وسافر وكتب وحصَّل، وكان موصوفاً بالحفظ والمعرفة وحسن السيرة.

مات في جُمادى سنة سبع وخمسمئة.

● **الأسْوَدُ بنُ يَزيد بن قَيْس:**

الإمامُ، القدوةُ، أبوعمرو النَّخَعيّ الكوفي. وقيل: يُكنى أبا عبد الرحمن، وهوأخوعبد الرحمن بن يزيد، ووالدُ عبد الرحمن بن الأسود، وابنُ أخي علقمةَ بن قيس، وخالُ إبراهيم النّخعي. فهؤلاء أهلُ بيتٍ من رؤوس العلمِ والعَمَل.

وكان الأسودُ مُخضرماً، أدركَ الجاهليّة والإسلامَ. حجَّ الأسودُ ثمانين، من بين حجّةٍ وعُمرة. كان يقول في تلبيته: لَبَّيْكَ غفَّارَ الذنوب.

وكان يَخْتِمُ القرآنَ في رمضان في كُلِّ ليلتين، وينامُ بين المغرب والعشاء، وكان يَخْتِمُ القرآن في غيرِ رمضان في كلِّ ستِّ ليالٍ. . وكان إذا حضرتِ الصلاةُ، أناخَ بعيرَه ولو على حجر. وكان صوَّاماً قوَّاماً حجَّاجاً.

توفي رحمه الله سنةَ خمسٍ وسبعين.

● **الجُنَيْد (ت٢٩٨هـ):**

ابنُ محمَّد بن الجُنيد النَّهاوَنْدي ثمَّ البغدادي القَوارِيري، والدُه الخزّاز.

هو شيخُ الصُّوفية، وُلد سنة تيّفٍ وعشرين ومئتين.

عن الجُنيد قال: ما أخرجَ اللهُ إلى الأرضِ عِلماً، وجعلَ للخَلقِ إليه سبيلاً، إلا وقد جعلَ لي فيه حظّاً.

وقيل: إنَّه في سُوقِه ووِرْدُه كلَّ يومٍ ثلاثُمئة رَكعة، وكذا وكذا ألف تسبيحة.

وعنه غيرَ مرّةٍ يقول: عِلْمُنا مضبوطٌ بالكتابِ والسُّنَّة؛ مَنْ لم يحفَظِ الكتاب، ويكتبِ الحديثَ، ولم يتفقَّه، لا يُقْتَدى به.

وعنه قال: أعلى الكِبْرِ أن تَرَى نفسَكَ، وأدناهُ أن تخطرَ ببالك. يعني: نفسك.

وقيل: كان نقشُ خاتم الجُنيد: إنْ كُنْتَ تأمُلُهُ فلا تأمَنْه.

● **الحسن البصري:**

هو الحسن بن أبي الحَسن يسار، أبو سعيد، مولى زَيْد بن ثابت الأنصاري، ويُقال: مولى أبي اليسر كعب بن عَمْرو السَّلَميّ.

ويسار أبوه مِن سَبْي مَيْسان؛ سكنَ المدينةَ، وأُعْتِقَ، وتزوَّجَ بها في خلافةِ عمر، فوُلِدَ له بها الحسنُ رحمةُ الله عليه لسنتين بقيتا من خلافة عمر، واسم أمه خيرة؛ ثم نشأ الحسنُ بوادي القُرى، وحضرَ الجُمعةَ مع عثمان، وسمعه يخطب. ورُوِيَ أن ثَدْيَ أم سلمة دَرَّ عليه ورضعها غيرَ مرّة.

كان رجلاً تامَّ الشَّكْل، مَليْحَ الصورة، بَهِيّاً، وكان مِنَ الشُّجعان الموصوفين.

وقال قتادة: ما جمعتُ عِلْمَ الحَسَن إلى أحَدٍ من العلماء إلاّ وجدتُ له فضلاً عليه، غيرَ أنه إذا أشكلَ عليه شيءٌ، كتب فيه إلى سعيد بن المسيّب يسألُ، وما جالستُ فقيهاً قطُّ إلا رأيتُ فضلَ الحسنِ.

وقال فيه ابن السيب، وعُروة، والقاسم وغيرهم: ما رأيتُ مثلَ الحسن، ولو أدرك الصحابةَ ولـه مِثْل أسنانهم ما تقدَّموه.

وقال الربيعُ بن أنس يصفُ علمه: اختلفتُ إلى الحَسَن عشرَ سنين أو ما شاء الله، فليس مِنْ يومٍ إلاّ أسمعُ منه ما لم أسمَعْ قبل ذلك.

ـ وعن الحسن قال: يا بنَ آدم، واللهِ إنْ قرأتَ القرآن ثم آمنتَ به، ليطولنَّ

في الدُّنيا حُزْنُك، وليستديمنَّ في الدنيا خَوْفُك، وليكثرَنَّ في الدُّنيا بكاؤك.

وقال أحد الصالحين يصفه: ما أريتُ أحداً أطولَ حُزْناً من الحَسن، ما رأيتُه إلاَّ حَسِبْتُهُ حديثَ عَهْدٍ بمصيبةٍ.

ومن حِكَمِه:

- بئسَ الرفيقانِ: الدِّينار والدِّرْهَم، لا ينفعانِكَ حتَّى يُفارقاك.

- ابن آدم، إنَّما أنتَ أيّامٌ، كُلَّما ذهبَ يومٌ، ذهبَ بعضُك.

- فضحَ الموتُ الدنيا، فلم يَتْرُكْ فيها لذِي لُبٍّ فرحاً.

- ضَجِكُ المؤمنُ غَفْلةٌ من قَلْبِه.

- ابنَ آدم، السِّكِّينُ تُحَدُّ، والكَبْشُ يُعْلَفُ، والثَّورُ يُسْجَرُ.

- ومن أقواله: المؤمنُ مَن عَلِمَ أنَّ ما قال الله كما قال؛ والمؤمنُ أحسَنُ النَّاسِ عَمَلاً، وأشدُّ الناسِ وَجَلاً، فلَو أنفقَ جَبَلاً من مالٍ ما أمِنَ أن يُعايِن، لا يزدادُ صلاحاً وبرّاً إلا ازدادَ فَرَقاً، والمنافقُ يقولُ: سوادُ الناسِ كثير، وسيُغفَرُ لي ولا بأسَ عليَّ، فيُسيء العَمَل، ويتَمَنَّى على الله.

مات الحسن رحمة الله عليه في رجب سنة عشرٍ ومئة.

وقال عبد الله بن الحَسَن: إنّ أباه عاشَ نحواً من ثمانٍ وثمانين سنة.

قال صاحب (السير): مات في أوّلِ رجب، وكانت جِنازتُه مشهودةً، صلَّوْا عليه عقِيبَ الجُمعة بالبَصْرة، فشيَّعَهُ الخَلْقُ، وازدحموا عليه، حتى إنَّ صلاةَ العصرِ لَمْ تُقَمْ في الجامع.

● **الحكم الكوفي:**

الحكم بن عُتَيبة. الإمامُ الكبير عالِمُ أهل الكوفة، أبو محمد الكِندي، أبو عمرو وأبو عبد الله. من أقران إبراهيم النخعي، ولدا في عام واحد، سنة ست وأربعين.

قال الأوزاعي: حججتُ فلقيتُ عَبْدة بن أبي لُبابة، فقال لي: هل لقيتَ

الحكم؟ قلتُ: لا، قال: فالقه، فما بين لآبَتَيها أفقه منه.

كان إذا قَدِمَ المدينة، فُرِّغَت له ساريةُ النبيِّ ﷺ يُصلّي إليها.

توفي سنة خمس عشرة ومئة.

● **الخفاجي:**

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (لم نجد له فيما بين أيدينا ترجمة).

● **الرُّبيع بنُ خُثَيْم بن عائذ:**

الإمامُ القدوةُ العابد، أبو يزيد الثَّوْريُّ الكوفيُّ، أحدُ الأعلام.

أدركَ زمانَ النبيِّ ﷺ، وأرسلَ عنه.

وعن ابنةِ للربيع، قالت: كنتُ أقول: يا أبتاه، ألا تنام؟ فيقول: كيفَ ينامُ مَنْ يخافُ البَيات.

كان الربيعُ بن خُثَيْم يُقاد إلى الصلاة وبه الفالِج، فقيل له: قد رُخِّصَ لك، قال: إني أسمَعُ (حيَّ على الصلاة)، فإن استطعتُم أن تأتُوها ولو حبْواً.

وقيل له: لو تداويتَ، قال: ذكرتُ عاداً وثمودَ وأصحاب الرسّ، وقروناً بين ذلك كثيراً، كانتْ فيهم أوجاع، وكانتْ لهم أطبّاء، فما بقي المداوي ولا المداوى إلا وقد فَنِي.

قال له رجل: دُلَّني على مَنْ هو خَيْرٌ منك. قال: نعم مَنْ كانَ مَنْطِقُه ذِكْراً، وصمْتُه تفكُّراً، ومسيرُه تدبُّراً، فهو خَيْرٌ مني.

توفي الربيعُ بن خُثَيْم رحمه الله قبل سنة خمس وستين.

● **السبتي:**

هو ولد هارون الرشيد، يقال: اسمه أحمد، وكان من زبيدة، وقد خرج يوماً يتصيد فوعظه صالح المري فتزهد وتعلم القرآن والعلم، ولما ولي أبوه الخلافة تركه ولم ينل من دنياه شيئاً، وقد كان برّاً بأمه.

وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٧) في قصة مطولة، وابن قدامة في كتاب التوابين (ص ١٧٠ ـ ١٧٣).

● الشِّبْلِيُّ:

أبو بكر، الشِّبْلِيُّ البَغْدَاديُّ. قيل: اسمُه دُلَف بنُ جَحْدر.

أصلُه من الشِّبْلِيّة، ومولده بسامَرّاء. وكان أبوه من كبار حُجّاب الخِلافة، وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق، ثم لما عُزل أبو أحمد من الولاية حضَرَ الشبلي مجلسَ بعض الصّالحين، فتاب، ثُمَّ صَحِبَ الجُنَيد وغيرَه، وصار مِنْ شأنه ما صار. وكان فقيهاً عَارِفاً بمذهب مالك، وكتبَ الحديثَ عن طائفة، وقال الشعرَ، وله ألفاظٌ وحِكَمٌ وحال وتمكُّن، لكنَّه كان يحصُلُ له جفافٌ دِمَاغٍ وسُكْرٍ.

- قيل: إنَّه مرَّة قال: آه، فقيل له: من أيّ شيءٍ؟ قال: من كلِّ شيء.

- وعنه قال: ما قُلْتُ الله، إلاّ واستغفرتُ الله من قولي الله.

- وسُئِلَ: ما علامةُ العارفِ؟ قال: صدرُه مَشروحٌ، وقلبُه مجروحٌ، وجسمُه مَطْرُوحٌ.

توفي ببغداد سنةَ أربعٍ وثلاثين وثلاثمئة، عن نيف وثمانين سنة.

● الشريفُ الرضي:

الشريفُ أبو الحسن، محمدُ بنُ الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى، الحُسينيُّ المُوسويُّ البغداديُّ الشاعر. صاحبُ (الديوان).

قال صاحبُ (السيَر): وديوانُه يكونُ أربعَ مجلَّدات. وله كتاب (معاني القرآن) مُمتِعٌ يدلُّ على سَعَةِ علمه. مات في المحرم، وقيل: في صفر سنةَ ست وأربعمئة وله سبع وأربعون سنة وكان شيعيّاً.

في ترجمة أخيه (الشريف المُرتضى) قال صاحب (السير): هو جامعُ كتابِ (نهج البلاغة) المنسوبة ألفاظُه إلى الإمامِ عليّ رضي الله عنه، ولا أسانيدَ لذلك، وبعضُها باطلٌ، وفيه حقٌّ، ولكن فيه موضوعاتٌ حاشا الإمامَ من النطقِ بها، ولكن أين المُنصِف؟! وقيل: جَمَعَهُ أخيه الشريف الرضي.

● الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرو الدَوسيّ رضي الله عنه:

صاحبُ النبيِّ ﷺ، كان سيداً مُطاعاً من أشراف العرب، ودَوْس بطنٌ من الأزد، وكان الطفيل يلقّب ذا النُّور، أسلم قبل الهجرة بمكة، وذكر ابن إسحاق عن عثمان بن الحويرث، عن صالح بن كيسان: أنَّ الطُّفَيل بن عمرو قال: كنتُ رجلاً شاعراً سيداً في قومي، فقدمتُ مكة، فمشيتُ إلى رجالاتِ قريش، فقالوا:

إنَّكَ امرؤٌ شاعرٌ سيّد، وإنَّا قد خشينا أن يلقاكَ هذا الرجل، فيصيبك ببعضِ حديثِه، فإنَّما حديثُه كالسحر، فاحذره أن يُدخِلَ عليك وعلى قومك ما أدخلَ علينا، فإنَّه فرَّق بين المرءِ وأخيه، وبينَ المرءِ وزوجته، وبين المرء وابنه. . فوالله ما زالوا يُحذّرُونني شأنه، وينهوني أن أسمعَ منه حتى قلتُ: والله لا أدخلُ المسجدَ إلا وأنا سادٌّ أذنيّ، قال: فعمدت إلى أذنيّ، فحشوتُهما كُرْسُفاً، ثم غدوتُ إلى المسجد، فإذا برسولِ الله ﷺ قائماً في المسجد، فقمتُ قريباً منه، وأبى الله إلاَّ أن يُسمعني بعضَ قوله، فقلتُ في نفسي: والله إنَّ هذا للمعجزُ، وإنِّي امرؤٌ ثَبْتٌ، ما تَخْفَى عليَّ الأمورُ حَسَنُها وقبيحُها، والله لأسمَعَنَّ منه، فإن كان امراً رُشداً أخذتُ منه، وإلا اجتنبته، فنزعت الكُرْسُفة، فلم أسمع قطّ كلاماً أحسن من كلام يتكلم به، فقلتُ: يا سبحانَ الله ما سمعتُ كاليومِ لفظاً أحسن ولا أجملَ منه، فلمَّا انصرفَ تبعته، فدخلتُ معه بيته، فقلتُ: يا محمد إنَّ قومك جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، فأخبرته بما قالوا، وقد أبى اللهُ إلاَّ أن أسْمَعَني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنَّه حقّ، فاعرِض عليَّ دينك، فَعَرَضَ عليَّ الإسلامَ فأسلمتُ، ثم قلتُ: إنِّي أرجعُ إلى دَوْس، وأنا فيهم مُطاع، وأدعوهم إلى الإسلام لعلَّ اللهَ أنْ يهديهم، فادعُ اللهَ أن يجعلَ لي آية، قال ﷺ: «اللهمَّ اجعل له آيةً تعينُه».

فخرجتُ حتى أشرفتُ على ثنيَّةِ قومي، وأبي هناك شيخٌ كبير، وامرأتي وولدي، فلمَّا علوت الثنية، وضعَ اللهُ بين عينيَّ نوراً كالشهاب يتراءاه الحاضِرُ في ظلمةِ الليل، وأنا منهبِطٌ من الثنية، فقلتُ: اللهمَّ في غيرِ وجهي، فإنِّي أخشى أن يظنوا أنَّها مُثْلةٌ لفراق دينهم، فتحوّل فوقعَ في رأس سوطي، فلقد رأيتُني أسيرُ على بعيري إليهم، وإنّه على رأس سوطي كأنّه قنديلٌ معلّق، قال: فأتاني أبي فقلتُ: إليك عنّي، فلستُ منك ولستَ منّي، قال: وما ذاك؟ قلتُ: إنّي أسلمتُ واتَّبعتُ دين محمد، فقال: أيْ بني ديني ودينُك، وكذلك أمي، فأسلما، ثم دعوتُ دَوْساً إلى الإسلام، فأبْطَأ عليَّ، وتعاصَتْ، ثم قدمتُ على رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: غلبَ على دَوْسٍ الزنى والربا فادعُ عليهم، فقال ﷺ: «اللهمَّ اهدِ دَوْساً».

ثم رجعتُ إليهم، وهاجرَ رسولُ الله ﷺ، فأقمتُ بين ظهرانيهم أدعوهم إلى الإسلام، حتى استجابَ منهم من استجاب، وسبقني بدرٌ وأُحُد والخندق، ثم قدمتُ بثمانين أو تسعينَ أهل بيتٍ مِنْ دَوْس، فكنتُ مع النبيِّ ﷺ، حتى فتح مكة

فقلتُ: يا رسولَ الله ابعثني إلى ذي الكَفَّين، صنمِ عمرو بن حُمَمَة، حتى أحرقه. قال: «أجل، فاخرجْ إليه» فأتيتُ، فجعلتُ أُوقدُ عليه النَّار، ثم قدمتُ على رسولِ الله ﷺ، فأقمتُ معه حتى قُبِض.

ثم خرجتُ إلى بعث مسيلمة ومعي ابني عمرو، حتى إذا كنتُ ببعض الطريق رأيتُ رؤيا، رأيتُ كأنَّ رأسي حُلق، وخرَجَ من فمي طائر، وكأنَّ امرأة أدخلتني في فرجها، وكأن ابني يطلبني طلباً حثيثاً، فجُعِلَ بيني وبينه، فحدّثتُ بها قومي، فقالوا: خيراً، فقلتُ: أمَّا أنا فقد أوَّلتُها: أمَّا حلقُ رأسي فَقَطْعُه، وأمَّا الطائرُ فروحي، والمرأةُ الأرض أدفنُ فيها، فقد رُوْعْتُ أن أُقتل شهيداً، وأما طلب ابني إياي، فما أراه إلا سيُعْذَرُ في طلب الشهادة، ولا أراه يلحقُ في سفره هذا. قال: فقُتِلَ الطّفيلُ يومَ اليمامة، ثم جُرِحَ ابنُه، ثم قُتِلَ يوم اليرموك.

● **العاصمي:**

الشيخُ، العالمُ، الصادق، الأديب، مُسنِدُ بغداد في وقته، أبو الحسين، عاصمُ بنُ الحسنِ بنِ محمدِ بن عليّ بن عاصم بن مهران العاصميُّ، البَغدادي، الكَرخي، الشاعر.

ولد سنةَ سبعٍ وتسعين وثلاثمئة. كانَ شيخاً مُتقِناً، أديباً، فاضلاً، كان حُفّاظُ بغدادَ يكتبون عنه، ويشهدون بصحّة سماعه.

عن أبي عليّ بنُ سُكّرة: كان عاصمٌ ثقةً فاضلاً، ذا شِعر كثير، وكان يُكرمني، وكان لي منه مِيعادٌ يومَ الخميس، لو أتاه فيه الخليفةُ لم يُمكِّنه.

مات في جُمادى الآخرة، سنة ثلاثٍ وثمانين وأربعمئة ببغدادَ، وله سِتٌّ وثمانون سنة.

● **العَوْفي:**

العلاَّمة أبو عبد الله الحسينُ بن الحسن بن المُحدِّثِ عَطية العَوفي الكوفي الفقيه، قاضي الشَّرْقية ببغدادَ، ثم قاضي عَسكر المهدي.

قال ابنُ مَعين: كان ضعيفاً في القضاء، ضعيفاً في الحديث.

قال الحافظ الذهبيّ: له حكاياتٌ في القضاء، وفيه دُعابةٌ، وكان مُسِنّاً كبيراً.

توفي سنة إحدى ومئتين.

● **الفُضيل بن عياض بن مسعود بنِ بِشْر:**

الإمامُ القدوة النَّبْتُ، شيخ الإسلام، أبو علي التميمي اليَرْبوعي الخراساني، المجاورُ بحرم الله، وُلِدَ بِسَمَرْقَند، ونشأ بأبِيوَرْد، وارتحل في طلب العلم.

كان الفُضيل بن عياض شاطراً يقطعُ الطريق بين أبيوَرْد وسَرْخس، وكان سببُ توبته أنَّه عشقَ جاريةً، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو: ﴿ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحديد: ١٦]، فلمّا سَمِعَها، قال: بلى يا ربِّ، قد آن، فرجع، فآواه الليلُ إلى خَرِبة، فإذا فيها سابلةٌ، فقال بعضُهم: نرحل، وقال بعضهم: أولى بنا أن ننتظر حتى الصباح، فإنَّ فُضَيلاً على الطريق يقطع علينا. قال: ففكرتُ، وقلتُ: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقومٌ من المسلمين هاهنا، يخافونني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهمَّ إني قد تبتُ إليك، وجعلتُ توبتي مجاورةَ البيت الحرام.

قال إبراهيمُ بن الأشعث: ما رأيتُ أحداً كان اللهُ في صدره أعظمَ من الفضيل، كان إذا ذكرَ الله، أو ذُكِرَ عنده، أو سَمِعَ القرآن، ظهرَ به الخوف والحزن، وفاضتْ عيناه، وبكى حتى يرحمه مَنْ يحضرُه، وكانَ دائم الحزنِ، شديدَ الفكرةِ، ما رأيتُ رجلاً يريدُ اللهَ بعلمه وعمله، وأخْلِه وعطائِه، ومنْعِه وبذله، ويُغضِه وحبّه، وخصالِه كلِّها، غيرَه. كنّا إذا خرجنا معه في جنازةٍ لا يزالُ يَعِظُ، ويذكّرُ ويبكي كأنه موَدِّعٌ أصحابه، ذاهبٌ إلى الآخرة، حتى يبلغَ المقابر؛ فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء، حتى يقومَ وكأنّه رجع من الآخرة يخبرُ عنها.

● **أبو الطيب المتنبي (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ):**

هو أحمد بن الحسين الجُعْفي الكوفي الكندي، الشاعر العملاق، له الأمثال السائرة، والحكم البارزة، والمعاني المبتكرة، ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة)، وإليها نسبته، ونشأ بالشام، تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس، قال الشعر صبيّاً، تنبأ في بادية السماوة [بين الكوفة والشام] فسجن حتى تاب ورجع عن دعواه، ووفد على سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب، ثم فارقه ومضى إلى مصر فمدح كافوراً الإخشيدي، وطلب منه أن يولّيه، فلم يولّه كافور، فغضب عليه وهجاه، تنقل في بلادٍ كثيرة، وفي طريق عودته إلى بغداد من شيراز، عرض له فاتكٌ الأسدي في جماعته، وجرى اقتتال

قتل فيه المتنبي، وفاتك هذا هو خال ضبة بن يزيد الأسدي، الذي هجاه المتنبي بقصيدته البائية المعروفة.

● **مهيار:**

مِهْيَار بنُ مَرْزَوَيْه، الأديبُ الباهرُ، ذو البلاغتين، أبو الحسن الدَّيْلَميُّ، الفارسي.

قال فيه ابنُ بَرْهان: انتقلتَ بإسلامِكَ في النارِ من زاويةٍ إلى زاويةٍ، كُنتَ مجوسيّاً، فصِرْتَ تَسُبُّ الصحابةَ في شعرك. له ديوان، ونظمُهُ جزلٌ حُلو، يكوْن ديوانُه مئةَ كُرّاس.

توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمئة.

● **بشر الحافي:**

بشر بن الحارث بنِ عبد الرحمن بن عطاء، الإمامُ العالمُ المحدّثُ الزاهدُ الربّاني القدوة، شيخُ الإسلام، أبو نصر المَروزيُّ، ثم البغداديُّ، المشهورُ بالحافي.

ولد سنةَ اثنتين وخمسين ومئة، وارتحلَ في العلم، كانَ يَذُمُّ نفسَه، فقد كان رأساً في الورع والإخلاص، ثم إنَّه دفنَ كتبه. وقلَّ ما روى من المُسندات. رُوي عن بشر أنَّه قيلَ له: ألا تُحدِّثُ؟ قال: أنا أشتهي أن أُحدِّث، وإذا اشتهيتُ شيئاً، تركتُهُ. وأنَّه سُمِعَ يقول: حدّثنا حمادُ بن زيد.. ثم قال: أستغفر الله، إنّ لذكرِ الإسنادِ في القلبِ خُيلاء. ومن أقواله:

ـ شاطرٌ سخيٌّ أحبُّ إلى الله من صوفيٍّ بخيل.

ـ أمس قد مات، واليوم في السياق، وغداً لم يولد. إذا أعجبكَ الكلامُ، فاصْمُتْ، وإذا أعجبكَ الصمتُ، فتكلَّم.

ـ قد يكون الرجلُ مُرائياً بعد موته، يُحبُّ أن يكثرَ الخلق في جنازته.

ـ لا تجدُ حلاوةَ العبادةِ حتى تجعلَ بينَكَ وبينَ الشهواتِ سدّاً.

ـ وعن حمزة بن دهقان، قال: قلتُ لبشر بن الحارث: أحبُّ أنْ أحلوَ معك. قال: إذا شئتَ فيكون يوماً. فرأيتُه قد دخلَ قُبّةً، فصلّى فيها أربعَ ركعَات لا أُحسِنُ أُصلّي مثلَها، فسمعتُه يقولُ في سجوده: اللهمَّ إنّكَ تعلم فوقَ عرشِكَ أنَّ الذُّلَّ أحبُّ إليَّ من الشَّرَف، اللهمَّ إنَّك تعلمُ فوقَ عرشِكَ أنَّ الفقرَ أحبُّ إليَّ من

الغنى، اللهمَّ إنَّك تعلمُ فوق عرشِكَ أنّي لا أوثِرُ على حبِّكَ شيئاً. فلمَّا سمعتُه، أخذني الشهيقُ والبكاءُ، فقال: اللهمَّ إنَّك أنت تعلم أني لو أعلمُ أنَّ هذا هاهنا، لم أتكلَّم.

ـ قيل: جاء رجلٌ إلى بشر فقبَّله وجعل يقول: يا سيدي أبا نصر. فلمّا ذهب، قال بشرٌ لأصحابه: رجلٌ أحبَّ رجلاً على خيرٍ توهّمه، لعلَّ المُحِبَّ قد نجا، والمحبوب لا يدري ما حاله.

مات بشرٌ الحافي رحمة الله عليه يومَ الجمعة في شهر ربيع الأول سنةَ سبعٍ وعشرين ومئتين، قبلَ المعتصم الخليفة بستة أيام، وعاش خمساً وسبعين سنة.

● **بلال بن رباح رضي الله عنه:**

مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأُمّه حَمَامة، وهو مؤذّن رسولِ الله ﷺ. من السابقين الأوّلين الذين عُذِّبوا في الله، شهد بدراً، وشهد له النبيّ ﷺ على التعيين بالجنة، وحديثه في الكتب. يقال: إنّه حبشيّ، وقيل: من مولّدي الحجاز.

أولُ من أظهرَ إسلامَه سبعة: رسولُ الله ﷺ، وأبو بكر، وعمّار، وأُمّه سُمَيّة، وبلال، وصهيب، والمقداد رضوان الله عليهم جميعاً. فأمّا النبيُّ ﷺ وأبو بكر فمنعَهما الله بقومهما، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراعَ الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم أحدٌ إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال رضي الله عنه، فإنَّه هانَتْ عليه نفسُه في الله، وهانَ على قومه، فأعطوه الوِلدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ، أحدٌ.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاةِ الصبح: «حدّثني بأرجى عملٍ عملتَه في الإسلام، فإنّي قد سمعتُ الليلةَ خشفةَ نعليكَ بين يديَّ في الجنّة» قال: ما عملتُ عملاً أرجى من أني لم أتطهر طهوراً تاماً في ساعةٍ من ليلٍ ولا نهارٍ إلاّ صلّيتُ لربّي ما كُتِبَ لي أنْ أصلّي.

وعن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدفون في الحجارة بخمس أواقٍ ذهباً، فقالوا: لو أبيتَ إلا أوقيةً لبعناكه، قالَ: لو أبيتم إلا مئة أوقية لأخذتُه.

وعن سعيد بن المسيّب: أنّ أبا بكر لما قَعَدَ على المنبرِ يومَ الجمعة، قال له

بلال: أعتقتني لله أو لنفسك؟ قال: لله، قال: فائذن لي في الغزو. فأذن له. فذهبَ إلى الشام. ثم إنَّ بلالاً رأى النبيَّ ﷺ في منامه وهو يقولُ: ما هذه الجفوةُ يا بلالُ؟ أما آن لك أن تزورني. فانتبه حزيناً، وركبَ راحلته، وقصد المدينةَ، فأتى قبرَ النبيِّ ﷺ، فجعل يبكي عنده، ويُمرِّغُ وجهه عليه، فأقبل الحسنُ والحسينُ، فجعلَ يَضمُّهما ويُقبِّلُهما، فقالا له: يا بلالُ نشتهي أن نسمع أذانَك. ففعل، وعلا السطحَ، ووقف، فلمّا أن قال: الله أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ارتجّت المدينةُ، فلمّا أن قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله، ازدادت رَجَّتُها، فلمَّا قال: أشهدُ أنَّ محمداً رسول الله، خرجتِ العواتِقُ مِنْ خُدورهنَّ، وقالوا: بُعِثَ رسول الله، فما رُئي يومٌ أكثرَ باكياً ولا باكيةً بالمدينة بعدَ رسول الله ﷺ من ذلك اليوم.

لما احتُضِرَ بلال قال: «غداً نلقى الأحبّة محمّداً وحِزبه»، وقالت امرأته: «وا ويلاه» فقال: «وا فرحاه». توفي سنةَ عشرين بدمشق. وقيل: سنة إحدى وعشرين. قال الواقدي: دُفِنَ بباب الصغير وهو ابنُ بضع وستين سنة. وقيل: مات بحلب، ودُفِنَ بباب الأربعين.

● **جعفر الصادق:**

جعفر بن محمد بن علي ابن الشهيد أبي عبد الله ريحانة النبيِّ ﷺ وسبطه ومحبوبه الحُسين ابن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عبد مناف بن شيبة، الإمام الصادق، شيخ بني هاشم أبو عبد الله القرشي، الهاشمي، العلويّ، النبويّ، المدنيّ، أحد الأعلام. وأمُّه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق، وأمّها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر مرتين.

ولد سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة. قال زهير بن معاوية: قال أبي لجعفر بن محمد: إنَّ لي جاراً يزعمُ أنك تبرأُ من أبي بكر وعمر. فقال جعفر: برئ الله من جارك. والله إنّي لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر.

وقال: ما أرجو من شفاعة عليّ شيئاً إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله.

وسئل عن أبي بكر وعمر، فقال: إنك تسألُني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة.

أتى قوماً أرادوا أن يرتحلُوا من المدينة، فقال: «إنكم إن شاءَ الله من صالحي

أهل مصركم، فأبلغوهم عني: من زعم أنّي إمامٌ معصومٌ مفترَض الطاعة، فأنا منه بريء، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء».

قال صاحب (السير): إن قول جعفر: «برئ اللهُ ممن تبرأ من أبي بكر وعمر» هو «متواتر عن جعفر الصادق، وأشهدُ بالله إنَّه لبارٌّ في قوله غير منافق لأحدٍ، فقبَّح الله الرافضة».

ـ ومما نقل عنه من الحكم: أنه سئل: لِمَ حرَّمَ الله الربا؟.

قال: لئلاّ يتمانع الناسُ المعروفَ.

ـ الفقهاءُ أمناء الرسل، فإذا رأيتُم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين، فاتّهموهم.

ـ الصلاةُ قُربانُ كُلِّ تقيّ، والحجّ جهادُ كلِّ ضعيف، وزكاةُ البدنِ الصيامُ، والدَّاعي بلا عَمَل كالرَّامي بلا وَتَر، واستنزِلُوا الرزقَ بالصدقة، وحصِّنُوا أموالكم بالزكاة، وما عالَ منِ اقتصد، والتقديرُ نصفُ العيشِ، وقلَّةُ العِيالِ أحدُ اليسارين، ومن أحْزَن والديه فقد عقَّهما، ومن ضرب بيده على فخذه عند مُصيبةٍ فقد حَبِطَ أجرُه، والصَّنيعةُ لا تكون صنيعةً إلا في حسبٍ أو دينٍ، والله ينزل الصبرَ على قدرِ المصيبة، وينزل الرزقَ على قدر المؤونةِ، ومن قدَّرَ معيشتَه، رزقه الله، ومن بذر معيشته، حرمه الله.

ـ ومن حِكَمِه: لا زادَ أفضلُ من التقوى، ولا شيءَ أحسنُ من الصمت، ولا عَدوَّ أضرُّ من الجهل، ولا داءَ أدوأ من الكَذِب.

ـ لا يَتِمُّ المعروفُ إلاّ بثلاثة: بتعجيله، وتصْغيره، وسَتْرِه.

ـ إياكم والخصومةَ في الدين، فإنها تشغل القلب، وتُورِثُ النِّفاق.

ـ سأله سفيان الثوري: لِمَ جُعِلَ الموقف من وراءِ الحرم؟ ولم يُصيِّرَ في المشعر الحرام؟ فقال: الكعبةُ بيتُ الله، والحرمُ حِجابه، والموقفُ بابه. فلمّا قصده الوافدون، أوقفهم بالباب يتضرّعون، فلما أُذِنَ لهم في الدخول، أدناهم من الباب الثاني وهو المزدلفة، فلما نظر إلى كثرة تضرّعهم وطول اجتهادهم رحمهم، فلمّا رحمهم، أمرهم بتقريب قربانهم، فلمّا قرّبوا قربانهم، وقضوا

تفهَّم، وتطهَّروا من الذنوب التي كانت حجاباً بينه وبينهم، أمرهم بزيارة بيته على طهارة.

قال: فلمَ كُرِهَ الصومُ أيام التشريق؟ قال: لأنهم في ضيافةِ الله، ولا يُحَبُّ الضيفُ أن يصومَ عند من أضافه.

قلت: جعلتُ فداكَ فما بالُ الناسِ يتعلّقون بأستار الكعبة وهي خِرَقٌ لا تنفع شيئاً؟ قال: ذاكَ مثل رجل بينه وبين رجل جُرْم، فهو يتعلّق به، ويطوفُ حوله رجاءَ أن يهبَ له ذلك الجُرْمَ.

ـ رآه رجل يوصي ابنه: يا بني من قنع بما قسم له استغنى، ومن مدَّ عَيْنَيْه إلى ما في يدِ غيْرِه ماتَ فقيراً، ومن لم يرضَ بما قُسِمَ له اتّهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة غيره استعظمَ زلة نفسه، ومن كشف حِجَابَ غيرِه انكشفت عورته، ومن سلَّ سيف البغي قُتِلَ به، ومن احْتَفَرَ بئراً لأخيه أَوْقَعه الله فيه، ومن داخل السفهاء حُقر، ومن خالط العلماء وُقِّر، ومن دخل مداخلَ السُّوءِ اتُّهِمَ.

يا بُني إيَّاكَ أن تُزريَ بالرجال فيُزرى بك، وإياكَ والدخولَ فيما لا يَعنيك فتذِلَّ لذلك.

يا بني قل الحقَّ لك وعليك تُستشر من بين أقرانك، كن للقرآن تالياً، وللإسلام فاشياً، وللمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولِمَن قَطَعَكَ واصلاً، ولِمَنْ سكتَ عنك مبتدئاً، ولمن سألكَ مُعطياً.

وإيَّاكَ والنَّميمةَ فإنها تزرعُ الشَّحناءَ في القلوب، وإياكَ والتعرُّضَ لعيوبِ الناس، فمنزلةُ المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدف.

إذا طلبتَ الجودَ، فعليك بمعادنه، فإنَّ للجودِ معادِنَ، وللمعادن أصولاً، وللأصولِ فروعاً، وللفروع ثمراً، ولا يطيبُ الثمرُ إلا بفَرْع، ولا فَرْعٌ إلا بأصلٍ، ولا أصلٌ إلا بمَعْدِنٍ طَيِّبٍ. زُرِ الأخيارَ ولا تَزُرِ الفُجَّار، فإنَّهم صخرةٌ لا يتفجَّرُ ماؤها، وشجرةٌ لا يخضرُّ ورقُها، وأرضٌ لا يظهر عُشبُها.

توفي جعفر الصادق سنة ثمان وأربعين ومئة، عن ثمانٍ وستين سنة رحمه الله.

● **جعفر الطيّار رضي الله عنه:**

جَعْفَرُ بنُ أبي طالب، السيدُ الشهيدُ، الكبيرُ الشأن، علم المجاهدين، أبو عبد الله، ابن عمِّ النبيِّ ﷺ، وهو أسنُّ من عليّ بعشر سنين، هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة، فوافى المسلمين وهم على خَيْبَر إثْرَ أخذها، فأقامَ بالمدينة أشهراً، ثم أمَّرَه رسولُ الله ﷺ على جيشِ غزوةِ مؤتة بناحية الكَرَك، فاستشهد. وقد سُرَّ رسولُ الله ﷺ كثيراً بقدومه، وحَزِنَ والله لوفاته.

قال ابن إسحاق: وهو أول من عَقَرَ في الإسلام وقال:

يا حبّذا الجنَّةُ واقترابُها ... طيّبةٌ وباردٌ شرابُها
والرُّومُ رومٌ قد دنا عَذَابُها ... كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتُها ضِرابُها

عن ابن عباس: بينما رسولُ الله ﷺ جالسٌ وأسماءُ بنت عُميس قريبةٌ إذ قال: «يا أسماءُ هذا جعفرٌ مع جبريلَ وميكائيلَ مرَّ، فأخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا فسلَّم، فرُدّي عليه السلامَ، وقال: إنه لقي المشركين، فأصابَه في مقاديمه ثلاث وسبعون، فأخذَ اللواءَ بيده اليُمنى فقُطِعَتْ، ثم أخذَهُ باليسرى فقُطعت. قال: فعوّضني الله من يديَّ جناحين أطيرُ بهما مع جبريلَ وميكائيلَ في الجنة آكلُ من ثمارها».

عن ابن المسيب، قال رسول الله ﷺ: «مُثِّلَ لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من درٍّ، كلُّ واحدٍ منهم على سريرٍ، فرأيتُ زيداً وابن رواحة في أعناقهما صدوداً، ورأيتُ جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود»، وقال: «فسألتُ - أو قيل لي: - إنّهما حين غشيهما الموت أعرضا، أو كأنهما صدا بوجوههما، وأما جعفر فإنه لم يفعل».

قال الزبير بن بكار: كانت سن جعفر بن أبي طالب يوم قتل إحدى وأربعين سنة.

● **حبيبٌ العجمي:**

زاهد أهل البصرة وعابدهم، أبو محمد.

كان مجابَ الدعوة، تؤثَرُ عنه كرامات وأحوال، وكان له دُنيا، فوقعت

موعظةُ الحسن في قلبه، فتصدَّقَ بأربعين ألفاً، وقَنِعَ باليسير. وعَبَدَ الله حتى أتاه اليقينُ. كان حبيبٌ يُرى بالبصرة يومَ التروية ويُرى بعرفة من الغد. ورد ذكره في (تاريخ الإسلام) للذهبي.

● حجَّاج بن فُرافِصَة:

الباهلي، البَصْرِي العابدُ. نقل عنه في بعض الكُتب: مَنْ عمل بغير مشورة فذلك باطل يتعنَّى، ومن لم ينتصر من ظالمِه بيدٍ ولا بلسانٍ ولا حقدٍ فذلك علمه باليقين، ومن استغفر لظالمه فقد هزم الشيطان.

كان يجلسُ عند أصحابِ الأكفانِ في السُّوق، فإذا جاءَ إنسانٌ يشتري كفناً يسأله: أين منزله؟ وأين حيّه؟ فيأتي الجبّان. ورؤي واقفاً بالسُّوق عند أصحاب الفاكهة، فسئل: ما تصنع هاهنا؟ قال: أنظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة.

● خبَيْب بنُ يَسَافٍ:

ابن عتبة بن عَمْرُو بن خَدِيجِ بن عَامرٍ الأنصاريُّ الخزْرَجيُّ.

عن خُبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف، عن أبيه، عن جدِّه قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يُريد غزواً، أنا ورجل من قومي لم نسلم، فقلنا: إنا نستحي أن يشهد قومُنا مشهداً لا نشهده، قال: «أسلمتُما؟» قلنا: لا، قال: «فلا نستَعِينُ بالمُشركينَ على المُشركين» قال: فأسلمنا، وشهدنا معه. فقتلتُ رجلاً، وضربني ضربة، وتزوجتُ ابنتَه بعد ذلك، فكانت تقول لي: لا عَدِمتُ رجلاً وشَّحَك هذا الوِشاح، فأقول لها: لا عدمتِ رجلاً عجَّلَ أباكِ إلى النار.

قال الواقدي: هو خُبيب بن يساف، تأخّر إسلامُه حتى خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، فلحِقَه، فأسلم، وشهد بدراً، وأُحُداً، قال: وتوفي في خلافة عثمان، وقد انقرض ولده.

● خبَيْب بنُ عَدِي رضي الله عنه:

ابنِ عامر بن مَجْدَعَةَ الأنصاريُّ الشهيدُ. ذكرهُ ابنُ سعد فقال: شهد أُحُداً، وكان فيمن بعثه النبيُّ ﷺ مع بني لِحْيان، فلما صاروا بالرَّجيع غدروا بهم، واستصرخُوا عليهم، وقتلوا فيهم، وأسروا خُبيباً، وزيدَ بنَ الدَّثِنَّة، فباعوهما بمكة، فقتلوهما بمن قتل النبيُّ ﷺ من قومهم، وصلبوهما بالتنعيم.

قال مَوْهَب: قال لي حُبيب، وكانوا جعلوه عندي: أطلبُ إليك ثلاثاً: أنْ تسقيَني العذبَ، وأن تجنبني ما ذُبِحَ على النُّصُب، وأن تؤذِنني إذا أرادوا قتلي. قال ابن إسحاق: فلما خرجوا به ليقتلوه، وقد نصبُوا خشبته ليصلبوه، فانتهى إلى التنعيم، فقال: إن رأيتُم أن تَدَعوني أركع ركعتين. فقالوا: دونَكَ. فصلَّى. ثم قال: واللهِ لولا أن تظنوا أنما طوَّلتُ جزَعاً من القتلِ لاستكثرتُ من الصلاة، فكان أولَ من سنَّ الصلاة عند القتل. ثم رفعوه على خشبته، فقال: اللهمَّ أحصِهم عدداً، واقتُلهم بدَداً، ولا تُغادِرْ منهم أحداً، اللهمَّ إنَّا قد بلَّغنا رسالةَ رسولك، فبلِّغه الغداةَ ما أتى إلينا.

● **داوُدُ بنُ ابي هنْد:**

واسم أبي هند: دينار بن عُذافر، الإمام الحافظ، الثقة، أبو محمد الخراساني ثم البصري، من موالي قُشير فيما قيل. وكان مُفْتي أهل البصرة.

صام داود بن أبي هند أربعين سنةً لا يعلم به أهله. كان خزازاً يحمل معه غداءَه فيتصدّق به في الطريق. وسمع يروي: يقول: أصابني الطاعون فأغمي عليّ، فكأنَّ أتيين أتياني فغمز أحدُهما علوة لساني، وغمز الآخر أخمص قدمي، فقال: أي شيء تجد؟ قال: أجدُ تسبيحاً وتكبيراً، وشيئاً من خطو إلى المسجد، وشيئاً من قراءة القرآن. قال: ولم أكن أخذت القرآن حينئذ. قال: فكنت أذهب في الحاجة فأقول: لو ذكرت الله حتى آتي حاجتي، قال: فعوفيت، فأقبلت على القرآن فتعلمته.

مات داود بن أبي هند سنة تسع وثلاثين ومئة. وقيل: أربعين ومئة.

● **ذو البِجَادَيْن** = عبد الله المزني رضي الله عنه.

● **رابعة العَدَوية:**

أم عمرو، رابعة بنتُ إسماعيل، ولاؤها للعتكيِّين. البصريةُ، الزاهدةُ، العابدةُ، الخاشعةُ.

عن عَبْدة بنت أبي شَوَّال، وكانت تَخدُمُ رابعةَ العَدوية، قالت: كانت رابعةُ تُصلي الليلَ كلَّه، فإذا طلعَ الفجرُ، هَجَعت هجعةً حتى يُسْفِرَ الفجرُ، فكنتُ أسمعُها تقول: يا نَفْسُ كم تنامينَ، وإلى كم تَقومين، يُوشِكُ أن تنامي نَومةً لا تقومينَ منها إلا ليوم النُّشور.

وعن حمَّاد، قال: دخلتُ أنا وسلاَّم بن أبي مُطيع على رابعة، فأخذَ سلاَّم في ذكر الدنيا، فقالت: إنّما يُذكَرُ شيءٌ هو شيءٌ، أما شيءٌ ليس بشيءٍ فلا.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعةُ، فقد حَمَلَ الناسُ عنها حكمة كثيرة، وحكى عنها سُفيانُ وشُعبة وغيرُهما ما يَدُلُّ على بُطلان ما قيل عنها، أي بالنسبةِ لما فيها، وقد تمثّلت بهذا:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الفُؤَادِ مُحَدِّثِي ... وَأَبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلوسي

فنسبها بعضُهم إلى الحلول بنصف البيت، وإلى الإباحة بتمامه.

قال صاحب (السير): فهذا غُلُوٌّ وجهلٌ، ولعلَّ نَسَبَها إلى ذلك مُباحيٌّ حلولي ليحتجَّ بها على كُفره كاحتجاجهم بخبر: «كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ». قيل: عاشت ثمانين سَنَةً. توفيت سنة ثمانين ومئة.

● **رباح القيسي:**

هو رباح بن عمرو القيسي، العابد أبو المهاجر، بصري زاهد، متألِّه، كبير القدر، سمع مالك بن دينار، وحسان بن أبي سنان، وطائفة، وهو قليل الحديث، كثير الخشية والمراقبة، نقل عنه أنه قال: لي نيف وأربعون ذنباً، وقد استغفرتُ لكلِّ ذنبٍ مئة ألف مرة.

وقال أبو معمر المقْعَدُ: نظرت رابعةُ إلى رباح يضم صبيّاً من أهلِه ويقبّله، فقالت: أتحبّه؟ قال: نعم، قالت: ما كنت أحسبُ أنَّ في قلبِكَ موضعاً فارغاً لمحبة غيره، تبارك اسمه! فغشي عليه، ثم أفاق، وقال: رحمة منه تعالى ألقاها في قلوب العباد للأطفال.

● **زجلة العابدة:**

دخل عليها نفرٌ من القرّاء، فكلّموها في الرفق بنفسها، فقالت: ما لي وللرفقِ به؟ فإنما هي أيّام مبادرة، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً، واللهِ يا إخوتاه لأُصلِيَنَّ ما أقلتني جوارحي، ولأصومَنّ له أيامَ حياتي، ولأبكيَنّ له ما حملت الماءَ عيناي. ثم قالت: أيكم يأمرُ عبده بأمرٍ فيحب أن يقصّر فيه؟!.

هذا، وقال كليب بن عيسى: كانت زجلة لا ترفع بصرها إلى السماء، وكانت تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين (أي: المجاهدين على الثغور في سبيل الله تعالى).

وقد سمع كليب سعيدَ بن عبد العزيز يقول: ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة، وتعظيمها لله تعالى وخشيتها منه دفعتها إلى أن تقول: علمي بنفسي قرّح فؤادي، وكَلَمَ قلبي، والله لوددتُ أنَّ اللهَ لم يخلقني، ولم أكُ شيئاً مذكوراً.

● سحبان وائل:

الذي يُضرَب به المثل في البلاغة، ذكره ابن عساكر في تاريخه وقال: بلغني أنه وَفَدَ على معاوية، قال الذهبي: إن ثبت هذا فهو من أهل هذا القسم، فإن المعروف أنه جاهلي. وقال أبو نعيم في كتاب (طبقات الخطباء): كان سحبان خطيبَ العرب غيرَ مدافع، وكان إذا خطب لم يُعِدْ حرفاً ولم يتلعثم، ولم يتوقف، ولم يتفكّر، بل كان يسيل سيلاً.

● سري السقطي:

السري بن المغلِس، أبو الحسن السقطي البغدادي، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن البغدادي، ولد في حدود الستين ومئة، حدَّثَ عن الفُضَيل وهُشيم بن بشير وأبي بكر بن عيّاش، وغيرهم بأحاديث قليلة، واشتغل بالعبادة، وصحب معروفاً الكرخي، وهو أجلّ أصحابه، وروى عنه الجُنيد بن محمد، وغيره.

وروى ابن شاكر عنه قال: صلّيتُ وردي ليلة، ومددتُ رجلي في المحراب، فنوديت: يا سَرِيُّ! كذا تجالس الملوك! فضممتها، وقلتُ: وعزّتِكَ لا مدَدْتُها.

وقال أبو بكر الحربي: سمعت السري يقول: حمدتُ الله مرةً، فأنا أستغفر من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة!.

قيل: وكيف ذلك؟.

قال: كان لي دكان فيه متاع، فاحترق السوق، فلقيني رجل، فقال: أبشر، دكانك سَلِمَتْ، فقلتُ: الحمدُ لله، ثم فكّرت، فرأيتها خطيئة.

ويقال: إنَّ السري رأى جارية سقط من يدها إناء، فانكسر، فأخذ من دكانه إناءً، فأعطاها، فرآه معروف الكرخي، فدعا له، قال: بغّض اللهُ إليك الدنيا، فهذا الذي أنا فيه من بركات معروف.

وقال الجنيد: سمعت سرياً يقول: أشتهي منذ ثلاثين سنة جزرة أغمسها في دبس وآكلها، فما يصحُّ لي. وسمعته يقول: أحبُّ أن آكل أكلة ليس لله عليَّ فيه

تَبِعة، ولا لمخلوق فيها منّة، فما أجدُ إلى ذلك سبيلاً.

ودخلتُ عليه وهو يجودُ بنفسه، فقلت: أوصني، قال: لا تصحبِ الأشرار، ولا تشتغلَنّ عن الله بمجالس الأخيار.

وقال الفرخاني: سمعتُ الجُنيد يقول: ما رأيتُ أعبدَ لله من السري، أنت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعاً إلا في عِلّةِ الموت.

ويقول السري: إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مخافةَ أن يكون وجهي قد اسودّ، وما أحبّ أن أموتَ حيث أعرف، أخاف أن لا تقبلني الأرض، فأفْتَضح.

وكان السري كما ذكر السلمي: أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد، تكلّم في علوم الحقائق، وهو إمام البغداديين في الإشارات، توفي في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومئتين.

● **سعيد بن المسيب:**

بن حَزْن بن أبي وهْب بن عمْرو بن عائذ بن عِمْران بن مخْزُوم بن يَقَظَة. الإمامُ العَلَمُ، أبو محمد القرشيّ المخزوميّ.

عالمُ أهلِ المدينة، وسيّدُ التابعين في زمانه. وُلِدَ لسنتين مَضتا مِنْ خلافةِ عُمَر رضي الله عنه، وقيل: لأربع. رأى عُمَر، وسمعَ عثمان، وعلياً وغيرهم من الصحابة.

كان يُفتي والصحابةُ أحياء. ويقال له: فقيه الفقهاء.

ما فاتَتْه الصلاةُ في جماعة أربعين سنة. وكان يقول: ما أذّنَ المؤذّنُ منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.

حجَّ أربعين حجَّة. وكان يسيرُ الأيامَ والليالي في طلبِ الحديث الواحد.

قدِمَ عبد الملك بن مروان المدينةَ فامتنعتْ منه القابلةُ، واستيقظَ، فقال لحاجبه: انظُرْ، هل في المسجدِ أحدٌ من حُدّاثنا؟ فخرج فإذا سعيدُ بن المسيّب في حَلَقته، فقامَ حَيثُ ينظرُ إليه، ثم غَمَزَهُ وأشارَ بأصبعه، ثم ولّى، فلم يتحرّكْ سعيد، فقال: لا أراه فطِن، فجاء وَدَنا منه، ثمّ غمزه وقال: ألَمْ تَرَني أشيرُ إليك؟ قال: وما حاجتُكَ؟ قال: أجِبْ أميرَ المؤمنين، فقال: إليّ أرسلكَ؟ قال: لا، ولكنْ قال: انظرْ بعضَ حُدّاثنا، فلم أرَ أحداً أهيأ منك. قال: اذهبْ فأعلِمْه أني

لستُ من حُدّاثِه. فخرجَ الحاجبُ وهو يقول: ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً، وذهبَ فأخبرَ عبدَ الملك، فقال: ذاك سعيدُ بن المسيّب فدعْه.

وكان سعيدُ بن المسيب يقول: لقد رأيتُني لياليَ الحرّة وما في المسجد أحدٌ غيري، وإنّ أهل الشام ليدخُلونَ زُمَراً يقولون: انظروا إلى هذا المجنون. وما يأتي وقتُ الصلاة إلا سمعتُ أذاناً في القبر. ثم تقدَّمتُ فأقَمْتُ وصلَّيتُ وما في المسجدِ أحدٌ غيري.

● **سفيان الثوري:**

سُفيان بن سعيد بن مَسْروق بن حمزة بن حَبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أُبَيّ بن عبد الله. شيخ الإسلام، إمامُ الحُفّاظ، سيّدُ العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثّوري الكوفيُّ المجتهد، مصنّف كتاب (الجامع). ولد سنة سبع وتسعين. مات سنة ست وعشرين ومئة.

يقال: إنّ عددَ شيوخه ستُّمئة شيخ، وكبارُهم الذين حدَّثوه عن أبي هريرة، وجَرير بن عبد الله، وابن عبّاس، وأمثالهم.

ومن أقواله:

ـ أُحِبُّ أن يكونَ صاحبُ العلم في كفايةٍ، فإنَّ الآفاتِ إليه أسرعُ، والألسنةُ إليه أسرع.

ـ ودِدْتُ أني أنجو من هذا الأمر كَفَافاً، لا عَليَّ ولا لي.

ـ ما أخافُ على شيءٍ أن يُدخلني النارَ إلا الحديث.

ـ ودِدْتُ أني قرأتُ القرآن، ووقفتُ عنده لم أتجاوزه إلى غيره.

ـ من يزدَدْ علماً يزدَدْ وجعاً، ولو لم أعلم كان أيسر لحزني.

ـ ودِدْتُ أنَّ علمي نسخ من صدري، ألستُ أريدُ أن أُسأل غداً عن كل حديث رويته: أيْش أردتَ به؟ إن قلتُ: إني أحدِّثُكم كما سمعتُ، فلا تُصدّقوني.

ـ البكاءُ عشرة أجزاء: جزء لله، وتسعة لغير الله، فإذا جاء الذي لله في العام مرة، فهو كثير.

ـ وعنه أيضاً: مَن أحبَّ أفخاذَ النساءِ لم يُفلِح.

ـ قَدِمَ سُفيان البصرةَ، والسُّلطان يطلبه، فصار إلى بُستان، فأجَّرَ نفسه

لحفظِ ثمارِه، فمرَّ به بعض العَشَّارين فقال: من أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أرُطَبُ البصرة أحلى أم رُطَبُ الكوفة؟ قال: لم أذق رطب البصرة. قال: ما أكذبَكَ! البَرُّ والفاجر والكلاب يأكلون الرُّطَب السَّاعة. ورَجَع إلى العامل، فأخبره ليُعجبه، فقال: ثكلتْكَ أمُّكَ أدْرِكْه، فإنْ كنتَ صادقاً، فإنَّه سُفيانُ الثَّوري، فخذْه لتتقربَ به إلى أمير المؤمنين، فرَجَعَ في طلبه، فما قدَرَ عليه، وأقام سُفيان في اختفائه نحو سنة.

ـ وعن البدع قال: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يُلقها في قلوبهم.

ـ وسئل سُفيان عن أحاديث الصِّفاتِ، فقال: أمِرُّوها كما جاءت.

ـ رؤي الثَّوريُّ بمكة، وقد كثروا عليه، فقال: إنَّا لله، أخافُ أن يكون اللهُ قد ضيَّعَ هذه الأمة، حيثُ احتاجَ الناس إلى مثلي.

ـ وسُمِعَ يقول: لولا أن أُسْتَذَلَّ، لسكنتُ بين قوم لا يعرفوني.

ـ قال عبد الرَّزَّاق: لما قدم سُفيان علينا، طبخت له قدر سِكباج، فأكل، ثم أتيتُه بِزَبيب الطائف، فأكل، ثم قال: يا عبد الرزّاق اعلف الحمار وكُدَّه. ثم قام يُصلِّي حتى الصباح.

أخرج بجنازته على أهل البصرة بغتة، فشهده الخلق، وصلّى عليه عبدُ الرحمن بن عبد الملك بن أبجر الكوفي، بوصيَّةٍ من سُفيان، لصلاحه.

ماتَ رحمه الله في شعبان سنة إحدى وستين ومئة.

● **صردُرّ بَعْر:**

الشاعر المُفْلِق، أديبُ وقته، أبو منصور، عليُّ بنُ الحسين بن عليّ بن الفضل البغداديُّ، الكاتب. ويلقَّبُ بصُرّدرّ بَعْر. صاحبُ بلاغة وجزالة ورِقّة وحلاوة، وباعٍ طويلٍ في الأدب. مَدَحَ الخليفةَ القائمَ وزيرَه أبا القاسم بن المُسْلمة. لم يَكُ في المتأخرين أرقُّ طبعاً منه، مع جَزَالةٍ وبلاغة.

وقال بعضُ الأدباء: هو أشعرُ من مِهيار. تَقَطَّرَ به فرسُه، فهلكَ في ربيعٍ الأول، سنةَ خمسٍ وستين وأربعمئة. وقع به الفرس في زُبْيَةٍ للأسد، فهلكا معاً.

● **صلة بن اشيم:**

هو الزاهد العابد القدوة أبو الصهباء العدوي البصري، زوج العالمة معاذة العدوية (وهي من رجال التهذيب، وحديثُها في الكتب الستة)، ورد في صلة حديث عن ابن المبارك في (الزهد) عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: بلغنا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يكونُ في أمّتي رجلٌ يقال له: صلة، يدخل الجنّةَ بشفاعة كذا وكذا»[1]. وجاء الخبرُ في (حلية الأولياء).

لقي صلة جماعة من الصحابة، وأسند عن ابن عباس وغيره.

وقالت زوجته معاذة: كان أبو الصهباء يصلّي حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفاً.

وقال ثابت: جاء رجلٌ إلى صلة بنعي أخيه، فقال له: ادنُ وكُلْ، فقد نعي إليّ أخي منذ حين، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وجاء عن حمّاد بن سلمة: أنَّ ثابتاً أخبرهم أن صلة كان في الغزو ومعه ابنه، فقال: أيْ بني! تقدّمْ، فقاتل حتى أحتَسِبَكَ، فحمل فقاتل حتّى قتل، ثم تقدّم صلة فقتل، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة، فقالت: مرحباً إن كنتنّ جئتنّ لتهنّئني، وإن كنتنّ جئتنّ لغير ذلك فارجعن.

ومن كرامات صلة أنه خرج في قرية وهو على دابته، وسار يوماً لا يجدُ ما يأكل، يقول: فلقيني عِلجٌ يحمل على عاتقه شيئاً، فقلتُ: ضعه، فإذا هو خبز، فقلتُ: أطعمني، فقال: إن شئتَ ولكن فيه شحم خنزير، فتركته، ثم لقيتُ آخر، فقلت: أطعمني، فقال: هو زادي لأيام، فإن نقصته أجعتني، فتركته، فوالله إنّي لأسير، إذ سمعتُ خلفي وَجْبة كوجبة الطير، فالتفتُ فإذا هو شيءٌ ملفوفٌ في سِبٍّ أبيض، فنزلتُ إليه، فإذا دَوْخَلة من رُطَب في زمان ليس في الأرض رطبة، فأكلتُ منه، ثم لففتُ ما بقي، وركبتُ الفرس، وحملت معي نواهنَّ، قال جرير ابن حازم: حدّثني أوفى بن دِلَهم قال: رأيتُ ذلك السِّبّ مع امرأته في مصحف، ثم فُقِدَ بعدُ.

---

(١) قال الحافظ الذهبي: حديث معضل ـ والحديث المعضل: ما سقط من إسناده راويان على التوالي ـ انظر: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٧.

كذلك روى ابن المبارك أنَّ جعفرَ بن زيد قال: خرجنا في غزاة، وفي الجيش «صلة» فنزلوا فقلت: لأرقبنّ عملَه، فصلّى، ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس، ثم وثب فدخل غيضة، فدخلتُ، فتوضَّأ وصلّى ثم جاءَ أسد حتى دنا منه، فصعدتُ شجرة، فدنا الأسد، فقلت: الآن يفترسه، لكن صلة جلس ثم سلَّم فقال: يا سبع، اطلب الرزق بمكانٍ آخر، فولّى وإنَّ له زئيراً يكاد يتصدّع الجبل منه، وعند الصباح جلس صلة، فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها، ثم قال: اللهمَّ إنّي أسألك أن تجيرني من النار، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة؟!. ذكر هذا أبو نعيم في (الحلية) والذهبي في (السير).

قتل صلة شهيداً في أول إمرة الحجاج على العراق.

● **طـاووس اليمانـي:**

طاووس بن كَيْسانَ، الفقيه القدوة عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليمني الجَنَدي الحافظ. كان من أبناء الفرس الذين جهَّزهم كسرى لأخذ اليمن له!.

وُلِدَ في دولة عثمان رضي الله عنه، أو قبلَ ذلك. وكان مِنْ عُبَّاد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، مستجابَ الدعوة، حجَّ أربعين حجَّة.

قال مجاهدٌ لطاووس: رأيتُكَ يا أبا عبد الرحمن تصلّي في الكعبة، والنبيُّ ﷺ على بابها يقول لك: اكْشِفْ قِنَاعَكَ، وبيِّنْ قراءَتَكَ، قال طاووس: اسكتْ لا يسمعْ هذا منك أحد، قال: ثم خُيِّلَ إليَّ أنه انبسط في الكلام، يعني فرحاً بالمنام.

ويُروى أنَّ طاووساً جاء في السَّحَر يطلبُ رجلاً، فقالوا: هو نائم، قال: ما كنتُ أرى أنَّ أحداً ينامُ في السَّحَر. وكان وأصحابُه إذا صلّوا العصر، استقبلوا القبلةَ، ولم يُكلِّموا أحداً، وابتهلُوا بالدُّعاء.

ـ ومن حِكَمِه: قوله: خَفِ اللهَ مخافةً لا يكونُ شيءٌ عندَكَ أخوفَ منه، وارجُه رجاءً هو أشدُّ من خوفك إيّاه، وأحِبَّ للناسِ ما تُحِبُّ لنفسك.

ـ وقال: البخلُ أن يبخلَ الرجلُ بما في يديه، والشحُّ أن يُحبَّ أن يكونَ له ما في أيدي الناس.

توفي عام ستمئة رحمه الله.

● عامر بن عبد الله:

ابن الزبير بن العوام، الإمام الربّاني أبو الحارث الأسَدي المدني، أحد العبَّاد.

قال أحمدُ بن حنبل: حدَّثنا سفيان أنَّ عامر بن عبد الله اشترى نفسَه من الله ستَّ مرات، يعني يتصدَّق كلَّ مرةٍ بِدِينَيْه. كان يقف عند موضع الجنائز يدعو وعليه قَطِيفة، فتسقُطُ وما يشعر.

وعن مالك: رُبّما انصرفَ عامر من العتمة، فيعرض له الدعاء، فلا يزال يدعو إلى الفجر.

سمع عامرٌ المؤذنَ وهو يجودُ بنفسه، فقال: خذوا بيدي، فقيل: إنك عليل! قال: أسمع داعيَ الله فلا أُجيبه؟! فأخذوا بيده، فدخلَ مع الإمام في المغرب، فركع ركعة، ثم مات. توفي رحمة الله عليه سنة بِيْفٍ وعشرين ومئة.

● عبْدُ الله المزني رضي الله عنه (ذو البجَادَيْن):

وهو ابنُ عبْد نُهْم بن عَفِيف ابن سُحَيم بن عَدِيّ بن ثعلبة بن سعد بن عديّ بن عثمان بن عمرو. قَدِمَ على النبيّ ﷺ وكان اسمه عبدَ العُزّى، فسمَّاه رسول الله ﷺ عبدَ الله. وهو عمّ عبد الله بن مُغَفَّل ابن عبد نُهْم، ولقّبه رسول الله ﷺ (ذو البجادين)، لأنه لمّا أسلمَ عند قومه جَرّدوه من كلّ ما عليه وألبسوه بجاداً ـ وهو الكساءُ الغليظ الجافي ـ فهرب منهم إلى رسول الله ﷺ، فلمّا كان قريباً منه شقّ بجاده اثنين، فائتزرَ بأحدِهما وارتدى بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ فقيل له: ذو البجادين. وقيل: إنّ أمّه أعطته بجاداً فقطعته قطعتين، فأتى فيهما رسولَ الله ﷺ.

صحبَ رسول الله ﷺ وأقام معه، وكان أوّاهاً فاضلاً كثير التلاوة للقرآن العزيز.

وعن عبد الله بن مسعود أنّه قال: لكأنّي أرى رسولَ الله ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبر عبد الله ذي البجادين، وأبو بكر وعُمَر يُدَلِّيانه، ورسولُ الله ﷺ يقول: «أدْنِيا مني أخاكما»، فأخذه من قِبَلِ القبلة حتى أسنده في لحده، ثم خرجَ رسولُ الله ﷺ وَوَلِيا هُما العمل، فلمّا فرغَ من دفنه استقبلَ القبلة رافعاً يديه يقول: «اللهمَّ إني أمسيتُ عنه راضياً فارْضَ عنه». قال ابن مسعود: فوالله لَوَدِدْتُ أنّي مكانَه، ولقد أسلمتُ قبله بخمس عشرة سنة.

وقد روي من طريق آخر فيه: فقال أبو بكر: وددتُ أني ـ والله ـ صاحب القبر. أخرجه الثلاثة.

توفي في حياة رسول الله ﷺ.

● **عبْد الوَاحِدِ بنُ زَيْد:**

الزاهد، القدوة، شيخ العُبَّاد، أبو عُبَيْدة البصري.

وَعَظَ عبدُ الواحد، فنادى رجل: كُفَّ، فقد كشفتَ قِناعَ قلبي، فما انْفَتَ، ومَرَّ في الموعظة، فَحَشْرَجَ الرَّجُلُ ومات، فشهدْتُ جنازته.

وقال مِسْمَع بن عاصم: شهدتُ عبدَ الواحدِ يعظ، فماتَ في المجلس أربعةٌ.

وعن الخُزاعي قال: صلّى عبدُ الواحد بن زيد الصُّبْح بوضوء العتمة أربعين سنة، وكان صاحبَ فنون، داخلاً في معاني المحبّة والخصوص، قد بقي عليه شيءٌ من رؤية الاكتساب، وفي ذلك شيءٌ من أصول أهل القَدَر.

وفي الجملة: عبد الواحدِ من كبار العُبَّادِ، والكَمَال عزيز.

مات رحمه الله تعالى بعد الخمسين ومئة.

● **عطاء السُّليمي:**

البصري العابد، من صغار التابعين.

أرعبه فرطُ الخوفِ من الله. قيل له: أرأيتَ لو أنَّ ناراً أُشْعِلَتْ، ثم قِيلَ: مَن اقتحمها نجا، ترى كان يدخُلها أحد؟ قال: لو قيلَ ذلك، لخشيتُ أن تخرجَ نفسي فرحاً قبل أن أصل إليها.

قال نُعيم بن موزّع: أتينا عطاء السَّليمي فجعل يقولُ: ليتَ عطاءً لم تلِدْه أمُّه، وكرّر ذلك حتى اصفرَّت الشمسُ.

وكان يقولُ في دعائه: اللهمَّ ارحم غُربتي في الدنيا، وارحم مصرَعي عند الموت، وارحم قيامي بينَ يديك.

وقيل: كان إذا بكى، بكى ثلاثة أيام بلياليها.

وقيل: إنه بكى حتى عَمِش، وربما غُشِيَ عليه عند الموعظة.

وقيل: إنَّه شيَّع جنازة، فغُشِيَ عليه أربعَ مرات. وكان إذا جاءَ برق وريح ورعد، قال: هذا من أجلي يُصيبكم، لو مُتُّ استراحَ الناس.

● **عمَّار بن ياسر رضي الله عنه:**

ابْن عَامِرِ بْن مَالِكِ بْن كِنَانَةَ بْن قَيْسِ بْن الوَذيمِ. أحدُ السابقين الأوّلين،

والأعيان البدريين. وأمّه: هي سُميَّة مولاة بني مخزوم، من كبار الصحابيات أيضاً.

كان عمار يُعذَّبُ حتى لا يدري ما يقول، وكذا صهيب، وفيهم نزلت: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ [النحل: ٤١].

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عماراً، فلم يتركوه حتى نالَ مِن رسولِ الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير، فلمَّا أتى النبيَّ ﷺ قال: «ما وراءَك؟» قال: شرٌّ يا رسول الله! واللهِ ما تُرِكْتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير، قال: «فكيف تَجِدُ قلبك؟» قال: مطمئنٌّ بالإيمان. قال: «فإن عادُوا فَعُدْ». وعن قتادة: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ . . . ﴾ [النحل: ١٠٦] نزلت في عمار.

عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبينَ عمار كلام، فأغلظتُ له، فشكاني إلى رسول الله ﷺ. فقال: «مَنْ عَادَى عمَّاراً عاداه الله، ومَنْ أبغَضَ عمَّاراً أبْغَضَهُ الله» فخرجتُ، فما شيءٌ أحبَّ إليَّ مِنْ رضا عمار، فلقيته فرضي. أخرجه أحمد والنسائي.

عن عبد الله بن سَلِمَة قال: رأيتُ عماراً يومَ صفّين شيخاً آدم، طُوالاً، وإنَّ الحربةَ في يده لترعدُ، فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلتُ بها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، ولو قاتلونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعرفت أنّنا على الحق، وأنَّهم على الباطل.

عاش عمّار رضي الله عنه ثلاثاً وتسعين سنة، وكان لا يركبُ على سرجٍ، ويركب راحلته.

قُتِلَ في صفّين في صفر وبعض ربيع الأول سنة سبع وثلاثين.

● **عمَرُ بنُ عَبْدِ العزيز:**

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدِ شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كِلاب. الإمامُ الحافظ العلاَّمة المجتهدُ الزاهدُ العابدُ السيد أميرُ المؤمنين حقّاً أبو حفص، القرشيّ الأمويّ المدنيّ ثم المصريّ، الخليفةُ الزاهدُ الراشدُ أشيخُ بني أمية.

حدَّث عن: عبدِ الله بن جعفر بن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وسهل بن سعد، واستوهبَ منه قدحاً شَرِبَ منه النبيُّ ﷺ، وأمّ بأنس بن مالك، فقال: ما

رأيتُ أحَداً أشْبَهَ صلاةً برسولِ الله ﷺ مِنْ هذا الفَتى. كان من أئمة الاجتهاد، ومنَ الخُلفاء الراشدينَ رحمة الله عليه.

أمُّه هي أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

وُلِدَ سنة ثلاث وستين، وكان ثقةً مأموناً، له فقه وعلم وورع، وروى حديثاً كثيراً، وكان إمامَ عدلٍ رحمه الله ورضي عنه.

دخل عمر بن عبد العزيز إلى إصْطَبْل أبيه، وهو غلامٌ، فضربه فرس، فشجَّه، فجعل أبوه يمسَح عنه الدم، ويقول: إن كنتَ أشجَّ بني أُمَيّة إنّكَ إذاً لسعيد. قيل: إن عمر بن الخطاب قال: إنَّ من ولدي رجُلاً، بوجهه شَتَر، يملأُ الأرضَ عدلاً.

ـ بكى وهو غلامٌ صغير، فأرسلَتْ إليه أمُّه، وقالت: ما يُبكيكَ؟.

قال: ذكرتُ الموت. قال: وكان يومئذٍ قد جمع القرآن، فبكت أمُّه حين بلغها ذلك.

حجَّ سليمان، ومعه عمر بن عبد العزيز، فأصابهم برقٌ ورَعْدٌ حتى كادَتْ تَنْخلِعُ قلوبُهم، فقال سليمان: يا أبا حفص هل رأيتَ مثلَ هذه الليلة قطُّ، أو سمعتَ بها؟ قال: يا أمير المؤمنين هذا صوتُ رحمةِ اللهِ، فكيفَ لو سمعتَ صوتَ عذابِ الله؟!.

ـ وعن زوجه فاطمة قالت: دخلتُ عليه، فإذا هو في مُصلاَّه يدُهُ على خدّه، سائلة دموعه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين أشيءٍ حدث؟.

قال: يا فاطمةُ إني تقلَّدتُ أمْرَ أمّةِ محمّد؛ فتفكَّرْتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العِيَال في أقطار الأرض، فعلمتُ أنَّ ربّي سيسألُني عنهم، وأنَّ خَصْمَهُم دونَهم محمَّدٌ، فخشيتُ ألاَّ تثبتَ لي حُجَّة عند خصومته، فَرَحِمْتُ نفسي فَبَكَيتُ.

ـ كتبَ عمر بن عبد العزيز رسالة فيها: أمّا بعدُ، فإنَّه مَنْ أكثرَ ذِكْرَ الموتِ، رضيَ من الدنيا باليسير، ومَنْ عدَّ كلامَه مِنْ عملِهِ، قلَّ كلامُه إلاَّ فيما ينفعُه والسلام.

ـ سُمع مالك بنُ دينار يقول: الناسُ يقولونَ عنّي: زاهد، إنّما الزاهدُ

عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها.

ـ عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: دعاني المنصورُ فقال: كم كانت غلَّةُ عُمَر بن عبد العزيز حين استُخْلِف؟ قلت: خمسينَ ألفَ دينار، قال: كم كانت يومَ موتِه؟ قلتُ: مئتي دينار.

ـ كان عمرُ بنُ عبد العزيز يجمَعُ كلَّ ليلةٍ الفقهاء فيتذاكرون الموتَ والقيامةَ والآخرة ويبكون.

ـ وكان إذا ذُكِرَ الموت اضطربت أوصالُه.

ـ لمَّا احتضرَ عمرُ بن عبد العزيز قال: اخرجوا عني، فقعد مَسْلمة وفاطمة على الباب فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه ليست بوجوهِ إنسٍ ولا جانٍّ، ثم تلا قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، ثم هدأ الصوتُ، فقالَ مسْلَمةُ لفاطمة: قد قُبِضَ صاحِبُك، فدخلُوا فوجدُوه قُبِضَ.

● **عمير بنُ هانئ:**

العبسي الداراني الإمام أبو الوليد، وقد ناب عن الحجاج بالكوفة، ثم ولي الخراج لعمر بن عبد العزيز، وقد كره ظلمَ الحجاج وفارقه، وقال: كان إذا كتبَ إليَّ في رجل أحَدَّه حَدَدْتُه، وإذا كتبَ فيمن أقتلُه، لم أقْتُلْهُ.

قال أبو داود: قتل عُمير صبراً بداريّا أيامَ فتنة الوليد، لأنَّه كان يُحرِّض على قتله ـ يعني وقام ببيعة الناقص ـ قال: فقتله ابنُ مرّة، وسمط رأسه حلقه، وأتي به مروان ابن محمد سنة سبع وعشرين ومئة.

● **فتح الموصلي:**

الزَّاهد الوَلي العابِدُ أبو نَصْر، فَتْحُ بن سَعيد المَوْصِلي. وهو من أقران إبراهيمَ بن أدْهم، وكلاهما من كبار المشايخ.

ـ وكان يقولُ: رَبِّ أفْقَرْتَني، وأفْقَرْتَ عِيالي، بأيّ وسيلةٍ هذا؟ وإنَّما تَفْعَلُ هذا بأوليائِك.

ـ وعنهُ: من أدام النَّظَرَ بقَلبه أورثه ذلك الفَرَحَ بالله.

قيل: إنّه كان يَتَقَوَّتُ بِفَلْسٍ نُخالةً، وقد قَدِمَ بَغداد زائراً لِبِشر الحافي، فأضافَه خُبزاً وتَمراً بنصفِ دِرهم. توفي سنة عشرين ومئتين.

● **فتحُ المَوْصِلي (الكبير):**

زاهدُ زمانه، فتح بن محمد بن وِشَاح الأَزْدي المَوْصلي، أحد الأولياء، وله أحوال ومقامات وقدم راسخ في التَّقوى.

كان لا ينامُ إلا قاعداً. وكان بكَّاءً، خوَّافاً، متهجّداً. قيل: أتاه متولي المَوْصل، فخرج ابنه، وقال: هو نائم. فصاح: ما أنا نائماً، ما لي ولك؟ قال: هذه عشرةُ آلاف خذها، فأبى.

توفي سنة سبعين ومئة، وقيل: سنة خمس وستين.

● **فتح بن شخرف:**

هو ابن شخرف بن داود بن مزاحم أبو نصر الكشي.

كان الفتح ـ كما شهد به الصالحون في عصره ـ صالحاً زاهداً عفيفاً ذا أخلاق حسنة، وكان يطعم الفقراء ومن يزوره من الأصحاب الطعام الطيب، وكان حسن العبادة ورعاً.

قال البربهاري: سمعتُ ابن شخرف يقول: رأيتُ ربّ العزّة ـ جلَّ وعزَّ ـ في النوم، فقال: يا فتحُ! احذر لا آخذك على غرّة. قال: فتهتُ في الجبال سبع سنين.

وعن رويم بن أحمد قال: لقيني ـ يوماً ـ الفتح فقال: يا أبا أحمد! أنتَ أمينُ الله على نفسك، لا ترى عليَّ شيئاً أحتاج إليه، ولا عندي شيء تزحمك الحاجة إليه، فتتخلف عن أخذه. أي: أذن له يأخذ كل ما يحتاج إليه مما يلبسه أو يمتلكه.

وعن محمد بن المسيب قال: قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: ما أخرجتْ خُراسان مثل فتح بن شخرف.

وقد كتب فتح على باب بيته: رحم الله ميتاً دخل على هذا الميت، فلم يذكر الموتى عنده إلا بخير.

وقال أحمد بن عبد الجبار: سمعتُ أبي يقول: صحبت فتحاً ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء، ثم رفع رأسه مرة فقال: قد طال شوقي إليك فعجّل قدومي عليك.

وعن أبي الحسين الحمادي القاضي قال: سمعتُ الفتح يقول: رأيت أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين! أوصني! قال: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء، وأحسن من ذلك تيهُ الفقراء على الأغنياء، قال: فقلتُ له: زدني، فأومأ إليّ بكفّه، فإذا به مكتوب:

قد كنتُ ميتاً فصرتُ حيّاً وعن قليلٍ تصيرُ ميتا
أغنى بدارِ الفناءِ بيتٍ فابنِ بدارِ البقاءِ بيتا

توفي يوم الثلاثاء للنصف من شوال (٢٧٣هـ)، ودفن في مقبرة ببغداد، وقد صلّيَ عليه ثلاثاً وثلاثين مرة، أقل قوم كانوا يصلون عليه في المرة خمسة وعشرون ألفاً إلى ثلاثين ألفاً.

وعن أبي محمد الحريري قال: غسّلنا الفتح فرأينا على فخذه مكتوباً «لا إله إلا الله» فتوهمناه مكتوباً، فإذا هو عِرْق داخل الجلد.

● **فرقد:**

فرقد بن يعقوب السبخي، أبو يعقوب.

عن جعفر بن سليمان قال: قال فرقد السبخي: إنّ ملوك بني إسرائيل كانوا يقتلون قرّاءهم على الدّين، وإن ملوككم إنما يقتلونكم على الدنيا، فدعوهم والدنيا. وقال: سمعته يقول: قرأت في التوراة: من أصبح حزيناً على الدنيا أصبحَ ساخطاً على ربّه عزَّ وجلّ، ومَن جالس غنيّاً فتضعضع له ذهبَ ثلثا دينه، ومن أصابته مصيبة فشكا إلى الناس فإنما يشكو ربّه عزَّ وجلّ.

وسمعه عبد الواحد بن زيد يقول: ما انتبهتُ من نومي إلا خفتُ أن أكونَ قد مُسختُ.

وسمع جعفر بن سليمان فرقداً يقول: اتخذوا الدنيا ظئراً، واتخذوا الآخرة أُمّاً، ألم تروا إلى الصبيّ يلقي نفسه على الظئر، فإذا ترعرع، وعرف والدته ترك ظئره، وألقى نفسَه على والدته؟! وإن الآخرة والدتكم يوشك أن تجركم.

وقال مرة: إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل، ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه، فإذا فرغ اغتسل، ولبس ثوبين نقيين؟! وأنتم تلبسون ثياب الفراغ قبل العمل.

وهذا، وقد أسند فرقد عن أنس بن مالك، وسمع من جماعة من كبار التابعين، كسعيد بن جبير ومرّة وإبراهيم النخعي وأبي الشعثاء، وشغله التعبّد عن حفظ الحديث. . ومات فرقد في أيام الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومئة.

● **قيس بن ذريح:**

الليثي من أعراب الحجاز، شاعرٌ محسِنٌ، كان يُشبّب بأُمّ مَعْمَرَ لُبنى بنت الحُباب الكَعْبيّة، ثم إنّه تزوّج بها. وقيل: كان أخاً للحُسين رضي الله عنه في الرضاعة.

وهو القائل:

وكُـلُّ مُلِمّـاتِ الـزّمـانِ وَجَـدْتُهـا سِوَى فُرْقَةِ الأحْبابِ هَيّنَةَ الخَطْبِ

ونظمه في الذُّروة العُليا، رِقّةً، وحلاوةً، وجزالةً. وكان في دولة يزيد.

● **كثَيِّـرُ عَزّة:**

هو أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود الخُزاعي المدني. من فحول الشعراء، امتدحَ عبدَ الملك والكبار. وكان مولده سنة خمس وعشرين من الهجرة.

قـال الزبير بن بكّار: كان شـيعيّاً، يقولُ بتناسخ الأرواح، وكان سـبئيّاً، يُؤْمِنُ بالرجعةِ، وكان قد تَيَمَّمَ بِعَزّة، وشبَّبَ بها، وبعضُهم يُقدِّمُه على الفرزدق والكبار.

ومات سنة خمس ومئة وهو ابن ثمانين سنة.

● **كهْمَس:**

كهمس بن الحسن التميمي، الحنفي، البصري، العابد. أبو الحسن. من كبار الثقات.

كـان كَهْمَـس يُصلّي في اليـوم والليلة ألفَ ركعـة، فإذا ملَّ، قـال: قومي يا مأوى كُلِّ سوء، فوالله ما رضيتُكِ لله ساعة.

وروي أنه أراد قتل عقرب، فدخلتْ في جُحْرٍ فأدخلَ أصابعه خلفَها فضربته فقيل له، قال: خفت أن تخرج، فتجيء إلى أمي تلدغُها. وكان رحمه الله بَرّاً بأمّه، فلما ماتت، حجَّ وأقام بمكة حتى مات.

وكان يعمل في الجصّ، وكان يؤذّن.

كان يقول في الليل: أتراك مُعذّبي، وأنتَ قُرَّةُ عيني، يا حبيبَ قلباه.
توفي كَهْمَس رحمة الله عليه في سنة تسع وأربعين ومئة.

● **ليلى الأخيلية:**

أورد صاحب (السير) ذكرها في معرض ترجمته لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في بعضِ أبياتٍ لها ترثي فيها مقتله رضي الله عنه. ومما قالت فيه:

قُتِلَ ابنُ عفَّانَ الإمامُ ... وضاعَ أمرُ المسلمينا
وتَشَتَّتَتْ سُبُلُ الرَّشادِ ... لصادرينَ وواردينا
فانهَضْ معاويَ نهضةً ... تشفي بها الداءَ الدَّفينا
أنتَ الذي مِنْ بعدِه ... تُدعى أميرَ المؤمنينا

● **محمد بن المُنْكَدِر:**

ابن عبد الله بن الهُدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث ابن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. الإمام الحافظ القدوة، شيخُ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني. ولد سنة بضعٍ وثلاثين.

- ومن أحواله: أنَّه بينا هو ذاتَ ليلةٍ قائمٌ يصلّي إذ استبكى، فكثر بكاؤُه حتى فَزِعَ له أهله، وسألوه، فاستعجمَ عليهم، وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فجاء إليه، فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مرَّتْ بي آية، قال: وما هي؟ قال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فبكى أبو حازم معه، فاشتدَّ بكاؤهما.

- ومنها: أنه كان يضع خدَّه على الأرض، ثم يقول لأمه: قومي ضعي قدمك على خدّي.

- ومنها أيضاً: أنه جَزِعَ عند الموت، فقيل له: لِمَ تجزَعُ؟ قال: أخشى آيةً من كتاب الله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

- وعنه أنه قال: كابدتُ نفسي أربعين سنة حتى استقامت.

مات ابنُ المكدر سنة ثلاثين ومئة.

● **محمد بن النضر الحارثي:**

أبو عبد الرحمن.

قال أبو أسامة: كان محمد بن النضر من أعبد أهل الكوفة.

وقال: قلتُ له: كأنك تكره أن تُزار؟.

فقال: أجل.

قلت: أما تتوحش؟.

قال: كيف أستوحش وهو يقول: «أنا جليسُ مَنْ ذَكَرَني»؟!.

ـ وسمعه خالد بن يزيد يقول: شغل الموتُ قلوب المتقين عن الدنيا، والله ما رجعوا منها إلى سرور بعد معرفتهم بكرْبه وغُصصه.

وكان إذا ذَكَرَ الموتَ اضطربَتْ مفاصِلُه حتى تبين الرعدةُ فيها كما قال المبارك.

وقد صحبه من أولاد الزبير بن العوام من عبَّادان إلى الكوفة فما سمعه يتكلَّم بكلمة حتى افترقا.

وكان محمد بن النضر يرى الجوعَ يبعث على البر كما تبعثُ البِطنة على الأشر.

وذكر ابن الجوزي أن محمداً كان مشغولاً بالعبادة عن الرواية.

● **محمد بن واسع:**

ابن جابر بن الأخنس. الإمام الربّاني، القدوة، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله الأزدي، البصري. قال سُليمان التيمي: ما أحدٌ أُحِبُّ أن ألقى الله بمثل صحيفتِه مثلَ محمد بن واسع.

ـ قال له رجل: أوصني.

قال: أوصيك أن تكونَ ملكاً في الدنيا والآخرة.

قال: كيف؟.

قال: ازهد في الدنيا.

ـ ومن أقواله: طُوبى لمن وجدَ عشاءً ولم يجدْ غداءً، وجدَ غداءً ولم يجد عشاءً، والله عنه راضٍ.

ـ وقال: لو كان للذنوب ريحٌ ما جلسَ إليَّ أحدٌ.

ـ وقال: إذا أقبلَ العبدُ بقلبه على الله، أقبلَ اللهُ بقلوب العباد عليه.

ـ وقال: يكفي مع الدعاء الورع يسيرُ العمل.

ـ وقيل له: كيف أصبحتَ؟ قال: قريباً أجلي، بعيداً أملي، سيئاً عملي.

ـ ونُقِلَ عنه وهو في الموت: يا إخوتاه! تدرونَ أين يُذهَبُ بي؟ والله إلى النار، أو يعفو الله عني.

توفي محمد بن واسع سنة ثلاث وعشرين ومئة.

● **مسْـرُوق بنُ الأجْدَع:**

الإمام، القدوة، العَلَم، أبو عائشـة الـوادِعيّ، الهمدانيّ، الكوفي.

يُقالُ: إنَّـه سُـرِقَ وهو صغير، ثم وُجِدَ فسـمّي مسروقاً. وعِداده في كبار التابعين وفي المُخَضْرَمين الذين أسلموا في حياة النبيّ ﷺ. ومسـروق هو ابنُ أختِ عمرو بن معدي كرب.

حجَّ مسروقٌ فلم يَنَمْ إلاَّ ساجداً على وجهه حتَّى رجع.

وروى أنس بن سيرين، عن امرأةِ مسروق قالت: كان مسروق يصلّي حتّى تورمت قدماه، فرُبَّما جلستُ أبكي ممَّا أراهُ يصنعُ بنفسه. شُلَّت يدُه يومَ القادسية، وأصابتْهُ آمّة.

فقالت له ابنته يوماً: يا أبتاه أفطِر واشرب.

قال: ما أردتِ بي يا بُنَيَّـة؟.

قالت: الرفْق.

قال: يا بُنَيَّـة إنّما طلبتُ الرِّفْقَ لنفسي في يومٍ كانَ مقدارُهُ خمسينَ ألف سنة.

كان لا يأخذُ على القضاءِ أجْراً.

وكان يقول: كَفَى بالمرءِ عِلْماً أنْ يخشَى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلاً أنْ يُعْجَبْ بعمله.

مات سنة اثنتين وستين.

● **مصعب بن عُمَيْر رضي الله عنه:**

ابنِ هاشِم بنِ عَبْدِ مَنَاف بن عَبْدِ الدَّارِ بنِ قُصَيِّ بْنِ كلاب. السَّيِّدُ الشَّهيدُ السَّابِقُ البَدْرِيُّ القُرَشِيُّ العَبْدَري.

قال البراء بن عازب: أول مَنْ قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير، فقلنا له: ما فعلَ رسولُ الله؟ فقال: هو مكانه، وأصحابُه على أثري.

عن خبَّاب قال: هاجرنا مع رسولِ الله ﷺ ونحنُ نبتغي وجهَ اللهِ، فوقع أجرُنا على الله، فمِنَّا من مضى لسبيلِه لم يأكل من أجره شيئاً، منهم: مصعب بن عُمير قُتِلَ يومَ أُحُد، ولم يترك إلا نَمِرَة، كنا إذا غَطَّينا رأسَه بدتْ رجلاه، وإذا غطَّينا رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «غَطُّوا رَأْسَهُ، وَاجعلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخِرِ»، ومنا مَنْ أينَعَتْ له ثمرته فهو يهدبها.

قاتَلَ مصعبُ بن عمير دونَ رسول الله ﷺ حتى قُتِل، قتلَه ابن قَمِئة الليثي، وهو يظنُّه رسولَ الله، فرجع إلى قريش، فقال: قتلتُ محمداً. فلمّا قُتِلَ مصعب، أعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بنَ أبي طالب، ورجالاً من المسلمين.

● **مطرِّفُ بـن عبد الله بن الشِّـخِّير:**

الإمامُ، القدوةُ، الحُجّة، أبو عبد الله الحَرَشيّ العامريّ البَصْري. كان ثقة، له فضل وورع وعقل وأدب.

قال الجُعْلي: كان ثقةً لم يَحْجُ بالبَصرةِ من فِتْنَةِ ابنِ الأشعث إلاَّ هُوَ وابنُ سيرين، ولم يَحْجُ منها بالكوفة إلا خَيْثَمةُ بن عبد الرحمن، وإبراهيم النَّخَعيّ.

يروى عنه أنَّه كان بَيْنَه وبين رجلٍ كلام، فكَذَبَ الرجل، قال: لا، ولكنَّها دَعوةٌ وافَقَتْ أجَلاً.

ـ وكان يقول: عقول الناس على قدر منازلهم.

ـ فضلُ العلمِ أحبُّ إليَّ من فضلِ العبادة، وخَيْرُ دينكم الوَرَع.

ـ لأنْ أبيتَ نائماً وأصبحَ نادماً أحبُّ إليَّ من أنْ أبيتَ قائماً وأصبح مُعْجَباً.

ـ لأن يسألني الله تعالى يوم القيامة، فيقول: يا مطرِّف، ألا فعلتَ، أحبُّ إليَّ من أن يقول: لِمَ فعلت؟.

ـ إنَّ هذا الموتَ قد أفسدَ على أهلِ النعيمِ نعيمَهُم، فاطْلُبوا نعيماً لا موتَ فيه.

ـ ليس لأحدٍ أن يصعدَ ثِيْلقي نفسَه من شاهق، ويقول: قَدَّرَ لي ربِّي. ولكن يحذَرُ ويجْتهد ويَتَّقي، فإن أصابَه شيءٌ، علمَ أن لن يُصيبَهُ إلاَّ ما كتبَ الله له.

ـ لأن آخُذَ بالثِّقَةِ في القعودِ أحبُّ إليَّ من أنْ آتَيس فَضْلَ الجهاد بالتعزير.

ـ لقد كادَ خَوْفُ النارِ يحولُ بَيْني وبَيْنَ أنْ أسألَ الله الجنة.

ـ اللهمَّ ارضَ عنَّا، فإنْ لم تَرْضَ عنّا فاعفُ عنّا، فإنَّ المَوْلى قد يعفو عن عَبْدِه وهو عَنْهُ غيرُ راضٍ.

ولما أتتِ الحَرورية مُطَرِّفَ بنَ عبد الله يدعونه إلى رأيهم، فقال: يا هؤلاء، لو كان لي نفْسانِ بايَعْتُكم بإحداهما وأمسكتُ الأخرى، فإنْ كان الذي تقولون هُدًى اتَّبَعْتُها الأخرى، وإن كان ضلالةً، هلكَتْ نفْسٌ وبقيتْ لي نفْس، ولكنْ هي نَفْسٌ واحدة لا أغَرِّرُ بها.

كان مطرِّف يكبر الحسن البصري بعشرين سنة. وتوفي في أول ولاية الحجاج سنة ست وثمانين.

● معاذُ بنُ جبل رضي الله عنه:

ابْنُ عَمْرو بْنُ أوْسِ بْنُ عائِذِ بن عَدِيّ بْن كَعْبِ بْن عَمْرو، السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاريّ الخزرجيّ المدنيّ البدريّ. أمه هند بنتُ سهل من بني رفاعة، ثم من جُهينة، ولأمه ولد من الجدّ بن قيس. أسلمَ معاذ وله ثماني عشرة سنة، شهد العقبة شابّاً أمرَد.

وعنه قال: لما بعثني النبيُّ ﷺ إلى اليمن، قالَ لي: «كيف تقضي إنْ عَرَضَ قضاءٌ؟» قال: قلت: أقضي بما في كتاب الله، قال: «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: قلت: فبما قضى به رسولُ الله، قال: «فإنْ لم يكن فيما قضى به الرسول؟» قال: قلت: أجتهدُ رأيي ولا آلُو، فضربَ صدري، وقال: «الحمدُ لله الذي وفّقَ رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسول الله».

وقد جاء أنَّ النبيَّ ﷺ حين ودَّعه معاذ، قال: «حفظَكَ الله مِنْ بين يديكَ ومن خلفِك، ودَرَأ عنكَ شرَّ الإنس والجنّ».

عن معاذ قال: لقيني النبيُّ ﷺ فقال: «يا معاذ إنّي لأحبّكَ في الله» فلت: وأنا والله يا رسولَ الله أحبُّكَ في الله. قال: «أفلا أعلّمكَ كلماتٍ تقولهُنَّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ: ربِّ أعنّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتك».

عن أبي سعيد: أنَّ معاذاً دخل المسجدَ ورسولُ الله ﷺ ساجدٌ، فسجدَ معه، فلمّا سلّم، قضى معاذ ما سبقه، فقال له رجل: كيف صنعت؟ سجدتَ ولم تَغْتَدَّ بالركعة، قالَ: لم أكن لأرى رسولَ الله على حالٍ إلاَّ أحببتُ أنْ أكونَ معه فيها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فسرَّه، وقال: «هذه سنةٌ لكم».

وعن الحارث بن عُميرة قال: إنّي لجالسٌ عند معاذ، وهو يموت، وهو يُغمى عليه ويفيق، فقال: اختق خنقك فوعِزَّتكَ إنّي لأحبّك.

قُبِضَ معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو ابنُ ثلاث أو أربع وثلاثين، سنة ثماني عشرة.

● **منصور بن المعتمر:**

الحافظُ الثبت القدوةُ، أبو عتاب السُّلمي الكوفي أحدُ الأعلام.

قالت بنت لجار منصور بن المعتمر: يا أبتِ أين الخشبة التي كانت على سطح منصور قائمة؟ قال: يا بنية ذاكَ منصورٌ، كان يقومُ الليل.

صامَ أربعين سنة، وقام ليلَها، وكان يبكي، فتقول له أمه يا بني: قتلتَ قتيلاً؟ فيقول: أنا أعلمُ بما صنعتُ بنفسي، فإذا كان الصبحُ، كحل عينه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه، وخرج إلى الناس.

قال العِجلي: كان منصور أثبتَ أهلِ الكوفةِ، لا يختلف فيه أحدٌ، صالحٌ متعبِّدٌ، أُكْرِهَ على القضاءِ فقضى شهرين، قال: وفيه تشيّع قليل، وكان عِمِش من البكاء. قال فيه الحافظ الذهبي: تشيعه حُبٌّ وولاء فقط.

● **هشام بنُ حسّان:**

الإمام العالم، الحافظ، محدّث البصرة، أبو عبد الله الأزدي، القُرْدوسي، البصري، ويقال: هو من العتيك، ونزل في القرادیس. وقيل: هو من مواليهم، وهو أشبه، وقال أبو حفص الفلاس: هشام مولى العتك، نزل درب القرادیس

فنُسِبَ إليهم، فلم يُسم له جَدّ مع شهرة هشام ونبله. وقال سُليمان بن أبي شيخ: إنما سُمي (قردوس) من جماله.

روى حماد عن هشام قال: كَنّاني محمد بن سيرين أبا عبد الله ولم يُولد لي.

وروى حماد عن سعيد بن أبي صدقة: أن محمد بن سيرين قال: هشامٌ منا أهل البيت.

وقال إبراهيم بن مهدي: سمعتُ حمادَ بن زيد يقول: أنبأنا أيوب وهشام. وحَسْبُكَ بهشام.

وقال حماد: وكان أيوبُ يقول: سل لي هشاماً عن حديث كذا.

قال سعيد بن أبي عروبة: ما رأيتُ، أو ما كان أحدٌ أحفظ عن محمد من هشام.

وعن إبراهيم بن المغيرة المَرْوَزِيّ: قلتُ لهِشام بن حسان: أخرج إليَّ بعضَ كتبك، قال: ليس لي كتب. يعني كان يحفظ وقلما كتب.

● **وهب المزني رضي الله عنه:**

هو وهب بن قابوس المزني. أقبل وهب ومعه ابن أخته الحارث بن عِقبة بغنم لهما من جبل مُزينة، فوجدا المدينة خاليةً، فسألا: أين الناس؟ فقالوا: بأُحُد خرج رسول الله ﷺ يقاتل المشركين، فقالا: لا نسألُ أثراً بعد عين، فأسلما.

ثم خرجا، فأتيا النبيَّ ﷺ بأُحُد، فإذا الدولة للمسلمين، فأغارا مع المسلمين في النهبِ، وقاتلا أشدّ القتال، وكانت قد انفرقت فرقة من المشركين، فقال النبيُّ ﷺ: «من لهذه الفرقة؟» فقال وهب: أنا، فرماهم بالنبل حتى انصرفوا، ثم رجعت، فانفرقت أخرى، فقال النبيُّ ﷺ: «من لهذه؟» فقال المزني: أنا، فقام فذبّها بالسيف، حتى ولوْا، ورجع المزني، ثم طلعت كتيبة أخرى، فقال ﷺ: «من يقوم لهؤلاء؟» فقال المزني: أنا، فقال ﷺ: «قم وأبشر بالجنة»، فقام المزني مسروراً يقول: والله لا أقيل ولا أستقيل، فجعل يضرب فيهم بالسيف حتى يخرج من أقصاهم، حتى قتلوه، ومثّلوا به. ثم قام ابن أخته الحارث فقاتل كنحو قتاله حتى قُتل.

ووقف عليهما رسول الله ﷺ وهما مقتولان فقال: «رضي الله عنه فإني عنك راضٍ»، يعني وهباً. ولم يزل الرسول ﷺ قائماً على قدميه وقد ناله ما ناله

من الجرح حتى وضع المزني في لحده، فكان عمر وسعد بن مالك يقولان: ما حالٌ نموت عليها أحبّ إلينا من أن نلقى الله على حال المزني.

● **وهَيْب بن الورد المكي:**

أخو عبد الجبار بن الورد، العابد الربَّاني أبو أُمية، ويقال: أبو عثمان المكي، مولى بني مخْزوم، ويقال: اسمه: عبد الوهَّاب.

قيل لوُهَيْب: يجدُ طعم العبادة من يعْصي؟ قال: ولا مَنْ يَهُمُّ بالمعصية.

وقيل: إنَّه حلفَ أن لا يضحك حتى تُعلمه الملائكة بمنزلته إذا احتُضِر.

توفي سنة ثلاث وخمسين ومئة.

● **يحيى البَكَّاء:**

شيخ بصري، مُحدِّث، وهو يحيى بن مُسلم، وقيل: يحيى بن سليمان، وقيل: ابن سُليم، وهو يحيى بن أبي خُليد. مات سنة ثلاثين ومئة رحمة الله عليه.

● **يحيى بنُ مُعَاذ:**

الرَّازِي، الواعظُ. من كبار المشايخ، له كلامٌ جيّد، ومواعظُ مشهورةٌ.

ـ وعنه أنه قال: لستُ أبكي على نفْسي إن مانَتْ، إنَّما أبكي على حاجتي إن فاتَتْ.

ـ لا يُفلحُ من شُمَّتْ رائحةُ الرياسة منه.

ـ مسكينٌ ابنُ آدم، قَلْعُ الأحجارِ أهونُ عليه من تَزْكِ الأوْزار.

ـ لا تَسْتَبْطِئِ الإجابةَ وقد سددتَ طريقَها بالذّنوب.

ـ وقال: الدَّرجاتُ سَبْعٌ: التَّوبةُ، ثم الزُّهْدُ، ثم الرِّضا، ثم الخَوْفُ، ثم الشَّوْقُ، ثم المحبَّةُ، ثم المعرفة.

● **يزيد الرقاشي:**

عن أشعث بن سوّار قال: دخلتُ على يزيد فقال: يا أشعث! تعال نبكِ على الماء البارد في يوم الظمأ. وجعل يقول: سبقني العابدون وقُطع بي، وا لهفاه!.

وقد صام يزيد اثنتين وأربعين سنة.

وقال ثابت البُناني: ما رأيتُ أحداً أصبر على طول القيام والسهر من يزيد ابن أبان.

وقال عبد الخالق بن موسى اللقيطي: كان يزيد يقول: غلبني بطني، فما أقدر له على حيلة! مع أنه جوّع نفسَه لله عزَّ وجلّ ستين عاماً حتى ذبل جسمه ونهك بدنه، وتغيّر لونه!.

ـ وعن أبي إسحاق الخميسي قال: كان يزيد يقول في قصصه: ويحك يا يزيد! من يترضَّى عنك عند ربِّك؟! ومن يصوم لك أو يصلي لك؟! ثم يقول: يا معشر من القبر بيته! والموت موعده، ألا تبكون؟!.

ـ وكان يقول: ابكِ يا يزيد على نفسِكَ قبل حين البكاء.

ـ وقيل لابنه: أما كان أبوكَ يتمثّل الشعر شيئاً؟ قال: كان يتمثّل:

إنَّـا لنفـرحُ بـالأيَّـامِ نقطعُهـا وكلُّ يومٍ يمضي يُدني من الأجلِ

هذا، وأسند يزيد عن أنس بن مالك، وروى عن الحسن وغيره، إلا أنَّ التعبّد شغله عن حفظ الحديث، فأعرضت الثِّقَاتُ عما يروي.

● أبو فِرَاس الأسلمي:

قيل: اسمه ربيعة بن كعب، وقيل: إنه ربيعة بن كعب الأسلمي، ولا خلاف أن ربيعة بن كعب يكنّى أبا فراس، والأغلب أنهما اثنان، فمن جعلهما اثنين قال: أبو فراس الأسلمي، في أهل البصرة، وروى عنه أبو عمران الجَوني.

أما الآخر فهو أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي. حجازي؛ كان خادماً للنبي ﷺ، وكان من أهل الصُّفة. فلمَّا توفّي رسول الله ﷺ نزل على بَريد من المدينة، ولم يزل بها حتى مات بعد الحرة، سنة ثلاث وستين.

وروى إسماعيل بن عياش، عن عبد العزيز بن عُبَيد الله، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن أبي فراس الأسلمي: أنّ فتًى منهم كان يلزم النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ ذات يوم: «سلني أعطك». قال: ادع الله أن يجعلني معك يوم القيامة. قال: «إنّي فاعلٌ، فأعِني على نفسك بكثرة السجود».

● أبو فِرَاس بن حَمدَان:

هو الحارثُ بن أبي العلاء سعيد بن حَمْدانَ بن حمدون الحَمْدَاني التَّغْلبيُّ، الأميرُ الشاعر المُفْلِق.

إبن عمّ ناصر الدولة وسيف الدولة، وكان رأساً في الفروسيّة والجُود وبراعة الأدب.

كان الصّاحبُ ابن عبّاد يقول: بُدِئَ الشعرُ بمَلكٍ وهو امرُؤُ القيْس، وخُتم بملكٍ وهو أبو فراس.

قال الثعالبي: كان فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً، وكرماً ومجداً، وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سيّار، بين الحسن والجودَة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة والحلاوة، ومعه رواه الطبع وسمة الظّرف وعزّة الملك. ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلاّ في شعر عبد الله بن المعتز. وأبو فراس يُعدّ أشعر منه عند أهل الصنعة بنقد الكلام. وله ديوان مشهور.

كان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز، ويتحامى جانبه، فلا يُبْري لمباراته، ولا يجترئ على مجاراته، وإنّما لم يمدحه ومدح مَنْ دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً له لا إغفالاً ولا إخلالاً.

أسرَتْهُ الرُّومُ جريحاً، فبقيَ سجين قلعة بقسطنطينية أعواماً، ثمَّ فداهُ سيفُ الدَّوْلةِ منهم بأموال، وأعطاهُ أموالاً جزيلة وخيلاً ومماليك. وكانتْ له مَنْبج، ثمَّ تملَّكَ حمص، ثم سارَ ليمتلك حلب فقتل بناحيَة تَدْمر سنَة سبع وخمسين وثلاثمئة. وكلُّ عمره سبعٌ وثلاثونَ سَنَة.

● **ابو الشيص الخُزَاعي:**

محمد بن عبد الله بن رَزين. الشاعر المشهور الملقَّب بأبي الشّيص، وهو ابن عمّ دِعبل الخزاعي الهجاء، توفي سنة متين أو قبلها، قال ابن الجوزي: سنة ست وتسعين ومئة وقد كفّ بصره، ومن شعره المشهور:

وَقفَ الهوى بي حيث أنتِ فليس لي ... متــأخَّــرٌ عنــه ولا متقــدَّمُ
أجِـدُ الملامـةَ فـي هـواكِ لـذيـذةً ... حُبّـاً لـذِكـرك فليَلُمْنـي اللُّـوَّمُ
أشبهـتِ أعـدائي فصِـرتُ أحبُّهم ... إذ كـان حظّي منـكِ حظّي منهـمُ
وأهَنْتِنـي فـأهنـتُ نفسـي عـامـداً ... مـا مَـنْ يَهُـون عليـك ممّـن يُكـرَمُ

وله أيضاً:

لا تُنكري صَدّي ولا إعراضي ... ليسَ المُقِلّ عن الزمان براضِ
شيْبان لا تصبُو النساء إليهما ... حليُ المشيبِ وحُلّة الأنفاضِ
حَسَرَ المشيبُ قِناعَه عن رأسه ... فرَمَيْنَه بالصدِّ والإعراضِ
ولربّما جعلتْ محاسنَ وجهه ... لجفونها غَرَضاً من الأغراضِ

● **مسلم بن يَسار:**

القدوةُ، الفقيه، الزاهدُ، أبو عبد الله البصريّ، مولى بني أميّة.

كان ثقةً فاضلاً، عابداً، ورعاً. خامسُ خمسةٍ من فقهاء البصرة، لا يُفضَّل عليه أحدٌ في زمانه.

وقال عليُّ بن أبي حَمَلة: قدِمَ علينا مُسلم بن يَسار دمشق، فقالوا له: يا أبا عبد الله، لو علم الله أنَّ بالعراق مَنْ هو أفضلُ منكَ، لأتانا به؛ فقال: كيف لو رأيتُم أبا قِلابة.

وعن العلاء بن زياد أنَّه كان يقول: «لو كنتُ متمنِّياً، لتَمنَّيتُ فقهَ الحَسن، وورَع ابن سيرين، وصوابَ مُطرِّف، وصلاةَ مسلم بن يَسار».

كانَ إذا صلَّى كأنَّه وَتد لا يَميلُ لا هكذا ولا هكذا، وإذا سجد كأنَّه ثوبٌ مُلقى.

وكان يقولُ لأهلِهِ إذا دخل في الصلاة: تحدَّثوا فلستُ أسمعُ حديثَكم. ورُوِيَ أنَّه وقع حريق في داره وأطفئ، فلما ذُكِرَ ذلك له قال: ما شعرتُ.

قال قتادة: قال مسلم بن يَسار في الكلام عن القدَر: «هما واديان عميقان، يسلكُ فيهما النَّاس، لنْ يُدركَ غورهما، فاعملْ عملَ رجلٍ تعلمُ أنَّه لن يُنجيكَ إلا عملك، وتوكَّلْ توكُّلَ رجلٍ تعلم أنَّه لا يصيبُكَ إلاَّ ما كتب الله».

قال سفيان بن عُيَيْنة: إنَّ الحَسن البَصْريّ لمَّا مات مُسلم بن يَسار قال: وا مُعَلِّماه.

له ترجمةٌ حافلةٌ في تاريخ الحافظ ابن عساكر. مات سنة مئة، وقيلَ: سنة إحدى ومئة.

● **عامر بنُ قيْس الأشْعَري:**

عَامر بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو بُرْدَة، أخو أبي موسى الأشعري.

ومن حديثه: عن النبي ﷺ أنه قال: «اللَّهُمَّ، اجعلْ فناءَ أمّتي قتلاً في سبيلك بالطعْن والطاعون».

● **ابنُ الرُّومي (الشاعر):**

شَاعر زمانه مع البُحْتُري، أبو الحَسَن، عليُّ بن العَبّاس بن جُرَيْج، مولى آل المنصور.

له النَّظم العَجيب، والتَّوليد الغريب. رَتَّب شِعْرَه الصُّولي. وكان رأساً في الهِجَاء، وفي المديح، وهو القائل:

آرَاؤُكُم، وَوُجُوهُكُم، وسُيُوفُكُم فِي الحادِثَات إذا دَجَوْنَ نُجُومُ
مِنْهَا مَعَالِمُ للهُدَى ومَصَابِح تَجْلُو الدُّجَى والآخَرَيَاتُ رُجُومُ

قيل: إنَّ القاسم بن عُبَيْد الله الوزير كان يخافُ من هَجْو ابن الرُّومي، فدَسَّ عليه مَن أطعمه خُشْكناكة مَسْمُومَة، فأحَسَّ بالسُّمِّ، فوَثَبَ، فقال الوزيرُ: إلى أين؟ قال: إلى موضع بعثتني إليه. قال: سَلَّم على أبي. قال: ما طريقي على النَّار. فبقي أياماً ومات.

ولد سنة إحدى وعشرين ومئتين، ومات لليلتين بقيتا من جمادى الأولى، سَنَة ثلاثٍ وثمانين، وقيل: سنة أربع.

● **ابنُ الرُّومي (الزاهد):**

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الرُّومي النيسابوريُّ الحِيري، أبو محمد، شيخُ سعيدِ بن أبي سعيد العيَّار. الزاهدُ العابد.

قال الحاكم في (تاريخه): كان أبوه أبو عبد الله الرُّومي محدِّثاً مذكوراً ثقة. ثم إنَّ أبا محمدٍ كان من الصَّالحينَ المجتهدينَ في العبادة، إلا أنَّه لم يقتصر على سماعاته في كتاب أبيه وزاد فيها، وكان سماعُه من أبي العبّاس السرَّاج، فارتقى إلى ابن خُزيمة.

توفي رحمه الله يوم الإثنين السادس عشر من شهر رمضان سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاثمئة، ودفن في مقبرة الحِيْرة.

● **ذو النُّون المِصْريُّ:**

ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيضُ بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم

النوبي الإخميمي، يُكْنَى أبا الفيض، ويُقال: أبا الفياض. الزاهد، العالم، الفصيح، الحكيم، شيخُ الديار المصرية.

ولد في أواخر أيام المنصور.

قال يوسفُ بن الحسين الرازي: حضرتُ ذا النون، فقيل له: يا أبا الفيض، ما كان سببُ تَوْبَتِك؟ قال: نمتُ في الصحراء، ففتحتُ عيني فإذا قُبَّرَةٌ عمياءُ سقطتْ من وَكر، فانشقت الأرضُ، فخرج منها سُكُرُجَّتان ذهب وفضة، في إحداهما سِمْسِم، وفي الأخرى ماء، فأكلتُ وشربتُ. فقلتُ: حسبي. فَخُبْت ولزمتُ الباب إلى أن قبلني.

قال السُّلَمي في (محن الصوفية): ذو النون أولُ من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبد الله بنُ عبد الحكم، وهجره علماءُ مصر. وشاع أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف.

وقال محمدُ بنُ الفَرَجي: كنتُ مع ذي النون في زورق، فمرَّ بنا زورقٌ آخر، فقيل لذي النون: إنَّ هؤلاء يمرون إلى السلطان، يَشْهدونَ عليك بالكفر. فقال: اللَّهُمَّ إنْ كانوا كاذبين، فغرِّقهم، فانقلب الزورق، وغرقوا. فقلتُ له: فما بال الملاَّح؟ قال: لِمَ حملهم وهو يعلمُ قصدهم؟! ولأنْ يقفوا بين يدي الله غرقى خيرٌ لهم من أن يقفوا شُهود زُور، ثم انتفض وتغيَّر، وقال: وعزَّتِك لا أدعو على أحدٍ بعدها. ثم دعاءُ أميرُ مصر، وسأله عن اعتقاده، فتكلَّم، فرضي أمرَه. وطلبَهُ المتوكل، فلما سمع كلامه، وَلِعَ به وأحبَّه. وكان يقولُ: إذا ذُكر الصالحون، فحيَّ هلا بذي النون.

قال في الاستغفار: إنَّه جامع لمعانٍ:

أوَّلُها: النَّدمُ على ما مضى.

الثاني: العزمُ على الترك.

الثالثُ: أداء ما ضيَّعْتَ من فرض لله.

الرابعُ: ردُّ المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها.

الخامسُ: إذابةُ كل لحم ودم نبت على الحرام.

السادس: إذاقة ألم الطاعة كما وجَدْتَ حلاوة المعصية.

وعن عمرو بن السرح: قلتُ لذي النون: كيف خلصتَ من المتوكل، وقد أمر بقتلك؟ قال: لما أوصلني الغلامُ، قلتُ في نفسي: يا مَنْ ليس في البحار قطراتٌ، وفي ديلج الرياح ديلجاتٌ، ولا في الأرض خبيئاتٌ، ولا في القلوب خطراتٌ، إلا وهي عليك دليلاتٌ، ولك شاهداتٌ، وبربوبيتك مُعترفاتٌ، وفي قُدرتك متحيِّراتٌ، فبالقُدرةِ التي تُجيرُ بها من في الأرضين والسماوات إلا صَلَّيْتَ على محمد وعلى آل محمد، وأخذتَ قلبَه عني. فقام المُتوكل يخطو حتى اعتنقني.

لما مات، أظلّت الطير جنازَتَه. مات بالجِيزة وهو في التسعين، وعُديَ به إلى مصر في مركبٍ خوفاً من زحمة الناس على الجسر، لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة ست وأربعين ومئتين.

● **عتْبَة الغلام:**

عتبة بن أبان البصري، الزّاهدُ، الخاشعُ، الخائفُ.

كان يُشَبَّه في حُزْنِه بالحسن البصري. وكان من نُسَّاكِ أهل البصرة، يصوم الدهْرَ، ويأوي إلى السواحلِ والجَبّانة.

قال رياح القيْسي: باتَ عندي، فسمعته يقول في سجودِه: اللهم احشر عُتْبَةَ من حواصِل الطَّير وبطون السِّباع.

كان رأسُ ماله فَلْساً، يشتري به خُوصاً، يعمله ويبيعه بثلاثة فلوس، فيتصدق بفلس، ويتعشى بفلس، وفلس رأس ماله. وكان يقول: لا يُعجبني رجلٌ ألاّ يحترف. وقيل: نازَعَتْه نفسُه لحماً، فماطلها سبع سنين.

رؤي يبكي فقال: إنّما أبكي على تقصيري.

وعنه أنه قال: من عَرَفَ الله أحَبَّه، ومن أحبّه أطاعه.

وذكَرَ مَخْلَدُ بن الحُسَيْن عُتْبَةَ الغلام وصاحبه يحيى الواسطي فقال: كأنما رَبَّتْهم الأنبياء.

وكان يقال: إنَّ الطَّير تُجيبه.

وقال مَخْلَدُ بن الحُسَين: جاءنا عُتْبَة الغُلام غازياً، وقال: رأيت أني آتي المَصِّيصة في الدَّوم، وأغزو فأستشهد. قال: فأعطاه رجل فرسَه وسلاحَه، وقال: إنّي عَليلٌ، فاغزُ عني. فلقوا الرومَ، فكان أول من استُشهد. ولما غزا قال: لا تفتحُوا بيتي. فلما قُتِلَ، فتحوه. فوجدوا قبراً محفوراً، وغِلَّ حديد.

● **أبو الدَّرْداء رضي الله عنه:**

هو عويمِرُ بنُ قيس بن زَيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عديِّ بن كعبِ بن الخزرج، صاحبُ رسول الله ﷺ، أبو الدرداء، الإمامُ القدوةُ، قاضي دمشق، ويقال: عُوَيمِرُ بن عامر.

حكيم هذه الأمة. وسيِّدُ القُرَّاءِ بدمشق. ويُروى له مئة وتسعة وسبعون حديثاً. وهو معدودٌ فيمن تلا على النبي ﷺ، وفيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ، ثم تَصَدَّر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان، وقبل ذلك.

كان أبو الدرداء من آخر الأنصار إسلاماً، وكان يعبدُ صَنَماً، فدخل ابنُ رواحة ومحمَّدُ بن مسلمة بيتَه، فكسرا صنمه، فرجع فجعل يجمعُ الصنم، ويقولُ: ويحك هلاَّ امتنعتَ، ألا دفعتَ عن نَفْسِك. فقالت أم الدَّرداء: لو كان ينفَعُ أو يَدْفَعُ عن أحد، دَفَعَ عن نفسه ونفعها. فقال أبو الدّرداء: أعدِّي لي ماءً في المُغْتَسَل. فاغتسلَ، ولبسَ حُلَّتَهُ، ثم ذهبَ إلى النبيِّ ﷺ، فنظر إليه ابنُ رواحة مُقبلاً، فقال: يا رسولَ الله! هذا أبو الدّرداء، وما أراه إلا جاءَ في طَلَبنا؟ فقال: «إنّما جاء ليُسْلِمَ، إنَّ رَبِّي وَعَدَني بأبي الدَّرْدَاءِ أنْ يُسْلِمَ».

لما هُزِمَ الصحابة يومَ أُحُد، كان أبو الدّرداء يومئذ فيمَنْ فاءَ إلى رسول الله ﷺ في الناس، فلما أظلَّهم المشركون من فوقهم، قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ، لَيْسَ لَهُمْ أنْ يَعْلُونا»، فثابَ إليه ناسٌ، وانتدَبُوا، وفيهم عُوَيمرُ أبو الدَّرْدَاء، حتى أدحَضُوهم عن مكانهم، وكان أبو الدّرداء يومئذ حَسَنَ البلاء. فقال رسولُ الله ﷺ: «نِعْمَ الفارسُ عُوَيمر»، وقال: «حكيم أمّتي عُوَيمر هذا».

وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين سَلمان وأبي الدّرداء؛ فجاءه سلمانُ يزوره، فإذا أمُّ الدّرداء مُتَبَذِّلة، فقال: ما شأنُكِ؟ قالت: إنَّ أخاكَ لا حاجة له في

الدّنيا، يقومُ الليلَ، ويصومُ النّهار. فجاء أبو الدّرداء، فرحَّبَ به، وقرَّبَ إليه طعاماً. فقال له سلمان: كُلْ. قال: إنّي صائم. قال: أقسمتُ عليك لَتُفْطِرَنَّ. فأكل معه. ثم بات عنده، فلمّا كان من الليل، أراد أبو الدّرداء أن يقوم، فمنعه سلمانُ وقال: إنَّ لجسدك عليك حقّاً، ولربك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً؛ صُم، وأفطر، وصَلِّ، وائتِ أهلك، وأعْطِ كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه.

فلما كان وجهُ الصبح، قال: قُم الآن إن شِئْتَ؛ فقاما، فتوضّآ، ثم ركعا، ثم خرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدّرداء ليُخبرَ رسولَ الله ﷺ بالذي أمره سَلمان. فقال له: «يا أبا الدّرداء، إنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيكَ حَقّاً، مثل ما قال لكَ سَلْمان».

كان الصحابة يقولون: أرحمُنا بنا أبو بكر؛ وأنطقُنا بالحقّ عُمر؛ وأمينُنا أبو عُبيدة؛ وأعلمُنا بالحرام والحلال مُعَاذ؛ وأقرؤنا أبَيّ، ورجلٌ عنده علمٌ ابنُ مسعود، وتَبعهم مُوَيمر أبو الدَّرداء بالعقل. وكانوا يقولون: أتبعُنا للعلم والعمل أبو الدَّرداء. كان ابنُ عمر يقول: حدِّثونا عن العاقِلَين. فيقال: مَن العاقلان؟ فيقول: معاذ، وأبو الدّرداء. ولمّا مات النبيُّ ﷺ، لم يكن قد جمع القرآنَ غيرُ أربعة: أبو الدّرداء، ومُعاذٌ، وزيدُ بنُ ثابت، وأبو زيد.

وَليَ القَضَاءَ بدمشق في دولةِ عُثمان، فهو أولُ من ذُكِرَ من قضَاتها. ودارُهُ بباب البَريد، ثم صارت في دولة السلطان صلاح الدين تُعرفُ بدار العَزْي.

وكان يُصلي الصبح ثم يُقرئ ويقرأ، حتى إذا أراد القيام، قال لأصحابه: هل من وليمة أو عَقِيقة نشهدُها؟ فإن قالوا: نعم، وإلا قال: اللهم، إنّي أُشهدُك أنّي صائم.

وكان الذين في حلقة إقراء أبي الدّرداء أزيدَ من ألفِ رجل، ولكُلِّ عشرة منهم ملقِّن، وكان أبو الدّرداء يطوفُ عليهم قائماً، فإذا أحكمَ الرجلُ منهم، تحول إلى أبي الدّرداء ـ يعني يعرض عليه. وهو الذي سنَّ هذه الحِلَق للقراءة.

قال في العلم: ما لي أرى عُلماءكم يذهبون، وجُهَّالكم لا يتعلمون، تعلَّموا فإنَّ العالم والمتعلم شريكان في الأجر.

وقال: ويل للذي لا يعلمُ مَرَّةً، وويل للذي يعلمُ ولا يعملُ سبعَ مرات.

وقيل لأم الدّرداء: أيُّ عبادة أبي الدّرداء كانت أكثر؟ قالت: التفكر والاعتبار. وكان يقول: تفكُّر ساعة خيرٌ من قيام ليلة.

وقيل له ـ وكان لا يفترُ عن الذِّكر ـ: كم تسبِّح في كل يوم؟ قال: مئة ألف، إلاَّ أنْ تُخطئ الأصابع.

وقال: لولا ثلاثٌ ما أحببتُ البقاء: ساعة ظمأ الهواجر، والسجودُ في الليل، ومجالسة أقوام ينتقون جَيِّدَ الكلام كما يُنتقى أطايبُ الثمر. قيل له: ما تُحِبُّ لمن تُحب؟ قال: الموت. قيل: فإن لم يمت؟ قال: يَقِلُّ مالُه وولدُه.

وقال: ثلاثةٌ أحبهنَّ، ويكرهُهُنَّ النَّاس: الفقر، والمرض، والموت. أَحِبُّ الفقرَ تواضُعاً لربي، والموتَ اشتياقاً لربي، والمرضَ تكفيراً لخطيئتي.

وقال: أعوذ بالله من تفرقة القلب. قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يجعل لي في كل وادٍ مال.

جاءه رجلٌ فقال: أوصني. قال: اذكر الله في السرَّاء يذكُرْك في الضَّراء؛ وإذا ذكرتَ الموتى، فاجعلْ نَفْسَكَ كأحدهم، وإذا أشرفتْ نَفْسُك على شيء من الدُّنيا، فانظُر إلى ما يصير. وقال: اعبد الله كأنك تراه وعُدَّ نفسك في الموتى، وإياكَ ودعوة المظلوم، واعلم أنَّ قليلاً يُغنيك خيرٌ من كثير يُلهيك، وأنَّ البرَّ لا يَبْلى، وأن الإثم لا يُنْسى.

وعنه: إياكَ ودعواتِ المظلوم؛ فإنهُنَّ يَصعدْنَ إلى الله كأنهن شراراتٌ من نار.

وقال: الحمد لله الذي جعل الأغنياء يتمنَّون أنهم مثلُنا عند الموت، ولا نتمنَّى أننا مثلُهم حينئذٍ. ما أنصفنا إخوانُنا الأغنياء: يُحِبُّوننا على الدين، ويُعادوننا على الدُّنيا.

لما فُتحتْ قبرص، مُرَّ بالسَّبْي على أبي الدّرداء، فبكى، فقيل له: تبكي في مثل هذا اليوم الذي أعَزَّ الله فيه الإسلام وأهله؟! قال: بينا هذه الأمة قاهرة ظاهرة إذْ عَصَوُا الله، فلقُّوا ما ترى، ما أهونَ العبادَ على الله إذا هم عصوه.

وعن أمِّ الدّرداء قالتْ: كان أبو الدّرداء لا يحدث بحديث إلا تَبَسَّم،

فقلت: إني أخاف أن يُحَمِّقَكَ النَّاس. فقال: كانَ رسولُ الله ﷺ لا يُحَدِّثُ بحديث إلا تَبَسَّم. أخرجه أحمد في (المسند).

وعنها أيضاً: أنها قالت: كان لأبي الدّرداء ستون وثلاثمئة خليل في الله. يدعو لهم في الصلاة، فقلتُ له في ذلك، فقال: إنه ليس رجلٌ يدعو لأخيه في الغيب إلاَّ وَكَّلَ الله به ملكين يقولان: ولك بمثل. أفلا أرغبُ أنْ تدعُوَ لي الملائكة.

وذُكِرَ الدَّجَّال في مجلس فيه أبو الدّرداء فقال نَوف البكّالي: إني لغير الدجال أخْوَفُ مني من الدّجال. فقال أبو الدّرداء: وما هو؟ قال: أخاف أن أُسْلَبَ إيماني وأنا لا أشعر. فقال أبو الدّرداء: ثكلتْكَ أمُّكَ يا بنَ الكندية! وهل في الأرض خمسون يَتَخوَّفون ما تَتَخَوَّفُ؟ ثم قال: وثلاثون، وعشرون، وعشرة، وخمسة. ثم قال: وثلاثة. كلُّ ذلك يقول: ثكلتْكَ أمُّك والذي نفسي بيده ما أمِنَ عبدٌ على إيمانه إلا سُلِبَه، أو انتُزِعَ منه فيفقده. والذي نفسي بيده ما الإيمان إلا كالقميص يتقمَّصُه مرةً ويضعه أخرى.

وعن أبي الدّرداء، قال: مَنْ أكثر مِن ذكر الموت قلَّ فرحُه، وقلَّ حسدُه.

لما احتُضر أبو الدّرداء، جعل يقول: مَن يعملُ لمثل يومي هذا؟ مَن يعملُ لمثل مضجعي هذا؟.

ومات رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين للهجرة.

● **ماهَان الحَنَفي:**

أبو سَالِم الكُوْفِي الأعْوَر، وكان يقال له: المُسَبِّح وليس بأبي صالح الحَنَفيّ عبد الرَّحمن بن قَيْس.

ذكره ابنُ حِبَّان في كتاب (الثقات).

وقال محمد بن فُضَيْل عن أبيه: كان ماهان الحَنَفِيُّ يلقى الرجل، فيقول: ما يستحي أحدكم أن تكون دابته التي يركبها، وثوْبه الذي يلبسهُ، أكثر ذِكْراً لله منه. وكان لا يفتر من التَّسبيح. قال: فأخذه الحَجَّاجُ فصلَبَهُ على باب مسجد بني حَنِيفة وكان يُسَبِّح ويعقد. قال: فطُعِنَ وقد عَقَدَ تسعة وستين.

وقال أبو عُبَيد الآجُرِّي عن أبي داود: حدثني الثِّقة عن ابن فضَيْل، وعن إبراهيم بن أبي حَنِيفة، قال: رأيتُ ماهانَ الحَنَفيَّ حيث صلبه الحجاج، فجعل

يُسَبِّح حتى عَقد على تسعة وعشرين، فطعن وهو على تلك الحال، فرأيته بعد شَهْرٍ عاقداً عليها، قال إبراهيم: وكنا نُؤمر بالحَرس على خَشَبَته فنرى عنده الضَّوء، قال أبو داود: قال عَمَّار الدُّهْنيُّ: رأيت ماهان حيث صُلِبَ، فقال: إنّي لأرغب بك عن هذا المكان اذهب. قال أبو داود: قَطَعَ الحجاج يديه ورجْليه وصَلَبَهُ. قال أبو داود: سُئِلَ سُفيان عن الرجل يُقتل أيمد رقبته؟ فقال: قال ماهان الحنفي: احملوني ـ أي على الخشَبة. قال: وقال الحجاج لأبي صالح: زَرَغْتُم. قال: حَرَثْنا. قال: فقال له ابن أبي مُسلم: اقتله فإنّه خارجي.

قتلَ الحَجّاجُ ماهان سنة ثلاث وثمانين.

● **عمران بن حُصَين بن عبيد بـن خَلَف:**

صاحبُ رسول الله ﷺ، القدوةُ الإمامُ، أبو نُجيد الخزاعي.

أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت واحد، سنة سبع.

ولي قضاء البصرة، وكان عمر بَعثه إلى أهل البصرة ليفقههم؛ فكان الحسنُ يحلف: ما قدم عليهم البصرة خيرٌ لهم من عِمران بنِ الحُصين.

وقال مُطرِّفُ بنُ عبد الله: قال لي عِمرانُ بنُ حُصَين: أحدِّثُك حديثاً عسى الله أن ينفعك به: إنَّ رسولَ الله ﷺ جمع بين الحج والعمرة، ولم ينه عنه حتى مات، ولم ينزلْ فيه قرآنٌ يُحَرِّمُه، وأنه كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ ـ يعني الملائكة ـ قال: فلما اكتويتُ، أمسكَ ذلك؛ فلما تركتُه، عادَ إليَّ.

قال ابن سيرين: سَقى بَطْنُ عِمران بن حُصَين ثلاثين سنة، كل ذلك يُعْرَضُ عليه الكيُّ، فيأبى؛ حتى كان قبل موته بسنتين، فاكتوى.

وقد غزا عِمران بنُ حُصَين، قال: ما مسستُ ذكري بيميني منذُ بايعتُ بها رسولَ الله ﷺ.

اتفق الشيخان له على تسعة أحاديث، وانفرد البخاريُّ بأربعة أحاديث، ومسلم بتسعة، ومسنده: مئة وثمانون حديثاً.

قال قتادة: بلغني أنّ عمران قال: وددتُ أنّي رمادٌ تذروني الرياح.

وكان ممن اعتزل الفتنة، ولم يحارب مع علي.

وعن إبراهيمَ بنِ عطاء مولى عِمران، عن أبيه؛ أنَّ عِمران قضى على رجل بقضية، فقال: والله، قضيتَ عليَّ بجَوْرٍ، وما ألْوَتْ. قال: وكيفَ؟ قال: شُهِدَ عليَّ بزور. قال: ما قضيت عليك فهو في مالي، ووالله لا أجلس مجلسي هذا أبداً.

عن أبي رجاء، قال: خرج علينا عِمران في مطرف خَزٍّ لم نَرَه قط، فقال: قالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ الله إذا أنْعَمَ على عَبْد نعمةً يُحِبُّ أنْ تُرَى عليه».

وعن الحسن: أنَّ عِمران بنَ حُصَين أوصى لأمهات أولاده بوصايا، وقال: مَنْ صَرَخَتْ عليَّ، فلا وصية لها.

توفي عِمرانُ رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين.

● **العلاءُ بنُ زياد بن مطر بن شُرَيْح:**

القدوةُ العابد، أبو نصر العدويُّ البصريُّ.

وكان ربَّانياً تقيّاً قانتاً لله، بكَّاءً من خَشيةِ الله؛ بكى حتى عَشِيَ بَصَرُه. وكان إذا أراد أن يقرأ أو يتكلم، جَهَشَهُ البكاء.

كان قوته رغيفاً كل يوم، وكان له مالٌ ورقيق، فأعْتَقَ بعضَهم، وباع بعضَهم، وتعبَّد وبالغ، فكُلِّم في ذلك فقال: إنما أتذلَّلُ لله لعلَّه يَرْحَمُني.

عن جعفر بن سُليمان: سَمِعْتُ مالكَ بنَ دينار وسأل هشامَ بن زياد العدويّ فقال: تجهَّزْ رجلٌ من أهلِ الشام للحجِّ، فأتاه آتٍ في منامِه: ائتِ البَصْرة، فائتِ العلاء بنَ زياد فإنَّه رجلٌ رَبْعة، أقصمُ الثنيَّةِ بَسَّام، فبشِّرْهُ بالجنة. فقال: رؤيا ليسَت بشيء. فأتاه في الليلة الثانية، ثم في الثالثة وجاءهُ بوَعيد، فأصبح وتجهَّز إلى العراق، فلما خرجَ مِنَ البيوت إذا الذي أتاهُ في منامه يسير بين يديه، فإذا نزلَ فقدَهُ. قال: فجاء فوقف على باب العلاء، فخرجتْ إليه فقال: أنتَ العلاء؟ قلتُ: لا، انْزلْ رحمَك الله، فضَعْ رَحْلَك. قال: لا، أينَ العلاء؟ قلت: في المسجد.

فجاءَ العلاء، فلمَّا رأى الرجُلَ، تبسَّمَ فبدَت ثنيَّتُه، فقال: هذا والله هو. فقال العلاء: هلَّا حططتَ رحْل الرجُل، ألا أنزلتَه، قال: قلتُ له فأبى. قال العلاء: انزلْ رحمكَ الله. قال: أخْلِني. فدخل العلاء منزله وقال: يا أسماءُ تحوَّلي. فدخل الرجل فبَشَّرَه برؤياه، ثم خرج فركب، وأغلقَ العلاءُ بابه، وبكى

ثلاثة أيام، أو قال: سبعة، لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً. فسمعتُه يقول في خلال بكائه: أنا، أنا. وكُنّا نهابُه أن نفتحَ بابَه. وخشيتُ أن يموت، فأتيت الحسن، فذكرت له ذلك، فجاء فدقَّ عليه، ففتح وبه من الضُّرِّ شيءٌ الله به عليم. ثم كلَّمَ الحسَن؛ فقال: ومِن أهْلِ الجنَّة إن شاء الله، أفقاتِلٌ نَفْسَكَ أنت؟! قال هشام: فحدَّثنا العلاءُ ـ لي وللحسن ـ بالرؤيا، وقال: لا تُحدِّثوا بها ما كنتُ حيّاً.

قتادة: عن العلاء بن زياد، قال: ما يضرُّك شهدتَ على مسلم بكفر أو قتلتَه.

عن العلاء بن زياد، قال: رأيتُ الناسَ في النَّوم، يتبعُون شيئاً، فتبعتُه، فإذا عجوزٌ كبيرة هنْماء عوراء، عليها من كلِّ حِلية وزينة، فقلتُ: ما أنتِ؟ قالت: أنا الدّنيا. قلتُ: أسأل الله أن يُبَغِّضكِ إليَّ، قالتْ: نَعم، إن أبغضت الدراهم.

وعن هشام بن زياد أخو العلاء: أن العلاء كان يُحيي ليلة الجمعة، فنام ليلة جُمُعةٍ، فأتاه من أخذ بناصيته، فقال: قم يا بن زياد، فاذكُر الله يذكُرْك. فقام، فما زالت تلك الشعراتُ التي أخذها منه قائمة حتّى ماتَ.

ذكر أبو حاتم ابن حِبّان أنَّ العلاء بن زياد توفي في آخَرَةِ ولاية الحجاج سنة أربع وتسعين.

● **حسَّانُ بنُ أبي سِنان البَصْري:**

أحَدُ العَبّادِ الوَرِعِيْنَ. قال عنه البخاري: كان من عُبّاد أهل البصرة.

كان حسان بن أبي سِنان يفتح باب حانوته فيضع الدَّواة، وينشر حسابه، ويُرخي سِتْرَهُ، ثم يصلِّي، فإذا أحسَّ بإنسان قد جاءَ، يقبل على الحساب يريه أنه كان في الحِساب. وكان يقول: لولا المساكين ما اتَّجَرت.

مَرَّ حسان بن أبي سنان بغُرفة، فقال: مذ كم بُنِيَت هذه؟ قال: ثم رَجَعَ إلى نفسه، فقال: وما عليكِ مذ كم بُنِيَت، تسألين عمَّا لا يَعنيكِ؟! فعاقبها بصوم سنة.

ذكرهُ البخاري في البيوع، قال: وقال حَسَّان بن (أبي) سنان: ما رأيتُ شيئاً أهونَ من الوَرَع، دَعْ ما يريبُكَ إلى ما لا يريبُكَ.

● **محمد بن كعب القُرَظي:**

مدني، تابعي ثقة، رجل صالح، عالم بالقرآن. منسوب إلى بني قريظة الطائفة المعروفة من اليهود، وهو تابعي جليل من كبار التابعين وأئمتهم، وهو

أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد المدني من حلفاء الأوس، وكان أبوه من سبي قريظة، سكن الكوفة ثم عاد إلى المدينة. ولد في حياة رسول الله ﷺ وسمع ابن عباس وزيد بن أرقم ومعاوية. وقيل: سمع ابن مسعود ورأى ابن عمر. قال ابن سعد: كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً.

توفي سنة ثمان ومئة، قيل: سنة سبع عشرة ومئة.

● **إبراهيم النَّخَعيّ:**

إبراهيم بن يزيد بن قيس الأسود النَّخَعيّ، اليَماني ثم الكوفيّ أبو عِمْران الإمام، الحافظ، فقيه العراق، مفتي أهل الكوفة، قال فيه سعيد بن جُبَير: أتستفتوني وفيكم إبراهيم؟! وقال فيه الإمام أحمد بن حَنْبَل: كان إبراهيم ذكيّاً، حافظاً، صاحبَ سُنَّة.

أحدُ الأعلام، كان بصيراً بعِلْمِ ابن مسعود، واسعَ الرِّواية، فقيهَ النَّفس، كبير الشَّأن، كثيرَ المَحاسِن، رحمهُ الله تعالى. لم يحدِّث عن أحدٍ من أصحاب النبيّ ﷺ، وقد أدرك منهم جماعة، ورأى السيدة عائشة رضي الله عنها.

قال إبراهيم: تكلمتُ، ولو وجَدْتُ بُدّاً لم أتكلَّمْ، وإنَّ زماناً أكونُ فيه فقيهاً لزمانٌ سُوء.

جاءه رجلٌ فقال: يا أبا عِمران، إنَّ الحَسَن البصريَّ يقول: إذا تواجَهَ المسلمان بسَيْفَيْهما فالقاتلُ والمقتول في النار. فقال رجل: هذا مَن قاتلَ على الدُّنيا، فأمَّا قتالُ مَن بغى، فلا بأس به، فقال إبراهيم: هكذا قال أصحابُنا عن ابنِ مسعود؛ فقالوا له: أين كُنتَ يوم الزَّاوية؟ قال: في بيتي؛ قالوا: فأين كنت يوم الجماجم؟ قال: في بيتي؛ قالوا: فإنَّ عَلْقمة شهدَ صفين مع عليّ؛ فقال: بخ بخ، مَن لنا مثل عليّ بن أبي طالب ورجاله.

مَرَّ الشَّعْبيّ ـ وهو من ثقات التابعين ـ بإبراهيم النخعي، فقام له إبراهيم عن مجلسِه، فقال له الشَّعْبيّ: أما إني أفقهُ منك حيّاً، وأنت أفقهُ مِنّي مَيّتاً، وذاكَ أنَّ لك أصحاباً يلزمونك، فيُحْيُون عِلْمَك.

فلما مات إبراهيم النَّخَعيّ قال الشَّعْبيّ: أما إنَّه ما ترك أحداً أعلمَ منه، أو أفقه.

وقيل: إنَّ إبراهيمَ لما احتُضِر، جَزِعَ جَزَعاً شديداً؛ فقيل له في ذلكَ، فقال: وأيُّ خَطَرٍ أعظمُ ممَّا أنا فيه، أتوقَّعُ رسولاً يَرِدُ عليَّ مِن رَبِّي إما بالجنَّةِ وإمَّا

بالنّار؛ والله لَوَدِدتُ أنها تَلَجْلَجُ في حَلْقي إلى يوم القيامة.

توفي سنة ستٍّ وتسعين وله تسع وأربعون سنة، وقيل: ابن نيّفٍ وخمسين بعد الحجّاج بأربعةِ أشهر أو خمسة.

● **العباس بن احمد بن علي القحطبي:**

أبو الفضل، جرجاني، كان رئيس جرجان في أيامه، روى بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجموا لخمس عشرة، أو سبع عشرة، أو تسع عشرة، أو إحدى وعشرين، لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم». ورد ذكره في (تاريخ جرجان).

● **أبو قُلابة:**

عبد الله بن زيد الجرمي، أبو قُلابة.

مما نقل عنه: أنه قال: أي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيالٍ له صغار يُعفّهم اللهُ به ويغنيهم.

وقال: إذا أحدث الله عزَّ وجلَّ لك علماً، فأحدث له عبادة، ولا يكن همّك ما يحدثُ به الناس. قال: وقال لي: الزم سوقك فإن الغنى من العافية.

وقال حُميد الطويل: قال أبو قلابة: إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهه، فالتمس له العذر جُهدك، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك: لعل لأخي عذراً لا أعلمه، وكان رجل بالبصرة من بني سعد قائداً من قواد عبيد الله بن زياد فسقط عن السطح فانكسرت رجلاه، فدخل عليه أبو قلابة يعوده فقال له: أرجو أن تكون لك خيرة، فقال: يا أبا قلابة! وأي خير في كسر رجلَيَّ جميعاً، فقال: ما ستر الله عليك أكثر، فلمّا كان بعد ثلاث ورد عليه كتابُ ابن زياد أن يخرج فيقاتل الحسين رضي الله عنه، فقال للرسول: قد أصابني ما ترى، فما كان إلا سبعاً حتى وافى الخبر بقتل الحسين رضي الله عنه، فقال الرجل: رحم الله أبا قلابة لقد صدق، إنه كان خيرة لي.

هذا ومرض أبو قلابة ومات بالشام سنة أربع أو خمس ومئة رحمه الله تعالى.

● **الغزي:**

هو ربعي بن الأفكل، كان على مقدمة جيش أميره عبد الله بن المعتم وجعله على المقدمة بأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أرسل عمر إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعدما فتح الله على المسلمين المدائن أن يجهز جيشاً لأهل الموصل الذين اجتمعوا بتكريت على قائد يقال له: (الأنطاق) ويؤمّر عليه

عبد الله بن المعتم، وأن يجعل ربعي بن الأفكل الغزي في مقدمته. كما عهد إليهم في كتابه إذا نصروا على تكريت أن يبعثوا ربعيّاً إلى الحصنين، وهي الموصل، فسار ربعي ومعه سرية إلى الحصنين بعد الانتصار في تكريت وأجاب أهلها إلى الصلح، وولي ربعي إمرة حرب الموصل.

●عامر بن عبد الله:

هو الذي يقال له: ابن عبد قيس، ويكنى أبا عمر، يقول فيه مالك بن دينار: بلغنا أن كعباً رأى عامراً فقال: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا عامر، فقال: هذا راهب هذه الأمة. أدرك عامر الصدر الأول، وروى عن عمر رضي الله عنه لكنّه اشتغل بالعبادة عن الرواية.

قيل: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم عامر بن عبد الله.

إنْ كان ليصلي فيتمثل له إبليس في صورة الحية، فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه، فقيل له: ألا تنحي الحية عنك؟ فقال: إني لأستحيي من الله عزَّ وجلّ أن أخاف سواه، فقيل له: إن الجنة لتدرك بدون ما تصنع، وإن النار لتتقى بدون ما تصنع! فقال: والله لأجتهدنَّ ثم والله لأجتهدنَّ، فإن نجوتُ فبرحمة الله، وإن دخلت النار فبعد جهدي.

لما احتضر بكى، فقيل له: أتجزع من الموت وتبكي؟! فقال: ما لي لا أبكي؟! ومن أحق بذلك مني؟! والله ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على دنياكم، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء.

كان يقول: ما رأيتُ مثل الجنة نام طالبها، وما رأيت مثل النار نام هاربها.

وكان إذا رأى ذمّياً يُعتدى عليه، وثبَ إليه يخلصه من العدوان، ويقول: لا تُخفِرْ ذمةَ محمدﷺ وأنا حي.

وقد سأل عامر ربَّه عزَّ وجل أن يهوِّنَ عليه الطهور في الشتاء: فكان يُؤتى بالماء وله بخار.

وقال: أربع آيات في كتاب الله تعالى إذا ذكرتهنَّ لا أبالي على ما أصبحتُ أو أمسيتُ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

ونختم بمسك سيرته كما جاء عن أبي عبدة العنبري قال: لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض ـ وهو ما كان من الغنيمة قبل أن يقسم ـ أقبل رجل بِحُقٍّ معه ـ الحُق: الوعاء ـ فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا له: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به. فعرفوا أن للرجل شأناً فقالوا: مَنْ أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكنّي أحمدُ الله وأرضى بثوابه، فأتْبَعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس.

● **أحمد بن أبي الحواري:**

يكنى أحمد أبا الحسن، واسم أبي الحواري ميمون.

سكن دمشق، وكان له ابن يقال له: عبد الله من الزهاد، وأخ يقال له: محمد يشبهه في الورع والزهد. وأبوه أبو الحواري من أهل الورع، فبيتهم بيت الورع والزهد.

وكان الجُنيد يقول: أحمد ريحانة الشام. وحسبك بما قال الجنيد.

وذكر يحيى بن معين أحمد فقال: أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به.

كذلك محمود بن خالد قال فيه: ما أظن بقي على وجه الأرض مثله.

ومن أقواله: من أحبَّ أن يعرف بشيء من الخير، أو يذكر به فقد أشرك في عبادته، ومن عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى محبوبه.

وقال: إني لأقرأ القرآن فأنظر فيه آية آية، فيحار عقلي فيها، فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن، أما لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه، وتلذذوا به، واستحلّوا المناجاة به؛ لذهب عنهم النوم فرحاً بما رُزِقوا.

وقال العباس بن حمزة: قال أحمد: كلما ارتفعتْ منزلةُ القلب كانت العقوبة إليه أسرع.

أسند أحمد بن أبي الحواري عن حفص بن غياث وأبي معاوية ووكيع ونظرائهم. وتوفي سنة ثلاثين ومئتين.

● **خالد بن زيد الكاتب:**

أبو الهيثم، أصله من خراسان، شاعر مشهور، رقيق الشعر، كان من كتّاب الجيش.

ومن شعره:

عِشْ فحبُّكَ سريعاً قاتلي ... والهوى أن تصلني وأصلي
طفر الشوقُ والقلب دنف ... فيك والسقم بجسم ناحلي
فهما من اكتئاب وضنى ... تركاني كالقضيب الذابل
ويكى العاذل من رحمته ... فبكائي لبكاء العاذلِ

توفي ببغداد سنة (٢٦٩هـ).

● **ثابت البناني:**

هو الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو محمد البناني، وبنانة هم بنو سعد بن لؤي بن غالب.

ولد في خلافة معاوية، وحدث عن عبد الله بن عمر كما في مسلم، وغيره كما في البخاري والنسائي والترمذي.

كان من أئمة العلم والعمل، قال أنس بن مالك: إن للخير أهلاً وإن ثابتاً هذا من مفاتيح الخير.

وقال غالب القطان عن بكر المزني: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البناني، ومن أراد أن ينظر إلى أحفظ أهل زمانه فلينظر إلى قتادة.

وعن ابن أبي رزين: أن ثابتاً قال: كابدتُ الصلاة عشرين سنة، وتنعّمتُ بها عشرين سنة.

عن حماد بن سلمة قال: كان ثابت يقول: اللهمَّ إن كنتَ أعطيتَ أحداً الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري.

ويقال: إنَّ هذه الدعوة استُجيبت له، وإنه رُئي بعد موته يصلي في قبره.

وكان بكّاءً حتى كاد البكاءُ يضرُّ بنظره، فقال جعفر بن سليمان: نهى الكحّال ثابتاً عن البكاء خشية ذهاب عينه، فقال: فما خيرهما إذا لم يبكيا؟!.

وقال حماد بن سلمة: قرأ ثابت وهو يصلي قوله تعالى: ﴿ أَكَفَرَتْ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ. . . ﴾ [الكهف: ٣٧] فأخذ ينتحب وهو يرددها.

روى البخاري في تاريخه الأوسط: أن ثابتاً ومالك بن دينار ومحمد بن واسع ماتوا سنة (١٢٣هـ).

● **علي بن بكار البصري الزاهد:**

يكنى أبا الحسن، سكن المصيصة مرابطاً وكان فقيهاً.

قال موسى بن طريف: كانت الجارية تفرش لعلي، فيلمسه بيده ويقول: والله إنك لطيب، والله إنك لبارد، لا علوتك الليلة، فكان يصلي الغداة بوضوء العتمة.

وسئل عن حبه للقاء حذيفة المرعشي ـ وكان من الصالحين ـ فكره ذلك وقال: أخاف أن أتصنّعَ له، فأتزيّن لغير الله، فأسقط من عين الله عزَّ وجلّ.

وقد استوصاه فيض بن إسحاق فقال: اتَّقِ اللهَ والزم بيتَك وأمسك لسانك، واترك مخالطة الناس تنزل عليك الحكمة من فوقك.

وخرج علي وأبو إسحاق الفزاري يحتطبان، فأبطأ علي حتى قام أبو إسحاق يبحث عنه في الجبل، فرآه جالساً وفي حجره رأس سبع وهو نائم يذب عنه، فقال له أبو إسحاق: ما قعودك ههنا؟ فقال: لجأ إليَّ فرحمته، فأنا أنتظره لينتبه فألحقك.

هذا وقد طُعن فيما ذُكر في بعض مغازيه، فخرجت أمعاؤه على قربوس سرجه فردها إلى بطنه بالعمامة وقاتل.

صحب علي إبراهيم بن أدهم وتوفي بالمُصيصة سنة (١٩٩هـ). انظر ترجمته في: (صفة الصفوة) و(سير أعلام النبلاء).

* * *

الفهارس العامّة

١ ـ فهرس الآيات.
٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة والآثار.
٣ ـ فهرس الشعر.
٤ ـ فهرس الموضوعات.
٥ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم.

* * *

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

الفاتحة

- ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ ٧٩
- ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٥﴾ ٩٠

البقرة

- ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ ۛ ۝٢﴾ ٨٢
- ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ۝٥﴾ ٩٠
- ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ۖ ۝١٦﴾ ..... ٩٤، ٣٣٦، ٥٧١
- ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ ۖ ۝١٧﴾ ٦١
- ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ ۝١٩﴾ ..... ٦١، ٧٢
- ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ۖ ۝٢٣﴾ ..... ٦٧، ٢٢٦
- ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ۖ ۝٢٦﴾ ٦١
- ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ۝٢٨﴾ ١٠١
- ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۖ ۝٢٩﴾ ٦٥
- ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ۝٣٠﴾ ..... ٢٥٣، ٣٤١، ٣٧٢، ٥١٣، ٥١٤، ٦١٩، ٦٨١
- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ۖ ۝٣١﴾ ..... ٢٥٤، ٥٩٤
- ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ ۝٣٢﴾ ١٦١
- ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ ۝٣٣﴾ ..... ٣٤١، ٤٦٤، ٥٢٤
- ﴿ٱسْجُدُوا۟ ۖ ۝٣٤﴾ ..... ٦٧، ١٦١، ٥٩٤، ٦٩٩
- ﴿ٱسْكُنْ ۖ ۝٣٥﴾ ..... ٦٥، ٦٩٩، ٧٣٧
- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ۖ ۝٣٧﴾ ..... ٥٠٤، ٦٩٩، ٧٠٠
- ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا ۖ ۝٣٨﴾ ..... ٦٧، ٩٠، ٧٠١
- ﴿وَأْتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ ۝٢٥﴾ ٩٩
- ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم ۖ ۝٤٩﴾ ٦٨

- ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ... ﴿٥٠﴾ ﴾ ٧٦
- ﴿ لَن نُّؤْمِنَ ... ﴿٥٥﴾ ﴾ ٢٠١
- ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ... ﴿٥٧﴾ ﴾ ٦٥
- ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ ... ﴿٥٦﴾ ﴾ ..... ٦٨، ٧٠، ٨٣
- ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ... ﴿٥٩﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ ..... ٦٥، ٧٣، ٣٩٣
- ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ ... ﴿٦١﴾ ﴾ ..... ٧٢، ٧٧، ٢٠١
- ﴿ وَالنَّصَٰرَىٰ وَالصَّٰبِـُٔونَ ... ﴿٦٢﴾ ﴾ ٧٠
- ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ ... ﴿٦٣﴾ ﴾ ٧٩
- ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ... ﴿٦٤﴾ ﴾ ٨٦
- ﴿ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ... ﴿٧١﴾ ﴾ ٧٧
- ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ... ﴿٧٢﴾ ﴾ ٩٥
- ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ... ﴿٧٣﴾ ﴾ ..... ٩٥، ٣٠٤
- ﴿ وَرَوَىٰٓ ٱلْقُرْنُ ... ﴿٧٤﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ ... ﴿٧٥﴾ ﴾ ٩٥
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ... ﴿٧٦﴾ ﴾ ٥٩
- ﴿ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ ... ﴿٧٧﴾ ﴾ ٧٨
- ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ... ﴿٧٨﴾ ﴾ ٧٨
- ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ... ﴿٧٩﴾ ﴾ ٧٨
- ﴿ بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ... ﴿٨٠﴾ ﴾ ..... ٦٥، ٧٠
- ﴿ ● وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ... ﴿٨١﴾ ﴾ ٤٨٢
- ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ ... ﴿٨٢﴾ ﴾ ..... ٦٥، ١١٦
- ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ... ﴿٨٣﴾ ﴾ ١٦٦
- ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ... ﴿٨٤﴾ ﴾ ١٦٦
- ﴿ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ ... ﴿٨٥﴾ ﴾ ..... ٦٥، ٦٨
- ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ... ﴿٨٦﴾ ﴾ ١٣٨
- ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ... ﴿٨٧﴾ ﴾ ٣٦٠
- ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴿٨٨﴾ ﴾ ٧٠
- ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ... ﴿٨٩﴾ ﴾ ..... ٨٢، ٩٩

- ﴿ وَلَوْلَا وُجُوهُكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ٦٨٣
- ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ..... ٣٧٤، ٥٢٣، ٧٦٧
- ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ ..... ٢٩٤، ٣٨٢
- ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ٦٥
- ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ٦١
- ﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ ٧٠
- ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ..... ٦٣، ٢٠٢
- ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ ٧٨
- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ﴾ ١٠٢
- ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ ..... ٦٨، ٨١
- ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ ﴾ ٧٢
- ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ ٨٤
- ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾ ٧٩
- ﴿ فِي ظُلَلٍ ﴾ ٨٢
- ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ ٩٨
- ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ ١٠٢
- ﴿ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ ٢٩٥
- ﴿ وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ ٩٤
- ﴿ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ ..... ٨٩، ٢٣٧، ٤٩١، ٦٠٣
- ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ ٧٩
- ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ ..... ٢٥٣، ٢٩٩
- ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ ﴾ ٨٦
- ﴿ رَبَا الْأَرْضُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ ١٧٢
- ﴿ حَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ ..... ٧٢، ٨٣
- ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ٦٣
- ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾ ٦١
- ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ﴾ ..... ٦١، ٧٠
- ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ﴾ ٦١
- ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ ٦١

- ﴿ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ... ﴾ ٨٩
- ﴿ لَا يَسْطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾ ..... ٥٣٣، ٦٢٢
- ﴿ كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ... ﴾ ..... ٣٧، ٦١
- ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ... ﴾ ٨٣
- ﴿ وَأَذِنُوا۟ بِحَرْبٍ ... ﴾ ..... ٧٢، ٧٧
- ﴿ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ... ﴾ ٨٥

آل عمران

- ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ... ﴾ ..... ٧٧، ٦٢٤
- ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ... ﴾ ..... ٧٧، ٧٨
- ﴿ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ... ﴾ ٢١٣
- ﴿ فَتَقَبَّلَهَا ... ﴾ ..... ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧
- ﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ... ﴾ ٢١٧
- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ... ﴾ ٢١٥
- ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ... ﴾ ..... ٢١٣، ٤١٣
- ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ... ﴾ ٢١٦
- ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ... ﴾ ٢١٦
- ﴿ وَمَكَرُوا۟ ... ﴾ ٢١٦
- ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ... ﴾ ٧٠
- ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ... ﴾ ٨٧
- ﴿ وَٱلنَّبِيُّونَ ... ﴾ ..... ٦٥، ٦٨
- ﴿ كَانَ حِلًّا ... ﴾ ٨٣
- ﴿ مَن مَّا مَنْ تَـَٔمَنْهُ بِقِنطَارٍ ... ﴾ ٦٨
- ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ... ﴾ ..... ٦١، ٧٠١
- ﴿ أَكَفَرْتُم ... ﴾ ..... ٥٩، ٦٠
- ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ... ﴾ ٧٩
- ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ ... ﴾ ٦١
- ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ ... ﴾ ..... ٦٨، ٧٠
- ﴿ ✱ وَسَارِعُوٓا۟ ... ﴾ ٧٥٧
- ﴿ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ... ﴾ ٨٠

- ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ... ﴿١٣٨﴾ ﴾ ٣٧
- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ... ﴿١٤٢﴾ ﴾ ١٠٠
- ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ... ﴿١٤٨﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ فَأَنۢبَأَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ ... ﴿١٥٣﴾ ﴾ ..... ٦٥، ٧٧
- ﴿ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ... ﴿١٥٤﴾ ﴾ ..... ٧٤، ٨٩
- ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾ ٢٣٠
- ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ... ﴿١٦٥﴾ ﴾ ٥٣٢
- ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ... ﴿١٧٣﴾ ﴾ ٩٤
- ﴿ أَنَّا نَسْلِى لَكُمْ ... ﴿١٨٣﴾ ﴾ ..... ٥٧٣، ٧٣١
- ﴿ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ... ﴿١٧٩﴾ ﴾ ٨٥
- ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ... ﴿٢٠٠﴾ ﴾ ٢٧٤

النساء

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ ... ﴿١﴾ ﴾ ..... ٥٩، ٦٥
- ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا ﴿٩﴾ ﴾ ٧٢
- ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ... ﴿٥﴾ ﴾ ٥١٦
- ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ ... ﴿٨﴾ ﴾ ٦١٨
- ﴿ وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ ٧٨
- ﴿ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ ... ﴿٣٤﴾ ﴾ ٤٧٨
- ﴿ وَبِذِى الْقُرْبَىٰ ... ﴿٣٦﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ ... ﴿٤٢﴾ ﴾ ..... ٧٣، ٧٧
- ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ ... ﴿٤٣﴾ ﴾ ..... ٧٧، ٩٠، ٩٤، ٥٣٦
- ﴿ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَٰنَٰتِ ... ﴿٥٨﴾ ﴾ ٧٤
- ﴿ وَإِنْ سَكْرَىٰ لَن يَنَالُ ... ﴿٤٣﴾ ﴾ ٥٣٥
- ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ ... ﴿٦٣﴾ ﴾ ٨٧
- ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ... ﴿٨٣﴾ ﴾ ٨٦
- ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَٰسِعَةً ... ﴿٩٧﴾ ﴾ ..... ٧٣، ٨٢
- ﴿ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا ... ﴿١٠١﴾ ﴾ ٨١
- ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ ... ﴿١١٣﴾ ﴾ ٨٦

- ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ... ﴾ ٦٣
- ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا ... ﴾ ٤٧٨
- ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ... ﴾ ٧٠
- ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ... ﴾ ٩٩
- ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا ... ﴾ ٦٦
- ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ... ﴾ ٢٥٤
- ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ ... ﴾ ٥٧٣
- ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ... ﴾ ٨٠

المائدة

- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ... ﴾ ٩٩
- ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ... ﴾ ٧٠
- ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴾ ٩٩
- ﴿ لَن نَّدْخُلَهَآ ... ﴾ ٢٠١
- ﴿ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾ ٧٣
- ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ ... ﴾ ٨٢
- ﴿ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ... ﴾ ٧٤
- ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ... ﴾ ..... ٣١٤، ٣٢٨، ٥٢٣، ٥٦٥
- ﴿ يُحِبُّونَ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴾ ..... ٨٠، ٢٥٦
- ﴿ وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ ... ﴾ ٧٧
- ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ ... ﴾ ٨٧
- ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾ ٧٣
- ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ... ﴾ ٧٤
- ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾ ٦٥
- ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ... ﴾ ٨١
- ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ ... ﴾ ٧٢

الأنعام

- ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ... ﴾ ٧٨
- ﴿ وَلَن يَسْـَٔلَكَ عَنْهُ ... ﴾ ..... ٧٨، ٨٣٣
- ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ... ﴾ ٢٢٦

ـ ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ... ﴿٢٣﴾ ﴾ .... ٨١، ٩٠، ١٠١
ـ ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ... ﴿٣٧﴾ ﴾ ٨٧
ـ ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا... ﴿٤٣﴾ ﴾ ٨٧
ـ ﴿ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً... ﴿٤٤﴾ ﴾ ٧٤٢
ـ ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ... ﴿٥٠﴾ ﴾ ٦٩
ـ ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ... ﴿٧١﴾ ﴾ ٦١
ـ ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ... ﴿٧٣﴾ ﴾ ٧٧
ـ ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا... ﴿٨١﴾ ﴾ ٦٨
ـ ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ... ﴿٩٠﴾ ﴾ .... ٩٠، ١٦٥
ـ ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ... ﴿٩٣﴾ ﴾ ٧٣
ـ ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ... ﴿١٠٢﴾ ﴾ ٧٠
ـ ﴿ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ... ﴿١٤٥﴾ ﴾ ٧٠
ـ ﴿ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ... ﴿١٤٦﴾ ﴾ ٧٢
ـ ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ... ﴿١٥١﴾ ﴾ .... ٦٦، ٧١
ـ ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا... ﴿١٦٠﴾ ﴾ ٧٤٤

الأعراف

ـ ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ... ﴿١٩﴾ ﴾ ٦٥
ـ ﴿ فَدَلَّاهُمَا... ﴿٢٢﴾ ﴾ ٣٧٢
ـ ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا... ﴿٢٣﴾ ﴾ .... ٥٩٤، ٦١٩
ـ ﴿ يَا بَنِي آدَمَ... ﴿٢٦﴾ ﴾ ٥٩
ـ ﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ... ﴿٢٧﴾ ﴾ ٦٧٢
ـ ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... ﴿٢٩﴾ ﴾ ٥٩
ـ ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا... ﴿٣١﴾ ﴾ ٦٣
ـ ﴿ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم... ﴿٣٧﴾ ﴾ ٩٩
ـ ﴿ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ... ﴿٣٨﴾ ﴾ ٨٢
ـ ﴿ هَدَانَا لِهَٰذَا... ﴿٤٣﴾ ﴾ ٨٦
ـ ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ... ﴿٤٤﴾ ﴾ ١٠١
ـ ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ... ﴿٥٠﴾ ﴾ ١٠١
ـ ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ... ﴿٦٣﴾ ﴾ ٨٠

ـ ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ... ﴿٦٥﴾ ﴾ ١٦٩

ـ ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ... ﴿٧٣﴾ ﴾ ٧٣

ـ ﴿ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ... ﴿٧٥﴾ ﴾ ١٠٠

ـ ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ... ﴿٨٠﴾ ﴾ ٧٧

ـ ﴿ مَنْ آمَنَ بِهِ... ﴿٨٦﴾ ﴾ ٦٨

ـ ﴿ وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ... ﴿٨٩﴾ ﴾ ٧٧

ـ ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ ٦٦

ـ ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ... ﴿١١٠﴾ ﴾ .... ٦٩، ٧٤، ٩٧

ـ ﴿ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ ٦٦

ـ ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ ٦٩

ـ ﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ... ﴿١٢٤﴾ ﴾ ٦٦

ـ ﴿ فَانْتَقَمْنَا... ﴿١٣٦﴾ ﴾ ٢٣١

ـ ﴿ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا... ﴿١٣٧﴾ ﴾ .... ٧٣، ٩٩

ـ ﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ... ﴿١٤١﴾ ﴾ ٦٨

ـ ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي... ﴿١٤٢﴾ ﴾ .... ١٠٠، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١

ـ ﴿ أَرِنِي... ﴿١٤٣﴾ ﴾ .... ٢٨٩، ٦٨٥

ـ ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ... ﴿١٤٥﴾ ﴾ ٣٩

ـ ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ... ﴿١٥٠﴾ ﴾ .... ٥٩، ٦٩، ١٩٠

ـ ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ... ﴿١٥٥﴾ ﴾ ٨٢

ـ ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ... ﴿١٦٠﴾ ﴾ ٦٥

ـ ﴿ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ .... ٦٨، ٧٠

ـ ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ... ﴿١٦٣﴾ ﴾ ٨٣

ـ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ... ﴿١٧٢﴾ ﴾ .... ٢٥٧، ٢٦١، ٥١٨، ٥١٩، ٥٣٧، ٥٩٨

ـ ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ... ﴿١٧٦﴾ ﴾ .... ٦١، ٢٠٤

ـ ﴿ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ... ﴿١٨٨﴾ ﴾ ٧٨

ـ ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا... ﴿١٨٩﴾ ﴾ ٦٥

ـ ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ... ﴿٢٠١﴾ ﴾ ٣٣٥

ـ ﴿ لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا... ﴿٢٠٣﴾ ﴾ ٨٧

الأنفال

ـ ﴿يسئلونك عن الأنفال... ١﴾ ٨١
ـ ﴿إنما المؤمنون... ٢﴾ ٦٣٢
ـ ﴿ليحق الحق... ٨﴾ ٧٧
ـ ﴿إلا بشرى... ١٠﴾ .... ٦٨، ٧٠
ـ ﴿سألقي... ١٢﴾ .... ٨٦، ٢٣٠
ـ ﴿إن تستفتحوا... ١٩﴾ ٢٣١
ـ ﴿ولو علم الله فيهم خيرا... ٢٣﴾ ٧٨
ـ ﴿يحول بين المرء وقلبه... ٢٤﴾ ٥٧٩
ـ ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا... ٣١﴾ ١٠٢
ـ ﴿فأن لله خمسه... ٤١﴾ ٥٢٧
ـ ﴿ليقضي الله أمرا... ٤٢﴾ ٧٤
ـ ﴿لولا كتب من الله... ٦٨﴾ ٨٦

التوبة

ـ ﴿أبلغه مأمنه... ٦﴾ ٤٨١
ـ ﴿حتى يأتي الله بأمره... ٢٤﴾ ٧٤
ـ ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله... ٣٢﴾ ٦٦
ـ ﴿بالهدى ودين الحق... ٣٣﴾ ٧٩
ـ ﴿ذلك الدين القيم... ٣٦﴾ ٧٩
ـ ﴿ولا تضروه... ٣٩﴾ ٦٩
ـ ﴿ثاني اثنين... ٤٠﴾ ٦٦٠
ـ ﴿وفيكم سمعون لهم... ٤٧﴾ ٦٣
ـ ﴿ألا في الفتنة سقطوا... ٤٩﴾ ٨٢
ـ ﴿قد أخذنا أمرنا من قبل... ٥٠﴾ ٧٤
ـ ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه... ٦٢﴾ ٩٥
ـ ﴿إن نعف عن طائفة... ٦٦﴾ ٩٥
ـ ﴿وما نقموا إلا أن أغنهم الله... ٧٤﴾ .... ٦٣، ٩٩

ـ ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا... ٨١﴾ ٤١٢
ـ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم... ٨٤﴾ ٨١
ـ ﴿لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ... ٩٢﴾ ٩٠
ـ ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ... ٩٤﴾ ٩٩
ـ ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا... ١٠٢﴾ ٣١٤
ـ ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ... ١٠٣﴾ ٨١
ـ ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ... ١٠٤﴾ ٨١
ـ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا... ١٠٨﴾ ٥٨٤
ـ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ... ١١١﴾ .... ٧٧ ، ٥٨٣
ـ ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ... ١١٤﴾ ١٠٠
ـ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟... ١١٨﴾ ٣٨٧
ـ ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم... ١٢٣﴾ ٢٧٨
ـ ﴿يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ... ١٢٦﴾ ٨٢

يونس

ـ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ... ٣﴾ ٧٤
ـ ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟... ٤﴾ ٨٦
ـ ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم... ٩﴾ ٣٢٨
ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ... ١٢﴾ .... ٧٥، ٨٦
ـ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ... ١٩﴾ ٨٦
ـ ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ... ٢٠﴾ ٨٨
ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ... ٢٢﴾ ٦٠
ـ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... ٢٤﴾ .... ٦١ ، ١٧١ ، ٢٦٥، ٥٦١
ـ ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ... ٢٥﴾ ٧٠١
ـ ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ... ٣٨﴾ ٦٧
ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ... ٥٩﴾ ٧٣
ـ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ... ٦٢﴾ ٣٤٦
ـ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ... ٦٤﴾ ١٠٠
ـ ﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ... ٧١﴾ ١٠٠
ـ ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً.. ٨٥﴾ ٨٢

- ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ... (٩٠)﴾ ٦٦
- ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ... (٩٤)﴾ ٥٩
- ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ... (٩٨)﴾ ٨٨

هود

- ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ... (٦)﴾ .... ٧٣، ٨٣٣
- ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ... (٨)﴾ ٨٥
- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ... (٩)﴾ ٧٥
- ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ... (١٢)﴾ ٨٨
- ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ... (٢٤)﴾ ٦٢
- ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ... (٣١)﴾ ٦٩
- ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ... (٣٦)﴾ ١٦٧
- ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي... (٣٧)﴾ ١٦٧
- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا... (٤٠)﴾ .... ٧٤، ١٦٧
- ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ... (٤٢) لَا عَاصِمَ... (٤٣)﴾ .... ٧٤، ٩٥، ١٣٤،
١٦٧، ٤٠٧، ٥٧٣
- ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي... (٤٤)﴾ .... ٧٤، ١٦٨، ٦٣٧
- ﴿ٱهْبِطْ... (٤٨)﴾ ٧٠١
- ﴿بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا... (٥٣)﴾ ٨١
- ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ... (٥٧)﴾ ٦٩
- ﴿أَلَا بُعْدًا... (٦٠)﴾ ١٧٠
- ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ... (٧٥)﴾ ٨٥
- ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا... (٧٧)﴾ .... ٦٩، ١٨٠
- ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي... (٧٨)﴾ ١٨٠
- ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ... (٧٩)﴾ ٧٧
- ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً... (٨٠)﴾ ١٨٠
- ﴿فَأَسْرِ... (٨١)﴾ .... ١٨٠، ١٨١
- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً... (٨٢)﴾ .... ٦٦، ١٨١
- ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)﴾ ١٨٣
- ﴿أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ... (٨٤)﴾ .... ٧٨، ١٩٢

- ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ... ﴿٨٧﴾ ﴾ .... ٨١، ١٩٢
- ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ ١٩٩
- ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا... ﴿٩١﴾ ﴾ .... ٨٢، ١٩٢
- ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ... ﴿٩٥﴾ ﴾ .... ١٩٣، ٣٣٤
- ﴿ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ .... ٧٤، ١٠٣
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ... ﴿١٠٢﴾ ﴾ ٧٤١
- ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً... ﴿١٠٣﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴾ ٧٦٩
- ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ... ﴿١١٦﴾ ﴾ ٨٨

يوسف

- ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا... ﴿٤﴾ ﴾ .... ٣٩، ١٨٤
- ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ... ﴿٩﴾ ﴾ ١٨٥
- ﴿ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ... ﴿١٠﴾ ﴾ ١٨٤
- ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا... ﴿١١﴾ ﴾ ١٨٤
- ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم... ﴿١٥﴾ ﴾ .... ١٨٤، ١٨٥
- ﴿ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ ١٨٤
- ﴿ بِدَمٍ كَذِبٍ... ﴿١٨﴾ ﴾ ١٨٤
- ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ... ﴿٢٠﴾ ﴾ .... ١٨٦، ٣٤٧
- ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ... ﴿٢٢﴾ ﴾ ٦٩
- ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ... ﴿٢٣﴾ ﴾ .... ٩٥، ٤٢٥
- ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ... ﴿٢٤﴾ ﴾ .... ٨٦، ١٨٤، ٢٤٨
٣٩٧، ٤٨٢، ٦٥٢
- ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ... ﴿٢٥﴾ ﴾ .... ١٨٥، ٤٢٥
- ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ... ﴿٢٦﴾ ﴾ ١٨٥
- ﴿ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا... ﴿٣٠﴾ ﴾ .... ٥١٣، ٦٨٦
- ﴿ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ... ﴿٣١﴾ ﴾ .... ٥١٣، ٦٤٩
- ﴿ فَٱسْتَعْصَمَ... ﴿٣٢﴾ ﴾ .... ١٨٥، ٦٥٢، ٦٨٦، ٧٠١
- ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ... ﴿٤٢﴾ ﴾ ١٧٥
- ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ٨٦

- ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ... ﴾ ..... ٤٢٥ ،٩٧
- ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ ... ﴾ ..... ٤٣٧ ،٢٩٩ ،٩٧ ،٩٠
- ﴿ ... وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ... ﴾ ٧٠٥
- ﴿ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ... ﴾ ٧٣
- ﴿ ... مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ ... ﴾ ١٨٦
- ﴿ ... جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ ... ﴾ ١٨٦
- ﴿ ... مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ ... ﴾ ٢٠٢
- ﴿ ... وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ... ﴾ ..... ٨٣، ٩٤
- ﴿ ... رَفَعَ عَرْشَهُۥ ... ﴾ ٧٥٧
- ﴿ ... تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا ... ﴾ ١٨٨
- ﴿ ... إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي ... ﴾ ٦٩٦
- ﴿ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ ... ﴾ ..... ١٨٦، ٢٧٧، ٨٩١
- ﴿ ... وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ... ﴾ ..... ١٨٦، ١٨٧، ٥٧٩، ٦٨٦، ٧٦٧
- ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ... ﴾ ..... ١٨٧، ٦٨٦
- ﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي ... ﴾ ١٨٧
- ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ... ﴾ ..... ١٨٧، ١٨٨

الرعد

- ﴿ ذَٰلِكَ لَأَيْمَٰنٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ..... ٢٣٨، ٢٤٨
- ﴿ ... وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ... ﴾ ٥٧١
- ﴿ ... لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ... ﴾ ..... ٨٨، ٩٠
- ﴿ ... يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ... ﴾ ..... ٨٩، ٥٧٣
- ﴿ ... وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ... ﴾ ..... ٢٤٨، ٢٤٩
- ﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ ... ﴾ ..... ٦٢، ٧٣، ٧٧
- ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ... ﴾ ..... ٦٢، ٥٠١
- ﴿ يَٰسَمَٰرُ ... ﴾ ..... ٣٥٢، ٧٢٧
- ﴿ ... نُزُلُ ٱلْجَنَّةِ ... ﴾ ٦٢
- ﴿ ... بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ... ﴾ ٦٥
- ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾ ١٠٢

إبراهيم

- ﴿ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ... ﴾ ٥٣٧
- ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ ..... ٦٢، ٧٠
- ﴿ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ... ﴾ ٦٢
- ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ... ﴾ ٦٢
- ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ ... ﴾ ٢٤٧
- ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ ... ﴾ ١٦٥
- ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم ... ﴾ ١٠٠
- ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ... ﴾ ١٠٠
- ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ ... ﴾ ٤٣٦

الحجر

- ﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ ١٠٢
- ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ ... ﴾ ٦٦
- ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ ... ﴾ ٦٦
- ﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ... ﴾ ٥٢٤
- ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ... ﴾ ٣٤١
- ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ ٥٩
- ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ..... ٩٠، ١٠٠
- ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ... ﴾ ٣٥٢
- ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ... ﴾ ٥٢٢
- ﴿ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي ... ﴾ ٨٥
- ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً ... ﴾ ٦٦
- ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ... ﴾ ٤٨٥

النحل

- ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ... ﴾ ..... ٧٤، ٩٥
- ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ... ﴾ ٧٠١
- ﴿ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ ... ﴾ ..... ٢٥٧، ٦٦٦
- ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ ... ﴾ ..... ٧١، ٢٩١

- ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ ... ﴾ ٥٤٤
- ﴿ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ... ﴾ ٣٤٦
- ﴿ ٱبْنَ شُرَحْبِيلَ ... ﴾ ٥٨٤
- ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ... ﴾ ١٠٠
- ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِي ٱللَّهِ ... ﴾ ٨٠٤
- ﴿ كُلٌّ ... ﴾ ٢١٥
- ﴿ لِّكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ... ﴾ ٦٩
- ﴿ وَيَنصُرَ ٱللَّهَ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ ٦٩
- ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا ... ﴾ ٦٢
- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ ... ﴾ ٦٢
- ﴿ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ... ﴾ ٧٢
- ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ... ﴾ ..... ٣٧، ٢٤٧
- ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ ٱلْأَبْنَآءَ ... ﴾ ٧٠١
- ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا ... ﴾ ٢٧٩
- ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ ٧٧
- ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ... ﴾ ٨٠٤
- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ... ﴾ ..... ٦٢، ٨٣
- ﴿ وَعَلَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ... ﴾ ١٠٠
- ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ... ﴾ ٥٩
- ﴿ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ٦٩

الإسراء

- ﴿ أَسْرَىٰ ... ﴾ ٢٥٣
- ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ ... ﴾ ٧٥
- ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً ... ﴾ ٦٤
- ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ... ﴾ ..... ٦٦، ٧١
- ﴿ فَٱحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ ٦٨
- ﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ... ﴾ ٤٧٨
- ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ... ﴾ ٧١

- ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ... (٤٤) ﴾ ٢٤٧
- ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) ﴾ ٩٥
- ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ... (٥٨) ﴾ ٨٣
- ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ... (٦٤) ﴾ ١٠٠
- ﴿ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ... (٧٢) ﴾ ٢٧٨
- ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ... (٧٤) ﴾ ٨٦، ٧٣٣
- ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ... (٨٥) ﴾ ٨٠
- ﴿ لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ... (٨٨) ﴾ ١٠٢
- ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ... (٩٢) ﴾ ١٠٢
- ﴿ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ... (٩٤) ﴾ ٩٠
- ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا... (٩٦) ﴾ ٧١
- ﴿ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) ﴾ ٩٥
- ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ... (١١٠) ﴾ ٨١

الكهف

- ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا (١) قَيِّمًا... (٢) ﴾ ٩٤
- ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى (١٣) ﴾ ٩٠، ٢٢١
- ﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم... (١٥) ﴾ ٨٨
- ﴿ بِٱلْوَصِيدِ... (١٨) ﴾ ٢٢١
- ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ... (١٩) ﴾ ٢٢١
- ﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ... (٢٥) ﴾ ٢٢٠
- ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ... (٢٨) ﴾ ٣٤٨
- ﴿ مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ... (٣١) ﴾ ٨٩، ٢٤٠
- ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ... (٣٦) ﴾ ٦٦
- ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ... (٣٧) ﴾ ٨٣٦
- ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ... (٣٩) ﴾ ٨٨
- ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... (٤٥) ﴾ ٦٢
- ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ... (٥٠) ﴾ ٣٤١، ٥٢٤
- ﴿ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ... (٥٤) ﴾ ٧١

ـ ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهَا.. (٥٧) ﴾ ٦٦
ـ ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ... (٥٩) ﴾ .... ٧٣٠، ٧٤١
ـ ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا... (٦١) ﴾ ٩٥
ـ ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ... (٦٦) ﴾ ٢٠١
ـ ﴿ لَن... (٦٧) ﴾ ٢٠١
ـ ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ... (٦٨) ﴾ .... ١٧٢، ٢٠١
ـ ﴿ أَخَرَقْتَهَا.. (٧١) ﴾ ٢٠٢
ـ ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ... (٧٧) ﴾ ٩٤
ـ ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ... (٧٨) ﴾ .... ٢٠١، ٢٨٦، ٤١٣، ٦٩٥
ـ ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ... (٧٩) ﴾ ٤٠١
ـ ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى... (٨٢) ﴾ ٢٠٢
ـ ﴿ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) ﴾ ٨٠
ـ ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) ﴾ ١٧٦
ـ ﴿ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ... (٩٤) ﴾ ٧٣
ـ ﴿ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ... (٩٥) ﴾ ٦١٩
ـ ﴿ ٱنفُخُوا... (٩٦) ﴾ .... ٤٢٠، ٦١٩
ـ ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا... (٩٧) ﴾ .... ١٧٦، ٦١٩
ـ ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ... (١٠١) ﴾ ٣١١

مريم

ـ ﴿ وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى... (٤) ﴾ ٢١٨
ـ ﴿ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ... (١٥) ﴾ ٢١٩
ـ ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا... (١٧) ﴾ .... ٨٠، ٢١٤
ـ ﴿ إِنِّىٓ أَعُوذُ... (١٨) ﴾ ٢١٤
ـ ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ... (١٩) ﴾ ٢١٤
ـ ﴿ أَنَّىٰ... (٢٠) ﴾ ٢١٥
ـ ﴿ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ... (٢١) ﴾ ٢١٨
ـ ﴿ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا... (٢٣) ﴾ .... ٢١٤، ٢١٥
ـ ﴿ أَلَّا تَحْزَنِى... (٢٤) ﴾ ٢١٤
ـ ﴿ وَهُزِّىٓ... (٢٥) ﴾ .... ١٩٥، ٢١٥

- ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ . . . ﴿٢٧﴾ ﴾ ٢١٥
- ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ . . . ﴿٢٨﴾ ﴾ ٢١٥
- ﴿ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾ . . . . ٨٣، ٢١٥
- ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ . . . ﴿٣٠﴾ ﴾ ٢١٥
- ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى . . . ﴿٣٢﴾ ﴾ ٢١٥
- ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ . . . ﴿٤٧﴾ ﴾ ١٠٠
- ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ ﴾ ٩٥
- ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ . . . ﴿٦٧﴾ ﴾ ٧٥
- ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا . . . ﴿٧١﴾ ﴾ ٣٥١
- ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ . . . ﴿٧٩﴾ ﴾ ٨٤
- ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ . . . ﴿٨١﴾ ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ . . . ﴿٨٢﴾ ﴾ ٨٤
- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ . . . ﴿٨٣﴾ ﴾ ١٠٠
- ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ . . . ﴿٨٤﴾ ﴾ ٥٧٣
- ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ . . . ﴿٨٥﴾ ﴾ ٣٥١

طه

- ﴿ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ . . . ﴿١٠﴾ ﴾ ٣٢٩
- ﴿ نُودِىَ . . . ﴿١١﴾ ﴾ ١٩٦
- ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ ٩٥
- ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ . . . ﴿٣٩﴾ ﴾ ١٩٤
- ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ . . . ﴿٤١﴾ ﴾ ١٩٤
- ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا . . . ﴿٤٤﴾ ﴾ ١٠٠
- ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ . . . ﴿٤٧﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ ٥٩
- ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ ٩٠
- ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا . . . ﴿٥٣﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ . . . ﴿٦٦﴾ ﴾ ٦٩
- ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ . . . ﴿٧١﴾ ﴾ . . . . ٦٦، ٨٢

ـ ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ... (٧٨) ﴾ ٦٦
ـ ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ... (٨٢) ﴾ ٦٧٥
ـ ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ... (٩٤) ﴾ .... ٦٩، ١٠٠
ـ ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ... (١٠٨) ﴾ ٨٦
ـ ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ... (١١٦) ﴾ ٦٨٠
ـ ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ... (١١٧) ﴾ .... ٥٩، ٦٨٠
ـ ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا... (١١٨) ﴾ ٥٠٣
ـ ﴿ وَعَصَىٰٓ... (١٢١) ﴾ .... ٥٩٤، ٦٥٢
ـ ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ... (١٢٣) ﴾ ٦٧
ـ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى... (١٢٤) ﴾ ٨٠
ـ ﴿ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ... (١٣٣) ﴾ ٨٨
ـ ﴿ لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا... (١٣٤) ﴾ ٨٨

الأنبياء

ـ ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ... (٢) ﴾ ٨٠
ـ ﴿ فِيهِ ذِكْرُكُمْ... (١٠) ﴾ ٨٠
ـ ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ... (١١) ﴾ ٧٤١
ـ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ... (٢٣) ﴾ .... ٢٤٧، ٣٨٩، ٤٦٥
ـ ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ... (٣٦) ﴾ ٨٠
ـ ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ... (٤٦) ﴾ ٥٧٣
ـ ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ... (٥١) ﴾ ١٧٢
ـ ﴿ حَرِّقُوهُ... (٦٨) ﴾ ٣٤٧
ـ ﴿ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا... (٦٩) ﴾ .... ١٧٢، ٤٣٠
ـ ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا... (٧٠) ﴾ ٦٧
ـ ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ... (٧٣) ﴾ ٧٨
ـ ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ... (٧٧) ﴾ ٨٩
ـ ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ... (٨٧) ﴾ ١٠٠
ـ ﴿ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا... (٨٩) ﴾ ٢١٨
ـ ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا... (٩١) ﴾ ٨٠

- ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ ٦٧
- ﴿ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ ..... ١٩٤، ٣٢٨، ٣٤٦، ٣٧٢
- ﴿ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ﴾ ٣٧٧
- ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا ﴾ ٧٣

الحج

- ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ ﴾ ٦٤
- ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ ٦٩
- ﴿ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ ﴾ ٣٠٩
- ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ ٧٠
- ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ﴾ ..... ٦٩، ٤١٥
- ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ ﴾ ..... ٦٥، ١٦٦
- ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ ٢٥٧
- ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٦٢
- ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ ٧٨
- ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ ﴾ ١٢٤
- ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ ..... ٨١، ٨٦
- ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ ٧٤١
- ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ ٦٩
- ﴿ ضُرِبَ مَثَلٌ ﴾ ٦٢
- ﴿ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ ..... ٧٠، ٨٢

المؤمنون

- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ ..... ٧٥، ٩٤
- ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾ ٩٤
- ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ ﴾ ٩٤
- ﴿ أَنْ أَسْبِغْ ﴾ ١٦٧
- ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم ﴾ ٦٧
- ﴿ وَلَٰكِنَّهُمْ لِقَوْلِى كَٰرِهُونَ ﴾ ٧٨
- ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ ٧٨
- ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم ﴾ ١٠٣

- ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا ... ﴾ ٧١
- ﴿ لِمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ... ﴾ ٢٤٧
- ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ... ﴾ ..... ٤١٥، ٤٥٤، ٥١٧، ٥٣٠، ٥٦٢
- ﴿ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ... ﴾ ..... ٨٤، ٤١٥، ٤٥٤
- ﴿ غَلَبَتْ عَلَيْنَا ... ﴾ ٣٤٦
- ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ٧٨
- ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ... ﴾ ٥٧٧

النور

- ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ ... ﴾ ٧٩
- ﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ... ﴾ ..... ٧٨، ٨٨
- ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ... ﴾ ٨٦
- ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ ... ﴾ ٨٦
- ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ... ﴾ ٧٩
- ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ ... ﴾ ٥٤٣
- ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ... ﴾ ٧٨
- ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ... ﴾ ..... ٦٢، ٤٦٣
- ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ ... ﴾ ٢٧٢
- ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ... ﴾ ٦٢
- ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ... ﴾ ٧٦٠
- ﴿ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ... ﴾ ٨٦
- ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ... ﴾ ٨٢

الفرقان

- ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ ... ﴾ ..... ٨٨، ١٠٢
- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ ... ﴾ ..... ١٠٢، ٤٣٢
- ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ... ﴾ ٨٨
- ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ ٧٥
- ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ... ﴾ ٨٨
- ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ... ﴾ ٨٣

- ﴿ لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ... ﴾ ٨٦
- ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ ٧٧
- ﴿ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ... ﴾ ١٠٢
- ﴿ مَا لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ... ﴾ ٨٦

الشعراء

- ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ ٨٤
- ﴿ بِسِحْرِهِۦ ... ﴾ ٦٩
- ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ ... ﴾ ٦٦
- ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ ٦٩
- ﴿ لَا ضَيْرَ ... ﴾ ..... ٣٨٢، ٤٣٢
- ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ... ﴾ ٨٤
- ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ... ﴾ ٩٤
- ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ... ﴾ ٥٤٩
- ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ٧٠
- ﴿ لَمُدْبِرُونَ ... ﴾ ١٧١
- ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا ... ﴾ ١٧١
- ﴿ فَٱسْقِطْ عَلَيْنَا ... ﴾ ١٩٢
- ﴿ عَذَابَ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ... ﴾ ١٩٢
- ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ ... ﴾ ٦٦
- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ ... ﴾ ٩٤

النمل

- ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ... ﴾ ٦٧٥
- ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ٣٠
- ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ... ﴾ ٢١٠
- ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا ... ﴾ ٢١٠
- ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ ... ﴾ ٢١٠
- ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ... ﴾ ٢١٠
- ﴿ تُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾ ٨٢

- ﴿ عَنْ أُولَٰئِكَ ... ﴾ ٢١١
- ﴿ إِذَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ... ﴾ ٩٧
- ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ... ﴾ ٢١١
- ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ... ﴾ ٢١١
- ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ... ﴾ ٢١١
- ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ... ﴾ ٧٠
- ﴿ تَكَرَّوْا ... ﴾ ٢١١
- ﴿ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ... ﴾ ٢١١
- ﴿ ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ... ﴾ ..... ٢١١، ٢١٢
- ﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ١٠٠
- ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ ... ﴾ ٨٨
- ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ... ﴾ ٤٦٤
- ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا ... ﴾ ٧١
- ﴿ وَلَا تَكُ ... ﴾ ٦٩
- ﴿ رَوِيدَكُمْ ... ﴾ ٨٥
- ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾ ٦٧
- ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ... ﴾ ٤٧٧

القصص

- ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ ... ﴾ ..... ١، ١٩٥
- ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ... ﴾ ..... ١٩٤، ٢٠٢
- ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ... ﴾ ..... ٨٦، ١٩٤
- ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ... ﴾ ١٩٤
- ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ ... ﴾ ..... ٨٧، ١٩٥، ٣٤٨
- ﴿ قُصِّيهِ ... ﴾ ١٩٥
- ﴿ ● وَحَرَّمْنَا ... ﴾ ١٩٥
- ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ... ﴾ ١٩٥
- ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ... ﴾ ٦٩
- ﴿ فَوَكَزَهُۥ ... ﴾ ..... ٢٠٢، ٥٧٨

- ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ... ﴾ ٧١
- ﴿ وَلَمَّا تَرَجَّهُ ... ﴾ ١٩٥
- ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ ... ﴾ ١٩٥
- ﴿ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ ... ﴾ ٧٨
- ﴿ إِنَّكَ أَبِي ... ﴾ ١٩٥
- ﴿ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ... ﴾ ٤٢٦
- ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ... ﴾ ١٩٥
- ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا ... ﴾ ١٩٥
- ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ ... ﴾ ..... ٨٧، ٨٨
- ﴿ لَوْلَآ أُوتِيَ ... ﴾ ٨٨
- ﴿ إِنَّ ثَمُودَ ... ﴾ ٩٠
- ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم ... ﴾ ٦٧
- ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ... ﴾ ١٠٣
- ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ ... ﴾ ٩٨
- ﴿ قَيِّمٌ ... ﴾ ٢٠٥
- ﴿ وَٱلتِّينِ ... ﴾ ٢٠٥
- ﴿ فَسَخَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ... ﴾ ٢٠٥
- ﴿ وَقَدِيرٌ ... ﴾ ..... ٧٠، ٨٧
- ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ... ﴾ ٨٠٦

العنكبوت

- ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا ... ﴾ ٥٥٧
- ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ٨٢
- ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ... ﴾ ٧٥
- ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ ... ﴾ ٨٢
- ﴿ أَلَفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ... ﴾ ١٦٧
- ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ... ﴾ ٣٥٦
- ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ ... ﴾ ٦٩
- ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ ... ﴾ ..... ٦٧، ١٨٣
- ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ... ﴾ ..... ١٠٠، ٧٤٢

- ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴿٤١﴾ ﴾ ..... ٦٢، ٣٨٠
- ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ... ﴿٥٠﴾ ﴾ ٨٨
- ﴿ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًۢا ... ﴿٥٢﴾ ﴾ ٧١
- ﴿ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى ... ﴿٥٣﴾ ﴾ ٨٧
- ﴿ وَمَقِيدُ لَهُۥ ... ﴿٥٤﴾ ﴾ ٧٠
- ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ... ﴿٦٤﴾ ﴾ ٥٥٦
- ﴿ وَيَسْمَعُ ٱللَّهُ بَكْمُهُمْ ﴿٦٥﴾ ﴾ ..... ٦٩، ٤٨١

الروم

- ﴿ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ... ﴿٣﴾ ﴾ ٧٣
- ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ... ﴿٢٨﴾ ﴾ ٦٢
- ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ ... ﴿٣٩﴾ ﴾ ٦٠
- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ... ﴿٤٠﴾ ﴾ ٥٩
- ﴿ فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ... ﴿٤٤﴾ ﴾ ٢٧٨

لقمان

- ﴿ وَمَن يَٰكْفُرْ ... ﴿٢٣﴾ ﴾ ٧٠
- ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ... ﴿٣٠﴾ ﴾ ٧٠
- ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ... ﴿٣٣﴾ ﴾ ٦٧٢

السجدة

- ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ... ﴿١٣﴾ ﴾ ٣٨٩
- ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ... ﴿١٦﴾ ﴾ ..... ٢٧٢، ٤٦٢، ٤٩٠، ٥١٤، ٥٢٣، ٦٢٢، ٦٢٤
- ﴿ فَلَا تَعْلَمُ ... ﴿١٧﴾ ﴾ ٦٢٢
- ﴿ بِرَبِّ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ... ﴿٢١﴾ ﴾ ٧٢
- ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ... ﴿٢٢﴾ ﴾ ٦٦

الأحزاب

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ... ﴿١﴾ ﴾ ٩٤
- ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ... ﴿١١﴾ ﴾ ٢٩٤

- ﴿ مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ... ﴾ ١٠٠
- ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ... ﴾ ..... ٥٨٢، ٦١٣
- ﴿ لَن يَتَّخِذُوا۟ خَيْرًا ... ﴾ ٧٨
- ﴿ وَأَزْوَٰجُكُمْ أَوْ نِسَآئِهِمْ ... ﴾ ٧٤
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ... ﴾ ٥٩
- ﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا ... ﴾ ٦٦
- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ ... ﴾ ٨١
- ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ... ﴾ ٥١٣

سبا

- ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ... ﴾ ١٠٢
- ﴿ أَوِبِى ... ﴾ ..... ٢٠٧، ٢٦٧، ٦٤٨
- ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ... ﴾ ..... ٢٠٧، ٧١٥
- ﴿ ٱلْعَنصُرِ بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا ... ﴾ ٨٤
- ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ ... ﴾ ٨٧
- ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم ... ﴾ ٢٥٩
- ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ ... ﴾ ..... ٥٧١، ٦٧١

فاطر

- ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ... ﴾ ٨٣٣
- ﴿ فِيهِ مَوَٰخِرَ ... ﴾ ٧١
- ﴿ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ... ﴾ ٣٣٤
- ﴿ مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ... ﴾ ٨٩

يس

- ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٠٢
- ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ... ﴾ ٨٣
- ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ... ﴾ ٧١
- ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ... ﴾ ٣٦٠
- ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ... ﴾ ٩٧
- ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ... ﴾ ٧٣٠

- ﴿ إِنَّهُۥ زَعَمَ أَن لَّن يَحُورَ ... ﴾ ٤٨١

الصافات

- ﴿ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ... ﴾ ٢٥١
- ﴿ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ ٩٠
- ﴿ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ... ﴾ ٥٨٤
- ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ ١٠٣
- ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ... ﴾ ١٠١
- ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى ... ﴾ ٨٧
- ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ ... ﴾ ١٠١
- ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ٧٠
- ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ ... ﴾ ١٧٢
- ﴿ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا ... ﴾ ٦٧
- ﴿ ٱفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ ... ﴾ ١٧٤
- ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٧٥
- ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ... ﴾ ١٧٥
- ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ١٧٥
- ﴿ فَنَادَىٰهُ وَهُوَ مَكْظُومٌ ... ﴾ ٤١٣
- ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾ ٨٧
- ﴿ أَلِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ ٧٢
- ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ ٩٥
- ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ... ﴾ ١٠١

ص

- ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ... ﴾ ٥٧٣
- ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ ... ﴾ ١٠٣
- ﴿ حَسَنَ ... ﴾ ٢٠٨
- ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ ... ﴾ ٢٠٨
- ﴿ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ ... ﴾ ٧٩، ٨٠، ٩٤
- ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ ... ﴾ ٤٣٦

- ﴿ سَنَفِى ... ﴿٩٥﴾ ١٩٠
- ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ... ﴿٤٢﴾ ..... ١٩٠، ٢٤٨، ٣٢٠، ٤٤٠
- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ ... ﴿٣٠﴾ ٧٤٩
- ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ... ﴿٤٤﴾ ..... ١٩١، ٧٤٩
- ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ ... ﴿٣٥﴾ ٢٧٢
- ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ... ﴿٧٥﴾ ٢٥٠
- ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ... ﴿٧٦﴾ ١٦٣
- ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى ... ﴿٧٨﴾ ٧٤٤
- ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ... ﴿٨٨﴾ ٥٦٠

الزمر

- ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ... ﴿٦﴾ ٧٣
- ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا ... ﴿٢٩﴾ ٦٢
- ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ... ﴿٣٠﴾ ٨٠٠
- ﴿ يَتَوَفَّى ... ﴿٤٢﴾ ٦٢٢
- ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ ... ﴿٤٧﴾ ..... ٣٨٨، ٨١٠
- ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ ... ﴿٥٣﴾ ..... ١٨٦، ٢٤٧
- ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ ... ﴿٥٦﴾ ..... ٣١٠، ٥٧٣
- ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ ... ﴿٦٠﴾ ٩٩
- ﴿ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴿٦٨﴾ ٦٧
- ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ... ﴿٦٩﴾ ٣٦٥
- ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ... ﴿٧١﴾ ٣٥١

غافر / المؤمن

- ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ ... ﴿١١﴾ ١٠١
- ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ... ﴿١٥﴾ ٢٤٧
- ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ... ﴿٢٦﴾ ٤٩٤
- ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ١٠٣
- ﴿ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ١٠١

﴿ ... ﴾ ٥٢٦
- ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ... ﴾ ٧٢٩

فصلت

- ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ... ﴾ ..... ٦٥، ٦٤٤
- ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ... ﴾ ١٦٩
- ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا ... ﴾ ٤١٤
- ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ... ﴾ ١٠٣
- ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ... ﴾ ..... ١٠٠، ٣٠٤
- ﴿ مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ ... ﴾ ٣٥٢
- ﴿ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ... ﴾ ٤٩٠
- ﴿ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ... ﴾ ٨٨
- ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ... ﴾ ٤١٢
- ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّى ... ﴾ ٦٦
- ﴿ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ ... ﴾ ٦٧

الشورى

- ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾ ..... ١٦٣، ٥١٢، ٧٤٤
- ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ ... ﴾ ٤٢٢
- ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ ... ﴾ ٨٧
- ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ... ﴾ ٧٢
- ﴿ مَآ أَرَىٰكُمْ ﴾ ٦٧

الزخرف

- ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ ... ﴾ ٦٦
- ﴿ وَسَعَدَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ... ﴾ ٦٦
- ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ... ﴾ ٧٥
- ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا ... ﴾ ١٧٢
- ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ ... ﴾ ..... ٨٣، ٨٨، ١٠٣
- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ ... ﴾ ٨٠

- ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ... ﴿٥١﴾ ﴾ ..... ٤٢٥، ٤٣٦
- ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ ... ﴿٥٣﴾ ﴾ ٨٨
- ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا ... ﴿٧٧﴾ ﴾ ٦٩٥
- ﴿ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ ٦٣

الدخان

- ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ ... ﴿١٢﴾ ﴾ ١٠٣
- ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ ... ﴿٢٩﴾ ﴾ ٦٨٩
- ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ ... ﴿٣٧﴾ ﴾ ٧٩

الجاثية

- ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ... ﴿٢٣﴾ ﴾ ٥٩٠

الأحقاف

- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴿١١﴾ ﴾ ..... ٦٤، ٦٧
- ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ ... ﴿١٥﴾ ﴾ ..... ٧٥، ٣٢٩
- ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ... ﴿٢٤﴾ ﴾ ١٦٩
- ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم سَمْعُهُمْ ... ﴿٢٦﴾ ﴾ ١٦٩
- ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا ... ﴿٢٨﴾ ﴾ ٨٨

محمد

- ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ... ﴿٤﴾ ﴾ ..... ٢٧٨، ٤٨١
- ﴿ قُتِلَ الْمُتَوَ ... ﴿١٠﴾ ﴾ ٦٣
- ﴿ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ ... ﴿٢٠﴾ ﴾ ..... ٦٣، ٨٨
- ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ ٣٣٥
- ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ... ﴿٣١﴾ ﴾ ٣٤٧
- ﴿ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ... ﴿٣٨﴾ ﴾ ٨١

الفتح

- ﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ ... ﴿٣﴾ ﴾ ٢٣١
- ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ... ﴿٨﴾ ﴾ ٦٠
- ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ... ﴿٩﴾ ﴾ ٩٨

- ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ...﴾ ٨٧
- ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ...﴾ ٦٣

الحجرات

- ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ...﴾ ٦٠
- ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم...﴾ ٧٩

قَ

- ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ...﴾ ٧٧
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ...﴾ ٧٥
- ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ...﴾ ٣٥٢

الذاريات

- ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ ٨٢
- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ...﴾ ٧٧
- ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ...﴾ ٤٦٨

الطور

- ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا...﴾ ٣٠
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ...﴾ ١٠٣

النجم

- ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ...﴾ ٧٢
- ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾ ٦٤
- ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ ..... ١٦٦، ٤٨٢

القمر

- ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ ١٠١
- ﴿تَنزِعُ النَّاسَ...﴾ ١٧٠
- ﴿تَعْلَمُونَ...﴾ ١٧١
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ...﴾ ١٠٣
- ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ...﴾ ٥٦٥

الرحمن

- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ ١٠٢
- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ ٩٥
- ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩﴾ ٣٤١
- ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٢٢﴾ ٩٥
- ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦﴾ ..... ١٨٣، ٧٣٠
- ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ ٧٦٢

الواقعة

- ﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ۝٦﴾ ٨٤
- ﴿فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ۝٨٧﴾ ٨٨
- ﴿فَلَوۡلَآ تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ ٨٨
- ﴿فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ۝٧٠﴾ ٨٨
- ﴿نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ ۝٧٣﴾ ٧٢٠
- ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣﴾ ٨٨
- ﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ ۝٨٦﴾ ٨٨
- ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ ۝٨٩﴾ ٨٠

الحديد

- ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡآخِرُ ۝٣﴾ ٢٤٥
- ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ ۝١٣﴾ ٩٩
- ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۝١٦﴾ ٧٨٦
- ﴿لِكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ ۝٢٣﴾ ٦٥
- ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ ۝٢٥﴾ ٧٣

المجادلة

- ﴿قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ۝٣﴾ ٣٥١
- ﴿مَّا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ۝٧﴾ ٢٤٧
- ﴿وَلَوۡ يُعَذِّبُهُمۡ بِمَا كَسَبُواْ ۝١٤﴾ ٨٩
- ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ۝٢٢﴾ ..... ٢٢٠، ٢٧٣، ٣٤١

الحشر

- ﴿ لَأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ... ﴾ ٨٦
- ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ... ﴾ ٨٧
- ﴿ وَيُؤْثِرُونَ ... ﴾ ٥٥٧
- ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ... ﴾ ٥١٨

الصف

- ﴿ لِيُطْفِـُٔوا ... ﴾ ٦٦
- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ... ﴾ ٢٥٠

الجمعة

- ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ... ﴾ ٦٣
- ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ... ﴾ ..... ٨٠، ٨١
- ﴿ ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا ... ﴾ ٩٥

المنافقون

- ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ ... ﴾ ٨٩

الطلاق

- ﴿ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ... ﴾ ٤٧٨
- ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ ٨٣٣

التحريم

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... ﴾ ٥٩
- ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ... ﴾ ٢٥١
- ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... ﴾ ٦٣
- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴾ ٦٣

الملك

- ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ... ﴾ ٣٥١
- ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ... ﴾ ٦٩٩
- ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ... ﴾ ..... ١٦٤، ٤١٢

القلم

- ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝﴾ ١٠٢
- ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝﴾ ٨٢
- ﴿وَلَوْلَآ تُسَبِّحُونَ ۝﴾ ٨٩
- ﴿إِذَا لَهُمْ مَّا يَحْكُمُونَ ۝﴾ ١٠١
- ﴿وَلَوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ ... ۝﴾ ٨٧

الحاقة

- ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝﴾ ١٧٠

المعارج

- ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝﴾ ٥١٧
- ﴿ثُمَّ يُجِيبَهُۥ ۝ كَلَّآ ... ۝﴾ ٨٤
- ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝﴾ ٣٥١
- ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝﴾ ٥٤٩
- ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝﴾ ٧٨
- ﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ كَلَّآ ... ۝﴾ ٨٤

نوح

- ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ ... ۝﴾ ١٠٠
- ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِى ... ۝﴾ ١٦٧
- ﴿لَا تَذَرْ ... ۝﴾ ..... ١٦٧، ٢٢٦
- ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا ... ۝﴾ ٦٤

الجن

- ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝﴾ ..... ٢٥١، ٣٤٦

المزمل

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝﴾ ٢٥١
- ﴿قُمِ ... ۝﴾ ٢٥١
- ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝﴾ ٧١٠
- ﴿وَكُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم ... ۝﴾ ٦٣٨

المدثر

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝ ﴾ ٢٥٣
- ﴿ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ۝ كَلَّآ ... ۝ ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ۝ ﴾ ٨٤
- ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ ... ۝ ﴾ ٤١٤
- ﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝ ﴾ ٤١٤
- ﴿ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ۝ كَلَّاۖ ... ۝ ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ۝ ﴾ ..... ٦٧، ٨٤

القيامة

- ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ ... ۝ ﴾ ٧٦
- ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ ... ۝ كَلَّا ... ۝ ﴾ ٨٤
- ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝ كَلَّا ... ۝ ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝ ﴾ ٨٤

الإنسان

- ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ... ۝ ﴾ ٧٧
- ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ ... ۝ ﴾ ٢٤٠
- ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ ... ۝ ﴾ ..... ٨٦، ٢٤٠
- ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا ... ۝ ﴾ ٢٤٠
- ﴿ فَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ ... ۝ ﴾ ٦٠
- ﴿ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا ... ۝ ﴾ ٧٢

النبا

- ﴿ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝ ﴾ ٨٥

النازعات

- ﴿ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ ... ۝ ﴾ ٧٠

عبس

- ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝ ﴾ ..... ٦٧، ٨٥
- ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝ ﴾ ٨٥

- ﴿ فَيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ﴾ ٧٦

التكوير

- ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ... ﴿٢﴾ ﴾ ٧٠٦

الانفطار

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ ... ﴿٦﴾ ﴾ ..... ٣٧٢، ٧٦، ٥٥٩
- ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ ﴾ ٨٥٠

المطففين

- ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ ... ﴿٧﴾ ﴾ ٨٥
- ﴿ قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ ... ﴿١٤﴾ ﴾ ..... ٨٤، ٣٣٥، ٧٤٩
- ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ ... ﴿١٥﴾ ﴾ ٨٥
- ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ ... ﴿١٨﴾ ﴾ ٨٥
- ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ ... ﴿٣٦﴾ ﴾ ٢٣١

الانشقاق

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ ... ﴿٦﴾ ﴾ ٧٦
- ﴿ لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ ﴾ ٧٦٠
- ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ ٨١

الطارق

- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾ ٧٦
- ﴿ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾ ٨٥

الغاشية

- ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ ٥١٨

الفجر

- ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ ... ﴿١٥﴾ ﴾ ٧٦
- ﴿ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ... ﴿١٧﴾ ﴾ ٨٤

- ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ...﴾ ٨٥
- ﴿يَوْمَ يَذَّكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ...﴾ ٧٠

البلد

- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ ٧٦

الشمس

- ﴿فَدَمْدَمَ...﴾ ١٧١

الشرح

- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ...﴾ ٢٢٤

التين

- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ...﴾ ٧٦

العلق

- ﴿ٱقْرَأْ...﴾ ٢٥١
- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ ..... ٧٦، ٨٥
- ﴿لِنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ...﴾ ٨٥
- ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ...﴾ ٨٥

البينة

- ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ ٧٩

الزلزلة

- ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ ٧٦
- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ ٣٥١

العاديات

- ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ ٧٦٠

التكاثر

- ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ ٨٥
- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ ٨٥
- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾ ٨٥
- ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾ ٥١٨

العصر

- ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ ٧٦

الهمزة

- ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا ۝٤﴾ ٨٤

الفيل

- ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ ١٦٦

* * *

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار

نص الحديث	الصفحة
ـ آدم ومن دونه	٢٢٦
ـ أبيت عن ربي	٢٢٩، ٢٤١
ـ أتدرون ما خرافة	٢١٨
ـ اتقوا دعوة المظلوم	٥٧١
ـ احتجموا	٨٣٢
ـ أحد جبل يحبنا ونحبه	٥١٠
ـ أدنيا مني أخاكما	٨٠٢
ـ إذا رأيتم أهل البلاء	٥١٢
ـ إذا أقيمت الصلاة	١٣٧
ـ إذا مات العبد الصالح	٦٨٩
ـ إذا مضى ثلث الليل	١٣٧
ـ أرسل ملك الموت	٥٠٩
ـ أسر إلى حذيفة	٦٥٦
ـ أسلم	٤٦٣
ـ أسلمتما	٧٩٣
ـ سلني أعطك	٨١٨
ـ ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة	٢٣٩
ـ أمتي أمتي	٢٥٤
ـ إن خير التابعين	٧٧٧
ـ إن كان ليوحى إلى رسول الله	٧١٠
ـ إن الله إذا أنعم	٨٢٩
ـ إن الله اصطفى كنانة	١١٩
ـ إن الله يحب العبد المؤمن	٣٩١
ـ إن الله يغضب لغضبك	٢٣٨
ـ إن في البدن ملكاً	٢٥٣

- إن من الناس مفاتيح لذكر الله ٦٧٥
- إن هذا يكى ٢٥٢
- أنا ابن الذبيحين ٢٤٨
- أنا أول الناس خروجاً ٢٥٤
- أنا جليس من ذكرني ..... ٣٧٤، ٧٣٨
- أنا عند المنكسرة قلوبهم ٦٤٢
- أنا عنك راضٍ ٧٣٣
- أنت مني بمنزلة هارون من موسى ٢٥٥
- إنك لتصل الرحم ٢٢٥
- إنما الأعمال بالنيات ٦٧٩
- إنما جاء ليسلم ٨٢٤
- إننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ٣٨٢
- إن النبي ﷺ سجد ١٣٧
- إنه قد عرض عليكم ٣٩٥
- إني أخاف الله ٤٩٩
- إني لأجد نفس الرحمن ٦٦٤
- إني لأعرف حجراً ..... ٢٥٥، ٧١١
- أنين المذنبين أحب عندنا ٥٧٧
- أين كنتم ٥٢٣
- اثبت أحد ٢٥٢
- احفظ الله يحفظك ٢٧٣
- اسكن حراء ٥٠٩
- أسلب حلاوة مناجاتي ٥٥٧
- بدأ الإسلام غريباً ٤٣٥
- بعيني ما يتحمل المتحملون ٢٩٥
- بينما راع يرعى غنماً له ٢٥٢
- تجدني عند المنكسرة قلوبهم ٣١٤ = أنا عند المنكسرة ٦٤٢
- تحت شجرة طوبى ٧٣٩
- توسل آدم بالنبي ﷺ ٢٥٠

- جاء ملك الموت إلى موسى يقبض ٥٠٩
- جز يا مؤمن ٤٦٣
- الحجر يسلم على الرسول ﷺ ..... ٢٥٥، ٧١١
- حدثني بأرجى عمل ٧٨٨
- حسبي من سؤالي ٤٣٠
- حفت الجنة بالمكاره ٧٦٧
- حكيم أمتي عويمر ٨٢٤
- خرجت من نكاح ٦٥٥
- خلق الله تعالى التربة ١٤٥
- دخل الرسول ﷺ إلى بيت يهودي ٤٦٣
- ذكاة الجنين ذكاة أمه ٢٤١
- ربَّ أشعث أغبر ..... ١٩٠، ٥٨٤، ٦٧٥
- زملوهم بكلومهم ١٩٨
- زملوني ..... ٢٢٥، ٢٥١
- سبعة يظلهم الله ٤٤٩
- سلمان منا آل البيت ٣٤٧
- سلني ولو ملح عجينك ١٩٩
- صل من قطعك ٢٠٢
- عجب ربنا من رجل ٥١٥
- عزفت نفسي عن الدنيا ٥٤٤
- العلماء ورثة الأنبياء ٢٤٦
- عينان لا تمسهما النار ٦٢٧
- غضوا أبصاركم ٢٣٨
- فإذا نزل عيسى ٢٢٦
- الفار من الطاعون ١٣٨
- فاطمة بضعة مني ..... ٢٣٨، ٢٤١
- في يسمع وبي يبصر ..... ٣٧٤، ٥٤٥
- فتر الوحي عني فترة ٢٥٣
- فذاك أبي وأمي ٢٥٥
- فر من المجذوم ٦٤٣

- فزجني في النور ٤٣٠
- فكان يخلو بغار حراء ٦٣١
- في كل صلاة يقرأ ١٣٧
- قل يسمع ٢٢٧
- القلوب بين أصبعين ٤٦٤
- القلوب جنود ٧٧٤
- قولوا مصاب ١٢
- كاد أمية أن يسلم ١٢٨
- كان ﷺ إذا أراد سفراً ٤١٨
- كان ﷺ إذا نزل عليه الوحي ٧١٠
- كان ﷺ يتخوّلنا ٣٦
- كان ﷺ يصلي ولجوفه أزير كأزيز المرجل ٧١٠
- كذب من ادعى محبتي ٢٩٥
- كل عمل ليس عليه أمرنا ٢٢٦
- كل سكر حرام ٦٢٢
- كنت آخذه بزمام ٧١١
- كوني برداً وسلاماً لعمار ٢٢٥
- كيف تقضي ٨١٤
- لأنصرنك ولو بعد حين ٥٧١
- لا أبالي ٢٤٩
- لا إسعاد ولا عقر ٤٣٢
- لا تخيروني على موسى ٥٠٩
- لا بد من الوفاء ٣٨٢
- لا يجتمع حب هؤلاء ١٣٧
- لا يدخل الجنة قتات ٤١٩
- لا نبي بعدي ٢٢٧
- لخلوف فم الصائم ٥١٤
- لست بقارئ ٢٥١
- لكل عابد فترة ٣٩١

- اللهمَّ اجعل له آية ٧٨٤
- اللهمَّ اهدِ دوساً ٧٨٤
- اللهمَّ إني أمسيت راضياً عنه ٨٠٢
- اللهمَّ ليس لهم ٨٢٤
- لو أن أحدهم نظر إلى قدميه ٢٢٨
- لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء ١٣٨
- لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلاّ اتّباعي ٢٢٦
- لو كشف الغطاء ٥٤٥
- لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ..... ١٦٢، ٥٢٣، ٧٠٠
- ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ٢٥٥
- ما ترك عبد لله أمراً ٤٣٦
- ما ظنك باثنين الله ثالثهما ٢٢٨
- ما منكم من أحد ينجيه عمله ٧٤٤
- ما من يوم إلا والذي بعده ٧
- ما هذا ١٣٩
- ما وسعني أرضي ولا سمائي ٧٤٤
- مثل أمتي مثل المطر ١٣٩
- مثل لي جعفر ٧٩٢
- من ترك شيئاً لله ٤٣٦
- من اغتسل وحده ١٩١
- من الناس مفاتيح لذكر الله ٦٧٥
- من جاءني يمشي أتيته هرولة ٤٠٨
- من لهذه الفرقة ٨١٦
- نحن معاشر الأنبياء ٧١٠
- نصرت بالرعب ٢٢٥
- نعم الفارس عويمر ٨٢٤
- نهى عن بيع المجر ٣٢٢
- هؤلاء في الجنة ولا أبالي ..... ٢٤٩، ٤٧٦
- هل من سائل ..... ٣٧٢، ٥١٩، ٧٠١

- هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ٢٣١
- هي أحب إلي منك ٢٣٩
- هي بضعة مني ٢٤١ = فاطمة بضعة مني ٢٣٨
- وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً ٥٢٣
- وأجد نفس ربكم من قبل اليمن ٦٦٤
- وعلى رأس كل واعظ ٣٦
- وقوع الجراد من ذهب ١٩١
- ولدت من نكاح لا من سفاح ٤١، ٦٥٥ = خرجت من نكاح ٦٥٥
- وليكن لسانك رطباً ١٢
- وهل ترك لنا عقيل من منزل ٥٥٦
- يا أبا الدرداء إن لجسدك ٨٢٥
- يا أبا سفيان ٧٤٨
- يا أسماء ٧٩٢
- يا أعرابي أين تريد ٢٥١
- يا حنان يا منان ٦٩٦
- يا معاذ ٨١٥
- ينزل ربنا ٤٠٨
- يدخل الجنة بشفاعته ٧٣٣
- يشفع في مثل ربيعة ومضر ٧٣٣
- يكون في أمتي رجل ٨٠٠
- يهلك الدجال ٣٩١
- يهم لما يلقى ٢٥١
- ينهى عن الوصال ١٣٨
- يوحي الله تعالى إلى جبريل ٥٥٧

* * *

٣ ـ فهرس الشعر

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
	ـ أ ـ		
ـ يأتي	نساءُ	ـ	٧١٧
ـ من رأى	البرحاء	ـ	٦٠٩
ـ حياتك	جزءا	ـ	٦٤٦
ـ لا تلحه	إغرائِهِ	ـ	٦٢٣
ـ نبأ ألمَّ	الأنباءِ	محمد بن عبد الملك	٧٧١
ـ عذل	سوداءِ	المتنبي	٦٣٥
ـ إذا ما جرت	ورائي	ـ	٥١٤
	ـ ب ـ		
ـ ولي	أذهبُ	ـ	٦٧٦
ـ دع الهوى	أصعبُه	ـ	٦٢٤
ـ كم كم ذا الهجر	إيابُ	ـ	٢٧٩
ـ بكى	تجريبُ	ـ	٥٧٢
ـ سير الليالي	تعبُ	ـ	٧٥٤
ـ فكأن	تندبُ	ـ	٦٨٥
ـ رمت	جنوبُها	ـ	٦٨٤
ـ ألا من	حلوبُ	ـ	٦٢٦
ـ لقد علم	خطيبُها	ـ	٧٥٣
ـ واني	دبيبُ	ـ	٦٣٢
ـ يا قلب	الذاهبُ	مهيار	٥٥٦
ـ ما لم يكن	ذنوبُ	ـ	٤٦٤
ـ الدهر	رطبُ	ـ	٤٩٣
ـ إذا خلوتَ	رقيبُ	أبو نواس	٧٧٥
ـ أمد	رقيبُها	ـ	٦٣٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ وقلبك	ركبُ	ـ	٥٦٧
ـ أفلح	ركبوا	ـ	٦٦١
ـ ولي قوادم	زغبُ	ـ	٥٦٧
ـ فما كل	زينبُ	ـ	٥٨٤
ـ لاح	شبوبُ	الخفاجي	٥١٥
ـ يا حبذا	شرابها	جعفر بن أبي طالب	٧٩٢
ـ إن في الأسر	صبُّ	ـ	٣٨٤
ـ أذكر	صحابُ	الرضي	٧١٩
ـ إذا ذكر	طروبُ	ـ	٦٨٥
ـ واللهِ	غالبُ	الحارثي	٢٨٥
ـ لا تغضبن	الغضبُ	ـ	٤٦٤
ـ أحسن	فأجيبُ	ـ	٦٠٩
ـ أطاعوا	فكذبوه	ـ	٧٤٦
ـ يكون	فيطيبُ	المتنبي	٤٨٥
ـ على بعدك	القربُ	ـ	٥٥٧
ـ خطوا	كتابُ	امرؤ القيس	٢٥٦
ـ أحن إلى	كئيبُ	ـ	٣٣٠
ـ وواعدني	كعبُ	عمر بن الخطاب	٣١٨
ـ إذا أنا	لهيبُ	ـ	٧٠٧
ـ أرضاه	محبوبُ	ـ	٤٣١
ـ أحب	نسيبُ	الرضي	٥٨٠
ـ تمر الصبا	هبوبُها	ـ	٦٣٨
ـ كلما زاد	يحبُّه	ـ	٣٢٦
ـ جل الزمان	يذهبُ	ـ	٧٤٥
ـ فبت	يقشبُ	النابغة	٢٨٥
ـ يا آدمي	ينجابُ	ـ	٧٤٥
ـ لا يؤيسنك	ترتيا	ابن هند	٦٣٧
ـ بالله	الربا	ـ	٤٦٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يا نسيم	الصبا	مهيار	٧٢١
ـ يا من	طلبا	ابن الجوزي	٣٣٢
ـ ألا يا نسيم	طيبا	ـ	٦٦٥
ـ دع	عجيبا	امرؤ القيس	٢٥٧
ـ يغلبني	مغلوبا	ـ	٥١٣
ـ وكيف	هبا	المتنبي	٥٤٠
ـ سرى	الوصبا	ـ	٧٣١
ـ بالله عليك	الأحباب	ـ	٥٣٦
ـ وإني	أحبابي	ـ	٣٩٢
ـ وكم دهى	بأنيابها	ابن المعتز	٣٠٣
ـ وكم ناحلٍ	أطنابها	صردر	٣٦٢، ٥٦٤
ـ أرى الدهر	بلبابه	ـ	٥٥٣
ـ يدي	بالضربِ	ـ	٥٣٥
ـ لئن قدمت	جانبِ	ـ	٧٥٧
ـ يا نسيم	الجواب	ـ	٣٥٣
ـ يا ويح نفسي	حسيبي	ـ	٣٠٢
ـ وكل ملمات	الخطبِ	قيس بن ذريح	٨٠٩
ـ كم للمنية	الخطوبِ	ـ	٧٥٨
ـ يا مقيمين	الركابِ	ـ	٦٦٠
ـ يا صحابي	السربِ	صردر	٣٩٤
ـ رأيت	سرى بي	ـ	٤١٠
ـ لو قرب	طلابه	صردر	٢٧٣
ـ يا من	عليك به	ـ	٢٠٨
ـ فإن نهاري	غياهبِ	المتنبي	٦٢٤
ـ أنت	القربِ	ـ	٣٧٣
ـ عرجوا	قلبي	ابن الجوزي	٥٠٦
ـ سقياً	كأزماني بها	ابن الجوزي	٤٣٩
ـ تذل الرجال	لأربابها	ـ	٣٥٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ فخذ	للذهاب	ـ	٥٢٦
ـ لله أمر	مطلوبِ	ـ	٧٤٣
ـ ولما تزيلنا	مغرّبِ	ـ	٣٨٤
ـ لنا كل	النوائبِ	الرضي	٦٩٦
ـ بالله	الهبوب	ـ	٦٢٨
ـ يا صبا	الهبوبِ	ـ	٦٩٦
ـ هل الطرف	وجيه	ـ	٦٥٠
ـ إذا ما انجلى	يشتبِه	ـ	٣٩٠
	ـ ت ـ		
ـ أرى الدنيا	أرهقتْهُ	ـ	٥٧٠
ـ ألا ذكراني	بيتُ	ـ	٣٣٩
ـ لا تجزعن	تشمتُ	ـ	٦٧٥
ـ إنما الدنيا	ثبوت	ـ	٧٥٢
ـ لو شئت	سلامتُهُ	ـ	٤١٩
ـ قد كنت	ميتا	ـ	٨٠٨
ـ إذا نلت	شتا	ـ	٢٦٥
ـ إذا ما	انتِ	ـ	٣٧٧
ـ تراعي	ذاهباتِ	ـ	٧٣٠
ـ يا مدمن	اللذاتِ	ـ	٣٣٨
ـ وكنا	زلّتِ	كثير عزّة	٥٩٩
ـ تهيم	غنتِ	ـ	٦٢٦
ـ تنبه	لشتاتِ	ـ	٦٩٣
ـ الله	نيتي	ـ	١٠
ـ روحي	أقلعت	ـ	٦٢٧
ـ إن العهود	أنست	ـ	٢٨٠
ـ أستغفر الله	تائبٌ	ـ	٤٨٨
ـ ولي زفرات	تولّتْ	ـ	٤٤١
ـ وعظتك	سبتْ	أبو العتاهية	٣٥٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يا أسير	فات	ـ	٥٨٣
ـ ما لنفس	فعلت	ـ	٦٨٧
ـ قرن	نبات	ـ	٧٥١
	ـ ث ـ		
ـ قوم إذا هجروا	بعثوا	ـ	٣٩٣
ـ مالك	ورائه	ـ	٥٦٦
ـ سابق	بلباثِ	ـ	٤٠٤
	ـ ج ـ		
ـ كدود	ناسجُه	ـ	٤٠٦
ـ إن بيتاً	السرجِ	الشبلي	٣٤٩
	ـ ح ـ		
ـ قطاة	الجناحُ	ـ	٦٧٣
ـ يا من	الشرحُ	ـ	٣٧٥
ـ الغيم	الصبوحُ	ـ	٧٥٧
ـ يا قلب	القبحُ	ـ	٥٦٣
ـ أحبابي	مجروحُ	ـ	٧١٩
ـ يا من بصدود	نزحوا	ـ	٣٣٦
ـ وإذا تكامل	يجنحُ	البحتري	٥١٨
ـ كأن القلب	يراحُ	قيس بن الملوح	٢٨٥
ـ وكان	يمرحُ	ـ	٥٤٤
ـ يا نسيم	البرحا	مهيار	٦٢٣
ـ بينا	رائحه	ـ	٥٠٧
ـ يا من بسهامه	فرحا	ـ	٣٢٠
ـ خلقت	فمحى	ـ	٦٦٦
ـ يا غادياً	القبائحا	ـ	٤٨٤
ـ يا ندامى	المرحا	ـ	٧٠٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أبصر	منسفحا	ـ	٧٣١
ـ عندي	نزحا	الرضي	٥٦٠
ـ لم تبق	أشباحِ	ـ	٥٦٣
ـ علمتني	التقبيحِ	ـ	٣٥٥
ـ أليلى	ذريح	ـ	٥٤٩
ـ من لي	الرابحْ	ـ	٥٠٤
ـ صبا	لمحْ	ـ	٤٧٧
	ـ د ـ		
ـ وعادلون	أجدُ	ـ	٣٨٣
ـ فقلت له	أريدُ	ـ	١٩٩
ـ قل	بدُّ	ـ	٥٣٩
ـ هل الحب	بردُ	قيس بن ذريح	٦٣٢
ـ أين	بعدُ	ـ	٢٦٨
ـ مدام	تبيدُ	ـ	٢٤٥
ـ هل الدهر	تعودُ	ـ	٤٦
ـ أين الديار	ثمودُ	ـ	٧٦٠
ـ أيا عجباً	الجاحدُ	أبو العتاهية	٧٧٤
ـ حثوا	الحدُّ	ـ	٦٧٠
ـ ولقد أجن	زرودُ	مهيار	٦٦٢
ـ إذا جزت	سعدُ	البحتري	٣٨٤
ـ عودوا	شديدُ	ـ	٣٧٣
ـ مضى	شهيد	ـ	٦٨٢
ـ شم	صيدُ	ـ	٦٦٢
ـ هب	عائدُ	ـ	٤٧٨
ـ هذي	عهدُ	ـ	٢٨١
ـ اليوم	غدُ	ـ	٥٣٥
ـ نعم تحمل	قعودُ	ـ	٦٣٤
ـ يا نائم	العقودُ	ـ	٥٥٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ الجسم	الكمدُ	ـ	٣٠٧
ـ استعدي	المستعدّ	ـ	٥٦٢
ـ يا ابن آدم	معدود	ـ	٢٧٧
ـ قل	موعد	ـ	٤١
ـ أقتل	نجدُ	ـ	٥١٠
ـ تفوز	نرد	الرضي	٢٧٦
ـ جننا	نريدها	ـ	٧٦٧
ـ يا مظهرين	وارد	ـ	٧٥٦
ـ أمس	الولد	ـ	٥٣٣
ـ لا شيء	الولد	ورقة بن نوفل	٤٢٧
ـ تلفت	وقود	الرضي	٤٥٠
ـ رأيت	وقود	ـ	٥٣٣
ـ ذهب الظلام	يتجدد	ـ	٣٤٢
ـ رقد	يردده	القيرواني	٦٦٣
ـ ألا أبلغ	يريدها	ـ	٣٠١
ـ السقم	يزداد	ـ	٣٢٠
ـ بينما المرء	يصدّ	ـ	٧٣٥
ـ أما تقومون	يصعدُ	ـ	٣٣١
ـ مرض	يقادُ	صردر	٣٩٨
ـ يا صاح	اعتدى	ـ	٦٠٤
ـ بالغور	أنجدا	مهيار	٦١٢
ـ بني	أنجدا	الأعشى	٧٠٥
ـ تزوّد	بردا	ـ	٦٨١
ـ أبالغور	بعيدا	ـ	٥٠٥
ـ أقسم	تأودى	مهيار	٥١٣
ـ تظن	ثمدا	مهيار	٦٠٢
ـ ولما تيقنّا	خدّا	ـ	٥٢٨
ـ ليس	خدا	ـ	٧١٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ والله لو كانت	رغدا	مهيار	٢٦٥
ـ إذا هب	رندا	مهيار	٧٢٢
ـ سقوا	الرندا	ـ	٦٥٧
ـ شمس	زبرجدها	ـ	٢٥٠
ـ صحة	السهادا	ـ	٦١٤
ـ خبراني	عهدا	ـ	٦٥٢
ـ يا قلب	غدا	الرضي	٦٧٠
ـ وإني	مغدى	الرضي	٦١٧
ـ إن الشباب	مفسدّه	أبو العتاهية	٧٦٨
ـ لا عدا	نجدا	ـ	٢٩٤
ـ أندرنني	نهدا	مهيار	٣٨٣
ـ	الوجدا	ـ	٦٠٩
ـ أحبابنا	وليدا	ـ	٣٥٣
ـ وقفت	أحدِ	النابغة	٣٨٤
ـ رأيت	الأساود	ـ	٤٤٦
ـ أكلف القلب	أضداد	صردر	٥٨٥
ـ ومن لم يبت	الأكبادِ	ـ	٦٠٠
ـ يا طرباً	باستردادها	ـ	٦٨٤
ـ أحبكم	بعدي	ـ	٥٠٩
ـ سمعت	بعيدِ	ـ	٤٤٠
ـ يا منية	بمنقادِ	ـ	٤٣٢
ـ النجا	بوجدِ	صردر	٣٥٦
ـ قالت	تزدِ	ـ	٤٨٣
ـ شربت	تصريدُ	ـ	٧١٧
ـ إلى كم ذا	التمادي	المتنبي	٤١٠
ـ لها بوجهك	حادِ	ـ	٦٤٩
ـ يا ساهياً	زادِ	ـ	٥٣٠
ـ لبس	سوادِ	ـ	٤٧٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ سرور	شديد	ـ	٧٠٦
ـ وإذا كان	الصعادِ	ـ	٦٨٠
ـ يا غادياً	عندي	ـ	٦٩٦
ـ يا دار	عندي	الرضي	٦٦٤
ـ ألا حبذا	المهدِ	قيس بن الملوح	٥١٩
ـ ولو أنهم	المهود	ـ	٣١١
ـ لياليا	عودي	ـ	١٩٦
ـ بانوا	الغادي	ـ	٦٥٨
ـ رويداً	الغادي	ـ	٣٢٩
ـ هل مدلج	الغادي	صردر	٣٤٢
ـ يا من	غدِ	ـ	٣٧٠
ـ جزى الله	كالمزادِ	ـ	٥٥١
ـ رأيتك	اللحدِ	ـ	٥٣٠
ـ بلغ	مرادي	ـ	٣٥٣
ـ وفي وظر	الموارد	ـ	٧٥٧
ـ خذي	نجد	ـ	١٨٦
ـ ما أشوقني	نجد	ـ	٢٨٠
ـ وأنجدتم	نجد	أبو تمام	٣٨٨
ـ رأى بارقاً	نجد	ـ	٥٤٠
ـ ولما غرد	الوادي	ـ	٦٣١
ـ وإني لمجلوب	وجد	ـ	٤٧٧
ـ بين العقيق	ودي	ـ	٤٨٧
ـ أخفي	شاهدْ	ـ	٤١٩
	ـ ذ ـ		
ـ لاذ بهم	ملاذا	ـ	٦٤٤
	ـ ر ـ		
ـ من السلوة	آثارُ	ـ	٦٧٦
ـ خذي	أنستر	ـ	٦١١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ إيه	أسمار	صردر	١٨٥، ٧١٢
ـ جد في الجد	الأمر	ـ	٢٧٩
ـ ردوا	اهجروا	ـ	٥٣٣
ـ حاشي	بوادره	المتنبي	٦٣٣
ـ سلبت	تحضر	الحارثي	٥٥١
ـ والمره	تقصير	ـ	٤٧٥
ـ هذي	خبر	ـ	٣٩٨
ـ أراك	ثغورها	ـ	٢٨٩
ـ فياحبهم	الحشر	ـ	٦٣٥
ـ كأنك	الدهر	ـ	٣٥٤
ـ خليلي	دورها	نوبة	٤٧٤
ـ إن جرى	الديار	البحتري	١٦١
ـ سل	السدير	الخفاجي	٧٠٤
ـ إذا وصلتم	السهر	ـ	٣١٦
ـ تجاسرت	الصبر	ـ	٢٩٦
ـ أمرت	صبر	ـ	٧١٣
ـ لا ترقدن	العبر	ـ	٣١٧
ـ ساكن	فأذكره	ـ	٥١٤
ـ ليس	غرور	ـ	٥١٧
ـ ولما رأيت	فأسروا	ـ	٤٠٩
ـ فلزهم	الغرار	ـ	٢٣١
ـ مالي	الفرار	ـ	٣٥٧
ـ متى رفعت	قرار	مهيار	٣٨٢
ـ سلوا	القطر	ـ	٥٠٤
ـ بدوت	قفرُ	أبو فراس	٣٥٥
ـ زموا المطايا	مأسور	ـ	٢٨٣
ـ سيان	مصطبرُ	ـ	٦٣٦
ـ يا نازلين	مضمره	ـ	٦٩١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يا سائق	معقور	ـ	٦٨١
ـ منازل	منصور	ـ	٦٠٥
ـ يا حار	النار	ـ	١٩٦
ـ محت	نستعيرها	ـ	٦٢٥
ـ آه والشوق	أخرى	مهيار	٤٤١
ـ يا محب	الأخطارا	ـ	٤٣٤
ـ ذكرها	براها	ـ	٢٥٨
ـ هوّن	بالسرى	ـ	٧٤٨
ـ أترى	ترى	ـ	٦٩٧
ـ ألا غنياني	ثراها	ـ	٦٤٠
ـ وقولوا	جواريا	الرضي	٥٩١
ـ فلما عاين	حارا	ـ	١٩٩
ـ وحدثتك	الخبرا	ـ	٢٧٠
ـ ويعرف	ذعرا	ـ	٣٠٣
ـ الموت	ذكراه	ـ	٦٥٠
ـ أنت عين	ذكرا	ـ	٥٤٥
ـ أترى	السهرا	الخفاجي	٦٠٠
ـ قد كان	شبرا	ـ	٣٢٥
ـ إذا المرء	عبرة	ـ	٣٦٨
ـ مكتئب	عبرى	ـ	٦٣٧
ـ كفر حزناً	قفرا	ـ	٥٨٠
ـ يا مغرماً	كارها	ـ	٣١٣
ـ ألا يا غافلاً	الكبيرة	ـ	٧٢٦
ـ من لقلب	كرى	ـ	٥٣٣
ـ ألا من لقلب	مكره	ابن الممتز	٣٤٦
ـ لو عدلتن	نظرا	الخفاجي	٦٤٠
ـ صحب الله	وعرا	مهيار	٢٩٣
ـ يعزّ	يسيرا	ـ	٥٤١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ وقدت	آخر	خالد الكاتب	٦١٢
ـ سبحان	الإبرار	الخواص	٧٧٣
ـ الحب	أستاري	ـ	٦٤٥
ـ يا ليت شعري	افتقارك	ـ	٧٣٦
ـ ما دار	الأقدار	ـ	٤٨٠
ـ بحرمة	بالآخرِ	ـ	٥١٨
ـ تمد	بحاجر	مهيار	٥٢٥
ـ والمرء	بالخطر	ـ	٤٦٢
ـ بدم المحب	بالسعر	ـ	٤١٥
ـ لا يغرنك	بعسره	ـ	٤٤٨
ـ أو ما رأيت	بالعمر	الرضي	١٧٨
ـ إن نشق	بالنظر	ـ	٢٠٠
ـ حلفت	بالنفر	ـ	٦٨٨
ـ ودنياك	باليسارِ	ـ	٥٧٠
ـ أقول	حارِ	النابغة الذبياني	٧٢٠
ـ إليك	حجر	الشيرازي	٢٦٣
ـ أيها	حضور	ـ	٥٠٧
ـ زفّرها	الحناجر	مهيار	٥٦٥
ـ وإذا جئتم	خطري	ـ	٦٨٦
ـ يا نفس	ذري	الرضي	٤٦١
ـ يا قلب	الساري	الرضي	٦٢١
ـ وكنا جميعاً	سرور	ـ	٣٨٨
ـ وما هي	شهر	ـ	٣٢٧
ـ وهم	الصبر	الرضي	٤١٧
ـ تمتع	عرار	الصمة القشيري	٣١١
ـ بكى	الغير	ـ	٥٧١
ـ حكم	قرار	ـ	٥٣٠
ـ سبيلك	مسافر	ـ	٧٣٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ حداة	المسير	ـ	٥٠٣
ـ لولا مدامع	النار	ـ	٦٤٨
ـ تأوهت	نضير	مهيار	٥٩٤
ـ لله در	النفر	ـ	٢٥٩
ـ مما بيننا	الهجر	ـ	٥٣٧
ـ واويلاه	الهجر	ـ	٦٦٣
ـ وكيف	وافر	أبو فراس	٦٩٤
ـ لقد أخبرتك	وقر	ـ	٧٣٧
ـ وداع	يدري	ـ	١٨٦
ـ فإن حننت	أخرْ	ـ	٦٧٢
ـ أترك	بشر	ـ	٦٧٨
ـ يا نواسي	تصبر	أبو نواس	٧٧٤
ـ الفور	الخبر	ـ	٢٨٩
ـ أيها الناس	خبر	ـ	٥٣٤
ـ كم للمنايا	الصدود	ـ	٥٦٧
ـ وأصبحت	طائر	ـ	٦٥٣
ـ هل نجد	الوطر	ـ	٥٥٦
ـ أرى الشهد	يعتبر	ـ	٥٨٢
	ـ ز ـ		
ـ كم غودرت	العجوز	ـ	٧٨٦
	ـ س ـ		
ـ اغتنم	اختلاسُ	ـ	٦٦٦
ـ تبني	تختلسُ	ـ	٦٧٧
ـ حلفت	غموسُ	ـ	٥٤٤
ـ ركب	أكوسا	الخفاجي	٦٢٧
ـ أوحشتني	أنيسِ	ـ	٦١٦
ـ ولقد جعلتك	جلوسي	ـ	٧٩٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ تجهر	حبس	ـ	٥١٦
ـ وكم من عبرة	قاس	ـ	٥٢٢
ـ يا ساقي	كاسي	ـ	٦٢٦
ـ يا منتهى	لنفسي	ـ	٥١٢
ـ خذي	ملتبس	الرضي	٦٣٤
ـ والله يعلم	نبراس	ثعلب	٤١٥
ـ ما ضر	نفسه	ـ	٥٩٧
ـ والله ما طلعت	وسواسي	ـ	٣٥٧
	ـ ش ـ		
ـ إلى سلطان	الرشا	ـ	٤٢٩
	ـ ض ـ		
ـ عبرت	الحرضُ	ابن الجوزي	٥٤٢
ـ من أجلك	ترضى	ـ	٣٠٦
ـ أيها الرامي	الغرضا	مهيار	٥٤٦
ـ عند	غضا	ـ	٥٠٣
ـ إن كان	فرضا	ـ	٤٣٢
ـ قد قلق	القضا	ـ	٤٣٩
ـ ليس	القضا	ـ	٤٧٠
ـ إلى كم عتاب	مضى	ـ	٢٩١
ـ مرنح	معرضا	ـ	٦٨٤
ـ لا تنكري	براضِ	ـ	٨٢٠
ـ متى شق	الغمضِ	ـ	٥٠٣
	ـ ع ـ		
ـ دون المعالي	أوقع	ـ	٣٣٠
ـ شجاك	تجزع	ـ	٤١٢
ـ وإني لا غرى	ربوع	الرضي	٥٨٠
ـ غدا	زرعوا	ـ	٦٨٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
أتبكي	طائع	قيس بن ذريح	٣١٠
ـ ومسندون	فأسرعوا	ـ	٧٥٥
ـ هل بعد	مرتجعُ	مهيار	٥٤٠
ـ نهاري	المضاجع	ـ	٦٠٨
ـ وكيف	هجعوا	ـ	٤١٤
ـ أحست	يوضع	الرضي	٧١١
ـ من بمنى	أربعا	مهيار	٢٩٤
ـ إذا ما ونت	أسرعا	ـ	٦٨٤
ـ	ترفعا	ـ	٧٠٧
ـ قفا	تودعا	ـ	٤٥٢
ـ قد كنت	جزعا	ـ	٢٨١
ـ لا يغرنك	رقعه	ـ	٢١١
ـ اسمع	سماعا	ـ	٤٧٧
ـ ارخ لها	شسعا	مهيار	٤٩٤
ـ آه	صنعا	ـ	٧٠٠
ـ رعى الله	فضيعا	ـ	٥١٤
ـ لا وحيك	مدفعا	ـ	٦٣٢
ـ إن هواك	مطيعا	ـ	٥٥٧
ـ تفرقنا	معا	ـ	٤٨١
ـ دعوها	النسوعا	مهيار	٥٦٤
ـ كل سحاب	أدمعي	صردر	٦١٣
ـ يا نفس	لا تهجعي	ـ	٣٥١
ـ هل مجاب	جمع	مهيار	٢٦٠
ـ رأيت	خدّاع	ـ	٣٣٥
ـ يا عقيق	دمعي	ـ	٦٢٠
ـ آفة	دوافع	ـ	٦٣٣
ـ عارضا بي	سلع	الرضي	٢٩٣
ـ لا تبلني	ضلوعي	ـ	٣٧٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ كم بذكراك	الضلوع	ـ	٦٠٩
ـ أباسطه	الفزع	ـ	٦٦٤
ـ يا ليلتي	فارجعي	مهيار	٦٠٤
ـ نشدتك	لعلع	مهيار	٥٩٩
ـ كفى سائقاً	مدامع	ـ	٢٨٤
ـ أنجدت	معي	ـ	٧٥٣
ـ ومن عجب	معي	ـ	٦٢٩
ـ باحت	موضعي	ـ	٧٣١
ـ يا صاحبي	نرتعي	ـ	٦٩١
	ـ ف ـ		
ـ حملتم	أضعف	ـ	٣٣٠
ـ يا سائق	تتوقف	مهيار	٢٨٤
ـ أشكو	تجف	الرضي	٦٠٣
ـ إن القلوب	تعترف	أبو نواس	٧٧٤
ـ لست	تعطفوا	ـ	٣٨٧
ـ ذل	شرف	ـ	٦١٨
ـ ملكتم	منصرف	ـ	٦٥٤
ـ يا حادي	ننصرف	ـ	٥٩٤
ـ ولما وقفنا	تتوقفا	ـ	٦١٢
ـ مت	خلفا	ـ	٥٩٠
ـ واهاً	شفا	ـ	٤٤٢
ـ قد كان لي	صفا	ـ	٢٨٦
ـ قفت	موقفها	ـ	٥٩٢
ـ شوقي	أخفي	ـ	٤٧٣
ـ تركت	أسفي	ـ	٦١٣
ـ قف	الألفة	ـ	٥٠٩
ـ فما يزال	أنفِ	ـ	٥٩٤
ـ ميزت	تفي	ـ	٢٧١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ سبحان	الموقف	أبو نواس	٧٧٣
ـ ومتى بلغت	المعروفِ	ـ	٥٧٢
ـ الناس	وافِ	ـ	٥٦٨
	ـ ق ـ		
ـ واستعذبوا	الآماق	ـ	٦١٩
ـ ومشتت	إخفاق	ـ	٣١٤
ـ ولم يبق	أشهقُ	ـ	٦٥٣
ـ يا قومنا	انتقوا	ـ	٥٨٤
ـ بلغ سلامي	تائق	ـ	٥٦٠
ـ لا تحبسن	درياق	ـ	٥٦٠
ـ يا طالب	طلاقها	ـ	٤٩٩
ـ ألا كل	عريقُ	أبو نواس	٧٧٤
ـ بقلبي	علق	ـ	٦٢٨
ـ لما أتوا	الغرق	ـ	٤٢٣
ـ المرء	يتسق	ـ	٣٩٥
ـ يا حادي	يراق	ـ	٥٣٧
ـ الوجد	ينطقه	ـ	٦٣٣
ـ احبس	آبقا	صردر	٥٨٥
ـ تغن	الأبرقا	مهيار	٤٢٨
ـ ولي عبرات	تألقا	ـ	٥٩٥
ـ من أجل	ترقا	ـ	٢٧٥
ـ قف	تشوقا	ـ	٣٧٨
ـ ليكفكم	رفقا	ـ	٤٧٣
ـ أيدري	شاقا	المتنبي	٣٤٨
ـ بقيت	شرقا	ـ	٦٣١
ـ إلى كم	طريقا	مهيار	٣٠٠
ـ ضمنا	عشقا	ـ	٥٠٢
ـ لتحشرن	علقا	ـ	٤٣١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ قد سحب	فرقا	العباس بن الأحنف	٥٨٦
ـ عللونا	اللقا	ـ	٥٤١
ـ هذه دراهم	الآماق	الشبلي	٢٦٠
ـ سل	الأبرقِ	مهيار	٥١٩
ـ وتكاد	الأعناق	المتنبي	٦٦١
ـ بعينيك	بقي	المتنبي	٣٨٣
ـ وما تطابقت	الحدقِ	ـ	٥٤٥
ـ محلة	خرق	ـ	٣٥٠
ـ رأيت	راقِ	ـ	٢٩٨
ـ لما وردن	الرفاقِ	ـ	٧٣٩
ـ طرف	ساقِ	مهيار	٦٥٥
ـ فكل شيء	الساقي	ـ	١٩٨
ـ يا صاحبي	عشاقي	ـ	٥٨١
ـ عين	فراق	ـ	٦٢٨
ـ يا ساكن	الفراق	ـ	٣١
ـ أرقي	قلقي	ـ	٢٦٧
ـ ليت شعري	المضيق	ـ	٤٧٨
ـ رأى	الآماقُ	الرضي	٦٥٢
ـ ما على	أعنق	ـ	٧٢٩
ـ ما أجلب	فاشتاق	ـ	٣٢٨
ـ قد كنت	يطاق	ـ	٣٨٨
	ـ ك ـ		
ـ رحل الأحبة	ما تركوا	ـ	٧٣٤
ـ تفكر	المليك	أبو نواس	٧٧٦
ـ يا دار	أبلاكا	الرضي	٥٢٣
ـ يا قلب	الأشراكا	الرضي	٤٢٥، ٦٧٢
ـ إذا اشتبكت	تباكا	ـ	٦٠٧
ـ يا عاذل	حاشاكا	الرضي	٥٩٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أروح	سواكا	المتنبي	٧٠٩
ـ فلو داواك	شفاكا	ـ	٣٢٠
ـ خف الله	فعالكا	ـ	٤٤٨
ـ بليت	كفاكا	أبو العتاهية	٤٦٦
ـ الماء	الباكي	الرضي	٥١٥
ـ قد لامني	السوافك	متمم بن نويرة	٥٣٤
ـ أيا بانة الغور	سواك	مهيار	٢٨٦
ـ يا ليت شعري	افتراك	ـ	٧٣٦
ـ وهواك	ترك	ـ	٥٥٢
ـ كأنك	رحيلك	ـ	٧١٤
ـ أنت	لشتاتك	ـ	٣٨٠
ـ يا مالكاً	ملك	أبو نواس	٧٧٥
ـ قل للمؤمل	نظرك	ـ	٦٦٧
	ـ ل ـ		
ـ ألا أيهذا	الأجل	ـ	٣٢٢
ـ لا مرية	الأجل	صردر	٣٤٤
ـ هبت	أذيال	الغزي	٤٧٤
ـ أظن	أهل	ـ	٤٣٥
ـ لك يا منازل	أواهل	المتنبي	٧٢١
ـ سهر العيون	باطلُ	ـ	٥٥٩
ـ ألا فتى	بدا له	مهيار	٦٣٣
ـ قد لج	البلبال	ـ	٧١٣
ـ أفي نجد	تقول	الخفاجي	٥١٠
ـ إذا المرء	جميل	السموءل	٣٠٥
ـ ضمنت	حاله	ـ	٤٤٠
ـ قفوا	حاله	ـ	٥١٨
ـ ودعوا	حلوا	ابن الجوزي	٦١١
ـ وجدت	الراحل	ـ	٥٨٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يا قلب	رحلوا	ـ	٤٦٥
ـ ولم أنس	الرحيل	ـ	٥٢٨
ـ قف	رسول	ـ	٥٠٤
ـ إذا لم يكن	رسول	ـ	٣٧٢
ـ فلا تحسبوا	سهل	ـ	٣١٥
ـ سألت	شاغل	ـ	٣١٩
ـ وأبغضت	الضال	المعري	٣٤٧
ـ ولما وقفنا	طلول	مهيار	٣٢٦
ـ صافحوا	الظلال	ـ	٥٥١
ـ وما تلوم	عجل	ـ	٧٠٨
ـ وإني	عجول	الرضي	٦٤٩
ـ أليس	عجول	ـ	٧٣٥
ـ ما لي شغل	عدل	ـ	٣٤٢
ـ لم يبقّ	عمل	ـ	١٨٥
ـ من أخطأته	غزل	ـ	٤٢٣
ـ محا بعدكم	غولها	الرضي	١٩٠
ـ لا يدرك	فعال	المتنبي	٦٩٥
ـ قف بالمحصب	فعلوا	ـ	٧٢٧
ـ من القتيل	القاتل	ـ	٤٣٢
ـ بكرت	قاتله	ـ	٤١٢
ـ أترى	قتلوا	ـ	٣٨٩
ـ تقر	قلالها	ـ	٦٠٠
ـ سألت الدار	ما فعلوا	أبو العتاهية	٥٤٨
ـ أضحى	مغتال	ـ	٥٧٤
ـ صحا	نازل	ـ	٣٢٤
ـ وما شرقي	نزول	المتنبي	٧٢٢
ـ أطلت	يطول	ـ	٦٣٨
ـ أيها العذال	يقبل	ـ	٦١٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أيها الملك	أحلى	ابن المعتز	٣٥٦
ـ قم	الأرجلا	مهيار	٤٩٤
ـ فاستوف	أرحلها	ـ	٦٥٨
ـ ترجو	أعدله	ـ	٧٠١
ـ يا منزلاً	تبلى	ـ	٥٠٩
ـ نموت	تبلى	أبو نواس	٧٧٥
ـ نزلوا	جبالها	ـ	٤٨٦
ـ قم	جلا	مهيار	٤٩٤
ـ ثورها	جلالها	الخفاجي	٦٥٨
ـ وأخرج	خاليا	ـ	٦٣١
ـ دعها	عقالها	علي بن أفلح	٥٥٩
ـ بدا لها	كلالها	ـ	٥٨٧، ٦٣٩
ـ يقول	لسلاها	ـ	٤٤٧
ـ هذا ولهي	لها	ـ	٥٩٥
ـ أما اشتقت	مالا	ـ	٤١١
ـ عجبت	المحيلا	ـ	٣٧٩
ـ إن الليالي	آجال	ـ	٤٩٩
ـ تعلقت	الآمال	ـ	٦٦٠
ـ أجاب	الإبل	المتنبي	٤٧٣
ـ من أعلم	إبله	ـ	٢٥٩
ـ إنا لنفرح	الأجل	ـ	٨١٨
ـ وكيف	ارتحالي	ـ	٥٨٢
ـ عش	أصلي	خالد الكاتب	٨٣٥
ـ سر	إليه	ابن المعتز	٦٣٤
ـ كلما	أملي	ـ	٧٤٣
ـ	أملي	ـ	٤٠٣
ـ خل طرفي	أهل	ـ	٤٩٧
ـ يا لنفحات	بابل	ـ	٦٣٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ من يطلع	بالإبل	صردر	٤٦٢
ـ إذا لعب	بالرجال	ـ	٣٦١
ـ عثرت	بالزلل	مهيار	٥٤٤
ـ أسائل	بسؤالي	ـ	٧١٠
ـ لعل عتبك	بالعلل	المتنبي	١٦٢
ـ إذا ما الخيام	بقليل	ـ	٤٧٢
ـ زعمت	بلي	مهيار	٥٦٣
ـ أنفت	الترحال	ـ	٣٢٨
ـ دع شأن	تململ	ـ	٦٦٣
ـ فدتي	الحابل	المتنبي	٥٥٥
ـ لأية علة	حبالي	ـ	٢٨٦
ـ ردوا	الزائل	مهيار	٦٠٠
ـ وكل	زوال	ـ	٥٢١
ـ مهلاً	المسبل	ـ	٦٣٥
ـ وإذا اشتغل	شغلي	ـ	٧٢٦
ـ وشغلت	شغلي	ـ	٧٢٦
ـ يرنحني	الشمال	الرضي	٣٧٤
ـ سلام	شمالي	ـ	٤٦٩
ـ ما أسرع	الشمل	ـ	٧٢٦
ـ بي شغل	عاقل	ابن الجوزي	٣٢٥
ـ يا ليتني	عود إلي	مهيار	٦٠٥
ـ أتذكراني	غافل	الرضي	٣٢٩
ـ كذلك الفخر	الفعال	ـ	٣٠١
ـ مالي شرقت	قبلي	ـ	٢٦٥
ـ خلني	قبلي	ـ	٧٣٢
ـ فإن الحسام	القاتل	ـ	٤٦٥
ـ أملي	قاتلي	ـ	٣٧٨
ـ لا أقبل	القتل	ـ	٣٤٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ جواهر	المثال	ـ	٧٠٣
ـ تقولين	مثلي	المتنبي	٦٢٢
ـ سألت عيني	محال	ـ	٥١٥
ـ حياتي	المحال	ـ	٣٥٧
ـ وإن شفائي	معول	ـ	٦٢٦
ـ وما ذرفت	مقتل	امرؤ القيس	٩٣
ـ ما اختص	منتبل	مهيار	١٨٩
ـ وإذا رامي	النضال	ـ	٢٠٧
ـ أين أيامك	وال	ـ	٤٣٩
ـ لو رأيت	الوصال	ـ	٤٧٤
ـ بحرمة	الوصل	ـ	٥٩٩
ـ نخطو	يطل	ـ	٢٦٩
ـ أيها السكران	الرحيلْ	ـ	٧٥١
ـ وعزمة	زحل	ـ	٥١٣
ـ خل	فاحتمل	ـ	٥٠٤
ـ إن كنت	فعل	مهيار	٣١٥
ـ هجرانك	قاتل	ـ	٤١٣
ـ كل حي	قبل	ـ	٧٥٥
ـ بين الحطيم	المقبل	ـ	٤٦٤
ـ من أعطى	المنازل	ـ	٣١٧
	ـ م ـ		
ـ وغطتنا	الأرحام	ـ	٢٨٢
ـ تركوا	أقاموا	الرضي	٣٦٢
ـ إذا لم يجد	أقاموا	ـ	٥٦٩
ـ يا من أشكو	أكتمه	ـ	٣١٦
ـ الناسكون	ألموا	ـ	٦٥٦
ـ كفى حزناً	إلكمو	ـ	٣٦٨
ـ ولوا	البهائم	أبو تمام	٧٧٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ ولما خلى	نغتنم	مهيار	٥٢٨
ـ أما الوقوف	نفهم	ـ	٦٩٠
ـ هذا	حاشاكمو	ـ	٦٩١
ـ إذا دنت	الخيام	ـ	٢٦٠
ـ هذه	الخيام	ـ	٦٢٠
ـ أيا منعماً	الدائم	ـ	٣١٦
ـ جرت	الرسم	مهيار	٣٦٢
ـ نشدتك	الرسوم	ـ	١٨٧
ـ ودعت	السلام	ـ	٣١٦
ـ ليس عزماً	الظلام	المتنبي	٦١٩
ـ وجدي	عندكمو	ـ	٧١٣
ـ ما ناح	الغرام	ـ	٥٣٨
ـ يا حادي العيس	الغرام	ـ	٢٧٥
ـ لا توقدوا	غريم	ـ	٧٥٢
ـ أقل	الغنم	ـ	٦١٧
ـ لولا جنوني	قاموا	ـ	٣٠٦
ـ يطربني	القدم	مهيار	٣٧٨
ـ ومن البلية	لا يفهم	المتنبي	٥٩٨
ـ إذا بدا	لذكرهمو	ـ	٥٩٣
ـ تملكوا	لهمو	ـ	٤٣٠
ـ وقف	متقدم	أبو الشيص	٦٢٩، ٨١٩
ـ أجارتنا	العتيم	مهيار	٥٦١
ـ تحلى	المحرم	ـ	٤٣٥
ـ فحيّ	المخيم	ـ	١٤
ـ لم أدر	مزموم	ـ	٧٢٩
ـ يا نسيم	المستهام	ـ	٣٥٦
ـ فداو	مضرمه	ـ	٣٩٩
ـ إن ترحلت	مقيم	ـ	٤٧٣
ـ على قدر	المكارم	المتنبي	٣٦٤، ٤٤٦

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ سلوا	منام	ـ	٣٦٢
ـ عاود	منامه	ـ	٥٠٠
ـ كثير	فهمو	مهيار	٦٦٣
ـ يحاول	نائم	ـ	٧٠٧
ـ طال ليلي	ناموا	ـ	٥٠٦
ـ أما والله	ما ناموا	ـ	٢٢١
ـ آراؤهم	نجوم	ابن الرومي	٨٢١
ـ الشري	ندم	ـ	٣٩٦
ـ خليلي	نسيم	ـ	٣٤٨
ـ أيا جبلي	نسيمها	ـ	٤٢٠
ـ أثبتهم	هم همو	ـ	٦١٨
ـ يا ريح	همو	ـ	٥٤١
ـ وإني لآتي	يراكم	ـ	٢٠٠
ـ كاد يمسكه	يستلم	ـ	٢٦١
ـ ومن لبه	يكتم	ـ	٦٢٦
ـ هواك	يلتام	ـ	٤٣٧
ـ قلبي	ينام	ـ	٧٠٧
ـ نظرت	يهجم	ـ	٥٧٠
ـ عزيز	استسلما	ـ	٤١١
ـ وبجرعاء	السلاما	مهيار	٤٣١
ـ تعاظمني	أعظما	أبو نواس	٧٧٥
ـ يا نسيم	الأوما	ـ	٥٠١
ـ أيها الراحلون	تترامى	ـ	٤١٢
ـ	تسلما	ـ	٥٠٩
ـ ها إنها	التسليما	ـ	٥٦٥
ـ والحر	جسيما	الرضي	٦٩٠
ـ قل لمن	حاما	ـ	٣٨٥
ـ ظن	دما	مهيار	٢٠٧
ـ قولوا	دما	ـ	٣٨٧

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أين سكانك	شأما	مهيار	٢٧٣
ـ ما آل	صارما	ـ	٦٧١
ـ الماء	الظما	ابن الجوزي	٥٩٥
ـ حبى	عظما	ـ	٥٠٢
ـ ما لبني	عمه	ـ	٦٥١
ـ من على	فداما	ـ	٣٥٩
ـ يا بريق	قياما	ابن الجوزي	٦١٤
ـ يا نفس	ما	ابن المعتز	٢٦٤
ـ أين كنت	مراغما	ـ	٧٢٨
ـ يا للرجال	مستلما	ـ	٦٥٢
ـ قل	مسلما	ـ	٧٢١
ـ طال	المناما	ابن الجوزي	٥٤٦
ـ تنام	نائما	ـ	٦٦٨
ـ تزودنا	الأباهمِ	الرضي	٧٠٦
ـ فياريح	احتكمي	مهيار	٤٤٠
ـ يا لنفس	أحلام	أبو العتاهية	٦٧٢
ـ إذا الصبا	إضم	الغزي	٢٧٢
ـ إذا هزنا	الأراقم	مهيار	٥١٥، ٦٠٦
ـ أبكي	زللي	أقدامي	٤٢٥
ـ ذم	الأقوام	ـ	٥٨٧
ـ مازلت	بدم	المتنبي	٦٥٨
ـ يا مطولاً	بالمنام	ـ	٣٢١
ـ هب البعث	تضرم	ـ	٦٩٩
ـ ألا اسقني	تنعم	ـ	٥١٠
ـ إن المقادير	الحازم	ـ	٦٤٧
ـ فمنا	خزائم	ـ	٣٩٦
ـ إلى حتفي	دمي	الحجاج	٣٣٩
ـ احبسا	دمي	ـ	٥١٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ وتمشت	السقم	ـ	٦٢٣
ـ فليت	السقم	الرضي	٧٠٦
ـ نسيم الصبا	سلام	ـ	٦٩١
ـ ألا	سلامي	ـ	٦٨١
ـ ما شاغفتني	سلم	الرضي	٣٦٩
ـ سقمي	عدمي	ـ	٦٤٤
ـ يا حادي	عظام	ـ	٤١٩
ـ طلول	فهم	الغزي	٧٣٩
ـ وركب	قائم	ـ	٣٧٧
ـ لم يخل	قدم	ـ	٦٢٤
ـ والله	القدم	ـ	٦٦٩
ـ إلى أي حين	كم	المتنبي	٤٨٤
ـ وأمست	اللمم	الرضي	٣٩٢
ـ وما بحت	بالمتقادم	ـ	٦٦٥
ـ يا عمادي	المعامي	ـ	٧٦١
ـ عبتم	مقام	ـ	٥٠٠
ـ يا قلب	المقام	الرضي	٥٣٢
ـ هل لكما	الملتم	مهيار	١٨٨
ـ يا ريح	منصرم	ابن الجوزي	٧٢٣
ـ فيا آملاً	إرمْ	ـ	٢٨٨
ـ فلا تحسبوا	أنساكم	ـ	٢٦١
ـ أعد	رمم	ـ	٤٤٣
ـ إن في نأي	زنام	ـ	٦٤١
ـ الدمع	العزائم	ـ	٦٠٩
ـ يا نفس	فلم	ـ	٤٦١
ـ سروري	مغناكم	ـ	٧٦٢
	ـ ن ـ		
ـ كم اصطبار	إذعان	الرضي	٤٩٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يشاكى	ألوان	ـ	٥٩٩
ـ لي بذات	البان	ـ	٤٩١
ـ هاتيك	بانوا	ـ	٣٤٣
ـ يا حبذا	بانوا	الغزي	٥٦٩
ـ سائل	بانوا	ابن الرومي	٦٣٧
ـ اسقني	ريان	ابن المعتز	٥٣٨
ـ يا حبذا	زمانه	ـ	٣٩٣
ـ جمعوا	سكنوا	ـ	٤٥٢
ـ عين المنية	سنان	ـ	٥٩٨
ـ ويأبى	اللسان	ـ	٦٨٦
ـ شرت	المغبون	الرضي	٢٢٤
ـ وانزل	ملّان	ـ	٢٦٠
ـ ردوا المطايا	نيران	ـ	٥٣٧
ـ قد علم	أحزانا	المتنبي	٦٥٤
ـ يا من سائل	أنا	ـ	٥٢٣
ـ اطلبوا	أنا	ـ	٦٧٤
ـ البين	البطينا	ـ	٢٧٤
ـ الموت	بنا	ـ	٧٦١
ـ هل الدهر	تفنى	ـ	٢٨٧
ـ لا تكذب	تكذبنه	ـ	٤٠٤
ـ ظللت	تلينا	صردر	٣٩٧، ٦٨٠
ـ ما رحلت	حسنا	الخفاجي	١٦١
ـ أمن خفوق	الحنينا	مهيار	٣٠٥
ـ واحبس	الدمنا	ـ	٥٧٩
ـ يا صاحبي	الدمنا	الرضي	٦٣٠
ـ بنفسي	رهينا	ـ	٢٧٢
ـ تشقينا	شقينا	ـ	٣٦١
ـ وصلوا	شقينا	ـ	٥٨٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ كم أحمل	ضنا	ـ	٢٧٣
ـ تعالوا	الظاعنينا	ـ	٣٨٨
ـ أهل الغرام	عتابنا	ـ	٤٠٨
ـ سل بسلع	عنا	مهيار	٣٧٣
ـ قم بنا	عنا	ـ	٥٩٩
ـ من قربنا	غافلينا	ـ	٥٩٠
ـ سقياً	غنى	ـ	٣٣٤
ـ وأنت	غنينا	مهيار	٣٩٩
ـ يا نفس	فتانا	ـ	٥٥٨
ـ وماذا	فخنا	ـ	٦٣٥
ـ خذني	القطينا	ـ	٣٧٨
ـ حرام	كانا	ـ	٦٠٣
ـ قد كنت	كتمانا	ـ	٢٧٢
ـ ظن	كتمانا	ـ	٥٩٥
ـ فلا ومن فطر	لبنى	ـ	٣٧٩
ـ أسميك	لبنى	ـ	٣٧٩
ـ قتل ابن عفان	المسلمينا	ليلى الأخيلية	٨١٠
ـ لا ذاق	وسنا	ـ	٦٤٣
ـ وكم وقفت	وهلانا	ـ	٥٣٢
ـ ليت شعري	يذكرونا	ـ	٥٧٦
ـ إذا جزت	يمينا	ابن الجوزي	٥٩٣
ـ إن كنت	الأحزان	ـ	٧٤٤
ـ إنا ليجمعنا	الأشجان	ـ	٥٩٩
ـ مضى	أطربني	ـ	٦٤٥
ـ لم يبق	أماني	الرضي	٥٣١، ٧٤٧
ـ أوان	الأواني	الرضي	١٩٨
ـ ما أقل	بالأماني	الرضي	٥٢٠
ـ ما كان	بتبيان	ـ	٦٨٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أيتفق	بالموازين	ـ	٦٧٩
ـ سيقطع	البين	ـ	٥٧٨
ـ هو الحمى	تعاينه	ابن المعلم	٣٩٤
ـ ولقد تشكو	تفهمني	ـ	٤٠٢
ـ إن قلت	تواتيني	ـ	٤٦٧
ـ فكم هذا	التواني	ـ	٢٩٢
ـ ثواني	ثواني	ـ	٥٨٣
ـ جنونك	جنون	ـ	٣٤٠
ـ قوض الموت	حدثانٍ	ـ	٣٠٩
ـ ألم ترني	حدثانها	ـ	٧٧٠
ـ ناحت سحراً	الحزن	ـ	٤٠٢
ـ أنظن	حزني	الخفاجي	٢٦٢
ـ قصوا	حزين	ـ	٦١٤
ـ فكانت	الزمان	ـ	٥١٨
ـ دعني	زمني	ـ	٣٧٦
ـ بلاني	شاني	السري الكندي	٦٣٩
ـ والذي	شجاني	ـ	٣٣٦
ـ يا بعيد	شجنه	العباس بن الأحنف	٢٦٧
ـ سلمت	شجن	ـ	٦١٢
ـ إن شغيمي	ظني	ـ	٢٠٩
ـ يا حادي	عني	ـ	٦٩٧
ـ أرضينا	غبن	ـ	٤٥٤
ـ إني أرقت	فأسعدني	أبو العتاهية	٣٠٨
ـ مكر الزمان	مظنون	ـ	٤٠٠
ـ ضنا	المعلن	مهيار	٥٨٦
ـ دع ملامي	مني	مهيار	٥٤٣
ـ أنا في	مني	ـ	٧٠٥
ـ سبحان من	مهين	أبو نواس	٧٧٤
ـ تعجب	هجرانها	مهيار	٢٧١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ إن كان	وسني	ـ	٦٥٧
ـ هيني	يفضحني	ـ	٦٠٨
ـ ومستخبر	يقين	جابر الجرمي	٦٠٨
ـ بح	تأمنها	ـ	٢٩٧
ـ اعف عني	الزمن	ـ	٢٨٥
ـ تشبهت	سكن	ـ	٥٨٧
ـ سلة الأحباب	فاستتن	ـ	٣٠١
	ـ هـ ـ		
ـ رأى	تيها	ابن المعتز	٣٦٣
ـ يا كثير	لديه	ـ	٣٥
	ـ و ـ		
ـ يا من	أبوه	ـ	٣٣٩
ـ دعوه	دعوه	ـ	٥٩٥
ـ أطاعوه	فكذبوه	ـ	٧٤٦
ـ ما إن يطيب	لهو	ـ	٣٧٦
ـ لم أشكر	البلوى	ـ	٦٤٤
ـ يا ملولاً	التوى	ـ	٦٤٧
	ـ ي ـ		
ـ خليلي	بداليا	ـ	٣٤٨
ـ وقولوا	بجواريا	الرضي	٥٩١
ـ وقد يجمع الله	تلاقيا	ـ	٦٨٩
ـ ولو قيل	خباياها	ـ	٣٠١
ـ ألا راحم	لسانيا	ـ	٦٨١
ـ أعد	الليالي	ـ	٣٤٨
ـ مفتدي	المآقيا	الرضي	٦٩٧
ـ سل الأيام	ساكنيها	ـ	٥٧٥

٤ ـ فهرس الموضوعات

- الإهداء ٥
- مقدمة فضيلة الشيخ وهبي سليمان غاوجي الألباني ٧
- مقدمة التحقيق ١٥
- قالوا في الإمام ابن الجوزي ١٦
- ترجمة ابن الجوزي رحمه الله ١٧

أولاً: اسمه ونسبه وشهرته ١٧

ثانياً: نشأته وسيرته التعليمية ١٨

ثالثاً: أهم الصفات التي تميز بها ٢٠

رابعاً: ابن الجوزي واعظاً ٢٢

خامساً: شهادة العلماء لابن الجوزي ٣٠

سادساً: مختارات من غرر ألفاظ ابن الجوزي ٣٢

سابعاً: أشهر مؤلفات ابن الجوزي ٣٣

ثامناً: وفاته ٣٥

- تعريف عام بكتاب المدهش ٣٦

أولاً: موضوع الكتاب ٣٦

ثانياً: توثيق نسبة الكتاب لابن الجوزي ٣٧

ثالثاً: أشهر العلماء الذين نقلوا عن المدهش ٣٨

رابعاً: عرض نماذج لبعض العبارات الرائعة في المدهش ٤٠

- السبب في إعادة طبع الكتاب ٤٣

أولاً: منهج التحقيق والخطوات التي سلكناها لإخراج الكتاب ٤٤

ثانياً: وصف المخطوطتين ٤٦

- نماذج من المخطوطتين ٤٩

كتاب المدهش

الجزء الأول

- خطبة المؤلف ٥٥

الباب الأول
في علوم القرآن وبيانه (٥٧ ـ ٩٠)

- فصل: في ذكر أقسام الخطاب في القرآن ٥٩
- فصل: في ذكر أمثال القرآن ٦١
- فصول: في عيون المتشابه ٦٥
  - ـ فصل: في الحروف المبدلات ٦٥
  - ـ فصل: في الحروف الزوائد والنواقص ٦٧
  - ـ فصل: في المقدَّم والمؤخّر ٧٠
- أبواب منتخبة من الوجوه والنظائر ٧٢
  - ـ باب (أو): يتضمن معاني (أو) في القرآن ٧٢
  - ـ باب (أدنى): يتضمن معاني (أدنى) في القرآن ٧٢
  - ـ باب (الإنزال): يتضمن معاني (الإنزال) في القرآن ٧٢
  - ـ باب (الأرض): يتضمن معاني (الأرض) في القرآن ٧٣
  - ـ باب (الأمر): يتضمن معاني (الأمر) في القرآن ٧٤
  - ـ باب (الإنسان): يتضمن معاني (الإنسان) في القرآن ٧٥
  - ـ باب (الباء): يتضمن معاني (الباء) في القرآن ٧٦
  - ـ باب (الحق): يتضمن معاني (الحق) في القرآن ٧٧
  - ـ باب (الخير): يتضمن معاني (الخير) في القرآن ٧٨
  - ـ باب (الدين): يتضمن معاني (الدين) في القرآن ٧٩
  - ـ باب (الذكر): يتضمن معاني (الذكر) في القرآن ٧٩
  - ـ باب (الروح): يتضمن معاني (الروح) في القرآن ٨٠

ـ باب (الصلاة): يتضمن معاني (الصلاة) في القرآن ٨٠
ـ باب (عن): يتضمن معاني (عن) في القرآن ٨١
ـ باب (الفتنة): يتضمن معاني (الفتنة) في القرآن ٨١
ـ باب (في): يتضمن معاني (في) في القرآن ٨٢
ـ باب (القرية): يتضمن معاني (القرية) في القرآن ٨٣
ـ باب (كان): يتضمن معاني (كان) في القرآن ٨٣
ـ باب (كلا): يتضمن معاني (كلا) في القرآن ٨٤
ـ باب (اللام): يتضمن معاني (اللام) في القرآن ٨٥
ـ باب (لولا): يتضمن معاني (لولا) في القرآن ٨٦
ـ باب (مِنْ): يتضمن معاني (من) في القرآن ٨٩
ـ باب (الواو): يتضمن معاني (الواو) في القرآن ٨٩
ـ باب (الهدى): يتضمن معاني (الهدى) في القرآن ٩٠

الباب الثاني
في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها (٩١ ـ ١١٦)

● فصل: في انقسام اللغة إلى قسمين واشتمال القرآن عليهما ٩٣
● فصل: ورود عبارتين متصلتين لجهتين مختلفتين ٩٧
● فصل: رجوع كل من المجتمعين إلى ما يليق به ٩٨
● فصل: مجيء البيان متصلاً بالمبين ومنفصلاً عنه ٩٩
● فصل: مجيء جواب الكلام مقارناً له أو بعيداً عنه ١٠٢
● فصل: تصرف العرب في اللفظ بالحركات، والإعجام، والقلب ١٠٤
● فصل: التصرف في إطلاق الأسماء ودقتها ١٠٦
● فصل: اختلاف الأسماء باختلاف أحوال المسمى ١٠٨
● فصل: اختلاف الأوصاف باختلاف الموصوف ١١٢
● فصل: اختلاف الأسماء مع اتفاق الأحوال ١١٣
● فصل: للعرب في ألفاظها عام وخاص ١١٤

● فصل: أسماء تطلق على مسمّياتها بشروط ١١٥

الباب الثالث
في علوم الحديث (١١٧ ـ ١٤٢)

● فصل: في ذكر نبينا محمد ﷺ ١١٩
ـ ذكر نسبه ﷺ ١١٩
ـ ذكر أسمائه ﷺ ١١٩
ـ ذكر عمومته ﷺ ١٢٠
ـ ذكر عماته ﷺ ١٢٠
ـ ذكر أزواجه ﷺ ١٢٠
ـ ذكر أولاده ﷺ ١٢٠
ـ ذكر مواليه ﷺ ١٢٠
ـ ذكر مؤذّنيه ﷺ ١٢١
ـ ذكر كتّابه ﷺ ١٢١
ـ ذكر نقباء الأنصار رضي الله عنهم ١٢١
ـ تسمية مَنْ جمع القرآن حفظاً في عهد رسول الله ﷺ ١٢١
ـ تسمية مَنْ كان يفتي على عهد رسول الله ﷺ ١٢١
ـ تسمية مَنْ تأخّر موته من الصحابة رضي الله عنهم ١٢١
ـ تسمية فقهاء المدينة السبعة رضي الله عنهم ١٢٢
● منتخب من ذكر الأوائل ١٢٣
ـ فصل: أوّليات في الجاهلية ١٢٣
ـ فصل: أوّليّات في الإسلام ١٢٤
ـ فصل: أوائل متفرقة ١٢٤
ـ فصل: أوائل متنوعة ١٢٥
ـ فصل: أوّليات مستقبلية ١٢٥
● منتخب في ذكر المنسوبين إلى غير آبائهم ١٢٦

- فصل: في ذكر أسماء تساوى فيها الرجال والنساء ١٢٨
- فصل: التشابه في الخط والاختلاف في اللفظ ١٢٩
- فصل: أسماء أطلقت على الرجال والنساء معاً ١٣٠
- فصل: أسماء وقع فيها إشكال ١٣٢
- منتخب من الأسماء المفردة ١٣٣
- منتخب من مشتبه الأسماء ١٣٤
- فصل: من مشتبه النسبة ١٣٦
- بيان أحاديث أهمل فيها تبين الأسماء المشتبهة ١٣٧
- منتخب من المتفق والمفترق ١٤١

الباب الرابع

في ذكر عيون التاريخ (١٤٣ ـ ١٥٦)

- فصل: في أقاليم الأرض ١٤٥
- فصل: في الجبال ١٤٦
- فصل: معادن الأرض ١٤٦
- فصل: آدم ونوح عليهما السلام وأولادهما ١٤٦
- فصل: في تسمية الحواريين ١٤٧
- فصل: من ملوك فارس ١٤٧
- فصل: في عجائب الأقرباء نسباً وحالاً ١٤٧
- فصل: في الجدوب وعموم الموت ١٥٠
- فصل: في الزلازل والآيات ١٥٢

الباب الخامس

في ذكر المواعظ (١٥٧ ـ ٧٦٤)

القسم الأول: ذكر القصص

- الفصل الأول: في قصة آدم عليه السلام ١٦١

- الفصل الثاني: في بناء الكعبة ١٦٤
- الفصل الثالث: في قصة سيدنا نوح عليه السلام ١٦٧
- الفصل الرابع: في قصة عاد ١٦٩
- الفصل الخامس: في قصة ثمود ١٧١
- الفصل السادس: في قصة الخليل عليه السلام ١٧٢
- الفصل السابع: في قصة الذبيح عليه السلام ١٧٤
- الفصل الثامن: في قصة ذي القرنين ١٧٦
- الفصل التاسع: في قصة قوم لوط عليه السلام ١٨٠
- الفصل العاشر: في قصة يوسف عليه السلام ١٨٤
- الفصل الحادي عشر: في قصة أيوب عليه السلام ١٨٩
- الفصل الثاني عشر: في قصة شعيب عليه السلام ١٩٢
- الفصل الثالث عشر: في ذكر بداية موسى عليه السلام ١٩٤
- الفصل الرابع عشر: في تكليم الله عزَّ وجلّ موسى عليه السلام ١٩٦
- الفصل الخامس عشر: في قصة الخضر عليه السلام ٢٠١
- الفصل السادس عشر: في قصة بلعام وموسى عليه السلام ٢٠٣
- الفصل السابع عشر: في قصة قارون ٢٠٥
- الفصل الثامن عشر: في قصة داود عليه السلام ٢٠٧
- الفصل التاسع عشر: في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس ٢١٠
- الفصل العشرون: في مريم وعيسى عليهما السلام ٢١٣
- الفصل الحادي والعشرون: في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام ٢١٧
- الفصل الثاني والعشرون: في قصة أهل الكهف ٢٢٠
- الفصل الثالث والعشرون: في بداية أمر نبينا ﷺ ورضاعه ٢٢٣
- الفصل الرابع والعشرون: في قصة الغار والصدّيق رضي الله عنه ٢٢٨
- الفصل الخامس والعشرون: في قصة أهل بدر ٢٣٠
- الفصل السادس والعشرون: في تزويج علي بفاطمة رضي الله عنهما ٢٣٨

القسم الثاني: في المواعظ

- الفصل الأول: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ نذكر فيه التوحيد ٢٤٥
  - في التوحيد وانتفاء الشَّبَهُ
  - إثبات الصفات دون تشبيه أو تعطيل
  - من مظاهر عظمته وأدلة وحدانيته
  - اصطفاء أنبيائه وإقصاء أعدائه
- الفصل الثاني: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ ٢٥٠
  - في فضل نبينا ﷺ وأن فضائل الأنبياء مجموعة فيه ﷺ
  - تحنث النبي ﷺ في حراء ومجيء جبريل
  - الإسراء والمعراج ومعجزات أخرى
  - خصوصية بالمقام المحمود يوم القيامة
  - صحابة النبي ﷺ صفوة الخلق بعد الرسل
  - ميزات ثلة من صحابة النبي ﷺ
- الفصل الثالث: في قوله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ ٢٥٧
  - تلبية النداء شوقاً لرؤية البيت العتيق
  - من أحوال العارفين في المناسك
  - ما تفيضه رؤية المشاهد والآثار على القلوب من أسرار
- الفصل الرابع: ٢٦٤
  - الاعتبار بمن نازله الموت قبل التأهب وإعداد الزاد
  - قصر اللبث في الدنيا داعية إلى الجد في الخير وترك العبث
  - من بواعث الكسل غلبة الهوى وطول الأمل
  - اجتماع المذنبين في نادي الندم والأنين
- الفصل الخامس: ٢٦٩
  - التأمل فيما يفنى ويبقى يقي من اتباع الهوى
  - قوة عزمك على الخير رجولة وفتورك عنه أنوثة
  - محبة الدنيا محنة وبلية

- من جعل الآخرة نصب عينيه جدّ في طلبها
- الصبر على المجاهدة سبيل الحظوة عند الملك

● الفصل السادس: ٢٧٦
- العمر يسير والعاقل يقصر عن التقصير
- التأمل في عجائب تدبّر الحيوان للعواقب
- العاقل مَنْ يدبر دينه كما يدبر دنياه
- استنشاق ريح الأسحار يفيق قلب المخمور من الإسكار

● الفصل السابع: ٢٨٢
- المتيقظ يتنفع بوعظ الأيام ويبادر لتلافي الآثام
- الأسفار الستة التي يتقلب بها الإنسان
- صفات المتقين في طريقهم إلى مراتب اليقين

● الفصل الثامن: ٢٨٧
- غبن المغرور باللذات، وحزن المسرور بالشهوات
- دنيّ الهمة يقنع بالحاضر الفاني، ورفيع الهمة يطمح إلى الآجل الباقي
- دروس في تفاوت الهمم في عالم الحيوان
- معرفة حقيقة الدنيا تدعو للتعلق بالآخرة
- الهوى يعرقل عن سلوك سبيل الآخرة

● الفصل التاسع: ٢٩٢
- الاعتبار بالزمان حضّ العارفين على إصلاح الشأن
- اتّباع الهوى حصرٌ في سجن الدنيا، والتقوى انطلاقة في فضاء العزّ
- الحثّ على التخلّص من المعوّقات والقواطع
- التلطّف في الموعظة بين التشويق والتخويف
- أحوال العارفين بين الخوف والرجاء

● الفصل العاشر: ٢٩٧
- الدنيا غرّارة غدّارة خدّاعة مكّارة
- إنما تعجب الدنيا من لا فهم له، والعاقل يعرف حقيقتها

- الدنيا تتلف محبّيها وأهل الغفلة فيها
- على قدر الاجتهاد تعلو الرتب
- إسلام الصحابي الجليل ذي البجادين وشوقه إلى النبي ﷺ
● الفصل الحادي عشر: ٣٠٢
- دعوة النفس إلى تحقيق التوبة وإصلاح العيوب
- انقياد النفس للحازم وإباؤها على المتردد
- أثر المواعظ في إحياء قلوبٍ أماتتها الذنوب
- إصلاح القلوب مقدَّم على إصلاح الأبدان
- لا راحة للمحبّ إلا بلقاء محبوبه
● الفصل الثاني عشر: ٣٠٨
- الاعتبار بسطوة الموت والتنبّه قبل الفوت
- ركوب سفينة النجاة في لجج الحياة
- النهيؤ لساعةٍ ينادي فيها سعد فلان أو شقي فلان
- تمثّل جهنّم وأحوال الناس فيها
● الفصل الثالث عشر: ٣١٣
- معاول الساعات تهدم حائط الأجل
- تذكّر حلاوة العاقبة ينسي مرارة الصبر
- أثر الندم في قلع آثام الذنوب
● الفصل الرابع عشر: ٣١٧
- تمثّل هول عالم القبور يزهد في الدنيا الغرور
- كثرة الشواغل والطمع والغفلة مانعة من الفهم والاتعاظ
- طول الأمل عقدة في وجه منشار الجد
● الفصل الخامس عشر: ٣٢٢
- مَنْ أيقن بالرحيل بادر الأيام وحاذر الآثام
- مَنْ ولّى ظهره الدنيا، كشفت له الآخرة نقابها
- موانع الهوى تحجب وصول الموعظة إلى القلب

● الفصل السادس عشر: ٣٢٧
- مَنْ علم ما أمامه تهيأ للرحيل وأصلح خيامه
- عزيمة الإنابة تقلع قواعد الهوى
- تعلقت همة ابن آدم بالآخرة لما لاح له جمالها
● الفصل السابع عشر: ٣٣٢
- الدنيا دار المحن ودائرة الفتن
- من علم حسن المآب عند الله آب
- الآخرة سكانها الأخلاق الجميلة
- الذلّ والبكاء بلسمٌ لجراحات الذنوب
● الفصل الثامن عشر: ٣٣٨
- من أحبّ الوسادات لم يَلحق بمقام السادات
- المبادرة بالعمل الصالح ونبذ التسويف
- الإنسان مختار الله في الكون
- نزول آدم إلى دار المجاهدة وظهور ثمارها
● الفصل التاسع عشر: ٣٤٤
- التأهُّب للرحيل من دار ليست بمناخ
- بسابقة القدر سعد أقوام وشقي آخرون
- رحلة سلمان الفارسي في طلب الهداية
● الفصل العشرون: ٣٥٠
- يرجع عن الميت أهله وماله ويبقى معه عمله
- نفخ إسرافيل في الصور وحشر الخلائق
- من عجائب تدبير الحيوان للعواقب
- بعث رسائل الأحزان مع رياح الأسحار
● الفصل الحادي والعشرون: ٣٥٤
- خَلِّ الأمل الكذوب فرُبَّ شروق بلا غروب
- الدنيا جيفة قد فاح ريحها لا يشمه مزكوم

- بتفريغ القلب من الشواغل تُضْرَبُ سرادقات المحبوب
- المحبون بذكر الله ينطقون، وبأمره يتحركون

● الفصل الثاني والعشرون: ٣٥٩
- التَّبِعات تبقى واللذّات تمرّ
- أخوك من عذَلك وصدَقك لا مَنْ عذرك وصدَّقك
- ظهور رياض الوصول يُهوِّن قطع بادية الرياضة

● الفصل الثالث والعشرون: ٣٦٤
- لا يُدرِك المفاخر مَنْ رضي بالصف الآخر
- شجرة المكاره تُثْمِر المكارم
- مَن امتطى راحلة الشوق لم يَشْكُ عليه بُعْدُ السفر
- غليظ الطبع مَنْ لا يُحرّكه تشويق ولا يُزعجه تخويف

● الفصل الرابع والعشرون: ٣٧٠
- التوبة التوبة قبل وصول النَّوْبة
- مَنْ ضاع قلبه طلبه في مجالس الذكر والفكر
- عناية الله بعبده محيطة به قبل وجوده وبعده
- مَنْ أقبل على ربه رأى من إقباله عليه العجب

● الفصل الخامس والعشرون: ٣٧٦
- ضَمُّ العيب إلى الشيب مذموم
- حاكم العقل يُدين، وقاضي الهوى يجور
- التنزّه في أخبار المحبين تورث القلب محبة

● الفصل السادس والعشرون: ٣٨٠
- الدنيا أسحر من هاروت وماروت
- العمر أنفاس تطير، والموت يقطعها بسيفه
- أمل لقاء الحبيب يُنسي مرارة الابتلاء
- اجتياز بعض الصحابة لمحنة الابتلاء

● الفصل السابع والعشرون: ٣٨٥
ـ لا يدفع الموتَ في انتفاضه مَشِيدُ الحصون
ـ لا يُمْرِقُ الهمة مثل غوغاء المنى وضوضاء الشهوات
ـ نَفَس الأسف ينسف كثبان الذنوب في بوادي القلوب
ـ خوف العارفين من سوابق الأقدار قَلْقَلَ قلوبهم
● الفصل الثامن والعشرون: ٣٩٠
ـ من تيقَّنَ طولَ الطريق تأهَّبَ لها بكثرة الزاد
ـ ضبط الجوارح سبيل لحفظ الدِّين
ـ طعم المناجاة في السَّحَر تُنسي كلَّ لذّة
ـ مجالس الوعظ يأخذ منها كلٌّ على قدر همّته
● الفصل التاسع والعشرون: ٣٩٥
ـ من بواعث اليقظة التفكُّر في مصارع السابقين
ـ تلمُّح العواقب قبل الفعل أمان من الندم
ـ منْ زمَّ جوارحه ولازم الباب، فهو على رجاء الوصول
ـ المحبون يأنسون بمحبوبهم ويهيمون بذكره
● الفصل الثلاثون: ٤٠٠
ـ مَنْ عَلِمَ أنّ الخصم مُعِدٌّ والقَصْمَ مُجِدٌّ، بادر وجدّ
ـ جلاء البصيرة من قذى الهوى يُجلي على البصر عرائس الهدى
ـ مظاهر عَظَمة الله في مراحل خلق الإنسان
● الفصل الحادي والثلاثون: ٤٠٤
ـ حَظِيَ بالشر مَنْ جمع المال للغير، وترك التزوُّدَ في سَيْرِه
ـ إيثار ما يَفْنَى على ما يبقى عِلَّةٌ قاتلة
ـ أمثلة لتوظيف طاقات الإنسان في الفاني المنقطع
ـ مَنْ تفكَّر في طريق الهوى يتيقن المَعاثِر والصدمات
● الفصل الثاني والثلاثون: ٤١٠
ـ الحرص على الدنيا يورث صاحبه النَّصَب

- شرف الهمة ينأى بصاحبه عن الخسائس والأقذار
- صاحب الهوى يتبع المذهب الذي يوافق غرضه
- الشوق إلى الحبيب والندم على التقصير يقي من نار جهنم

● الفصل الثالث والثلاثون: ٤١٤
- مَنْ سكن اليقينُ قلبه، راقب بالأنفاس ربّه
- مَنْ قطع طمعه في الدنيا حاز عزائم الأولياء
- أحكم العارفون العلم فحكم عليهم بالعمل

● الفصل الرابع والثلاثون: ٤٢١
- رحيل مَنْ يرحل عن الدنيا نذير لمن بقي فيها
- التقصير في العمر القصير ندامة وسوء مصير
- الإصغاء إلى حديث الهوى يورث الصمم إلى النصائح
- الحِمية عن الذنب وامتلاك الهوى سبيل الرفعة ونيل العلا

● الفصل الخامس والثلاثون: ٤٢٧
- الدنيا معبر للآخرة ودار ابتلاء
- تُنال الجنة بالزهد وتُدفَع النار بترك الذنب
- مَنْ عَلِمَ أن البلاء مراد الحبيب استحلاه

● الفصل السادس والثلاثون: ٤٣٤
- الدنيا لمن اغترّ بها خادعة، ولمن أحبّها قاطعة
- المال بيد الكرام عابر سبيل
- مَنْ أعرض عن الدنيا أقبلت إليه الآخرة
- نيل الشهوات وتحصيل المراتب ضدان لا يجتمعان

● الفصل السابع والثلاثون: ٤٣٨
- الجِدُّ في طريق السابقين سبيلٌ للحاق بهم
- أوحش الذل ما كان بعد العزّ
- لسان الدمع أفصح من لسان الشكوى

- أبواب الملوك لا تطرق بالأيدي بل بنَفَس محتاج

● الفصل الثامن والثلاثون: ٤٤٣
- اعتبار المقيم بمن رحل
- من صدّق الأمل كذّبه ومن أطاع الهوى عذّبه
- من مظاهر نعم الله وتدبيره في خلقه
- من الشقاء مقابلة النعمة بمخالفة المُنعِم

● الفصل التاسع والثلاثون: ٤٤٨
- من أيقن بشدة الحساب حاسب نفسه على الذرّة
- ما مضى من الدنيا حلم وما بقي فأماني
- الطريق إلى الله محفوفة بالمشاق ومبذولة فيها الأرواح

● الفصل الأربعون: ٤٥٢
- سحائب المنى تحجب شمس الاعتبار وتغفل عن سطوات الموت
- الشيب أذان والموت إقامة، والخاسر من ليس على طهارة
- سكران الهوى بعيد الإقامة
- ضم الندم على التفريط إلى العزيمة على الإنابة سعادة

انتهى الجزء الأول

كتاب الصدهش
الجزء الثاني

● الفصل الحادي والأربعون: ٤٦١
- من راضَ مُهر نفسه هان عليه قيادها
- الأرواح في الأشباح كالأطيار في الأبراج
- نور النبوّة عمَّ الآفاق فرآه السعداء وعمي عنه الأشقياء
- الخوف من السابقة لا تنحل عقدته من قلوب العارفين

● الفصل الثاني والأربعون: ٤٦٦
- من انفكَّ من أسْرِ هواه أدرك مُناه

- دُرَرُ المواعظ تستنهض أصحاب الهمم
- العاقل من رعى قلبه في مزارع التقوى وحَماه من أدغال الغفلات
- سبق الاختيار يرفع من مهاوي الزلق إلى مراقي النجاة
● الفصل الثالث والأربعون: ٤٧١
- الفضائح تحتاج إلى وثبة أسد
- من أوقد مصباح الفكر لاحت له أعلام الهداية
- نماذج من زهد الصالحين وبكائهم
- تمكّن المحبة من القلوب تنأى بصاحبها عن نسيان المحبوب
● الفصل الرابع والأربعون: ٤٧٥
- شحم المنى هُزال ولذات الدنيا منام وخيال
- مَنْ له من نفسه باعث لم يحتج من خارجه لباعث
- نماذج من خصائص بعض المخلوقات
- استنشاق ريح المواعظ يسقط جنين الإصرار
- الاعتدال في سياسة النفس بما لها وما عليها
● الفصل الخامس والأربعون: ٤٨٠
- الدنيا حَلَبَةٌ لجريان الأعمار
- الشهوات مبثوثة في طريق المتيقن ما يسلم منها إلا الأولياء
- التواني عن التوبة والخيبة رضيعا لِبَان
● الفصل السادس والأربعون: ٤٨٤
- بئر الغفلة مُهلكة وبحار الجهل مُغرِقة
- من ذبح حَنْجرة الطمع بخنجر اليأس أعتق قلبه من أسر الرق
- طلوع شمس العزيمة في نهار اليقظة يبث عالم النشاط
● الفصل السابع والأربعون: ٤٨٨
- عرائس الموجودات ترفل في حلل رائعة الصنعة
- العارفون نزلوا من الدنيا منزلة الأضياف فأخذوا منها الزاد دون إسراف

● الفصل الثامن والأربعون: ٤٩٣
- ما تعطيه الدنيا مفرَّقاً تسترجعه جملة
- من وزن حلوى المشتهى بمر العقاب بان له التفاوت
- انبعاث الجوارح في العمل دليل على قوة العلم بالأجر
- الفرح ببذل النفوس دليل على كمال المحبة
● الفصل التاسع والأربعون: ٤٩٩
- الاستعداد للآخرة قبل الندامة
- يشتد كرب المحب بمزاحمة رقباء المخالطة ويهبوب نسيم السحر يزول
- أرواح الأسحار أقوات الأرواح
● الفصل الخمسون: ٥٠٣
- تلمُّح سِير السابقين يُقلق المنقطعين
- غسل جنابة الجناية يؤهل لدخول الجنة
- من نصب الآخرة نُصْبَ عَيْنَيْه نصب بالطاعة
● الفصل الحادي والخمسون: ٥٠٧
- كم أباد الموت المُناصب أرباب المناصب
- سائق الحرص يضرب ظهر الحريص بعصا التحريض
- كره المحبون الموت لأنه يقطعهم عن عبادة محبوبهم
● الفصل الثاني والخمسون: ٥١٢
- العزلة حمية البدن والمناجاة قوت القلب
- تحقيق العبودية يرفع العبد فوق مراتب الملائكة
- لو عرف الإنسان قدر نفسه ما أهانها بالمعاصي
- أثر المحبة يظهر على جسد المحب
● الفصل الثالث والخمسون: ٥١٦
- العمل دائم الوجل من هجوم الأجل
- ما أشنع الخطايا في الصبا وهي في الشيب أقبح!
- من فتش أحمال الأعمال قبل الرحيل أمن الرد عند المقيل

- المعرفة غرس في القلب، والتذكار ماء

● الفصل الرابع والخمسون: ٥٢٠
- القائم على سوق الشهوات في سوق الشهبات خسرت تجارته
- لا يغرّنك صفو العيش فالرسوب في أسفل الكأس
- خُلِقت الداران للإنسان، فالدنيا للتزوّد والأخرى للتوطّن
- محبة آدم للحبيب أصيلة، وتعبُّد إبليس تكلّف

● الفصل الخامس والخمسون: ٥٢٦
- من آمن بالسؤال يوم الحساب أعدَّ له أحسن الجواب
- من الشطط والخسران إنفاق نعم المولى في العصيان
- بخار الأماني يعقد بخار الكسل
- أحوال الصالحين عند الموت بين خائف ومشتاق

● الفصل السادس والخمسون: ٥٣٠
- مركب الحياة تجري في بحر البدن برخاء الأنفاس
- العقل يحثّ على التوبة، والهوى يمنع، والحرب بينهما سجال
- أُحصر الصالحون في سبيل المحبة، فأقعدتهم عن كل مطلوب

● الفصل السابع والخمسون: ٥٣٤
- اليقظ من يبكي على نفسه قبل أن يُبكَى عليه
- من علامة حياة القلب: الانكسار عند التوبيخ، والدمع عند العتاب
- متى صدقت توبة التائب بنى بيت التعبّد بصخور العزيمة
- التوبة الصادقة تقلع آثار الذنوب

● الفصل الثامن والخمسون: ٥٣٩
- وَعْظ الدنيا برحيلها أبلغ وعظ لمن كان له قلب
- ما أمَرَّ البعد بعد القرب! وما أشد الهجر بعد الوصل!
- المحبّ لا يبرح عن الباب ولو طُرِدَ، ولا يزول عن الجناب ولو أُبعِد

● الفصل التاسع والخمسون: ٥٤٣
ـ أكثر فساد القلب من تخليط العين
ـ إذا خيّم سلطان المعرفة بقاع القلب بثّ جنده في بقاع البدن
ـ عند المحبين شغل عن الجنة فكيف يلتفتون إلى الدنيا
ـ ألسنة المحبين تضجّ من طول حبسهم في الدنيا عن الحبيب
● الفصل الستون: ٥٤٨
ـ التفكّر في الراحلين عن الدنيا ومنازلهم بعدها
ـ من رأى معاول النقض في أهل الدنيا ناح عليهم
ـ الأيام صحائف الأعمار، والسعيد من سجّل فيها أحسن الأعمال
ـ من دلائل المحبة نحول الجسم واصفرار اللون
● الفصل الحادي والستون: ٥٥٣
ـ الأيام واعظة بما تبنيه وتنقضه
ـ يوسف العقل ينظر في العاقبة، وزليخا الهوى تتلمّح العاجلة
ـ كل صاف من الدنيا مقرون بكدر
ـ لا يدرك علم الربانية إلا من رُبيّ فيه
ـ لابدّ في سلوك الطريق من مصابرة رفيق
● الفصل الثاني والستون: ٥٥٨
ـ العاقل من يستدرك صبابة اليقظة
ـ لا بد لنجم الحياة من أُفول، ولشمس الممات من طلوع
ـ العمر قصير، والناقد بصير
ـ إذا خلا الفكر باليقين ثارت عجاجة الدمع
● الفصل الثالث والستون: ٥٦٢
ـ الأكياس يعاتبون النفس على التفريط ويحاسبونها على التقصير
ـ العزلة تجمع الهمَّ، والمخالطة نهّابة لجمع القلب على الله
ـ بانقشاع غيم الغفلة عن العيون يلوح هلال الهدى

- المحبّون أنضَوْا رواحل الأبدان حبّاً في تعجيل اللقاء
- من أراد اللحاق بالسادة خلى مخالة الوسادة

● الفصل الرابع والستون: ٥٦٦
- من خطر ذكر الرحيل بباله، قنع باليُلَغ في ترحاله
- يقدر على الحمية من تلمح العافية في العاقبة
- من أقفر قلبه من اليقظة فتحت نفسه باب الغفلة

● الفصل الخامس والستون: ٥٧٠
- إقبال الدنيا شغل، وإدبارها قتل
- الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب
- أحسن شعائر الشرائع العدل

● الفصل السادس والستون: ٥٧٤
- طول الأمل ينسي ذكر الأجل
- الأمن في طريق مُخيف يدلُّ على عقل سخيف
- النبيه من يخالط عالَم المعنى، ولا يقف مع الصور
- من صفت له الفكرة كان له في كلِّ شيءٍ عبرة

● الفصل السابع والستون: ٥٧٨
- الطريق الهادية واسعة الفجاج والدليل ظاهر
- من لم يصبر عن الهوى صَبْر يوسف حَزِنَ حُزْنَ يعقوب
- أنفاس المستغفرين نسائم السحر
- زكام الكسل والفتور يمنع استطابة رياح الأسحار

● الفصل الثامن والستون: ٥٨٢
- لا يَعمي البصر، ويُصِم السمع مثل الهوى
- شجرة الإخلاص أصلها ثابت، وشجرة الرياء مجتثة
- ريح المخلصين عطرية القبول، وللمرائي سَمُوم الإبعاد
- قلب من ترائيه بيد من تعصيه

- أحوال الصالحين في الاحتراس من الرياء
● الفصل التاسع والستون: التفكر في عجائب خلق الله: ٥٨٨
- العاقل من يخلو بنفسه ويعاتبها، ويأخذ على يدها ويحاسبها
- مَنْ تأمَّل حُسْن لُطفِه لخليقته حيّره الدهَش
- القلب جوهر في معدن البدن والكشف عنه بمعول المجاهدة
- المغبون من باع لحظةَ أُنس بالله بعمر الدنيا
- أنفاس الأسف كافية في الشفاعة من الزلل
● الفصل السبعون: ٥٩٢
- العجب ممن يشتري لذة ساعة بغمّ الأبد
- بضاعة المذنب دمعه، ورأس ماله حزنه
- أقرب الخطائين إلى العفو المعترف بالزلل
- ليس للمحب دون لقاء محبوبه قرار
● الفصل الحادي والسبعون: ٥٩٧
- حبال الآمال مقطوعة، وساحر الهوى نفّاث
- من عدى خلف موكب الهوى ما ربح إلا الغبار
- من لم يشاهد جمال يوسف لم يعلم ما الذي ألم قلب يعقوب
● الفصل الثاني والسبعون: ٦٠٢
- أدعية ومناجاة في طلب القرب، والأمن من القطيعة
- العجب ممن عرفه ثم أحب غيره
- يرجى لمن استغاث بالواصلين اللحاق بهم
- ذكر الوصال في زمان الهجر تلف
● الفصل الثالث والسبعون: ٦٠٦
- الإخلاص مِسكٌ مصون في مَسْك القلب
- المرائي يحشو جراب العمل رملاً يُثقل ولا ينفع
- العبرة باستقامة الباطن وصلاح النية

- نماذج من حرص الصالحين على كتم الأعمال خشية الرياء

● الفصل الرابع والسبعون: ٦١١

- سار الصالحون على رواحل الصدق فوصلوا رياض الأنس
- حمائم الأرواح مسجونة في أقفاص الأشباح
- جليت أوصاف الحبيب في حلية الكمال، فقام العارفون على أقدام الشوق يسبحون
- لما تمكّنت المعرفة من قلوب الصالحين أثّرت شدّة الخوف
- المحبّ إن تذكّر الريح حنّ، وإن تفكّر في البعد أنّ

● الفصل الخامس والسبعون: ٦١٦

- الخلوة مَهْر بكر الفكر وسلَّمُ معراج الهمّة
- قطع العلائق أصل الأصول لتحقيق الوصول
- لا يظهر في خلوة المتيقظ إلا الحق
- الإقرار بالإفلاس غنى، والاعتراف بالخطأ إصابة
- كفى بطول الرقدة في القبور رقاداً

● الفصل السادس والسبعون: ٦٢١

- المقصّر عن طلب الزاد كيف يدرك المعالي بغير اجتهاد؟
- لما صفت خلوات الدجى فاز الأحباب بالفوائد
- ثوّرت في الليل الحداة، وربطت أحمال الأعمال
- أحوال المحبّين في قيامهم الليل

● الفصل السابع والسبعون: ٦٢٥

- إذا هبّت رياح المواعظ أثارت من قلوب المتيقظين غيم الغم
- بكاء المحبين رغبة ورهبة
- البكاء لأجل الذنوب مقام المريد، وعلى المحبوب مقام العارف
- المحب مع بذله الروح لا يرى ما بذل ثمناً لما طلب

● الفصل الثامن والسبعون: ٦٣١
ـ المحب بهم في كل واد، يصبح على القلق، ويمسي على الحُرق
ـ مقاساة الخلق ظلمة، والحبيب يتجلّى في خلوة
ـ المحبة نزالة، وقوّتها المُهَج
ـ المحب إذا أقلقه الحب ضجّ، وإذا أرّقه الشوق عجّ
ـ أشد ما على المحب من مقاساة الحب سماع اللوم
● الفصل التاسع والسبعون: ٦٣٧
ـ سماع أخبار المتقين تحثّ على السير في سِربهم
ـ قلب المحبّ تحت فحمة الليل جمرة، كلما هبّ النسيم التهبت
ـ شيمة المحب لا تخفى، وصحائف الوجوه يقرؤها من لم يكتب
● الفصل الثمانون: ٦٤١
ـ من رأى قلبه مال إلى الهوى ذكره العقاب ليستقيم
ـ إن تأخرت الإجابة فابعث رائد الانكسار خلفها تنل
ـ مظاهر من لطف الله بضعفاء خلقه
ـ من تلاعبت خوادع الآمال ببضائع عمره صار مفلساً
ـ لما علم المحبون أن الصبر محبوب الحبيب شمّروا لحمل البلاء
● الفصل الحادي والثمانون: ٦٤٦
ـ مَنْ أحرم عن الحرام بنزع مخيط الهوى راعى القدر ضعف كسبه
ـ مراتب المصلين في معارج الصلاة
ـ في خلوات التلاوة تُزَفُّ أبكار المعاني
ـ مَنْ أحبّ المخدوم حضر قلبه في الخدمة
● الفصل الثاني والثمانون: ٦٥١
ـ العجب ممن يرى فعل الموت بصحبه ثم ينسى قرب نحبه
ـ سعد من تدبّر، وسلم من الأذى من تصبّر
ـ المحرمات حرم، ونظر المملوك إلى حرم المالك من أقبح الخيانة

- من سعى إلى جناب العزّ بأقدام المسكنة لم يعد بالخيبة
- صدور العلم من عامل به كالعربية ينطق بها البدوي

● الفصل الثالث والثمانون: ٦٥٦
- العارفون يخافون دخول الزيف في أعمالهم والمخلطون على بساط الأمن
- المحبون شغلهم حب مولاهم عن لذات الدنيا
- سفر الليل لا يطيقه إلا مضمر المجاعة
- الصالحون إذا ناموا توسّدوا أذرع الهمّ، وإن قاموا فعلى أقدام القلق

● الفصل الرابع والثمانون: ٦٦٠
- مَنْ تذكّر ركوب الجنازة وطول المفازة أعدّ الراحلة والزاد
- إذا تلاقحت غروس المجاهدة تلاحقت ثمار المدائح
- أشراف الأوصاف أوصاف الأشراف، وسادات العادات عادات السادات
- المحبون مع الحق حاضرون، عن الخلق غائبون
- من يجوز ينادي المحبة يرى المحبين كالفَراش تحت النيران

● الفصل الخامس والثمانون: ٦٦٦
- من لم يلتزم أسلوب المعاتبة ودستور المحاسبة باء بالخسارة
- بحر الوجود قد جمع الفنون، فالعلماء جوهره، والعباد عنبره
- لا تحتقرن يسير الطاعات، فالذَّرُّ إلى الدَّرِّ إبل

● الفصل السادس والثمانون: ٦٧١
- المفروح به من الدنيا هو المحزون عليه
- من اغترّ بحبة الفخ نسي خنق السَّرَك
- لا تكون الروح الصافية إلا في بدن معتدل
- من صابر مشقة الطريق انتهى سفره إلى جنات عدن
- ثمن المعالي جدّ الطالب، والفتور داء مُزمن

● الفصل السابع والثمانون: ٦٧٧
- غفلة المؤمن عن المساءلة دون يقين بالنجاة غرور

- ما في المقابر من دفين إلا وهو متألم من (سوف)
- منام المنى أضغاث، ورائد الآمال كذوب
- المجاهدة حرب لا يصلح لها إلا بطل
- لا تصح توبة من تاب بلسانه والإصرار ملء قلبه

● الفصل الثامن والثمانون: ٦٨٢
- أيام العافية غنيمة
- الخاسر من سجن عقله في مطمورة هواه
- خفيت العواقب على المتقين ففزعوا إلى القلق
- العارفون غائبون عند ذكر الدنيا، حاضرون عند ذكر الآخرة
- العالم المحقق يعتصر من كروم المعارف أكرم المعاني
- من جلس في كسر الانكسار فتح له باب الوصول

● الفصل التاسع والثمانون: ٦٨٧
- آه من نفس تقبل على عدوّها، وتبادر إلى ما يؤذيها
- من بعث قلبه وراءه كل هوى عسر عليه حضوره في الصلاة
- العبارات حظ النفوس، والإشارات قوت القلوب

● الفصل التسعون: ٦٩٣
- لا يطعمنَّ البطّال في منازل الأبطال، فلذة الراحة لا تنال بالراحة
- أعظم عذاب أهل النار جهلهم بالمعذِّب
- ليس الواعظ كالإبرة، تكسو غيرها وهي عريانة

● الفصل الحادي والتسعون: ٦٩٨
- سلب الآباء، وأخذ الأجداد، يُنبِّه على إعداد الزاد
- نزول آدم إلى ميدان التعبّد، صعود في ميدان المجاهدة
- كلام المُذكِّرين إذا سلم من بدعة كان قوتاً للنفس

● الفصل الثاني والتسعون: ٧٠٤
- أَوْلى مَنْ بكى على أقاربه الأموات أن يبكي على نفسه

- من لاحت الغاية لمين شيبه صاح بخيل المبادرة
- سطرت قدرة الصانع في ألواح التكوين عجائب الصنعة
- مَنْ تلمَّحَ آثار الحبيب على وجوه الصالحين رأى سطور القبول بمداد الأنوار

● الفصل الثالث والتسعون: ٧٠٩
- النهار يزيد في كرب المحب، والليل يشكفها في السحر
- شراب المناجاة يروي ظمأ العشاق
- كلما قوي حامل المحبة زيد في حمله
- تمكن الحب في قلوب المحبين أخرجهم إلى الوَلَه

● الفصل الرابع والتسعون: ٧١٤
- باب البقاء في الدنيا قد سُدّ
- مياه المعاني مخزونة في صدر العالم تروي الظامئين
- مَنْ خُلِقَ للعلم شفّ جوهره من الصغر
- فواكه الألفاظ اللذيذة في مذاق الأفهام السليمة لا تُثمّن

● الفصل الخامس والتسعون: ٧١٨
- العجب من فطِن غرَّ به سرابٌ يلمع
- الدنيا دار كدر بذلك جرى القدر
- العارفون علموا قرب الرحيل فهيّؤوا آلة السفر
- للمعاهد عهد كلّما تذكّره الصبّ صبّ الدموع

● الفصل السادس والتسعون: ٧٢٣
- من أراد استقامة نفسه سلمها إلى رائض العلم
- من علم بعواقب الجنايات تاب منها وعافها قبل الممات
- إيثار ما يفنى على ما يبقى من أشد المرض
- تخايل الصالحون لذة الصواب فسهلت عليهم مرارة الصبر

● الفصل السابع والتسعون: ٧٢٨
- مَنْ ركب الهوى هوى به، ومن استعمل التقوى تقوّى بها

- مَنْ حائطُ باطنه خرابٌ ما نفعه عمارة ظاهره
- ثقّف نفسك بالآداب قبل صحبة الملوك

● الفصل الثامن والتسعون: ٧٣٤
- مَنْ عرف ما بين يديه من الأهوال لم يؤثر هواه
- ما جرى على العصاة يكفي عظة
- مَنْ احتقر معصية لصغرها فربّما أحرقه شررها
- وَحْلُ المخالطة يُلزم المهذب رفع أذيال قميص الدين
- من الأموات مَنْ تحيا بذكره النفوس، ومن الأحياء مَنْ تقسو برؤيته القلوب
- تحت شجرة طوبى مستراح العابدين

● الفصل التاسع والتسعون: ٧٤٠
- مَنْ هوّن أمر الدنيا عليه هانت
- مَنْ دام على سلوك الجادة وصل وإن طال المسير
- النظر في تصاريف الأقدار أقلق قلوب العارفين

● الفصل المئة: ٧٤٥
- العجب ممن ينفق العمر النفيس في نيل الهوى الخسيس
- المستيقظ بعد فوات الوقت ينظر إلى نفسه بعين المقت
- لولا صبر المضمر على قلة العلف ما قيل: سبّاق
- مَنْ لم تبكِ الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه

● الفصل الأول بعد المئة: ٧٥٠
- الموت مُقاتل يقصد المقاتل
- الدنيا غدّارة وبرد لذاتها حرارة
- خلوة المحبين بالحبيب تشغلهم عن ما يطيب

● الفصل الثاني بعد المئة: ٧٥٤
- أرباب الأماني والأمل أخذوا بين سكر الهوى والثَّمَل
- مَنْ جاز على القبور بقلب حاضر رأى ما فعلت بكلّ وجه ناضر
- منادي القبول على منازل الوصول يقول: (سارعوا)

● الفصل الثالث بعد المئة : ٧٥٨
- الأيام طرق الجدّ، والساعات ركائب المجد
- مَنْ جاز قنطرة الهوى آبَ بتجارة لن تبور
- مَنْ كانت عزيمتُه شديدة البرودة لم توقده نارُ المواعظ
● ملحق التراجم ..... (٧٦٥ـ٨٣٦)
● الفهارس العامة ..... (٨٣٧ـ٩٤٢)
١ ـ فهرس الآيات ٨٣٩
٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة والآثار ٨٧٧
٣ ـ فهرس الشعر ٨٨٣
٤ ـ فهرس الموضوعات ٩١٥
٥ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم ٩٤٣

* * *

٥ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم

ـ إبراهيم بن أدهم ٧٧٨
ـ إبراهيم النخعي ٨٣١
ـ أحمد بن أبي الحواري .. ٨٣٤
ـ الأسود بن يزيد ٧٧٩
ـ أسيد الضبي ٧٧٦
ـ أويس القرني ٧٧٧
ـ بشر الحافي ٧٨٧
ـ أبو بكر بن عياش ٧٦٩
ـ أبو بكر النهشلي ٧٦٩
ـ بلال بن رباح ٧٨٨
ـ أبو تمام ٧٧٠
ـ ثابت البناني ٨٣٥
ـ جعفر الصادق ٧٨٩
ـ جعفر الطيار ٧٩٢
ـ أبو جندل ٧٧١
ـ الجنيد ٧٧٩
ـ حبيب العجمي ٧٩٢
ـ حجّاج بن فرافصة الباهلي ٧٩٣
ـ حسان بن أبي حسان ... ٨٣٠
ـ الحسن البصري ٧٨٠
ـ الحكم الكوفي ٧٨١
ـ خالد بن زيد الكاتب ٨٣٥
ـ خبيب بن عدي ٧٩٣
ـ خبيب بن يساف ٧٩٣
ـ الخفاجي ٧٨٢
ـ داود بن أبي هند ٧٩٤
ـ أبو الدرداء ٨٢٤
ـ رابعة العدوية ٧٩٤
ـ رباح القيسي ٧٩٥
ـ الربيع بين خثيم ٧٨٢
ـ ابن الرومي (الزاهد) ٨٢١
ـ ابن الرومي (الشاعر) ٨٢١
ـ زجلة العابدة ٧٩٥
ـ السبتي ٧٨٢
ـ سحبان وائل ٧٩٦
ـ سري السقطي ٧٩٦
ـ سعيد بن المسيب ٧٩٧
ـ سفيان الثوري ٧٩٨
ـ أبو سليمان الداراني ٧٧١
ـ الشبلي ٧٨٣
ـ الشريف الرضي ٧٨٣
ـ أبو الشيص الخزاعي ٨١٩
ـ صرّدر ٧٩٩
ـ صلة بن أشيم ٨٠٠
ـ طاووس اليماني ٨٠١
ـ الطفيل بن عمر الدوسي ٧٨٣
ـ أبو الطيب المتنبي ٧٨٦
ـ العاصمي ٧٨٥
ـ عامر بن عبد الله ٨٠٢

- عامر بن عبد الله بن عبد قيس ٨٣٣
- عامر بن قيس الأشعري .. ٨٢٠
- عبد الله المزني ٨٠٢
- العباس بن أحمد ٨٣٢
- عبد الواحد بن زيد ٨٠٣
- أبو عبيدة الخواص ٧٧٢
- أبو العتاهية ٧٦٧
- عتبة الغلام ٨٢٣
- عطاء السليمي ٨٠٣
- العلاء بن زياد ٨٢٩
- أبو العلاء المعري ٧٦٨
- علي بن بكار ٨٣٦
- أبو علي الدقاق ٧٦٧
- عمار بن ياسر ٨٠٣
- أبو عمران الجوني ٧٧٣
- عمران بن حصين ٨٢٨
- عمر بن عبد العزيز ٨٠٤
- عمير بن هانئ ٨٠٦
- العوفي ٧٨٥
- الغزي ٨٣٢
- فتح بن شخرف ٨٠٧
- فتح بن سعيد الموصلي . ٨٠٦
- فتح بن محمد الموصلي ٨٠٧
- أبو فراس الأسلمي ٨١٨
- أبو فراس الحمداني ... ٨١٨
- فرقد بن يعقوب السبخي ٨٠٨
- الفضيل بن عياض ٧٨٦
- أبو قلابة ٨٣٢
- قيس بن ذريح ٨٠٩
- كثير عزة ٨٠٩
- كهمس بن الحسن التميمي ٨٠٩
- ابن أبي ليلى ٧٧٨
- ليلى الأخيلية ٨١٠
- ماهان الحنفي ٨٢٧
- معاذ بن جبل ٨١٤
- محمد بن كعب القرظي . ٨٣٠
- محمد بن المنكدر ٨١٠
- محمد بن النضر ٨١١
- محمد بن واسع ٨١١
- ابن مرزوق ٧٧٩
- مسروق بن الأجدع ... ٨١٢
- مسلم بن يسار ٨٢٠
- مصعب بن عمير ٨١٣
- مطرّف بن الشخير ٨١٣
- ابن المعتز ٧٧٩
- منصور بن المعتمر ٨١٥
- مهيار الديلمي ٧٨٧
- أبو نواس ٧٧٣
- ذو النون المصري ٨٢٧
- هشام بن حسّان ٨١٥
- وهب المزني ٨١٦
- وهيب بن الورد ٨١٧
- يحيى البكاء ٨١٧
- يحيى بن معاذ ٨١٧
- أبو يزيد البسطامي ٧٧٦
- يزيد الرقاشي ٨١٧

* * *